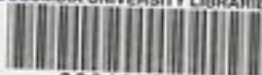


COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES

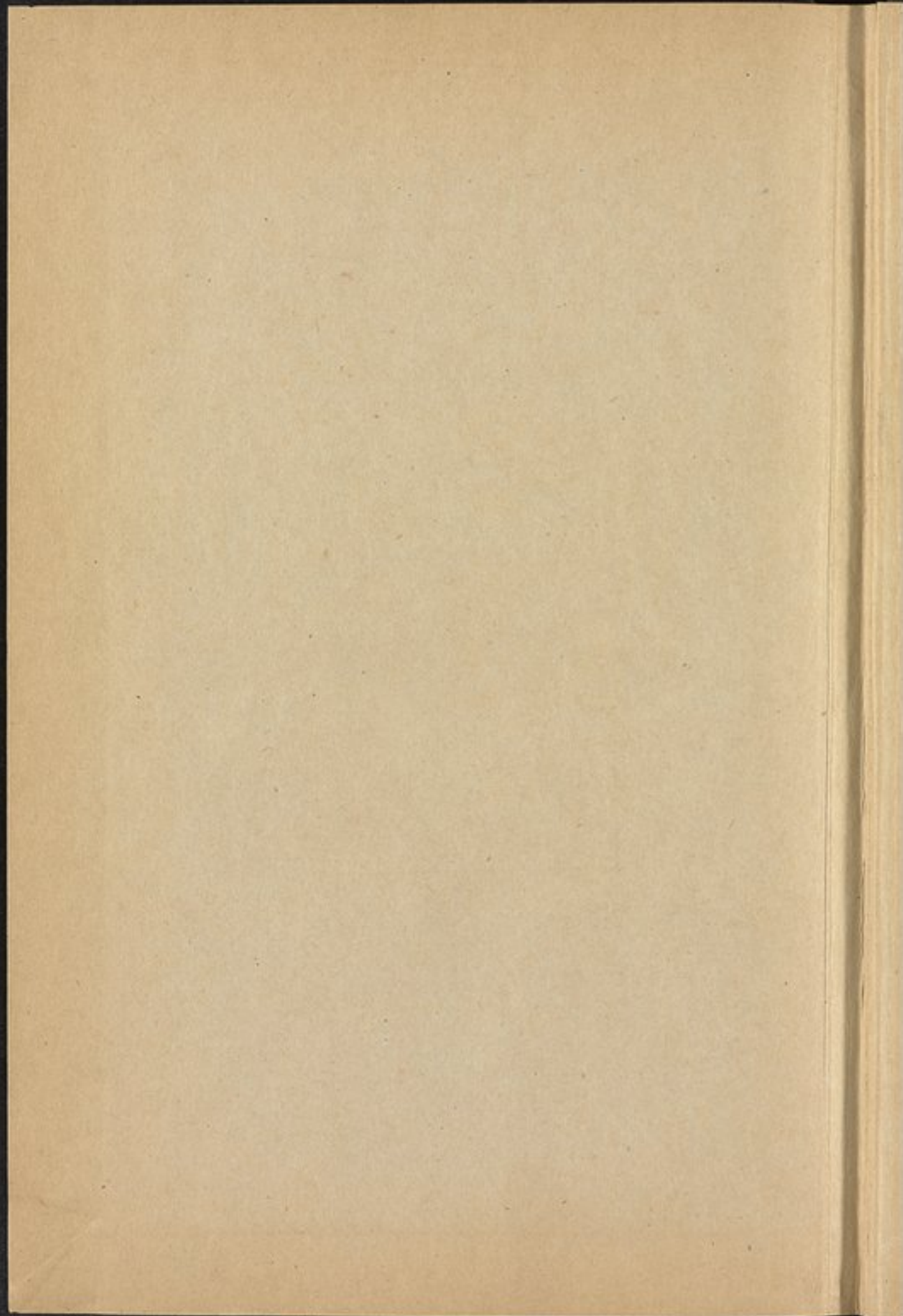


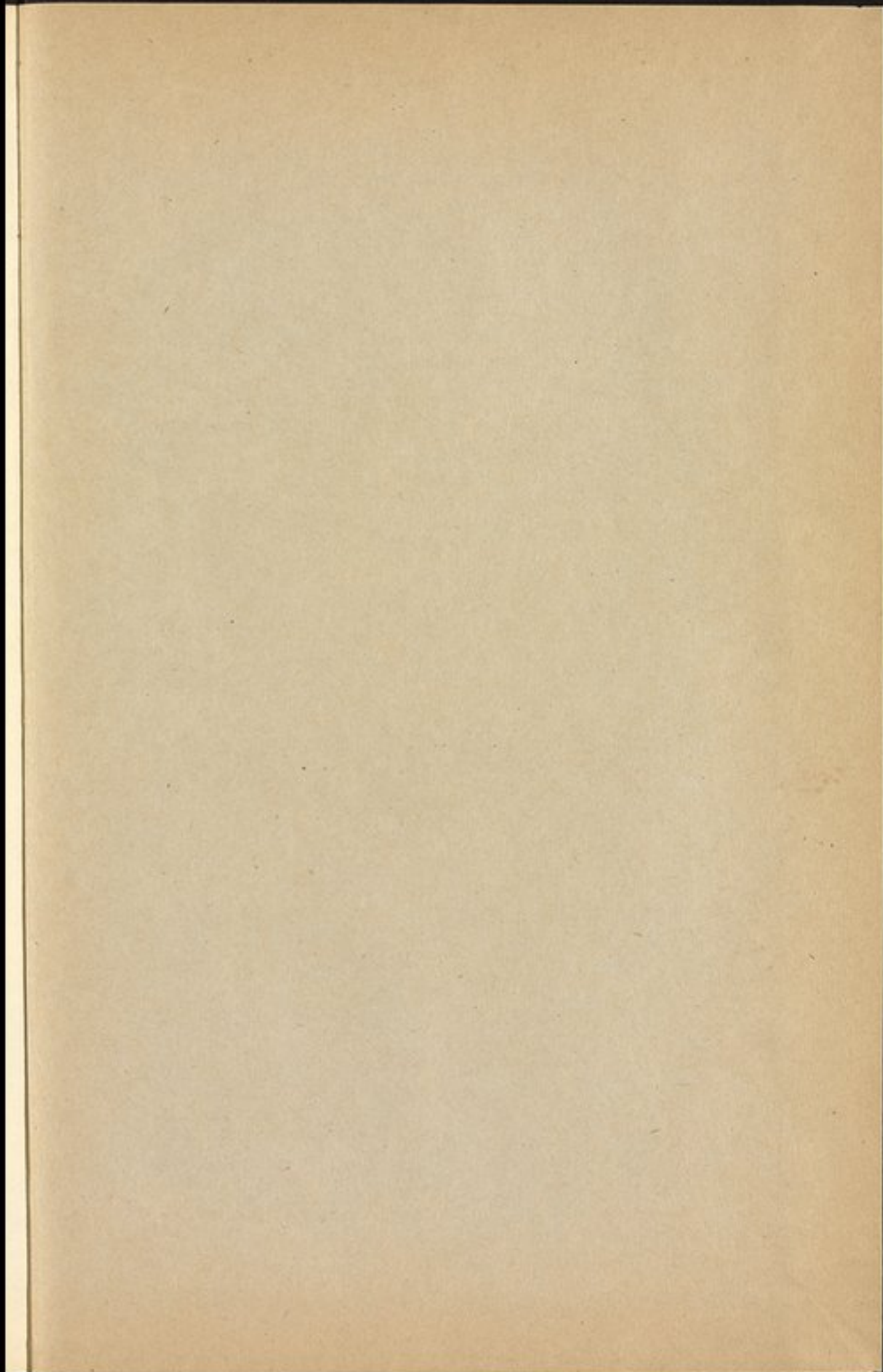
0061892190

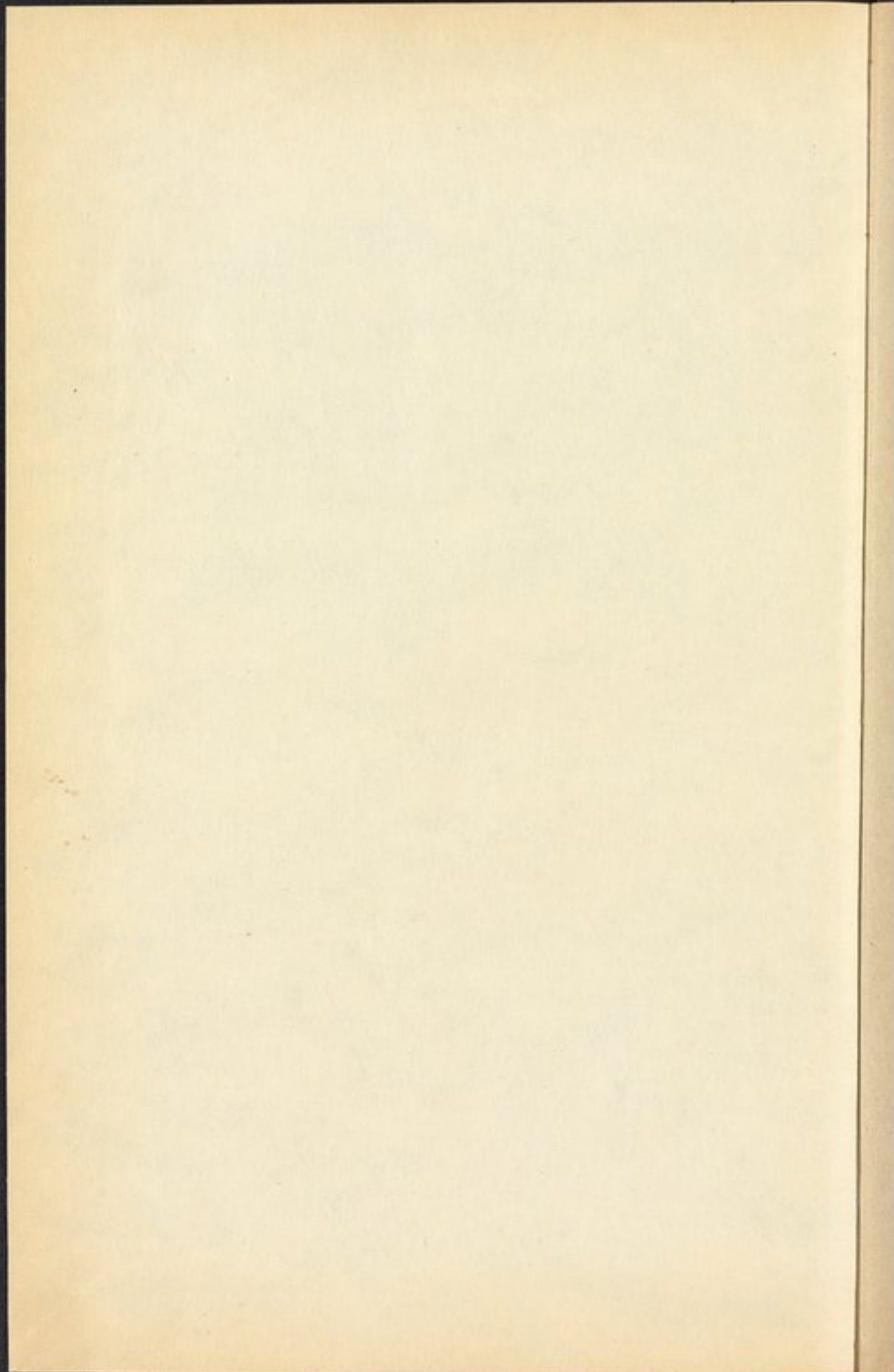
Columbia University
in the City of New York

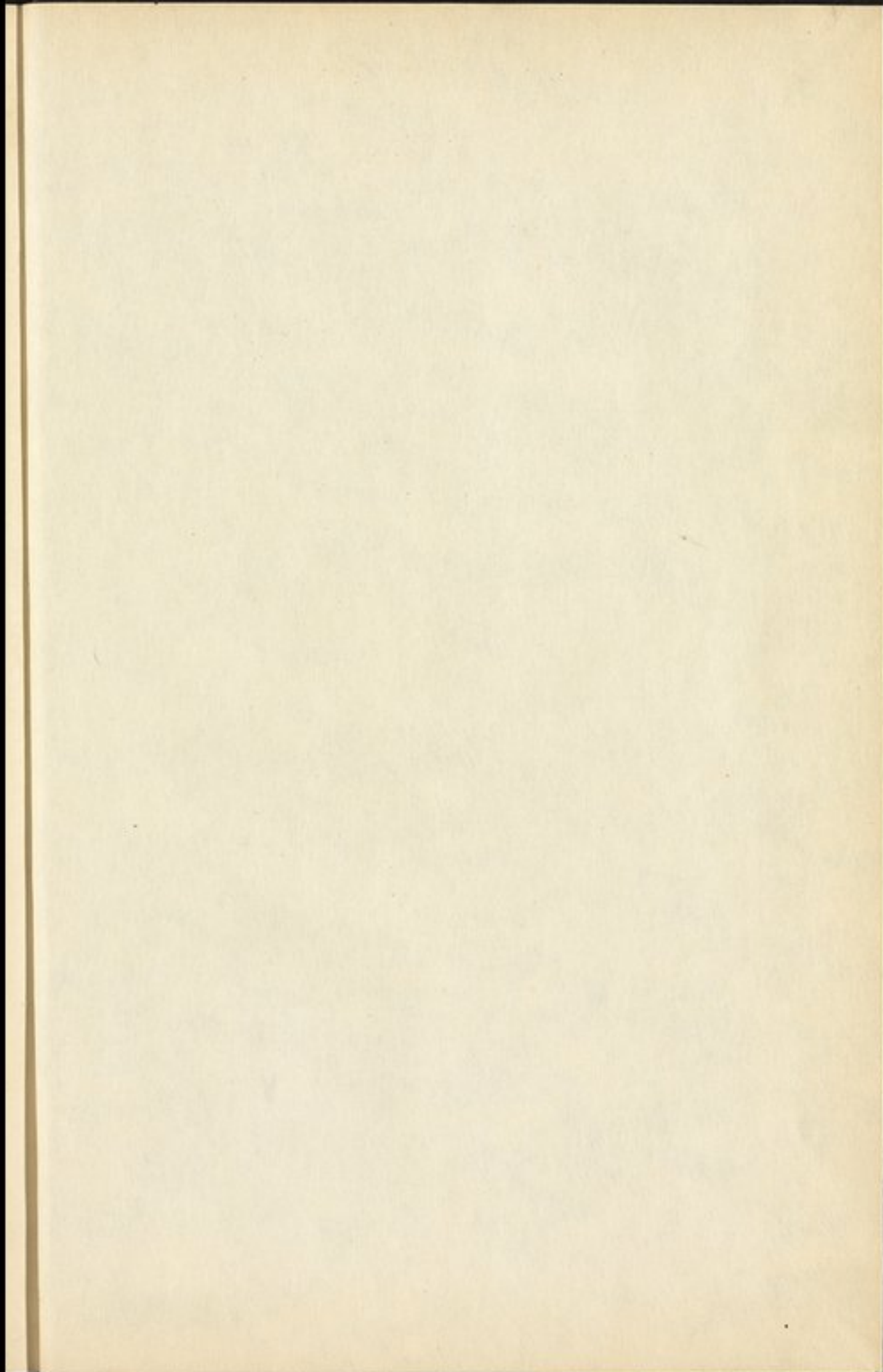
THE LIBRARIES











©
328

فهرس

الجزء الثاني عشر

من كتاب صبح الأعشى للقلقشندي

COLLEGE
UNIVERSITY
LIBRARY

صفحة

- القسم الثاني — مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
 ما يكتب لأرباب الوظائف بالممالك الشامية ،
 وهي على ضربين ٥
- الضرب الأول — من لا تصدر عنه منهم تولية في عمل نيابته ... ٥
 » الثاني — من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته ،
 وهي سبع نيابات ٦
- النيابة الأولى — نيابة دمشق ، ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام ،
 ووظائفها على نوعين ٧
- النوع الأول — ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به عن
 الأبواب السلطانية على أربعة أصناف ٨
- الصف الأول — أرباب السيوف ، وهم على طبقات ٨
- الطبقة الأولى — من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ٨
- » الثانية — من يكتب له تقليد في قطع النصف ... ٢٤
- » الثالثة — من يكتب له مرسوم ، وهي على مرتبتين ... ٢٦
- المرتبة الأولى — من يكتب له في قطع النصف ٢٦
- » الثانية — من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب
 السيوف ما يكتب في قطع الثلث ٣٣
- الصف الثاني — من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع
 ما يكتب فيها توابع ، وهي على مرتبتين ٣٨
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ٣٨
- » الثانية — ما يكتب في قطع الثلث الخ ٥٩
- الصف الثالث — توابع أرباب الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان ٨٦
- المرتبة الأولى — ما يكتب في قطع النصف الخ ٨٦
- » الثانية — من يكتب له في قطع الثلث الخ ٩٩

COLUMBIA
 UNIVERSITY
 LIBRARY

صفحة

- الصفن الرابع - وظائف المتصوفة ومشايخ الخوارج ، وفيها مرتبان ١٠١
- المرتبة الأولى - ما يكتب في قطع الثلث الخ... .. ١٠١
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة الخ... .. ١٠٣
- النوع الثاني - من وظائف دمشق ما هو خارج عن حاضرتها ١٠٤
- الطبقة الأولى - ما يكتب به مرسوم في قطع النصف ١٠٦
- الصفن الثاني - ممن هم خارج دمشق أمراء العرب ، وهم على طبقتين ١١٨
- الطبقة الأولى - من يكتب له منهم تقليد في قطع النصف ... ١١٨
- » الثانية - من يكتب له مرسوم شريف ، وهم على مرتبتين... ١٢٤
- المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ١٢٤
- » الثانية - من يكتب في قطع الثلث ١٣٥
- النيابة الثانية - من نيابات البلاد الشامية نيابة حلب ، ووظائفها
التي يكتب بها من الأبواب السلطانية على نوعين... .. ١٤٠
- النوع الأول - من بحاضرة حلب ، وهم على أصناف... .. ١٤٠
- الصفن الأول - منهم أرباب السيوف ، وهم على طبقتين ... ١٤٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد في قطع الثلثين ١٤٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع الثلث ١٥١
- الصفن الثاني - أرباب الوظائف الدينية بحلب ، وهم على طبقتين ١٥٥
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث الخ... .. ١٥٥
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة ١٦٠
- الصفن الثالث - من أرباب الوظائف بحلب أرباب الوظائف
الديوانية ، وهم على طبقتين ١٦٠
- الطبقة الأولى - من يكتب له في قطع الثلث ١٦٠
- » الثانية - من يكتب له في قطع العادة... .. ١٦٧

صحة

- النوع الثانى - من أرباب الوظائف بالملكة الحليية من هو
 خارج عن حاضرتها، وهم على أصناف ١٦٨
- الصف الأول - أرباب السيوف ١٦٨
- » الثانى - الوظائف الدينية ١٧٤
- » الثالث - الوظائف الديوانية ١٧٥
- النيابة الثالثة - نيابة طرابلس، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها
 من الأبواب السلطانية على نوعين ١٧٦
- النوع الأول - ما هو بحاضرة طرابلس، وهو على ثلاثة أصناف ... ١٧٦
- الصف الأول - أرباب السيوف، وهم على طبقتين ١٧٦
- الطبقة الأولى - من يكتب له تقليد ١٧٦
- » الثانية - من يكتب له مرسوم فى قطع الثلث ١٧٩
- الصف الثانى - الوظائف الدينية، وهم على مرتبتين ١٨٢
- المرتبة الأولى - من يكتب له فى قطع الثلث ١٨٢
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٨٧
- الصف الثالث - الوظائف الديوانية، وهم على مرتبتين ١٨٨
- المرتبة الأولى - ما يكتب فى قطع الثلث ١٨٨
- » الثانية - من يكتب له فى قطع العادة ١٩٤
- النوع الثانى - ما هو خارج عن حاضرة طرابلس، وهم على ثلاثة أصناف ١٩٥
- الصف الأول - أرباب السيوف، وهم على طبقتين ١٩٥
- الطبقة الأولى - الطبليخاناه ١٩٥
- » الثانية - العشرات ١٩٧
- الصف الثانى - الوظائف الدينية ١٩٨
- » الثالث - أرباب الوظائف الديوانية ٢٠٠

صفحة	
٢٠٠	النيابة الرابعة - نيابة حماة، وهي على ثلاثة أصناف
٢٠٠	الصف الأول - أرباب السيوف
٢٠٤	» الثاني - أرباب الوظائف الدينية
٢٠٥	النيابة الخامسة - نيابة صفد، ووظائفها على ثلاثة أصناف
٢٠٥	الصف الأول - أرباب السيوف، وفيه وظيفتان
٢٠٥	الوظيفة الأولى - نيابة السلطنة
٢٠٨	» الثانية - نيابة قلعة صفد
٢١١	الصف الثاني - أرباب الوظائف الديوانية
٢١١	» الثالث - أرباب الوظائف الدينية
٢١٢	النيابة السادسة - نيابة غزة، ووظائفها على صنفين
٢١٢	الصف الأول - أرباب السيوف
٢١٩	» الثاني - الوظائف الديوانية بغزة
٢٢٠	النيابة السابعة - نيابة الكرك، وأرباب الولايات فيها على أصناف
٢٢٠	الصف الأول - أرباب السيوف
٢٣٢	» الثاني - أرباب الوظائف الدينية
٢٣٢	» الثالث - أرباب الوظائف الديوانية
	القسم الثالث - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية ما يكتب لأرباب الوظائف
٢٣٢	بالمملكة الحجازية، وتشتمل على ثلاث قواعد
٢٣٣	القاعدة الأولى - مكة المشرفة، وبها وظيفتان
٢٣٣	الوظيفة الأولى - الإمارة
٢٤٠	» الثانية - قضاء مكة
٢٤٢	القاعدة الثانية - المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف

صفحة

- الوظيفة الأولى - الإمارة ٢٤٢
- » الثانية - القضاء ٢٥٨
- » الثالثة - مشيخة الحرم الشريف ٢٦٠
- القاعدة الثالثة - الينبع ، وبها وظيفة واحدة وهي النيابة ٢٦٢
- القسم الرابع - مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية
بالديار المصرية ما يقع على سبيل التدور ٢٦٥
- الفصل الثالث - من الباب الرابع من المقالة الخامسة فيما يكتب من
الولايات عن تواب السلطنة ، وفيه طرفان ٢٨٠
- الطرف الأول - في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد ٢٨٠
- المقصد الأول - في بيان من تصدر عنه الولايات من تواب السلطنة ٢٨٠
- » الثاني - في بيان الولايات التي تصدر عن تواب السلطنة
- بالممالك الشامية ٢٨١
- » الثالث - في افتتاحات التواقيع والمراسم بتلك الولايات ... ٢٨٢
- » الرابع - في بيان الألقاب ، وفيه أصناف ٢٨٣
- الصنف الأول - أرباب السيوف ، ولألقابهم مراتب ٢٨٥
- » الثاني - أرباب الوظائف الديوانية ، وفيهم مراتب ٢٨٧
- » الثالث - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف الدينية ، وفيه مراتب ٢٩٠
- » الرابع - من أرباب الولايات بالممالك الشامية مشايخ الصوفية ٢٩٢
- » الخامس - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أمراء العربان ٢٩٣
- » السادس - من أرباب الولايات بالممالك الشامية أرباب
الوظائف العادية ٢٩٣
- » السابع - من أرباب الولايات بالممالك الشامية زعماء
أهل الذمة ٢٩٤

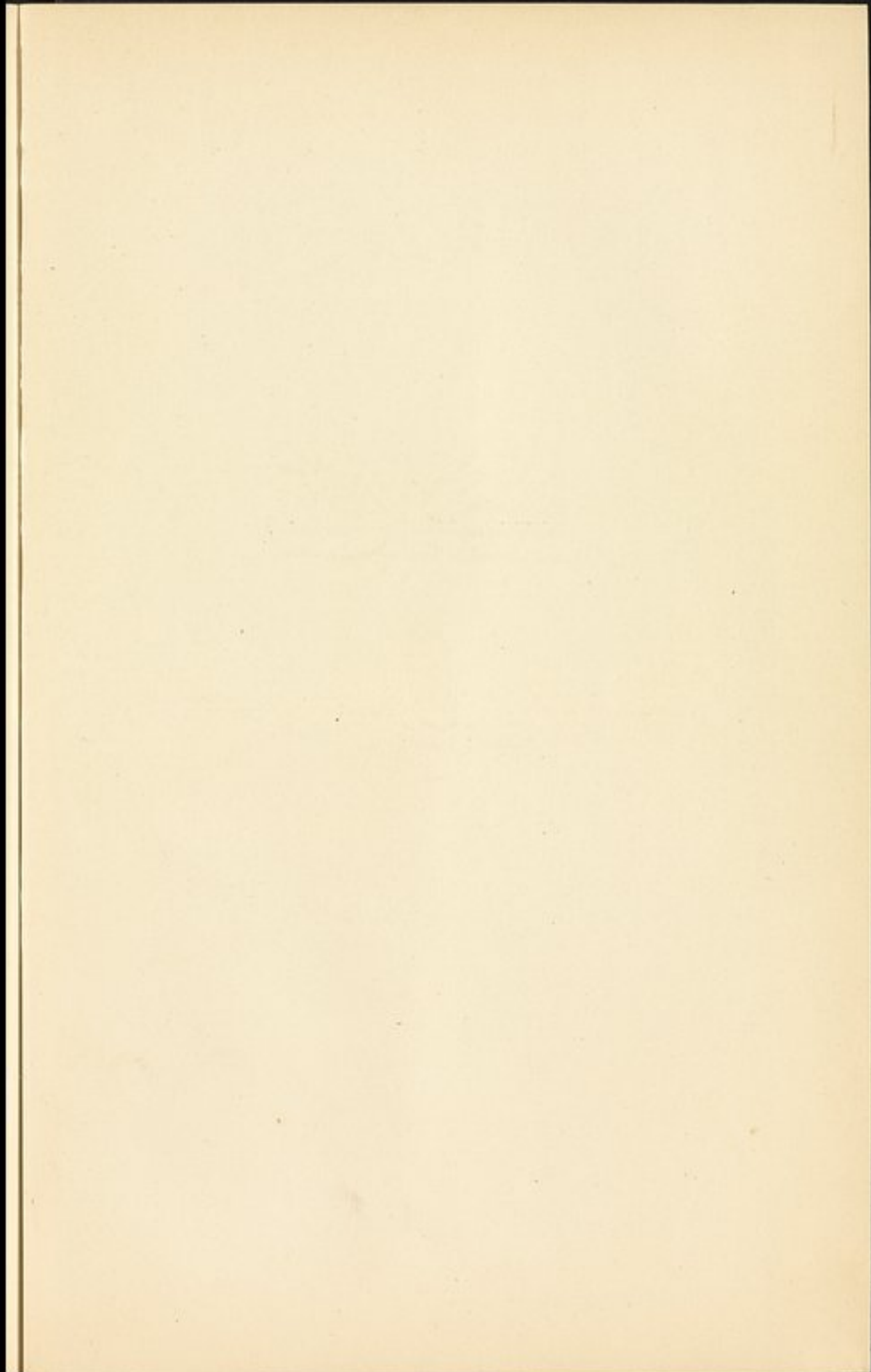
- صفحه
- المقصد الخامس - في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يكتب عن نواب الممالك الشامية... .. ٢٩٤
- » السادس - في بيان ما يكتب في طرزة التواقيع... .. ٢٩٥
- » السابع - في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع... .. ٢٩٩
- الطرف الثاني - في نسخ التواقيع المكتتة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية، وفيه ثلاث نيايات... .. ٢٩٩
- النيابة الأولى - الشام، والتواقيع التي تكتب بها على خمسة أصناف... .. ٣٠٠
- الصف الأول - ما يكتب بوظائف أرباب السيوف، وهو على ضربين... .. ٣٠٠
- الضرب الأول - ما هو بحاضرة دمشق، وهو على مراتب... .. ٣٠٠
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣٠٠
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣٠٤
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر العالي... .. ٣٠٦
- الضرب الثاني - ممن يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب السيوف من هو بأعمال دمشق، ومواضعهم على ثلاث مراتب... .. ٣١١
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣١١
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣١٧
- » الثالثة - ما يفتتح برسم... .. ٣٢٥
- الصف الثاني - تواقيع أرباب الوظائف الدينية، وهو على ضربين
- الضرب الأول - ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب... .. ٣٣٧
- المرتبة الأولى - ما يفتتح بالحمد لله... .. ٣٣٧
- » الثانية - ما يفتتح بأما بعد حمد الله... .. ٣٥٩
- » الثالثة - ما يفتتح برسم بالأمر... .. ٣٧٢

صفحة	
الضرب الثانى - ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق، وهو على مرتبتين	٣٧٧
المرتبة الأولى - ما يفتح بأما بعد حمد الله	٣٧٧
» الثانية - ما يفتح برسم بالأمر	٣٧٩
الصفى الثالث - ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية ،	
وهى على ضربين... ..	٣٨٣
الضرب الأول - ما يكتب لمن يحاضرة دمشق منهم ،	
وهو على ثلاث مراتب	٣٨٣
المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله	٣٨٣
» الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله	٣٩٠
» الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر الشريف	٣٩٣
الضرب الثانى - ما هو خارج عن حاضرة دمشق ، وغالب ما يكتب	
فيها من التواقى مفتاح برسم... ..	٤٠٤
الصفى الرابع - تواقى مشايخ الخوانق ، وهى على ضربين	٤١٠
الضرب الأول - ما هو يحاضرة دمشق ، وهى على ثلاث مراتب	٤١٠
المرتبة الأولى - ما يفتح بالحمد لله... ..	٤١٠
» الثانية - ما يفتح بأما بعد حمد الله	٤١٧
» الثالثة - ما يفتح برسم بالأمر	٤١٩
الضرب الثانى - ما هو بأعمال دمشق ، وفيه مرتبة واحدة	
وهى الافتتاح برسم	٤٢٠
الصفى الخامس - تواقى العربان	٤٢٢
» السادس - تواقى زعماء أهل الذمة من اليهود والنصارى	٤٢٤
النيابة الثانية - نيابة حلب	٤٢٨
» الثالثة - نيابة طرابلس	٤٥٠

(تم فهرس الجزء الثانى عشر من كتاب صبح الأعشى)

صنعة الأربعة

الجزء الثاني عشر



دار الكتب السلطانية

كتاب

صنعة الأسيجة

تأليف

الشيخ أبي العباس أحمد القلقشندي

الجزء الثاني عشر

حقوق إعادة طبعه محفوظة لدار الكتب السلطانية

طبع

بالمطبعة الأميرية بالقاهرة

١٣٣٦ هـ
١٩١٨ م

893.7K125

W

v. 12

cp 2

45-39141

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

القسم الثانى

(مما يُكْتَبُ من الولايات عن الأبواب السلطانية - [ما يكتب لأ] رباب

الوظائف بالممالك الشامية)

وأعلم أن تُوَاب السلطنة فى التولية على ضربين :

الضربُ الأول

(من لا تصدر عنه منهم تولية فى عمل نيابته)

وهم تُوَاب الديار المصرية : من النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب
الوجه البحرى ، ونائب الوجه القبلى ، فليس لأحد منهم تصرف فى ولاية ولا عزل
لنائب ، ولا كاشف ، ولا ولى حريب . إنما النائب الكافل يكتب فى بعض الأمور
على القصاص ، والسلطان هو الذى يباشر الكتابة على الولايات بنفسه ، والنائب
الكافل يكتب بالاعتماد على ما يكتب عليه السلطان ، كما تقدمت الإشارة إليه
فى موضعه .

الضرب الثاني

(من تصدر عنه التولية والعزل في عمل نيابته)

وهم تواب السلطنة بالممالك الشامية السبعة المقدم ذكرها : من النيابات الصغار ،
والوظائف الديوانية ، والوظائف الدينية ، ووظائف مشايخ التصوف ، والوظائف
العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ووظائف زعماء أهل الذمة : من رئاسة اليهود ،
وبطركية النصارى ، وغير ذلك .

فأما النيابات الصغار التي في أعمال النيابات العظام : فما كانت نيابته إمرة
عشرة فأكثر يولى فيه التواب ، وربما ولى فيه السلطان . وما كانت نيابته إمرة
طلبخاناة فأكثر : يولى فيه السلطان ، وربما ولى فيه التواب . وما كانت نيابته
تقدمة ألف ، فولايته مختصة بالسلطان دون التواب .

وأما الوظائف الديوانية ، فما كان منها صغيرا ككتابة الدرج وما في معناها ،
فأكثر ما يوليها التواب . وما كان منها جليلا : ككتابة السر وما في معناها ، ونظر
الجيش ، ونظر المال ، فتوليته مختصة بالسلطان . وما كان منها متوسطا بين
الطرفين : ككتابة الدست ونحوها : ففي دمشق تارة يولى فيها السلطان ، وتارة يولى
فيها النائب . وفيما دونها من النيابات غالب من يولى فيها التواب ، وقد يولى فيها
السلطان .

وأما الوظائف الدينية ، فما كان منها صغيرا : كالتدريس الصغار ، والخطابات
بالجوامع الصغار ، وأنظار المدارس والجوامع الصغار ، ونحو ذلك ، فإنه يولى فيها

النواب ولا يولّى فيها السلطان إلا نادراً . وما كان منها جليلاً : كقضاء القضاة ، فإن توليته مخصّصة بالسلطان . وما كان منها متوسطاً بين الرتبين : كقضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال ، ومشيخة الشيوخ ، ونحو ذلك : فتارة يولّى فيها السلطان ، وتارة يولّى فيها النواب . إلا أن تولية السلطان فيها في النيابات الجار كالشام أكثر ، وتولية النواب فيها فيما دون ذلك أكثر .

وأما مشيخة الخواتم فقد يولّى فيها السلطان ، وقد يولّى فيها النواب : إلا أن تولية السلطان في مشيخة الشيوخ بالشام أكثر ، وتولية النواب في غير مشيخة الشيوخ بدمشق وفي غيرها من وظائف الصوفية في غير دمشق أكثر .

وأما الوظائف العادية : كرياسة الطب ونحوها ، ففي جميع النيابات توليتها من النواب أكثر ، وربما ولي فيها السلطان .

وأما وظائف زعماء أهل الذمة : كرياسة اليهود ، وبطركية النصارى ، فيستبد بها النواب دون السلطان : لزيادة حقارتها في الوظيفة والبعد عن حضرة السلطان .

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الممالك بالبلاد الشامية أنه كان بها سبع ممالك عظام استقرت سبع نيابات :

النيابة الأولى

(نيابة دمشق ويعبر عنها بكفالة السلطنة بالشام)

وظائفها على نوعين :

النوع الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، ويشتمل ما يكتب به من وظائفها
عن الأبواب السلطانية على أربعة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقات)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد في قطع الثمين بـ «المقرّ العالی» مع الدعاء
بـ «عزّ الأنصار» : وهو نائب السلطنة بها)

وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتبت به عن السلطان الملك العادل
« كُتِبْنَا » للأمير « سيف الدين غرلو العادلي » من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي جعل لسيف دولتنا على عاتق الملك الأعزّ نجاحاً ، وأذخر لكفالة
مملكيتنا من الأولياء من تناسب وصفاه آجتهداً في مصالح الإسلام وجهاداً ، وعَدَقَ
أمور رعايانا بمن أيقظ لها سيفه وجفنه فامتلات عيونهم بما وهب وسلب من نومه
ونوم العدا رقّاداً ، ورفق ألوية إحساننا على من زاد رفعتها ظلّ عدله أنيساطا على
الرعية وأمتداداً ، ووطد قواعد ممالكنا بمن أجلنا الفكر في حسن اختياره أنتقاء
لمصالح الإسلام وأنتقاداً ، وأدى لشكر نعم الله التي لا يؤدى شكر بعضها ولو أن
ما في الأرض من شجرة أفلام أو كان البحر مدّاداً .

نحمدُه على نِعَمِهِ التي جعلت عزائمنا على الأبد منصُورَه، ومقاصدنا على مصالح المسلمين مقصُورَه، وآراءنا تفوُّض زعامة الجيوش إلى من تُصيح فرُق الأعداء بفرقه مغزوة وممالكهم بمهابته محصُورَه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال تنشر دعوتها في الآفاق، وتُرهب لإقامتها في ممالكنا سيفا يصل ما أمر الله بقطعه ويقطع إلا الأرزاق، وتُرهب من الحد فيها بكل ولي لرعيه في القلوب ركض ولرايته في الجوانح خفق ولائسته في الصدور إشراق؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من فوض حُكما في أيامه إلى من اعتمد عليه، وأرأف من استخلف على من بعد عنه من أمته من يعلم أن صلاحهم في يديه، والطف من عَدق شينا من أمور أهل ملته بمن أعانته الله وسدده في دفع عدوهم وصلاح ما يرفع من أحوالهم إليه؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ولوا على الأمة فعدلوا، وأمروا بما جبله الله عليه من الرأفة والنعمة والرحمة فامتثلوا، وعلموا أن الحق فيما نهج لهم من طرق طريقته المثلى فما مالوا عن ذلك ولا عدلوا؛ صلاة لا تغرب شمسها، ولا يعزب أنسها، ولا تُعتبر أوقات إقامتها إلا ويقصر عن يومها في الكثرة أمسها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى ما عملنا إليه ركائب الآراء المؤيدة، وصرقنا إليه أزمة نجائب الأفكار المسدده؛ وأجلنا فيه طرف النظر الذي لا يسبق في بلوغ الغاية غباره ولا يدرك، وأحلنا الأمر فيه على التأييد الذي هو عمدتنا فيما يؤخذ من نواقب الآراء وما يترك؛ وقدمنا فيه مهم الاستخارة الذي يتلوه التوفيق، وعلمنا أن الذ أسباب الاهتداء إليه سلوك طريق النصيح لله ورسوله وللإسلام فسلكتنا إليه من ذلك

(١) في الأصل «فرض عامة» وهو تصحيف .

الطريق ، وقصرنا النية فيه على مصالح الأمة التي هي فرض العين بل عين الفرض ، وأطلقنا الارتياح فيه لتعين من نرجو له ممن عناهم الله بقوله : ﴿ الَّذِينَ إِنْ مَكَانَهُمْ فِي الْأَرْضِ ﴾ . ونذبنا له سيفاً لم يزل في صدور الأعداء صدره وفي يد جبار السموات قائمه ، وأردنا لتقدمة الجيوش فيه زعيماً طالماً مل ضوء الصبح مما يغيره ومل سواد الليل مما يزاحمه ، وقدمنا له من نسا في حجر ولائنا ، وغددي بلان برنا وآلائنا ، وشهد الوقائع بين يدينا ، وخبّرنا من سيرته الثموض في الرعايا بما كتب الله لهم من الرأفة والرحمة علينا - أمر نيابة ساطنتنا الشريفة بالمالك الشامية التي نابت فيها مهايتنا ، عن الإقامة فيها ، وجعلتها عنايتنا ، من أشرف ممالكنا التي تحضها على البعد بدوام الملاحظة ونصفيها ، وهي واسطة عقد ممالكنا ، ومخط رحال طرقتنا إلى جهاد الأعداء ومسالكنا ، وهالة أهلة سري القصد إلى لحظها في أديم الأرض مواقع سنائكنا ، ومواطن القربات التي نصت الآثار الصحيحة عليها ، ومظان العبادات التي طالما نصت ركائب العباد إليها ، ومقام الأبدال الذين هم أهل دار المقامه ، ومستقر طائفة الدين الذين لا يزالون ظاهرين على أعدائهم لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة ، وفلك الثغور الذي تُسرق منه كواكب سعودها ، وتتصرف من نونه إلى من جاورها من العدا خاطفات بروقها وقاصفات رعودها ، فكم ذى جنود أمها فهلك وما ملك ، وسلك إليها بجيوشه فزلت وترزلت قدمه حيث سلك ، وبخيشها البأس الذي وجود الأعداء به عدم ، والحذ الذي يعرفه أهل السياق و[ان] أنكرته أعناقهم « فما بالعهد من قدم » .

وأن نفوض [أمرها] إلى من ينشر بها على الأمة لواء عدلنا ، ويسطك فيها بالرأفة والرحمة رداء فضلنا ، ويحيي بها سنن الإحسان التي مبدأ أيامها غايه من سلف من قبلنا ،

ويقيم منار الملك من بأسه على أرفع عماد ، ويقيم الرعايا من عدله في أوطأ مهاد ؛
ويكف أكف الظلم إلى ما يتجاسر إلى إعادة يده إليها عاد ومن عاد ، ويجرد إلى
العدا من خياله وخيله سرايا تطرد عن موارد جفونهم بقوائمها الرقاد ؛ وتستعيد
عوارى أرواحهم من مستودعات أجسادهم فهي بحكم العارية غير مستقرة
في الأجساد ، ويصون الرتب عن تطرق من يفسد أحوالها لعدم أهليته : فإنه ماسك
أحد في أيامنا طرقت السداد فساد ؛ ويعلم به أنا جردنا على العدا سيفاً يسبق إليهم
العدل ، ويزاحم على قبض نفوسهم الأجل ، وتتحلى بتقليده الدول ، ويتحقق بفتكه
أنه لا حاكم بيننا وبينهم إلا السيف الذي إن جار فيهم فقد عدل .

ولذلك لما كان المجلس العالى الفلافى : هو الذى اخترناه لذلك على علم ، وقلدناه
أمور الممالك : لما فيه من حدة بأس وآية حلم ؛ وتجمنا عوده فكان لينا على الأولياء
فظا على العدا ، وبلونا أوصافه فعلمنا منه السداد الذى لا يضع به الندى في موضع
السيف ولا السيف في موضع الندى ، وعرضنا سداده على حسن اعتبارنا للاكفاء
فكان سميرنا (ومحل ، فزين معروضا وراع مسددا) ؛ وهزناه فكان سيفاً ينصل
حده الخطب إذ أعضل ، وأعطيناه أمر الجيوش فلم يختلف أحد في أنه أفضل
من الأفضل .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لزال بصطفي من الأولياء كل كُفء كريم -
أن توضع إليه نيابة السلطنة الشريفة بالممالك الشامية : تفويضا يعلى قدره ، ويسط
في مصالح الملك والممالك أمره ؛ ويطلق في مصالح الدولة القاهرة سيفه وكلمه ،
ويدر على الأولياء إحساننا الذى إذا جرى الغيث أنجبل دوائه ديمه ؛ ويرفع بالعدل

مَنَارَ دَوَامِ مُلْكِنَا الَّذِي قَرَنَهُ اللهُ لِلأُمَّةِ بِجُودِنَا، وَيُضَيِّفُ بِاسْتِرْفَاعِ الأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا مِنْ كُلِّ لِسَانٍ جُنُودَ اللَّيْلِ إِلَى جُنُودِنَا، وَيَنْظُرُ فِي أُمُورِ المَمَالِكِ الشَّامِيَةِ نَظْرًا عَاقِمًا، وَيُعْمَلُ فِي سِدَادِ ثَعُورِهَا وَسِدَادِ أُمُورِهَا رَأْيًا ثَاقِبًا وَفِكْرًا ثَاقِمًا، وَيَأْمُرُ الثُّوَابَ مِنْ سِدِّ خَلِّهَا بِمَا كَفَّايَتُهُ أُذْرِي بِهِ مِنْهُمْ، وَيَنْبَهُهُمْ مِنْ مَصَالِحِهَا عَلَى مَا ظَهَرَ لِفِكْرِهِ المُصِيبِ وَخَفِيَ عَنْهُمْ؛ وَيُلَاحِظُ أُمُورًا مَا بَعُدَ مِنَ البِلَادِ كَمَا لَحِظَتِ أُمُورًا مَا دَنَا، وَيَنْظُرُ فِي تَفَاصِيلِ أُمُورِهَا: فَإِنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى السِّدَادِ فَلَيْسَ بِهَا عَنْ حُسْنِ نَظَرِهِ غَفِي؛ وَيَسْلُكُ بِالرَّعَايَا سُنَنَ إِنْصَافِهِ اتِي وَكَلَّتْهُ مَعْرِفَتُنَا بِهِ إِلَيْهَا، وَيُجَرِّمُهُمْ عَلَى عَوَائِدِ الإِحْسَانِ الَّتِي كَانَتْ مِنْ خُلُقِهِ سَجِيَّةً وَزِدْنَاهُ تَحْرِيضًا عَلَيْهَا .

وهو يعلم أن الله تعالى قد أقامنا من الجهاد في أعدائه بسنته وفرضه ، ومكن لنا في الأرض : لإقامة دعوته وإعلاء كلمته وتطهير أرضه ؛ وعَضَدْنَا بِتَأْيِيدِهِ لِنُصْرَةِ الإِسْلَامِ ، وَأَمَدَّنَا مِنْ عُدَدِ نَصْرِهِ بِكُلِّ سَيْفٍ تَرَوَّعَ الأَعْدَاءُ بِهِ اليَقَظَةَ وَتَسْلُهُ عَلَيْهِمُ الأَحْلَامُ ، وَبَتَّ سَرَايَا جِيُوشِنَا بَرًّا وَبَحْرًا : فَهِيَ إِمَّا سَوَارِي فِي البَرِّ تَمْتَرُ السَّحَابِ أَوْ جَوَارِي مُنْشَأَتُ فِي البَحْرِ كالأَعْلَامِ ؛ وَيَتَعَاهَدُ أَحْوَالِ الجِيُوشِ الشَّامِيَةِ كُلَّ يَوْمٍ بِنَفْسِهِ ، وَيُعِدُّهُمْ فِي غَدِهِ بِاعَادَةِ مَا أَعْتَبَرَهُ مِنْ عَرَضِهِمْ فِي أَمْسِهِ ؛ وَيُرْتَبُ أَمْرُ كُلِّ إِقْلِيمٍ وَحَالِهِ ، وَيَتَفَقَّدُ مَنْ يَبَاشِرُ بِالتَّقْدِمَةِ تَقْدِمَهُ إِلَى الأَطْرَافِ وَأَرْتِحَالِهِ ؛ وَيَأْمُرُهُمْ كُلَّ يَوْمٍ بِالتَّأَهُبِ لِلعُرْضِ الَّذِي يَبَاشِرُهُ غَدًا بَيْنَ يَدَيْنَا ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ؛ كتب به للأمر « جمال الدين أقوش الأشرقي » في جمادى الأولى ، سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى ، وهي :

الحمد لله الذى جعل الدين فى أيماننا الزاهرة زاهياً بجماله ، سامياً بتقديم من
إذا أرهف فى الذب عنه بسيف عزيمه غدت الجنة تحت ظلاله ، حالياً بتفويض
زعامة جيوشه إلى من لو فآخر به البدور تعجبت من نقصانها وكاله ، عالياً بإيالة
من تتولد معانى النصر والظفر بين الكاملين : من روية رأيه وأرتجاله ، راقياً على هام
الكفر بعزائم من لا يزال تُصبح مهايته العدا بطلائع خيله وتببتهم بطوارق خياله ،
نامياً بإسناد الحكم فيه إلى من يقطع إنصافه بين المبطل ورجائه ويصل العدل [منه]
بين المحق وبين آماله .

نحمده على نعيمه التى أنامت الرأيا من معدلتنا فى أوطيا مهاد ، وأدامت الدعاء
الصالح لأيماننا بإعلاء كلمتى العدل والجهاد ، وأقامت الإيالة فى أسنى ممالكا بمن هو
أجرى من الغيوث ، وأجرأ من اللبوث ، فى مصالح البلاد والعباد .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال الألسن لإقامتها مديمه ،
والضائر على إدامتها مقيمه ، والقلوب تعقد من كلمة إخلاصها وإخلاص كلمتها فى جيد
الإيمان تميمه ، والتوحيد يظهر أنوارها فى الوجوه الوسيمه ، بأمير مطالع
القلوب السليمه .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى جبّه على خلق عظيم ، وجعله وإن تأخر عصره
من مقام النبوة فى أعلى رتب التقديم ، ومن على الأمة بإرساله إليهم من أنفسهم
وأنه بالمؤمنين رؤوف رحيم ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين دُعوا إلى طاعته
وأجابوا ، وحكموا بسنته وأصابوا ، وجاهدوا المعرضين عن ملته حتى رجعوا إلى الهدى
وأناخوا ؛ صلاة لا تغيب أنوارها ، ولا يفارق وجوه أهلها وقلوبهم رؤاؤها
وإرواؤها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإنه - لما أجزانا الله عليه من عوائد نصره، وأغرانا به من حصد الشرك وحصره، ومنحنًا من بسطة ملك زينت بها أسارى البسيطة وأمرتها، ووهبنا من فوائح فتوح علت على وجوه الكفر مساءتها وبدت على وجوه الإسلام مسرتها - لم تزل تُؤدّي شكر نعم الله بالإحسان إلى عباده، وتستريد منها بتفويض أمورهم إلى من يقوم في الذب عنهم مقام الجيش على أفراده؛ فلا تقدم على الرافة بخالق الله أمرًا، ولا تُحايي في بسط المعدلة عليهم زيدًا ولا عمرا؛ ولا تعيدل بهم عن إذا ركب في موكب نيابتنا زانه وجمله، وإذا جلس على بساط عدلنا زاده وجمله؛ وإذا رسم بامرنا أصغت السيوف إلى مرآسمه، وإذا نظر بعين عنايتنا نغرا أهدى الشبب إلى مباسمه؛ وإذا رام في مصالح الإسلام أمرًا قرب على رأيه بعيده، وإذا رمى في حماية الممالك عدوا سبق إلى مقاتله قبل السيوف وعيده؛ وإذا جرد جيشا إلى أعداء الإسلام جرت قبل اللقاء ذبول هزائمها، ورأت الفرار أمتع لها من صوارمها، وتثلت مافي كآئنها من سهام ضعفت عن الطيران قوى قوادمها .

ولما كان الجنب العالى الفلانى هو معنى هذه الفرائد، وسر هذه الأوصاف التي للثرك منها مصائب هي عند الإسلام فوائد، وفارس هذه الحلبة، التي أحرز [قصب] سبقها، وكف هذه الرتبة، التي أخذها دون الأكفاء بحققها؛ لاناخذة في الحق لومة لائم، ولا بأخذ أمر الجهاد إلا بجده «وما ليل المحد بنائم» يسرى إلى قلوب الأعداء رعبه وهو في مكانه، وتؤدى مهابتة في نكاية الكفر فرض الجهاد قبل إمكانه، ويتفق العدل في الرعايا بالإحسان إليهم، ويجمع بين إرهاب المعتدين وشدة الوطأة عليهم؛ ويقف في أحكامه مع الشريعة التي أعلى الله تعالى منارها، ويستضىء بأحكامها التي هي لا بصار النظار يُعيرانوارها .

وكانت المملكة الشامية المحروسة من الممالك الإسلامية بمنزلة القوة في ايمن ،
 والواسطة في العقد الثمين ؛ والإدرالك في الصدور ، والإشراق في البُدور ؛ وبها الأرض
 المقدسة ، والحُصُونُ التي هي على نكاية الأعداء مؤسسه ؛ ولها الجيوش التي أَلَقَتْ
 في الجهاد السرى ، وأَنْغَتِ لِسِيوفِهَا في الجُفُونِ الكرى ؛ ومَرَّتْ على مَقَاتِلِ العِدَا
 أسْتَهَا ، وصَرَفَتْ في مَسَالِكِ الحَرْبِ أَعْنَهَا ؛ وراعتْ مُلُوكَ أَهْلِ الكُفْرِ سُمْعَةَ
 أمرائها ، وحاطتْها أمدادُ النَّصْرِ في حروبها من بين يديها ومن ورائها ؛ وفيها من الأئمة
 العلماء الأعيان من يعدلُ دَمَ الشهداءِ مِدَادُ أَقْلَامِهِمْ ، ومن الأتقياء الصلحاء من
 لا تطيش دون مقاتل أهل الكفر مواقع سبهمهم - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نتمتع
 هذه الرتبة السنية بجمالها ، وأن نبلغ هذه الدرجة السرية بمن حوى هذه الأوصاف
 الفاحرة غاية آمالها ؛ ليصبح بها لواء عدلنا ، مرفوع الذوائب ، ومنهل فضلنا ، مدفوع
 الشوائب ؛ وكلمة جهادنا ، نافذة في المشارق والمغرب ، وقبضة بأسنا ، آخذة من أعداء
 الدين بالذرا والغوارب ، وطليلة كئابنا مؤتممة بمن تُوقِنُ الطيرُ أن فريقيه إذا ما ألتقى
 الجمعان أولُ غالب .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت صوارمه للشرك قامعه ، ومراسمه لمصالح
 الدين والدنيا جامعته - أن تفوض إليه تفويضا يرفع علمه ، ويمضي في مصالح
 الإسلام سيفه وقلمه ؛ وينشر في آفاق الممالك الشامية عدله ، ويسط على رعايا
 تلك الأقاليم المحروسة فضله وظله ؛ فيطلع في أفق المواكب هالة أهلها ، وطراز
 حلتها ؛ وطلعة لوائها ، وواسطة عقود مقدمها وآرائها ؛ وزينة تسيرها ووقوفها ،
 وحلية طلائعها وصُفوفها ؛ ويجلس في مواطن الجلوس صادعا بالحق في حكمه ،
 أمرا بإدامة التأييد للعدو في أيام سأمه ؛ مُعْطِيا مَنْصَبَ النيابة الشريفة حقه من
 الجلاله ، موفيا رتبته المنيفة بما يجب لها من أبهة المهابة وكفاءة الكفالة ؛ ولا يزال

لمصالح الجيوش المنصورة مُلاحَظًا، وعلى إزاحة أعضائهم مُحافِظًا؛ وإلى حركات عُدُو
الإسلام وسكَّاتِهِ مُتَطَلِّعًا، وإلى ما يتعين من إبطال مكائده متسرِّعًا؛ ولِإِوَاطِنِ أحوالهم
بِحسَنِ الأَطْلَاعِ مُحَقِّقًا، ولِجَمْعِهِمْ بَيْنَ الأَجْتِمَاعِ لِلقائِمِ مُفَرِّقًا؛ فلا يُضْمِرُونَ مَكِيدَةَ
إِلَّا وَعَاطَمُهَا عِنْدَهُ قَبْلَ ظُهُورِهَا لِدَيْهِمْ، ولا يُسِرُّونَ غَايَةَ إِلا وَرَأَيْتَا حَيْثُ المُنْغِيرَةِ
أَسْبَقُ مِنْهَا إِلَيْهِمْ .

وَلِيَكُنْ لِمَنَارِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ مُعْلِيًا، ولِأَقْدَارِ أَرْبَابِهِ مُعْلِيًا؛ وَلِرُتَبِ العُلَمَاءِ رَافِعًا،
ولِأَقْوَالِهِمْ فِي الأَحْكَامِ الشَّرْعِيَّةِ سَامِعًا؛ وَلِدَوَى البُيُوتِ القَدِيمَةِ مُكْرِمًا، ولِأَهْلِ الوَرَعِ
وَالصَّلَاحِ مُعْظَمًا؛ وَعَلَى يَدِ الظَّالِمِ ضَارِبًا، وَفِي آقْتِنَاءِ الأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِدَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ
رَاجِيًا؛ وَبِجَمِيلِ النُّظَرِ فِي عِمَارَةِ البِلَادِ مُدِيمًا، وَبِحُسْنِ الفِكْرِ فِي أُمُورِ الأَمْوَالِ مُعْمِلًا
رَأْيًا بِمَصَالِحِهَا عَلِيًّا؛ وَبِجَمَلِاتِ البِرِّ بِجَمَلِ العُنَايَةِ وَالإِعَانَةِ عَامِرًا، وَعَنْ كُلِّ مَا لا يَجِبُ
أَعْتَادُهُ نَاهِيًا وَبِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ فِعْلُهُ أَمْرًا . وَفِي كَمَالِ خِلَالِهِ، وَأَدْوَاتِ جَمَالِهِ، مَا يُغْنِي عَنْ
الْوَصَايَا إِلا عَلَى سَبِيلِ الذِّكْرِ الَّتِي تَنْفَعُ المُؤْمِنِينَ، وَتَرْفَعُ المُنْتَقِينَ؛ وَمِلاَئِكُهَا تَقْوَى
اللهِ تَعَالَى وَهِيَ مِنْ خِصَائِصِ نَفْسِهِ الكَرِيمَةِ، وَعَوَائِدِ سِيرَتِهِ الحَدِيثَةِ والقَدِيمَةِ؛ وَاللهُ
تَعَالَى يُسَدِّدُهُ فِي القَوْلِ وَالعَمَلِ، وَيُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ؛ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام ، كتب بها للأمر « سيف الدين تنكر
الناصرى » في ربيع الأول سنة أثنى عشر و سبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله مفوض أسنى الممالك في أيامنا الزاهرة إلى من تزهو بتقليده ، ومسيّد
قواعد أسمى الأقاليم في دولتنا القاهرة بمن يعلو بإيائه ما يلقى إليه معاقده مقاليدته ؛

وَمُسَدِّدِ الآرَاءِ فِي تَصْرِيفِ أَعْيُنِ جِيوشِنَا الْمَنْصُورَةِ بِتَقْدِيمِ مَنْ تَعَدُّو سَيُوفَهُ مِنْ
عُنُقِ كُلِّ مُتَوَجِّحٍ مِنَ الْعِدَا قِلَادَةَ جَيْدِهِ ، وَنَاشِرِ لَوَائِ الْعَدْلِ فِي رِعَايَانَا وَإِنْ بَعُدُوا
بِمَنْ تُنِيمُ كَلًّا مِنْهُمْ فِي مَهْدِ الْأَمْنِ وَالِدَعَةِ يَدِ مَهَابَتِهِ وَتَمْهِيدِهِ ، وَمُعَلِّي مَنَارِ الْجِهَادِ
فِي سَبِيلِهِ بِمَنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ فِي وَعْيِ تَهَلَّلَتْ نَوَاجِدُ أَفْوَاهِ الْمَنَابِي الضَّوَّاحِكِ بَيْنَ تَجْرِيهِهِ
وَتَجْرِيدِهِ .

نحمده على نعيمه التي أبدت آراءنا بوضع كل شيء في مستحقه ، وقادت سيف
النصر من أوليائنا من يأخذه في مصالح الإسلام بحقه ، وجددت آلاءنا لمن إذا جارت
الختوف سيوفه إلى مقاتل العدا فاتها وفاقها بمزيتي كفايته وسيفه .

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال ألسنتنا ترفع منارها ،
وسيوفنا تصلي من بحمدها قبل نارها ، وآراؤنا تفوض مصالح جملتها إلى من إذا رجته
لنصرة أئمتها وإذا أسدى معدلة أثارها .

ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بنصره ، وجعله سابق من تقدم
من الرسل على عصره ، وآتاه من الفضائل ما يضيق النطق عن إحصائه ومن
المعجزات ما يحول الحصر دون حصره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا
بهُداه ، وهجروا في طاعته من عاداه ، ونهضوا في رضا الله تعالى ورضاه إلى مظان
الجهاد وإن بعد مداه ، صلاة يشفعها التسليم ، ونبغى إقامتها عند الله والله عنده
أجر عظيم ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى ما أتممنا في مصالحه الفكر ، وتدبرنا أحواله بكل رأي يسدده
الحزم المروى ويؤيده الإلهام المبشرك ، وقدّمنا فيه الاستخارة على ما جزم اليقين بأن
الخير للإسلام والمسلمين في آعماده ، وتمسكنا فيه بحبل التوفيق الذي مازال نتكفل

لنا في كُلِّ أمرٍ بِسَدَادِهِ وفي كُلِّ نَعْرِ بِسِدَادِهِ - أمرُ الممالك الشامية التي هي وَاسِطَةٌ
عِندَ الممالك، ومُجْتَمَعٌ ما يُفِضِي إلى مواطن النَّصْر من المسالك؛ ومَرَكزُ فَلَكَ الأقاليم
الذي تَنْظِمُ عليه بَرُوجُ نُغُورِها، ونُقْطَةُ دائِرَةِ الحُصُونِ التي منها مادَّتُها وعلِيها مَدَارُ
أُمُورِها؛ وَغِيْلُ لُيُوثِ الحربِ التي كمِ أَنْشَبَتْ أَظْفارَ أُسْتَبَّها في طُرَّةِ ظَفَرِ، ومَواطِنُ
فُرْسَانِ الوَعَى التي كمِ أَسْفَرَ عن إِطْلاقِ أَعْتَبَها إلى غَايَاتِ النَّصْرِ وَجْهَ سَفَرٍ؛ وَأَنْ
تَرْتَادَ لِكِفَالَةِ أُمُورِها، وَكِفَايَةِ جُمُهورِها، وَحِمايَةِ مَعاقِلِها المِصُونَةِ وَنُغُورِها؛ وَزَعَامَةَ
جَبُوشِها، وإِرْغامِ طَارِقِي أَطرافِها من أَعْداءِ الدينِ وَثَلَّ عُرُوشِها، مَنْ جَرَدَهُ الدِّينُ
فَكَانَ سَيْفًا على أَعْدائِهِ، وَأَنْتَقاهُ حُسْنُ نَظَرِنا لِلْمُسلمينِ فَكانَ التَّوْفِيقُ الإِلهِيُّ مُتَوَلَّى
جَميلِ أَنْتقادِهِ وَأَنْتِقائِهِ؛ وَعَجْمَتَا عُودِ أوصافِهِ فَوَجَدناهُ قَويًّا في دِينِهِ، مُمْتَكِنًا في طاعَتِهِ
بِإِخْلاصِ تَقْواهِ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ؛ مُتَبَقِّظًا لِمِصْالِحِ الإِسْلامِ وَالْمُسلمينِ في حَالَتِي حَرَكَتِهِ
وَسُكُونِهِ، آخِذًا عِنانَ الحَزْمِ بِسُرِّئِسرِهِ وَسِتانَ العَزْمِ بِيَمينِ يَمِينِهِ؛ وَأَقْفًا مَعَ الحَقِّ
لِذاتِهِ، مَقْدَمًا مَسْأَلَةَ الجِهادِ على سائرِ مآرِبِهِ وَلِذاتِهِ؛ مَاضِيًا كَسَيْفِهِ إِلا أَنَّهُ [لا] يَأْلَفُ
كَالسيفِ الجُفُونِ، رَاضِيًا في رَاحَةِ الأَحْرَةِ بِمِتابِعِ الدُّنيا وَمِصاعِبِها فلا يَمُرُّ في مَواطِنِ
الجِهادِ إِذا حَلَّها أَثْكَافُ الهُويِّنا ولا رَوْضِ الهُدُونِ؛ ما نَعَمًا حَمَى الإِسْلامَ لا "حَمَى الوَقْبِي"
يَضْرِبُ" يُفَرِّقُ بَيْنَ أسبابِ الحِياةِ و"يُؤَلِّفُ بَيْنَ أَشْئَاتِ المِثُونِ".

ولما كان فلان هو الذي تسوّفت هذه الرتبة إلى أن تتجمل به مواكبها، وتتكل به
مراتبها، وتتنظم على دسته هالة أمرائها كما تنتظم على هالة بدر السماء كواكبها؛ فإذا
طلع في أفق موكب أعشت الأعداء جلالته، وأعدت الأولياء بسالته؛ وسرى إلى
قلوب أهل الكفر رعبه، وفعل فيهم سامه ما يفعل من غيره حربته؛ وإذا جلس
على بساط عدل تحرس الباطل، وأنجز ما في ذمته الماطل؛ وتكلم الحق بميل فيه،
وتبرا الباطل حتى ممن يسره ويخفيه؛ وإن نظر في مصالح البلاد أعان الغيث على

رَبِّهَا بِرَفِيقِهِ ، وَأَعَادَ رَوْنَقَ عِمَارَتِهَا بِكَفِّ أَكُفِّ الظلم ووصول كُلِّ ذِي حَقٍّ إِلَى حَقِّهِ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشريفة أنْ تُجْعَلَ فُنُونُ أَفْنَانِهِ بِمُؤَمِّنِينَ لِإِيَالَتِهِ دَانِيَةَ القُطُوفِ ، وَأَنْ نُصَيِّرَ جَنَّتَهَا تَحْتَ ظِلَالِ سَيْفِهِ : فَإِنْ «الجنة تَحْتَ ظِلَالِ السُّيُوفِ» .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشريفة - لِأَزَالِ زَمَنُ عَصْرِهِ ، مُؤَرِّخًا بِالْفُتُوحِ ، وَسَيْفُ نَصْرِهِ ، عَلَى مَنْ كَفَرَ دَعْوَةَ نُوحٍ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ نِيَابَةَ السُلْطَنَةِ الشريفة بِالشامِ المَحْرُوسِ : تَفْوِيضًا يُحْسِنُ بِهِ الْمَنَابَ فِي تِلْكَ الْمَمَالِكِ عَنَّا ، وَيَنْشُرُ فِيهَا مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ مَا يُلْقَاهُ مِنَّا ؛ وَيُلَيْسُهَا مِنْ حُلَلِ الْمَهَابَةِ مَا يُضَاعَفُ بِهِ أَمْنُ سِرِّيَّهَا ، وَتُصْبِحُ بِهِ السُّيُوفُ الْمَجْرَدَةُ أَحْفَظَ لَهَا مِنْ قُرْبِيَّهَا ؛ وَيَطْلَعُ فِي أَفْقِ مَوَاجِبِهَا الْجَلِيلَةَ طُلُوعَ الشَّمْسِ الَّتِي يَمُومُ نَعْمُهَا ، وَيُعْشَى النَّوَاطِرَ لِمَعْمُهَا ؛ وَيَجْلِسُ فِي دَسْتِ نِيَابَتِنَا حَاكِمًا فِيهَا بِأَمْرِنَا ، جَازِمًا بِحُكْمِ الشَّرْعِ الشريفة الَّذِي قَدْ عَلِمَ أَنَّهُ حَلِيَّةُ سِرِّنَا وَجَهْرِنَا ؛ نَاشِرًا مِنَ مَهَابَةِ الْمُلْكِ مَا تَرْتَجِفُ لَهُ الْقُلُوبُ مِنَ الْعِدَا ، وَتُصَبِّحُهُمْ بِهِ سَرِيًّا رُغْبِيَّهِ عَلَى بَعْدِ الْمَدَى ؛ مُلْزِمًا مَنْ قَبِلَهُ مِنَ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِمُضَاعَفَةِ إِعْدَادِ الْقُوَّةِ ، وَإِدَامَةِ التَّأْهِبِ الَّذِي لَا تَبْرَحُ بِسَمْعَتِهِ بِلَادُ أَهْلِ الْكُفْرِ مَغْرُورَةٌ ؛ مُطْلِعًا عَلَى أَحْوَالِ الْعِدَا بِلُطْفِ مَقَاصِدِهِ ، وَنِكَايَةِ مَكَايِدِهِ ، وَحُسْنِ مَصَادِرِهِ فِي التَّدْيِيرِ وَمَوَارِدِهِ ؛ فَلَا يُبْرَمُونَ أَمْرًا إِلَّا وَقَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى نَقْضِ مَبْرَمِهِ ، وَلَا يَقْدَمُونَ رِجْلًا إِلَّا وَقَدْ أَنْحَرَهَا بَوْتَبَاتِ إِقْدَامِهِ وَثَبَاتِ قَدَمِهِ . وَلِيُعْظَمَ مَنَارَ الشَّرْعِ الشريفة بِتَكْرِيمِ حُكْمِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ أَحْكَامِهِ ؛ وَيَرْفَعَ أَقْدَارَ حَمَلَةِ الْعِلْمِ بِتَرْفِيهِ أَسْرَارِهِمْ ، وَتَسْهِيلِ مَآرِجِهِمْ وَأَوْطَارِهِمْ ؛ وَلِيَعْمَّ الرِّعَايَا بَعْدَلِهِ وَإِنْصَافِهِ ، وَيَسْتَرْفِعَ لَنَا أَدْعِيَةَ الْأَوْلِيَاءِ وَالصَّالِحَاءِ بِإِسْعَادِهِ وَإِسْعَافِهِ . وَفِي خِصَائِصِ أَوْصَافِهِ الْكَرِيمَةِ ، وَتَجَايَاهُ الَّتِي هِيَ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مُسْتَدِيمَةٍ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ تَسَدُّدِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُؤَيِّدُهُ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام، كتب به للأُمير «يلبغا الكاملى» بعد نيابته بحلب وحمّاء، من إنشاء المقرّ الشهابى بن فضل الله، وهى :

الحمد لله مجرى الأقدار، برفعة الأقدار، ومُمرى آمالٍ من حَسَنَت له فى خدمتنا
الآثار، بمواهب العطايا والإيثار، ومُمرى غُرُوسِ نِعَمِ أولياتنا التى رَعَى عَهْدَهَا عَهَادُ
مُحِبِّ جُودِنَا الغِزار؛ جَاعِلِ أَصْفِيَاءِ مَمْلَكَتِنَا الشَّرِيفَةِ كُلِّ حِينٍ فى أَزْدِيَاد، ومَانِحِ
المُخْلِصِينَ فى خَدَمَتِنَا مَزِيدَ الإِسْعَافِ والإِسْعَادِ، وفَاتِحِ أَبْوَابِ التَّأْيِيدِ بِسُيُوفِ أَنْصَارِنَا
التي لا تَهْجَعُ فى الأَعْمَادِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَوَاهِبِ نَصْرِهِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِدْرَاكِ المَآزِبِ مِنْ جُودِهِ الَّذِي يَعْجِزُ
لِسَانُ القَلَمِ عَنْ حَصْرِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لا إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ تُؤَيِّدُ
قَائِلَهَا فى مَوَاقِفِهِ ، وَتَجْمَعُ لَهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا بَيْنَ تَالِدِهِ وَطَارِفِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدَ عَبْدِهِ
وَرَسُولِهِ الَّذِي هَدَى اللهُ بِهِ هَذِهِ الأُمَّةَ مِنَ الضَّلَالِ ، وَفَضَّلَ بِهِ المُجَاهِدِينَ حَيْثُ
جَعَلَ الجَنَّةَ تَحْتَ مَا لِسُيُوفِهِمْ مِنْ ظِلَالِ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً
لا أَنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهَا وَلا أَنْفِصَالَ ، وَلا أَنْقِضَاءَ لِأَسْبَابِهَا وَلا زَوَالَ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أما بعد، فإن أولى من أنتدب لحفظ ممالك الإسلام، وأئمن على صونها بعزمه
الذى لا يُسامى ولا يُسام؛ وأُسند إليه من أمور الرعايا بأجل الممالك ما يقضى بمزيد
التكريم، وأَعتمد على صيانتته وديانته لما شهد الاختبار بأنه أهل للتقديم؛ وجرى
الدول مُحالَصَتَه ، وَتُحَقِّقُ أَهْتَامُهُ الَّذِي بَلَّغَهُ مِنَ العِزِّ غَايَتَهُ ؛ وَأَثْنَتْ عَلَى حُسْنِ سِيرَتِهِ
وَسِرِّيَتِهِ سَوَابِقُ خِدْمِهِ ، وَشُكِرَ أَهْتَامُهُ فى المُخَالَصَةِ الَّتِي أَعْرَبَتْ عَنْ عِزْمِهِ ؛ فَفَاقَ
أَسْبَابَهَا وَأَنْظَارًا ، وَكَفَلَ المَمَالِكَ الشَّرِيفَةَ الحَلِيَّةَ والمُجَوِّبَةَ فأيدها أعوانا وأنصارا ؛

وبسط فيها من العدل والإنصاف ما أعلى له شأنًا ورفع له مقدارًا ، وسلك فيها
مسلكًا شرفَ أسماءا وشرفَ أوصافًا .

ولما كان المقرّ الكريم (إلى آخره) هو صاحب هذه المناقب ، وفارس هذه
المقائب ، ونير هذه الكواكب ، كم أبهج النفوس بمآله من عزيم مشكور ، وحزم
مأنور ، ووصف بالجميل موفور .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال لسيف أوليائه مرهفًا ، ولا برح لأخصائه
مُسعدًا ومُسعِفًا - أن تفوض إلى المشار إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس ،
على أجهل عوائد من تقدمه في ذلك وأكمل قواعده . فليتناول هذا التقليد الشريف
بيد لم يزل لها في الولاء الباع المديد الطويل ، ويتلق هذا الإحسان بالشكر الذي هو
بدوام النعمة خير كفيل ؛ ويضاعف ما هو عليه من اهتمام لم يزل منه مألوفًا ، واعتزام
إذا لاقى غيره مهمًا واحدًا لاقى هو أوفًا ؛ ويؤمن النظر في مصالح هذه المملكة
الشامية المحروسة ، ويعتمد من حسن تديره ما تغدو ربوعها بحسن ملاحظته
عامرة مانوسة . وهو يعلم أن العدل من شيم دولتنا الشريفة ، وسجية أيماننا التي هي على
هام الجوزاء منيفه ؛ فليسلك سننه ، ويتبع قرضه وسننه ؛ ويعلم أن عدل سنة خير
من عبادة ستين سنه ، ولينشر على الرعايا ملبسه الحسنه ؛ ويعظم الشرع الشريف
وحكامه ، ويعين الإقطاعات لمن يستحقها من الأيتام أو يوجب الاستحقاق
إكرامه ؛ والله تعالى يجعل السعد خلفه وأمامه ، ويؤيده تأييدًا يبلغه مراده من
النصر ومرامه ؛ إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة تقليد بكفالة السلطنة بالشام :

الحمد لله الذي طَهَّرَ الشَّامَ وَقَدَّسَهُ ، وَصَانَهُ وَحَرَسَهُ ، وَجَعَلَ لِسُلْطَانِنَا فِيهِ قَوَاعِدَ
بِالنَّصْرِ مُؤَسَّسَهُ ، وَأَنْوَارًا لِلهُدَى مَقْتَبَسَهُ ، وَكَفَّلَهُ بَيْنَ إِذَا صَفَّ لَهُ الْعَدُوُّ أَقْتَرَسَهُ ،
وَأَذَلَّهُ وَأَرْكَسَهُ ، وَأَرْغَمَ مَعْطَسَهُ ، وَقَطَفَ بِسَيْفِهِ أَرْؤُسَهُ ، وَمَنْ يُعْطَى النَّصْرَ إِذَا أَمْتَطَى
فَرَسَهُ ، وَمَنْ كَرَّمَ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَكَثَّرَ أَنْسَهُ ، وَعَطَّرَ نَفْسَهُ ، وَمَنْ يُنْصَفُ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ
وَيَبْلَغُ السَّائِلَ مُلْتَمَسَهُ ، وَمَنْ لَيْسَ تَوْبَ الْعَفَافِ وَالتَّقَى فَكَانَ خَيْرَ تَوْبٍ لَيْسَهُ .

نحمده على أَصْلِي جُودِ غَرَسَهُ ، وَعَارِضِ سَوِيءِ حَبَسَهُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَزَالَتِ الشَّرْكَ وَحَمَّتْ نَجَسَهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَنْبَعَ اللَّهُ مِنْ أَصَابِعِهِ عَيْنًا مُنْبَجِسَهُ ، وَأَخْضَرَ الْعُودَ الْيَابِسَ لَمَّا لَمَسَهُ ، وَأَضْعَفَ
الْوَسَاوِسَ الْمُخْتَلِسَهُ ، وَأَتْرَعَ الْحَقَّ مِنْ بَحْسِهِ ، وَحَمَاهُ اللَّهُ مِنَ الشَّيْطَانِ لَمَّا وُلِدَ
فَمَا نَحَسَهُ ، وَنَوَّرَ الْقَلْبَ الَّذِي خِيمَ عَلَيْهِ الضَّلَالُ وَطَمَسَهُ ، وَكَانَ الشَّرْكَ قَدْ أَنْبَثَ
فِي الْأَرْضِ فِطْوَاهُ دِينُهُ وَكَبَسَهُ ، وَحَمَاهُ وَدَرَسَهُ ، وَجَاءَ بِالْقُرْآنِ فَطَوَّبُوا لِمَنْ تَلَاهُ
وَدَرَسَهُ ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ : ﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ نِصْفَهُ ﴾ صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه ما أوجع الله الليل في النهار وعمسه ، وميز بنصف العدد من
الثلث سدسه ، وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن الشَّامَ هُوَ عِقْدُ النَّظَامِ ، وَأَجَلُ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَمَعْدِنُ النَّصْرِ
الَّذِي بَرُوقُهُ نُشَامٌ ، وَمُسْتَقَرُّ الْبَرَكَاتِ الْوَسَامِ ؛ وَعَسْكَرُهُ أَفْضَلُ عَسْكَرٍ فِي حَسَنِ
الْإِعْتِرَاءِ وَالْإِعْتِرَامِ ، لَا يَرْهَبُونَ الْحِمَامَ ، وَيَخُوضُونَ لِحَجِّ الْمُنُونِ بِالْحُسَامِ ؛ وَنِيَابَةُ
السلطنة الشريفة به من أَجَلِ النِّيَابَاتِ مِقْدَارًا ، وَأَكْرَمِيهَا آثَارًا ، وَأَعَزَّهَا أَنْصَارًا ؛

إذ هو تلقاء أوامرنا الشريفة المنطوية عليها أسرار البريد، ومن عنده تفتتح المهمات للقريب والبعيد، وعنه يصدر البريد، وإليه يرد بكل شئ جديد، ومنه يأتي إلى مسامعنا الشريفة بما نريد، فلا يحل دار سعادتها إلا من هو منصور سعيد، ودور أي سديد، وحزيم حديد، وقد اخترنا لها بحمد الله كفاها المعيد.

ولما كان فلان هو الضاري على العدا، وألغيت المتوالي الندى، والهام الذي جرد سيف عزمه أبدا فلا يرى مغمدا، وأتصف بحسن الصفات فما ساد سدى؛ قد تجملت الممالك بأرائه ورأياته، وثباته وثباته، وروض تديره وطيب نباته، وحسن اعتاده في خدمة ملكنا الشريف ومهماتنا؛ إن ذكرت الموالاة الصادقة كان راوي مستندا، وحاوي جيدها، والآوي إلى ظلها المديد وطيب موردها؛ وإن ذكرت الشجاعة كان زعيم كائنها، ومظهر عجائبها، وليث مضاربيها، ومجرد قواضيهها، وفارس جنائبيها، ومطلب أطلابها ومنجح مطالبها، ومجلى غياهيها - أقتضى حسن الرأي الشريف أن يعقد عليه لواء الاحتشام، في الشام؛ وأن يخص بالبركات، المخلص من الدركات.

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالشام المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، وأن يكون داخلا في نيابته الشريفة ما هو مضاف إلى الشام المحروس: من ممالك وقلاع، ومدن وضياع، وتغور ومواني، وسواحل في أقاص وأداني؛ تفويضا أسسقت درره، وأشرقت غرره، وتليت آياته وسوره.

فليمهد بالعدل أكتاف البلاد، ولينظر بعين الرعاية والسداد؛ ولينشر لواء الإنصاف، لتكون الأئمة تحت ظل الضافي وإليه الحق مضاف. وليندر الأرزاق

من الأخلاف ، وليأمر بإقامة الحدود على شارب السلاف ، وعلى السارقين بالقطع من خلاف ؛ وليستترهف عزائم العساكر المنصورة في القتال والجهاد ، وليأخذهم بحسن الاستعداد ، وليعرف للأمراء منازلهم : فإنهم أركان وأعضاء ، وأنصار وأنجاد ، وأولياء دولتنا الشريفة المآحون للفساد ، وممن تتجمل بهم الموارك وتتفطر بهم للعدا الأجاد ؛ والله الله في الشرح الشريف وإقامة مناره ، وتنفيذ كلمة أحكامه وإزالة أعداره ، والتقوى فهي أفضل شعاره ، وقرة أبصاره ، والوصايا فمنه يُشرف هلالها إلى أن يتم في إبداره ، ويتكل بانواره ، وهو غني عن إكثاره .
نخذ تقليدنا هذا باليمين ، وآلبس من هذا التفويض الملبس الأسنى الثمين ؛ وأخبار البريد المنصور فلا تقطعها عنا ، فمنه إلينا ترد أخبار البريد وإليه ترد المهمات منا ، والله تعالى يخوله كل يوم من إحساننا في الزيادة والحسنى ؛ والخط الشريف أعلاه .

الطبقة الثانية

(من يكتب له تقليد شريف في قطع النصف بـ «المجلس العالى»)

وهو الوزير من أرباب السيوف ، وهو بالملكة الشامية

على حد الوزير بالديار المصرية)

وهذه نسخة مرسوم من ذلك :

الحمد لله مُسَدِّدِ سَهَامِ الْاِخْتِيَارِ ، وَمُسَيِّرِ الْاَوْلِيَاءِ إِلَى مَنَازِلِ الْعُلِيَاءِ مَسِيرِ الْاَهْلَةِ إِلَى مَنَازِلِ الْاِبْدَارِ ، الَّذِي جَدَّدَ نِعْمًا ، وَعَدَّدَ كَرَمًا ، وَعَلِمَ مَوَاقِعَ الْاَضْطِرَارِ ، إِلَى مَوَاقِعِ الْاَوْزَارِ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا مَنْ تَسْتَهْلُ آرَاقَهُ دِيمَا .

نحمده حمدا كثيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له لم يتخذ صاحبا ولا وزيرا ؛ ونصلى على سيدنا محمد الذى عمّر الله به البلاد تميميرا ، وأحسن بالعدل

تقريرا ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين ظاهروه بالسيوف والأقلام كاتبا
وأмира ، صلاة لا ينقطع تواليها ، ولا تزال الآفاق تتأقلها وتستهديها .

وبعد ، فإن أولى من عظم شأنه ، وكرم مكانه ، وثبت إمكانه ، وأثبت في مناب
الرماح قلمه الذى هو ترجمانه ، وبسطت في تشيد الممالك يده وأطلق لسانه - من
كان علامة العلم ، وغدا بالنشاط في كبره قبي السن كهل الحلم ، الذى فاق جلالة
وتسبا ، وأستعلى همة وأدبا ، وعرف بالديانة التى طار صيتها فى الآفاق شرقا
ومغربا ، والهمة التى سواء عليها أحملت قلما أم أنتضت قضا .

ولما كنت أيها المجلس الفلانى - أدام الله تأييدك ، وتسديدك وتمهيدك ،
وكبت حسودك ، وضاعف ضعودك - أنت المعنى بهذه المآثر ، المنضدة عليك
هذه الجواهر ، الدالة على مناقبك هذه المفآخر ، الذى وجدناك على الانتقاد تزيد
أستخلاصا ، وتعدو على السبب خلاصا .

فلذلك نخرج الأمر الشريف أن تؤزر ، ونحى موارد آرائك لتستغزر ، ويكون
لك الحكم فى المملكة الشامية عموما ، وتصرف فى معاملاتها مجهولا ومعلوما ، على
أكل قواعد الوزراء وأتمها ، وأجلها وأعمها ، متصرفا فى الكثير والقليل ، والحقير
والجليل ، تغزل وتولى من شئت ، وتكفى وتستكفى من ارتضيت . ونحن نوصيك
بالرفق الذى هو أخلق ، والعلل الذى تستدر به سحب الأموال وتستغدق ، والحق
فإن كل القضايا به تتعلق ، ويمن السياسة فإن الرئاسة بها تكمل وتعدق ، وإياك
والغرض الذى هو يهوى بصاحبه ، ويرديه فى عواقبه ، وأتى الله الذى لانتم
الصالحات إلا بتقواه ، وأحذر أن تكون مع من ضل سبيله وأتبع هواه ، والله تعالى
يُجج رجائك ويوضح منهجك ، ويعلى درجك ، ويلقنك إذا خاصمت وأختصمت
حججك ، إن شاء الله تعالى .

الطبقة الثالثة

(من يُكْتَبُ له مرسومٌ شريفٌ ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يُكْتَبُ له في قطع النصف وهو نائب قلعة دمشق)

إن كان مقدّم ألف كما كان أولاً ، كتب له بـ « المجلس العالی » . أو طبلخاناه
كما هو الآن ، كتب له بـ « السامی » بغير ياء . وبالجملة فإنه يكتب له مفتحا
بـ « الحمد لله » .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، من إنشاء المقر الشهابي
ابن فضل الله رحمه الله ، وهي :

الحمد لله مشرف القلاع ، ومصرف رجالها في الامتناع ، ومعرف من جادها
أن الشمس عالية الارتفاع .

نحمده حمداً يُسَنَّفُ الأسماع ، ويُشرف الإجماع ، وتُحَلَّقُ في صعوده الملائكة
أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة نرجوها لما بقي من قلاع الكفر الاقتلاع ، وأستعادة ما قرء معهم من قرى
وضاع من ضياع ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي حمى به ديرة الإسلام
من الارتضاع ، وصان به حوزة الحق أن تضاع ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة دائمة ما أسبل لليل ذيل وأمتد للشمس شعاع ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن المحضون حواضر كما للبلاد ، وحواضن تضم بقاياها ضم الأمهات
للأولاد ، ومعاقل يرجع إليها إذا نابت التوب الشداد ، ومعاقيد يعتصم من منعتها
بجبال ويتمسك بأطواد ؛ وقلعة دمشق المحروسة هي التي تفتخر بقايا القلاع بالانصال^(١)

(١) لعله القلاع .

بسببها ، والتمسك في الشدائد بذيل حسنها ، لا يهتدى في السلم والحرب إلا بمنارها ،
ولا يقتدى في التسليم والامتناع إلا بآثارها ، ولا يستقى إلا بما يفيض على السحب
من فيض أمطارها ؛ قد ترجلت لتبارز ، وتقدمت لتناهر ، ودلت بقواها فما
احتجبت من شجوف الجبل بحجاب ولا احتجزت من الغمام بحاجز ؛ بل ألقت إلى
قرار الماء حجلها ، وأثبتت في مستنقع الموت رجلها ؛ وكشفت للحرب العوان
قناعها ، وأشعلت أبنيتها من الذهب شعاعها ، وأشعلت أفتيتها البروق أن تطاول
باعها ، أو تحاول ارتفاعها ؛ قد جاورت قبها الزرقاء اختها السماء ، وجاوزت بروجها
منطقة البروج أعلا ؛ وهي معقل الإسلام يوم فرغهم ، وأمن قلوبهم أعادها
الله من جرهم ؛ وقد نزل العدو عليها ونازلها زمانا بجموعه وأعانه عليه قوم آخرون ،
وأقدموا وتقدموا وهم متأخرون ؛ وطاولوها فكانت حصرة عليهم ، ونكالا لما
خلفهم وما بين يديهم ؛ وثبت الله بها أقدام بقية القلاع ، وقوى بعزائمها إقدام من فيها
على الامتناع ؛ وقلعة الجبل المحروسة وإياها كالأختين ، وهي لها تانية أختين ؛
وكلتاهام للكرسى ملكا الشريف منزل سعيد ، ومتستره يود صفيح الأفلاك لو تراه
إليه من مكان بعيد .

فلما رسمنا بنقل من كان في النياحة الشريفة بها في منازلها من مكان إلى مكان ،
وقدمناه أمامها كما يهتر في قادمة الريح السنان ؛ وأتخذنا من بروق عزائمها لبعض
ثغورها الضاحكة سببا ، ومن هممه المتصلة المدد بها ما تمد منها إلى سمائها سببا -
أقتضى رأينا الشريف أن نؤول في أمرها المهيم ، وبرها الذي به مصالح كثير من
مالكا الشريفة تيم ؛ ومحل مشارفها بمن تضاحك البروق سيوفه في ليل كل تقع
مدلهم ، وتنجي حماها برجل تمنع مهايته حتى عن قتل الأسنه (؟) طارق الطيف
أن يلم ؛ وهو الذي لا ترزع له ذرا ، ولا يناخ لبادرة سيئه في ذرا ، ولا يقدر معه

الأسد أن يبيت حول غايه مُصِحراً، ولا الطير أن يُحلق إليه إلا ماصحاً بجناحه على الثرى، ولا أدبجت إليه زمر الكواكب إلا تقاعست فلا تستطيع السرى .

وكان فلانٌ هو حامى هذا الجمى، وما نبع ما يخلو في الثغور من موارِد اللى، وغبور الحى فلا تبرز له إلا من عقائل المعاقيل قاصرات الطرف كالدمى، وحافظ ما استودع من مَصُون، وأستجمع من حصون، وأستجهر من موارِد تردّها من زرد الدروع عيون، ويفرق منها المجانيق سخائب مُمطرة بالمنون، فصمم رأينا الشريف على اختياره ليوقل صهوة هذا الجواد، ويوقى ما يجب لهذه العقيلة من مرتقى لحظ ومرتمى فؤاد، ويبحث من الشغف بها عن أمل أمل أو مراد مراد، ويعجب من عقيلتها المصونة أن أبراجها تتبرج وما لنعمها إنعام ولا لسعادها إسمعاد .

فرسم بالأمر الشريف العالى المولوى، السلطانى، الملكى، الغلافى - أعلاه الله وشرفه، وأدام فى الأرض ومن عليها تصرفه - أن تفوض إليه النيابة بقلمة دمشق المحروسة : على عادة من تقدمه وقاعدته، ومقاربتة ومباعدته، وتغايه ومساعدته ؛ وكل ما جرت به العوائد فى رجائها ورجالها، وما لها وما لها ؛ وهذه نيابة شريفه، وسخابة مطيفه ؛ ونعمة تقابل برعايتها، وتكتم نوايحها بإذاعتها ؛ وتقوى الله حلية عنقها، وحلة أفقها، ومجرى الحجر إجلالا فى طرفها .

فعليك بحفظها ليلاً ونهاراً، وتفقد أحوال من فيها سراً وجهاراً ؛ وفتح بابها وغلقتها مع الشمس، وتصفح ما بها من لئس، وتتبع أسبابها كما فى النفس ؛ والتصدى لملازمة الخدمة الشريفة فى أبوابنا العالية بيابها، والأخذ فى أدوات حفظها بجماع أطرافها دون التمسك بأهدابها ؛ والتجسس على من يلغ فيها جفنه بكرى وما أنقله مناما،

والزَّامُ كُلُّ واحدٍ بما يلزمه من الوظائف في ليله ونهاره، وإدلاجه وابتكاره،
ومن عليه في هذا المعقل إشراف من شرفاته أو تسور على أسواره، وإظهار الرِّيح
والصَّيْتِ والسَّمْعَةِ بِالْاهْتِمَامِ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِزِقَافِ عَرُوسِهَا، وَضَرْبِ الْحَرَسِ لِنَوَاقِيسِهَا،
وَالْإِعْلَانِ لَصَبَاحِ الْخَيْرِ لَنَا فِي صُبْحَاتِهَا وَالِدَعَاءِ الصَّالِحِ فِي تَغْلِيصِهَا، وَصِيَانَةِ مَا فِيهَا مِنْ
حَوَاصِلٍ، أَوْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ وَاصِلٍ، وَمَا فِيهَا مِنْ ذَخَائِرٍ، وَمَا فِي خَزَائِنِهَا الْعَالِيَةِ مِنْ
مَدَدِ الْبَحْرِ الزَّائِحِ، وَمَا تَشْتَمَلُ عَلَيْهِ دَارُ الضَّرْبِ مِنْ أَمْوَالٍ تُضْرَبُ لِلْهَبَاتِ بِرَسْمِنَا،
وَأَمْوَالِ النَّاسِ [التي] حُمِلَتْ إِلَيْهَا لِنُشْرِفَ تَقْوِدُهَا بِاسْمِنَا، وَخَزَائِنِ السِّلَاحِ الْمَنْصُورَةِ
وَمَا يُسْتَكْتَرُ فِيهَا مِنْ عَدَدٍ، وَمَا يُسْتَغْزَرُ مِنْ مَدَدٍ، وَالْمَجَانِيقُ الَّتِي تَحْطَرُّ مِنْهَا كُلُّ
خَطَّارَةٍ كَالْفَنِيْقِ، وَتَضَعِدُ وَمَرْمَاهَا إِلَى السَّمَاءِ كَأَنَّهَا تَحْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ
فِي مَكَانٍ سَحِيْقٍ، شَائِلَةٌ عَقَارِئِهَا، آفَلَةٌ بِالْأَنْعَمَارِ كَوَاكِبُهَا، وَالْحُدُوجُ وَالْقِسَى
وَالرَّايَاتُ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ سِلَاحٍ، أَوْ دُرُوعٍ تَرُدُّ السَّهَامَ عَلَى أَعْقَابِهَا وَتَحْنِي قَامَاتِ
الْعَوَالِيِ وَتُضَيِّقُ صُدُورَ الصَّفَاحِ . وَالْبَحْرِيَّةُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ رِجَالِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الْمَحْرُوسَةِ
مِنْ نَجُومِ آفَاقِهَا، وَغِيُومِ إِرْعَادِهَا وَإِرْاقِهَا، وَدِيمِهَا إِذَا أَسْبَلَتِ الْمَسَالِمَةُ ذُبُوبَهَا وَأَعْوَانِهَا
إِذَا شَمَرَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا . وَبَقِيَّةُ الْمُسْتَحْدِمِينَ وَأَرْبَابِ الصَّنَائِعِ الَّذِينَ هُمْ عِمَارَةُ
أَوْطَانِهَا، وَأَمَارَةُ الْعِنَايَةِ بِهَا مِنْ سُلْطَانِهَا، فَكُلُّ ذَلِكَ مَذْخُورٌ لِمَنْفَعِ الْإِسْلَامِ،
وَمَا رِيَسَ السَّنَمُ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ يُرْمَى وَلَا طُبِعَ السِّيفُ لِأَنَّهُ فِي كُلِّ بَارِقَةٍ يُسَامُ،
فَاحْفَظْ لِأَوْقَاتِهَا تِلْكَ الْمَوَادَّ الْمَذْخُورَةَ، وَالْحَمْظُ هُوَ لَاءُ الرِّجَالِ فَإِنَّهُمْ ظَهَرُ الْعَسَاكِرِ
الْمَنْصُورَةِ، وَخُذْ بِقُلُوبِهِمْ وَأَوْصِلْ إِلَيْهِمْ حُقُوقَهُمْ، وَأَجْمَعْ عَلَى طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ
مُتَّفَرِّقَهُمْ وَأَكْرِمْ قَرِيْبَهُمْ، وَمِنْهُمْ الْمَالِكُ السُّلْطَانِيَّةُ وَهُمْ إِخْوَانُكَ فِي وَلائِنَا، وَالَّذِينَ
تَشْرِكُهُمْ فِي آلائِنَا، وَبَالِغٌ فِي حَفْظِ الْمُعْتَقَلِينَ فِي سُجُونِهَا، وَلَفِظِ الْمُعْتَقِدِينَ خِلَافًا
فِي مَكْنُونِهَا، وَتَحْنُ نَعِيدُهَا بِاللَّهِ أَنْ تَقُولَ: تَفَقَّدَهَا بِالْتَرْمِيمِ وَالْإِصْلَاحِ، وَلِكِنَّا نَأْمُرُكَ

أن نتعهدنا بما نتعهد من الزين الملاح ؛ ولك من معاضدة من في ذلك الإقليم ،
من لك برأيه طريق مستقيم ؛ ومن تراجع في أشكل عليك من الأمور ، وتجد به
في طاعتنا الشريفة نوراً على نور ، وأتبع مراسمتنا المطاعة فهي شفاء لما في الصدور ؛
والوصايا كثيرة ، والله تعالى يجعلك على بصيره ، ويتولاك بما فيه حسن السير ،
وصلاح السير ؛ والاعتماد



وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة دمشق المحروسة ، كتبت بها الحسام
الدين « لاجين الإبراهيمي » من إنشاء الشريف شهاب الدين ، رحمه الله ، وهي :
الحمد لله الذي صان الحصون بانتضاء الحسام ، وزان الملك بارتضاء ذوى
اليقظة من الأولياء والأهتام ، وأبان سبيل السعادة لمن أحسن بفروض الطاعة
وأجمل القيام .

نحمده على أن جعل نعمنا لأصفيائنا وأفورة الأقسام ، ونشكره على أن أقبل عليهم
بأوجه إقبالنا الوسام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لعقود
إخلاصها انتظام ، ولسعود اختصاصها آلتنام ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله
الذي منحه الإجلال والإعظام ، ومدحه بالإفضال والإكرام ، ورجحه بمزايا الفضل
على جميع الأنام ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه بدور التمام ، ورضى عن أصحابه
الذين لهم صدق الاعترام ، صلاة ورضواناً لها تجديد ومزيد وتأيد ودوام ؛ وسلم
تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن آلاءنا لا تزال تختار الأكفاء ، وآراءنا لا تبرح تمنح ذوى المناصحة
الإصفاء ، ونعماءنا تديم لملايس إجلالها على أولى الخدم الإفاضة والإصفاء ، وتبقى
بوعود جودها لمن أدام لمنهج المخالصة الاقتفاء .

ولما كان فلان هو الذى عُرفَتْ له فى مُهِمَّاتنا خِدْمٌ سالفه ، وألْفَتْ منه هِمَّةٌ عَلَيْهِ خَصَّتْهُ بِكُلِّ عَارِفِهِ ، وَخَوَّلَتْنا نِعْمًا الوَاكِفِهِ ، وأهْلنَاهُ لاسْتِحْفَافِ الحِصُونِ فساعده تَوْفُرُ التوفيقِ وسَاعَفَهُ ، ونَقَلنَاهُ فى الممالكِ فسارَ سيرةً حميدةً أَقْتَضَتْ لِمَوَاهِبِنَا لَدَيْهِ المضاعفةَ - أَقْتَضَى حَسَنُ الرأى الشریفِ أنْ تَرْفَعَ محلَّهُ بأَعزِّ الفِلاَحِ ، ونُظَلِّعَهُ بأَفْضَلِ سَعْدِهَا أَيْمَنَ إِطْلَاعِ ، ونُنْدِبُهُ لَضَبْطِهَا فَيَحْسُنُ له فيها الأَسْتِقْرَارُ وَيُجَدُّ مِنْهَا له الأَسْتِیدَاعُ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صدقاته تُحَقِّقُ الأَطْعَامَ ، وَهَبَاتُهُ تُغِيضُ مَلَائِئِمَهَا التى ليس لها أَتْرَاعُ - أنْ يَسْتَقِرَّ فى نِيَابَةِ قلعةِ دَمَشْقٍ

فليباشِرِ النِيَابَةَ بالقلعةِ المذكورةِ بَأَذَلِّ الأَجْتِهَادِ ، مُوَاصِلًا لِلعَزْمِ والسَّدَادِ ، عامِلًا بِالْحَزْمِ فى كُلِّ إِصْدَارٍ وإِيرَادٍ ، كَافِلًا مِنْهَا بِحَسَنِ الأَعْتِمَادِ ؛ حَافِظًا حَوَاصِلَهَا مِنْ الضَّيَاعِ ، مَقَرَّرًا أَحْوَالَهَا على أَجْمَلِ الأَوْضَاعِ ؛ وَلِيَأْخُذْ رِجَالَهَا بِالإِكْتِلافِ على الخِدمَةِ والأَجْتِمَاعِ ، وَلِيَحْرِضَهُمْ على المبادِرةِ إلى المراسيمِ والإِسْرَاعِ ؛ وَلِيُطَالِعَ مِنْ أُمُورِهَا بما يَتَعَيَّنُ عَلَيْهِ لأَبْوَابِنَا العالِيَةِ فى المِطالعةِ وَيَحِبُّ لَعُلُومِنَا الشَّرِيفَةِ عَلَيْهِ الأَطْلَاعَ ، وَلِيَبْرَاجِعَ كَافِلِ الممالكِ الشامِيَةِ بما جَعَلنَا لآرَائِهِ فى الإِرْجَاعِ ؛ وَلِيَكُنْ له إلى إِشارَتِهِ إِصْفَاءٌ وَأَسْتِمَاعٌ ، وإلى سَبِيلِ هَدْيِهِ أَقْتِفَاءٌ وَأَتِّبَاعٌ ؛ وَلِيَقِفَ عِنْدَ ما يَتَقَدَّمُ بِهِ إِلَيْهِ فبِذَلِكَ يَحْصُلُ له الرُّشْدُ والأَنْتِفَاعُ ، وَاللهُ تَعَالَى يَجْدُدُ عَلَيْهِ سَوَابِغَ نِعْمِنَا التى جادَتْ بِأَجْناسٍ وَأَنْواعٍ ؛ وَيَجْزُدُ فى نُصْرَتِنَا حُسَامَهُ الذى مِنْ بَأْسِهِ الأَعْدَاءُ تَرْهَبُ وَتَرْتاعُ ، وَيَدِيمُ له وَالجَمِيعِ الأَوْلِياءِ مِنْ صَدَقَاتِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ الإِمْتاعِ ؛ وَاللِخْطِ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةً بِمَقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه وصية نائب قلعة أوردتها في "التعريف" :

وعليه يحفظ هذه القلعة التي زُفَّت إليه عقيلتها المُنَّعه، وجايَّت عليه سافرة ودُونها
 السماء بالسُّحُب مُقَنَّعه؛ وسأمت إليه مَفَاجِيحُها، وخواتيم الثُّرَيَّا أَفْقال، وأوقَدتْ له
 مَصَابِيحُها، وفَتَائِل البروق لا تُسَبُّ لِقْفَال^(١) . فليبدأ بعبارة ما دَعَت الحاجة إليه من
 تجديدِ أبنيتها، وتشبيدِ أقبيتها؛ وشدِّ عقودها، وعدِّ مالا يحصى [في الذخائر] من^(٢)
 نُقودها؛ [وتبنيه أعيُنِ رجالها والكواكبُ قد هَمَّتْ بِرُقودها] ، والأخذ بقلوب من^(٢)
 فيها، وتدارِكِ بقية ذماتهم وتلَّا فيها؛ وجمعيهم على الطاعة، وبذِّر الإحسان فيهم
 إذا عَرَفَ أرضاً تركو فيها الزراعة، والتَّامِدِي لهم : فُوبَ رجال تجزئ عن عِدَّة سنين
 في سَاعه؛ وتخصيبن هذا الحِصن المنيع بما يُدخَر في حواصله، ويُستعمَدُ بعبارة البلاد
 المختصة به من وأصله؛ وما يكون به من المجانيق التي لا تُرْقَى عَقَارِها، ولا تُوقَى
 منها أقاربها؛ ولا تُردُّ لها مَضَارِب، ولا يُكفُّ من زُبَانِي زَبَانِيَّتِها كُلُّ ضَارِب؛
 ولا يُحِطُّ سَهْمُها، ولا يُخْفَى بين النجوم نَجْمُها؛ ولا يُعرَفُ ما في صُنْدوقها [المقفل]،
 من البلاء المرسل، ولا ما في نِقْذِها المُشَمِّرِ السَّاقِ من النشاط الذي لا يَكْسَل؛
 وغيرها من الرايات التي في غيرها لا تُسَدُّ، ولسوى خَيْرِها لا تُعَقَد؛ وما يُرمى فيها
 من السهام التي تُسُقُّ قلبَ الصَّخْر، وتُبْكي خَنَسَاءَ كُلِّ فاقدة على صخر؛ وكذلك قِسيُّ
 اليد التي لا يدبها ولا قِبَل، وكَثَائِرُ السَّهام التي كم أصبح رَجُلٌ وبه منها مثلُ
 الجبل؛ وما يُصَان من اللُّبوس، ويعدُّ للنعم والبُوس؛ وما يمدُّ من الستائر التي^(٣)

(١) الذي في "التعريف" «وقناديل» .

(٢) الزيادة من "التعريف" (ص ٩٥) .

(٣) في "التعريف" «من العدد والعدد واللُّبوس» .

هي أسوار الأسوار ، ولعاصم عقائل المعاقل منها حلى سوى كل سوار ؛ وهي التي
 ثلاث لثمتها على مباسم الشرفات ، وتضرب حجبها على أعلى الغرفات ؛ وسوى هذا
 مما تعصم به شواخ القلال ، ويتبوا به مقاعد للقتال ؛ فكل هذا حصله وحصنه ،
 وأحسبه وحسنه ؛ وأعد منه في الأمن لأوقات الشدائد ، وأجر فيه على شأو من تقدم
 وزد في العوائد ؛ وهكذا ما يدنر من عدد أرباب الصنائع ، ومدد التحصين المعروف
 بكثرة التجارب في الوقائع ، والأزواد والأقوات ، وما لا يزال يفكر في تحصيله لأجل
 بعض الأوقات ؛ وكُن من هذا مستكثرا ، وله على ما سواه مؤثرا ؛ حتى لا تزال
 رجالك مطمئنة الخواطر ، طيبة القلوب ماعليها إلا السحب المواطر ؛ وأعمل بعادة
 القلاع في غلق أبواب هذه القلعة وفتحها ، وتفقد متجددات أحوالها في مساء كل
 ليلة وصبحها ؛ وإقامة الحرس ، وإدامة العسس ، والحذار ممن لعله يكون قد تسور
 أو اختلس ؛ وتعرف أخبار من جاورك من الأعداء حتى لا تزال على بصيره ، ولا
 تبحر تعد لكل أمر مصيره ؛ وأقم نوب الحمام التي قد لا تجد في بعض الأوقات سواه
 رسولا ، ولا تجد غيره غميرا ولا سواه مشولا ؛ وطالع أبوابنا العالية بالأخبار ، وسارع
 إلى ما يرُد عليك منها من آتداء وجواب ؛ وصب فكرك كله إليها وإلى ما تتضمنه
 من الصواب .

المرتبة الثانية

(من المراسيم التي تكتب بحاضرة دمشق لأرباب السيوف -

ما يكتب في قطع الثلث ، وفيها وظيفتان)

الأولى - شدد الدواوين بدمشق . وصاحبها يتحدث فيما يتحدث فيه شاد

الدواوين بالديار المصرية ، وقد تقدم .

وهذه نسخة مرسوم شريف بشدّ الدواوين بدمشق :

الحمد لله الذي أرهف لمصالح دولتنا القاهرة من الأولياء ، سيقاً ماضياً ، وجرّد لمهمات خدمتنا الشريفة من الأصفياء ، عضباً يغدو الملك عن تصرفه الجميل راضياً ، وجدّد السعود في أيامنا الزاهرة لمن لا تحتاج هممه في عمارة البلاد المحروسة متقاضياً .

نحمده على نعمه التي تستغرق المحامد ، وتستوجب الشكر المستأنف على الحامد ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مجاهدة لأعدائها ، مجاهرة لإعلائها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف الأنبياء قدراً ، وأوقم في الرتبة مكانة وإن كان آخرهم عصراً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بما أمرُوا ، وعمروا الذين قبل الدنيا فلم يتمكن الأيام من [نقض] ما عمروا ؛ صلاةً يتأرجح نشرها ، ويتبجح بنشرها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من عُدق به من مهماتنا الشريفة أعمهاً نفعاً ، وأحسنها في عمارة البلاد وقعاً ، وأكثرها لخزائن الأموال تحصيلاً وجمعاً ؛ وأجمعها لمصالح الأعمال ، وأضبطها لحواصل الممالك التي إذا أعد منها جبلاً تلا عليها لسان الإنفاق : ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ)) من زانت عزمه نزاهته ، وكَلَّت قوته في الحق خبرته ونباهته ؛ وكان من أولياء دولتنا المعدّين لشدّ أركانها ، وإشادة بُنيانها ؛ والنهوض بمصالحها المتنوعة ، ونشر كلمة عدلها التي تغدو بالأدعية الصالحة مبسوطةً وبالأنبيّة العاطرة متضوّعة .

ولما كان فلان هو الذي أُشير إلى محاسنه ، ونُبّه على إبريق فضله المظهر من معادنه ؛ مع صرامة يُخيف اللبوث ، ونزاهة يُعين على عمارة البلاد الغيوث ؛ وخبرة يإظهار المصالح الخفية وفيه ، وبإبراز معادن الأموال من وجوهها الجلية مليه ؛

وَمَعْرِفَةِ تَعْمُ الْبِلَادَ بَيْنَ الرِّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَتَجْعَلُ مَثَلُ مَا يُودَعُ فِيهَا بِالْبِرْكَاتِ وَالنَّمَاءِ مَثَلُ
حَبَّةِ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلٍ فِي كُلِّ سُدْبَلَّةٍ مِائَةَ حَبَّةٍ - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيذَةَ أَنْ نُنْبِئَهُ
عَلَى حَسَنِ اعْتِنَانِنَا بِأَمْرِهِ ، وَاعْتِنَانِنَا بِمَا قَدَّمَهُ مِنْ أَسْبَابِ إِسْنَاءِ رُتْبَتِهِ وَرَفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
فَلذَلِكَ رَسْمٌ - زَادَ اللَّهُ فِي عِلَالَتِهِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مُظْهِرًا مِنْ مَصَالِحِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَا كَانَ فِي صَمِيرِ كِفَايَتِهِ مَكُونًا ،
مُبْرَزًا مِنْ تَثِيرِ الْأَمْوَالِ وَتَعْمِيرِ الْأَعْمَالِ مَا يُحَقِّقُ بِهِ : مِنْ خِصْبِ الْبِلَادِ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ
تَعَالَى مَا كَانَ مَظْنُونًا ، مُوَالِيًا إِلَى الْخِزَانِ الْمَعْمُورَةِ مِنْ حُمُولِ تَدْيِيرِهِ مَا يُنْمِي بِهِ طَائِرُ
تَصَرُّفِهِ مِيمُونًا ، وَسَبَبُ تَوْفِيقِهِ مَا مَوْنَا . وَلِيَكُنِ النَّظَرُ فِي عِمَارَةِ الْبِلَادِ هُوَ الْمِهْمُ الْمَقْدَمُ
لَدَيْهِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِي يَتَعَيَّنُ تَوْفِيرُ أَهْتَامِهِ عَلَيْهِ ، فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ أَجْتِهَادًا يَظْهَرُ أَثَرُهُ ،
وَيُجْنَى ثَمَرُهُ ، وَيُجْمَدُ وَرْدُهُ وَصَدْرُهُ ؛ وَتَنْفَرَعُ عَنْهُ أَنْوَاعُ الْمَصَالِحِ ، وَتَتَرْتَّبُ عَلَيْهِ
أَسْبَابُ الْمَنَاجِحِ ؛ وَمِلَاكُ ذَلِكَ بَسْطُ الْمَعْدَلَةِ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ لِلْبِلَادِ مِنْ أَنْ تُمَطَّرَ أَرْبَعِينَ
يَوْمًا ، وَاعْتِمَادُ الرَّفْقِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَهُ الْبَأْسُ قَوْمًا ، وَلَا يَجِبُ عَلَى فَاعِلِهِ مَعَ الْحَزْمِ
لَوْمًا ، وَلَا يَطْرُدُ عَمَّنْ أُنَامَهُ الْعَدْلُ فِي مِهَادِ الدِّئَةِ نَوْمًا ؛ وَلْيَصْرِفْ إِلَى أَسْبَابِ
الْأَمْوَالِ وَمُؤَالَاتِ حَمَلِهَا هِمَّةً نَاهِضَةً ، وَعِزْمَةً إِلَى مَاقْرُبٍ وَنَائِيٍّ مِنَ الْمَصَالِحِ رَاكِضَةً ،
وَقُوَّةً بِأَسْبَابِ الْحَزْمِ آخِذَةً وَعَلَى أَعْنَسَةِ التَّدْيِيرِ قَائِضَةً ؛ وَفِيَا خَبْرَانَهُ مِنْ عِزَائِمِهِ
الْمَشْكُورَةِ ، وَسِيرَتِهِ الَّتِي مَا بَرِحَتْ بَيْنَ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مَشْهُورَةٍ ؛ مَا يُكْنَفَى بِهِ
عَنِ الْوَصَارِيَا الْمُؤَكَّدَةِ ، وَيُوثَقُ بِهِ فِيمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُسْتَدَّةِ ؛ لِيَكُنْ تَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى أَوْلَى الْوَصَايَا وَأَوْطَأَ ، وَأَحَقُّ مَا تَلَيْتَ عَلَيْهِ تَفَاصِيلُهَا وَجُمْلَتُهَا ؛ فَلْيَقْدَمْ تَقْوَى اللَّهِ
بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَيَجْعَلْهَا الْعُمْدَةَ فِيمَا اعْتَمِدَ فِيهِ عَلَيْهِ ؛ بَعْدَ الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ
تَعَالَى أَعْلَاهُ .

الوظيفة الثانية - شد المهّمات . وصاحبها يتحدّث فيما يُطلَبُ للأبواب السلطانية من المستعملات وغيرها . وقد ذكر في "التنقيف" أن عاداته أن يكون مقدّم ألف .

وهذه نسخة توقيع بشد المهّمات بدمشق ، وهي :

الحمد لله الذي شدَّ عُرَا المصالح من الأولياء بكل ذي أيدٍ ، وكلّ من هو في المهّمات أبطشُ بعمرو من زيد ، ومن له تدبيرٌ كم أغنى باقتناصه لشوارد الأمور عن جباله صيد .

[وبعد^(١) فإن أحق من استخلص لاستخلاص الأموال ، واختير لصونها من الاختلال وحفظها من الاختلال ، وأهل قلمه وكلمه : هذا للتمثيل وهذا للامتثال ؛ وفوض إليه التصرف في الترغيب والترهيب ، والاجتهاد في التمييز والتحرير والتوفير إذ كل مجتهد مُصيب - من أشهر بانه ذو حزم لا يني ، وعزم عن المصالح لا يثني ، واحتفال بالأحوال التي منها نُكر لمن يثني وشكر لمن يثني ؛ وله نباهة يدرك بها كل إيهام وكل إيهام ، ويطلع [بها] على فلتات ألسنة الأفلام ، ويفهم بها مقاصد كل من هو من الجنة في كل وأد يهيم ، ولا يخفى عليه جرأ الجرائد ولا مخازي المخازيم ؛ وفيه رحمة كم أصبح بها وهو الأثني ، ولم يأت قساوة يكون بها هو المنبت الذي لا أرضا قطع ولا ظهراً أبقى ؛ وم ساس الأمور ودبرها فأحسن فيها السياسة وأجمل التدبير ، واستخرج [الشيء الكثير] بالخوف اليسير ؛ حتى جمع حُسن تدبير وأسترعاً ، وصنع حسناً وأحسن صنعا .

(١) زدنا هذه اللفظة لزومها واستقامة الكلام بها . فنبه .

ولما كان فلان هو لهذا الأمر الجليل المُستترعى، وأسمه في أول مدارج التنويه والتنويل خير مُستدعى؛ وفيه من جميل الأوصاف ما يرضى حسن الاقتراح وقد خبر أمور الكتبة، وقد علم من أحوالهم ما هو أحرى لهم بالتجريبه؛ وعرف خفايا المعاملات معرفة تامه، وأحاط بجزئيات الجهات وكلياتها إحاطة خاصة وعامة - أقتضى حسن الرأي المنيف، أن رسم بالأمر الشريف - لا يرحح بسد عضد كل مهم من الأولياء بأذى كل عزم، ويجعل له سلطانا لا يكفل مصالحة إلى حزم ذى حزم - أن يفوض إليه شد المهمات بالشام المحروس .

فليضبط الأمور ضبطا مستوعبا، ولينتصب لذلك آتصبا مترتبا؛ وليحترز منفذا ومصرفا، ومسيرعا ومستوقفا؛ ومتى ظهر حق يتمسك به تمسك الغريم، ولا يجاب فيه ذا بأس قوى ولا ذا منهج إلى المنع والدفع غير قويم؛ وما من جهة إلا ولها شروط صوب الصواب، ولا يعتمد على غير الحق منجبا عن ترويح الكلب؛ ولتكن الجمول مسيره، والمتخرجات متوقفة؛ وجهات الخاص مقتره، إذ الضمان لا ينتظر لهم نظرة إلى ميسره؛ فإنهم سوس المعاملات، وكواسر الجهات؛ ومنهم يحفظ أو يضاع، وبهم يترقى أو ينحط الارتفاع؛ وجهات المقطعين الواجب له أن يجعل عليها واقية باقيه، ولتحم لهم حتى لا يتناول إلى ذروتها امتداد الأيدي المخترلة ولا خطأ العدوان الراقية؛ وليصرف وجهه بحفظه إلى مراقبة من في باب الشد من مقدمين ومن رسل ياكلون أموال الناس بالباطل، ويبيعون الآجل بالعاجل؛ ويحيقون العام والخاص، وكل منهم يروم الغناء وهو رقاص .

هذه زبدة من الوصايا مقنعه، وعزومات غنية عن تكثير في القول أو توسعه؛ والله تعالى يكون له ويعينه، بمنه وكرمه، إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(من الوظائف بدمشق الوظائف الدينية ، وجميع ما يكتب
فيها توافيع ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی بالياء» مفتتحا بـ «الحمد لله»)

وبذلك يكتب للقضاة الأربعة بمحاضرة دمشق .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بدمشق المحروسة ، كُتِبَ به لفاضي
القضاة «بهاء الدين أبي البقاء السبكي» وهي :

الحمد لله الذي أقرَّ أحكام الشرع الشريف ، في أيامنا الزاهرة على أكمل القواعد ،
وأمر مَدَارَ الحُكْمِ المُنِيفِ ، في دولتنا القاهرة على أجمل العوائد ، وأمضى فُضِّلَ
القضاء في مَمَالِكِنَا الشامية بيد إمام غيَّبَ فضائله عن الشواهد ، وأتمه الأئمة
لاقتباس الفوائد ؛ وعُدِّقَتْ أحكامُ الملة منه يُجَاهِرُ في الحق مجاهد ، مُسَدِّدٌ في الدين
سهم آجتِهَادِ رَمَى به شَاكِةَ الصواب عن أثبت يدٍ وأشدَّ سَائِدِ .

نحمده على نِعَمِهِ التي حَلَّتْ مَنَاصِبَ الدين في مَمَالِكِنَا الشريفة بأَكْفَائِيهَا ، وَعَلَّتْ
رُتَبَ العِلْمِ في دولتنا القاهرة باستقرار من جَعَلَتْهُ فَضَائِلُهُ غَايَةَ آخْتِيَارِهَا وَنِهَائِيَّةَ
أَصْطِفَائِيهَا ، وَدَلَّتْ على آعْتِنَانَا بتنفيذ أحكام من أُنْعَبَتْ سِيرَتُهُ الْجَمِيلَةُ من سَهْدِ
في آتْبَاعِهَا وَجَهْدِ في آفْتِنَائِيهَا ؛ وَنَشْهَدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
لا تَرَالُ أَعْلَامُنَا بِهَا تَنْصِرُ ، وَأَيَّامُنَا على الجهاد لتَكُونُ كَلِمَتُهَا هي العُلْيَا تقتصر ،
وَأَفْلَامُنَا لِنَشِيرَ دَعْوَتِهَا في الآفاق تُسَهِّبُ ولا تُوجِرُ وَتُطِيبُ ولا تَحْتَصِرُ ؛ وَنَشْهَدُ أن
مهدا عبده ورسوله أشرف من قَضَتْ أُمَّتُهُ بِالْحَقِّ فَعَدَلَتْ ، وَتَلَقَّتْ عَنْهُ أَحْكَامَ مِلَّةِهِ

فَفَاقَتْ بِذَلِكَ الْأُمَّمَ وَفَضَّلَتْ ، وَحَكَمَتْ بِمَا أَرَاهَا اللَّهُ مِنْ شِرْعَتِهِ فَمَا مَالَتْ عَنْ سَنَنِهِ الْقَوِيمِ وَلَا عَدَلَتْ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ آمَنُوا اللَّهُ فَسَلِمُوا ، وَعَمِلُوا فِي دِينِ اللَّهِ بِمَا عَلِمُوا ، وَبَدَّلُوا النُّفُوسَ فِي طَاعَتِهِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا أَلَمُوا ؛ صَلَاةٌ تُوَدَّى بِهَا مِنْ أَمْرِ اللَّهِ الْمُفْتَرَضِ ، وَزُيْغُمُ بِإِقَامَتِهَا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ؛ وَسَلَّمُ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنْ أَوْلَى مِنْ تَنَقُّلٍ فِي رُتْبَةِ السَّيِّئَةِ ، وَوُطِّدَتْ لَهُ بِمِضْرٍ وَالشَّامِ قَوَاعِدُ سِيرَتِهِ السَّرِيَّةِ ؛ وَأُطْلِقَتْ جِيَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِمْضَاءِ حِكْمِهِ فِي الْمَمْلُوكِينَ مِثْلَ نِيَّاتِي أَعْيَتِي ، وَأَنْطَقَتْ صَعَادُ الْبِرَاعَةِ فِي إِعْلَاءِ بَهَائِهِ فِيهِمَا [السنة] اسْتَبْتَهَا ؛ وَأَرَدْنَا أَنْ نُزِدَّهُ إِلَى أَعَزِّ الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا لِنُقَرَّ عَيْنَهَا ، وَقَصِدْنَا أَنْ نُعِيدَهُ إِلَى رُتْبَتِهِ بِهَا لِنُوَفِّيَ بِإِسْتِعَادَتِهِ دِينَهَا ؛ وَأَخْتَرْنَا أَنْ نَجِدَّ لِهَذِهِ الْوِظِيفَةِ سَالِفَ عَهْدِهِ ، وَأَنْ نُزِيَهُ أَعْتَابَنَا بِأَمْرِ مَنْتَصِبِهِ الَّذِي لَمْ يَلِهِ مِثْلُهُ مِنَ الْأُمَّمَةِ مِنْ بَعْدِهِ ؛ وَعَلِمْنَا أَنَّ الدِّيَارَ الْمُضَرِّيَّةَ قَدْ آخَنَتْ بِفَضَائِلِهِ زَمَانًا طَوِيلًا ، وَأَنَّ الْبِلَادَ الشَّامِيَّةَ قَدْ أَلْفَتْ مِنْ أَحْكَامِهِ مَا لَمْ تُرِدْ بِهِ بَدِيلًا - مِنْ ظَهَرَتْ فَضَائِلُهُ ظُهُورَ نَعْتِهِ ، وَتَهَادَتْ فَوَائِدُهُ رِنَاقُ الْآفَاقِ ؛ مِنْ عَلِمَاءِ زَمَانِهِ وَأُمَّةِ وَقْتِهِ ، وَعُلِمَتْ أَوْصَافُ الصُّدُورِ الْأَوْبِ مِنْ عِلْمِهِ وَوَرَعِهِ وَسَمْتِهِ ؛ وَنَشَرَتْ الْأَيَّامُ مِنْ عُلُومِهِ مَا لَمْ يُطَوَّبْ لِنُطْلُوقِ إِلَيْهِ الْمَرَا حِلْ ، وَنَقَلَتْ الْأَقْلَامُ مِنْ فُتُونِهِ مَا يُرَوَى فَيُرَوَى بِهِ السَّمْعُ الْقَامِي وَيُخَصَّبُ بِهِ الْفِكْرُ الْمَاحِلْ ؛ وَأَلْفَتِ الْأَقَالِيمُ مِنْ حُكْمِهِ مَا عَدَّتْ بِهِ بَيْنَ مَسْرُورٍ بِإِشْرَاقِهِ ، وَمُرُوجٍ بِفِرَاقِهِ ، فَمِنْ أَفْضِيَّةِ مُسَدَّدِهِ ، وَأَحْكَامِ مُؤَيَّدِهِ ؛ وَأَقْوَالٍ مَتْرَهَةٍ عَنِ الْهَوَى ، وَأَحْوَالٍ صَادِرَةٍ عَنْ زَهَادَةِ مُحْكَمَةِ الْقَوَاعِدِ وَزَاهَةِ مُجْتَمَعَةِ الْقَوَى ؛ وَإِصَابَةٍ دَالَّةٍ عَلَى مَا وَرَاءَهَا مِنْ عِلْمٍ وَوَرَعٍ ، وَإِجَابَةٍ فِي الْحَقِّ تَحْيَا بِهَا السُّنَنُ وَتَمُوتُ الْبِدْعُ ، وَشِدَّةٍ فِي الدِّينِ تَصَدِّعُ فِي كُلِّ حُكْمٍ بِالْحَقِّ وَإِنْ صَدَّعَ ؛ وَعَدْلٍ لَا يُسْتَلَانُ

جَانِبُهُ، وَحَزْمٌ لَا يُسْتَرَلُ صَاحِبُهُ، وَلَا يُسْتَنْزَلُ رَأْيُهُ، وَقُوَّةٌ فِي الْحَقِّ تَمْنَعُ الْمُبْطِلَ مِنَ
الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ، وَلِيْنٌ فِي اللَّهِ يُفْسِحُ لِلْحَقِّ مَجَالَ الْقَوْلِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَمَجَالَسٌ غَدَتْ بِالْعِلْمِ
طَيِّبَةَ الْأَرْجِ، وَفَضَائِلٌ يُحَدِّثُ فِيهَا عَنْ مَوَادِّ فِكْرِهِ عَنِ الْبَحْرِ وَلَا حَرَجٍ؛ وَبَدَائِعَ
تُضْرِبُ إِلَى اسْتِمَاعِهَا أَسْبَابُ الْإِيلِ، وَبَدَائِعَ تَهْرُمُ الْأَيَّامُ وَعُمُرُ شَبَابِهَا مُقْتَبِلٌ .

ولما كان المجلس العالى - أدام الله نعمته - هو الذى ورد على أبوابنا العالية ونور
ولائه يسعى بين يديه ، وصدر الآن عنها وحل آلينا تضيفو عليه ؛ وأقام فى خدمتنا
الشريفة معدودا فى أكرم من بها قطن ، وعاد إلى الشام مجموعا له بين مضاعفة النعم
والعود إلى الوطن . وهو الذى تختال به المناقب ، وتختار فضله العواقب ؛ ويشرق
قلبه بالفتاوى إشراق النهار ، وتصدق منافعه إغداق السحب بالأمطار ، وتصدق
الطلبه به إحداق الحكمة بالتمر والهلالات بالأقمار ؛ وهو شافى عى كل شافى ،
ودواء ألم كل ألمى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع سهادا ، وقطع الليل ثم استمده
لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ، والمذهبين من القولين قديما
وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ، وملك حسانتها فأسفر له كل وجه
تغطى من أوراق الكتب يلثامه ؛ وأنفتحت بفهمه للتصانيف أبواب شغلت
«القفال» أفعالها، وتفتحت [له] نفتح ما «لما وردى» مثالها، ومنحت حلا يفخر
«الغزالي» إذا نسج على منواله سربالها؛ فلو أدركه «الرافعى» لشرح «الوجيز» من
لفظه ، وأملى أحكام المذاهب من حفظه ؛ وصدر المسائل بأقواله ، وأعد لكل
سؤال وارد حجة من بحته وبرهاناً من جداله ؛ فله فى العلم المرتقى الذى لا يدرك ،
والمتهى الذى لا ينزع فى تفرده ولا يشرك ، والغاية التى أحرزها دون غيره فلولاً
المشقة لم ترك ؛ وهو الذى ما زال بهذه الرتبة ملياً ، وبها صدق بذمته من أحكامها

وَفِيَا، وَبِكُلِّ مَا يُرِضِي الْخَلِيقَةَ عَنْهُ مِنْ أَحْوَالِهَا قَائِمًا وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا، وَبِأَعْبَابِهَا مُسْتَقِلًّا مِنْ حِينَ مَنْحِهِ اللَّهُ الْعِلْمَ نَاشِئًا وَأَتَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا . وَمَا بَرِحَ تَدْعُوهُ التَّقْوَى فُجِيبُهَا، وَبِتَرْكِ مَا لَا يُرِيبُ نَفْسَهُ تَتْرِيهَا عَمَّا يُرِيبُهَا، فَكَمْ بَحْرًا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ مِنْ عِلْمِهِ عِيُونًا، وَغَرَسَ بِهَا مِنْ أَفْنَانِ فَضْلِهِ فَنُونًا ؛ وَكَانَ لَهَا خَيْرٌ جَارٍ تَرَكَ لَهَا مَا سِوَاهَا ، وَأَكْرَمَ نَزِيلِ نَوَى بِالْوَصُولِ إِلَيْهَا مَصْلَحَةَ دِينِهِ فَلَمْ يُضَيِّعِ اللَّهُ لَهُ نَيْتَهُ الَّتِي نَوَاهَا ؛ وَأَلْفَ قَوَاعِدَ أَهْلِهَا وَعَوَائِدَهُمْ ، وَعَرَفَ بِحُسْنِ أَطْلَاعِهِ مَا جَبَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ظَاهِرَهُمْ وَشَاهِدَهُمْ ؛ وَعَدُوهُ مِنَ النِّعَمِ الْمَقْبَلَةِ عَلَيْهِمْ ، وَأَقْنَدُوا فِي مَحَبَّتِهِ بِالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ؛ ثُمَّ قَدِمَ إِلَى الدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ وَمَا كَانَ قُدُومُهُ إِلَّا عَلَيْنَا ، وَوَقَدَّ إِلَيْهَا بِحُسْنِ مَوَدَّتِهِ وَمَحَبَّتِهِ اللَّتَيْنِ مَا وَقَدَّ بِهِمَا إِلَّا إِلَيْنَا ؛ فَرَأَيْنَا مِنْهُ إِمَامًا لَا يُحْكَمُ فِي تَوَلِيَّتِهِ الْحُكْمَ بِالهُوَى ، وَلَا يُنَوَى فِي تَقْلِيدِهِ الْقَضَاءَ غَيْرَ مَصْلَحَةِ الْمَسَامِينِ « وَلِكُلِّ أَمْرِي مَا نَوَى » ؛ وَهُوَ - بِحَمْدِ اللَّهِ - لَمْ يَزَلْ بِقَوَاعِدِ هَذَا الْمَنْصِبِ خَيْرًا ، وَبِعَوَائِدِ هَذِهِ الرِّبَّةِ بَصِيرًا ، وَبِإِحْرَافِهَا عَلَى أَكْلِ السُّنَنِ وَأَوْضَعِ السُّنَنِ جَدِيرًا ، وَبِإِمْضَاءِ حُكْمِ اللَّهِ الَّذِي يُحَقِّقُ إِيجَادَ الْحَقِّ فِيهِ لِلْأُمَّةِ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴾ ؛ مَعَ مَا تَكَلَّمْتُ بِهِ فُضَائِلُهُ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ الْحَقِّ الْمُبِينِ ، وَالتَّحَلِّيِ بِالْوَرَعِ الْمُتَيْنِ ، وَالتَّخَلِّيِ لِلْعِبَادَةِ الَّتِي أَصْبَحَ مِنْ أَنْصَفِهَا مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ الْأَشْرَفِيِّ النَّاصِرِيِّ - لِأَزَالِ عِلْمِ الْعُلَمَاءِ فِي أَيَّامِهِ مَرْفُوعًا ، وَأَلَمَ الْجَهْلَ بِمَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ دَوْلَتَهُ مِنَ الْأُمَّةِ الْأَعْلَامِ مَدْفُوعًا - أَنْ يَفُوضَ إِلَى الْمَشَارِ إِلَيْهِ قَضَاءَ الْقَضَاةِ الشَّافِعِيَّةِ ، وَنَظَرَ الْأَوْقَافِ بِدِمَشْقِ الْمَحْرُوسَةِ وَأَعْمَالِهَا بِالْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ ، وَمَا هُوَ مِضَافٌ إِلَى ذَلِكَ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالتَّدَارِيْسِ وَالتَّصْدِيرِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، عَلَى عَادَةِ مَنْ تَقَدَّمَ فِي ذَلِكَ وَقَاعِدَتِهِ وَمَعْلُومِهِ .

فَلْيُقَابِلْ هَذَا التَّقْلِيدَ السَّعِيدَ بَيْدَ زَيْدٍ فِي الْحَقِّ تَمَكُّنًا ، وَعَلَى الْخَيْرِ تَمَرُّنًا ، وَفِي الْعَدْلِ
 أَنْبَسَاطًا ، وَفِي أَحْكَامِ اللَّهِ تَعَالَى بِحَسَنِ الْمَعَاذَةِ عَلَى الْحَقِّ قُوَّةً وَأَحْتِيَاطًا ، وَتَمَيُّضَ
 عَلَى مَا أُلْفِيَ مِنْ سِيرَتِهِ الَّتِي زَانَ الْعِلْمُ أَوْصَافَهَا ، وَزَانَ الْوَرَعُ أَتَّصَافَهَا ، وَحَلَّى الْعَدْلُ
 مَفَاخِرَهَا ، وَأَحْيَا التَّقَى مَآثِرَهَا ، وَتَنَاقَلَتْ رِفَاقُ الْآفَاقِ أَحْكَامَهَا ، وَأَسْتَصْحَبَتْ مِنْ
 هَدَايَا هَرَاهَا مَا تُنْحِفُ بِهِ حُكْمَهَا ، وَفِيهَا نُعِتَ مِنْ مَحَاسِنِهِ مَا يُبْنِي عَنِ الْوَصَايَا الْمَجْدَدَةَ ،
 وَالْإِشَارَاتِ الْمُرَدَّدَةَ ؛ لَكِنِ الذِّكْرُ بِتَقْوَى اللَّهِ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَرْفَعُ الْمُتَّقِينَ ، وَتَجْمَعُ
 مَصَالِحَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ؛ فَلْيَجْعَلْهَا خُلُقَهُ مَا اسْتَطَاعَ ، وَلْيَرَحُكْهَا هُوَ الْحُكْمُ الْمَتَّبِعُ
 وَأَمْرُهَا هُوَ الْأَمْرُ الْمَطَاعُ ، وَالْإِعْتَادُ رَابِعَ عَشَرَ الْمَحْرَمِ سَنَةَ
 خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةَ .

قلتُ : وَلَمْ أَقِفْ عَلَى تَفْوِيضِ لِقَاضٍ مِنْ كِتَابَةِ مَنْ تَقَدَّمَ سِوَى تَفْوِيضِ وَاحِدٍ ،
 مِنْ إِنْشَاءِ الْمُقَرَّرِ الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، كَتَبَهُ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «شَهَابُ الدِّينِ بْنِ الْمَجْدِ
 عَبْدِ اللَّهِ» بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ الشَّافِعِيِّ . وَهَذِهِ نَسَخَتُهُ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى التَّمَسُّكِ بِشِرَائِعِهِ ، وَالتَّنَسُّكِ بِذَرَائِعِهِ ، وَالتَّوَسُّلِ إِلَى اللَّهِ بِتَأْيِيدِ أَحْكَامِ
 شَارِعِهِ ، وَالتَّوَصُّلِ بِهِ إِلَى دِينٍ يُقَطِّعُ بِهِ مِنَ الْبَاطِلِ أَعْنَاقَ مَطَامِعِهِ .

نَحْمَدُهُ حَمْدًا يَأْخُذُ مِنَ الْخَيْرِ بِجَمَامِعِهِ ، وَيُضَاهِي الْقَمَامَ فِي عَمُومِ مَنَافِعِهِ ، وَيُبَاهِي
 السِّيفَ بِقَلَمِ الشَّرْعِ فِي قَهْرِ عَاصِيِهِ وَحِمَايَةِ طَائِعِهِ . وَنُشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
 لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُوَدَّى لِلْإِيمَانِ أَمَانَةً وَدَائِعِهِ ، وَتَهْدِي إِلَى صِيَانَةِ مَشَارِعِهِ ، وَتَقِيمُ
 مِنَ الْعُلَمَاءِ كُلِّ شِهَابٍ تُقْسِمُ الْأَنْوَارُ بِلَوَائِعِهِ ، وَتُقْسِمُ الْأَبْصَارُ بِبَدَائِعِهِ ، وَتَجُولُ
 الْفَتَاوَى فِي صَدْرِهِ الْفَسِيحِ وَتَجُولُ فِي شَوَارِعِهِ ، وَتُرْهِفُ مِنْهُمْ لِلْحُكْمِ الْعَزِيزِ كُلِّ قَلَمٍ
 يَدُلُّ السَّهْمَ عَلَى مَوَاقِعِهِ ، وَيُنْبَسِ الرُّشْحُ مِنْ مَقَاتِلِ الْأَعْدَاءِ عَلَى مَوَاضِعِهِ ، وَيَسْرَى

عَمَّامُهُ إِلَى الْأَعْدَاءِ بِصَوَاعِقِهِ وَإِلَى الْأَوْلِيَاءِ بِهَوَامِعِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ
وَرَسُولَهُ الَّذِي أَسْعَدَ الْأُمَّةَ بِطَالِعِهِ ، وَأَضَعَدَ الْأُمَّةَ فِي مَطَالِعِهِ ، وَأَسْعَفَ الْمَلَّةَ بِمَا
أَبْقَى اللَّهُ فِيهَا مِنْ حَسَنِ صَنَائِعِهِ وَيُنِّينَ طَلَائِعِهِ ، وَمَنْ شَرِيعَتِهِ الَّتِي أَمِنَ حَبْلُهَا الْمُدْوَدُ
مَنْ جَذَبَ قَاطِعَهُ ، وَكُفِّيَ شَرُّ قَاطِعِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً [تَتَوَالَى
إِلَيْهِ تَوَالِي] الْعَذْبِ إِلَى مَنْابِعِهِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن الله لما أقامنا لحماية شرعه الشريف أن يُسَبِّحَ حِمَاهُ، أَوْ يَبَاحَ لِأَحَدٍ
مِنْ حُكْمِهِ أَنْ يَرْكَبَ هَوَاهُ، أَوْ يَتَعَدَّى حُدُودَهُ فِي مُخْطِطِهِ أَوْ رِضَاهُ، أَوْ يُحَدِّثَ فِي أَمْرِهِ
مَا لَيْسَ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ رَدًّا عَلَى سِوَاهُ - [جَعَلْنَا] يُجَدُّ عَلَى إِقَامَةِ مَنَارِهِ أَنْ يُطْمَسَ ؛
وَإِدَامَةَ مَبَارِزِهِ أَنْ يُقْلَعَ مَنَارُهَا أَوْ يُخَسَّ ؛ أَسْتَدَامَةً لِنَأْبِسَ حُكْمِهِ ، وَتَأْيِيدَ أَحْكَامِهِ ؛
لِأَنَّهُ سَخَائِبُ أَنْوَاءِ يَوْمِ الرَّبِيعِ رُبُوعُهَا ، وَمِشْكَاتُ أَنْوَارِ يُكَارِرُ الصَّبَاحَ لِمُوعُهَا ، وَأَقَاوِرُ
وَفَاقِ تُنِيمُ بِهِ الْأُمَّةَ ضُرُوعُهَا ، وَشَجَرَةَ مَبَارَكَةِ إِسْلَامِيَّةِ زَكَتْ أَصُولُهَا وَتَمَّتْ فُرُوعُهَا ؛
شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى مَا حَصَّنَا بِهِ : مِنْ تَحْصِينِ مَمَالِكِ الْإِسْلَامِ ، وَتَحْسِينِ مَسَالِكِ دَارِ السَّلَامِ ؛
لِنَمْنَعِ الْمَخَنَ أَنْ نُسَامَ ، وَبُرُوقَ الْفِتَنِ أَنْ نُسَامَ ، وَوُجُوهَ الْفِتَوَى أَنْ تَتَرَنَّ إِلَّا بِسَامَةِ
السَّامِ ؛ غِبْطَةَ بَأْنِ اللَّهِ جَعَلَ لِلْإِسْلَامِ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ، وَأَشْرَفُ وَأَتَقَى ، وَأَعْلَمُ
بَلَدٍ نَتَشَعَّبُ بِالْمَذَاهِبِ طُرُقًا ، وَتَوَدُّ الْمَجْرَةَ لَوْ وَقَفَتْ بِهَا عَلَى الشَّرِيعَةِ نَسَقًا . تَتَرَاخَمُ
فِي مَرْكَزِهَا الْأَعْلَامُ ، وَتُنْضَافِرُ عَلَى الْجِهَادِ فِي اللَّهِ بِالْجِلْدِ وَالْجِدَالِ نَارَةً بِالسِّيَوفِ
وَنَارَةً بِالْأَقْلَامِ . وَدِمَشْقُ حَرْسِهَا اللَّهُ هِيَ أُمُّ ذَلِكَ الْإِقْلِيمِ ، وَمَدَدُهُ الَّذِي يَحْنُو عَلَى
مَشَارِعِهَا حُنُوُ الْوَالِدَةِ عَلَى الْقَطِيمِ ، وَتَنْبَتُ بِهَا فَوَائِدُ لَا تَأْمُرُ مَعَهَا الْغَوَانِي حَتَّى
تَلْمِيسَ «جَانِبِ الْعِقْدِ الْعَظِيمِ» ؛ وَهِيَ دَارُ الْعِلْمِ ، وَمَدَارُ الْحُكْمِ ، وَمَوْطِنُ عُلَمَاءِ التَّعَاقِبِ

فيها كواكبهم ، وَتَنَاقَبُ سَخَائِهِمْ ؛ وَتَنَاهَى إِلَى حِكْمِهَا الْعَزِيزِ الشَّكْوَى ، وَتَفْصِلُ
بِحُكْمِ حَاكِمِهَا الدَّعْوَى ، وَتَمْتَدُّ جَنَاحُ طَيْلَسَانِهِ عَلَى رَضْوَى ، وَيُحَلِّقُ الْبَرْقُ وَرَاءَ فَهْمِهِ
وَلَا يَبْلُغُ غَايَتَهُ الْقُصْوَى ؛ وَيَطْوُلُ قَلَمُهُ عَلَى السَّيْفِ الْمُسَهَّرِ ، وَيُرْفِرِفُ سِجْلَهُ عَلَى الشَّرْعِ
الْمُطَهَّرِ ؛ كَمْ حَلَّتْ فِي صُدُورِهِ صُدُورٌ ، وَكَمْ طَلَعَتْ مِنْهُمْ شُمُوسٌ وَبُدُورٌ ، وَكَمْ حُدِثَتْ
مِنْهُمْ أُمُورٌ عَاقِبَةُ اللَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ؛ كَمْ آدَاءُ دَرَسٍ بِهِمْ ذِكْرٌ ، وَكَمْ آدَبُ نَفْسٍ سُكْرٌ ؛
كَمْ يَوْمٌ مَجْدٌ رَمَحَ ، وَجَدُّ مِلَّةٌ مَمْلَأَةٌ نَسَخَ ؛ كَمْ أَقْضِيَةٌ لَمْ بِالْحَقِّ وَصَلَتْ ، وَقَضِيَةٌ لَلْحَقِّ
فَصَلَتْ ، وَمَهْنَةٌ مِنْ غَلَبِهِمُ الْإِلَاحِقُ حَصَلَتْ ؛ كَمْ سِجْلٌ صَاحِبُ هَذَا الْمَنْصِبِ
حَامِلٌ عَلَيْهِ الْمَنْشُورُ ، وَمَصْبَاحٌ دِيمِيهِ الْحَافِلَةُ عَلَى مِزْرِ الدُّهُورِ ؛ بِشَرَفِ مُدْرَسِ عِلْمٍ
يَطْلُعُ مِنْ مَحْرَابِهِ ، وَنَسَاكِ حِلْمٍ يَبْدُو بَدْرُهُ التَّمَامُ خَلْفَ سَحَابِهِ ؛ وَمَجْلِسِ إِفَادَةٍ ، أُنْعَقِدُ
عَلَيْهِ فِيهِ الْإِجْمَاعُ ، وَمَجْلِسِ سَادَةِ ، كَانَ فِيهِمْ وَأَسِطَةُ عَقْدِ الْاجْتِمَاعِ .

[ولما] تزلزلت قدم مناره ، وَأَتَمَّكَ حِجَابُ ضَمَائِرِهِ ؛ وَأَسْتَرَلَهُ الشَّيْطَانُ بِكَيْدِهِ الْمَتِينِ ،
وَأَضْلَعَهُ عَلَى عِلْمِهِ الْمَبِينِ ؛ وَسَبَقَ الْقَلَمُ الشَّرْعِيَّ ، بَمَا هُوَ كَاتِنٌ ، وَمَضَى الْحُكْمُ الْقَطْعِيَّ ،
بَمَا هُوَ مِنْ تَصَرُّفِهِ بَاطِنٌ - تَرَدَّدَ الْأَخْتِيَارُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ نُحِلِّي جِيدَهُ بِتَقْلِيدِهَا ، وَتَوَهَّلَ
بِرَاعَتِهِ لِتَسْلِيمِ مَقَالِيدِهَا ؛ وَصَوَّبْنَا صَوَابَ النَّظَرِ فِيهَا مِصْرًا وَشَامَا ، وَأَسْتَشْرَفْنَا أَعْلَامَا ،
وَتَيَقَّنَّا لِأَقْوَى مَا يَكُونُ [لَهَا] قَوَامَا ؛ وَأَبْتَكْرْنَا أَنَّهُ لَا يَصْلُحُ إِلَّا مَنْ كَانَ لِحِلَّةِ الْمَجْدِ
طِرَازَا ، وَبَزِيدُ الْعَمَلِ إِلَيْهِ أَعْتَرَا ، وَالْعِلْمُ بِهِ أَعْتَرَا ؛ إِلَى أَنْ أَجْمَعَ رَأْيِنَا الْعَالِي عَلَى مَنْ لَا يُنْكَرُ
ذُو قَدَمٍ وَلَا قَدَمٌ وَلَا قَلَمٌ ، أَنَّهُ السَّابِقُ ؛ وَلَا يَجْحَدُ رَبُّ عِلْمٍ وَلَا عَمَلٌ وَلَا عِلْمٌ ، أَنَّهُ
الْبَاسِقُ . وَلَا يُشَكُّ أَنَّ مِنْ فَوَائِدِهِ يُسْتَمَدُّ الْمَطَرُ وَمِنْ تَوْقُدِ ذَهْنِهِ يُقَدِّحُ زِنَادُ الْبَارِقِ ،
وَلَا يَرْتَابُ الْبَحْرُ أَنْ فَرَائِدِهِ مَا يُطَوَّقُ الْعُنُقَ وَيُسْنَفُ الْأُذُنَ وَيَتَوَجُّ الْمَفَارِقُ ؛ وَلَا يُتَمَارَى
فِي فَضْلِهِ الَّذِي لَوْ طُلِبَ لَهُ مَثِيلٌ لَمْ يُصَبْ ، وَلَوْ أَدْعَى الْكُوكَبُ السَّارَى أَنَّهُ لَهُ شَيْبَةٌ
لَمَسَهُ النَّصَبُ ، أَوْ تَلَفَّتْ أَعْنَاقُ الْقَنَا إِلَى قَلَمِهِ لِأَيَقَنَتْ أَنَّهَا كُلُّ عَلَى الْقَضْبِ ؛

وهو الذى أفنى عمره فى تحصيل العلم اشتغالا ، وجد فى الطلب لصالح العمل وإن
تعالى ؛ وبقي فقيه قوم ماجد منهم مثله ماجد ، ولا جادت يد كريم منهم تمتد بما
هو جائد ؛ ودرج أقرانه إلى الله وحلى دونهم شرعا لا يرذ واردا ، وخلف بعدهم
سهما فى الكفاة واحدا .

وكان المجلس العالى - أدام الله تأييده - هو الذى تحتال به المناقب ، وتختار
فضائله العواقب ؛ وتشرق بقلبه الفتاوى إشراق النهار ، وتغدق منافع إغداق
السحب بالأمطار ، وتحدق به الطلبة إحداق الكيمة بالتمر والهالات بالأقمار ؛
وهو شافى عي كل شافى ، ودواء ألم كل ألمى ؛ طالما جانب جنبه المضاجع
سهادا ، وقطع الليل ثم استمده لمدد فتاويه مدادا ؛ وجمع بين المذهبين نظرا وتقليدا ،
والمذهبين من القولين قديما وجديدا ؛ وسلك جميع الطرق إلى مذهب إمامه ،
وملك حسانها فاسفر له [كل] وجه تغطى من أوراق الكتب بلثامه ؛ وأنفحت
[بفهمه] لتصانيف أبواب شغلت « القفال » أقالها ، وتفتحت له تفتحات
ما « لساوردى » مثالها ، وسفحت ديم غزار يسقى « المزنى » سجالها ، ومنحت حلالا
يفخر « الغزالي » إذا تسج على منواله سر بالها .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يحدد ملايس فضله ، ويقلد كل عمل لصالح
أهله - أن يفوض إليه قضاء قضية الشافعية بدمشق المحروسة وأعمالها وجنودها
وضواحيها ، وسائر الممالك الشامية المضافة إليها والمنسوبة لها والمحسوبة فيها ؛ يوئى
ذلك ولاية صحيحة شرعية ؛ على عادة من تقدمه وقاعدته المرعية ؛ مع ما هو مضاف
إلى من كان قبله من تدريس المدارس ، تفويضا لا ينافسه فيه منافس ، ولا يجالس
فى درسه إلا من ارتضى من النجوم ان يجالس ؛ وأذنا له أن يستنيب عنه من

لا يَجْبَلُ عند الله ولا عِنْدَنَا بِاسْتِدَائِهِ، ولا يَدْخُلُهُ ظَنُّ فِي خَلَاصِ ذِمَّتِهِ بِإِنَابَتِهِ إِلَى الله فِي نِيَابَتِهِ؛ عَلَى أَنَّهُ يَتَفَقَدُ أَعْمَالَهُمْ، وَيَتَصَفَّحُ أَحْوَالَهُمْ: فَمَنْ نَقَلَ إِلَيْهِ نِقَاتَهُ أَنَّهُ عَلَى طَرِيقِ مُسْتَقِيمِ أَقْرَهُ، وَإِلَّا صَرَفَهُ ثُمَّ لَا يَكُونُ لَهُ إِلَى عَمَلِهِ كَرَهُ؛ وَهُوَ الْقَائِمُ بِحُجَّةِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ وَحُجَّةِ الله عَلَيْهِ قَائِمُهُ، وَعَلَيْهِ إِنْ قَصَرَ - وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ - فِي أُمُورِهِ تَعُودُ الْأَلَامَةُ؛ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ مَا كُنَّا نَعْرِفُكَ عِيَانًا، وَإِنَّمَا وَصِفْتُمْ لَنَا حَتَّى كَأَنَّكَ نَزَاكَ وَسَمِعْتُمْ بِمَا نَحْنُ عَلَيْهِ حَتَّى كَأَنَّكَ تَرَانَا؛ فَشَيْدٌ لِمَنْ شَيْدَكَ لَكَ شُكْرُهُمْ أَرْكَانًا، وَأَعْلَى ذِكْرُهُمْ لِمَجْدِكَ بِنِيَانًا، وَجَعَلَ لَكَ قَدْرَهُمْ الْجَمِيلُ مِنَّا سُلْطَانًا؛ وَأَقِمْ بِحُسْنِ سُلُوكِكَ عَلَى مَا قَالُوا فِيكَ بُرْهَانًا؛ وَأَعْرِفْ لَهُمْ حَقَّ مَعْرُوفِهِمْ وَجَازِهِمْ عَنِ حُسْنِ ظَنِّهِمْ بِالْحَسَنَاتِ إِحْسَانًا.

وَنَحْنُ نُوصِيكَ بِوَصَايَا تَشْهَدُ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْكَ بِبَلَاغِهَا، وَيَعْتَرِضُ مِنْهَا فِي الْخُلُوقِ شَيْئًا: فَأَيُّ الرِّجَالِ يَقْدِرُ عَلَى مَسَاغِهَا؛ فَإِنْ قُدِمَتْ بِهَا كَانَ لَنَا وَلَكَ فِي الْأَجْرِ أَشْتِرَاكٌ، وَإِنْ أَضَعَّتْ حَقُوقَهَا فَاللهُ يَعْلَمُ أَنَّا أَخْرَجْنَا هَذِهِ الْأَمَانَةَ مِنْ عُنُقِنَا وَقَلْدَانَا، وَاللهُ وَمَلَائِكَتُهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ شُهُودٌ عَلَى مَا أَوْلَيْنَاكَ وَمَا وَايَيْنَاكَ؛ فَعَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ فِي السِّرِّ وَالْإِعْلَانِ، وَالْعَمَلِ بِمَا تَعَلَّمَهُ سِوَاءَ رِضَى فُلَانٍ أَوْ سَخِطِ فُلَانٍ؛ وَالْإِتِّهَاءِ إِلَى مَا يَقْتَضِيهِ عُمُومُ الْمَصَالِحِ، وَإِمْضَاءِ كُلِّ أَمْرٍ عَلَى مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلْفُ الصَّالِحُ؛ وَإِنَامَةِ حُدُودِ اللهِ وَلَا تَتَعَدَّ حُدُودَهُ، وَقَمْعِ الْبِدْعِ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ لَا لِإِثَارَةِ فِتْنَةٍ مَقْصُودَةٍ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ مَا أَنْكَرْتَهُ أَنْتَ وَأَمْسَأَلْتَكَ مِنَ الْأُئِمَّةِ الْعُلَمَاءِ عَلَى مَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ تَسْرِعِهِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ، وَتَطَّلَعَهُ إِلَى مَطَالِبِ سَقَطِ دُونِهَا فِي مَهَاوِي الْمَهَالِكِ؛ فَإِيَّاكَ إِذَاكَ أَنْ تَتَّبِعَ فِي هَذَا النَّحْوِ سُبُلَهُ، أَوْ «تَتَّبِعَ» عَنِ خُلُقِي وَتَأْتِي مِثْلَهُ».

والصدقات الحكيمة على مادة المساكين ، وجادة الشاكرين ؛ ففرقتها على أهلها ،
وأجمع لك الحسنات عند الله بتبديد شملها ؛ ولا تبقى منها بقية تبقى معرضة لا كلها ،
فلو أراد واقفوها - رحمهم الله - أنها تبقى مخزونة ، لما سمحوا ببذلها ؛ وبقية الأوقاف
شارف في أمورها ، وشارك الواقفين - رحمهم الله - في أجورها ؛ وخص الأوسرى -
أحسن الله خلاصهم - بما يصل به إحسانك إليهم ، ويضع عنهم إصرهم والأغلال
التي كانت عليهم .

والآيتام - جبرهم الله - : منهم الطفل والمميز والمرادق ومن لم يملك رشده ، أو من
يحتاج أن يبلغ في جواز التصرف أشده ؛ وكل هؤلاء فيهم من لا يعلم من يضره ممن
ينفعه ، ولكن الله يعزفه وفي أعماله يرفعه ؛ فاجتهد أن تكون فيهم أبا براء ، وأن
تتخذ فيهم عند الله أجرا ، وأن تعامل في بينك بمثل ما علمتهم إذا أنقبت إلى الدار
الأخرى ، وأحفظ أموالهم أن تنهكها أجرة العمال ، وترجع في قراضها إلى ما ينجح
بروس الأموال ؛ ومثل أعمالك [المعروضة] على الله في صحائفها المعروضة ، وأحذر
من المعاملة لهم إلا بفائدة ظاهرة وردن مقبوضة .

واللهات الدينية هي بضاعة حفظك ، ووداعة لحظك ، فلا تول كل جهة إلا من
هو جامع لشرطها ، قائم بموازن قسطها .

والشهود هم شهداء الحق ، وأمناء الخلق ؛ وعلى شهادتهم تبنى الأحكام ، وإياك
والبناء على غير أساس ثابت فإنه سريع الانهدام ؛ ومنهم من يشهد في قيمة المثل
ويتعين أن يكون من أهل البلد الأمثل ، لأنه لا يعرف القيمة إلا من هو ذو وسعة
ممول ؛ ومنهم من أذن له في العقود فامنع منهم من تسهل بسبب من الأسباب ، وما
تمهل إشفاقا لاختلاط الأنسال والانساب ؛ يقبل بالتعريف ما يخلو من الموانع

الشرعية من كان، ولا يُحسِن في تزويجه يُمسك إمساكاً بمَعْرُوفٍ ولا يُسرحُ تَسْرِيحاً
 بإحسان؛ وهؤلاء مَفاسِدُهُمْ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى، والبلاء بهم أكبر من أن يُسْتَقْصَرَ
 أو يُسْتَقْصَى؛ فاعتبر أحوالهم اعتباراً جليلاً، وفكر في استدراك فإرطهم فكراً مالياً؛
 ومن لم يكن له من العلم والدين ما يوضح له المشتبهات، فإنك وتركه فربَّ معتقده أنه
 يظاً وطأ حلالاً وقد أوقعه هدأ ومثله في وطء الشبهات؛ ومنهم من يعمد إلى
 التحليل، ويرتكب منه محذوراً غير قليل؛ وهو بعينه نكاح المتعة الذي كان آخر
 الأمرين من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ انتهى عنه، وقام أمير المؤمنين عُمَرُ
 ابن الخطاب رضي الله عنه محذراً منه؛ فأحسِم هذه المادة الرديئة التي تؤلم أعضاء
 فيسرى إلى سائر الأعضاء أئمتها، وسبق في كثير من الدراري المولودة من هذه الأنكحة
 الفاسدة نائمها .

والرسلُ والوكلاءُ يجلس الحكم العزیزونَ مِنْ يَأْمُرُكَ فِي الصَّدَقَاتِ، وما نزل في أمور
 ما يريدون بها تقليد حكامك بل ما يقضون به الأوقات؛ فلا تدع ممن تريد منهم
 إلا كل مشكور الطريق، مشهور القصة بين الخصوم بطلب التوفيق .

والمكاتبُ هي سهامك النَّافِذَةُ، وأحكامك المؤاخذه؛ فسدد مراميتها، ولا
 تُردفها ما عرض عليك من الأحكام حتى لا يسرع الدخول فيها؛ والمخاضُ هي محل
 التقوى، فاجتهد فيها اجتهاداً لا تندر معه ولا تُبقي .

وأما قضايا المتحاكين إليك في شكواهم، والمتحاكين في دعاويهم، فانت بهم
 خبير، ولهم ناقد بصير؛ فإذا أتوك لتكشف بحكمهم لأوائهم، فأحكم بينهم بما أراك الله
 ولا تتبع أهواءهم؛ وقد فقهك الله في دينه، وأوردك من موارد يقينه، ماجعله لك

نُورًا، وَجَلَّاهُ لَكَ سُفُورًا ؛ وَأَقَامَهُ عَلَيْكَ سُورًا ، وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ مِنْهُ أُمُورًا ،
فَإِنْ أَشْكَلَ عَلَيْكَ أَمْرٌ فَرُدَّهُ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَإِجْمَاعِ
أَصْحَابِهِ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فَعِنْدَكَ مِنَ الْعُلَمَاءِ مَنْ تَجْعَلُ الْأَمْرَ بَيْنَهُمْ شُورَى ؛ وَلَا مِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
عَمْرَبِينَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كِتَابُ كِتَبِهِ إِلَى بَعْضِ الْقُضَاةِ ، فَاعْمَلْ بِمَقْتَضَاهُ ،
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ آرْتَضَاكَ لِحُلُقِهِ فَاعْمَلْ عَلَى رِضَاةِ .

وَالْأئِمَّةُ الْعُلَمَاءُ هُمْ إِخْوَانُكَ فِي الدِّينِ ، وَأَعْوَانُكَ عَلَى رَدِّعِ الْمُبْتَدِعِينَ ، وَلِسَانُكَ
فِي الْحُفْلِ وَجَنَاحُكَ إِذَا جَلَسُوا ذَاتَ الشِّمَالِ وَذَاتَ الْيَمِينِ ؛ فَتَرْتَمِ مَنْزِلَهُمُ الَّتِي أَحْلَمَهُمُ
اللَّهُ فِي شُرْفَاتِهَا ، وَبَوَاهُمُ رَفِيعُ غُرْفَاتِهَا ، وَتَأْتَلَفُ خَوَاطِرُهُمْ فَإِنَّكَ تَنْظُرُ إِلَى كَثِيرٍ
مِنَ الْأُمُورِ فِي صَفَاءِ مُصَافَاتِهَا .

وَمَنْ نُسِبَ إِلَى خِرْقَةِ الْفَقْرِ وَأَهْلِ الصَّلَاحِ هُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الْمُقْرَبُونَ ، وَأَحْبَابُهُ
الْأَقْرَبُونَ ، فَعَظُمَ حَيَاتُهُمْ ، وَجَانِبَ مَحَابَاتِهِمْ ، فَمَا مِنْهُمْ وَإِنْ آخَتَلَفَتْ أَحْوَالُهُمْ إِلَّا مِنْ
هُوَ عَلَى هُدًى مُبِينٍ ، وَأَحْرِصْ أَنْ تَكُونَ لَهُمْ حَبِيبًا يَمَلَأُ قُلُوبَهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْظُرُ إِلَى قَوْمٍ
مِنَ قُلُوبِ قَوْمٍ آخَرِينَ .

وَأَنْتَصِبْ لِلدَّرُوسِ الَّتِي تَقَدَّمَتْ بِهَا عَلَى وَافِدِ الطَّلِبَةِ فَإِنَّ الْكِرَامَ لَا يَمْحَقُهُ الْاِحْتِمَاسُ ،
وَالْمُصْبِحَ لَا يُفْنِي مُقْلَهُ كَثْرَةُ الْاِحْتِمَاسِ ، وَالغَمَّ لَا يَنْقُصُهُ تَوَالِي الْمَطَرِ وَلَا يَزِيدُهُ طُولُ
الْاِحْتِمَاسِ ، وَالْبَحْرَ لَا يَتَغَيَّرُ عَنْ حَالِهِ وَهُوَ لَا يَخْلُو عَنِ الْوُرَادِ فِي عَدَدِ الْأَنْفَاسِ .

وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَإِنَّمَا هَذِهِ نُبْدَةٌ جَامِعَةٍ ، وَبَارِقَةٌ لِأَمِعَةٍ ؛ وَمَنْتَكَ يُسْتَفَادُ بِسَاطِ
الْقَوْلِ ، وَأَنْبَسَاطِ الطُّوْلِ ؛ وَلِهَذَا يُكْتَفَى بِمَا فِيكَ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَكْفِيكَ ، وَيُجِصِي
حِسَابَ أَعْمَالِكَ الصَّالِحَةِ لِيُوفِيكَ ؛ حَتَّى تَجِدَّ فَلَا يَتَخَلَّفُ بِكَ السَّيْرُ ، وَتُسْتَعِدَّ لِيُحْتَمَّ لَكَ
بِحَامَةِ الْخَيْرِ ، وَالْاِعْتِمَادِ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ .

(١) فِي الْأَصْلِ « حَلَا مَلَا فِي قُلُوبِهِمْ » فَأَمَل .



قلت : وهذه نسخة توقيع بقضاء ، أنشأته بدمشق للقاضي «شرف الدين مسعود»

وهي :

الحمد لله الذي شيد أحكام الشرع الشريف وزاد حكامه في أيامنا شرفا ، ورفع
منار العلم على كل منار وبوأ أهله من جنات إحساننا غرفا ، وأباح دم من ألد فيه
عنادا أو وجه إليه طعنا ، وأوجب الانقياد إليه بقوله تعالى : ﴿ إِمَّا كَانَ قَوْلَ
الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ﴾ ، وألهم
الصواب في اختيار من لم يزل لهذه الرتبة معدا ومن رجالها معدودا ، وصرف وجه
إقبالنا إلى من ارتضيناه للسامين حاكما فأصبح بنظرنا مسعودا .

نحمده حمد من أعنى بالقيام بشرائع الإسلام وتَعْظِيم شَعَائِرِهِ ، وَنَصَحَ لِلرَّعِيَّةِ
فِيمَنْ وَّلاَهُ عَلَيْهِمْ وَأَعْطَى مَنْصِبَ الشَّرْعِ حَقَّهُ بِتَقْدِيمِ أَكْبَرِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يُقْضَى لِصَاحِبِهَا بِالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ ، وَيُسَجَّلُ لِقَائِهَا بِالثَّبُوتِ
فِي دِيْوَانِ الْأَبْرَارِ ؛ وَأَنْ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَطَ الْإِيمَانَ بِالرِّضَا بِحُكْمِهِ
وَأَوْجَبَ طَاعَتَهُ أَمْرًا وَنَهْيًا وَأَسْتِجَابَةً وَتَحْكِيمًا ، فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجْعِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا
تَسْلِيمًا ﴾ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَحْنُ بِسَيْرِهِمْ مُهْتَدُونَ ، وَبِآثَارِهِمْ
مُقْتَدُونَ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْكِرَامِ الَّذِينَ قَضَوْا بِالْحَقِّ وَبِهِ كَانُوا يَعْدِلُونَ ؛ صَلَاةٌ
لَا يَخْتَلَفُ فِي فَضْلِهَا آثَانٌ ، وَلَا يَتَنَازَعُ فِي قَبُولِهَا خَصْمَانٌ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فلما كانت مرتبة الشرع الشريف هي أعلى المراتب ، ومنصب حكامه
في الوري أرفع المناصب ؛ إليه تنتهي المخاصمات فيفصلها ثم لا تعدوه ، ويحكم فيه على

الخصم فَيُدْعِنُ لِحُكْمِهِ ثُمَّ لَا يَسْنُوهُ ؛ بل يَتَفَرَّقُ الْخَصْمَانِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا بِمَا قُضِيَ لَهُ وَعَلَيْهِ رَاضٍ ، وَيَقُولُ الْمُتَمَرِّدُ الْخَائِرُ لِحَاكِمِهِ : قَدْ رَضِيتُ بِحُكْمِكَ فَاقْضِ فِي مَا أَنْتَ قَاضٍ ؛ وَنَاهِيكَ بِرُتْبَةٍ كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ الْمُتَصَدِّقُ لِلْقِيَامِ بِوَاجِبِهَا ، وَالْخَلْفَاءُ الرَّاشِدُونَ - رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ - مُحَافِظِينَ عَلَى أَدَائِهَا رَوَاتِبِهَا ؛ ثُمَّ أَخْتَصَّ بِهَا الْعُلَمَاءُ الَّذِينَ هُمْ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ مِنَ الْخَلِيقَةِ ، وَأَسْتَأْذَرُوا بِهَا دُونَ غَيْرِهِمْ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ فَهَمُ أَهْلُهَا عَلَى الْحَقِيقَةِ ؛ إِذْ لَا يُؤْهَلُ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ إِلَّا مَنْ آرْتَقَى إِلَى دَرَجَاتِ الْكَمَالِ ، وَأَتَّصَفَ بِأَحْسَنِ الْأَوْصَافِ وَأَحْتَوَى عَلَى أَتَمِّ الْخِصَالِ ؛ وَتَضَلَّعَ مِنَ الْعِلْمِ الشَّرِيفِ بِمَا يُرْوَاهُ ، وَفَاقَ فِي الْعَقْلِ وَالنَّقْلِ بِمَا يَبْحَثُهُ وَيُرْوَاهُ .

ولما كان المجلس الفلاني : هو عين هذه القلادة وواسطة عقدها ؛ وقطب دائرته وملاك حلها وعقدتها ؛ إذ هو « شريح » الزمان ذكرا ، و « أبو حامد » سيرة و « أبو الطيب » نثرا ؛ لاجرم ألبسته أيامنا الزاهرة من الحكم توباً جديداً ، وأفاض عليه إناعمنا نحلة نعقبها - إن شاء الله تعالى - مزيدا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الشريعة المطهرة بمناصرتة في أعز صوان ، وحكامها بمعاضدته في أعلى درجة وأرفع مكان - أن يفوض إليه

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة مثله لمثلها ، وليعمل بما يعلمه من أحكامها فهو ابن بختها والخبير بمسالك وعيرها وسهلها ؛ فهو الحاكم الذي لا يساوى ، والإمام الذي يقتدى به في الأحكام والفتاوى ؛ فعليه بالتأني في الأحكام ، والتثبت فيما يصدر عنه من النقص والإبرام ؛ وليستظر في الأمر قبل الحكم المرة ثم الأخرى ، ويكرر النظر في ذلك ولو أقام شهرا ؛ ويراجع أهل العلم فيما وقف عليه ويشاورهم فما ندم من استشار ، ويقدم استشارة الله تعالى في سائر أموره فما خاب من استخار ؛ وليدبر

مع الحق كيف دار ، ويتبع الصواب أنى توجه ويقتفى أثره حيث سار ؛ وإذا ظهر له الحق قضى به ولو على آئنه وأبيه ، وأعزَّ أصدقائه وأخصَّ ذويه ؛ غير مُتَزِقٍ في فصل القضاء بين القوي والضعيف ، والوضيع والشريف ؛ ولا مُمَيِّزٍ في تنفيذ الحكم بين الغني والفقير ، والسوقة والأمير ؛ وليستوي بين الخصوم حتى في تقسيم النظر إليهم ، كما في موقف الحكم وسماع الدعوى ورد الأجوبة فيما لهم وعليهم ؛ وليستخلف من التواب من حسنت لديه سيرته ، وحمدت عنده طريقته ؛ ويوصي كلاً منهم بما نوصيه به ويبلغ في تأكيد وصيته ، ويستحضر السر في قوله صلى الله عليه وسلم : « أَلَا كَلَّمْتُ رَاجِعٌ وَكَلَّمْتُ مَسْئُولٌ عَنْ رِعِيَّتِهِ » . وليعين النظر في أمر الشهود الذين تترتب على شهادتهم أمور الدنيا والفروج والأموال ، ويتفقد أمرهم في كل وقت ولا يغفل عنهم في حال من الأحوال ؛ ويحملهم من الطرائق على أحسن وجهها ، وأحقهم بامعان النظر شهود القيمة والعمائر ، الذين يقطع بقولهم في أملاك الأيتام والأوقاف مما تنفر عنه القلوب وتنبو عنه الضمائر .

والوكلاء والمتصرفون فهم قوم فصل عنهم الشر فباعوه ، واستحفظوا الود فلم يرعوا حقه وأضاعوه ؛ فهم آفة أبواب القضاة بلا نزاع ، كيف وهم الضبائع الضارية والذئاب الحياض . وما تحت نظره من أوقاف المدارس والأسرى والصدقات ، وغيرها مما يقصد به واقفوه وجه البر وسبيل القربات ؛ يُحَسِّنُ النظر في وجوه مصارفها ، مع حفظ أحوالها الذي هو أغياً مراد واقفها .

وأهل العلم أبناء جنسه الذين فيهم نساء ومنهم نجم ، وجنده الذين يقصدونه بالفتاوى فيما قضى وحكم ؛ فليوقر لهم الإحسان ، ويصنع معهم من المعروف ما يبتغى ذكره على ممر الأزمان ؛ ومثله لا يحتاج إلى كثرة الوصايا ، وثوقاً بما عنده من العلم

بالأحكام والمعرفّة بالقضايا ؛ لَكِنَّ عَلَيْهِ بِتَقْوَى اللَّهِ وَمِرَاقِبَتِهِ يَكُنْ لَهُ مِمَّا يَتَّبِعُونَهُ
ظَهْرًا ، وَيَسْتَرُّشِدُهُ فِي سَائِرِ أُمُورِهِ يَجْعَلُ لَهُ مِنْ لَدُنْهُ هَادِيًا وَنَصِيرًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يَبْلُغُ وَائِقٍ أَمَلِهِ مِنْ كَرَمِنَا مَرَامًا ، وَيُوطِئُ لَهُ الْمِهَادَ بِيَلَدِهِ حَسُنْتَ مُسْتَقْرًا وَمُقَامًا .
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة المالكية بالشام ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين
محمود الحلبي تَعَمَّدَهُ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ جَاعِلِ الْمَذَاهِبِ الشَّرْعِيَّةِ فِي أَيَامِنَا الشَّرِيفَةِ زَاهِيَةً بِأَرْكَانِهَا الْأَرْبَعَةِ ،
مُسْتَقْرَةً عَلَى النَّظَامِ الَّذِي غَدَتْ بِهِ قَوَاعِدُ الْخُجَّةِ مُحْكَمَةً وَمَوَاقِعُ الرَّحْمَةِ مُتَّسِعَةً ، فَإِذَا خَلَا
رُكْنٌ مِنْ مَبَاشِرَةِ أَمْنِنَا مِنْ تَكُونِ الْقُلُوبِ عَلَى أَوْلِيَّتِهِ مُجْتَمِعَةً ، وَأَنْتَقِينَا لَهُ مِنَ الْإِثْقَاءِ
مَنْ تَغْدُو بِهِ الْأُمَّةُ حَيْثُ كَانَتْ مُتَّفِعَةً ، وَأَسْتَدْعِينَا إِلَيْهِ مَنْ تَغْدُو الْأَدْعِيَةُ الصَّالِحَةُ
لَنَا بِتَفْوِيضِ الْحُكْمِ إِلَيْهِ مُرْتَفِعَةً ؛ الَّذِي خَصَّ مَذْهَبَ « إِمَامِ دَارِ الْهَجْرَةِ »
بِكُلِّ إِمَامٍ هَجَرَ فِي التَّبَحُّرِ فِيهِ دَوَاعِي السُّكُونِ وَبَوَاعِثِ الدَّعَى ، وَجَمَلَ مَنْصَبَ حُكْمِهِ
بِمَنْ كُلِّ بَعْلُومِ الدِّينِ نَحَرَهُ فَإِذَا حَكَمَ غَدَتْ الْأَقْضِيَةُ لِحُكْمِهِ مُنْفَعِدَةً وَإِذَا قَضَى أَصْحَبَتِ
الْأَحْكَامُ لِأَقْضِيَتِهِ مُتَّبِعَةً .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ لَدَيْنَا كَالْأَسْتَفْهَامِ الَّذِي لَهُ
صَدْرُ الْكَلَامِ ، وَبِمَثَابَةِ النِّيَّةِ الْمَقْدَمَةِ حَتَّى [عَلَى] تَكْبِيرَةِ الْإِحْرَامِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أَثْبَتَ الْإِخْلَاصَ حُكْمَهَا ، وَأَحْكَمَ الْإِيمَانَ عِلْمَهَا ،
وَأَبْقَى الْيَقِينَ عَلَى صَفْحَاتِ الْوُجُوهِ وَالْوُجُودِ وَتَمَمَّهَا الْمَشْرِيقَ وَأَسْمَمَهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ فِي الْإِقْرَارِ بِفَضْلِهِ ، وَأَرْسَلَهُ (بِالْهُدَى)

وَبِالْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ)؛ وَخَصَّهُ بِالْكَتَابِ الَّذِي أَنْحَسَ الْأُمَّةَ عَنْ مُجَارَاتِهِ
 فَلَوْ (أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْحَيُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ)؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِسُنَّتِهِ وَسُنَّتِهِ، وَأَوْصَحُوا شَرْعَهُ الشَّرِيفَ لِمَنْ تَلَقَّاهُ
 بَعْدَهُمْ مِنْ أُمَّةٍ أُمَّةً؛ صَلَاةٌ لَا تَزَالُ بِقَاعِ الْإِيمَانِ لِأَحْكَامِهَا مُنْبِتَةً، وَأَنْوَاءُ الْإِيقَانِ
 لِأَوْامِهَا مُقَلَّتُهُ^(١)؛ وَسَلْمٌ تَسْلِيماً كَثِيراً .

وَبَعْدَ، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ الْأَحْكَامُ الشَّرْعِيَّةُ تَتَوَقَّفُ عَلَى مَلَا حِظَةِ قَضَاءِ قَضَائِيهَا
 فِي غَالِبِ الْأُمُورِ، وَتَسْتَعِدُّ إِلَى مَرَّاجِعَةِ أُصُولِ حُكْمِهَا فِي أَكْثَرِ مَصَالِحِ الْجُمْهُورِ،
 لَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ مَرَّاعَةِ أُصُولِهَا الَّتِي إِنَّمَا تُتَوَبُّ الْفُرُوعُ عَنْهَا، وَتَدْبُرُ أَحْوَالَ أَحْكَامِ
 حُكْمِهَا الَّتِي تَنْشَأُ أَقْضِيَةَ النَّوَابِ مِنْهَا؛ وَلِذَلِكَ لَمَّا أَصْبَحَ مَنْصِبُ قَضَاءِ الْقَضَاةِ عَلَى
 مَذْهَبِ الْإِمَامِ «مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ» رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ لَضَعْفِ مَبَاشِرِهِ
 الْمْتَدِّ، فِي حُكْمِ الْحَالِي، وَتَعْطَلُ بِعَجْزِهِ الْمَشْتَدِّ، مِمَّا أَلْفَ بِهِ قَدِيمًا الْإِلْهَامَ
 الْحَالِي؛ وَتَمَّادَى ذَلِكَ إِلَى أَنْ تَرَقَّى النَّاسُ مِنْهُ إِلَى دَرَجَةِ الْيَقِينِ؛ وَتَنَاهَى الْحُكْمُ فِيهِ
 إِلَى أَنْ يَبِينُ أَنْ يُرْتَادَ مِنْ يَتَعَيَّنَ لِمِثْلِهِ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُتَّقِينَ؛ لِئَلَّا يَخْلُوَ هَذَا الْمَذْهَبُ مِنْ
 قَاضِي قَضَاةٍ يُقِيمُ مَنَارَهُ، وَيُدِيمُ أَنْوَارَهُ، وَيَرْفَعُ شِعَارَهُ، وَيُجِيئُ مَأْتِرَ إِمَامِهِ وَأَنْوَارَهُ،
 وَيُؤْمِنُ كَمَا أَلْفَهُ أَنْ يُعَاوَدَ سِرَّارَهُ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ، الْقَاضِي، الْفَخْرِيُّ،
 هُوَ الَّذِي لَا يَبْعُدُوهُ الْأَرْتِيَادَ، وَلَا يَقِفُ دُونَهُ الْإِتْقَانُ وَالْإِتْقَادَ، وَلَا تَجَاوِزُهُ الْإِصَابَةُ
 فِي الْأَجْتِهَادِ؛ لِمَا عَلَيْهِ مِنْ عِلْمٍ جَعَلَهُ مَخْطُوبًا لِلنَّاصِبِ، وَعَمَلٍ تَرَكَهُ مَطْلُوبًا لِلرَّائِبِ
 الَّتِي لَا تُدْعَى لِكُلِّ طَالِبٍ؛ وَتَقَى أَعَادَهُ مُرْتَقِيًا لِكُلِّ أَفْقٍ لَا يَصْلُحُ لَهُ كُلُّ شَارِقٍ،
 وَوَرَعَ فَتَحَ لَهُ أَبْوَابَ التَّلَقُّقِ بِالْأَسْتِدْعَاءِ وَإِنْ لَمْ تُفْتَحْ لِكُلِّ طَارِقٍ؛ وَقَدْ هَجَرَ الْكِرَا
 فِي تَحْصِيلِ مَذْهَبِ «إِمَامِ دَارِ الْمَجْرَةَ» إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ، وَأَنْفَقَ مُدَّةً

(١) الْأَوْامِ شِدَّةُ الْعَطَشِ وَمَقْلَةُ مَهْلِكَةٍ .

مُحْمَرِهِ فِي آفْتَاءِ فَوَائِدِهِ إِلَى أَنْ حَصَلَ مِنَ الثَّرْوَةِ بِهَا عَلَى مَا حَصَلَ ، فَسَارَتْ فَتَاوِيهِ فِي الْآفَاقِ ، وَنَمَتْ بَرَكَاتُ فَوَائِدِهِ الَّتِي أَنْفَقَهَا عَلَى الطَّلَبَةِ فَزَكَتْ عَلَى الْإِنْفَاقِ - آفَتْضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنَّ نُبِيَّ نَحْرَ هَذَا الْمَنْصَبِ الْجَلِيلِ بَفَخْرِهِ ، وَأَنْ نُحْصِ هَذَا الْمَذْهَبَ النَّبِيلَ بِذَنْرِهِ ، وَأَنْ نُحَلِّيَ جِيدَهُ بِمَنْ تَقَلْنَا إِلَى وَشَامِ الْوَسَامِ مَا كَانَ مِنْ حُسْنِ شَنْبِ الْعِلْمِ مُحْتَصَاً بِتَغْرِهِ .

فَرَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ لِأَحْكَامِ الشَّرْعِ مُقِيَا ، وَلِلنَّظَرِ الشَّرِيفِ فِي عُمُومِ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ وَخُصُوصِهَا مُدِيمَا ، أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ لِمَا تَقَدَّمَ مِنْ تَعْيِينِهِ لَذَلِكَ ، وَتَبَيَّنَ مِنْ أَنَّهُ لِحُكْمِ الْأَوْلَوِيَّةِ بِهَذِهِ الرَّتْبَةِ فِي مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ مَالِكِ .

فَلَيْلِ هَذِهِ الْوِظَافَةِ حَاجِكًا بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ مِنْ مَذْهَبِهِ ، مُرَاعِيًا فِي مَبَاشَرَتِهَا حَقَّ اللَّهِ فِي الْحُكْمِ مِنْ عِبَادِهِ وَحَقَّ مَنْصِبِهِ ، بِمَجْتَهِدًا فِيمَا تَبَرَّأُ بِهِ الذَّمُّ مِنَ الْوُقُوفِ مَعَ حُكْمِ اللَّهِ فِي حَالَتِي رِضَاهُ وَغَضَبِهِ ، وَاقِفًا فِي صِفَةِ الْقَضَاءِ عَلَى مَا نُصِّ فِيهِ مِنْ شُرُوطِهِ وَأَوْضَحَ مِنْ قَوَاعِدِهِ وَشُرِّحَ مِنْ أَدَبِهِ ، مُمَضِيًا حَقُوقَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا يَقْتَضِيهِ رَأْيُ إِمَامِهِ ، مُتَوَجِّجًا الْحُكْمَ بِنُصُوصِهِ الْمَجْمُوعِ هَلِيمًا مِنْ أُمَّةٍ مَذْهَبِهِ فِي تَقْضِي كُلِّ أَمْرٍ وَإِبْرَامِهِ ، جَارِيًا فِي ذَلِكَ عَلَى قَوَاعِدِ أَحْكَامِ هَذَا الْمَذْهَبِ الَّذِي كَانَ مُشْرِقًا فِي ذَلِكَ الْأُفُقِ بِجَمَالِهِ وَزَيْنِهِ ، وَاقِفًا فِي ذَلِكَ جَمِيعَهُ مَعَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي وَيَدْرُ بَعِيْنَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسُدُّهُ فِي قَوْلِهِ وَعَمَلِهِ ، وَيَبْلُغُهُ مِنْ رِضَا نِهَائِيَّةِ سُؤْلِهِ وَغَايَةِ أَمَلِهِ ، بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الحسابة ، كُتِبَ بِهَا لِلْقَاضِي عَلَاءِ الدِّينِ

«منجى التنوخي» وهي :

الحمد لله الذي رفع بعلاء الدين قضاء قضائيه، وأوضح الهدى في القيام في توليتهم بمفترضاته، وأعلى منار الشرع بما أوقفهم عليه من أحكامه ووقفهم له من مرضياته .

نحمده حمدا نستعيد من بركاته، ونستعيد به أن نفضل في ضوء مشكاته، ونستعين عليه رب كل حكم بمدنا قلبه بسكونه وقلمه بجر كاته، ويثبت من جميل محضره لدينا ما يرفع مس شكاته، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يستودع إخلاصها في قلوب تقائه، وتفوض أحكامها إلى تقائه، ويحجى سرحها من أبطال الخلال والحدال بكل مشتاق إلى ملاقاته، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل من حكم بما أنزل الله من آياته، وجاهد في الله برأيه ورآياته، وشرع من الدين ما يحجى المتمسك به من غواياته، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أقام شرعه منهم بركاته، وجعل حكمهم دائم النفوذ أبدا بأقلام علمائه وسيوف حماته، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فنصب الحكم الذي به تفصل الأمور، وتفرج له الصدور، وتتسد أقلام حكمه سباما، وتفيض عماما، وتعلم منه الأسود زئيرا، ويطول السيف صليلا والرمح صريرا، وتنصب بين يدي حكمه الأقدام، وتنصف على أحكامه الخصام^(١)، وتكس الرؤوس هيبته أطرافا، وتغض المقل فتأذير جفونا ولا تقلب أحداقا، ويحجى بتصرفه قلم القضاء، ويحجى مرهفه البروق فتقرله بالمضاء، وقد شيد الله مبانيه في ممالك الشريفة مصرا وشاما على أربعة أركان، وجمع في قضائه الأئمة الأربعة لتكمل بهم فصول الزمان، ومذهب الإمام أبي عبد الله «أحمد بن حنبل» رضي الله عنه هو بالسنة النبوية الطراز المذهب، وطريقة

(١) الخصام جمع خصم كبحر وبحار. انظر المصباح.

السلف الصالح في كلِّ مذهب ؛ وقد تجنَّب من سلف من علمائه التأويل في كثير ،
ووقف مع الكتاب والسنة وكلِّ منهما هو المصباح المنير .

وكانت ديمشق المحروسة هي مدار قُطُوبهم ، ومطلع شُموسهم ونجومهم وشهُبهم ؛
وأهلها كثيراً ما يحتاجون إلى حاكم هذا المذهب في غالب عقد كل بيع وإيجار ،
ومزارعة في غلال ومساقاة في ثمار ، ومصالحية في جوانح سماوية لا ضرر فيها
ولا ضرار ، وتزويج كلِّ مملوك أذن له سيده بجزء كريمه ، وأشرط في عقد بان
تكون المرأة في بلدها مقيمة ؛ وفسخ إن غاب زوجها ولم يترك لها نفقة ولا
أطلق سراحها ، وبيع أوقاف دائرية لا يحد أرباب الوقف نفعا بها ولا يستطيعون
إصلاحها .

فلما استأثر الله بمن كان قد تكلم هذا المنصب الشريف بشرفه ، وتجلل منه
ببقية سلفه ؛ حصل الفكر الشريف فيمن نقله هذه الأمانة في عنقه ، ونهى هذا
المنصب بطلوع هلاله في أفقه ؛ إلى أن ترجح في آرائنا العالية المرحح المرجح ، وتعين
واحداً لما ابتلى الناس بالقضاء كان المنجى ابن المنجى ؛ طالما تطرقت له الفتاوى
بالأقلام ، وألفت به حلقة إمام ، وخاف في طلب العلم من مضايقة الليالي فما نام
- آقتضى حسن الرأي الشريف أن يفوض إليه قضاء القضاة بالشام المحروسة على
مذهب الإمام الرباني « أحمد بن حنبل » الشيباني ، رضى الله عنه .

فليحكم في ذلك بما أراد الله من علمه ، وآناه من حكمه ؛ وبينه له من سبل
الهدى ، وعينه لبصيرته من سنن نبيه صلى الله عليه وسلم التي من حاد عنها فقد جار
وأعدى ؛ ولينظر في أمور مذهبه ويعمل بكل ما صحَّ نقله عن إمامه ، وأصحابه
من كان منهم في زمانه ومن تخلف عن أيامه ؛ وقد كان - رحمه الله - إمام حق

نَهَضَ وَقَدْ قَعَدَ النَّاسُ تِلْكَ الْمُدَّةَ ، وَقَامَ نَوْبَةَ الْمِحْنَةِ وَقَامَ «سَيِّدُ تَيْمٍ» ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
نَوْبَةَ الرَّدِّهِ ، وَلَمْ تَهَبْ بِهِ زُعَايُغُ «الْمَرِّيَّيْنِ» وَقَدْ هَبَّتْ مَرِيَسَا ، وَلَا «أَبْنُ أَبِي دُوَادٍ»
وَقَدْ جَمَعَ كُلُّ ذَوْدٍ وَسَاقَ لَهُ مِنْ كُلِّ قُطْرٍ عَيْسَا ، وَلَا نَكَتْ عَهْدَ مَا قَدَّمَ إِلَيْهِ «الْمَامُونُ»
فِي وَصِيَّةِ أَخِيهِ مِنَ الْمَوَاتِقِ ، وَلَا رَوَعَهُ صَوْتُ «الْمَعْتَصِمِ» وَقَدْ صَبَّ عَلَيْهِ عَذَابُهُ
وَلَا سَيِّفُ «الْوَاتِقِ» ، فَلْيُقَفِّ عَلَى آثَرِهِ ، وَلْيَقِفْ بِمَسْنَدِهِ عَلَى مَذْهَبِهِ كُلِّهِ أَوْ أَكْثَرِهِ ،
وَلْيَقْبِضْ بِمُفْرَدَاتِهِ وَمَا آخْتَارَهُ أَصْحَابُهُ الْأَخْيَارُ ، وَلْيَقْلُدْهُمْ إِذَا لَمْ تَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ ،
وَلْيَحْتَرِزْ لِدِينِهِ فِي بَيْعِ مَادَثَرٍ مِنَ الْأَوْقَافِ وَصَرَفِ ثَمَنِهِ فِي مِثْلِهِ ، وَالْأَسْتِبْدَالَ بِمَا فِيهِ
الْمَصْلَحَةُ لِأَهْلِهِ ، وَالْفَسْخَ عَلَى مَنْ غَابَ مَدَّةً يَسُوغُ فِي مِثْلِهَا الْفَسْخُ وَتَرَكَ زَوْجَةً
لَمْ يَتْرِكْ لَهَا نَفَقَةً ، وَخَلَّاهَا وَهِيَ مَعَ بَقَائِهَا فِي زَوْجِيَّتِهِ كَالْمُعَلَّقَةِ ، وَإِطْلَاقِ سَرَاحِهَا
لِتَتَرَوَّجَ بَعْدَ ثَبُوتِ الْفَسْخِ بِشَرْطِهِ الَّتِي يَبْقَى حُكْمُهَا بِهِ حَكْمَ الْمُطَلَّقَةِ ، وَفِيمَا يَمْنَعُ مُضَارَّةَ
الْحَارِ ، وَمَا تَفَرَّعَ عَلَى قَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ» . وَأَمْرٍ وَقَفِ
الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ وَإِنْ رَأَى سِوَى أَهْلِ مَذْهَبِهِ ، وَطَلَعَتْ بِهِ أَهْلَةً عُلَمَاءَ لَوْلَاهُمْ
لَمَّا جَلَّ الزَّمَانُ جُنْحَ غَيْبِهِ . وَكَذَلِكَ الْخَوَائِجُ الَّتِي يَخْفَفُ بِهَا عَنِ الضَّعْفَاءِ وَإِنْ كَانَ
لَا يَرَى بِهَا الْإِلْزَامَ ، وَلَا تَجْرِي إِلَّا بِجَرَى الْمَصْلَحَةِ دَلِيلَ الْإِلْتِمَامِ . وَكَذَلِكَ الْمُعَامَلَةُ الَّتِي
لَوْلَا الرُّخْصَةُ عِنْدَهُمْ فِيهَا لَمَّا أَكَلُ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْحَرَامَ الْمُحْضَ ، وَلَا أَخَذَ قِسْمَ
الْفَسَالِ وَالْمُعَامَلُ هُوَ الَّذِي يَزْرَعُ الْبَذْرَ وَيَحْتَرُ الْأَرْضَ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ [مُحِيطُ]
بِمُفْرَدَاتِهِ الَّتِي هِيَ لِلرَّفْقِ جَامِعَةٌ ، وَلِلرَّعَايَا فِي أَكْثَرِ مَعَايِشِهِمْ وَأَسْبَابِهِمْ نَافِعَةٌ ، وَإِذَا
أَسْتَفْتَزَتْ الْأُصُولُ كَانَتْ الْفُرُوعُ لَهَا تَابِعَةٌ ، وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى .

(١) سيد تيم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه .

المرتبة الثانية^(١)

(من تواقع الوظائف الدينية بدمشق ، ما يكتب في قطع الثلث مفتحا
 بـ « الحمد لله » إن علت رتبة المتولى أو بـ « أمّا بعد حمد الله »
 إن انحطت رتبته عن ذلك بـ « المجلس السامى » وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى — قضاة العسكر . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة ،
 كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثانية — إفتاء دار العدل بدمشق . وبها أربعة : من كل مذهب
 واحد ، كما بالديار المصرية .

الوظيفة الثالثة — الحسبة .

وهذه نسخة توقيع بالحسبة الشريفة :

الحمد لله مجدد النعم في دولتنا الشريفة لمن صفت عليه ملائمتها ، ومضاعف
 الميث في أيامنا الزاهرة لمن ستمت به نفايتها ، ومولى الآلاء لمن بسق غرسها لديه
 فزهت بجماله ثمراتها وزكت مغارسها .

نحمده على نعمه التي تؤنس بالشكر أو أنسها ، وتؤسس على التقوى بحبالها ؛
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة استضاء بنور الإيمان قلوبنا ،
 وأجتنى ثمر الهدى غارسها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف من أنشئت به
 معالم التوحيد فعمر ديارها ، وأشرق دأبها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين
 قلوبهم مشاهد الذكر والسنتهم مدارسها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

(١) في الأصل الطبقة الثانية .

وبعد ، فإنَّ أَوْلَى من أَمْضَى له ما كان به أَمْرٌ ورُؤْيٌ ، وجُدِّدَ له من المَنَاصِبِ
الدِّينِيَّةِ ما عُرِفَ به من قَبْلُ ووُسْمٍ ، وأُثْبِتَ لَتَرْقِيهِ ما حُتِمَ له به من المراتب السنية
بمقتضى الاستحقاق وحُكْمٍ - من رَقَمَتْ أَوَامِرُنَا له حُلَّةَ مَنَصِبٍ يَجَدِّدُهَا الإحسان ،
وأَمَرَتْ له مَرَّاسِمُنَا بوظيفة تُؤَكِّدُ عَوَارِفَنَا الحِسان ، وَأَثَلَتْ [له] نِعْمُنَا مَنَصِبًا أَعَدَّ له
من كَجَالِ الأَهْلِيَّةِ أَكْمَلُ ما يُعَدُّه لذلك الإنسان .

ولما كان فلان هو الذى تحلَّى من إِحْسَانِنَا بما يأمن [معه] سعيد رتبته [من] العَطل ،
وَأَسَمَّ من رِثَانَا وَأَمْتِنَانَا بما هو فى حِكمِ المَسْتَقَرِّ له وإن أَلْوَى به الدَّهْرُ ومَطْلٌ -
أَفَضْنَى إِحْسَانُنَا أَنْ يُجَدِّدَ له مَوَاقِعَ النِّعم ، وَنُشِيدَ من رِجَائِهِ مَوَاضِعَ ما شَبِهَ له من البِرِّ
والكِرَمِ ، وَرِيَّ من عَدَقِ بِنَا رِجَاءَ أَمَلِهِ أَنَّنَا نَتَّعَاهِدُ سُقْيَا آمَانِ الأَوْلِيَاءِ والخِدم .

فلذلك رسم ... - لازل بره شاملا ، وبدؤه فى أفق الإحسان كاملا - أن يُفَوِّضَ إليه
نظر الحسبة ويستمر فى ذلك على حكم التوقيع الشريف الذى بيده : لِمَا سَبَقَ من
أخياره لذلك وأصطفائه ، وأدخاره لهذا المنصب من كُفَاةِ أَعْيَانِهِ وَأَعْيَانِ أَكْفَائِهِ ؛
وَلِمَا تَحَلَّى [به] من رِيَّاسِيَّةِ زَانَتِهِ عُقُودُهَا ، وَتَكَجَّلَ له من أَصَالَةِ ضَمَّتْ عليه حَبْرُهَا
وسمَّتْ به بَرُودُهَا ؛ وَتَجَمَّلَ به من تَزَاهِيَةِ أَشْرَفَتْ فى أَفْقِ صُعودِهَا إلى الرتبة الجلييلة
سُعودُهَا ، وَأَتَصَفَّ به من كَجَالِ مَعْرِفَةٍ تُجَزَّتْ له به من مَطَالِبِ المَنَاصِبِ وَعُعودُهَا .

فليأشر ذلك مُعْطِيًا هذه الوظيفة من حُسْنِ النَّظَرِ حَقَّهَا ، مُحَقِّقًا بِجَمِيلِ تَصَرُّفِهِ
تَقَدَّمَ أَوْلَوِيَّتِهِ وَسَبَقَهَا ؛ وَلِيَكُنْ لِأَمْرِ الأَقْوَاتِ مَلَا حِظًا ، وَعَلَى مَنَعِ ذَوِي العَسَدِ
من الإحتكار المضيقي على الضعفاء مُحَافِظًا ؛ وَعَلَى العِشِّ فى الأَقْوَاتِ مُؤَدِّبًا ؛ وَلِإِجْرَاءِ
المَوَازِينِ عَلَى حُكْمِ القِسْطِ مُرْتَبًا ؛ وَلِمَنْ يَرَفَعُ الأَسْعَارَ لِغَيْرِ سَبَبٍ رَادِعًا ، وَلِمَنْ لا يَزَعُهُ
الكلام من المَطْطَفِينَ بِالتَّأْدِيبِ وَأَزَا ؛ وَلِقِيمِ الأَشْيَاءِ مُحَرَّرًا ، وَلِقَانُونِ الجُودَةِ

في المَزْرُوعِ والمَوْزُونِ مُقَرَّرًا؛ ولِدَوِي الهَيْثَاتِ بلزوم شرائط المَرْوَةِ آخِذًا، وعلى تَرْكِ
الْجَمْعِ والْجَمَاعَاتِ لعامة الناس مُوَآخِذًا؛ ولتَقْوَى الله تعالى في كُلِّ أَمْرٍ مُقَدَّمًا، وبما
يُخَلِّصُهُ من الله تعالى لكل ما تقع به المعاملات بين الناس مُقَوِّمًا؛ وفي خَصَائِصِ
نَفْسِهِ ما يُغْنِيهِ عن تَأْكِيدِ الوَصَايَا، وتَكَرُّرِ الْحَثِّ على تقوى الله تعالى التي هي أَشْرَفُ
المَزَايَا؛ فليَجْعَلْهَا شِعَارَ نَفْسِهِ، وَنَجَى أَنْسِهِ، وَمُسَدَّدَ أَحْوَالِهِ التي تَظْهَرُ بها مَرْيَئِيَّةُ يَوْمِهِ
على أَمْسِهِ؛ والخط الشريف أعلاه الله تعالى أعلاه، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بنظر الحسبة الشريفة، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله،
مضافا إلى نظر أوقاف الملوك، وهي :

الحمد لله مُثِيبٍ من أَحْسَبٍ، ومُجِيبٍ المُثِيبِ فيما آكْتَسَبَ .

نحمده حمدا رسب الأدب صرب الطرب^(١)، (؟) ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة ظاهرة الحسب، طاهرة النسب؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده
ورسوله أفضل من أنتدى وأنتدب، وأدب أمته فأحسن الأدب، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه صلاة يكتتم أجرها فيكتب، ويستقم بها كل صلاح [ويغتم بها
كل فلاح]؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الحسبة الشريفة هي قانون جواد الأوضاع، ومضمون مواد
الإجماع، تتجمع إلى الشريعة الشريفة سياسة يهبط جدها، ويرهف حدها؛ وتخشى
الرعايا سطوات مباشرها، وتتحنى عما تصبه سيول بوادرها؛ وأصحابها الآلة التي
هي أخت السيف في التأثير، ولكل منهما سطوة تخاف لافرق بينهما إلا ما بين

(١) كذا في غير نسخة بالاهمال ولم نهد إلى تنقيفه .

التأنيث والتذكير؛ وله التصرف المطلق، والتعرف الذي يفتح من الحوائيت على
 أزبائها كل باب مغلق؛ ولرؤوبه في المدينة زينة يحشرها الناس ضحى، ورهبة
 يغدو بها كل أمين لشأنه مصلحا؛ وإليه الرجوع في كل تقويم، وهو المرجو في كل
 أمر عظيم؛ وهي بدمشق - حرسها الله تعالى - من أجل المناصب التي تتعلق [عوا] إليها
 بيد متوليها وتؤمل منازل البدور، وإن ربهما ترجع إلى تصريفه أزمة الأمور،
 وينتجع سخابه الهطل عمامة الجمهور؛ وتحميا به سنة عمرية لولاها لضاقت رحاب
 المعاملات، وضاعت بالغش المعاش المتداخلات؛ وظهر الغبن في غالب ما يشرى
 ويبيع، وانتشر التطفيف [الذي] يزيل رابحة الميزان وتو الزراع؛ ولكم ناب بحسن
 تدبيره عن الغمام، ونظر في الدقيق والحليل الخاص والعام؛ طالما انحط به سعر
 غلا أن يقوم، ووجد من الأقوات صنف لا يوجد ولو بذل من الشمس دينار
 والبدر درهم.

وكان المجلس السامي، القضاة، الأجل، الكبري، الصدري، الرئيسي،
 العالمي، الكافلي، الفاضلي، الأوحدي، الأثيري، الماجدي، الأصيلي،
 العمادي؛ بجد الإسلام، شرف الرؤساء، بهاء الأنام، جمال الصدور، نقر الأعيان،
 خالصة الدولة، صفوة الملوك والسلاطين: أدام الله علوه، هو الذي ربته السيادة
 على وسادها، ولبته السعادة إلى مرادها؛ وبنت العلياء قواعدها على عماده،
 وثبتت المراتب أعناقها متشوفة إلى حسن أعماده؛ وبأشر الجامع المعمور خصوصا
 والأوقاف الشامية عموما فعمرها، وكثر أعدادها وأتمى من بركات نظره متحصلاتها
 وتمرها؛ وشيد في كل منها مواطن عباده، وملتقى حلقة ومدار سبحة ومفركس سجاده،
 وأبى الله أن يقاس به أحد والجامع الفاروق وللذين أحسنوا الحسنى وزيادة؛
 فأوجب له جميل نظرنا أن نضاعف له الأجر في كل عمل إليه ينتسب، وتزيده

في رزقه سعة : من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب ؛ فإننا أنه أحق أن يقاد
من أمور الحسبة الشريفة حكمها المُصرف ، وحكمها المُعرف ؛ ويقام فيها بهدي من
تقدمه في تقرير أمورها على أثبت القواعد ، وتقدير مصالحها على أجمل ما جرت به
العوائد ؛ ويظهر أوقاتها من الدنيس فيما يحضر على الموائد ، وإخافية الأعناق من
مضاربه التي تقطع ما غفا السيف عنه من مناط القلائد .

فُرِسَمَ بالأمر الشريف العالى - لا زالت بمراسمه تتلقى كل ربه ، وتوقى الدنيا
بمن يقوم بالحسبه - أن يفوض إليه النظر على الحسبة الشريفة بدمشق وما معها
من الممالك الشامية المضافة إليها ، بالمعلوم المستقر ، الشاهد به الديوان المعمور إلى
آخر وقت : مضافا إلى ما هو بيده : من نظر الأوقاف المبرورة بالشام ، وأوقاف
الملوك . خلا نظر الجامع المعمور إلى آخر وقت بحكم إفراده لمن عين له ، تفويضا
يضمه إلى ربائب كنفه ، ويعمه بمواهب شرفه ، ويحله في أعلى غرفه ، ويحليه
بما يحسد الدر مارمى من صدقه .

فَاتَّقِ اللَّهَ فِي أَحْوَالِكَ ، وَأَتَّقِ مَنْ يُجْمَعُ عَلَيْهِ مِنَ النَّوَابِ فِي أَعْمَالِكَ ، وَأَمُرْ
بِالمَعْرُوفِ وَأَنْتَهُ عَنِ المُنْكَرِ ، فَمِنْكَ المُنْكَرُ لَا يُعْرَفُ وَالمَعْرُوفُ مِنْكَ لَا يُنْكَرُ ؛ وَأَعْتَبِرْ
أَحْوَالَ أَرْبَابِ المَعَايِشِ أَعْتَابَارًا يُصْلِحُ لِلنَّاسِ أَقْوَانَهُمْ ، وَيُرْغِدُ أَوْقَاتَهُمْ ؛ وَلَا تَدْعُ
صَاحِبَ سِلْعَةٍ يَتَعَدَّى إِلَى غَيْرِ مَا أَحَلَّهُ اللَّهُ لَهُ مِنَ المَكَّاسِبِ ، وَلَا صَاحِبَ مَعِيشَةٍ [يقدم]
عَلَى تَحُلُّلِ خَلِيلٍ فِي المَا كِلِ وَالمَشَارِبِ ؛ وَأَقْصِدِ التَّسْوِيَةَ بِالْحَقِّ فَإِنَّهُ سِوَاهُ فِيهِ البَائِعُ
وَالمَشْتَرَى ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَ الرِّخِيصِ وَالمِثْمِينِ ؛ وَأَقِمِ المَوَازِينَ بِالْقِسْطِ حَتَّى لَا تُنْكَرَ
كِفَاتِنَا أَنْ نَحْمِلَ وَلَا نُحْمَلَ ، وَلَا يَسْتَطِيعَ قَلْبُنَا أَنْ يَمِيلَ مَعِ مَنْ يَمُولُ ، وَلَا يَقْدِرُ
لِسَانُنَا أَنْ يَكْتُمَ الشَّهَادَةَ بِالْحَقِّ وَإِنْ كَانَ مَثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ ؛ وَاجْعَلْ لَكَ عَلَى

أهل المَبَايَعَاتِ حَفَظَةٌ لِنُظَلِّ أَعْمَالُهُمْ لَكَ تُنْسَخَ . وَتَفَقَّدِ الْأَسْوَاقَ مِمَّا يَتَوَلَّدُ فِيهَا
 مِنَ الْمَفَاسِدِ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ رُبَّمَا بَاصٍ فِي الْأَسْوَاقِ وَفَرَّخٌ . وَأَرَبَابُ الصَّنَائِعِ فِيهِمْ مِنْ
 يُدَلِّسُ ، وَفَقَهَاءُ الْمَكَاتِبِ مِنْهُمْ مَنْ لِعَرِضِهِ يُدَنِّسُ ؛ وَالْقُصَاصُ غَالِبُهُمْ يَتَعَمَّدُ الْكَلْبَ
 فِي قَصَصِهِ ، وَأَهْلُ النَّجَامَةِ كَمَنْ مِنْهُمْ مِنْ لَعِبٍ مَرَّةً بَعَقَلَ أَمْرًا وَأَمَاتَ رَجُلًا
 بِغُصَصِهِ ؛ وَآخَرُونَ مِنْ تَضَلُّ بِهِمُ الْعُقُولُ ، وَتَظَلُّ حَاوِرَةً فِيهِمْ التُّقُولُ ؛ وَكَثِيرٌ مِنْ
 سَوَى هَؤُلَاءِ يَدُكُ مَبْسُوطَةٌ عَلَيْهِمْ ، وَأَحْكَامُكَ مُحِيطَةٌ بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ ؛
 فَقَوْمٌ مِنْهُمْ مَنْ مَالَ ، وَقَلْدٌ مَالِكًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِيمَا رَأَى مِنَ الْمَعَاقِبَةِ تَارَةً بَيْنَهُكَ الْجَسَدُ
 وَتَارَةً بِإِفْسَادِ الْمَالِ ؛ فَرُبَّمَا أَطْفَى الْغِنَى وَالْمَصْبَاحُ فَرُبَّمَا قَطَّبَ
 وَتَمَّ مِنْ لَا يَسْتَقِيمُ حَتَّى يُؤَدَّبَ ، وَمَنْ لَا يُلِمُّ عَلَى شَعْبٍ وَآئِي الرِّجَالِ الْمُهْتَدِّبِ ؛ وَفِيكَ
 مِنَ الْأَلْمَعِيَةِ نُورٌ بَاهِرٌ ، وَكَوْكَبٌ زَاهِرٌ ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ تُنَلِّقَ الْوَصَايَا أَقْلَامَهَا أَيُّهَا
 يَكْفُلُكَ ، وَلَا تَنْبَهَكَ عَلَى زِينَةِ الْعِنَافِ فِيهَا وَهُوَ حُلُّكَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوفِّقُ آعْتَادَكَ ،
 وَيُوقِرُ مِنَ التَّقْوَى زَادَكَ ؛ وَالْإِعْتَادَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ
 بِمُقْتَضَاهُ . إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الرابعة — وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع بوكالة بيت المال ، من إنشاء القاضي تاج الدين البارباري ،
 للقاضي نجم الدين أبي الطيب .

الحمد لله الذي جعل الطيبات للطيبين ، وهدى بالنجم المنير السبيل المبين ، وعَدَقَ
 بأئمة الدين مصالِحَ المسلمين ، وآمانًا بتقويهمنا إليه ، وتوكلنا عليه ، شرفًا في الشأن وقوةً
 في اليقين .

نحمده على أن أعان بخيره وهو خير معين ، ونشكره على أن بصرنا في الإرادات ،
بالملائكة المقترين ، ونصّرنا في الولايات ، بالقوى الأمين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة أنوارها في القلب مشرقة على الصفحات والحين ،
وأذكارها على اللسان جعلت الإنسان من صالح المؤمنين ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله هادي المهتدين ، وموضح شريعة الإحسان للحسين ، و « أبو الطيب »
و « أبو القاسم » كنى بأولاده المطهرين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين منهم
من كان من السابقين الأولين ، ومنهم من كان مهيباً للكافرين ، ومنهم من تزوج
بأبنتي الرسول ولم يتفق ذلك لغيره في سالف السنين ، ومنهم من كان الخير ملء
يديه : فشمول البركة بشيأه وذو الفقار في اليمن ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فأكرم التفويض ما صادف محلاً ، وأبرك الولايات ما وجد قدراً معلّى ،
وأحسن الإحسان ما أصبح به الحال محث ، وأسنى الأئمة ما أشرق في مطلعته وتجلي ،
وأحق [الولاية] بإعلاء منصبه من أقبلت عليه وجوه الإقبال حين تولى ؛ وأولى
[الولايات] بإجمال النظر وإمعانه ، في تشييد شأنه ، وتمكين مكاتبه ومكانه ، وحفظ
حوزته من سائر أركانها - وكالة بيت المال المعمور التي بها تُصان الأرض المقدسة ،
ومنها تُستبصر الآراء الرئيسة ؛ وبها يؤمن الاستيلاء على المحال والأبنية من كل جائر ،
وبها تُزاد قيم المبيعات مما هو لبيت المال ما بين عامر ودائر ؛ وإلى متولّيها تأتي
الرغبات من يتتاع أرضاً ، وبه تُمضى المصالح وتُقضى ، وبه يظهر التمييز في الثمن
الأرضي ؛ وهي في الشام نعيمة المقدار ، كريمة الآثار ؛ مرضية بالربح في كل أرض
بينت المصالح في كل بناء دائرة بالنجح في كل دار ؛ فلا يشيم برقتها ، ويتوج فرقتها ،
ويؤفها حقها ، إلا من له علم وتبصره ، وعرفان أوضح الطريق وأظهره ، وحسن
رأى فيما أمره وأمره ، وصدارة ورد بها منهل الكرام البررة .

وكان فلان هو ذو السؤدد العريق ، والباسق في الدوح الوريق ، والمتسبب إلى
 أعز فريق ، والطيب أصلاً وفرعاً على التحقيق ، والإمام في علومه التي أصلت
 التفريع ووصلت التفريق ، والموفق فيما يأتي ويذر والله ولي التوفيق ؛ قد أشرق
 بدمشق نجمه نورا ، وأبتسم البرق الشامي به سرورا ، وتصدر بحافلها فشرح صدورا ،
 وأبتى له سؤددا وجعل مكارم الأخلاق عليه سورا ، تلقى بحضرة المسائل فلقى منه
 وليا مرشدا ، وتذكر لديه المباحث فتجد على ذهنه المتوقد هدى ، وإذا اضطرب
 قول مشكل سكن ببابته وهذا ؛ إن تأول أصاب في تأويله ، وإن نظر في مصلحة
 كان رأيه في السداد موافقا لقيه ، وقد استخرنا الله تعالى - وهو نعم الوكيل -
 في توكيله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه

فليات هذا المنصب المنصب وبلى بركتيه من بابه ، وليخيم في فسيح رحابه ، ولينعم
 بجناته في جنابه ؛ وليحرر ما يباع من أملاك بيت المال بشروطه وأوازمه المسطورة
 في كتابه ، وليردع من استولى على أرض باغتصابه ، فليس لعريق ظالم حق ؛ وهو
 إما بناءً بإنشائه وإما غراساً بإنشائه ؛ وما يرجع إلى بيت المال المعمور من أرض
 وعقار ، وروضات ذات غراس وأنهار ، وقرى وما يضاف إلى ذلك من آثار ؛ فيحرر
 مجموعته ، وليسلك في ذلك الطريقة المشروعة . وليشفق إشفاق المتقين الماهدين
 لما لهم ، ولينصح لنا وللسلمين فهو وكيل بيت ما لهم . ومن مات ولا وارث له من
 عصبية أو كلاله ، فإن لبيت المال أرضه وداره وماله .

وقد وكلنا إليك هذا التقليد وقلدناك هذه الوكالة ، والدلك - رحمه الله - كانت
 مفوضة إليه قديما فلذلك أحيينا بك تلك الأصالة .

وَأَعْلَمَ - أَعَزَّكَ اللهُ - أَنَّ الْوَصَايَا إِنِ طَالَتْ فَقَدْ طَابَ سَبْحُهَا ، وَإِنِ أَوْجَزَتْ
فَقَدْ كَفَى لَمَعُهَا وَلَمَحُّهَا ، وَعَلَى الْأَمْرَيْنِ فَقَدْ أَنَارَهَا هُنَا بِالتَّوْفِيقِ صُبْحُهَا ، وَحَسَنَ
بِالتَّصْدِيقِ شَرْحُهَا ، وَأَطْرَبَ مِنْ حَمَامِ أَقْلَامِهَا صَدْحُهَا ، وَالتَّقْوَى فِيهِ أَوْفَى
وَآخِرُهَا وَحْتُمُهَا وَفَتْحُهَا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَسْقِي بِكَ كُلَّ قَضِيَّةٍ [ذَوَى] صَبْحُهَا ^(١) ، وَالخَيْرُ
يَكُونُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توفيق شريف بوكالة بيت المال بالشام أيضا :

الحمد لله كافي من توكل عليه ، ومحسن مال من قوض أمره إليه ، ومجمل مايب من
قدم رجاءنا عند الهجرة إلى أبوابنا بين يديه ، ومقرعين من أسهر في آسمطار عوارفنا
بكال الأدوات ناظرية .

نحمده على نعمه التي جعلت سعي من أم كرمنا ، مشكورا ، وسعد من قصد حرمنا ،
مشهورا ، وإقبال من أقبل إلى أبوابنا العالية محققا يتقلب في نعمنا محبوبا ، ويتقلب
إلى أهله مسرورا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعتضد فيها
بالإخلاص وتعتصم ، وتمسك في الدنيا والآخرة بعروتها ، التي لا تنفصم ، وتوكل في إقامة
دعوتها ، سيوفنا التي لا تزال هي وأعناق جاحديها تحتصم ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله
الذي أضاءت شريعته ، فلم تخف على ذي نظر ، وأنارت ملته ، فأبصرها القلب قبل
البصر ، وعمت دعوته ، فاستوى في وجوب إجابتها البشر ، وأختصت أمته ، بعلماء
يبصرون من في طرفه عمى ويظهرون حق من في باعه قصر ، صلى الله عليه وعلى
آله الذين عملوا بما علموا ، وعدلوا فيما حكموا ، وحفظوا بالحق بيوت أوال الأمة

(١) القضة الرطبة من النبات وذوى يس والصبح في الأصل خروج العقود من كاهه .

فأشترك أهل الملة فيما غنموا؛ صلاةً توكل الإخلاص بإقامتها، وتكفل الإيمان بإدامتها؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد : فإن أهم ما صرفت إليه الهمم ، وأهم ما نوجب في اختيار الأكفاء له براءة الذمم ، وأخص ما اتخذنا الاستخارة فيه دليلاً ، وأحق ما أقمنا عنا فيه من أعيان الأمة ويكلاً ، لا يدع حقا للأمة ما وجد إليه سبيلاً - أمر بيت مال المسلمين الذي هو مادة جهادهم ، وجادة جلادهم ؛ وسبب استطاعتهم ، وطريق إخلاصهم في طاعتهم ؛ وسداد نفورهم ، وصلاح جمهورهم ؛ وجماع ما فيه إيقان أحوالهم واستقرار أمورهم ؛ ومن أكد مصالحه وأهمها ، وأخص قواعده وأعمها ، وأكل أسباب وفوره وأهمها ؛ الوكالة التي تصون حقوقه أن تضاع ، وتمنع خواصه أن تساع ؛ وتحمس عن الأمة في حفظ أموالها المتأب ، وتوكل لكل من المسلمين فيما فرض الله لهم الدعوى والحواب ؛ ولذلك لم نزل نتخير لها من ذخائر العلماء من زان الورع بعباياه ، وكل العلم مزاياه ؛ وأنعقد الإجماع على كماله ، وقصرت الأطلاع عن التحلي بجمال علمه : وهل يبارى من كان علمه من جماله .

ولما كان المجلس السامى ، الشىخى ، الفلافى ، هو الذى ظهرت فضائله وعلومه ، ودل على بلوغ الغاية منطوق نعتيه ومفهومه ؛ وحل علمه بالورع الذى هو كمال الدين على الحقيقة ، وسلك طريقة أبيه فى التفرد بالفضائل فكان بحكم الإرث من غير خلاف صاحب تلك الطريقة ؛ مع نسب لنسب مامر حلاله ، وتقى ما ورثه من أبيه عن كلاله ؛ وثبات فى ثبوت الحق لاستنفذه الأغراض ، وأناة فى قبول الحكم لا تجيل جواهره الأغراض ؛ ووقوف مع الحق لا يبعده إلى ما [لا] يجب ، وبسطة فى العلم بها يقبل ما يقبل ويحتب ما يحتب ؛ وتحقيق تجرى الدعاوى الشرعية على محجته ، وإنصاف لا يضر خصمه معه كونه ألحن منه بحجته ؛ مع وقادة إلى

أبوأبنا العالیه تقاضت له كرمنا الجَم ، وفضلنا الذى حصَّ وعم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن يرجع إلى وطنه مشمولا بالنعم ، مخصوصا من هذه الرتبة بالغاية التى يكبو دوتها جواد الهيم ؛ منصوبا على رفعة قدره التى جاءت هذه الوظيفة على قدر ، مداوما [لشكر أبوأبنا^(١)] على اختياره لها بعد إمعان الاختيار وإنعام النظر .

فرسم بالأمر الشريف أن تُفوض إليه وكالة بيت المال المعمور بالشام المحروس .

فليرق هذه الرتبة التى هى من أجل ما يرتقى ، ويتلق هذه الوكالة التى مدار أمرها على التقى وهو خير ما يتقى ؛ ويباشر هذه الوظيفة التى منأط حُكمتها فى الورى الذى لا تسخف صاحبه الأهواء ولا تستفز الرقى ؛ ولينهض بأعبائها مستقلا بمصالحها ؛ مُصدداً لمجالس حكمها العزيز لتحرير حقوق بيت المال وتحقيقها ، متلقياً ما يريد من أمر الدعاوى الشرعية التى يبت مثلها فى وجهه بطريقها ؛ متقبلاً عن دوافع ما يثبت له وعليه ، مُحسناً عن بيت المال الوكالة فيما جرّه الإرث الشرعى إليه ؛ مُستظهِراً فى المعاقدة بما جرت به العادة من وجوه الاحتراز ، مُجانباً جانب الحيف فى الأخذ والعطاء بأبواب الرخص وأسباب الجواز ؛ مُنجباً فى تشدده عن طريق الظلم الذى من تحلى به كان عاطلاً ، سالكاً فى أموره جادة العدل فإنه سيان من ترك حقه وأخذ باطلا ؛ مُجتهداً فى تحقيق ما وصح من الحقوق الشرعية وكمن ، مُتبعاً ما عالت الأيام فى إخفائه فإن الحق لا يضيع بقديم العهد ولا يبتطل بطول الزمن .

وفى أوصافه الحسنه ، وسجاياه التى غدت بها أقلام أيامنا لسنه ، وعلومه التى أسرت إليها أفكاره والعيون وسنه ، ما يغنى عن وصايا يطلق عنان البراعة فى تحديدها ، أو قضايا ينطق لسان البراعة فى توكيدها ؛ ملاكها تقوى الله وهى سجيته نفسه ،

(١) فى الأصل « مداوما لها على الخ » .

وَنَجِيَّةٌ أَنَسِيهِ ، وَحِلْيَةٌ خَلَالِهِ الْمَعْرُوفَةُ فِي يَوْمِهِ وَأَمْسِيهِ ؛ فَلْيَقْدِمْنَاهَا فِي كُلِّ أَمْرٍ ، وَيَقِفْ
عِنْدَ رِضَا اللَّهِ فِيهَا لِارِضَا زَيْدٍ وَلَا تَعْمُرُوا ؛ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ :

[الوظيفة الخامسة - الخطابه^(١)] :

وهذه نسخة توقع بالخطابة بالجامع الأموي، كُتِبَ بها لزيْنُ الدِّينِ الفارقي،
من إنشاء الشيخ شهاب الدِّينِ محمود الحلبي :

الحمد لله رافع الدِّينِ أوتوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ ، وَجَاعِلِ الْمَنَارِ بِفَضَائِلِ أُمَّةِ الْأُمَّةِ
أَرْجَاتٍ ، وَشَارِحِ الصُّدُورِ بِذِكْرِهِ بَعْدَ أَنْ كَانَتْ مِنْ قَبْلِ الْمَوَاعِظِ حَرِجَاتٍ ؛ الَّذِي
زَانَ الدِّينَ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِمَنْ سَأَمَتْ لَهُ فِيهِ الْإِمَامَةُ ، وَصَانَ الْعِلْمَ مِنَ الْأُمَّةِ الْمُتَّقِينَ
بِمَنْ أَحْصَبَ لَهُ جَائِحُ الْقَضَلِ يُصَرِّفُ كَيْفَ شَاءَ زِمَامَهُ ؛ وَوَطَّدَ ذِرْوَةَ الْمُنْبَرِ الْكَرِيمِ
لِمَنْ يَحْفَظُ فِي هِدَايَةِ الْأُمَّةِ حَقَّهُ وَيَرْعَى فِي الْبِدَايَةِ بِنَفْسِهِ ذِمَامَهُ ، وَوَطَّأَ صَدْرَ
الْمِحْرَابِ الْمُتِيرِ لِمَنْ إِذَا أَمَّ الْأُمَّةَ أَرْتَهُ خَشِيَّةُ اللَّهِ أَنْ وَجَّهَ اللَّهُ الْكَرِيمِ أَمَامَهُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ صَوْنِ صَهَوَاتِ الْمَنَارِ إِلَّا عَنْ فُرْسَانِهَا ، وَحِفْظِ دَرَجَاتِ
الْعِلْمِ إِلَّا عَمَّنْ يَنْظُرُ بِأَنْسَانِ السُّنَّةِ وَيَنْطِقُ بِلِسَانِهَا . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ لَا تَزَالُ أَفْوَاهُ الْمُحَابِرِ تُثْبِتُ طُرُوسَهَا ، وَأَنْوَاءُ الْمَنَارِ تُثْبِتُ غُرُوسَهَا ،
وَأَلْسِنَةُ الْإِخْلَاصِ تُتْلِقُ عَلَى الْمَسَامِعِ مِنْ صُحُفِ الصَّائِرِ دُرُوسَهَا . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ
وَرَسُولُهُ الَّذِي شَرَّفَتِ الْمَنَارِ أَوْلَا بَرْقِيهِ إِلَيْهَا ، وَآخِرًا بِذِكْرِ أَسْمِهِ الْكَرِيمِ عَلَيْهَا ؛ فَهِيَ
الرُّبِّيَّةُ الَّتِي يَزِيدُ تَبْصِرَةً عَلَى مَمَرِ الدُّهُورِ بَقَاؤُهَا ، وَالدَّرَجَةُ الَّتِي يَطُولُ إِلَّا عَلَى وَرِثَةِ
عَلَمِهِ أَرْتَقَاؤُهَا ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ فَذَكَرُواهَا ،

(١) أضفنا هذه الزيادة لأنضاء الكلام لها .

(٢) أي ذل واققاد بعد صعوبة .

وَبَصَّرَهُمْ بِالْآلَاءِ اللَّهِ فَشَكَرُوهَا ؛ وَعَرَّفَهُمْ بِمَوَاقِعِ وَحْدَانِيَّتِهِ بِخَادِلُوا بِسُنَّتِهِ وَأَسْنَتِهِ الَّذِينَ
 أَنْكَرُوهَا ، صَلَاةً لَا تَبْرُحُ لَهَا الْأَرْضُ مَسْجِدًا ، وَلَا يَزَالُ ذِكْرُهَا مُغَيِّرًا فِي الْآفَاقِ
 وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فإنه لما كانت الخطابة من أشهر شعائر الإسلام ، وأظهر شعار ملة سيدنا
 محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، شرعها الله تعالى لإذكار خلقه بنعمه ، وتحذير عباده
 من نقيمه ، وإعلام بريته بما أعد لمن أطاعه في دار كرامته من أنواع كرمه ؛ وجعلها
 من وظائف الأمة العاقمة ، ومن قواعد وراثته النبوة الناقمة ؛ يقف المنلبس بها موقف
 الإبلاغ عن الله لعباده ، ويقوم الناهض بفرضها مقام المؤدى عن رسول الله -
 صلى الله عليه وسلم - إلى أمته عن مراد الله ورسوله دون مراده ، ويقيمها
 في فروض الكفايات على سنن سبيله^(١) ، ويستنزل بها مواد الرحمة إذا ضن الغيث
 على الأرض بوبله ؛ وكان المسجد الجامع بدمشق المحروسة هو الذي سارت بذكره
 الأمثال ، وقيل هذا من أفراد الدهر التي وضعت على غير مثال ؛ قد تعين أن ترتاد
 له بحكم خلوه من الأئمة من هو مثله فرد الآفاق ، وواحد العصر عند الإطلاق ؛
 وإمام علماء زمانه غير مدافع عن ذلك ، وعلامة أئمة أوانه الذي يضيء بنور
 فتاويه ليل الشك الحالك ؛ وناصر السنة الذي تدب علومه عنها ، وحاروي ذخائر
 الفضائل التي تنمي على كثرة إنفاقه على الطلبة منها ؛ وشيخ الدنيا الذي يعقد على
 فضله بالحناصر ، ورحلة الأقطار الذي غدت نسبته إلى أنواع العلوم زاكية
 الأحساب طاهرة الأواصر ؛ وزاهد الوقت الذي زان العلم بالعمل ، وناسك الدهر
 الذي صان الورع بامتداد الفضائل وقصر الأمل ؛ والعايد الذي أصبح حجة

(١) في الأصل "نيه" .

الْعَارِفِ وَقُدُوءَ السَّالِكِ ، وَالصَّادِعُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا يُبَالِي مِنْ أَعْضَبَ إِذَا رَضِيَ اللَّهُ
وَرَسُولُهُ بِذَلِكَ .

ولما كان فلانٌ هو الذي خَطَبْتَهُ لهذه الخُطَابَةِ علومُهُ التي لَا تُسَامَى وَلَا تُسَامَ ،
وَعَيْتُهُ لهذه الإمامَةِ فَضَائِلُهُ التي حَسُنَتْ بها وَجُوهُ الْعِلْمِ الْوَسَامُ ، حَتَّى كَانَتْهَا فِي فَمِ
الزَّمَنِ أَيْتَسَامَ ، وَالْقِيَّ إِلَيْهِ مَقَالِيدُهَا كَالْهُ الَّذِي صَدَّ عَنْهَا الخُطَابُ ، وَسَدَّ دُونَهَا أَبْوَابَ
الخُطَابِ ، وَقِيلَ : هذا الإمام الشافعي - أَوْلَى بهذا المِئْبَرِ وَأَحْرَى بهذا المِحْرَابِ -
أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُحَلِّيَ أَعْطَافَ هذا المِئْبَرِ بِفَضْلِهِ الَّذِي يُعِيدُ عُدَّةَ رَطِيبِيَا ،
وَيُضَمِّخُ طِيبِيَا مِنْهُ مَا ضَمَّ خَطِيبِيَا ؛ وَأَنْ نَصَدِّرَ بهذا المِحْرَابِ مَنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ لَدَى الأُمَّةِ
مُنَاجَ رَبِّهِ ، وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيْ مَنْ يَحُولُ بَيْنَ المَرءِ وَقَلْبِهِ .

فلذلك رُسِمَ - لا زال يُوَلَّى الرُّتَبَ الحِسانَ ، وَيَجْرِي بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنْ
العَدْلِ وَالإِحْسَانِ - أَنْ تَفَوِّضَ إِلَيْهِ الخُطَابَةَ وَالإمامَةَ بِجامعِ دِمَشْقِ المِحْرُوسِ عَلِيٍّ
عَادَةً مِنْ تَقَدُّمِهِ .

فَلْيَرَقْ هذه الرُّتَبَةَ التي أَمَطَّاهُ اللَّهُ ذِرْوَتَهَا ، وَأَعْطَاهُ الفَضْلَ صَهْوَتَهَا ؛ وَعَيْنَهُ تَفَرَّدَهُ
بِالْفَضَائِلِ لِإِذْكَارِ الأُمَّةِ عَلَيْهَا ، وَرَجَّحَهُ لَهَا أَنْعِقَادُ الإِجْمَاعِ عَلَيَّ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَتْ
لِلشُّوقِ أَنْ تَسْعَى إِلَيْهِ لَوْ لَمْ يَسْعَ إِلَيْهَا ؛ حَتَّى تَحْتَالَ مِنْهُ بِإِمَامِهِ لَا تَعْدُو مَوَاعِظُهُ حَبَاتِ
الْقُلُوبِ ، لِأَنَّهَا تَخْرُجُ مِنْ مِثْلِهَا ، وَلَا تَدْعُ خُطْبُهُ أَثْرًا لِلذُّنُوبِ ، لِأَنَّهَا تُوكَلُّ مَاءَ العُيُونِ
بَغْسَلِهَا ؛ وَلَا تُبْقِي نَصَائِحَهُ لِلدُّنْيَا عِنْدَ المُغْتَرِبِهَا قَدْرًا ؛ لِأَنَّهَا تَبَصِّرُهُ بِخِدَاعِهَا ، وَلَا تَتْرَكَ
بِلاغَتَهُ لِلتَّقْصِيرِ عَنِ التَّوْبَةِ عُدْرًا ؛ فَلِئِنَّهَا تُحَدِّرُهُ مِنْ سُرْعَةِ زَوَالِ الحَيَاةِ وَأَقْطَاعِهَا ؛ وَلَا
تَجْعَلُ قَوَائِدَهُ لَدَوِي النَّجْدَةَ وَالْبَاسَ التِّفَانًا إِلَى أَهْلِ وَلَا وَلَدٍ لِأَنَّهَا تُبَشِّرُهُ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ

لمن تخرج في سبيله، ولا تمكن زواجره من نشر الظلم أن يمد إليه يداً لأنها تُخبره بما في الإقدام على ذلك من إغضاب الله ورسوله .

فليُطل - مع قصر الخطبة - للظالم مجال زجره ، وليُطب قلب العالم العامل بوصف ما أعد الله له من أجره ؛ وليجعل خطبه كل وقت مقصورة على حكمه ، مقصودة في وضوح المقاصد بين من ينهض بسرعة إدراكه أو يقعد به ببطء فهمه ؛ غير الكلام مادلاً ببلاغته وإن قل ، وإذا كان قصر خطبة الرجل وطول صلاته مثنة من فقهه فما قصر من حافظ على حكم السنة فيهما ولا أخل .



[وهذه] نسخة توقيع بالخطابة بالجامع الأموي ، كُتِبَ به للقاضي «تقي الدين السبكي» .

الحمد لله الذي جعل درجات العلماء أخذة في مزيد الرقي ، وخص برفيع الدرجات من الأئمة الأعلام كل تقي ، وألقى مقاليد الإمامة لمن يصون نفسه النفيسة بالورع وبتقى ، وأعاد إلى معارج الجلال ، من لم يزل يختار حميد الخلال ، ويتقى ، وأسدل جلباب السؤدد على من أعد للصلاة والصلوات من قلبه وتوابعه كل طاهر تقي .

نحمده على أن أعلى علم الشرع الشريف وأقامه ، وجعل كلمة التقوى باقية في أهل العلم إلى يوم القيامة ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عدل قيد^(١) الفضل بالشكر وأدامه ، وأيد النعمة بمزيد الحمد فلا غرو أن جمع بين الإمامة

(١) في الأصل «شهادة تدل فيها قيد الخ» وضرب على لفظة «فيها» .

وَالزَّعَامَةَ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَعْلَى اللَّهُ بِهِ عَقِيْرَةَ مُرْتَلِّ الْأَذَانِ
وَمُسْدِرِجِ الْأَقَامَةِ ، وَأَعْلَى بَرَكَتِهِ قِيَمَةَ مَنْ تَمَسَّكَ بِسَبِيْلِ الْهُدَى وَلَا زَمَّ طَرِيْقَ
الْاِسْتِقَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ الَّذِينَ عَقَدُوا عُهُودَ هَذَا الدِّينِ وَحَفِظُوا نِظَامَهُ ،
وَعَلَى أَصْحَابِهِ الَّذِينَ مَامَنَهُمْ إِلَّا مَنْ أَقْتَدَى بِطَرِيْقِهِ فَاهْتَدَى إِلَى طَرِيْقِ الْكِرَامَةِ ، صَلَاةٌ
لَا تَزَالُ بَرَكَاتُهَا تُؤَيِّدُ عَقْدَ الْبَاقِيْنَ وَتُدَيِّمُ ذِمَامَهُ ؛ وَسَلَامٌ تَسْلِيْمًا كَثِيْرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ سِيَمِ دَوْلَتِنَا الشَّرِيْفَةِ أَنْ تَرْفَعَ كُلَّ عَالِي الْمِقْدَارِ مَكَانًا عَلِيًّا ،
وَتَجْعَلَ لَهُ مِنْ أَسْمِهِ وَصِفَتِهِ قَوْلًا مَسْمُوعًا وَفِعْلًا مَرْضِيًّا ، وَتُوَطِّدَ لَهُ رُتَبَ الْمَعَالِي
وَتَزِيْدَ قَدْرَهُ فِيهَا رُفِيًّا ، وَتَكْسُوهُمْ مِنْ جِلْبَابِ السُّؤْدُدِ مِطْرَفًا مَبَارِكًا وَطِيًّا ، وَتُطَاقِقَ
لِسَانَ إِمَامِهِ بِالْمَوَاعِظِ الَّتِي إِذَا تَعَقَّلَهَا أُولُو الْأَلْبَابِ نَحَرُوا لِعِبَادَةِ رَبِّهِمْ مُجَبَّدًا وَبِكِيًّا .

وَمَا كَانَ الْمَجْلِسُ الْعَالِيُّ هُوَ الَّذِي أَعَزَّ أَحْكَامَ الشَّرِيْعَةِ الشَّرِيْفَةِ وَشَادَهَا ،
وَأَبْدَى مِنْ أَلْفَاظِهِ الْمَبَارَكَةِ الْمَوَاعِظَ الرَّبَّانِيَّةَ وَأَعَادَهَا ؛ وَأَذَاعَ فِيهَا أَسْرَارَ الْبَاقِيْنَ
وَزَادَهَا ، وَأَصْلَحَ فِسَادَهَا ، وَقَوْمَ مُنَادَهَا ؛ وَكَيْفَ لَا وَقَدْ جَمَعَ مِنَ الْعُلُومِ أَشْتَاتًا ،
وَأَحْيَا مِنْ مَعَالِمِ التَّقَى رُفَاتًا ، وَأَوْصَحَ مِنْ صِفَاتِ الْعُلَمَاءِ الْعَامِلِيْنَ بِهَدْيِهِ وَسَمَّيْتَهُ هَدِيًّا
وَسَمَانًا ، فَلِذَلِكَ نَحْرَجُ الْأَمْرَ الشَّرِيْفَ الصَّالِحِيَّ الْعَامَدِيَّ



قلتُ : وهذه نسخة توقيع بخطابته أيضا ، أنشأته للشيخ « شهاب الدين
أبن حاجي » :

الحمد لله الذي أطلع شهاب الفضائل في سماء معاليها ، وزين صهوات المنابر بمن
قرت عيونها من ولايته المباركة بتواليها ، وبحمل أعوادها بأجل حبر لو تستطيع فوق

قدرتها لَسَعَتْ إليه وفارقت - نحرًا للعادة - مبانها، وشرف درجها بأكل عالم
ما وضع بأسافلها قدمًا إلا وحسنتها على السبق إلى مس قدمه أعاليها .

نحمده على أن خص مصابيح الخطباء من فضل اللسن بالباع المديد، وقصر الجامع
الأموي على أبلغ خطيب يشيب في تطلب مثله الوليد، وأفرد فريد الدهر باعتبار
الاستحقاق برقي درج منبره السعيد . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تحق على مواكب الصفوف أعلاها ، وتتوفر من تذكير آلاء الله تعالى
أقسامها ، ولا تقتصر عن تبليغ المواعظ حبات القلوب أفهامها ؛ ونشهد أن سيدنا
محمدًا عبده ورسوله أفضل نبي نبه القلوب الغافلة من سناتها، وأيقظ الخواطر النائمة
من سباتها ، وأحيا رميم الأفتدة بقوارع المواعظ بعد مماتها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين علا مقامهم ، فقانت أعقابهم الرؤوس ، ورفعت في المجامع ربهم ،
فكانت منزلتهم منزلة الرئيس من المرئوس ؛ صلاة لا تزال الأرض لها مسجدًا ،
ولا يبرح مفترق المنابر باختراق الآفاق لأجتماعها موردا .

وبعد، فإن أولى ما صيرت العناية إليه، ووقع الاقتصار من أهم المهمات عليه -
أمر المساجد التي أقيم بها للدين الحنيف رثمه، وبيوت العبادات التي أمر الله تعالى
أن ترفع ويذكر فيها اسمه ؛ لا سيما الجوامع التي هي منها بمنزلة الملوك من الرعية،
وأما نيل الأعيان من بين سائر البريه ؛ ومن أعظمها خطرًا، وأبينها في المحاسن أثرًا،
وأسيرها في الآفاق النائية خبرًا ؛ بعد المساجد الثلاثة التي تُسَدُّ الرِّحَالُ إليها، ويُعَوَّلُ
في قصد الزيارة عليها - جامع دمشق الذي رست في الفخر قواعده، وقامت على ممر
الأيام شواهده ؛ وقاوم الجمم الغفير من الجوامع وأحده ؛ ولم تزل الملوك تصرف العناية
إلى إقامة شعائر وظائفه ، وتقتصر من أهل كل فن على رئيس ذلك الفن وعاريفه ؛

فما شغرت به وظيفته إلا آخاروا لها الأعلى والأرفع، ولا وقع التردد فيها بين اثنين إلا تقبلوا منهما الأعم والأورع، خصوصاً وظيفة الخطابة التي كان النبي صلى الله عليه وسلم للقيام بها متصدياً، وعلم الخلفاء مقام شرفها بعد فباشروها بأنفسهم تأسياً.

ولما كان المجلس العالى، القاضوي، الشيعي، الكيبري، العالمي، الفاضلي، الأوحدي، الأتكي، الرئيسي، المفوهي، البليغي، الفريدي، المفيدى، النيجيدى، القدوى، الحجى، المحققى، الورعى، الخاشعى، الناسكى، الإمامي، العلامى، الأثبلى، العريقى، الأصيلى، الحاكى، الخطيبى، الشهابى: جمال الإسلام والمسلمين، شرف العلماء العاملين، أوجد الفضلاء المفيدين، قدوة البلغاء المجتهدين، حجة الأمة، عمدة المحدثين، نخر المدرسين، مفتي المسلمين، معز السنة، قابع البدعة، مؤيد الملة، شمس الشريعة، حجة المتكلمين، لسان المناظرين، بركة الدولة، خطيب الخطباء، مذكر القلوب، منبه الخواطر، قدوة الملوك والسلاطين، ولي أمير المؤمنين «أبو العباس أحمد» أدام الله تعالى نعمته: هو الذى خطبته هذه الخطابة لنفسها، وعلمت أنه الكفء الكامل فسيبت به فى يومها ما كان من مصابيح الخطباء فى أممها؛ إذ هو الإمام، الذى لا تسامى علومه ولا تسام، والعلامة الذى لا تدرك مداركه ولا ترام؛ والخبر الذى تُعقد على فضله الخناصر، والعالم الذى يعترف بالقصور عن مجاراة جياده المناظر؛ والحافظ الذى قاوم علماء زمانه بلا منازع، وعلامة أئمة أوانه من غير مدافع؛ وناصر السنة الذى يذب بعلمه عنها، وجامع أشنات الفنون التى يقتبس أمائل العلماء منها، وزاهد الوقت الذى زان العلم بالعمل، وناسك الدهر الذى قصر عن مبلغ مداه الأمل؛ ورحلة الأقطار الذى تُسد إليه الرحال، وعالم الآفاق الذى لم يسمع الدهر له بمثال - أقتضى

حسن الرأي الشريف أن ترفع من المنابر على درجتها ، وتقطع ببراكينه من دلائل الإلباس الملبسة داحض مججها ؛ وتقدمه على غيره من رام إبرام الباطل فتقض ، وحاول رفع نفسه بغير أداة الرفع نخفض .

فلذلك رسم بالأمر الشريف العالی ، المولوی ، السلطانی ، الملکی ، المنصوری ، المعزی - لا زال يرفع لأهل العلم راسا ، ويحقق لذوى الجهل من بلوغ المراتب السنية ياسا - أن يفوض إلى المجلس العالی المشار إليه خطابة الجامع المذكور بانفراده ، على أتم القواعد وأكملها ، وأحسن العوائد وأجملها .

فليرق منبره الذى عاقب فيه رايحه الطالع أعزّل غيره الغارب ، وليتنبوا ذروة سنانه الأرفع من غير شريك له ولا حاجب ؛ وليتصد بمواعظه حبات القلوب ، ويرشق شهاب قراطيسها المانعة فإنها الغرض المطلوب ؛ وليأت من زواجر وعظه بما يذهب مذهب الأمثال السائر ، ويرسلها من صميم قلبه العامر فإن الوعظ لا يظهر أثره إلا من القلوب العامره ؛ ويقابل كل قوم من التذكير بما يناسب أحوالهم على أكمل سنن ، ويخص كلاً من أزمان السنة بما يوافق ذلك الزمن ؛ والوصايا كثيرة وإمما تهذيب العلم يفتني عنها ، وتأديب الشريعة يكفني مع القدر اليسير منها ؛ وتقوى الله تعالى ملاك الأمور وعنده منها القدر الكافي ، والحاصل الوافي ؛ والله تعالى يرقيه إلى أرفع الدرى ، ويرفع على الجوزاء مجلسه العالی : « وإنا لترجوا فوق ذلك مظهرًا » .



الوظيفة السادسة — التّدريسُ الجّارِ بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الرّيحانية ، كُتِبَ به لقاضي القضاة «عماد الدين الطّرسوسى» الحنفيّ ، عوضاً عن جلال الدّين الرّازي . كُتِبَ بسؤال بعض كُتاب الإنشاء ، وهي :

الحمد لله الذي جعل عماد الدين علياً ، وأحكم مباني من حكم فلم يدع عصياً ،
وقضى في سابق قضايه لإمضاء قضايه أن لا يبقى عتياً .

نحمده على ما وهب به من أوقات الذكر بكرة وعشياً ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُنبّه بالعلم بوحدانيته من كان غيباً ، وتكثرت لمقاتل سيوف العلماء من كان غويّاً ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي كان عند ربه رضيعاً ، وعلى ذبه عمّا شرع من الدين مرضياً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال فضل قديمها مثل حديثها مروياً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت رتب العلم هي التي يتنافس عليها ، ويتطاول إلى التنقل إليها ، ويختار منها ما كسب مباشرة المتقدم ملايس الحلال ، وأن له أن ينتقل إليه البدر بعد الهلال ؛ وكانت المدرسة الرّيحانية بمحروسة دمشق هي ریحانة المجالس ، وروضة العلم الزاكية المغارس ؛ وبحر الفوائد الذي يخرج الفرائد ، ومسرّح العلماء الذي قد آن أن يظفر به منهم من الألف زائد .

ولما توفى من آلت إليه ، وعالت مسألتها إلا عليه ؛ وكان ممن قد ولي الأحكام استقلالا ، وكان لبصر الدنيا جلاء وللدن جلالا ؛ لم تكن إلا لمن ينمى به ذلك

الذاهب ، وينسب إليه علم مذهبه كله وإن كان لا يقتصر به على بعض المذاهب ؛ ويعرف من هو وإن لم يُصرح باسمه ، ويعرف من هو وإن لم يُذكر بعلاء قدره العليّ وعلمه ؛ ولا يُمتري أنه خلف «أبا حنيفة» فيمن خلف ، وحصل على مثل ما حصل عليه القاضي «أبو يوسف» وذهب ذلك في السلف الأول مع من سلف ؛ وأعلم بجذاله أن «محمد بن الحسن» ليس من أقران أبي الحسن ، وأن «زفر» لم يُرزق طيب أنفاسه في براعة اللسن ؛ وأن «الطحاوي» ما طحا به «قلب إلى الحسان طروب» و «القاضي خان» لديه منه الأنبوب ؛ وتلقب «شمس الأئمة» لما طلع علم أنه قد حان من شمس النهار غروب ، و «الرازي» لما جاء تيقن أنه يرويه (٢) عن علم الجيوب ، و «المرغيناني» مس ولم يرغ له في مطلوب ؛ و «الثلجي» ما برد لطالب غله ، و «الجزبي» لم يوجد عنده لطعام فضله ، و «الهندوازي» ما أجدى في جلال الحدال ولا هنر نصله ؛ ولم يزل يُشار إليه والتقليد الشريف له بالحكم المطلق بما تضمنته من محاسن أوصافه شاهد ، ودست الحكم على «علي كيوان شائد» ومدارس العلم تُسر من حبه ، ما حُيت عليه من محاربيها الأضالع ، ومجالس القضاء تُظهر بقره ، ما لم يكن نداني إليه المواضع .

وكان الجنب الكريم ، العالی ، القضاة ، الأجل ، الإمامي ، الصدرى ، العالمى ، العالمى ، العلامى ، الكافلى ، الفاضلى ، الأوحدي ، المقيدي ، الوري ، الحاكمي ، العمادي ؛ ضياء الإسلام ، شرف الأنام ، صدر الشام ، أمير الإمام ، سيد العلماء والحكام ؛ رئيس الأصحاب ، معز السنة ، مؤيد الملة ، جلال الأئمة ؛ حكم الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبو الحسن علي بن الطرسوسي الحنفي ، قاضي

(١) كذا في الأصل ولعله من زيادة فلم النسخ .
 (٢) يرويه يسأله ويختبره . يريد يسأله عن علم الجيوب الفلكية .
 (٣) من أرغز له في كذا . أطاعه فيه .

القضاة بالشام - نشر مائة مذهبه ، وحلّى بجلوسه للحكم طرفي النهار إضاءة مفضّضه
وتوسيع مذهبه ؛ طالما ساس الرعية بحكمه ، وساد نظراً في معرفة العلوم الشرعية
بعلمه وحكمه ؛ وسار مثل فضله في الأفطار وضوء الشمس مرّد شعاعه ، فطال إلى
السماء وقصر الأفق المتمد على طول بآعه ، وقاض فيض النعام وما آكل البحر بكيله
ولا صار مثل صاعه ؛ وعرضت عليه هذه المدرسة التي لم يكن لغيره أن يحيى
ريحاتها ، ولا أن تؤدي إلى يد سواه فيودع أماتها ؛ فأثرها على أنه ترك المدرسة
المقدمية المتقدم له درسها ، المعظم به في كل حين غرسها ؛ ليوسع بها على الطالب
مذهبه ، ويفرغ لها ساعة من أوقاته المنتهية ، ويهب [لها] من حقه الذي هو
في يده ما لو شاء ما وهبه .

فرسم بالأمر الشريف - لا زال يقرب الآماد ، ويرضى القوم وأقضاهم على
وأثبتهم طوداً العباد - أن يفوض إليه تدريس المدرسة الريحانية المعينة أعلاه ، على
عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت ؛ بحكم تركه للتقدمية ليهب عليه روحها
وتهب له السعادة ريحها ؛ ولها من البشري بعلمه ما تيسر به ريحانه ريحها سرورا ،
وتميد وقد أكنت جبلاً من العلم وقورا ؛ وتمتد وقد نأحت في مسكة الليل غيرها ،
وفي أخوانه الصبايح كاقورا ؛ وما نوصي مثله - أجل الله قدره - بوصية إلا وهو
يعلمها ، ويلقنها من حفظه ويعلمها ؛ ومن فضل قضائه تؤخذ الآداب ، وتنفذ سهام
الآراء والآراب . وتقوى الله بها باطنه معمور ، وكل أحد بها مأمور ؛ وما نذكره
بها إلا على سبيل التبرك بذكرها ، والتمسك بأمرها . والفقهاء والمتفقهة هم جنده ،
وبهم يبيد جنده ، [فليجعلهم له في المشكلات عدّه ، وليصرف في] الإحسان إليهم
جُهده ؛ والله تعالى يُعينه على ما ولي ، ويعينه لكلّ علياء لا يصلح أن يحلها إلا على .
وسبيل كل واقف عليه العمل به بعد الخطّ الشريف أعلاه .



الوظيفة السابعة — التصادير بدمشق المحروسة .

وهذه نسخة توقيع أنشأته لقاضى القضاة «بدر الدين محمد» ابن قاضى القضاة بهاء الدين أبى البقاء، وولده جلال الدين محمد، بإعادة تصديرين كانا باسمهما، بالجامع الأموى بدمشق : أحدهما أنتقل إليهما عن سلفهما، والثانى بزول، ونرح عنهما عند استيلاء «تم» نائب الشام على الشام فى سنة آنتين وثمانمائة، ثم أعيد إليهما فى شوال من السنة المذكورة، فى قطع الثلث، وهى :

الحمد لله الذى جعل بدر الدين فى أيامنا الزاهرة متواصل رتب الكمال ، مترددا فى فلك المعالي بأكرم مساع بين بهاء و جلال ؛ مئزها عن شوائب النقص فى جميع حالاته : فإما مرتقب الظهور فى سريره ، أو متميم بالتمام فى إبداره ، أو آخذ فى الأزدياد وهو هلال .

نحمده على أن أفر الحقوق فى أهلها ، وأنترع من الأيدى الغاصبة ما اقتطعته الأيام الجائرة بجهلها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تحمى قائنها من شوائب التكدير، وتصون متيحها من عوارض الإصدار إذا ورد أصفى مناهل التصدير؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أفضل نبي أفتفت أمته آثاره وأتبعته سننه ، وأكرم رسول دعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أئمة الحق وأعلام الهدى، وحماة الدين وكفاة الردى؛ صلاة يبقى على مدى الأيام حكمها، ولا يتدرس على ممر الليالى رسمها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رعى له الحقوق القديمه، وحفظت له مساعيه الكريمة، وخلدت عليه النعم التى حق لها أن تكون بأهلها مقيمه ؛ من كرم أصلا وطاب

قرعاً ، وزكاً منبهاً وعدباً نبهاً ، ووقع الإجماع على فضله المتواتر فأعديق الحكم بتفضيله قطعاً ، ومن إذا تكلم فاق بفضله نثر اللآلي ، وإذا قدر قدره انحطت عن بلوغ غايته المعالي ، وإذا طلع بذرهُ المضيء من أفق مجلسه الموروث عن أبيه وأعمامه قال : لَيْتَ أَشْيَاخِي شَهِدُوا هَذَا الْمَجْلِسَ الْعَالِي ، وَمَنْ إِذَا جَلَسَ بِمَجْلِسِهِ الْبَيْتَ غَشِيَتْهُ مِنَ الْهَيْبَةِ جَلَالُهُ ، وَإِذَا أَطَافَتْ بِهِ هَالَةُ الطَّلَبَةِ وَالْمُسْتَفِيدِينَ قِيلَ : مَا أَحْسَنَ هَذَا الْبَدْرَ فِي هَذِهِ الْمَهَالَةِ ! ، وَمَنْ تَبَيْهُ طَلَبَتْهُ عَلَى أَكْبَرِ الْعُلَمَاءِ بِالْإِتِمَاءِ إِلَيْهِ ، وَتَشْمَخُ نَفُوسٌ تَلَامِدَتِهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْمُتَصَدِّقِينَ بِالْجُلُوسِ بَيْنَ يَدَيْهِ ؛ وَمَنْ إِذَا أَقَامَ بِمِصْرَ طَلَعَ بِالشَّامِ بَدْرُهُ ، وَلَوْ أَقَامَ بِالشَّامِ بَقِيَ بِمِصْرَ عَلَى الدَّوَامِ ذِكْرُهُ .

وكان المجلس العالی ، القاضوی ، الكبیری ، العالی ، العالی ، الأفضلی ، الأکملی ، الأوحدی ، البلیغی ، الفریدی ، المفیدی ، النجیدی ، القدوی ، المحیی ، المحقق ، الإمامی ، الأصیلی ، البدری ، جمال الإسلام والمسلمین ، شرف العلماء العاملين ، أوجد الفضلاء المفیدین ، قُدوةُ البلغاء ، حجة الأدب ، عمدة المحدثین ، نحر المدرسین ، مفتی الفرق ، أوجد الأئمة ، زین الأمة ، خالصة الملوك والسلاطين ، ولی أمير المؤمنين ، أبو عبد الله ، محمد ابن المجلس العالی ، القاضوی ، الكبیری ، المرحومی ، البهائی ، أبي البقاء الشافعی ، الشیبکی ، ضاعف الله تعالى نعمته : هو عين أعيان الزمان ، والمحدث بفضله على ممر الليالي وليس الخبر كالعيان ؛ ما ولي منصباً من المناصب الدينية إلا كان له أهلاً ، ولا أراد الانصراف من مجلس علم إلا قال له مهلاً ؛ ولا استبدل به في وظيفة إلا نُسب مستبد له إلى الحيف ، ولا صرف عن ولاية إلا قال آسئحفاقه : كيف ساع ذلك لتعاطيه فكيف وكيف .

وكان ولده المجلس السامى، القضاى، الكبيرى، العالمى، الفاضلى، الكاملى،
 البارعى، الأصلى، العربى، الجلالى، ضياء الإسلام، نحر الأنام، زين الصدور،
 بحال الأعيان، تجل الأفاضل، سليل العلماء، صفوة الملوك والسلاطين، خالصة
 أمير المؤمنين، أبو محمد بلغ الله تعالى فيه [عارفيه] غاية الأمل، وأقر به
 عين الزمان كما أقر به عين أبيه وقد فعل؛ قد أرضع لبان العلم وربى فى حجره، ونشأ
 فى بيته ودرج من حركه؛ وكل له سؤدد الطرفين : أباً وأماً، وحصل على شرف
 المحتدين : خالاً وعمماً؛ لم يقع عليه بصر متبصر إلا قال : نعم الولد، ولا تأمله صحیح
 النظر إلا قال : هذا السبل من ذاك الأسد؛ ولا رمى والده إلى غاية إلا أدركها،
 ولا أحاط به منطقة طلبية إلا هزها للبحث وحركها؛ ولا أقتنى أثر أبيه وجده
 فى مهجع فضيل إلا قال قائله : أكرم بها من ذرية ما أبركها ! .

وأتفق أن خرج عنهما ما كان باسمهما من وظيفتى التصدير بالجامع الأموى
 المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة : المنتقلة إحداهما إليهما عن سلفيهما
 الصالح قديماً، والصارئة الأخرى إليهما بطريق شرعى معتبر وضعاً ونابيت حكاماً -
 اقتضى حسن الرأى الشريف أن يحفظ لهما سالف الخدمة، ويرعى لهما قديم الولاء
 فالعبرة فى التقديم عند الملوك بالقدمه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال لذوى البيوت حافظاً، وعلى الإحسان
 لأهل العلم الشريف على ممر الزمان محافظاً - أن يعاد ذلك إليهما، ويوالى مزيد
 الإحسان عليهما؛ فليتلقياً ذلك بالقبول، ويتسطا بالقول ألسنتهما فمن شمله إنعامنا
 الشريف حق له أن يقول ويطول؛ وملاك أمرهما التقوى فهى خير زاد، والوصايا

وإن كَثُرَتْ فَعِنْمَا تُوخَذُ وَمِنْهُمَا تُسْتَفَادُ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَرُّ لَهَا بِهَذَا الْأَسْتِقْرَارِ عَيْنًا، وَيُبْهِجُ خَوَاطِرَهُمَا بِهَذِهِ الْوِلَايَةِ إِبْهَاجَ مَنْ وَجَدَ ضَالَّتَهُ فَقَالَ : (هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا) . وَالْأَعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةٌ بِمُقْتَضَاهُ ؛ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثامنة — النظر .

وهذه نسخة تَوَقِيعِ بِنظَرِ الْبِيَارِسْتَانَ النُّورِيِّ ، كُتِبَ بِهَا لِمَنْ لَقَبَهُ « شِهَابُ الدِّينِ » وَهِيَ :

رُسِمَ لَا زَالَ يُطْلَعُ فِي سَمَاءِ الْمَنَاصِبِ السَّنِيَّةِ مِنْ ذَوِي الْأَصَالَةِ وَالْكَفَايَةِ شِهَابًا ، وَيُوزَعُ الْمُسْتَحَقِّينَ بِجِهَاتِ الْبِرِّ شُكْرَهُ إِذْ اخْتَارَ لَهُمْ مِنْ أَهْلِ النَّهْضَةِ مَنْ ارْتَدَى الْعَفَافَ جَلْبَابًا ، وَيُودِعُ صَحَائِفَ الْأَيَّامِ ذِكْرَهُ الْجَمِيلَ حِينَ أَحْيَا قُرْبَاتِ الْمُلُوكِ السَّالِفِينَ بِاتِّخَابِ مَنْ يُحَدِّدُ لَهُمْ بِحُسْنِ الْمُبَاشَرَةِ تَوَابًا - أَنْ يُجَمَّلَ « مَجْلِسُ الْأَمِيرِ » فَلَانَ : أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا هُوَ بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الْبِيَارِسْتَانَ النُّورِيِّ بِدَمْشَقِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى حُكْمِ التَّوَقِيعِ الْكَرِيمِ وَالْوِلَايَةِ الشَّرْعِيَّةِ اللَّذِينَ بِيَدِهِ ، وَأَسْتَقْرَارِهِ فِي ذَلِكَ بِمُقْتَضَاهُمَا أَسْتَقْرَارًا يَسُطُّ فِي هَذَا الْمَنْصِبِ يَدَهُ وَلِسَانَهُ ، وَيُظْهِرُ شِهَابَ عَدْلِهِ الَّذِي يُحْرِقُ مِنَ الْجَوْرِ شَيْطَانَهُ ؛ وَيُزِيلُ مِنْ مُبَاشَرَتِهِ مَا عُرِفَ جَوْهَرُهُ بِحُسْنِ الْأَنْتِقَاءِ وَإِبْرِيزُهُ بِحُسْنِ الْأَنْتِقَادِ ، وَمَنْ تَأْتِيهِ مَا تَبْلُغُ بِهِ الْأَنْفُسُ الْمُرَادَ بِأَوْسَعِ مَرَادٍ ؛ وَيُسَدِّدُ مِنْ تَدْيِيرِهِ ، مَا يُنْتَجِجُ تَمْيِيزَ الْوَقْفِ وَتَمْيِيرِهِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَتِهِ الْحَسَنَةِ ، وَلْيَسَلِّكْ فِيهَا مَا عَاهَدَ مِنْ طَرِيقَتِهِ الْمُسْتَحْسَنَةِ ؛ مُحَصِّلًا مِنَ الْمَفْرَدَاتِ مَا يَصْرِفُهَا لِمُسْتَحَقِّهَا وَقَدْ الْحَاجَةَ إِلَيْهَا ، مُتَأَيِّرًا

على حُسن مُعالجة المُضرور الذى لا تقدرُ يده من العجزِ عليها ؛ مواصلاً فعلَ الخيرِ
بأستمرارِ صدقاتِ الواقفِ لِيُشارِكه فى الأجرِ والثوابِ ، مُستجيباً له من الدعاءِ ولنا
بمُشاركتته فى الأمرِ بالعملِ بسُنَّتهِ إلى يومِ المآبِ ، ضابطاً أموالَ هذه الجهةِ بتحريرِ
الأصولِ والمطلقِ والحسابِ والحُسابِ ؛ متقدماً إلى الخُدَّامِ والقوَمَةِ بحسنِ الخِدمةِ
للعاجزِ والضعيفِ ، مُؤكِّدا عليهم فى أخذهم بالقولِ اللينِ دُونَ الكلامِ العنيفِ ؛
مُلزماً لهم بِجودَةِ الخِدمةِ ليلاً ونهاراً ، مُؤاخِداً لهم بما يُحِلُّونَ به من ذلك إهمالاً
وإفصاراً ؛ مُتقدماً إلى أربابِ وظائفِ المعالجةِ ببذلِ النصيحةِ ، وأستدراكِ الأدوَاءِ
المُسقِمةِ بإتقانِ الأدويةِ الصَّحيحةِ ؛ ولِيَتَفَقَّدَ الأحوالِ بِنَفْسِهِ : لِيَعْلَمَ أَهْلُ المَكَانِ
أَنَّ وِرَاءَهُم من يقابلهم على التَّقْصيرِ ، وَلِيَبْدُلَ فى ذلك جُهدَهُ فَإِنَّ الاجْتِهَادَ القَلِيلَ
يُؤَثِّرُ الخَيْرَ الكَثِيرَ . وَالوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَعنده من التَّأدُّبِ بِالْعِلْمِ وَحُسْنِ المُبَاشَرَةِ ما فيه
كَفَايَهُ ، وَفى أَخلاقِهِ من جَمِيلِ المَآثِرِ وما حَازَهُ فى البِدَايَةِ ما يَنْفَعُهُ فى النِّهَايَةِ ؛ وَلِكنْ
تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ هِىَ السَّبَبُ الأَقْوَى ، وَالْمَنْهَلُ الذى مَن وَرَدَهُ يَرَوَى ؛ فليَجْعَلْهَا
لَهُ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ المَعَادِ ، وَمَعْقِلاً عندِ الخُطُوبِ الشَّدَادِ ، وَاللهُ تَعَالَى يُبَلِّغُهُ مِنَ التَّوْفِيقِ
الأَمَلِ والمُرَادِ ؛ بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ ! ، وَالاعْتِمَادِ إِنَّ شاءَ اللهُ تَعَالَى .

الصنف الثالث

(من تواقع أرباب الوظائف بحاضرة دمشق - تواقع أرباب
الوظائف الديوانية ، وفيها مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع النصف بـ «المجلس العالی» وهي على ضريين)

الضرب الأول^(١)

(تواقع الوزارة بالمملكة الشامية على ما استقر عليه الحال)

فقد ذكر في " التعريف " أنه يكتب بالشام للصاحب [عز] الدين أبي يعلى
« حمزة بن القلانسي » رحمه الله بـ « بالجناب العالی » لجلالة قدره ، وسابقة خدمه ،
وعناية من كتب له بذلك . لکنه لم يبين مقدار قطع الورق لذلك . ولا يخفى أنه
كتب به في قطع الثلثين ، على القاعدة في أنه يكتب للجناب في قطع الثلثين . وقد ذكر
بعد ذلك أن الذي استقر عليه الحال أنه يكتب للوزير بالشام « المجلس العالی »
بالدعاء ، كما كتب للصاحب أمين الدين أمين الملك .

[وفيه وظائف :

الوظيفة الأولى - ولاية تدبير الممالك الشامية]^(٢)

وهذه نسخة توقيع للصاحب « أمين الملك » المذكور بتدبير الممالك الشامية
والخوآص الشريفة والأوقاف المبرورة ، من إنشاء الصلاح الصفدي ، وهي :

(١) لم يذكر الثاني .

(٢) بياض بالأصل والتصحيح من " التعريف " (ص ٧٥) .

(٣) زدنا ما بين القوسين لأقتضاء المقام وتقييم الكلام .

الحمد لله الذى جعل وَلِيَّ أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةَ، أَمِينًا، وَأَحَلَّهُ مِنْ صَمَائِرِنَا الطَّاهِرَةَ، مَكَانًا
أَيْمًا تَوَجَّهَ وَجَدَهُ مَكِينًا، وَخَصَّهُ بِالْإِخْلَاصِ لِدَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةَ، فَهُوَ يَقِينًا يَقِينًا، وَعَضَّدَ
بِتَدْيِيرِهِ مَمَالِكَا الشَّرِيفَةِ فَكَانَ عَلَى نَيْلِ الْأَمَلِ الذِّى لَا يَمِينُ يَمِينًا، وَزَيْنٌ بِهِ آفَاقُ
الْمَعَالِي فَمَا دَجَا أَمْرٌ إِلَّا كَانَ فِكْرُهُ فِيهِ صَحِيحًا مُبِينًا، وَجَمَلٌ بِهِ الرُّتَبُ الْفَائِزَةُ فَكَمْ قَلَّدَ
جِيدَهَا عِقْدًا تَفِيْسًا وَرَضَعَ تَاجَهَا دُرًّا ثَمِينًا، وَأَعَانَهُ عَلَى مَا يَتَوَلَّاهُ فَهُوَ الْأَسَدُ الْأَسَدُ
الذِّى آتَخَذَ الْأَقْلَامَ عَرِينًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي خَصَّصْنَا بَوْلِيَّ تَجَمُّلُ بِهِ الدُّوَلُ، وَتَغْنَى الْمَالِكُ بِتَدْيِيرِهِ عَنِ
الْأَنْصَارِ وَالْحَوْلِ، وَتَحْسُدُ أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةَ [عَلَيْهِ] أَيَّامٌ مِنْ مَضَى الدُّوَلِ الْأَوَّلِ .
وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ نَسْتَمِطِرُ بِهَا صَوْبَ الصَّوَابِ،
وَنَرْفُلُ مِنْهَا فِي ثَوْبِ الثَّوَابِ، وَنَعْتَدُّ بِرَهَا وَإِصْلًا لِيَوْمِ الْفَصْلِ وَالْمَاتَبِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدَهُ الصَّادِقُ الْأَمِينُ، وَرَسُولُهُ الذِّى لَمْ يَكُنْ عَلَى الْغَيْبِ بَضِينِ، وَحَبِيبُهُ الذِّى فَضَّلَ
الْمَلَائِكَةَ الْمُقَرَّبِينَ، وَنَجَّيَهُ الذِّى أَسْرَى بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
حُجَّةً عَلَى الْمُعْلَجِدِينَ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ صَحَبُوا وَوَزَرُوا، وَأَيَّدُوا
حِزْبَهُ وَنَصَرُوا، وَعَدَلُوا فِيمَا نَهَوْا وَأَمَرُوا، صَلَاةً تَكُونُ لَهُمْ هُدًى إِذَا حُشِرُوا،
وَنُضُوعٌ لَهُمْ عَرَفَهُمْ فِي الْعُرْفِ وَتُطِيبُ نَسْرَهُمْ إِذَا نُشِرُوا، وَوَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْدَ، فَإِنَّ أَشْرَفَ الْكَوَاكِبِ أَبْعَدُهَا دَارًا، وَأَجْلَهَا سُرًى وَأَقْلَهَا سِرَارًا،
وَأَعْلَاهَا مَنَارًا، وَأَطْيَبَ الْجَنَّاتِ جَنَابًا مَا طَابَ أَرْجَا وَثَمَارًا، وَبُحْرٌ خِلَالَهُ كُلُّ نَهْرٍ
« يَرُوعُ حَصَاهُ حَالِيَةَ الْعَدَارَى »، وَرَبَّحَتْ مَعَاظِفَ غُصُونِهِ مُسَلَّافُ النَّسِيمِ فَتَرَاهَا
سُكَارَى، وَمَدَّتْ ظِلَالَ الْغُصُونِ فَتَخَالُ أَنَّهَا عَلَى وَجَنَاتِ الْأَنْهَارِ تَدْبُ عِدَارًا .

وكانت دِمَشْقُ المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاها تهب سمات هذه
السمات ، لم يتصف غيرها بهذه الصفه ، ولا اتفق أولوا الألباب إلا على محاسنها
المختلفه ؛ فهي البقعة التي يطرب لأوصاف جمالها الجماد ، والبلد الذي ذهب بعض
المفسرين إلى أنها إرم ذات العماد ؛ وهي في الدنيا أنموذج الجنة التي وعده المتقون ،
ومثال النعيم للذين عند ربهم يرزقون ؛ وهي زهرة ملكا ، ودره سلكا ؛ وقد حلت
هذه المدة ممن يرأعي تدبيرها ويحوي حوزتها ويحاشيها من التدمير ويملا خزائنها
خيرا يجل ، إذا ملأنا ساحتها خيلا ورجلا - تعين أن نتدب لها من جربناه بعدا
وقربا ، وهز زناه متقفا وسللناه عضبا ، وخبأناه في خزائن فكرنا فكان أشرف ما يدخر
وأعز ما ينجي ؛ كم نهى في الأيام وأمر ، وكم شد أزرنا لما وزر ، وكم غنيت به أيامنا
عن الشمس وآبائنا عن القمر ، وكم رفعا راية مجده تلقاها عرابه فضله بيمين الظفر ،
وكم علا ذرا رتب تعز على الكواكب النابتة فضلا عن ينقل في المباشرات من
البشر ، وكم كانت الأموال بجمادى وأعادها ربعا غرد به طائر الإقبال وصفر .

و [لما] كان [الصاحب أمين الملك] ^(١) هو معنى هذه الإشارة ، وشمس هذه الحالة
وبدر هذه الدار ؛ نزل من العلياء في الصميم ، ونحزنا بأقلامه التي هي سمر الرماح كما
نحرت بقوسها تميم ؛ وحفظت الأموال في دفتاره التي يوشىها فأوت إلى الكهف
والرقيم ، وقال لسان قلبه : ﴿ اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم ﴾ وعقم
الزمان أن يحيى بمشله « إن الزمان بمنله لعقيم » وتنبه به أقوام فبانوا وبأدوا ، وقام
منهم عباد العباد فلما قام عبد الله كأدوا - أردنا أن تنال الشام فضله كما نالت مصر
فما تساهم فيه سواهما ، ولا يقول لسان الملك لغيره :

حلت بهذا حلة ثم حلة * بهذا قطاب الواديان كلاهما

(١) بياض بالأصل والتصحيح مما تقدم .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه تدبير الممالك الشريفة، ونظر الخواص الشريفة والأوقاف المبرورة على عادة من تقدمه في ذلك .

فلتلق هذه الولاية بالعزم الذي نعهده، والحزم الذي شاهدناه ونشهده، والتدبير الذي يعترف الصواب له ولا يحدده؛ حتى يثمر الأموال في أوراق الحساب، وتريد نمواً وممواً فتفوق الأمواج في البحار وتفتت القطر من السحاب؛ مع رفق يكون في شدته، ولين يزيد مضاء حدته، وعقل يصون مهلة مدته؛ والعادل يعمر، والغدر يدمر، ولا يثمر؛ بحيث إن الحقوق تصل إلهاً أربابها، والمعالم تطلع بدور بذرها كاملة كل هلال على أصحابها، والرؤوم لا تزداد على الطافة في بابها، والرعايا يمنون ثمر العدل في أيامه متشابهها؛ وإذا أنعمنا على بعض أوليائنا ينحل فلا يكدر وردها بأن تؤخر، وإذا استدعينا لأبوانا بهم فليكن الإسراع إليه ينجل البرق المتألق في السحاب المسخر؛ فما أردناك إلا لأنك سهم نرج من كانه، وشهم لا ينهى إلى الباطل عيانه وعنانه؛ فاشكر هذه النعمة على منأئها، وشفي الأسماع بمدأئها؛ متحققاً أن في الثقل، بلوغ العز والأمل، وأنه لو كان في شرف المأوى بلوغ مني «لم تبرج الشمس يوماً دارة الحمل»؛ فاستصحب الفرح والجدل، بدل الفكر والجدل .

الوظيفة الثانية — كتابة السر بالشام .

ويعبر عنها بصحابة ديوان الإنشاء الشريف بدمشق . وشأنه هناك شأن كاتب السر بالأبواب السلطانية .

وهذه نسخة توقيع بصحابة ديوان الإنشاء بالشام، كُتِبَ بها لفتح الدين بن الشهيد، من إنشاء القاضي ناصر الدين بن النشائي، في مستهل ذي القعدة سنة أربع وستين وسبعمائة، وهي :

المحمدية مجزِل المنّ والمنح ، ومُرْسِل سَحَابِ الْعَطَاءِ السَّمْح ، ومُعْمِلِ فِكْرِنَا الشَّرِيفِ
فِي آتِيخَابِ مَنْ أَوْرَى زَنْدَ الْحَيْرِ بِالْقَدْح ، ومُنْتَلِ السَّرِيِّينَ الْأَفَاضِلِ مِنْ صَدْرِ إِلَى
صَدْرِ يَحْمَى بِصَوْنٍ لَهُ السَّرْح ، وَيُعْنِي مَشْهُورُ الْفَاطِمَةِ عَنِ الشَّرْح ، وَجَمَلِ بِنَاءِ الدِّينِ ،
بِمَا سَكَنَ بِهِ مِنْ صَمِيمِ الْفَضْلِ الْمُبِينِ ، وَمَا اقْتَرَنَ بِأَبْوَابِهِ مِنْ حَرَكَةِ الْفَتْحِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِ عَاطِرَةِ النَّفْحِ ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى مَنِّ عَالِيَةِ السَّفْحِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُجَبِّي قَائِلُهَا مِنْ حَرِّ الْجَحِيمِ وَتَقْبِيهِ شَرِّ شَرِّ ذَلِكَ
اللَّفْحِ ، وَتُحَطِّبُ بِهَا أَلْسِنَةُ الْأَقْلَامِ عَلَى مَنَارِ الْأَنْبِيَاءِ فَتُنشِئُ عِنْدَهَا مِنْ مُطَرَّبَاتِ
الْوَرَقِ عَلَى غُصُونِ الْأُورَاقِ هَدْيَ الصَّدْحِ . وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَلَغَ
الرِّسَالَةَ وَأَدَّى الْأَمَانَةَ وَعَامَلَ الْأُمَّةَ بِالنُّصْحِ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ التَّرَحَّ وَأَمِنَهُ اللَّهُ عَلَى أَسْرَارِ
وَحْيِهِ فَكَانَ أَشْرَفَ أَمِينٍ خَصَّصَهُ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ آيَاتِهِ بِالْمَدْحِ ، وَجَعَلَهُ أَعْظَمَ مِنْ أَمْرٍ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَى عَنِ الْمُنْكَرِ فَلَمْ تَأْخُذْهُ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَأَيِّمٍ مِمَّنْ لَحَا وَمِمَّنْ لَمْ يَلْحَقْ ، صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَهْلِ الْوَفَاءِ وَالصَّفَاءِ وَالصَّفَاحِ وَالصَّفْحِ ، وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِي اللَّهِ
حَقَّ جِهَادِهِ بِالنَّفْسِ وَالْمَالِ وَالْكَدِّ وَالْكَدْحِ ، وَرَفَعُوا أَعْلَامَهُمُ الْمُظَلَّةَ ، وَنَصَبُوا
أَقْلَامَهُمُ الْمُعَدَّلَةَ ، فَكَمْ لَهِمْ فِي الْمُشْرِكِينَ مِنْ جِرَاحٍ لَا تَعْرِيفَ الْجِرَاحِ ، وَذَادُوا عَنِ حَوَازَةِ
الدِّينِ ، بِبَارِقَةِ دَمِ الْكُفَّارِ الْمُتَمَرِّدِينَ ، حَسُنَ مِنْهُمْ الذَّبُّ وَالذَّبْحُ ، وَكَانُوا فُرْسَانَ
الْكَلَامِ ، وَأُسُودَ الْإِقْدَامِ ، الَّذِينَ طَالَمَا خَسَاتُ بِهِمْ كِلَابُ الشَّرِكِ فَلَمْ تُطِيقِ النَّبْحُ ،
صَلَاةَ دَائِمَةٍ بِأَقْيَةِ الصَّرْحِ ، مَا اقْتَرَنَ النَّظْرُ بِاللَّحْ ، وَمَا هَطَلَ السَّحَابُ بِالسَّحْ ، وَسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوْلَى مَنْ خَطَبَتِ الْمَنَاصِبُ الْعَالِيَةَ ، مَحَاسِنُهُ الْجَلِيلَةَ الْجَلِيلَةَ ، وَرَغَبَتِ
الْمَرَاتِبُ الَّتِي هِيَ بِأَنْخِيرِ حَرِيَّةٍ ، فِي جَمِيلِ حَالَتِهِ الَّتِي هِيَ بِعُقُودِ الْمَفَاحِرِ حَيَاةٍ ، وَتَحَبَّتِ

تَحَابُّ الإِقْبَالِ الوَائِيَّةِ، ذُبُولَ فَضَائِلِهِ الفَاضِلِيَّةِ، وَأَكْتَسَبَ العُلُومَ الفَرَعِيَّةَ والأَصْلِيَّةَ،
 مِنْ جَمَائِعِ فُنُونِهِ الَّتِي تُعْرَبُ عَنْ أَنْوَاعِ الفَوَائِدِ الجُمْلِيَّةِ وَالتَّفْصِيلِيَّةِ - مِنْ شَهَدَتِ المَفَاخِرُ
 بِأَنَّهُ لَمْ يَزَلِ الشَّهِيدَ لَهَا وَأَبْنَ الشَّهِيدِ، وَحَمَدَتِ المَآثِرَ الَّتِي هُوَ الشَّهِيرُ بِهَا فَمَا عَلَيْهَا
 فِي جَمِيلِ الأَدْوَاتِ مِنْ مَزِيدٍ، وَتَشَيَّدَتِ مَبَانِي مَعَالِيهِ الَّتِي أَقْرَنَ بِأَبِ خَيْرِهَا مِنْهُ
 بِالمُتَنَجِّحِ المُبْسِئِ، وَتَمَهَّدَتِ مَعَانِي أَمَالِيهِ بِالتَّخَيُّلِ اللُّطِيفِ وَالمُفَظِّمِ المُتَيْنِ؛ وَتَعَدَّدَتِ
 أوصَافِ شَيْمِهِ فِيهِ لِحَاسِنِ الدَّهْرِ تَزِيدُ وَتَزِينُ، وَغَدَا مِنْ الكَاتِبِينَ الكِرَامِ وَالمُفَكِّمِ
 الكَاتِبِينَ؛ الَّذِينَ تَضَحُّ بِأَطْلَاعِهِمْ مَرَاصِدُ المَقَاصِدِ وَتَبِينُ. طَالَمَا أَتَسَقَّ عِقْدُ نَظْمِهِ
 المُتَيْنِ، وَبَسَقَ غُصْنُ قَلَمِهِ المُشْمِرِ بِالدِّينِ، وَأَضَافَ إِلَى أَدَبِ الكُتَابِ حِلْيَةَ العُلَمَاءِ
 المُتَقِينَ، وَأَرْتَقَبَ أفعالَ الجَمِيلِ الَّتِي أَسْتَوْجِبُ بِهَا حُسْنَ التَّرَقُّقِ إِلَى أَعْلَى دَرَجَاتِ
 المُتَقِينَ، وَقَلَّدَ أَجَادَ الطُّرُوسِ جَوَاهِرَ أَلْفَاظِهِ الَّتِي تَفُوقُ الجَوْهَرَ عَنْ يَقِينٍ؛ فِيهِ
 بِنُضَارِ حَظِّهِ مَصُوعَةٌ أَهْبَجَ صِيَاغَهُ، وَفِي طَرِيقِ الإِنْشَاءِ سَالِكَةٌ نَهَجَ البَلَاغَةِ، وَكَذَا
 بِحَارِ الفَضَائِلِ وَارِدَةٌ مَنَاهِلِهَا المُسَاغَةَ؛ كَمِ أَعْرَبَ كَلِمَهُ الطَّيِّبِ، عَنْ سَخِّ تَحَابِّ الصَّوَابِ
 الصَّيِّبِ؛ وَكَمِ أَغْنَى فِي المِهْمَاتِ بِكُتْبِهِ، عَنْ جَيْشِ الكَاتِبِ وَقُضْبِهِ؛ وَكَمِ هَزَأَتْ
 صَحَائِفُهُ بِالصَّفَاحِ، وَكَمِ أَغْنَتْ رَاشِقَاتِ فِكْرِهِ الثَّابِتَةَ العِلْمَ عَنْ سَهْوِ السُّهُمِ الرَّائِحِ؛ وَكَمِ
 تَسَابَجَتْ أَقْلَامُهُ البَيْضُ الفِعَالِ هِيَ وَسُمُرُ الرِّمَاحِ فَكَانَ نَصْرُهَا الأَلَاخِ، وَكَمِ تَعَارَضَ نَشْرُ
 وَصْفِهِ وَشَدَا الطَّيِّبِ فَالْفَى الزَّمَانُ شَأَهُ هُوَ الفَائِخِ، وَكَمِ أَشْتَمَلَ عَلَى أَنْوَاعِ مِنَ النِّفَاسَةِ
 فَاسْتَوْجَبَ مِنَّمَا يَقْضَى لَهُ بِأَجْزَلِ المُنَى وَالمَنَاجِحِ.

ولما كان المجلس العالی، القاضوی، الأجلی، الکبیری، العالی، الفاضلی،
 الکاملی، الأوحدی، الأیبری، الرئیسی، البلیغی، المُفیدی، المُجیدی، الأصبلی،
 العریقی، العابدی، الزاهدی، المؤمنی، الفتحی، بحال الملوك والسلاطين، ولی

أمير المؤمنين ، محمد بن الشهيد ؛ أدام الله نعمته : هو الذي أعرب القلم عن صفاته ، وأطرب المسامع ما أذاه اليراع عن أدواته ؛ ورأى البنان أن يستوعب بيان شكره فلم يدرك شأواً غاياته ، وتسارعت بدائع البدائيه من أفكاره فسأقت جريان يرآعه في أبياته ؛ وراقت أماليه ، لناقلي ألفاظه ومعانيه ، فشكر السمع والفهم بها هبات هباته ؛ فأدابه مشهوره ، وعلومه مذكوره ؛ وتحليله بمذاهب الصوفية آرتاضت به نفسه الخيرة الخيرة ، وإخلاصه في عبادة الله تعالى حسنت به منه السيرة والسيرة ؛ وصيانتة للأسرار الشريفة استحق بها إسناد أمرها إليه ، وإيداع غوامضها لديه ، والتعويل في حفظها وفي لفظه للفظها عليه - آقتضى حسن الرأي الشريف أن تجتبيها لما تحققنا منه من ذلك ، ونخصه بصحابة ديوان الإنشاء الشريف في أجل الممالك ، ونجعل قدمه نابتة الرسوخ ، والصعود في مشيخة الشيوخ ، ليسلك فيها أحسن المسالك .

فلذلك رسم بالأمر الشريف ^(١) الأشرفي ، الناصري - لا زال لأبوابه الشريفة فتح في الخير يقدمه النصر ، ولصحابه منح ما يعرف مدد أمداده القصر - أن تفوض إليه صحابة ديوان الإنشاء الشريف ، ومشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .

فليأشر ذلك بوافر عفافه ، ووافي إنصافه ؛ ومشهور أمانته ، ومشكور صيآته ؛ كما للأسرار ، كاتباً للبار ، ليكون من الأبرار ؛ عالماً مصالِح الأنام بإرشاد رأيه وصوابه ضابطاً أحوال ديوانه ، متحرراً في كثير الأمور وقليلها : فإن الكتاب يظهر من عنوانه ؛ محرراً لما يبغي معتبراً لما يكتب ، مجتلاً للطلعات الكريمة بفكره المتسرع

(١) يياض بالأصل ولعله "العالى" .

وتصوره الأرتب ، حافظاً أزيمة ما يصدر من مثال وما يرد في المهيمات الشريفة فهو أدري وأدرب بما على ذلك يترب ؛ محافظاً كعادته على دينه ، لازماً لصدق يقينه ؛ حافظاً لأهل الخير جناحه ، مانحاً لهم نجاحه ؛ معاملاً للفقراء بكرم نفس بالله غنيته ، ملاحظاً لأحوالهم بالقول والفعل والعمل والنية ؛ محترماً لكبيرهم ، حانياً على صغيرهم ؛ مفكراً فيما يعود نفعه عليهم ، راعياً في الباطن والظاهر إليهم ؛ معنياً لهم بالاشتغال بالعبادة ، مسلماً لهم الطريق إلى الله فإنها الطريق الجادة ؛ مستجيباً لدعواتهم الصالحة ، مستفيداً من منابر بركاتهم الرابحة . والوصايا كثيرة ومن نور إفادته تفتبس ، ومن مشهور مآذنه تلتبس ؛ وملاكها التقوى وهي أول كل أمرٍ وآخره ، وبملازماتها تتم له مفاعله ؛ والله تعالى يجرسه في السر والنجوى ، ويظهر بارشاده للعاني والبيان لكل نجوى ؛ بمنه وكرمه ! إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بكتابة السر بالشام ، كتبت به للقاضي « شرف الدين عبد الوهاب » بن فضل الله ، عند ما رسم بنقله من القاهرة إلى دمشق ، في ذي الحجة سنة إحدى عشرة وسبعائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين « محمود الحلبي » وهي :

الحمد لله الذي خص دولتنا الشريفة برعاية الذمم ، وحفظ ما أسلف الأولياء من الطاعات والخدم ، وإدامة ما أسدته إلى خدم أيامنا الزاهرة من الآلاء والنعم ؛ وإفاضة حليل أعتابها ، التي هي أحب إلى من شرف بولائها ، من حمر النعم ؛ وأبقى عوارفها على من لم يزل معروفاً في صون أسرارها بسعة الصدر وفي تدبير مصالحها بصحة الرأي وفي تنفيذ مراسمها بطاعة اللسان والقلم .

نحمده على نعمه التي ما استهلت على ولي فاققع عنه غماتها ، ولا استقرت بيد صني
فانترع من يده حيث تصرف زمامها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة لا تزال نعتصم بحياها المتين ، ويتلقى عمرا به إخلاصنا راية فضياها باليمين ؛
ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أكرم مبعوث إلى الأمم ، بالإحسان والكرم ؛ صلى الله
عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت أنسابهم ، وأضاعت لهم وجوههم وأحسابهم ؛
فرفلوا في حلال ما اكتسوه من سنه ، واكتسبوه من سنه ، فحسن منها اكتسابهم
واكتسابهم ؛ صلاة لا تزال لها الأرض مسجدا ، ولا يبرح ذكرها مغيرا في الآفاق
ومنجدا ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من خولته مكارمنا الإقامة حيث يهوى من وطنه ، وبوآته نعمنا
الجمع بين ذمام ربنا وبين ما فارقه من سكنه ؛ وملكته عواطفنا ، زمام التصرف
حيثا أمكن من خدمتنا الشريفه ، وعرفته عوارفنا ، أن مكنته عندنا على حالها حيث
أدى ما عدى به من وظيفه - من لم يزل قلمه لسان مراسمنا ، وعنان ما نجره
في الآفاق من سوابق مكارمنا ، وترجمان أوامرنا ، وخطيب آلائنا التي غدت بها
أعطاف التقاليد من جملة منابرنا .

ولما كان المجلس العالی : هو الذي لم يبرح صدره خزانة أسرارنا ، وفكره كنانة
إعلاننا في المصالح وإسرارنا ، وخاطره مرآة آرائنا ، ويراعه مشكاة ما يشرق : من أنوار
تدبيرنا ، أو يرق : من أنواء آلائنا ؛ ينطق قلمه في الأقاليم عن السنة أوامرنا المطاعة ،
وينفد كلمه عن مراسمنا في ديوان الإنشاء بما تقابله أفلام الجماعة بالسمع والطاعة ؛
وكانت سنه قد علت في خدمتنا إلى أن رأينا توفير خاطره على البركات ، عن كثير
مما يتبع ركابنا الشريف من لوازم الحركات ؛ وأن نغفیه مما يلزم الإقامة بأبوابنا

الشريفية من كثرة المثل بين يدينا، وأن تقتصر به على أخف الوظيفتين إذ لا فرق في رتبة السريين ما يصدر عنا أو ما يرد إلينا .

فرسم بالأمر الشريف، العالى، المولوى، السلطانى، الملكى، الفلانى، الفلانى، أن يكون فلان صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بمعلومه الشاهد له به الديوان المعمور بالأبواب العالية، عوضاً عن أخيه المجلس السامى، القضائى، المحيوى « يحيى بن فضل الله » ويستمر أخوه القاضى « محيى الدين » المذكور مع جملة الكُتاب بديوان الإنشاء الشريف بالشام المحروس، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور .

فليأشر هذه الرتبة التى تأملت به قواعدها وعن تقريره وتحريره أخذ كل من كان بأنواعها وأوضاعها عليا، فإنه لم يخرج عن أخيه شئ وصل إليه، ولا فوض له إلا ما هو بحكم عموم الأولوية والأولية فى يديه؛ وأما ما يتعلق بذلك من وصايا تبسط، وقواعد تُشرط؛ فإنها منه استفادها من رفقها، وعنه ارتوى بها ورواها من تعلمها؛ ونحن نعلم من ذلك ما لا يحتاج إلى أن يزداد فيه يقيناً، ولا أن يزيد به ذكره معرفةً وتمكيناً؛ والاعتماد

قلت: ومن غريب ما وقع: أنه كتب لفقير الشمايى بن فضل الله بكتابة السر بالشام، حين وليها بعد انفصاليه من الديار المصرية توقيع مفتتح بـ «أما بعد حمد الله» من إنشاء المولى « تاج الدين بن الباربارى » وكأنه إنما كتب بذلك عند تغير السلطان الملك الناصر « محمد بن قلاوون » عليه، على ما هو مذكور فى الكلام على كُتاب السر فى مقدمة الكُتاب .

وهذه نسخة تَوْقِيعِ بِكَابَةِ السَّرِّ بِالشَّامِ المَحْرُوسِ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُنْقَلِ الشُّهْبِ فِي أَحَبِّ مَطَالِعِهَا ، وَمُعَلِّي الأَقْدَارِ بِتَصْرِيفِ
الأَقْدَارِ وَرَافِعِهَا ، وَمُبْهِجِ النُّفُوسِ بِمَعَادِهَا إِلَى أَوْطَانِهَا وَمَوَاضِعِهَا ، وَمُضِي مَشِيئَتِهِ
فِي خَلِيقَتِهِ بِالْخَيْرَةِ فِيمَا يَشَاءُ لَطَائِعِهَا ؛ وَالشَّهَادَةِ لَهُ بِالْوَحْدَانِيَّةِ الآخِذَةِ مِنَ القُلُوبِ
بِجَمَاعِهَا ، وَالصَّلَاةِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي بَصَّرَ الأُمَّةَ بِهَدْيِهَا وَمَنَافِعِهَا ، وَصَانَ شِرْعَتَهُ
الشَّرِيفَةَ تَلَوِ المِلَلَ بِنَسْخِ شَرَائِعِهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ اسْتُوذِعُوا أَسْرَارَ المِلَّةِ
حَفِظُوا نَفِيسَ وَدَائِعِهَا - فَإِنَّ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ هِيَ سَوَاءٌ لَدَيْنَا فِي التَّعْظِيمِ ، وَأَوْلِيَاءَ
دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةَ يَنْتَقِلُونَ فِيهَا فِي مَنَازِلِ التَّكْرِيمِ ؛ وَعِنْدَنَا مِنْ « فَضْلِ اللَّهِ » رِعَايَةٌ لِّلْمَعْهَدِ
القَدِيمِ ، وَتَأْكِيدٌ لِّأَسْبَابِ التَّقْدِيمِ ؛ فَلَا غَضَاضَةَ لِمَنْ نَقَلْنَا مِنْ أبْوَابِنَا إِلَيْهَا ، وَلَا وَهْنَ
يَطْرَأُ عَلَى عُلوِّ المَرَاتِبِ وَيَعْتَرِيهَا ؛ حَيْثُ صَدَقَاتُنَا دَائِمَةٌ ، وَنُغُورُ إِقْبَالِنَا بِاسْمِهِ ،
وَمَرَامِنَا لِمُسَاعَدَةِ الأَقْدَارِ فِي الأَيَّامِ حَاكِمَةٍ ؛ وَ« الشَّهَابُ » لَوْ لَمْ يَسِرْ فِي سَمَائِهِ ، لَمَا
أَهْتَدَى النَّاظِرُونَ بِضِيَائِهِ ؛ وَالدَّرَّةُ لَوْ مَكَثَتْ فِي صَدْفِهَا ، لَمَا حَظِيَّتْ فِي العُقُودِ
بَشْرَفِهَا .

وَكَانَ المَجْلِسُ العَالِي ، القَضَائِيّ ، الشَّهَائِيّ ، قَدْ أَقَامَ فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ بِالأَبْوَابِ
العَالِيَةِ حَافِظًا لِلأَسْرَارِ ، قَائِمًا بِمَا يُحِبُّ وَتُحْتَارُ ؛ ثُمَّ لَمَّا أَخَذَ حَظَّهُ مِنَ القُرْبِ مِنْ
أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ : رَأَيْنَا أَنَّ عَوْدَهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَأَهْلِهِ مِنْ تَمَامِ إِيمَانِهِ ؛ وَأَنَّ مَرَجِعَهُ
إِلَى مَحَلَّةٍ ، مِنْ نِعَمِ اللَّهِ عَلَيْهِ وَفَضْلِهِ ؛ وَمَا سَارَ إِلَّا وَالإِقْبَالُ يُزَوِّدُهُ ، وَالأَسْتِقْبَالُ بِهِ
وَأَهْلُ بَيْتِهِ يُسْعِدُهُ وَيُضْعِدُهُ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يُنْقَلَ إِلَى كِتَابَةِ الإِنشَاءِ الشَّرِيفِ بِدَمَشَقِ
المَحْرُوسَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ مُتَحَدِّثًا عَنِ وَآلِدِهِ ، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ بِالدِّيَارِ المِصْرِيَّةِ ، وَلِيُقَرَّرَ لَهُ
مِنَ المَعْلُومِ كَذَا وَكَذَا .

فَلْيَسِّرْ إِلَى دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَلْيَسْتَقِرِّ فِي مَوْطِنِ إِقَامَتِهِ ، قَرِيرَ الْعَيْنِ ، مَمْلُوءَ الْبَدَنِ ،
مَسْرُورًا بِرَفْعِ الْحَلِّ فِي الْمَمْلَكَتَيْنِ ؛ وَلْيَكُنْ لَوَالِدِهِ - أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى - عَضُدًا ،
وَلْيُضَبِّحْ لَهُ فِي مَهَمَاتِنَا الشَّرِيفَةِ سَاعِدًا وَيَدًا ، وَلْيُضَيِّحْ بِهِ الْيَوْمَ بَرًّا لِيَجِدَ رِضَا اللَّهِ
عَدَا ؛ فَإِنَّ وَالِدَهُ بَرَكَةُ الْمَالِكِ ، وَهُوَ قَدِيمُ هِجْرَةٍ ، وَسَالِفُ خِدْمَةٍ ، وَحُسْنُ طَوِيئَةٍ ،
فَتَحْنُ نَزَاهُ لَذَلِكَ ، وَالْمُهَمَّاتُ الشَّرِيفَةُ يَتَلَقَّاهَا بِنَفْسِهِ ، وَلْيُضِدِرْ فُضُولَ الْمَطَالَعَةِ
مُدْبِجَةً عَلَى عَادَتِهِ فِي تَدْبِيحِ طَرِيسِهِ ؛ وَلْيَسْتَعِنْ بِاللَّهِ فَهُوَ وَلِيُّ الْإِعَانَةِ ، وَلْيَعْتَمِدْ
عَلَى الرَّفْقِ فِي أَمْرِهِ فَمَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ ؛ وَمَا بَعْدَ عَنَّا ، مَنْ كَانَ يَعِيدًا
بِالصُّورَةِ قَرِيبًا بِالْمَعْنَى ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ مِمَّا مَنَّا ؛ وَانْخَطِ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ حُجَّةً فِيهِ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

الوظيفة الثالثة - نظَر الجيوش بالشام .

وَشَأْنُ صَاحِبِهَا كِتَابَةُ الْمُرَبَّعَاتِ الَّتِي تُنْشَأُ مِنَ الشَّامِ ، وَتَنْزِيلُ الْمُنَاشِيرِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي
تَصْدُرُ إِلَيْهِ .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك ، كُتِبَ بِهِ «لِمُوسَى بْنِ عَبْدِ الْوَهَّابِ» مِنْ
إِنْشَاءِ السَّيِّدِ الشَّرِيفِ شِهَابِ الدِّينِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ إِحْسَانَنَا عَانِدًا بِصَلَاتِهِ ، وَفَضْلَنَا يَجْمَعُ شَمْلَ الْإِسْعَادِ بَعْدَ
شَتَاتِهِ ، وَعَوَاطِفَنَا تُبْنِيهِ جَفْنَ الْإِقْبَالِ مِنْ إِغْفَائِهِ وَسِنَاتِهِ .

نَعْمَدُهُ عَلَى أَنْ نَصَرَّيْنَا جَيْشَ الْإِسْلَامِ فِي أَرْجَاءِ مُلْكِنَا الشَّرِيفِ وَجِهَاتِهِ ، وَجَعَلَ
الْبَرَكَاتِ وَالْيُمِينَ بِأَمْرِنَا فِي حَالَتِي مَحْوِيهِ وَإِثْبَاتِيهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
شَهَادَةً زَادَتْ فِي جَزَاءِ الْمُخْلِصِ وَحَسَنَاتِهِ ، وَأَضْحَتْ نُورًا يَسْعَى بَيْنَ يَدَيْهِ إِلَى رَحْمَةِ رَبِّهِ
وَإِلَى جَنَّتِهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ بِهِ وَأَضْحَى آيَاتِهِ ،

وأصبح النَّشْرَ عَائِقًا مِنْ نَشْرِ رَأْيَاتِهِ ؛ وَمَا الْفَتْرَةَ بِهِدِيهِ وَسَرَّ سَرَائِرَ أَوْلِيَانِهِ وَأَكْمَدَ قُلُوبَ عُدَائِهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا تَأْرَجُ النَّسِيمُ فِي هَبَاتِهِ ، وَأَبْهَجَ الْعَطَاءَ بِجَزِيلِ هَبَاتِهِ ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ من النَّعِيمِ ما إذا عَادَتْ أَقْرَبَتِ الْعَيْونُ ، وَحَقَّقَتِ الْآمَالَ وَالظُّنُونُ ؛ وَرَفَعَتِ الْأَقْدَارَ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ رَفِيعًا مَحَلُّهَا ، وَجَمَعَتِ الْمَسَارَّ الْمُنْتَدَّ عَلَى الْأَفْنِدَةِ ظِلُّهَا ؛ وَعَمَّرَتْ رُبُوعَ الْإِحْسَانِ ، وَعَمَّزَتْ بِمَنَائِحِهَا الْحِسَانَ ؛ كَهَذِهِ النَّعْمَةِ الَّتِي تَلَقَّتِ الْإِقْبَالَ مِنْ حَافِلِ عَمَامِهِ ، وَجَمَعَتْ شَمْلَ التَّقْدِيمِ مَشْفُوعًا بِكَرَامِهِ ؛ وَأَعَادَتْ سَمَاءَ التَّكْرِيمِ هَادِيَةً بِقَطِيعِهَا ، مُشْرِقَةً الْأَرْجَاءَ بِنُورِ رَبِّهَا ؛ وَسَفَرَتْ بِدُورِهَا مِنْ هُوِ أَوْلَى بِاجْتِلَائِهَا ، وَتَهَيَّأَتْ رَبُّهَا لِمَنْ هُوَ جَدِيرٌ بِاعْتِلَائِهَا ؛ وَحَقِيقٌ بَأَنَّ تَعُودَ الْمَوَاهِبُ بَعْدَ فَرْتِهَا ، وَأَنْ تُقْبَلَ عَلَيْهِ وَجُوهَ الْمَنَائِحِ بَعْدَ لَفْتِهَا ؛ لِتُصْبِحَ كَوَاكِبُ الْإِسْعَادِ كَأَنَّهَا مَا أَفَلَتْ ، وَعَطَايَا التَّخْوِيلِ كَأَنَّهَا مَا أَتَقَلَّتْ ؛ وَيُعُودَ عَلَيْهِ الْيَوْمُ كَأَنَّهُ ، وَيَرْجِعُ أَفْقُ الْعَوَارِفِ الْحَسَامِ مُشْرِقًا بِبَدْرِ الْاجْتِبَاءِ وَشَمْسِهِ .

ولما كان فلانٌ هو الذي حَسَنَتْ فِيهِ الْخِدْمَةُ الشَّرِيفَةَ آثَارُهُ ، وَحَمِدَ إِبْرَادُهُ فِي الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ وَإِصْدَارُهُ ؛ وَشَكَرَهُ شَامُهُ وَمِضْرُهُ ، وَسَمَّا فِي كُلِّ جِهَةٍ حَلَّهَا مَحَلُّهُ وَقَدْرُهُ ؛ وَتَحَقَّقَتْ مِنْهُ رَأْسَةُ قَضَتْ لَهُ بِإِبْدَاءِ النَّعْمِ وَإِعَادَتِهَا ، وَأَنْ تَجْرِي لَهُ الدَّوْلَةُ مِنَ الْإِكْرَامِ عَلَى أَجْمَلِ عَادَتِهَا ؛ وَأَنْ تُرْعَى لَهُ حُقُوقُ أَلْفِهَا حَدِيثًا وَقَدِيمًا ، وَتُنَشَّرَ عَلَيْهِ ظِلَالُ الْفَضْلِ حَتَّى لَا يَفْقِدَ مِنْهَا عَلَى طُولِ الْمَدَى تَكْرِيمًا .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ ... لا زال ... أن يستقر ... تجديداً للملايس
سَعْدُهُ ، وَتَأَكِيدًا لِقَوَاعِدِ مَجْدِهِ ، وَتَرْبِيدًا لِلْفَضْلِ الَّذِي حَلَا مِنْهُلُ وَرَدِهِ ؛ وَرِعَايَةً يَخْدُمُهُ الَّتِي أَكْبَتْ عَلَيْهَا السِّيُوفُ وَالْأَقْلَامُ ، وَشَكَرَتْ تَأْمِيرَهَا جُنُودُنَا - نَصَرَهَا اللَّهُ

تعالى - بِمِصْرَ وَالشَّامِ ؛ وَلَمَّا لَهُ مِنْ حُسْنِ سَمِيَّتِ زَادَهُ وَقَارُهُ ، وَأَصْلِي صَالِحٍ طَابَتْ مِنْهُ ثِمَارُهُ .

فَلَيْسَتْ فِي هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ الْمُبَارَكَةِ : عَالِمًا أَنْ لِسَانَ الْقَلَمِ أَمْسَكَ عَنِ الْوَصَايَا لِأَنَّهُ خَبَرَ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ فَرَعًا وَأَصْلًا ، وَأَلْفَتْ مِنْهُ نَاطِرًا عَلَا قَدْرًا وَكْرَمًا مَحْتَدًا وَقَصْلًا ؛ وَهُوَ بِحَمْدِ اللَّهِ أُدْرِي بِسُلُوكِ مِنْهَا جِهَاتِ الْقَوِيْمِ ، وَأَدْرَبُ بِاقْتِنَاءِ سَنَنِهَا الْمُسْتَقِيْمِ ؛ وَالْخَيْرُ يَكُونُ ، وَالْإِعْتِمَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيْفِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، حُجَّةً بِمَقْتَضَاهُ .

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب التواقيع الديوانية بدمشق - من يكتب له

في قطع الثالث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتتحاً بـ «الحمد لله» إن علت
رتبته وإلا بـ «أما بعد» ، وتشتمل على وظائف)

منها - نظير الخزانة العلية ، وشأنها هناك نظير الخزانة الكبرى بالديار المصرية في القديم ، ونظير خزانة الخالص الآن .

وهذه نسخة توقيع بنظر الخزانة العلية :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي خَصَّتْ الْمُنَاصِبَ السَّنِيَّةَ فِي أَيَّامِنَا الزَّاهِرَةِ بِكُلِّ كُفٍّ كَرِيمٍ ، وَجَعَلَتْ عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ مِنْ أَوْلِيَاءِ دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ كُلِّ حَفِيظٍ عَلِيمٍ ؛ وَأَفَاضَتْ ظِلًّا لِإِنْعَامِنَا عَلَى مَنْ إِذَا أَنْعِمَ النَّظَرُ فِي حَقِّ ذَوِي الْبُيُوتِ الْقَدِيمَةِ كَانَ أَحَقَّ بِالْتَّقْدِيمِ ؛ وَالصَّلَاةَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَفْضَلَ مِنْ حَبَاهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ ، وَأَجْتَبَاهُ لِهِدَايَةِ خَلْقِهِ إِلَى السَّنَنِ الْقَوِيْمِ ، وَجَعَلَ سَلَامَةَ الصَّلَاةِ الْمَقْبُولَةِ مِنَ النِّقْصِ مَقْرُونَةً بِالصَّلَاةِ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمِ - فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ رَجَّحَهُ لِحُدُومَتِنَا الْإِخْتِيَارَ ، وَقَدَّمَهُ فِي دَوْلَتِنَا الْإِخْتِبَارَ ؛

وأخْلَصَهُ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ رُبَّةَ أَبِيهِ مِنْ قَبْلِ ، وَأَغْدَقَ لَهُ سَحَابُ بَرْنَا صَوْبَ إِحْسَانٍ فَلَمْ يُصِبْهُ طَلُّ بَلِّ وَبَلِّ - مِنْ حَمْدِ سَيْرِهِ وَسِيرِهِ ، وَشُكْرِ فِي طَاعَتِنَا وَرُدِّهِ وَصَدْرِهِ ؛ وَزَانَ الْأَصَالََةَ بِالنَّبَاهَةِ ، وَالرَّأْسَةَ بِالْوَجَاهَةِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِالتَّرَاهَةِ ؛ وَجَمَعَ بَيْنَ الصَّلْفِ وَالْإِطْلَاعِ ، وَالتَّضَلُّعِ مِنَ الْعِقَّةِ وَالْأَضْطِلَاعِ ، وَالصِّفَاتِ الَّتِي لَوْ تَخَيَّرَهَا لِنَفْسِهِ لَمْ يَزِدْهَا عَلَى مَا فِيهِ مِنْ كَرَمِ الطَّبَاعِ .

ولما كان نَظَرُ الْخِزَانَةِ الْعَالِيَةِ بِدِمَشْقَ الْمَحْرُوسَةِ رُبَّةً لَا يَرْقَى إِلَيْهَا مِنَ الْأَكْفَاءِ إِلَّا مَنْ وَمَنْ ، وَلَا يُقَدِّمُ لَهَا مِنَ الْأَوْلِيَاءِ إِلَّا مَنْ تَعَيَّنَ مِنْ رُؤَسَاءِ الْعَصْرِ وَفَضْلَاءِ الزَّمَنِ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي عَيْنَهُ لَهَا آرْتِيَادُ الْأَكْفَاءِ ، وَأَصْطَفَى هُوَ مِنْ أَهْلِ الصِّفَاءِ ، وَتَقَدَّمَ مِنْ وَصَفِ مَحَاسِنِهِ مَا لَا يَرِوَعُ تَمَامُ بَدْرِهِ وَظُهُورُهُ بِالنَّقْصِ وَالْأَخْتِفَاءِ .

فَلِذَلِكَ رَسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظَرَ الْخِزَانَةِ الْمَذْكُورَةِ .

فَلْيُبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً مِنْ يَحْقُقُ فِي كِفَايَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ التَّامِيلَ ، وَيُظْهِرُ حَسَنَ نَظَرِهِ الَّذِي هُوَ كَالنَّهَارِ لَا يَحْتَاجُ إِلَى دَلِيلٍ ؛ وَيَجْرِ عَلَى جَمِيلِ عَادَتِهِ فِي النَّهْوِضِ فِي خِدْمَتِنَا بِالسَّنَةِ وَالْقَرُضِ ، وَيُضَاعِفُ آجَتَهَادَهُ الَّذِي بَمَثَلِهِ جُعِلَ مِنْ آخْتِيرِ عَلِيٍّ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ؛ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ هَذِهِ الرُّبَّةَ مَالُ الْأَمْوَالِ ، وَذَخَائِرِ الْإِسْلَامِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْجُيُوشِ وَمَوَارِدُ الْإِفْضَالِ ؛ فَلْيُعْمَلْ فِي مَصَالِحِهَا فِكْرَهُ وَدَأْبَهُ ، وَإِذَا كَانَ حَسَنُ نَظَرِنَا الشَّرِيفِ قَدْ جَعَلَهُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهَا : (فَلْيُؤَدِّ الَّذِي أَوْثَمَنَ أَمَانَتَهُ وَلِيَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ) . وَفِي سِيرَتِهِ الَّتِي عُرِّفَتْ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي إِنْ وَصِفَتْ فَمَا انْصَفَتْ ؛ مَا يُغْنِي عَنْ تَفَاصِيلِ الْوَصَايَا وَجَمَلِهَا ، وَإِعَادَةِ مَزَايَا التَّكْيِيدِ : قَوْلُهَا وَعَمَلِهَا ؛ لَكِنْ مَلَكَهَا الصِّيَانَةُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَوْصُوفٌ ، وَالتَّقْوَى الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛ وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ .

ومنها - صحابة ديوان النظر، وصحابة ديوان الجيش ونحو ذلك من الوظائف الديوانية بدمشق .

قلت : هذا إن كتب من الأبواب الشريفة السلطانية ، وإلا فالغالب كتابه ذلك عن نائب السلطنة بدمشق .

الصنف الرابع

(من الوظائف بدمشق وظائف المتصوفة ومشايخ الخوارج ،
وفيه مرتبتان)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء ، مفتوحاً بـ «الحمد لله» .
وبذلك يكتب لشيخ الشيوخ بالشام ، وهو شيخ الخانقاه
الصلاحية ، المسماة بالشميصاتية)

وهذه نسخة توقيع بذلك ، وهى :

الحمد لله الذى اختار لعمارة بيوته أولياء يحبونه ويحبهم ، وأصفياء حَفَّهُم بِرَحْمَتِهِ
فاجتهدوا فى طاعته فازداد قُرْبَهُمْ ، وأتقياء زهدوا فى الدنيا وأبدلوا القانى بالباقي
وطاب فى موريد الصفاء شربهم .

نحمده حمد من جعل حبَّ الله دناره ، وملابس التقوى شعاره ؛ ونشكره والشكر
لمزيد النعم أماره ، وللقلوب الدائرة عماره ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة مخلص فى التوحيد ، يتبوا بها جنان الخلد ويخلص من سماع قول جهنم :

هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُسْرِيَ بِهِ إِلَى حَضْرَةِ
 أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ، وَحَظِيْرَةَ قُدْسِيَّةَ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ سَبَقَ الْأُمَّةَ
 بِشَيْءٍ وَقَرَّ فِي صَدْرِهِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ دَلَّتْ وَاقِعُهُ سَارِيَةً عَلَى عُلُوِّ شَأْنِهِ وَرِفْعَةِ قَدْرِهِ ؛
 صَلَاةً لِاتْرَائِلِ الْأَرْضِ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرَحُ ذِكْرُهَا مُغَيَّرًا فِي الْآفَاقِ وَمُنْجِدًا ؛ وَسَلَّمٌ
 تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد ، فَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ عُوْمِلَ بِالتَّقْدِيمِ ، وَأَجْدَرَ مَنْ يُخَصَّ بِالتَّكْرِيمِ ؛ مَنْ كَانَ
 قَدْرُهُ فِي الْأَوْلِيَاءِ عَظِيمًا ، وَذِكْرُهُ فِي الْآفَاقِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ قَدِيمًا ؛ وَتَجَرُّدُهُ عَنِ
 الدُّنْيَا مَشْهُورًا ، وَسَعْيُهُ عَلَى قَدَمِ الطَّاعَةِ مَشْكُورًا ؛ وَشُهُودُهُ لِمَقَامِ الْكَمَالِ مُسْتَجَلِبًا ،
 وَأَسْتَجْلَاؤُهُ لِمَوَادِّ الْأُنْسِ مُسْتَمْلِيًا ؛ فَهُوَ فِي هَذِهِ الطَّائِفَةِ الْجَلِيلَةِ سَرِيُّ الْمِقْدَارِ ، مَعْرُوفُ
 الصِّفَةِ فِي حَلِيَّةِ الْأَوْلِيَاءِ وَمَنَاقِبِ الْأَبْرَارِ ، وَالْمُتَقَدِّمُ مِنَ الْإِمَامَةِ فِي جَمْعِ الْأَخْيَارِ .

ولما كان المجلس السامى ، الشبخى ، الكيرى ، العالمى ، العالمى ، الأوحدى ،
 الزاهدى ، الورعى ، الأصبلى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، وشرف الصلحاء
 فى العالمين ، شيخ الشيوخ ، قُدوة السالكين ، مُعْتَقَدُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِ ، أَعَادَ اللَّهُ
 تَعَالَى مِنْ بَرَكَاتِهِ : هُوَ الْمَقْصُودَ مِنْ هَذِهِ الْعِبَارَةِ ، وَالْمَلْحُوظَ بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ - أَقْتَضَى
 حَسَنُ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ يُخَصَّ فِي الدُّنْيَا بِالتَّعْظِيمِ ، وَيُمَيَّزَ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ بِالتَّكْرِيمِ .

فلذلك رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ لَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّيْلِ جَيْشٌ لَا تَطْبِيشُ
 سِهَامَهُ ، وَمِنْ فُرْسَانِ الْحَارِيبِ مَدَدٌ لَا تَزَلُ فِي مُلَاقَاةِ الرِّجَالِ أَقْدَامُهُ - أَنْ يَسْتَقَرَّ
 فِي كَذَا .

فليَقَابِلِ هَذِهِ النِّعْمَةَ بِالسُّرُورِ ، وَلِيَتَأْتَلَّ هَذِهِ الْفَضِيلَةَ بِحَمْدِ اللَّهِ الشُّكُورِ ؛ وَلِيُؤَاطِبَ
 عَلَى وَظِيْفَةِ الدِّعَاءِ بِدَوَامِ أَيْمَانِ الزَّاهِرَةِ ، وَلِيَسْتَمِطِرَ جَزِيلَ الْفَضْلِ مِنْ سَحَابِ جُودِنَا

المأطره؛ وليبسُط يده في عمل المصالح، وليستمر على السعي الحسن والعمل الصالح؛ فإن هذه البقعة مأوى القادم والقاطن، وتسمو على أمثالها من المواطن؛ وليكن لأسرارهم موقراً، ولأقواتهم المعينة على الطاعة ميسراً؛ والله تعالى يجعل خلواته معمورة، وأفعاله مبرورة؛ والاعتماد في ذلك على الخط الشريف .

قلت : هذا إن وليها شيخ من مشايخ الصوفية، على عادة الخوانق . وقد يليها كاتب السر بالشام، فيكتب تقليده بكتابة السر في قطع النصف «بالمجلس العالی» على عادة كتاب السر، ويسار في تقليده إلى بعض الألفاظ الجامعة بين المقامين، ويضاف إلى الألقاب بكتابة السر بعض الألقاب الصوفية المناسبة لهذا المقام . على أنه ربما كُتِبَ بولائها عن نائب السلطنة بالشام لكتاب السر أو غيره .

المرتبة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة مفتوحاً بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت أوامره تُجلى القربات محلها، ومراسمه تُسند الرتب الدينية لمن إذا خُصوا بمواقعها كانوا أحق بها وأهلها - أن يرتب فلان في كذا : إذ هو أولى من خُص بمواطن العبادة، ونص بترفيه الأسرار على التحلي بأفاضة الإفاده؛ ووفر كده على اجتلاء وجوه المعارف من أفق المراقبه، وجمع خاطره لأجتناء ثمرة الأنس من أفتان الطاعات الناتية في رياض المحاسبه؛ مع تمسكه بعلوم الشريعة الذي [خلص] معرفته من الشوائب، وأحيا الدجى من أفتبال شيبية

ظَلَمَهُ إِلَى أَنْ تَسِيَّبَ مِنْهُ الدَّوَابُّ ؛ وَنَفَعَ مَتَعَّدًا إِلَى كُلِّ طَالِبٍ فَضْلًا وَمَلْتَمَسًا ،
وَدِينًا بَاهِرًا مِنْ مِصْبَاحِ مِشْكَاتِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ لِكُلِّ بَاغِي نُورٍ وَمُقْتَبِسٍ .

فَلَيْسَتْ قَرَّةَ شَيْخًا بِالْمَكَانِ الْفُلَانِيَّ : لِنَعْمَرِ أَرْجَاؤَهُ بِتَهْجِيدِهِ ، وَنُشْرِقَ خَلَوَاتَهُ بِتَعْبِيدِهِ ؛
وَتَعْدُبَ مَوَارِدُهُ بِأَوْزَادِهِ ، وَتُطْلِعَ مَجَالِسُهُ نُجُومَ مَعْرِفَتِهِ الْبَارِزَةِ مِنْ أَفْقِ إِيْرَادِهِ ؛ [و] لِنَعْدُو
هَذِهِ الْبُقْعَةَ رَوْضَةَ أَفْكَارٍ ، وَقِبْلَةَ أَذْكَارٍ ؛ وَمَرَاتِي دَعَوَاتٍ ، وَمَرَافِي بَرَكَاتٍ ،
تُسْتَنْزَلُ بَيْنَ صَلَوَاتٍ مَقْبُولَةٍ وَخَلَوَاتٍ ؛ وَلِيَقْتَنُؤِيَ الْمَعْلُومَ الْمُسْتَقْرَّلَ تَرْفِيهَا لِيَسْرَهُ ،
وَتَنْزِيهَا لِفِكْرِهِ ؛ وَإِعَانَةً عَلَى الْإِتْقَاعِ بِهَذِهِ الْبُقْعَةِ الَّتِي تَتَّصِلُ بِهِ أَسْبَابُ السَّعَادَةِ
فِي أَرْجَائِهَا ، وَتُخَصِّصُهَا لَهَا مِنْهُ بِإِمَامٍ تُقَى لَوْ كَانَ لِبُقْعَةٍ أَنْ يُجْتَنِيَ بِرَكَتِهِ لَكَانَ مُنْتَهَى
رَجَائِهَا ؛ وَلِيَرْفَعَ مِنَ الْأَدْعِيَةِ الصَّالِحَةِ لِأَيَّامِنَا الْمُبَارَكَةِ مَا لَا تَرَالُ مَوَاطِنُ الْقَبُولِ لِنَفْعَاتِهِ
الْمُتَرَقِّبَةِ مُتَلَقِّيهِ ، وَمَا لَا تَبْرُحُ النُّفُوسُ لِحَشِيَّتِهِ الْمَسَانِعِ مُتَوَقِّبِهِ ؛ وَالْإِعْتِدَادُ عَلَى الْخَطِّ
الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ .

قُلْتُ : هَذَا إِنْ كُتِبَ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . وَإِلَّا فَالغالبُ كِتَابَةٌ ذَلِكَ عَنِ
نَائِبِ السُّلْطَانَةِ بِالشَّامِ .

النوع الثاني

(من وظائف دِمَشْقَ مَاهُو خَارِجَ عَنِ حَاضِرَتِهَا)

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَّةِ : أَنَّ لِدِمَشْقَ أَرْبَعَ صَفَقَاتٍ ، وَهِيَ : الْغَرْبِيَّةُ ،
وَالشَّرْقِيَّةُ ، وَالْقِبْلِيَّةُ ، وَالشَّمَالِيَّةُ .

فَأَمَّا الصَّفَقَةُ الْغَرْبِيَّةُ : وَهِيَ الْمَعْبُورُ عَنْهَا بِالسَّاحِلِيَّةِ وَالْحَبْلِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِيهَا ، فَفِيهَا
مِنْ وُظَائِفِ أَرْبَابِ السُّيُوفِ عَدَّةٌ وَوُظَائِفٍ ، وَتَوَلَّى فِيهَا الْأَبْوَابُ السُّلْطَانِيَّةِ .

منها - نيابة القدس . وقد تقدم أنها كانت في الزمن المتقدم ولاية صغيرة يليها جندي^٢، ثم استقرت نيابة طبلخاناه، في سنة سبع وسبعين وسبعائة، وأن العادة جرت أن يُضاف إليها نظر الحرمين : حرم الخليل عليه السلام، وحرم القدس . والذي يكتب له مرسوم في قطع الثلث بـ «السامح» بالياء .

ومنها - نيابة قلعة الصبيبية . وقد تقدم أنها من أجل القلاع وأمنعها، وأنه كان يليها نائب مفرد من أجناد الحلقة أو مقدميها عن نائب دمشق ، ثم أضيفت إلى والي بانياس . ثم استقرت في سنة أربع عشرة وثمانمائة في الدولة الناصرية « فرج » نيابة .

ومنها - نيابة قلعة عجلون . وقد تقدم أنها على صغرها حصن حصين، مبنية على جبل عوف، بناها أسامة بن منقذ، أحد أمراء السلطان صلاح الدين « يوسف ابن أيوب » في سلطنة العادل أبي بكر، وأنه كان مكانها رآهب اسمه عجلون، فسميت به . ثم استقرت في الدولة الناصرية « فرج » في سنة أربع عشرة وثمانمائة إمرة طبلخاناه .

وقد تقدم أول هذا القسم ما يكتب للقدمين، وما يكتب للطبلخاناه، وما يكتب للعشرات .

أما أرباب الوظائف الدينية .

فمنها - مشيخة الخانقاه الصلاحية بالقدس . وتوقيعها يكتب في قطع الثلث مفتتحاً بـ «الحمد لله» .

(١) في تقويم البلدان ص ٢٢٨ أن جبل عوف كان أهله عصاة فبنى عليهم أسامة حصن عجلون وهو معقل حصين مشرف على النور .

ومنها - خطابة القدس ، وتوقيعها كذلك .

ومنها - مَشِيخة حرم الخليل ، وتوقيعها في العادة يكتب مفتتحا بـ «رُسم» .
وأما الصَّفقة القِبليَّة ، فالتي يوثق بها من الأبواب السلطانية نيابة صرَّحْد .
وقد تقدّم في الكلام على ترتيب المملكة الشاميَّة أنه قد يعمل فيها من يقرب من
رتب السلطنة ، وحينئذ : فإن وليها مُقدّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف
بـ «المجلس العالى» . وإن وليها أمير طبَّخانا ، كان مرسومه في قطع النصف أيضا ،
بـ «السامى» بالياء .

وأما الصَّفقة الشَّرقية فالنيابات بها على طبقتين :

الطبقة الأولى

(ما يُكتب به مرسوم شريف في قطع النصف ، وهو ما يليه مُقدّم ألف
أو طبَّخانا ، وفيها نيابات)

النيابة الأولى - نيابة محص .

وقد تقدّم أنها كانت نيابة جليَّة ، كان يليها في الدولة النَّاصرية «محمد بن قلاوون»
مُقدّم ألف ، وأنه ذكر في «التتيف» أنها صارت الآن طبَّخانا . وحينئذ :
فإن كان بها مُقدّم ألف ، كان مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن
كان طبَّخانا ، كان مرسومه في قطع الثلث بـ «المجلس السامى» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بِنِابة السلطنة بِمُحص :

الحمد لله مُقدِّر كلِّ أجلٍ إلى حين ، ومُقرِّر أمورِ الممالك في عبادة الصَّالحين ؛ الذى
جعل بنا أوليَّاءنا من الرَّايعين ، وحَفِظَ ما أَسْتَرْعَانَا من أمورِ عباده بولايةِ النَّاصحين .

نحمدُه على اختيارِ لا يَصِلُ إليه قَدْحُ القَادِحِينَ ، ونشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده
لا شريكَ له شهادةً نكوُنُ بها في عَمَرَاتِ الحُرُوبِ على السَّوَاحِ سَابِحِينَ ؛ ونشهدُ أنَّ
سيدنا محمداً عبدهُ ورسولهُ أَكْرَمَ المَآئِينِ ، وأَعْظَمَ الفَآئِحِينَ ، وأشرفُ من ولى الأَعْمَالِ
الكُفَاةَ الوُفَاةَ المُكَايِفِينَ ؛ صَلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه صلاةً لا تزالُ فيها الحَفَظَةُ
على أَعْمَالِنَا مُمَاسِينَ ومُصَابِحِينَ ، وسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعدُ ، فَإِنَّ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ وَقْتُهَا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَدٍ مَمْدُودٍ ؛
وَمَضَتْ أَيَّامٌ وَلَيَالٍ وَلَهَا بَابٌ مَسْدُودٌ ، وَعَمَلٌ سَبِيهُ غَيْرُ مَشْدُودٍ - فَإِنَّا كَالسَّيْفِ
يَتَلَاهَى ثُمَّ إِذَا صَمَّمَ لَا يَرْجِعُ ، وَكَالغَمَامِ نَتَمَادَى مُدَّةً مَدَّةً ثُمَّ يَجُودُ فَلَا يَقْلَعُ ؛ وَلَمْ نَزَلْ
مِنذُ فَوْضَ اللهُ أُمُورَ بِلَادِهِ إِلَيْنَا ، وَصَرَفَ أُمُورَ جُمْهُورِ عِبَادِهِ بِيَدَيْنَا ؛ نَرَى أَنْ نَحْمِيَ
غَابَاتِهَا بِأَشَدِّ الأُسُودِ ، وَنَرِي غَايَاتِهَا بِنَ هُوَ لِأَمْرٍ مَا يَسُودُ ؛ وَنَحُوطَ جَنَابَاتِهَا بِنَ
لَا يَسْتَبِيحُ حَرَمَهُ إِلَّا الوُفُودُ ، وَنَحُطُّ رَكَائِبَ رَعَايَاها مِنْهُ عَلَى مَنْ هُوَ المَقْصُودُ ؛ وَنُنِيبُ
إِلَى مَا يَتَرَجَّحُ مِنْ مَصَالِحِهِمْ لَدَيْنَا ، وَنَسْتُنِيبُ لِمَنْ يَتَرَجَّى الحُسْنَى إِذَا عُرِضَتْ
مُتَجَدِّدَاتُ أُمُورِهِمْ عَلَيْنَا ؛ وَإِذَا أَنْفَرَدَ بِحُكْمٍ لَا يَظُنُّ إِلَّا أَنَّهُ بِمَسْمَعٍ مِنْ أَدْنَيْنَا ،
وَمَرَأَى مِنْ عَيْنَيْنَا ؛ لِأَنَّ نَوَابَ المَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ فُرُوعَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ وَنَحْنُ أَصْلُهَا ،
وَأَسْبَابُ إِحْسَانٍ بِأَوَامِرِنَا المَطَاعَةَ قَطَعَهَا وَوَضَلُّهَا .

وَكَانَتْ خِمُصُ المَحْرُوسَةِ مِنْ أَكْبَرِ المَمَالِكِ القَدِيمَةِ ، وَالمُؤَدَّنِ العَظِيمَةِ ؛ تَفَرَّقُ
الأَقَالِيمُ فِي مَدَّهَا ، وَتَمْتَدُّ عَسَاكِرُهَا فَتُعَدُّ حِمَاةً حِمَاةً مِنْ جُنْدِهَا ؛ وَهِيَ مِنَ الشَّامِ
المَحْرُوسِ فِي مَاتَقَى مَوَاكِبِهِ ، وَبَجَرَّ عَوَالِيهِ وَبَجَرَى سَوَاقِيهِ وَبَجَمَعَ كَتَائِبِهِ ؛ طَالَمَا كَانَ بِهَا
الحَرْبُ سِجَالًا ، وَطَالَمَا سَابَقَتْ بِهَا الرِّجَالُ آجَالًا ؛ وَكَانَ لَنَا بِهَا فِي الحَرْبِ يَوْمَانِ
عَوَضْنَا اللهُ أَدْنَاهُمَا بِمَا حَفِظَتْ المَعَارِكُ ، وَضَاقَتْ الأَرْضُ بِدَمَاءِ القَتْلِ فَفَاضَ إِلَا

السَّيِّءُ مَا آتَى الشَّفَقُ مِنْ [تلك المسالك] ^(١)، وَأَتَصَلَّتْ بِالْبَرِّ وَالْبَحْرِ مِنْ جَانِبَيْهَا؛
وَأَتَصَفَّتْ بِأَنْهَا مَهَبُ الرِّيحِ، وَمَرَكُ الرَّمَاحِ؛ لِمَا يَهْبُ لَنَا مِنْ بُشْرَى النُّصْرَةِ وَيَخْفِقُ
مِنْ عَصَائِبِنَا الْمَنْصُورَةِ عَلَيْهَا.

فَلَمَّا تَطَاوَلَ الْأَمْدُ عَلَى خُلُوقِهَا مِمَّنْ يَنْوِبُ عَنِ السَّلْطَنَةِ الشَّرِيفَةِ فِي أَحْكَامِهَا،
وَيُثَوِّبُ إِلَى تَسْدِيدِ مَرَامِي سِبْهَائِهَا؛ لَمْ تَزَلْ آرَاؤُنَا الْعَالِيَةَ تَجُولُ فِيمَنْ يَصْلُحُ أَنْ
يُقَدِّمَ قَدَمَهُ إِلَى رُبَّتِهَا الْعَالِيَةِ، وَيُجَرِّدَ مِنْهَا عِزَّائِمَةَ الْمَشْرِفِيَّةِ؛ وَيَجْمَعُ بِهَا عَلَى طَاعَتِنَا
الشَّرِيفَةِ مِنْ فِيهَا مِنَ الْعَسَاكِرِ الْمَنْصُورَةِ، وَالْقَبَائِلِ الْمَشْهُورَةِ، وَالطَّوَائِفِ الْمَذْكُورَةِ،
وَيَسْطُرُ بِسَاطِ الْعَدْلِ فِي كَافَّةِ جُنُودِهَا وَرِعَايَاهَا فَإِنَّهَا بِهَيْؤَلِهَا مَحْرُوسَةٌ وَبِهَيْؤَلِهَا
مَعْمُورَةٌ - فَرَأَيْنَا أَنَّ أَوْلَى مِنْ حَكْمٍ فِي عَاصِيهَا وَالْمُطِيعِ، وَأَتَّخِذَ لِسُورِيَا السُّورِ الْمُنْبِيعِ؛
مَنْ هُوَ الْمَوْثُوقُ بِمَا أَمْضَتْ السُّيُوفُ مِنْ هِمَمِهِ، وَأَرْضَتْ التَّجَارِبُ مِنْ سَوَائِقِ
خِدْمَتِهِ؛ وَطَارَتْ سَمْعَةٌ شُكْرِهِ فِي الْآفَاقِ، وَطَابَتْ أَثْنَتُهُ بِغَامَتِهَا بِمَا يُعْرَفُ مِنَ
الطَّرْبِ لِإِسْحَاقَ؛ وَكَانَ قَدْ تَقَدَّمَ لَهُ فِي عَيْنَاتِهَا، نِيَابَةُ كَمِّ أَصَابِهِ فِيهَا رَجُلٌ بِالْعَيْنِ ^(٢)
ثُمَّ إِنَّهُ مِنَ الْعَيْنِ تَابَ؛ وَقَامَ بَيْنَ أَيْدِي كِفَلَاءِ مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ حَاجِبًا، وَفَهَمَ مِنْ
أَحْكَامِهِمُ الَّتِي تَلَقَّوْهَا مِنَّا مَا أَصْبَحَ لَهَا صَاحِبًا؛ فَالْنِّيَابَةُ إِحْكَامُ أَحْكَامِ إِلَّا وَهُوَ
بِهِ عَالِمٌ، وَلَا تَوَلِيَّةَ حُكْمٍ إِلَّا وَقَدْ اسْتَحَقَّهَا لِقُرْبِ مَا بَيْنَ الْحَاجِبِ وَالْحَاكِمِ.

وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الْمُرْتَضَى لِلْبَيْتِ هَذِهِ الْمَفَانِحِ، وَالْمُنْتَظَرُ الَّذِي كَمَّ تَرَكَ الْأَوَّلُ فِيهِ
لِلْآخِرِ - فَاقْتَضَتْ مَرَّاسِمِنَا الْمَطَاعَةَ أَنْ يُرَانَ جَيِّدُهُ بِهَذَا التَّقْلِيدِ، وَتُلْقَى إِلَيْهِ الْمَقَالِيدُ؛
وَمُتَدِّدٌ هَذِهِ الرِّتْبَةَ لَتَلْقِيهِ، وَتَخَضَعُ عَنْقُ هَذِهِ الْمُرْتَبَةِ لِتَرْقِيهِ؛ وَتَحْوَلُ إِلَيْهِ هَذِهِ النِّعْمَةُ

(١) بياض بالأصل .

(٢) هو إسحاق بن إبراهيم الموصل مقلد الخلفاء المشهور .

التي أُلحقت قدره بالأكفاء، وأهلت هممه للاكتفاء؛ وشرفت مكانه بما أجمعت عليه آراؤنا الشريفة له من الأضطفاء، وأحسنّت به الظن لما رأت نيته الجميلة ممثلة من خاطره في مرآة الصفاء .

فُرِسَ بالأمر الشريف - لا زال مرفوعاً به كل علم، متنوعاً به حمى كل حرم - أن تُفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بمحصى المحروسة وأعمالها؛ وجنودها وعمالها، وعساكرها وعشائرها؛ وعامرها وغامرها، وأولها وآخرها؛ ودانيتها، وقاصبيها، وكل ما في حدودها الأربعة، ودأخل في جهاتها الممنعة؛ على أكل ما جرت به عوائد من تقدمه، واستقرت عليه القواعد المتقدمة .

فاتق الله في أمورك، واجعل الشرع الشريف مشكاة نورك، وعظم حكمته، ونفذ أحكامه، فهم أمنع سورك . واعيدل فهو قرار خواطر جمهورك، وتيقظ لسداد سداد نفورك، وأرفق لتطابق به نطق نطاق شكورك . وأقيم الحدود فإنها زيادة في أجورك . وأما العساكر المنصورة، بحمل بهم في خدمتنا الشريفة مواجك، وكل بعزائمهم مضاربك؛ ولا تستخدم منهم إلا من يسرك أن تراه في يوم العرض، وتعدّ هودى جباهه السماء بالأرض؛ وأحيم أطراف بلادك من عادية الرجال، وأحفظ جانيها من تحطيف الغارات فسر قيامها [لا يدفعه] غير احتيال؛ وأهم بالجهاد تحت صنابنا المنصورة لأعداء الله متى أجمعوا، وضررهم بأنياب أسنتك فانت صاحب العصا وهي تتلقف ما صنعوا؛ وعمر بلادها بملا حظتك الجميلة، ونم أمورها فهي قوام الجنود وهم إلى الثقة في النصر الواسيل؛ وسارع إلى ما ترد به مراسمتنا الشريفة عليك لتهديك إلى صراط مستقيم؛ وبجمل البريد فإنك تعلم به ما لست بعليم؛

وَبَقِيَّةُ الوصايا لِحَاجَةِ إليها لما تعرفه من قديم ، واللهُ تعالى يُمتَّعك بكلِّ خُلقٍ كريمٍ ؛
وانحطُّ الشريفُ أعلاه

النيابة الثانية - نيابة الرِّجبة .

وهذه نسخةٌ بنيابتها :

الحمدُ لله الذي أمدَّنَا بنصْرِهِ ، وشَمِلَ بـُجودِ سلطاننا أهلَ عَصْرِهِ ؛ وأيدَهُ بِمُجودِ أوْهَلِها
مُتَّصِلُ بأوَّلِ عِراقِهِ وآخِرِها بِأخْرِ مِصرِهِ ، وفَرَّقَ بـِيسْهامِهِ الأعداءَ في حَواصِلِ الطيرِ بين
حِضْنِهِ وَخَصْرِهِ .

نَحْمَدُهُ حمداً يَقومُ بِشُكرِهِ ، وَيحافظُ على حُسْنِ ذِكرِهِ ، وَيُستعاذُ بِهِ إِلا ما يُدْمِرُ
على العِدا من عواقبِ مكرِهِ ؛ ونشهدُ أن لا إلهَ إِلا اللهُ وحده لا شريكَ لَهُ شهادةً تُرْغِمُ
مَنْ جادَلَهُ بِكُفْرِهِ ، وتُزَكِّقُهُ بينَ كُلِّ نَابِ سيفٍ وَطُفْرِهِ ؛ ونشهدُ أن سَيدنا محمداً عبْدُهُ
ورسولُهُ أرسَلَهُ مُقيماً لأمرِهِ ، ومُديماً في الجهادِ لِإِعمالِ بَرضِهِ ومُثمِّره ، صلى اللهُ
عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ حَمَلَةً سَيرَهُ ، وَثَقَلَةَ هَدْيِهِ بأُسْرِهِ ؛ صلاةً باقيةً في الوجودِ بقاءِ
دَهرِهِ ، راقيةً آرتقاءَ زُهرِهِ .

وبعدُ ، فإنَّ النُّغورَ بِسَيدِادِها ، والبُجورَ بِأمدادِها ، والنُّجورَ لا تحلُّ بِأحسنٍ من
حَليةِ نِجادِها ؛ والممالكَ المحروسَةَ لا تُحْرَسُ إِلا بِشُهبِ نُحرِصانِها ، ولا تُسْقَى بِأنقَعِ
مما تُطَلُّهُ من الدِّماءِ سَحْبُ فُرسانِها ؛ والفُراتُ لا تُنحَى مَوارِدُها إِلا بِأمشالِ سيوفِها
القَواضِبِ ، ولا تَمْنَعُ مَخاوَضِها إِلا بِأيدِمْ خاضِبِ ، والحِصُونُ لا يَرْضَى بِها كُلُّ مَنْجَنيقِ
غَضبانٍ إِلا بِوصالِ مُغاضِبِ ، والقِلاَعُ لا تتطَلَّعُ عيونُ دِبابِها إِلا مِن ماءِ الكَرَى

(١) في الأصل مخالفا .

في جفونه ناضب ، والمعاقل لا تسمع بعقائلها إلا لمن هو على خطبتها مواظب ؛
 وكانت الرحبة - حرسها الله تعالى - هي أوسع مكان رحابا ، وأذنى إلى مطير سحابا ؛
 وأوثق ما غلق على البلاد بابا ، وأقرب ما سمع حراسها في السماء دعاء مجابا ؛
 قد ملئت سماؤها حرما شديدا وشمها ، ومدت كواكب الدلو واستقت من الغمام
 قلبا ؛ وعدت ما وراء الحجرة فعميت دونها المسالك ، وحسبت ملك ونسبت إلى
 مالك ؛ ومالك - لا أعني إلا ابن طوق - خازنها ، ومترل أمين وفي غاب الأسد
 مساكنها ؛ قد وقفت لبغداد في قيم المضيق ، وهمت بلاد العدا أن تحوض الفرات
 إليها فقالت : مالك إلى طريق ؛ قد أفتت في وجه العساكر المنصورة نغرها الضاحك ،
 ورد قرن الشمس فرعها المتمايك .

فلم أعمد حسامها المسلول ، وأقلع عمامها وكل هذب بالبكاء عليه مبلول -
 اقتضى رأينا الشريف أن نجدد لعروبها زفافا ، وليبوتها أفواجا ؛ ولسيوفها جلاء ،
 ولسقوفها إعلاء ؛ ونولها لمن تكون همته فيها جديدة الشباب ، أكيدة الأسباب ؛
 ليكون أذعى لمصالحها ، وأرعى لمنأحجها ؛ وأوعى لما يجتمع سمعه من مصالحها ،
 وأسعى في حياية مماسيها ومصالحها ؛ وكان فلان هو أصلب من في كائننا الشريفة
 عودا ، وأنجز وعودا ؛ وأصدق رعودا ، وأيمن إذا طلع نجمه في أفق سعودا .

فرسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه نيابة الرحبة المحروسة ، على عادة من تقدمه
 وقاعدته ؛ [فليتول ذلك] مقدما تقوى الله والعمل بما شرع ، وأتباع مراسمنا الشريفة
 فيثله من أتبع ؛ وحماية أطرافها ، من كل طارق إلا طارقا بطرق بخير ، وصيانة أكنافها ،
 من كل عصابة مخلقة إلى جوارها كالطير ؛ وحفظها من عادية كل أفاك وسفالك ، وبادية
 أعراب وأتراك ؛ وكل فارس فارس وراكب بعير ، وكل وقفة محاصر وحقطة مغير ؛

وَجَانِبِيَّ بَرُّ وَبَحِيرِيَّ : فِي أَحَدِهِمَا الْمَسَالِكُ تَعَمَّى وَالْآخَرَ لَا يُعَامُ ، وَصَاحِبِيَّ سَرٌّ وَجَهْرٌ :
هَذَا تَخَشُّيْ لَهُ عَاقِبَةُ كَلَامٍ وَهَذَا مُعَاقِبَةُ كَلَامٍ .

وَلِيَتَخَطَّفَ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا تَلَمَّعَ لَدَيْنَا بِوَارِقِهِ ، وَيَتَقَطَّفَ مِنَ الْأَقْوَالِ تَمَرَاتِهَا
وَلَا يَدْعُ كُلُّ مَا تَجَمَّعَ حَدَائِقُهُ ، وَلِيَجْعَلَ لَهُ مِنَ الْمُنَاصِحِينَ طَلَاتِعَ مَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ
فِي آتِيهَا الْأَخْبَارِ أَبُو الْغَارَاتِ ، وَمَنْ إِذَا أَلْجَمَهُ الْخَوْفُ كَانَ لَهُ فِي لَمَسِ الْبُرُوقِ
إِشَارَاتٌ ؛ وَلِيَتَّخِذَ مِنَ الْكَشَافَةِ مَنْ يَسْبِقُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْهِ طَرْفُهُ ، وَمَنْ الْخِيَالَةَ مِنْ
لَا يَرْتَدُّ عَنْ وَقْدِ الرَّمَاحِ طَرْفُهُ ؛ وَمَنْ الْقَصَادَ مَنْ لَا يَطْوِي عَنْهُ خَبْرًا ، وَمَنْ الدِّيَادِبَ
مَنْ يُعِيرُهُ وَقَالَ أَنْ تَمَارَ الْعِيُونَ نَظْرًا ؛ وَلِيَحْفَظَ التُّجَّارَ فِي مَذَاهِبِهِمْ غُدُوًّا وَرَوَّاحًا ،
وَمَسَاءً وَصَبَاحًا ؛ وَلِيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا فَإِنَّهُمْ طَالَمَا أَزْدَانَتْ بِهِمْ صُدُورُ الْخَزَائِنِ عَلَى
أَمْتِلَائِهَا أَنْشِرَاحًا ، وَلِيَأْخُذَ مِنْهُمْ مَالِيَّةَ الْمَالِ فَكَمْ وَجَدُوا بَعْضَانَهُ أَرْبَاحًا ؛ وَلِيُوصَلَ
إِلَى أَرْبَابِ الْقَرَارَاتِ مَا لَمْ مِنْ مُقَرَّرٍ مَعْلُومٍ ، وَلِيُعْطِيَهُمْ مَا تَصَدَّقْنَا بِهِ عَلَيْهِمْ وَهُوَ
مَشْكُورٌ وَإِلَّا أَعْطَاهُمْ وَهُوَ مَدْمُومٌ ؛ وَلِيُعَمِّرَ الْبِلَادَ بِتَوْطِينِ أَهْلِ الْقُرَى ، وَإِنَامَتِهَا
بِالْعَدْلِ مَلَانَةً الْجُفُونَ مِنَ الْكِرَى ؛ وَلِيَكُنَّ لِلْفِرَاتِ مِتَقَطًّا لَللَّأِ يَطْفِي بِهَا النَّيَّارُ ،
وَيَغْلِبَ بِمَذَاهِبِهَا الْمُخَمَّرَ عَلَى سَكْرِهَا مِنَ السُّكْرِ الْخَمَّارِ ؛ وَيَقْوَى عَلَى سَدِّهَا قَبْلَ أَنْ لَا يَقْدِرَ
عَلَى مُقَاوَاةِ الْبِحَارِ ؛ وَيَتَفَقَّدَ مَبَانِيهَا فَإِنَّهَا مِنْ أَسْنَى مَا تَتَفَقَّدُهُ الْأَبْصَارُ ، وَلِيغْلُقَ
زُرُوعَهَا لِتَكُونَ : (كَثَلُ زُرْعٍ أَنْخَرَجَ شَطَاةً فَأَزْرَهُ فَاسْتَغْلَطَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ
يُعِجِبُ الزَّرَّاعَ لِيُعِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ) وَلِيَعِفَّ فَإِنَّ الْعَفَافَ هُوَ الْغِنَى ، وَلِيُؤْمَنَ مِنْ يَلِيهِ
فَإِنَّ الْإِمَانَ هُوَ الْمُتَى ؛ وَلِيُقَرَّ مَا اسْتَقَرَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ مِنْ صُلْحٍ أَوْ أَخِيهِ ،
وَأَصْبَحَ كُلُّ مَنْ أَهْلُ الْجَانِبِينَ لَا يَفْرُ مِنْ أَخِيهِ ، وَلَا يَرْخُصُ لِأَحَدٍ فِيمَا يَنْقُضُهُ
لَا فِي تَاجِلِ أَمْرٍ وَلَا فِي تَرَاحِيهِ ؛ حَتَّى إِذَا كَشَفَتِ الْحَرْبُ عَنْ سَاقِهَا ، وَشَدَّتْ عَقْدَ
نِطَاقِهَا ؛ فَلِيَكُنَّ بِحَسَبِ مَرَّاسِمِنَا الشَّرِيفَةِ أَعْتَادُهُ فِي شَنْ كُلِّ غَارِهِ ، وَسَنْ كُلِّ مَاضٍ

مُرْهِفًا غِرَارَهُ ، وَجَوِّسَ خِلَالَ دِيَارِ الْعِدَا وَأَخْتِطَافَ كُلِّ قَمِيرٍ مِنْ دَارِهِ ، وَالْمُحْرِقَاتِ
الَّتِي لَا تُحْرِقُ نَبَاتًا حَتَّى تَسْبَبَ فِي ضُلُوعِهِمْ ، وَالْعِبَارَةَ فَهِيَ الزَّلَازِلُ الَّتِي تَسَاقُطُ مِنْهَا
مَبَانِي رُبُوعِهِمْ ، وَمُؤَالَاةِ الْبُعُوثِ : فَإِنَّ كُلَّ بَعِثٍ يَتَكَفَّلُ بِشَتَاتِ جُمُوعِهِمْ ، وَالْعَمَلِ
بِكُلِّ مَا تَرَدُّ بِهِ مَرَّاسِمُنَا الْعَالِيَةِ ، وَالْمُؤَاصَلَةَ بِكُتُبِهِ الَّتِي تَرْفُضُ مَا سِوَى أَخْبَارِهَا
الْمُتَوَالِيَةِ ، وَإِرْسَالِ كُلِّ بَرِيدٍ وَحَمَامٍ مُتَحَلِّقٍ بِهِمَا : إِمَّا رِيحٌ ظَاهِرَةٌ وَإِمَّا رِيحٌ عَادِيَةٌ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْرَبُ لَهُ الْغَايَاتِ الْمُنَادِيَةَ ، بِمَنْهٍ وَكِرْمِهِ ! .

النيابة الثالثة - نيابة مضياف .

وهذه نسخة مرسوم بنيابتها :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَرَّفَ مَمَالِكَنَا الشَّرِيفَةَ فِي الْمَمَالِكِ ، وَشَرَّفَ بِنَا كُلَّ حَضَنٍ
لَا تَعْرِضُ لَهُ الْمَجْرَةُ فِي الْمَسَالِكِ ، وَعَرَّفَ بِالْتَرِيصَةِ فِي خِدْمَةِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ إِلَى أَيْنَ
يَنْتَهَى السَّالِكِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي نَعْتَدُّ بِهَا الْحَمْدَ مِنْ ذَلِكَ ، وَنَرْغَبُ أَنْ نَلْقَى اللَّهَ عَلَى أَدَاءِ الْأَمَانَةِ
فِيهَا كَذَلِكَ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا هُوَ مَالِكٌ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ
مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أَضَاءَ بِهِ كُلَّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَنْجَى بِهِ مِنْ مَهَاوِي الْمَهَالِكِ ،
وَجَمَعَ بِهِ مِنَ الْأُمَّةِ مَا وَهَى وَهَى كَالْعِقْدِ الْمُتَمَالِكِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
صَلَاةً يَجِدُّ بِهَا قَائِلُهَا فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ كُلُّ هُنَاءٍ هُنَالِكَ ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ النِّظَرَ فِي أُمُورِ الْمَمَالِكِ هُوَ أَوَّلُ مَا يَقْدَمُهُ الْمَلِكُ ، وَأَوَّلُ مَا يَتَقَدَّمُ إِلَيْهِ
مَنْ سَلَكَ ، وَبِمَمْلَكَةِ بَيْتِ الدَّعْوَةِ هِيَ مِنْ أَجْلِ مَا تَقَرَّرَتْ بِهِ مَمَالِكُنَا الشَّرِيفَةِ ،
وَامْتَدَّتْ بِهِ فِي الْأَمَاكِنِ الْمُخَيِّفَةِ ، وَأُرْسِلَتْ مِنْ قِلَاعِهَا مِنْ يَقْتَلِعُ الْعِدَا بُرُوتُوبَهُ ،
وَيُسَابِقُ السَّمَّ إِلَى مَطْلُوبِهِ ، وَيَتَعَبَّدُ بِمُؤَالَاتِنَا الَّتِي وَرَثَهَا عَنْ سَلَفِهِ فِي طَاعَةِ أَيْمَتِهِمْ ،

وَعَلِمُوا بِهَا أَنَّ الدَّوْلَةَ العُلُوبِيَّةَ مَا اتَّقَضَتْ حَتَّى اتَّقَلَّتْ إِلَيْنَا الْوِلَايَةَ عَلَى شِبَعِيَّتِهِمْ ؛
وَأَنَّ الْمُلْكَ الْإِسْمَاعِيلِيَّ - فِينَا قَدْ انْحَصَرَ مِيرَاثُهُ ، وَأَنَّ كُلَّ مَنْ مَاتَ مِنَ الْخُلَفَاءِ الْفَاطِمِيِّينَ
- رَحِمَهُمُ اللَّهُ - نَحْنُ وَرَثَتُهُمْ ؛ فَهَمْ بِهَذَا يَبْذُلُونَ نَفْسَهُمْ فِي الطَّاعَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي يَرَوْنَهَا
فَرَضًا عَلَيْهِمْ ، وَيَتَلَفُونَ بِنَا أَعْلَى مَرَاتِبِ الْإِيمَانِ : لِأَنَّهُمْ إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَزَالُوهُ
بِيَدَيْهِمْ ؛ كَمَا هَجَمُوا عَلَى عَدُوِّ مَنْ أَعْدَاءَ اللَّهِ هَجَمَةَ طَيْفٌ ! ، وَكَمَا اسْتَطَالُوا بِسِكِّينٍ
لَا يَتَطَاوَلُ إِلَى مُبَارَاتِهَا سَيْفٌ ! ، وَكَمَا أَوْقَدُوا لَهُمْ بَارِقَةَ عَزِيمٍ فَقِيلَ : هَذِهِ سَحَابَةٌ
صَيْفٌ ! ، وَلَمْ يَزِدُوا بِالْدمَاءِ خَدًّا غَدًّا يَبْأَدِي : يَا كِرَامَ الْوَرْدِ صَيْفٌ ! . وَكَانَتْ
مُضِيافٌ - حَرَمَهَا اللَّهُ تَعَالَى - هِيَ كُرْسِيٌّ هَذِهِ الْمَمْلُوكَةُ ، وَقَلْعَتُهَا هِيَ الَّتِي بَدَوَاتِيبُ
الْجَوَازِءِ مُتَمَسِّكَةٌ ؛ وَأَقْتَضَتْ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةَ نَقَلَ النَّائِبُ بِهَا إِلَيْنَا مَا رَسَمْنَا بِهِ الْآنَ ،
نَخَلَتْ مِمَّنْ يَتَرَقَّى فِيهَا إِلَى أَعَزِّ مَكَانٍ ، وَاحْتَاجَتْ إِلَيْنَا مَنْ تَغْنَى بِهِ عَمَّا يُقَالُ : مَنْ
أَعْتَقَالَ رُخْمٌ وَتَجَرَّدَ سِنَانٌ .

فَحَصَلَ الْفِكْرُ الشَّرِيفُ فِيمَنْ نُقَلِّدُهُ هَذِهِ النَّيَابَةَ ، وَيَتَقَلَّدُ أَمْرَ هَذِهِ الْعِصَابَةِ ؛
وَيَتَصَرَّفُ فِي أُمُورِهَا بِمُقْتَضَى مَا تَرِدُ بِهِ مَرَاتِبُنَا الْمُطَاعَةَ ، وَيُعَلِّمُ أَنَّهُ مِنْ شِبَعِيَّتِنَا :
لِأَنَّهُ دَاعِيْنَا فِي هَذِهِ الْجَمَاعَةِ ؛ فَوَإِنَّا أَنْ أَحَقَّ [النَّاسُ بِهَا] مِنْ قَدَمِهِ وَلَاؤُهُ ، وَعِظْمَتِهِ
أَنْتَمَاؤُهُ ؛ وَنَبَّهَ عَلَيْهِ أَهْتَامُ هِمَمِهِ الَّتِي لَا تُسَاهِبُهَا الْكَوَاكِبُ فِي سَيْرِهَا ، وَعَزَائِمُهُ الَّتِي
طَالَ مَا كَانَ بِهَا فِي خِدْمَتِنَا الشَّرِيفَةِ « يَطَّلُ بِمَوْمَاءٍ وَيُمْسِي بِغَيْرِهَا » ؛ وَلَمْ تَزَلْ بِهِ مَسَاعِيهِ
حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْمَنْزِلِ ، وَأَسْرَعَ لَهُ الشَّيْبُ فِي طَاعَتِنَا الشَّرِيفَةِ : لِأَنَّهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ
[كَانَ] يَسْمَعُ قَعْقَعَةَ الْجَامِ الْبَرِيدِ ؛ وَكَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي أَشَارَ إِلَيْهِ الْقَوْلُ بِوَصْفِهِ ،
وَدَلَّ عَلَيْهِ تَنَاؤُهُ بِعَرَفِهِ .

فَرَسَمَ أَنْ تَفَوَّضَ إِلَيْهِ النَّيَابَةَ بِمُضِيَّافٍ وَأَعْمَالِهَا ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ .
فَلْيَقْدِّمُ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيهَا وَوَلِيَّهُ ، وَلْيَنْشُرْ جَنَاحَ عَدْلِنَا الشَّرِيفِ عَلَى مَنْ يَلِيهِ ، وَلْيَعْمَلْ

بالأحكام الشرعية في كل ما يقضيه ؛ وليسلك في أهلها أوصح المرشد ، وليبين لهم أنه يدعوهم إلى سبيل الرشاد إلا ما آدعاه راشد ؛ وليوصل إلى المجاهدين أرزاقهم التي هي أثمان نفوسهم ، وثمار مادتي القطاف من رؤوسهم . وأهل من مات أو يموت منهم على طاعتنا الشريفة فكن عليهم متعطفًا ، ومن طلب منك الإنصاف فكن له منصفًا ؛ وأفعل معهم أحسن الأسنوه ، وقل لهم عنا : إن الصدقات الشريفة قد استجابت لكم يا أهل الدعوة ؛ وخذ بقلوبهم ، لتزاد من حبيبهم ، وقل للمجاهدين : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴾ . والأموال فصنها من الضياع ؛ وعمارة البلاد عليك بها فإن القلعة لا تكون إلا بالمدينة والمدينة لا تكون إلا بالضياع ؛ وأمثال مراسمنا الشريفة وكل ما يرسم به سارغ إلى اعتاده ، وطائفة المجاهدين لا تدع منهم إلا من هو معتد لجهاده ؛ والكتمان الكتمان ! فبه سأل المطالب ، وتذكر المأرب ؛ وعليك بقمع المفسدين ، وردع المعتدين ، وإقامة الحدود : فإن بها أقام الله هذا الدين ؛ ونحن نعتني بما فيك من المعرفة ، وبما انت عليه - بحمد الله تعالى - من كمال كل صفة ، عن استيعاب الوصايا التي لم تبرح سجاياك بها متصفه ، والله تعالى يزيدك من كل نوع أشرفه ؛ وانلخط الشريف أعلاه



وأما الصفقة الشمالية ، فالذي يولي بهذه الصفقة عن الأبواب السلطانية ، نيابة بعلبك فقط . وقد تقدم في الكلام على ترتيب الملكة الشامية أنها كانت أولاً إمرة عشرة ، ثم صارت طبليخاناه ، وأن نائب الشام يولي بها ، وربما وليت من الأبواب الشريفة السلطانية . وحينئذ فيكون مرسوم نائبها في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء .

وهذه نسخة مرسوم بنيابة بعلبك :

أما بعد حمد الله على أَمَلٍ حَقَّقَ مَنَاهُ ، وَصَدَّقَ غَنَاهُ ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ سُبْحَ أَعْتِنَاهُ
 أَوْرَقَ بِهِ عُوْدَهُ وَطَابَ جَنَاهُ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى نَبِيِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي كَمَّلَ بِنَاهُ ،
 وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا شَيْدَ مَعْقِلُ نَخَارَ مَبْنَاهُ - فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ مُدُنِ الشَّامِ الْقَدِيمَةِ ، وَدُورِ
 الْمُلْكِ الَّتِي ذَهَبَ مِنْ يَحْلُهَا مِنَ الْمُلُوكِ وَبَقِيَتْ آثَارُهُ مُقِيمَةً ، مَدِينَةَ بَعْلَبَكِ وَهِيَ الَّتِي
 تَحْصُنُ الْإِسْلَامَ بِقَلْعَتِهَا ، وَتَحْصِلُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ [بِمَنْعَتِهَا] ^(١) بَنِيَتْ عَلَى عَهْدِ
 سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَأَتَقَنَ بِنَاؤُهَا ، وَهَالَتْ أَسْوَارُهَا حَتَّى نُسِبَ إِلَى صَنْعَةِ
 الْجِنِّ بِنَاؤُهَا ؛ وَدَعَمَتِ السَّمَاءَ عَمْدُهَا ، فَطَالَتْ شُرْفُهَا حَتَّى كَادَتْ تُخَضِّخِضُ فِي تَجْبِيلِ
 السَّحَابِ يَدَهَا ؛ وَجَمَعَتْ مَحَاسِنَ فِي سِوَاهَا لَا تُوجَدُ ، وَتَقَرَّرَ بِمُلْكِهَا مِنَ الْمُلُوكِ :
 نَارَةٌ سَعِيدَا وَنَارَةٌ أَنْجَدُ ؛ وَمَا خَلَّتْ مِنْ عُلَمَاءٍ عَظِيمِي الشَّانِ ، وَصِلْحَاءِ يَأْمُهُمْ
 الْجَبَلَانَ : سَيْسُ وَلُبْنَانَ ؛ وَهِيَ بَابُ دِمَشْقِ الْمَفْتُوحِ ، وَبِحَابِ الْأَنْوَاءِ الْمَسْفُوحِ
 بِالْمَسْفُوحِ ؛ وَبَابِ الْبُرُوقِ الَّتِي آلَتْ أَنَّهَا بِأَسْرَارِهَا لَا تَبُوحُ ، وَمَابُ السَّفَارَةِ الَّتِي تَغْدُو
 مُجَمَّلَةً أَوْقَارَ رَكَائِبِهَا وَتَرُوحُ ؛ وَلَهَا الْعَيْنُ الْمُسْبِلَةُ الرَّوَاتِبِ ، وَالْجِبَالُ الرَّاسِيَةُ الْوَقَارِ
 لِمَقَرِّفِهَا الشَّائِبِ ، الْعَالِيَةِ الذَّرَى مِنْ قِطْعِ السَّحَابِ ؛ وَ[لَمَّا] كَانَ مِنْ فِيهَا الْآنَ
 مِمَّنْ لَا تَسْتَعْنِي الدَّوْلَةُ الْقَاهِرَةُ عَنْ قُرْبِهِ ، وَلَا تَسْتَنْتِي أَحَدًا مَعَهُ فِي تَجْرِيدِهِ سَيْفِهِ
 الْمَشْهُورَ مِنْ قُرْبِهِ ، أَجَلْنَا الرَّأْيَ فِي كُفِّهِ لَعْرُوسِهَا ، وَمِمَّا نِلَ لِمَرْكَرِ تَأْوُدِ غُرُوسِهَا ،
 فَلَمْ يَجِدْ أَدْرَى بِأَحْوَالِهَا ، وَأَدْرَبَ بِمَا يُؤَلَّفُ عَلَى الطَّاعَةِ قُلُوبَ رَجَالِهَا ، كَمَنْ أَسْتَقْرَبَهُ
 فِيهَا مَعَ أَبِيهِ الْمَاضِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - الْوَطَنِ [وَنَالَا مِنْهُ الْوَطْرَ] ، وَمَرَّتْ [عَلَيْهِمْ فِيهِ]

(١) بياض بالأصل والتصحيح من المقام .

(٢) > > ولعله : التي كأنها منقطع من الخ .

سنون وأيام هتف بها داعي قصر؛ ولا غنى [عنه] مع ماله من ولايات صحب فيها
الناس وفارقهم على وجه جميل، ورافقهم ثم أنصرف وأنصرفوا عنه وما ذمه في النازلين
نزيل؛ وكان فلان هو المتوقد الشهاب، المتوقل في تلك الهضاب؛ المشكور قولاً
وديناً، المشهور بوضع كل شيء في موضعه شدةً ولينا .

فلذلك رسم ... - لا زال إحسانه أحمد وأختياره مقدماً - أن يرتب في نيابة
بعلبك على عادة من تقدمه وقاعدته، مبتدئاً حسن النظر في الأمور العامة، لا يدع
ظلامه، ولا يدع سالك طريق إلى سلامه، ولا يعد سمعاً إلا لسمع شكر لا ملامه؛
ولينظر في المظالم نظراً يجلي به سدفها، وليشكر العشير توطياً يوطأ به هدفها؛ وليلاحظ
الأمور الديوانية بما ينمي به أموالها، ويندى بسحابه المتدفق أحوالها . والأوقاف
فليشارك واقفيها في إحسانهم، وليجرح حسنتها على ما كانت عليه في زمانهم؛ وليكن
لها نعم الكفيل في دوام المحافظة ولتفقدها ما فيها من الحواصل والزرذخانة مما
يذخر لوقته، ويؤخر لفرط الشغف به لا لملقته . ومن أهم ما يحتفظ به قلوب الرجال،
وعمارة الأسوار فإنها للفرسان المقاتلة مجال، وعليها تنصب المجانيق وتختطف
الآجال . وأما الشريعة المطهرة : فإن من تعدى غرق أو أوشك أن يفرق،
وأتباع أوامرها : وإلا فقيم يعدب من يعدب ويحرق من يحرق؛ وتقوى الله
تعالى هي الوصية الجامعة، والتذكرة التي ترتد بها الأبصار خاشعة؛ وليفهم هذه
الوصايا ولا يخرج شيئاً منها من قلبه، وليتبين معانيها ليكون بها على بينة من ربه؛
والله تعالى يكشف عنه غطاء حجته، ويزعه عما يأخذه ويؤاخذه من بينته؛
إن شاء الله تعالى .

الصف الثاني^(١)

(ممن [هم] خارج دمشق : ممن يؤتى عن الأبواب السلطانية -

أمرأة العربان ، وهم على طبقتين :)

الطبقة الأولى

(من يُكْتَبُ له منهم تقليدٌ في قطع النصف بـ «المجلس العالى» وهو أمير آل

فَضْل خَاصَّةٌ : سواءً كان مستقلاً بالإمارة أو شريكاً لغيره فيها)

وقد تقدم في الكلام على ترتيب الملكة الشامية نقلاً عن "مسالك الأبصار"
أن ديارهم من حمص ، إلى قلعة جعبر ، إلى الرحبة ، آخذين على شقي الفرات وأطراف
العراق .



وهذه نسخة تقليد بإمرة آل فضل : كُتِبَ به للامير شجاع الدين « فضل بن
عيسى » عوضاً عن أخيه مهناً ، عند ما خرج أخوه المذكور مع قرا سنقر الأفرم
ومن معهما من المنتسجين ، وأقام [هو] بأطراف البلاد ولم يُفَارِقِ الخُدْمَةَ ، في شهر
سنة اثنتي عشرة وسبعمائة ، من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي مَنَحَ آلَ فَضْلِ فِي أَيَّامِنَا الزَاهِرَةِ بِحَسَنِ الطَّاعَةِ فَضْلاً ، وَقَدَّمَ عَلَيْهِمْ
بِقَدِيمِ الْإِخْلَاصِ فِي الْوَلَاءِ مِنْ أَنْفُسِهِمْ شُجَاعاً يَجْمَعُ لَهُمْ عَلَى الْخُدْمَةِ أُلْفَةً وَيَنْظِمُ لَهُمْ
عَلَى الْخَالِصَةِ شَمَلاً ، وَحَفِظَ عَلَيْهِمْ مِنْ إِعْرَازِ مَكَانِ بَيْتِهِمْ لَدَيْنَا مَكَانَةً لَا تَنْقُصُ
لَهَا الْإِيَّامُ حُكْمًا وَلَا تَنْقُصُ لَهَا الْحَوَادِثُ ظِلًّا .

(١) لم يتقدم نفسه إلى أصناف ولعل مراده أن ما تقدم من التولية في الصفقات صف أول وهذا

نحمده على نعمه التي شملت برّنا، الحضّر والبدو، وألهجت بسكرنا، ألسنة العجم
 في الشّدو والعرب في الحدو، وأعمّت في الجهاد بين يدينا من اليعملات ما يبارى
 بالنصّ والعنق الصّافنات في الخبّ والعدو، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
 لا شريك له شهادة تدرأ بها الأمور العظام، ونقلد يمينها ما همّ من مصالح الإسلام لمن
 يجرى بتديره على أحسن نظام، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أعلى
 ذوائب العرب وأشرفها، المرجو الشّفاة العظمى يوم طول عرّض الأمم وهول
 موقوفها؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كرمت بالوفاء أنسابهم، وأضات
 بتقوى الله وجوههم وأحسابهم؛ صلاة لا تزال الألسن تقيم نداءها، والأفلام ترقم
 رداها؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أجتته الطاعة ثمرة إخلاصه، ورفقته المخالصة إلى أسنى
 رتب تقرّبه وأختصاصه؛ وألف بمبادرته إلى الخدمة الشريفة قلوب القبائل وجمع
 شملها، وقلده حسن الوفاء من أمر قومه وإمرتهم ما يستشهد فيه بقول الله تعالى :
 ﴿ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ - من ارتقى إلى أسنى رتب دنياه بحفظ دينه، ودلّ
 تمسكه بإيمانه على صحّة إيمانه وقوة يقينه؛ ولا حظته عيون السعادة فكان في حزب
 الله الغالب وهو حزبنا، وقابلته وجوه الإقبال فأرته أن المغبون من فاته تقرّبنا
 وقربنا؛ ورأى إحساننا إليه بعين لم يطرفها الجحود، ولم يطرفها إعراض السعود؛
 فسلك جادة الوفاء وهي من أيمن الطرق طريقا، وأقتدى في الطاعة والولاء بمن قال
 فيهم بمثل قوله : ﴿ وَحَسَنَ أَوْلِيكَ رَفِيقًا ﴾ .

ولما كان المجلس العالى ... هو الذى حاز من سعادة الدنيا والآخرة بحسن الطاعة
 ما حاز، وفاز من برّنا وشكرنا بجميل المبادرة إلى الخدمة بما فاز؛ وعلم مواقع إحساننا

إليه فعمل على استدامة وبلها ، واستعادة فضيلها ، والارتواء من معروفيها الذي بآء
بالحرمان [منه] من نخرج عن ظلها ؛ مع ما أضاف إلى ذلك : من شجاعة تبيت منها
أعداء الدين على وجل ، ومهابة تسرى إلى قلوب من بعد من أهل الكفر سرى
ما قرب من الأجل - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نمدد على أطراف الممالك المحروسة
منه سورا مصفحا بصفاحه ، مشرفا بأسنه رماحه .

فرسم بالأمر الشريف العالی - لا زال يقلد وليه فضلا ، ويملا ممالكه إحسانا
وعدلا - أن يفوض إليه كبت وكبت : لما تقدم من أسباب تقديمه ، وأومى إليه
من عنايتنا بهذا البيت الذي هو سر حديثه وقديمه ؛ ولعلمنا بأولويته التي قطبها
الشجاعة ، وفلكها الطاعة ؛ ومادتها الديانة والثقة ، وجادتها الأمانة التي لا تستر لها
الأهواء ولا تستغفرها الرقى .

وليكن لأخبار العدو مطالعا ، ولنجوى حركاتهم وسكناتهم على البعد سامعا ،
ولديارهم كل وقت مصبحا حتى يظنوه من كل نية عليهم طالعا ، وليدم التأهب حتى
لا تفوته من العدو غارة ولا غرة ، ويلزم أصحابه بالتيقظ لإدامة الجهاد الذي جرب
الأعداء [منه] مواقع سيوفهم غير مره ؛ وقد خبرنا من شجاعته وإقدامه ، وسياسته
في تقض كل أمر وإبرامه ؛ ما يغني عن الوصايا التي ملاكها تقوى الله تعالى وهي
من تجاياه التي وصفت ، وخصائصه التي ألفت وعرفت ؛ فليجعلها مرآة ذكره ،
وفاتحة فكره ، والله تعالى يؤيده في سره وجهره ؛ بمنه وكرمه ! : إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل فضل ، كتب بها للأمر حسام الدين
«مهنا بن عيسى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي أزهف حسام الدين في طاعتنا بيد من يمضي مضاربه بيديه ،
وأعاد أمر القبائل وإمرتهم إلى من لا يصاح أمر العرب إلا عليه ؛ وحفظ رتبة
آل عيسى باستقرارها لمن لا يزال الوفاء والشجاعة والطاعة في سائر الأحوال منسوبات
إليه ، وجعل حسن العقبى بعنايتنا لمن لم يتطرق العدو إلى أطراف البلاد المحروسة
إلا وردة الله تعالى بنصرنا وشجاعته على عقبه .

نحمده على نعمه التي ما زالت مستحقة لمن لم يزل المقدم في صميرنا ، المعول عليه
في أمور الإسلام وأمورنا ، المعين فيما تنطوي عليه أثناء سرائرنا ومطايى صدورنا ؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة توجب على قائلها حسن التمسك
بأسبابها ، وتقتضى للخلص فيها بدل النفوس والنفائس في المحافظة على مصالح أربابها ،
وتكون للمحافظة عليها ذخيرة يوم تتقدم النفوس بطاعتها وإيمانها وأنسابها ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المبعوث من أشرف ذوائب العرب أصلا وقرعا ، المفروضة
طاعته على سائر الأمم دينًا وشرا ، المخصوص بالأئمة الذين بثوا دعوته في الآفاق
على سعتها ولم يضيقوا لجهاد أعداء الله وأعدائه ذرعا ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين حازوا بصحبته الرتب الفاعرة ، وحصلوا بطاعة الله وطاعته على سعادة الدنيا
والآخرة ، وعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف فلم يزرخهم عن ظلها الركون إلى
الدنيا السائرة ؛ صلاة تقطع القلوات ركائبها ، وتسيرى بسالكى طرق النجاة نجائبها ،
وتنصر بإقامتها كتاب الإسلام ومواكبها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

أما بعد ، فإن أولى من تلقته رتبته ، التي توهم إعراضها بإيمن وجه الرضا ،
وأستقبلته مكائنه ، التي تحيل صدودها بأحسن مواقع القبول التي تضمنت الاعتداد
من الحسنات بكل ما سلف والإغضاء من المفوات عما مضى ، وآلت إليه إمرته

التي خَافَتِ الْعَطْلَ مِنْهُ وَهِيَ بِهِ حَالِيهِ ، وَعَادَتْ مُزِيلَتُهُ إِلَى مَا أَلْفَتْهُ لَدِينَا : مِنْ مَكَانِيَةٍ مَكِينَةٍ وَعَرَفْتَهُ عِنْدَنَا : مِنْ رُتْبَةٍ عَالِيَةٍ - مِنْ أَمْنَتِ تَمَسُّسِ سَعَادَتِهِ فِي أَيَّامِنَا مِنَ الْغُرُوبِ وَالزُّوَالِ ، وَوَثِقَتْ أَسْبَابُ نِعْمِهِ بِأَنْ لَا يُرَوِّعَ مَرِيرُهَا فِي دَوْلَتِنَا بِالْإِنْتِقَاضِ وَلَا ظِلَالُهَا بِالْإِنْتِقَالِ ؛ وَأَغْتَتَهُ سَوَابِقُ طَاعَتِهِ الْمَحْفُوظَةُ لَدِينَا عَنْ تَوْسُطِ الْوَسَائِلِ ، وَأَحْتَجَّتْ لَهُ مَوَاقِعَ خِدْمِهِ الَّتِي لَا تُجْحَدُ مَوَاقِفُهَا فِي نِكَايَةِ الْأَعْدَاءِ وَلَا تُشْكِرُ شُهُرَتُهَا فِي الْقَبَائِلِ ؛ وَكَفَّلَ لَهُ حُسْنَ رَأْيِنَا فِيهِ بِمَا حَقَّقَ مَطَالِبَهُ ، وَأَحْمَدَ عَوَاقِبَهُ ، وَحَفِظَ لَهُ وَعَلَيْهِ مَكَانَتَهُ وَمَرَاتِبَهُ ؛ فَمَا تَوَهَّمُوا الْأَعْدَاءُ أَنْ بَرَقَهُ ، خَبَا حَتَّى لَمَعَ ، وَلَا ظَنُّوا أَنْ وَدَقَهُ ، أَقْلَعَ حَتَّى هَمَى وَهَمَعَ ، وَلَا تَحْمَلُوا أَنْ حُسَّامَهُ نَبَا ، حَتَّى أَرْهَفْتَهُ عِنَايَتُنَا خَيْثَمَا حَلَّ مِنْ أَوْصَالِهِمْ قَطْعٌ ؛ وَكَيْفَ يُضَاعُ مِثْلُهُ ؟ وَهُوَ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ الَّتِي لَا تَنْزِلُ الْأَهْوَاءُ وَلَا تَرْتَقِي الْأَطْعَامُ مُتُونَهَا ، وَلَا تَسْتَقِرُّ^(١) (؟) الْأَعْدَاءُ عِنْدَ جِهَادِهَا وَأَجْتِهَادِهَا فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ حَسْبِهَا وَدِينِهَا .

ولما كان المجلس العالی ... هو الذي لا يُحْوَلُ أَعْتِقَادُنَا فِي وِلَايَتِهِ ، وَلَا يَزُولُ أَعْتِقَادُنَا عَلَى نَفَادِهِ فِي مَصَالِحِنَا وَمَضَائِهِ ؛ وَلَا يَتَغَيَّرُ وَتَوْفُقُنَا بِهِ عَمَّا فِي خَوَاطِرِنَا مِنْ كَمَالِ دِينِهِ وَصِحَّةِ يَقِينِهِ ، وَأَنَّهُ مَارُفَعَتْ بَيْنَ يَدَيْنَا رَايَةَ جِهَادٍ إِلَّا تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ عَزَمَهُ بِجَمِينِهِ ؛ فَهُوَ الْوَلِيُّ الَّذِي حُسِنَتْ عَلَيْهِ أَنْارُ نِعْمَتِنَا ، وَالصَّبِيُّ الَّذِي نَسْنَا فِي خِدْمَةِ أَسْلَافِنَا وَنَسْنَا بَنُوهُ فِي خِدْمَتِنَا ، وَالتَّقِيُّ الَّذِي يَأْبَى دِينَهُ إِلَّا حَفِظَ جَانِبَ اللَّهِ فِي الْجِهَادِ بَيْنَ يَدَيْ عَزِيمَتِنَا وَأَمَامِ هَمَمِنَا - أَقْتَضَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نُصَرِّحَ لَهُ مِنَ الْإِحْسَانِ بِمَا هُوَ فِي مَكُونِ سِرَائِرِنَا ، وَمَضْمُونِ ضَمَائِرِنَا ؛ وَنُعْلِنَ بِأَنَّ رُتْبَتَهُ عِنْدَنَا بِمَكَانٍ لَا تَتَطَاوَلُ إِلَيْهِ يَدُ الْحَوَادِثِ ، وَنُبَيِّنَ أَنْ أَعْظَمَ أَسْبَابِ التَّقَدُّمِ مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ عِنَايَتِنَا وَأَمْتِنَانِنَا أَكْرَمُ بَوَاعِثِ .

(١) لعله "ولا تستغل".

فلذلك رُسم أن يعاد إلى الإمرة على أمراء آل فضل ، ومشائخهم ومقدميهم ،
وسائر عربانهم ، ومن هو مضاف لهم ومنسوب إليهم ، على عادته وقاعدته .

فليجرب في ذلك على عادته التي لا مزيد على كمالها ، ولا يحيد عن مبدئها في مصالح
الإسلام ومآلها ؛ أخذًا للجهاد أهبتة من جمع الكلمة واتحادها ، واتخاذ القوة
وإعدادها ، وتضافر الهمم التي ما زال الظفر من مآذها والنصر من أمدادها ؛
والزام أمراء العربان بتكليف أصحابهم ، وحفظ مراكرهم التي لا تسد أبوابها إلا بهم ؛
والتيقظ لمكاييد عدوهم ، والتنبه لكشف أحوالهم في رواحهم وعدوهم ؛ وحفظ
الأطراف التي هم سورها من أن تسورها مكاييد العدا ، وتحتطف من يتطرق إلى
الثغور من قبل أن يرفع إلى أفقها طرفًا أو يمدد على البعد إلى جهتها المصونة يدا ؛
وليبت في الأعداء من مكاييد مهايتهم ما يمنعهم الفرار ، ويحسن لهم الفرار ، ويحول
بينهم وبين الكرى لاشارك أسم النوم وحد سيفه في مسمى الفرار .

وأما ما يتعلق بهذه الرتبة من وصايا قد ألفت من خلاله ، وعرفت من كماله ،
فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ، وجهينة أخبارها ، وحلبة غايتها ومضارها ، فيفعل
في ذلك كله ما شكر من سيرته ، ومجد من إعلانه وسيرته ؛ وقد جعلنا في ذلك وغيره
من مصالح إمرته أمره من أمرنا : فيعتمد فيه ما يرضى الله تعالى ورسوله ، ويبلغ
به من جهاد الأعداء أملة وسولة ؛ والله الموفق بمنه وكرمه ! والاعتقاد

الطبقة الثانية

(من عرب الشام - من يكتب له مرسومٌ شريفٌ)

وهم على مرتبتين :

المرتبة الأولى - من يكتب له في قطع النصف ، وهم ثلاثة :

الأول - أمير آل عليّ ، ورتبته « السامي » بالياء . وقد تقدم أن منازلهم مرج دمشق و غوطتها ، بين إخوانهم آي فضل و بني عمهم آل مرء ، ومنتهاهم إلى الخوف و الجابنة ، إلى السكة ، إلى تيماء ، إلى البرادع . وأنه ذكر في « التعريف » : أنهم إنما نزلوا غوطة دمشق حيث صارت الإمرة إلى مهنا بن عيسى .

وهذه نسخة مرسوم شريف بإمرة آل عليّ ، كُتِبَ به للأمر عَزَّ الدِّين « حماز » بعد وفاة والده محمد بن أبي بكر ، من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، وهي :

الحمد لله الذي أنجح بنا كلَّ وسيلته ، وأحسن بنا الخلف عمن قضى في طاعتنا الشريفة سبيله ، ومضى وخلي ولده رسيله ، وأمسك به دمة السيوف في خدودها الأسيله ، وأمضى به كلَّ سيف لا يردُّ مضاً مضار به بجيله ، وأرضى بتقليده كلَّ عتق وجمل كلَّ جميله .

نحمده على كلِّ نعمة جزيله ، وموهبة جميله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُرشد من اتخذ فيها نجوم الأئمة دليله ، وتجعل أعداء الله بعزِّ الدين ذليله ، وأن محمداً عبده ورسوله الذي أكرم قبيله ، وشرف به كلَّ قبيله ، وأظهر به العرب على العجم وأنحد من نارهم كلَّ قبيله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة بكلِّ خير قبيله ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن دولتنا الشريفة لما خَفَقَ على المشرق والمغرب جناحها، وشَمِلَ
 البندو والحضر سماحها؛ ودخل في طاعتها الشريفة كل راحِلٍ ومُقيمٍ في الأقطار،
 وكل سَاكِنٍ خَيْمَةٍ وَجِدَارٍ - تَرَعَى النعم بإبقائها في أهلها، وإلقائها في محلها؛ مع
 ما تقدم من رعايته تُوجب التقديم، وتودعُ بها الصنائعُ في بيتٍ قديمٍ؛ وتُرَيِّنُ بها
 المواكبُ إذا تعارضت جحافلها، وتعارفتُ شعوبها وقبائلها؛ وأستولتُ جيادها على
 الأمدِ وقد سبقت أصائلها، وتداعتُ فرسانها وقد آشتبت مناسبها ومناصبها
 ومناصلها؛ وكانت قبائلُ العُربانِ ممن تعمهم دعوتنا الشريفة، وتضمهم طاعتنا
 التي هي لهم أكلٌ وظيفه؛ ولهم النجدةُ في كلِّ باديةٍ وحضر، وإقامةٍ وسفر؛ وشامٍ
 وحجاز، وإنجادٍ وإنجاز؛ ولم يزل (لالِ علي) فيهم أعلى مكانه، وما منهم إلا من تَوَسَّدَ
 سيقه وأقرش حصانه؛ وهم من دمشق المحروسة رديف أسوارها، وفريد سوارها؛
 والنازلون من أرضها في أقرب مكان، والنازحون ولهم إلى الدار بها أقطار وأوطان؛
 قد أحسنوا حول البلاد الشامية مقامهم، وأستغنوا عن المقارعة على الضيفان لما
 نصبوا بقارة الطريق خيامهم؛ وبأهوا كل قبيلة بقوم كثر النجوم عييدهم،
 وأوقدوا لهم في اليفاع نارا إذا همى القطر شبتها عييدهم؛ وهم من آلِ فضيل حيث
 كان عليها، وحديثه في المسامع حليها؛ فلما آتته الإمرة إلى الأمير المرحوم
 شمس الدين، محمد بن أبي بكر رحمه الله - جمعهم على دولتنا القاهرة، وأقام فيهم
 يتنعي بطاعتنا الشريفة رضا الله والدار الآخرة؛ ثم أمدته الله من ولده بمن ألقى إليه
 همه، وأمضى به عزمه، ونفذ به حكمه، ونقل قسمه .

وكان الذي يتحمل دونه مشقات أمورهم، ويتلقى شكاوى أمرهم ومأمورهم؛
 ويرد إلى أبوابنا العالية مستمطرا لهم سخائب نعمنا التي أخصب بها مرآدهم،

وساروا في الآفاق ومن جدواها راحلتهم وزادهم ؛ وتفرد بما جمعه من أبوته وإبائه ،
وركز في كل أرض مناخ مطيه ومرسى خبائه ؛ وضاهى في المهاجرة إلى أبوابنا
الشريفة النجوم في السرى ، وحافظ على مراضينا الشريفة فما أنفك من نار الحرب
إلا إلى نار القرى ؛ وورد عليه مرسومنا الشريف فكان أسرع من السهم
في مضائه . كم له من مناقب لا يعطى عليها ذهب الأصيل تمويها ! ، وكم تنقل من
كوير إلى سرج ومن سرج إلى كوير فتمنى الهلال أن يكون لهما شيئا ؛ كم أجمل
في قومه سيره ! ، وكم جمل سيره ! ؛ كم أثمر لها أملا ! ، كم أحسن عملا ! ؛ كم سد
خللا ! ، كم جمع في مهماتنا الشريفة كل من امتطى فرسا وركب جملا ! ؛ كم صفوف
به تقدمت ، وسيوف أقدمت ، وحنوف حمايم الحمام بها على الأعداء ترمت !! .

وكان المجلس السامي الأيمري ، الأجلي ، الكبيرى ، المجاهدي ، المؤيدي ،
العصدي ، النصيري ، الأوحدي ، المقدمي ، الذخري ، الظهيري ، الأصيلي :
مجد الإسلام والمسلمين ، شرف الأمراء في العالمين ؛ همام الدولة ، حسام الملة ؛
ركن القبائل ، دثر العشائر ؛ نصره الأمراء والمجاهدين ، عضد الملوك والسلاطين
« جواز بن محمد » أدام الله نعمته - : هو المراد بما تقدم ، والأحق بأن يتقدم ،
والذي لو أن الصباح صواريم والظلام جحافل لتقدم ؛ فلما مات والده رحمه الله نحاً
إلى أبوابنا العالية ، ونور ولأيه يسعى بين يديه ، ووقف بها : وصداقتنا الشريفة
ترقى عليه ؛ فرأينا أنه بقية قومه الذين سلفوا ، وخلف أبائه الذين عن زجر
الجيل ماعزفوا ؛ وكبيرهم الذي يعترف له والدهم ووليدهم ، وأميرهم الذي به تُرعى
عهودهم ؛ وشجرتهم التي تلتف عليه من أسابهم فروعها ، وفريدهم الذي تجتمع عليه
من جحافلهم مجموعها .

فرسم بالأمر الشريف أنت تفوض إليه إمرة آل علي : تامّة عامّة ، كاملة
شاملة ، يتصرف في أمورهم ، وأميرهم ومأمورهم ؛ قرباً وبعداً ، وغوراً ونجداً ؛
وظعنًا وإقامه ، وعراقًا وتيامه ؛ وفي كلّ حفيّر وجليل ، وفي كلّ صاحب رغاء
وثغاء وصيرير وصليل ؛ على أكل عوائد أمراء كلّ قبيله ، وفي كلّ أمورهم
الكثيرة والقليلة .

ونحن نأمرك بتقوى الله فيها صلاح كلّ فريق ، وإصلاح كلّ رفيق ، ونجاح
كلّ سالك في طريق . والحكم : فليكن بما يوافق الشرع الشريف . والحقوق :
نخلصها على وجه الحق من القويّ والضعيف . والرفق بمن وليته من هذا الجمل الغفير ،
والجمع الكبير ؛ وإلزام قومك بما يلزمهم من طاعتنا الشريفة التي هي من الفروض
اللازمة عليهم ، والقيام في مهماتنا الشريفة التي تبرز بها مراسمنا المطاعة إليك
واليهم ؛ وحفظ أطراف البلاد والذّب عن الرعايا من كلّ طارق يطرقهم إلا بخير ،
والمسارعة إلى ما يرسم لهم به ما دامت الأسفار في عصاها سير ؛ والإفراج لعريك
لا تسمع به إلا لمن له حقيقة وجود ، وله في الخدمة الشريفة أثر موجود ؛ ومنعهم :
فلا يكون إلا إذا توجه منهم ، أو تواتت عزائمهم وقيل نفعهم ؛ والمهابة : فأنشرها
كسّمعتك في الآفاق ، ودع بوارق سيوفها تُسام بالشام وديمها تُراق بالعراق ؛ وخيول
التقادم : فارتد منها كلّ سابق وسابقة تفت دونهما الرياح ، ويحسدهما الطير إذا
طارا بغير جناح ؛ ولا تتخذ دوننا لك بطانة ولا وليجه ، ولا تقطع عنا أخبارك
البيجه ؛ وليعرف قومك له حقه ، ويؤفوه من التعظيم مستحقه ؛ فإنه أميرهم وأمره
من أمرنا المطاع ، فمن نازع فقد خالف النص والإجماع ، والله تعالى يوفقه
ما استطاع ، بمنه وكرمه ! والخط الشريف

[الثاني - أمير آل فضل ^(١)] .

وهذه نسخة مرسومة شريفة بالتقدمة على عمر بن آل فضل وآل علي ، كتب به
للأمير نقر الدين « عثمان بن هبة » وهو :

الحمد لله الذي خص من وآل هذه الدولة بالتقدمة والفخر ، ورمى من عاداها
بالمذلة والقهر ، ومد في عمر أيامها حتى يستنفد الدهر ، وحتى توصف أيامها -
وإن قصرت - بالمساز : كل شهر يمر منها كالعام واليوم كالشهر .

نحمده على ما منحنا : من تأييد وظهر ، وطوى دعوة من عاندنا بعد النشر ، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إن دخلت شواهدنا تحت الإحصاء
فلا تدخل فوائدها تحت الحصر ، وأن محمدا عبده ورسوله الذي جعل الله به الهداية
في المبدأ والشفاعة في المعاد يوم الحشر ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تسعد
بعد الشقاء وتجبر بعد الكسر .

وبعد ، فإن الله سبحانه وتعالى لما مكن لنا في الأرض ، وجعل بيدنا البسط
والقبض ، وأرانا كيف نصنع الجميل ونجمل الصنع ، وكيف نجبر قلب من جعل
في أيامنا جبره بعد الصدع ، وكيف نصبح أنجم ذوي الأقدار في سماء مملكتنا
نيرة المطالع ، وكيف نلقى الخير في عراصمها من رآمه إذا كان على الخير في غير أيامنا
مأنع ، وكيف نجعل التقدمة فيمن إذا عقل في حللها قيل : هذا هو أحق بها ممن
كان ، وهذا الذي ما برحت التقدمة في بيته في صدر الزمان ، وهذا الذي إذا ذكر
آل فضل وآل علي كانت له مرتبة الشرف ولا غرو أن تكون مرتبة الشرف

(١) الزيادة من المقام .

لُعْثَان، وَأَتْنَا لَا تُمَطِّي صَهْوَةَ الْعِزِّ إِلَّا لِأَهْلِهَا، وَلَا نَنْسَخُ الْآيَةَ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي التَّقْدِيمَةِ إِلَّا بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا؛ وَلَا نُسَلِّمُ رَأْيَهَا، إِلَّا لِمَنْ تُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخَنَاصِرُ، وَلَا يَتَسَنَّ ذِرْوَتَهَا، إِلَّا مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِهَا وَأَهْلُهَا فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ .

ولما كان المجلس السامي ، الأميري ، فخر الدين ، عثمان بن مانع بن هبة : هو المراد بهذا القول الحسن ، والممدوح بحمد هذا الممدوح الذي يسر السر والعلن ، والحقيق من الإحسان بكلمة والخير بأن ؛ والحصيص من سوائف الخدم بما والمفضل على سائر النظراء ولو قيس بمن - أقتضى حسن الرأي الشريف ، أن رسم بالأمر الشريف - لا زال ذو القدر في أيامه يرتفع ، وذو الفضل في دولته لا يعز عليه مطلب ولا يمتنع ، وذو الأصالة التي يجتمع له فيها من النعماء ما لا يلبث له في غيرها ولا يجتمع - أن تفوض إليه التقدمة على العريان بالشام المحروس ، وهم من يأتي ذكره ، على ما استقر عليه الحال في ترتيبهم ؛ وأن منازل الداروم : بعدا وقربا ، حضرا وبدوا ، عامرا وغامرا ، رائحا وغاديا ، من الرستن إلى الملوحة . والعرب : آل فضل وآل علي حيث ساروا نزلوا منزلة المذكور ، أو بمنزلة الأمير شمس الدين محمد بن أبي بكر ، والخدمة واحده ، والكلمة على اتفاق المصالح متعاضده .

فليكن للقوى جسد روجها لا بل روح جسدها ، ومجموع القبائل أوحد عددها إذا صح الأول من عددها ؛ وقطب فلكها الذي على تديره مدارها ، وعلى تقريره اقتصارها ؛ وعلى تقدمته تعويلها ، وإلى نسبة إمارته بجمتها وتفصيلها ؛ وليجمعهم على الطاعة فإن الطاعة ملاك الأمر للأمر ، وأس الخير للبادي والحاضر ؛ وليعلم أن لكل منهم نقابة تعرف ، وعامية أصالة بها يعرف ؛ ومنزلة يرثها الولد عن الوالد ، ومشيخة ترجع من ذلك البيت إلى ذلك الواحد ، فليحفظ لهم الأنساب ، وليرع لهم

الأنساب، وإذا أمرُوا بأمرٍ من مَهَامِ الدَّوْلَةِ يَتَلَوْ عَلَيْهِمْ : (أَدْخَلُوا الْبَابَ) .
والألزام له ولهم مَحَاوِضٌ تَحْفَظُ ، وَمَقَاوِزٌ تُنَلَحَظُ ، وَمَطَارِحٌ لَا تُنَلَفَظُ ؛ وَمَشَاتٍ
وَمَصَائِفٍ ، وَنَفَائِضٌ وَمَصَارِفٌ ؛ وَمَرَايِعٌ ، وَمَرَاتِعٌ ؛ وَدُنُوءٌ وَأَقْتِرَابٌ ، وَتَوَطُّنٌ
وَأَقْتِرَابٌ ؛ وَإِغَارَةٌ وَنَيْبِضٌ ، وَبَرْقٌ وَوَمِيضٌ .

فَلْيُرْتَبْ ذَلِكَ أَجْمَلَ تَرْتِيبٍ ، وَلْيَسَلِّكْ فِيهِ خَيْرَ مَذْهَبٍ وَتَهْذِيبٍ ؛ وَلْيَدْعُ الْعَادِي ،
وَلْيَلْحِظِ الرَّايِحَ وَالْعَادِي ، وَلْيُؤَمِّنْ ذَلِكَ الْجَانِبَ فَأَمْتِنَا تُطْرِبُ أَبْيَانُهُ الْمُحَدِّثُ
وَالْحَادِي ؛ وَعَلَيْهِمْ عِدَادٌ مَقَرَّرٌ ، وَقَانُونٌ مُحْتَرَبٌ ؛ وَلْيَكُنْ عَلَى يَدِ شَادِهِ شَادَاً ، وَلَسَبِّبْ
تَأْيِيدَهُمْ مَاذَا ؛ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ أَغْمَضَ مِنْ جُفُونِهِ فَيَا مَضَى ، وَأَعْرَضَ
عَنْهُ فِي الزَّمَنِ الْأَوَّلِ الَّذِي أَتَقَضَى ؛ وَقُدِّمَ عَلَيْهِ مَنْ كَانَ دُونَهُ ، فَقَدْ رَدَّ اللَّهُ لَهُ أَبْكَارَ
الْأَمْرِ وَعُونَهُ ؛ فَلَا يَجْعَلُ لِقَائِلٍ عَلَيْهِ طَرِيقًا ، وَلَا يَدْخُلُ فِي أَمْرٍ يُقَالُ عَنْهُ فِيهِ :
كَانَ غَيْرُهُ بِهِ حَقِيقًا ؛ بَلْ يَفُوقُ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْخِدْمَةِ وَالْهِمَّةِ ، وَالصَّرَامَةِ وَالْعَزْمَةِ ،
وَاللَّهُ يُوزِعُهُ شَكَرَ هَذِهِ النِّعْمَةَ ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفَ :

الثالث - أمير آل مرآء، ورتبته «السامى» بالياء .

وقد تقدم أن منازلهم حوران . وعن «مسالك الأبصار» أن ديارهم بين بلاد
الجيدور والجولان، إلى الزرقاء، إلى آخر بصرى . ومشرقاً إلى حرة كشت ، على
القرب من مكة المشرفة، زادها الله شرفاً .

وهذه نسخة مرسومة شريف بامرة آل مرآء ، كتب بها للأمير بدر الدين
« شطى بن عمر » وهى :

الحمد لله الذى زينَ آفاقَ المعالي بالبدر ، ورفعَ بآبائنا الشريفة خيرولى أضحى
بين القبائل جليل القدر ، ومنحَ من أخلصَ فى خِدمِ دَوْلَتِنَا الشريفة مزيدَ الكرم

فأصبح بإخلاصه شديد الأزر؛ وأجزل بره لأصائل العرب العرباء فوفر لهم الأقسام،
وأصبح ظلّال كرمه على من يرعى الجار ويحفظ الدّمام .

نحمده على نعم هطل سبحانه ، ومنن تفتحت بالمسار أبوابها ، ونشهد أن لا إله
إلا الله وحده لا شريك له شهادة تقرب صاحبها يوم الفزع الأكبر، من المحلّ
الآمن ، وتورده نهر الكوثر، الذي مأوه غير آسن ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي بعثه الله من أشرف القبائل ، وأوضح بنور رسالته الدلائل ؛ فانقذ الله به
هذه الأئمة من ضلالها ، وبوأها من قصور الجنان أعلى عرفها وأشرف ظلالها ؛
صلّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أوصحوا مناهج الإيمان ، وشيدوا قواعد الدين
إلى أن علّت كلمته في كل مكان ، [فكان] عصمهم أجمل عصم وقوتهم خير أو أن ؛
وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من أدتينا من بساط الأضطفاء محله ، وأرتشف من سحاب
معرفةنا طله فوبله ؛ ونال من عواطفنا منزلة القرب على بعد الدار ، وحكم له حسن
نظرنا الشريف بتوالى غزير كرمنا المدرار .^(١)

ولما كان المجلس الفلاني : هو المشار إليه بهذا النعت الحسن ، والموصوف
بالشجاعة في السر والعلن - رسم بالأمر الشريف - لا زال بدره ، ساطع الأنوار ،
وبره ، هامع القطار ، وخيره يشمل الأولياء بجزيل الإيثار وجميل الآثار - أن يستقر
المشار إليه في كيت وكيت : لأنه البطل الشديد ، والفارس الصنديد ؛ وليت
الحرب المذكور ، ومن هو عندنا بعين العناية منظور .

(١) لم يذكر خبرا لأن ولعله سقط من قلم النسخ والأصل « من كرم أصلا ومحتدا ، وسل سيف عزيمته

حتى خضعت له رقاب العدا » أو نحو ذلك .

وَلَيْتَقُ مِنْ صَدَقَاتِنَا الشَّرِيفَةَ بِمَا يُؤْمَلُ وَيَعْتَدُ ، وَلِيَتَحَقَّقَ قُرْبَهُ مِنْ مَقَامِنَا
الشَّرِيفِ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ ؛ وَلِيَتَأَقَّ هَذَا الْإِحْسَانَ بِقَلْبٍ مُنْشَرِحٍ ، وَأَمَلٍ مُنْفَسِحٍ ؛
وَلِيَجْتَهِدَ فِي أَمْرِ عُرْبَانِهِ الَّذِينَ فِي الْبِلَادِ ، فَإِنَّا جَعَلْنَا عَلَيْهِ فِي أُمُورِهِمُ الْإِعْتِيَادَ ،
وَقَدْ أَقْنَاهُ أَمِيرًا عَلَى عَرَبِ آلِ مِرَاءَ ؛ فَلْيَشْمَرْ عَنْ سَاعِدِ الْأَجْتِهَادِ فِي مَصَالِحِ دَوْلَتِنَا
الشَّرِيفَةِ بِغَيْرِ زُورٍ وَلَا مِرَاءَ ؛ وَلِيَقْمَعَ الْمُفْسِدَ مِنْ عُرْبَانِهِ وَيَقَابِلَهُ بِالنَّكَالِ ، وَالصَّالِحَ
الْخَيْرَ مِنْهُمْ يُجْزِلُ لَهُ النَّوَالَ ، وَالْوَصَايَا كَثِيرَةً وَلِيُثْلِهُ لِاتِّقَالَ ؛ وَالخَطَّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ
حِجَّةٌ فِيهِ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنصف إمرة آل مراء، كُتِبَ به لقناة بن نجاد،
في العشر الأخر من شهر رمضان سنة ثلاث وثلاثين وسبعمائة . من إنشاء المقرئ
الشَّهَابِيِّ بْنِ فَضْلِ اللَّهِ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْتَعْدَمَ لِنَصْرِنَا كُلَّ سَيْفٍ وَقَنَاءَ ، وَكُلَّ سُرْعَةٍ وَأَنَاءَ ، وَكُلَّ مُتَّقِفٍ
وَلِيُثْلِ جَنَابَاتِهِ وَيَعْدُبَ جَنَاهُ ، وَكُلَّ مَاضٍ لَا يَعُوقُهُ عَنْ مَقَاصِدِهِ الصَّالِحَةِ يَعُوقُ
وَهُوَ عَبْدٌ مَنَاءَ .

نَحْمَدُهُ حَمْدَ مَنْ أَغْنَاهُ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَسْتَعْمَدُ
مِنْ قِبَلِهَا فَلَقِيَ الصَّبَاحَ سَنَاءَ ، وَيُفَكُّ مِنْهَا مِنْ قَبْضَةِ السُّيُوفِ عُنَاءَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا
عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي [بَوَّأَهُ مَنَازِلَ الشَّرَفِ] وَبَنَاهُ ، وَأَحَلَّهُ مِنَ الْعَرَبِ فِي مَكَانٍ يَخْتَضِعُ
لَهُ رَأْسُ كُلِّ جَبَّارٍ وَيُخْشَعُ بَصْرُهُ وَتَسْتَمِعُ لِمَا يُوحَى أُنْدَاهُ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ صَلَاةً تَخْتَصُّهُمْ مِنْ كُلِّ شَرَفٍ بِأَسْمَاءِ وَأَسْنَاءِ ، وَسَلَامٍ تَسْلِيًا .

(١) سل جناباته - ترك فلا يقتص منه .

وبعد، فإن لكل ناكلة قرارا، ولكل هاجرة مزارا، ولكل معصم سوارا لا يلبق
إلا بزنده، ولكل عنق دُرًّا لا يصلح إلا لعقده، ولكل سيف طال هجوعه في غمده
أنسلا، ولكل قناة لم تُعقل مُدَّةً اعتقلا، وكانت امرأة آل مرء قد ثبتت من
البيت الأحمدي بأوثق أوتادها، ووصلت منه في الرقة إلى نجادها، ولم تزل تنتقل
في آفاقها بدورهم الطالع، وتضيء عليها من صفائحهم بروقهم الألامع، ويجول فيها
من سوابقهم الشحب المامع، وتغني في حروبها عزائمهم إذا وقعت الواقعة،
وتقدمت للجلس السامى، الأميرى، الفلانى، بركابنا الشريف ضجة حمد فيها
السرى، وخدمة أوقدت له نار القرى، وهاجر إلينا في وقت دل على وفائه، وسهر
إلى قصدنا الليل وله النجم يحيط المقل باغفائه، وأقطع إلينا بأمله، ولازم من
عهدنا الشريف صالح عمله، وأستحق تعجيل نعمنا الشريفة وإن تأخرت لأجل
موقوت، وأمل نجاحه لا يفوت.

فلما آن أن تفاض عليه ثيابها، ويضاف إليه ثوبها، ويصرف في قومه أمره،
ويشرف بينهم قدره، ويعرف من لم يعرف المسك أنه عندنا ذكره، ومن جهل
البر: أنه على ما يحمد عليه شكره، ومن أنكر أن شيئا أضعب من الموت: أنه في مجال
الموت صبره، ومن خالف فيما هو أمضى من القضاء: أنه في البيعة صدره، ومن
ادعى أنه لا تصيبه البيض والسمر: أنها مثقفته وبتره، وزال من هذا البيت العريق
الطود وهو ثابت، ونزع منه السن لولا أنه في قناته ثابت، و[لولا] لهاجت
هذه القبيلة إلى من يقبل على نباتها، ويقبل بها: تارة يُجحد في نجدها وأخرى يجول
في جولاتها - رسم بالأمر الشريف أن يقلد من امرأة آل مرء ما كان الأمير «ثابت»
ابن عساف» رحمه الله يتقلده إلى آخر وقت، ويرفع فيها إلى كل مسامته وسمت،
ليُكل ما نقص من الثمام وصفه، ويعلم أنه حلق إليه حتى أتى دون نصف البدر

فاختطف النصف وذلك النصف هو نصفه ؛ ليكون لهم إحدى اليدين ، وأخرى
تقع لسيف بحدين .

وتقوى الله أبرك ما أشتمت عليه عودها ، وأتخيت له زبيدها ؛ فليتخذها له ذروة
يهتدى بها أتى سلك من الفجاج ، وأقنم من حلك العجاج . وعليه بحسن الصعبة
لرفيقه ، ويؤمن القبول على فريقيه ، وإقامة الحدود على ما شرع الله من دينه القويم ،
وإدامة التيقظ [للتأثر] المنيم ؛ وإزال عربه ومن ينزل عليه أو ينزل عليهم
في منازلهم .

وليجمع قومه على طاعتنا الشريفة ككل الجمع ، ويقابل ما ترد به مراسمتنا المطاعة
عليه بما أوجب الله لها من الطاعة والسمع ؛ وليأخذ للجهاد أهنته ، ويعجل إليه
هبتة ؛ وليقف من وراء البلاد الشامية المحروسة دريئة لأسوارها المنيعه ، ونطاقا على
معاقلها الرفيعه ؛ وسدا من بين أيديها وخلفها لباب كل ذريعه ، وخذقا يحوط بلادها
الوسيعه ، وحجابا يمنع فيها من تعدى الحق وخاض الشريعة ؛ ولا يفارق البلاد
حتى يعبس في وجوهها السحاب ، ولا يعود حتى تؤذن زروعها الخيمة بدهاب ؛
والكرم هو فيه سبحانه ، والعزم ما يرح لوشان (؟) أسنته بكل قنائة لحايا ، والحزم بيده
المرأوية من آل مرآء يظهر له الخفايا ، والشجاعة هو في رباها المنيرة «ابن جلا وطلاع
الثنايا» ؛ وما رضع المرميل كأفويق الوفاق ، ولا وضع شيتا في موضعه كمدارة الرفاق ؛
فليكن لرفيقه أكثر مساعدة من الأخ لأخيه ، وأكبر معاضدة من المضراع لقسيمه
والخفين بلقفيه والشئ لما يؤاخيه . هذا يجب ويتعين وليس يجمعهما فرد طاعة ،
ولا يلزمهما لشيء واحد استطاعه ؛ فكيف وهو [و] رفيقه إلينا آعترأوهما ومنا
إعزازهما ، وهما قرعان معتنقان : لدينا إجنأوهما وبيدنا إهزأوهما .

(١) يريد لحاء بالهمز فاضطر للقلب مراعاة للسجع .

وليحصل من الخليل كلَّ سابقة تليق أن تقدم إلينا، وساجحة في كل مهمه حين
يقدم علينا . والشرع الشريف يكون إليه مأبك، وعليه عقوقك وعقابك ؛ وبمقتضاه
عقد كل نكاح لا يصح إلا على وجه المرضي والأفوه سفاوح، والميراث على حكمه
لمن جره إليه وإلا فهو ظلم صراح، وبقية ما نوصيه به إذا انتهى منه إلى هذه التبدلة
فما عليه في سواها جناح . وسبيل كل واقف على تقليدنا هذا أن يندب إلى نوصيه ،
ويؤوب إلى عمومه وخصوصه ؛ والحذر من الخروج عنه بقول أو عمل ، فالسيف
أسبق من العدل ؛ والله تعالى يمتعه بما وهبه من العز في النقل ، والمحاسن التي هي
يد المسامع والأفواه والمقل ؛ وانلخط الشريف أعلاه

المرتبة الثانية

(من أرباب المراسيم من العرب - من يكتب له في قطع الثالث بـ «السامى»

بغير ياء، مفتوحا بـ «أما بعد» وهم ثلاثة أيضا)

الأول - أمراء بني مهدي ، وهي مقسومة بين أربعة . ورتبة كل منهم

«مجلس الأمير» .

وقد تقدم أن منازلهم البلقاء، إلى مائر، إلى الصوان، إلى علم أقر .

وهذه نسخة مرسوم شريف برقع إمرة بني مهدي ، وهي :

أما بعد حمد الله على نعمه التي حققت في كرمنا المأرب، وأجزلت من آلائنا
المواهب ، وقربت لمن رجانا بإخلاص الطاعة ما يأتى عليه من المطالب ؛ والصلاة
والسلام على سيدنا محمد المبعوث من أشرف ذوائب نوى بن غالب، المخصوص
باللواء الذي لا يضحى من أوى إلى ظلّه والحوض الذي لا ظمأ بعد وروده

لشَارِب ، وعلى آله وصحبه الذين فازوا من صحبته وطاعته بأسمى المراتب وأسنَى المناقب - فإنَّ أولى من رفعت رعايتنا قدره ، وأطلعت عنايتنا في أفق السعادة بآدبه ، وحققت آلاؤنا سوله ، وبلغته صدقاتنا مرامه ومأموله - من أحكم في طاعتنا أسباب ولائه ، وأتقن في خدمتنا انتساب بعيدته وأتمائه ؛ وتقرب إلينا بإخلاصه في آجتماعه ، ومثَّ بما يُرضينا من احتفاله بأموار جهاده ؛ مع ما تميَّزه من أسباب تنقاضي كرمنا في تقديمه ، وتقتضي إجراءه على ما ألف أولياء الطاعة من حديث إحساننا وقديمه .

ولما كان فلانٌ هو الذي آخَصَّ بهذه المقاصد ، وعُنيَ بما ذكر من المصادر والموارد - رُسمَ أن يُرتَّب في رُبعِ أمرة نبي مهدي .

فليرتَّب فيما رُسم له به من ذلك قائماً من وظائفها بما يجب ، عالمًا من مصالحها بما يأتي وما يحتب ، واقفًا لاعتماد ما يريد عليه من المراسم وقوف المنتظر المرتقب ، ملزمًا عربيه من الخدم بما يؤكِّد طاعتهم ، ومن إعداد الأهبة بما يُضاعف استيظاعتهم ، ومن المحافظة على أسباب الجهاد بما يجعل في رضا الله تعالى ورضانا قوتهم وتبجاعتهم ؛ وليقدم تقوى الله تعالى بين يديه ، ويجعل توفيقه العمدة فيما اعتمد فيه عليه ؛ والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة مرسوم شريف بُرِيعِ أمرة نبي مهدي أيضا :

أما بعد حمد الله على نعمه التي جددت لمن أخلص في الطاعة رُتب السعود ، ورفعت من نهض في الخدم الشريفة حق النهوض إلى مناصب الجدود ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بلوإ الحمد المعقود ، وظل الشفاعة الممدود ،

والخوض الذي لا يَنْضُبُ على كثرة الورود ؛ وعلى آله وصحبه الذين وفوا بالعهود ،
 وبدت سيماهم في وجوههم من أثر السجود - فإن أولى من آجتلى وجوه النعم ،
 وآجتلى ثمرة ما غرس من الخدم ، وأرتقى إلى ما أنعم به عليه من التقدّم الذي أقامه
 السعد لاستحقاقه على أثبت قدم - من نشأ في طاعتنا الشريفة يدين بولايتها ،
 ويتقلب في خير نعمها وآلائها ، ويتعبّد بما يؤهل له من خدامها ، ويبادر إلى
 ما يُندب له من المهام الشريفة بين يدي مراسمتنا أو تحت علمها .

ولما كان فلان هو الذي ذكرت طاعته ، وشكرت خدمه وتبجأته - رسم ...
 أن يرتب في ربيع إمرة نبي مهدي ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

فليرتب في ذلك ، قائماً بما يجب عليه من وظائفها المعروفة المألوفة ، وخدمها
 التي هي على ما تبرز به أوامرنا الجارية موقوفة ؛ وليكن هو وعمره بصدد ما يؤمرون
 به : من خدمة يبادرون إليها ، وطاعة يتأيرون عليها ، وتأهب للجهاد ، حيث سرت
 الجيوش المنصورة لم يبق لهم عائق عن التوجه بين يديها ؛ وسياسة تأخذهم من
 الطرائق الحميدة بسلوك ما يجب ، ويعرف بها سلوك ما يسلك وأجتنب ما يجتنب ؛
 والخير يكون ، إن شاء الله تعالى .

الثاني - مقدم زبيد . ومنازل بعضهم بالمرج وغوطة دمشق ، وبعضهم
 بصرخدا ، وحوران .



وهذه نسخة مرسوم شريف بتقدمة عرب زبيد ، وهي :
 أما بعد حمد الله الذي أنقانا للنعم تأييداً ، وأحسن العاقبة لأحسن عاقبة آدم
 لهم فيها تخليداً ، وأحيا به منهم حياً نكتب لأمرهم وإمرتهم في كل حين تقليداً ؛

ونقل منهم نوقلاً فلا تزال نجد فيهم ملابس الفخار بذكر اسمه تجديداً، ورعى بنا أبناء بيت تناسقوا أبناء وجدودا، وتباشروا بولده لما خلف والده بات ابن سعيد لا يكون إلا سعيداً، والصلاة والسلام على نبيه محمد الذي أهلك بسيفه كل غاشم، وأنجل بسيفه كل غمام لوجنة الرياض وأشم، وأسعد بسيفه نوقلاً وعبد شمس بأخوتهما لهاشم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خلاصة العرب، صلاة لا يعد ضرباً لها الضرب، وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن العساكر المنصورة الإسلامية: منهم حاضرة أهل جدار، وبادية في قفار، وقوم هم المدن الممدنة وقوم عليها أسوار، وهم صنفان: صنف لا تمل السيوف عوائقهم، وصنف سيوفهم تحبس بها مناطقهم، والعرب أكرم [أهل] البوادي، وأعظم قبائلهم تضرماً كالبرق مباراة للسحب الغواصي، قد نصبوا بقارة الطريق خيامهم، وسرحوا مع أسراب الظباء سوامهم، ووقفوا دون الممالك المحروسة كتاب مصفوفه، ومواكب بما تعرف به العرب من الشجاعة موصوفه، وزبيد من أنقرها قبيله، وأكثرها فوارس: [فأما أحسابها] فكرمة وأما وجوهها بجميله، شامية أعرفت أنساباً في يمنها، وأتممت بشطء أسنتها ما فتتح في الحجر من سوسنها، فإبيت بطل منهم على دمن، ولا يعرف فارس إلا إذا تمل في الخليطين من شام ومن يمن، كم فيهم بمواقع الطعان فطن ذو كئس، وكم صبغ منهم بالدماء راية حمراء يمني لا ينسب إلى قيس، كم كرب على معدية كرب منهم فارس، ونسب إلى زبيد وهو خشن الملابس، منهم صاحب الصمصامة بقي مثلها السيف فردا، وكم قتل من أقرانه الشجعان من أخ صالح وبواه في العجاج بيديه لحدا، ومن نجومهم الزواهر السراه، وغيومهم الأكار السراه، من لم يزل حول دمشق وما يليها من حوران، منارة منازل وأوطان، حاموا عن جنابها المصون، وحاموا حول غوطتها تشبهاً بحمايتها

على الغُصون ، وما نلوا بسيوفهم أنهارها ، ورياحهم حوّل دوحات الأيك أشجارها ،
 وأستلاموا بمثل غدرايتها دُرُوعا ، وحكوا بما أطلوا من دماء الأعداء شقائق روضها ،
 وبما جروا من حلّهم المسهمة سبلا ؛ ولم يزل لهم من البيت النوفلي من يجمع جماعتهم ،
 ويضم تحت راية الدولة الشريفة طاعتهم ؛ يخلف ابن منهم لأبيه أو أخ لأخيه ،
 وينتظم كل فرقة مع من يناسبه وينضاف كل كوكب إلى من يؤاخيه .

وكان مجلس الأمير الأجل ، فلان بن فلان الزبيدي - أدام الله عزه - هو بقية
 من سلف من آباءه ، وعرف مثل الأسد القسورة بآبائه ؛ وأتخصر فيه من استحقاق
 هذه الرتبة ميراث أبيه ، وأستغرق جميع ما كان من أمر قومه وإمرتهم إليه .

فرسم بالأمر الشريف - زاده الله تعالى شرفا ، وذخر به لكل سالف خلفا -
 أن يرتب في إمرة قومه من زبيد النازلين بظاهر دمشق وبلاد حوران المحروس ،
 على عادة أبيه المستقره ، وقاعدته المستمره ؛ إلى آخر وقت ، من غير تنقيص له عن
 نجم سعده في سمية ولا سمت ؛ تقديمه تشمل جميعهم ممن أعرق وأشام ، وأنجد
 وأنهم ؛ لا يخرج أحد منهم عن حكمه ، ولا ينفرد عن قسمه ؛ لا ممن هو في جدار ،
 ولا ممن هو مضر في قفار ؛ يمشي على ما كان عليه أبوه ، ويقوم فيهم مقامه الذي
 كان عليه هو وأولوه .

ونحن نوصيك بتقوى الله تعالى ، واتباع حكم الشريعة الشريفة ما أقمت على
 بلد أو أزمعت أرحالا ، وجمع قومك على الطاعة فرسانا وربانا ورجالا ؛ واتباع
 أوامرها الشريفة وأمر نوابنا الذين هم بإزائهم ، وما أعتراز من قبلك إلا لما مالوا
 إليه في أعترائهم ؛ والنأهب أنت وقومك لما رسم به في ليل أو نهار ، وجماية جمي
 أتم حوله في صحراء مضرحة أو من وراء جدار ؛ والمطالعة بمن يتنقل من أصحابك

بالوفاء، والوصايا كثيرة ومثلك أيسر ما قال له أمرؤكفاه، والله تعالى يوفقك لما
يرضاه، ويؤثرُك في كلِّ أمرٍ للعمل بمقتضاه، وسبيل كلِّ واقفٍ عليه العملُ به
بعد الخط الشريف شرفه الله تعالى وأعلاه أعلاه؛ إن شاء الله تعالى .

النيابة الثانية

(من نيابات البلاد الشامية - نيابة حلب . ووظائفها التي يكتبها

من الأبواب السلطانية على نوصيف)

النوع الأول

(من بحاضرة حلب، وهم على أصناف)

الصنف الأول

(منهم أرباب السُيوف، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد، وهو نائب السلطنة بها؛

وتقليده في قطع الثلثين بـ«الجناب الكريم»)

وهذه نسخة تقليد شريف بِنِيَابَةِ السلطنة بحلب، كُتِبَ به للامير استدمر،
من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهي :

الحمد لله حافظ ثُغُور الإسلام في أيامنا الزاهرة، بمن يفتُر عن سَنبِ النَّصْر سَيْفُهُ،
وناظِمِ نِطاقِ الحُصُونِ في دَوْلَتِنَا القَاهِرَةِ، على هِمَمٍ من لم يَزَلْ يَغْزُو عدوَّ الدِّينِ قبلَ
طُلُوعِ طَلَائِعِهِ طَيْفُهُ، وناشِرِ لُواءِ العَدْلِ في أَسْنَى مَمَالِكِنَا بِيَدِ من لا يُؤْمِنُ في الحقِّ قُوَّتُهُ

ولا يرهَّبُ في الحُكْمِ حَيْفُهُ ، ومدَّحِر [أجر] الرِّباط في سَيْبِهِ لمن لم يَبْتَ لَيْلَةً إِلَّا والتَّأْيِيدَ
تَزْيِيلُهُ والنَّصْرَ سَمِيرُهُ والظَّفْرُ ضَيْفُهُ ؛ الذي جعلَ الجِهَادَ في أطرافِ الممالك المحروسة
سُورًا لعواصِمِها ، والصَّعَادَ في مَقَاتِلِ أعداءِ الدِّينِ تَجَنًُّا في صُدُورها وتَجَبًُّا في غَلَاصِمِها ؛
والسُّيُوفَ الحِدَادَ تُزْهِئُ بمشاركتها لَأَسْمٍ من بُلَيْتٍ منه أجسادِ أهلِ الكُفْرِ بقاصِمِها ،
ورُمِيَتْ منه أَعْمَارُهُمُ بقاصِمِها ؛ وأرْهَفَ لهذا الأمرِ من أوليائنا سيفًا تَعْلَى الشَّهْبَاءِ
بجواهرِ فِرْنِيدِهِ ، وتَتَوَقَّعُ الأعداءُ مَواقِعَ فَتَكَاتِهِ قَبْلَ تَأْتِي بَرَقِهِ من نُحْبِ غَمْدِهِ ؛
ويعرِفُ أهلُ الكُفْرِ مَضارِبَهُ التي لا تُطَبِّقُ مَقَاتِلُهُمْ بِحَدِّها ، وتَتَفَرَّقُ عَصَبُ الضلالِ
فَرَقًا من مهابته التي طالما أَعَارَتْ على جيوشهم المتعدِّدة وحَدِّها .

نَحْمَدُهُ على نِعْمِهِ التي جعلت النَّصْرَ لأجسادِ ممالِكنا عُقُودًا ، والكُفْرَ للهَبِ صَوَارِمِنا
وَقُودًا ، والتَّأْيِيدَ من نتائجِ سُيُوفِنا التي تَأْتِي أن تُرَى في مَضاجِعِ العُمُودِ رُقُودًا ؛
ونشْهَدُ أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له شهادة تُعَلِّي منارَ الهدى ، وتُظْفِي أنوارَ
العِدا ، وتُخْلِي أجسادَ أهلِ الكُفْرِ من قُوَى أرواحهم فتغدو كِديارهم التي لا يُجِبُ
فيها إلا الصِّدْقُ ؛ ونشْهَدُ أنَّ مَجدًا عبده ورسوله الذي أَعْلَى اللهُ بِناءَ الإيمانِ بتأذِينِهِ ،
وأيدنا في الدُّبِّ عن مِلَّتِهِ ، بكلِّ وَليٍّ يَتَلَقَّى رَايَةَ النَّصْرِ بِيَمِينِهِ ، وأَعاننا على مِصَالِحِ
أُمَّتِهِ ، بكلِّ سَيْفٍ تَتَأَلَّقُ نارُ الأجلِ من زَنْدِهِ ويَتَرَفَّقُ ماءُ الحِياةِ من مَعِينِهِ ؛ صَلَّى اللهُ
عليه وعلى آلِهِ وصَحْبِهِ الذين وَسَمَتْ أَسْتُهُمُ من وجوهِ الكُفْرِ أَغْفالًا ، وكانتِ سِيُوفُهُمُ
لَمَعاقِلِ أهلِ الشُّركِ مَفاتِحَ فَلَمَّا فُتِحَتْ غَدَّتْ لها أَغْفالًا ؛ فمنهم مَن فَازَ بِمِزْيَةِ السَّبْقِ
إلى تَصْديقه ، ومنهم مَن كانَ الشَّيْطانُ يُنْكَبُ عن طَرِيقِهِ ؛ ومنهم مَن أَمَرَ بِإِعْمالِ
سَيْفِ الانتصارِ لَدَمِهِ عن مَرِيقِهِ ، ومنهم مَن حازَ رُتْبَةَ أَخْتانِهِ وصِهرِهِ دونَ أُسْرَتِهِ
الكرامِ وفَرِيقِهِ ؛ صلاةً دائمةً الخُلُودِ ، مُسْتَمِرَّةً الإقامَةَ في التَّهائمِ والنُّجُودِ ؛ وسَلَّمَ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإن أولى من حُلِيَتِ التقاليدُ بلائِي أوصافه، ومكثتِ الأقاليمُ بمواقع
 مهاتيه وإنصافه؛ وريعت قلوبُ العدا بطُروقِ خياله قبل خيله، وخاف الكُفْرُ
 كلَّ شيءٍ أشبه طُباه من توقُّدِ شمسِ نهاره أو حكي أسننه من تألقِ نجومِ ليله؛
 ومدَّ على الممالك من عزَماتِه سورٌ مصفَّحٌ بصفاحه، مُشرفٌ بأسنه رماحه؛ ساميةٌ
 على منطقة الجوزاءِ منطقةُ بروجه، نائيةٌ على أمانِي العدا مسافةُ رفعتِه فلا يقدر أملُ
 باعٍ على ارتقائه ولا رجاءُ طاعٍ على ولوجه. من تمهدت بسدادِ تدييره الدول، وشهدت
 بسيرِ محاسنه السيرِ الأول؛ وتوطدتِ الممالكُ على أسننه فحققت أن أعلى الممالك
 ما يبني على الأسل، وسارت في الآفاقِ سمعته فكانت أسرى من الأحلامِ وأسبق
 من الأوهامِ وأسير من المثل؛ وصانت الثغورَ صوارمه فلم يشم برفها إلا أسيرٌ
 أو كسير، أو من إذا رجع إليها بصره أنقلب إليه البصرُ خاسئاً وهو حسير؛ وزانت
 الأقاليمُ معدنائه فلا ظلمَ يغشى ظلامه، ولا جورَ يحشى المأمة، ولا حقَّ تُدحض
 حجته ولا باطلَ يعلو كلامه؛ فالبلادُ حيث حلَّ بعدله معموره، وبإيائه معموره،
 وسُيوفُ ذوي الأقالامِ وأقلامهم بأوامره في مصالحِ البلادِ والعبادِ منبهةٌ ومأثورة.

ولما كان الجنابُ العالی هو الذي عانقَ الملكَ الأعزَّ بنجاده، وألثت الذي لم يرزل
 في سبيلِ الله إغارته وإنجاده؛ والكي الذي كم له في جهادِ أعداءِ الله من موقِفِ
 صديقٍ يضلُّ فيه الوهمُ وترزُلُ فيه القدم، والهَمَّ الذي إن أنكرت أعناقُ العدا مواقعَ
 سيوفه «فما بالعهد من قدم»؛ والمقدم الذي لا تُشكرُ مشاهدته في إرغامِ الكُفْرِ ولا
 تُكفر، والزعيم الذي حمت مهاتته السواحلَ نخاف البحر: وهو العدوُّ الأزرق، من
 بأسه الأحمر، على نبي الأصفرة؛ والمقدم الذي كم ضاقت بسرًا يا شيعته الفجاج،! ومم
 أشرقت نجومُ أسننه من أفقِ النصر في ظلمِ العجاج،! ومم حمى المدبَّ الفرات على
 البعد بسيوفه وهي مجاورةٌ للملح الأجاج،!؛ مع سطوبةِ أنامت الرعايا في مهادِ أمينا،

ورأفة عمريت البرايا بعاطفة إقبالها وبمنها، ورفق تكفل لسهل البلاد وحرثها بإعانة
مُرَينها، وشجاعة أعدت الجيوش التي قبلة فعدت آحادها ألوفاً، وفتكات عودت
الطير الشبع من وقائعه فباتت على رايانه عكوفاً، ومعدلة عمّت من في إياته فأصْحى
الضعيف في الحق قوياً عنده والقوي في الباطل ضعيفاً.

وكانت البلاد الحليّة المحروسة هي المملكة التي لا تُجارى شهباًؤها في حلبة نخار،
والرثبة التي لا يُوهل لها من خواص الأولياء الأعرزة إلا من استخرنا الله تعالى
في تقليد جيد مفاخره بلائى كفاتلها نخار، فهي سورُ الممالك الذي لا تُتسوره
الخطوب، وأتم الثغور التي ما يرح يسفر بأيدسامها عن شنب النصر وجه الزمن
القطوب، وموطن الرباط الذي كل يوم وليلة [فيه] خير من الدنيا وما فيها،
وعقيلة الأقاليم التي لم أشجى قلوب الملوك الأكبر صدودها وأسهر عيون العطاء
الأكسرة تجافها؛ بل هي عقد دُرّه حصونه، وروض سيوف الكماة جداوله
ورماح الحماة غصونه، وحمى لم تزل عيون عنايتنا بعون الله تحفه وأيدى تأييدنا
بقوة الله تصونه - أقتضت آراؤنا الشريفة أن نرُف بجمايتها هذا السيف الذي
تسابق الأجل مضاربه، وتبطل الحيل تجاربه، ويتقدم خبر عزائم خبرها فلا
يُدري: هل ربح الجنوب أسرى وأسرع أم جنائبه؛ وبث مهايته أمام سراياه إلى
العدا سرايا رعي تغل جمعهم، وتسبق إلى التحرز من بأسه بصرهم وسمعهم؛
وتسفر بكل أفق عن تعنتها مغيره، أو كتيبة تجعلها لمعالى النصر الكامنة مثيره.

فلذلك رُسم بالأمر الشريف العالى - لا زالت أوامره مبسوطة في البسيطة،
وممالكه محوطة بمهايته الشاملة ومعدته المحيطه - أن تفوض إليه نيابة السلطنة
الشريفة بالمملكة الحليّة: تفويضاً يعوِّدها من عيون العدا بايات عزائمها، ويعوِّدها

(١) كذا في نسختين ولعل الصواب "من شيمة" الخ.

أَجْتَنَاءَ تَمَرِ الْمُنَى وَالْأَمْنِ مِنْ وَدْقِ صَوَارِمِهِ ؛ وَيُنْظِمُ دَرَارِيَّ الْأَيْسِنَةِ مِنْ أَجْيَادِ حُصُونِهَا فِي مَكَانِ الْقَلَائِدِ ، وَيَجْعَلُ كِبَاةَ أَعْدَائِهَا لِحَوْفِهِ أَوْعَفَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَجْبَنَ مِنَ الْوَلَائِدِ ؛ وَيُجَرِّدُ إِلَى مَجَاوِرِيهَا مِنْ هِمَّتِهِ طَلَائِعَ تَحْصُرُهُمْ فِي الْفَضَاءِ الْمُنْتَبِعِ ، وَتُسَدُّ عَلَيْهِمْ بَحَالَ الْأَرْضِ الْفَسِيحَةِ فَيَغْدُو لَهُمْ حَزْنُهَا الْحَزْنَ الشَّامِلَ وَسَهْلُهَا السَّهْلَ الْمُتَمَتِّعَ .

فَلْيَتَقَلَّدْ هَذِهِ الرِّبَّةَ الَّتِي بِيَمَثَلِهَا تُرْهِى الْأَجْيَادُ ، وَبِتَقَلُّدِهَا يَظْهَرُ حَسَنُ الْإِتِّقَاءِ لِجَوَاهِرِ الْأَوْلِيَاءِ وَالْإِتِّقَادِ ، وَبِتَفْوِيضِهَا إِلَى مِثْلِهِ يُعْلَمُ حَسَنُ الْإِرْتِيَادِ لِمَصَالِحِ الْبِلَادِ وَالْعِبَادِ ؛ وَلِيَزِيدَ جِيوشَهَا الْمَنْصُورَةَ إِرْهَابًا لِعَدُوِّهِمْ ، وَإِرْهَابًا لَصَوَارِمِ الْجِهَادِ فِي رَوَاجِحِهِمْ وَعُدُوِّهِمْ ، وَإِدَامَةً لِلنَّفِيرِ الَّذِي حَبَّبَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ ، وَقُوَّةَ عَلَى مَجَاوِرِيهِمْ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَبِيحَةٍ عَلَيْهِمْ ؛ فَإِنَّهُمْ فُرْسَانُ الْجِلَادِ الَّذِينَ أَلْفُوا الْوَقَائِعَ ، وَأَسْوَارُ الْفُرَاتِ الَّذِينَ عَرِفُوا فِي الذَّبِّ عَنْ مِلَّتِهِمْ بِحِفْظِ الشَّرَائِعِ ، وَكَشَافَةُ الْكُرْبِ الَّذِينَ لَا يَزَالُ لَهُمْ فِي سَائِرِ بِلَادِ الْعِدَا سَرَايَا وَعَلَى جَمِيعِ مَطَالِعِ دِيَارِ الْكُفْرِ طَلَائِعَ ؛ وَهُمْ بِتَقَدُّمَتِهِ تَتَضَاعَفُ شَجَاعَتُهُمْ ، وَتَزِيدُ أَسْطِطَاعَتُهُمْ وَطَاعَتُهُمْ ؛ وَلِيَأْخُذَهُمْ بِمَضَاعِفَةِ الْأَهَبِ وَإِدَامَةِ السَّعْيِ فِي حِفْظِ الْبِلَادِ وَالذَّبِّ ، وَالتَّشْبِيهِ بِأَسْوَدِ الْغَابَاتِ الَّتِي هَمُّهَا فِي الْمَسْلُوبِ لَا السَّلْبَ ؛ وَلِيَهْتَمَّ بِكَشْفِ أحوالِ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ لِيَبْرَحَ آمِنًا عَلَى الْأَطْرَافِ (١) مِنْ حَيْفِهِمْ ، مَتَّبِعًا لِمَكَائِدِهِمْ فِي رِحْلَتَيْ شَتَائِهِمْ وَصَيْفِهِمْ ؛ مُفَاجِئًا لَهُمْ فِي كُلِّ مَثَرٍ بِسَيْرِ يَرُوعٍ سِرِّيهِمْ ، وَيُكَدِّرُ شَرِيهِمْ ؛ وَيَجْعَلُ رُوحَ كُلِّ مِنْهُمْ مِنْ خَوْفِ قُدُومِهِ نَافِرَةً عَنِ الْجَسَدِ ، وَيَسْلُبُهُمْ بِتَوَقُّعِ مُفَاجِئَتِهِ الْقَرَارَ « وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ » ، وَلَا تَزَالُ قُصَادُهُ بِأَسْرَارِ قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ مُنَاجِيهِ [وَلَا تَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ بَيْنَ الْعِدَا فِرْقَةَ نَاجِيهِ] (٢) وَلِيَحْتَفِلَ بِتَذْرِيحِ الْحَمَامِ الَّتِي هِيَ رُسُلُ أَعْيَتِهِ ،

(١) مراده ليقع على الدوام آنا الخ إلا أن هذه المادة لا تزدي هذا المعنى إلا بسبق النفي . تأمل .

(٢) الزيادة مما يأتي قرينا ليستقيم الكلام .

وإقامة الديابذ الذين إذا دعوا همهممة بالسنة النيران لبثهم السنة أسفنته ؛ ولئيمت
قلوب أعدائه بوجع لقائه قبل الأجل ، وليرد في الحزم على ابن مزيد الذي
لم ير في الأمن إلا في درع مضاعفة « لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل » ؛
وليجعل أحوال الفلاح المحروسة دائما بمرأى منه ومسمع ، ويُسبِّدُها من ملاحظته
باحتفال لا يدع لشائم برفها وحول أموالها [مطمعا] فقد استكمل حُسن النظر
في مصالحها أجمع ؛ وليقيم منار الشرع الشريف بمعاونة حكامه ، والالتقياد إلى
أحكامه ، والوقوف مع تقضيه وإبرامه :

فليجعل حكم الشريعة المطهرة أمامه وإمامه ، وليقيم أمر الله فيمن آتاه الشرع
إلى حكمه بخاذب زمامه ؛ وليعظم حملة العلم الذي أعلى الله مناره ، وأفاض على
الأمة أنواره ، وحفظ بهم على الملة سنة نبيهم صلى الله عليه وسلم وآثاره ؛ وليكن
لأقدارهم رافعا ، ولمضارهم دافعا ؛ ولأوقافهم بجمل الاحتفال عامرا ، وفي مصالحهم
بتحلية الأحوال أمرا ؛ ولينشر لواء العدل الذي أمر الله بنشره ، ويشفعه بالإحسان
الذي هو مألوف من سبحانه ومعروف من طلاقة بشره ؛ ويمد على الرعايا ظل رأفته
الذي يضيئ في نعم لباسهم ، ويديم الفهم بالرفاهية واستئناسهم ؛ ويقيم حكم سياسته
على من لم يستقيم ، ويقف مع رضا الله تعالى في كل أمر ؛ فإذا رحم الله فليرحم
وإذا أنتم فليغير الله لا ينتقم ؛ ولتعتن بعارة البلاد بسط العدل الذي ما أحتمى به
ملك إلا صانته ، والرفق الذي لم يكن في شيء إلا زانه ، وتوحي الحق الذي من جعله
نصب عينيه وفقه الله له وأعانه . وكذلك أمر الأموال ؛ فإنها ذخيرة الملك وعتاده ،
ومادة الجيش الذي إذا صيرفت إلى مصالحهم هممه لم يُحش عليه انقطاعه ولا

(١) يشير إلى بيت من قصيدة لمسلم بن الوليد يمدح بها يزيد بن مزيد الشيباني وهو :

تراه في الأمن في درع مضاعفة * لا يأمن الدهر أن يدعى على عجل

تَفَادُهُ ؛ وَجَمِيعُ الْوَصَايَا قَدْ أَلْفَنَّا مِنْ سِيرَتِهِ فِيهَا فَوْقَ مَا نَقْتَرِحُ ، وَخَبَرْنَا مِنْ مَقَاصِدِهِ فِيهَا مَا يَقُولُ لِلسَّانِ قَلَمُهَا : قَدْ عَرَفْتُ مَا أَوْمَأَتْ إِلَيْهِ مِنْ مَقَاصِدِكَ فَاسْتَرِحْ ؛ وَمِلا كُنْهَا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى وَرِضَانًا ، وَهُوَ الْمَأْلُوفُ مِنْ عَدْلِهِ وَإِنصَافِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُدِيمُهَا بِتَأْيِيدِهِ وَقَدْ فَعَلَ ، وَيَجْعَلُهُ مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ وَأَعْلَامِ الْمُسْلِمِينَ وَقَدْ جَعَلَ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ، وَالْإِعْتِمَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخةٌ تقليدٍ شريفٍ بديابةٍ حلبٍ أيضًا ، كُتِبَ بِهَا عَنِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ «مُحَمَّدِ بْنِ قَلَاوُونَ» لِلْأَمِيرِ شَمْسِ الدِّينِ «قِرَاسُنْقَر» بِإِعَادَتِهِ إِلَيْهَا . مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ مُحَمَّدِ الْحَلْبِيِّ ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْعَوَاصِمَ بِإِقَامَةِ قَرْضِ الْجِهَادِ فِي أَيَّامِنَا الشَّرِيفَةِ مُعْتَصِمَةً ، وَالتُّغُورَ بِمَا تَفَتَّرُ عَنْهُ مِنْ شَنْبِ النَّصْرِ فِي دَوْلَتِنَا الْقَاهِرَةِ مُبْتَسِمَةً ، وَالصَّوَارِمَ الْمُرْهَفَةَ فِي أَطْرَافِ الْمَمَالِكِ بِأَيْدِي أَوْلِيَانِنَا لِأَزْوَاجِ مَنْ قَرُبَ أَوْ بَعُدَ عَنْهَا مِنَ الْأَعْدَاءِ مُقْتَسِمَةً ، وَالْحُصُونِ الْمُصَفَّحَةَ بِصَفَاحِنَا بِأَعْلَامِ النَّصْرِ مُعَلِّمَةً وَبِسِيَا الظَّفَرِ مُتَسِّمَةً ؛ مُعَلِّي قُدْرِ مَنْ أَحْسَنَ فِي مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ عَمَلًا ، وَرَافِعِ ذِكْرٍ مَنْ يَسْطُرُ إِلَى عِزِّ طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِنَا أَمَلًا ، وَجُدِّدِ سَعِيدٍ مَنْ تَلْبَسُ الْأَقْلَامُ مِنْ أَوْصَافِهِ أَنْخَرِ الْحُلَّ إِذَا خَلَعَتْ مِنَ الْحَمَامِدِ عَلَى أَوْصَافِهِ حُلَلًا ، وَبُقُوضِ زَعَامَةِ الْجِيُوشِ بِمَوَاطِنِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِهِ إِلَى مَنْ إِذَا فَلَّتْ مَقَاتِلُ الْعَدَا سِوْفَ الْجِلَادِ كَانَتْ عِزًّا لِمَنْ مِنَ السِّوْفِ الْمُرْهَفَةِ بَدَلًا .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ طَاعَتَنَا مِنْ آ كَدِ أَسْبَابِ الْعُلُوِّ ، وَخِدْمَتَنَا مِنْ أَنْجِحِ أَبْوَابِ الرَّفْعَةِ بِحَسَبِ الْمِبَالِغَةِ فِي الْخِدْمَةِ وَالْعُلُوِّ ، وَنِعْمَنَا شَامِلَةً لِلْأَوْلِيَاءِ بِمَا يُرْبِي عَلَى

طَوَامِجِ الْأَمَالِ فِي الْبُعْدِ وَالذُّتُو ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةٌ
 تُسْتَنْزَلُ بِهَا مَوَادُّ النَّصْرِ وَالظَّفَرِ ، وَتُسْتَجْزَلُ بِهَا ذَخَائِرُ التَّايِيدِ الَّتِي كَمْ أَسْفَرُ عَنْهَا وَجْهٌ
 سَفَرٌ ، وَتُرْهَفُ بِهَا سِيُوفُ الْجِهَادِ الَّتِي كَمْ آلَفَتْ مِنْ آمَنٍ وَكَفَّتْ مِنْ كَفَرٍ ؛ وَنَشْهَدُ
 أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدَهُ وَرَسُولَهُ الَّذِي أَنْزَلَ سِكِّينَتَهُ عَلَيْهِ ، وَزُوِيَتْ لَهُ الْأَرْضُ فَرَأَى مِنْهَا
 مَا يَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِهِ إِلَيْهِ ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ كُنُوزُ الدُّنْيَا فَأَعْرَضَ عَمَّا وُضِعَ مِنْ مَقَالِيدِهَا
 بِيَدَيْهِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ، وَنَهَضُوا بِمَا أَمَرُوا بِهِ
 مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ وَطَاعَةِ أَوْلَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً الظَّلَالَ ، آمَنَةً
 تَمِيسُ دَوَامِهَا مِنَ الزَّوَالِ ؛ وَسَلْمًا تَسْلِيًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ طُوقَتْ أَجْيَادُ الْمَالِكِ بِفِرَائِدِ أَوْصَافِهِ ، وَفُوقَتْ إِلَى مَقَابِلِ
 الْعِدَا سِبْهَامُ مَهَابَتِهِ الَّتِي تَحُولُ مِنْهُمْ بَيْنَ كُلِّ قَلْبٍ وَشِغَاغِهِ ؛ وَخُصِّصَتْ بِهِ أُمَّ الثَّنُورِ الَّتِي
 دَرَّ لَهَا حَلْبُهَا ، وَمَدَّتْ عَلَيْهَا أَفْيَاءَ النَّصْرِ الْمَمْدُودَةَ ذَوَابِلُهَا وَقُضْبُهَا ، وَأَهْدَى أَرْجَ التَّبْلُجِ
 افْتِرَاقَهَا وَسَنَبُهَا - مَنْ تَقَوْمُ مَهَابَتِهِ مَقَامَ الْأَلُوفِ ، وَتَجْتَنِّي سُمْعَتُهُ مِنْ ذَوَابِلِ الْعِزَائِمِ تَمَرِ
 النَّصْرِ الْمَأْلُوفِ ؛ وَيَسْبِقُ خَيْالَهُ سَرَايَا خَيْلِهِ الَّتِي هِيَ أَسْرَى مِنْ هُوَجِ الرِّيَّاحِ إِلَى هَزْمِ
 الْجُمُوعِ وَتَفْرِيقِ الصُّفُوفِ ، وَتَنْظِمُ أَسِنَّةَ رِمَاحِهِ فِي الْوَعْيِ قُلُوبَ الْعِدَا نَظْمَ السُّطُورِ
 وَتَتَرُصِّفُ صَفَاحَهُ رُءُوسَهُمْ تَتْرُ الحُرُوفِ ؛ وَتُحِيطُ بِنِطَاقِ الْمَمَالِكِ الْمُتَطَرِّفَةِ صَوَارِمَهُ إِحَاطَةً
 الْأَسْوَارِ بِالْحُصُونِ ، وَالتَّجَائِلِ بِالْفُصُونِ ، وَالْهَالَاتِ بِالْأَقْسَارِ ، وَالْجَوَائِحِ بِالْأَسْرَارِ ؛
 وَلَا تَبِيْتُ مُلُوكَ الْعِدَا مِنْهُ إِلَّا عَلَى وَجَلٍ ، وَلَا يُرَى فِي الْأَمْنِ إِلَّا فِي دِرْعِ مُضَاعَفَةٍ
 « لَا يَأْمَنُ الدَّهْرَ أَنْ يُدْعَى عَلَى تَجَلٍ » ؛ وَلَا يَحْتَنِي عَنِ الْمَعِيَّتِهِ مَا يُضْمَرُ الْأَعْدَاءُ مِنْ
 الْحَرَكَاتِ قَبْلَ إِظْهَارِهَا ، وَلَا يَبْعُدُ عَلَى عَزَمَاتِهِ مَا هِيَ مَلِيَّةٌ بِهِ مِنْ بَدَارِهَا أَعْدَاءَ الدِّينِ

بَدَارِهَا ؛ وَإِذَا جَلَسَ لِنَشْرِ الْمَعْدِلَةِ تَبَرَّأَ الظُّلْمَ مِنْ فِكْرٍ ^(١) [البغى والخبور على إنسان،
وَشَفَعَ مَا تَصَدَّى لَهُ مِنْ ذَلِكَ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مِنَ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ .

ولما كان الجناب العالى الفلانى هو الذى مُلِثَتْ قُلُوبُ الْعِدَا بُرْعِيهِ ، وَأَنْطَوَتْ
قُلُوبُ الرِّعَايَا عَلَى حُبِّهِ ؛ وَتَهَلَّتْ وَجْهُهُ الْمُتَى فِي سَائِمِهِ وَأَسْتَهَلَّتْ تُحِبُّ الْمَنِيَا فِي حَرْبِهِ ،
وَجَمَعَ بَيْنَ حِدَّةِ الْبَأْسِ وَلُطْفِ التُّقَى ، فَكَانَ هُوَ الْكَيْبَى الَّذِي شَفَعَ الشَّجَاعَةَ بِالْخُضُوعِ
لِرَبِّهِ ؛ وَحَاطَ مَاوَلِيَهُ مِنَ الْأَقَالِمِ بِسُورَى بَأْسِهِ وَعَدَّلَهُ فَبَاتَ كُلُّ أَحَدٍ وَادِعًا فِي مِيَاهِهِ
أَمَّنًا فِي سِرِّهِ ؛ وَأَغَارَتْ سَرَايَا مَهَابَتِهِ قَبْلَ طُلُوعِ طَلَائِعِهِ فَاصْبَحَ كُلُّ مَنْ الْعِدَا أُسِيرَ
الذُّعْرَ قَبْلَ إِنْسَاكِهِ - قَتِيلَ الْخَوْفِ قَبْلَ ضَرْبِهِ ؛ مَعَ آخْتِفَالِ بَعَارَةِ الْبِلَادِ ، أَعَانَ
السُّحْبَ عَلَى رِيَّهَا ، وَأَشْتَمَالَ عَلَى مَصَالِحِ الْعِبَادِ ، قَامَ فِي تَيْسِيرِ أَرْزَاقِهِمْ مَقَامَ وَشَمِيِّ الْغَنَائِمِ
وَوَلَّيَهَا ؛ وَتَيَقَّظَ لِمَصَالِحِ الثُّغُورِ أَنَامَ عَنْهَا عِيُونَ الْخُطُوبِ ، وَإِشْرَاقِ فِي أُنْفِ الْمَوَاكِبِ
كَسَا وَجْهَ الدِّينِ نُورَ الْبِشْرِ وَوَجْهَ الْكُفْرِ ظِلَامَ الْقُطُوبِ .

وكانت المملكة الحديبية عقيلة المعاقيل ، وعاصمة العواصم ، وإسطة عقود
الممالك ، وسلك فرائد النصر التي كم أضاءت بها إلى الكفر وجوه المسالك ، لا تدرك
في مضمار الفخار شهابؤها ، ولا ترى إلا كما ترى النجوم في عيون العدا حصباؤها ؛
ولها من الحصون المصونة كل قلعة يتهيب الطيف سلوك عقابها ، ويتقاصر لوج
الجوع من منال عقابها ؛ فهي عزيزة المنال ، إلا على كريم كفاءته ، بعيدة مجال الآمال ،
إلا على ما ألفت من إبالة كفايته ؛ سامية الأفق إلا على شمسه ، نايبة الطرف
إلا على ما عرفت من سلوكه في أمسه ، ظامية الغروس التي أنشأها في مصالحها
إلى ما اعتادته من سقيا غرسه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن تزيدها إشراقا بشمس

(١) بياض بالأصل .

جَلَالِهِ ، واعتلاءً بِسَيْفِهِ الَّذِي رِيَاضُ الْجَنَّةِ تَحْتَ ظِلَالِهِ ؛ وَأَنْ نُعِيدَ أَمْرَهَا إِلَى مَنْ طَالَمَا حَسَّنَ عَدْلَهُ بُقْعَتَهَا ، وَحَصَّنَ بَأْسَهُ قَلْعَتَهَا ؛ وَأَطَارَتْ مَهَابَتُهُ سُمُوعَتَهَا ، وَأَطَالَتْ سِيرَتُهُ سُكُونَ رَعَايَاهَا فِي مِهَادِ الْأَمْنِ وَهَجْمَتَهَا ؛ وَأَعَادَ وُجُودَهُ أَحْوَالَ مُجَاوِرِيهَا مِنَ الْعِدَا إِلَى الْعَدَمِ ، وَأَبَادَ سَيْفُهُ أَرْوَاحَ مُعَانِدِيهَا : فَلَوْ أَنْكَرْتَهُ أَعْنَاقُهُمْ لَمْ يَكُنْ بِالْعَهْدِ مِنْ قَدَمٍ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ شَمْسُ عَدْلِهِ ، مُشْرِقَةً فِي الْوُجُودِ ، وَغَيْبَتْ فَضْلُهُ ، مُسْتَهْلًا الْجُودَ فِي التَّهَامِ وَالنُّجُودِ - أَنْ تَفُوضَ إِلَيْهِ تَفْوِضًا يُجَدِّدُ أَرْتِفَاعَهَا ، وَيُعَمِّرُ وَجَادَهَا وَيَقَاعَهَا ، وَيُؤَيِّدُ أُنْدِفَاعَ مَضَارِّهَا وَأَنْتِفَاعَهَا ، وَيُعِيدُ الْإِشْرَاقَ إِلَى مَطَالِعِهَا ، وَالْأُمُورَ إِلَى مَوَاقِعِهَا مِنْ سَدَادِ التَّدْيِيرِ وَمَوَاضِعِهَا ، وَالْإِقْدَامَ إِلَى جَبُوشِهَا وَأَبْطَالِهَا [وَالشَّجَاعَةَ إِلَى حِمَاتِهَا وَرَجَالِهَا] .

فَيَطْلُعُ فِي أَفْقِ مَوَاطِنِهَا طُلُوعَ نَعْتِهِ الْكَرِيمِ ، وَيُجِرُّ فِي جَوَانِبِهَا مَا أَلْفَتَهُ مِنْ مَوَارِدِ عَدْلِهِ الَّذِي فَارَقَهَا عَمَامُهُ وَأَثْرُسِيْلُهُ مُقِيمٍ ؛ وَيُعَاوِدُ مَصَالِحَ تِلْكَ الْمَمْلَكَةِ الَّتِي لَا تَصْلُحُ أُمُورُهَا إِلَّا عَلَيْهِ ، وَيُرَاجِعُ عِصْمَةَ تِلْكَ الْعَقِيلَةِ الَّتِي لَا تَطْمَحُ أَبْصَارُ عَوَاصِمِهَا إِلَّا إِلَيْهِ ، وَيُلْقِي فِي قُلُوبِ مُجَاوِرِيهَا ذَلِكَ الرَّعْبَ الَّذِي نَعَى إِلَى كُلِّ مَنْهُمْ نَفْسَهُ وَأَسْلَاهُ عَمَّا فِي يَدَيْهِ ؛ وَيُثَبِّتُ تِلْكَ الْمَهَابَةَ الَّتِي جَعَلَتْ مَنَابِيا الْعِدَا بَرَاحَتَهُ بِأَمْرِهَا فِيهِمْ وَيَنْهَاهَا ، وَيَنْشُرُ فِي الرَعَايَا تِلْكَ الْمَعْدِلَةَ الَّتِي هِيَ كَالشَّمْسِ : لَا تَبْتَغِي بِمَا صَنَعَتْ مَتْرَلَةً عِنْدَهُمْ وَلَا جَاهًا ؛ وَلَتَكُنْ أَحْوَالُ عَدُوِّ الْإِسْلَامِ بِمِرْأَى مِنْهُ عَلَى عَادَتِهِ وَمَسْمَعٍ ، وَيَكْفُفُ أَطْمَاعَ الْكُفَّارِ عَلَى قَاعِدَتِهِ فَلَا يَحْدُثُ لَهُمْ إِلَى شَيْءٍ بَرَقَ الثُّغُورُ مَطْمَحٌ وَلَا فِي الْعِلْمِ بِسَلْبِهَا مَطْمَعٌ ؛ وَلِيَكُنْ مِنْ أَرْصَادِهِ ، نَهَارُ عَدُوِّ الدِّينِ وَلَيْلُهُ ، وَمِنْ أَمْدَادِهِ ، مَجَازُ الْجِهَادِ وَحَقِيقَتُهُ فَلَا يَبْرَحُ بَيْنَهُمْ خَيْالُهُ إِذَا لَمْ تُصَبِّحْهُمْ خَيْلُهُ ؛ وَلَا يَبْرَحُ لَهُ مِنْ أَعْيَانِ عِيُونِهِ

بين العدا فرقةً ناجيةً ، وطائفةً بأسرار قلوب القوم مُناجيه ، لتكون له مقاتلهم على طول الأبد باديةً ، وتغدو منازلهم خاويةً بين سراياه الراحية والغادية . وليتعاهد أحوال الجيوش بإدامة عرضها ، وإقامة واجبات القوة وفرضها ، وإطالة صيت السمعة المشهورة لكلماتها في طول بلاد العدا وعرضها ؛ وإزاحة أعدائها للركوب ، وإزالة عوائق آرتيادها للوثوب ، وإعداد العدد التي لها من أيديهم طلوع [في] مقاتل أعدائهم غروب . ولتفتقد أحوال الحصون المصونة بسداد ثغورها ، وسداد أمورها ؛ وإزاحة أعدار رجالها ، وإرهاق همم حمايتها التي تضيق على آمال العدا سعة مجالها ؛ وتوفير ذخائرها ، وتعمير بواطنها وظواهرها ، وتخصين مسالكها التي يترهب الخيال المتولى إلى العيون سلوك محارها .

وليعل منار الشرع الشريف بتشييد مناره وإحكامه ، وتنفيذه لقضايأ قضائه وأحكام حكمه ؛ والوقوف في كل أمر مع تقضيه في ذلك وإبرامه ، ورفع أقدار حملة العلم على ما ألقوه من الرفعة والسمو في أيامه . ولتكن وطأة بأسه على أهل الفساد مُشدته ، وأوامره مُتقدمة بوضع الأشياء في مواضعها : فلا تُوضع الحدة موضع الأناة ولا الأناة موضع الحدة . وليراع عهود المودعين مهما استقاموا ، ويجمع عليهم إن يكفوا أنامل بأسه التي هم في قبضتها رحلوا أو أقاموا ؛ ولتخبر السنة النيران بسببها على اليفاع [والأكام] من قدم لمكيدة أو طعن بمطار الحمام - وجميع ما يتعلق بهذه المرتبة السنية من قواعد فإلى سالف تدبيره يُنسب ، ومن سوابق تقريره وتحريره يُحسب ؛ فهو ابن بجدتها ، وفارس بجدتها ؛ ومؤئل قواعدها ، وموثر ما حُمد من امتداد عضدها إلى مصالح الإسلام وساعدها ؛ فليفعل في ذلك ما يشكره الله والإسلام عليه ، ويثبت المحجة عند الله تعالى في إلقاء المقاليد إليه ؛ وملاك

الوصايا تقوى الله وهي سحابة نفسه، وتمرة ما آجتني في أيام الحياة من غرسه ،
ونشر العدل والإحسان فيهما تظهر مزية يومه الجميل على أمسه ؛ والله تعالى يجعل
نعمه دائماً الاستقبال ، وشمسه آمنة من الغروب والزوال ؛ والاعتقاد ... : ... :

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع الثالث بـ«المجلس السامي» وفيها وظائف)

الوظيفة الأولى

(نيابة القلعة بها)

وهذه نسخة مرسوم شريف بنيابة قلعة حلب :

الحمد لله معلي قدر من تحلى بالأمانة والصون ، ورافع مكانة من كان فيما عرض
من العوارض نعم العون ؛ ومؤهل من أرشدنا إليه للاجتناب حسن الاختبار ، ومبلغ
الإيتار من شكرت عنه محامد الآثار .

نحمده حمد الشاكرين ، ونشكره شكر الحامدين ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة مخلص في اعتقاده ، مبراً من افتراء كل جاحد وإلحاد ؛ ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أرسله بالحق بشيراً ونذيراً ، وأيده بسُلطان منه وطهر [به]
الأرض من دنس الضلال تطهيراً ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا يزال علم
العالم بها منشوراً ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن العناية بالحصون تُوجب أن لا يُختار لها إلا من هو ملي يحفظها ؛
موفر [لها] من حُسن الذب غاية حفظها ؛ حسن المرباطه ، مبراً من دنس الأفعال

السَّاقِطَهُ ؛ ذُو قَلْبٍ [قَوِيٌّ] وَقَالِبٌ ، وَعَزِيمٌ مَازَالٌ لِمَهْمَاتِ الْأُمُورِ أُتِّجِعَ مُغَالِبٌ ؛ إِذْ هُوَ
لِلرَّايِطِينَ بِهَا أَوْثُقُ حَرِيزِ حَرِيزٍ ، وَأَصُونُ حِجَابِ لِمُبَارَزَةِ ذَوِي التَّبْرِيزِ ؛ [فَتَصْبِحُ بِهِ] مُسْتَوْرًا
عَوَارُهَا ، كَاتِمَةً لِأَسْرَارِهَا أَسْوَارُهَا ؛ تَخَاطَبَ مُنَازِلِهَا مِنْ مَجَانِيْقِهَا بِأَبْلَغِ لِسَانٍ ، وَتَسَافَهُ
مَلَاجِيهَا مِنْ أُنْفَةِ أَنْفِهَا إِلَّا أَنَّهُ بِأَعْلَى مَكَانٍ .

ولما كانت القلعة الفلانية بهذه المترلة الرفيعه ، والمكانة التي كل مكانة بالنسبة
والإضافة إلى علو مكانها المكانة الوضعية - آخترنا لها وأبتغينا ، وأستوعبنا بالتأهيل
لنيابتها ولم نترك في أسيدينا ولا أبقينا ؛ فلم نجد لولايتها كُفًا إلا من نُظِمَتْ عُقُودُ
هذا التقليد لتقليده ، ورُتِلَتْ سُوْرُ هذه المحامد بمبدئ لسان تقرظه ومُعِيدِهِ ؛ إِذْ هُوَ
أَوْثُقٌ مِنْ يُلْقَى إِلَيْهِ إِفْلِيدُهَا ، وَأَكْفًا مِنْ يُجْزَى بِهِ مَوْعُودُهَا ؛ إِذْ كَانَ الْمَكِينُ ،
وَالثَّقَّةَ الْمُتَحَلَّى إِذْ كَانَ التَّحَلَّى مِمَّا يَزِينُ الْعَاطِلَ الْمَشِينُ ؛ إِنَّ ذِكْرَ الرَّأْيِ فَهُوَ الْمُتَنَصِّفُ
بَسَدِيدِهِ ، أَوِ الْعَزْمُ فَهُوَ الْمَوْسُومُ بِسَدِيدِهِ ؛ أَوِ التَّنَبُّهُ فَهُوَ مِنْ صِفَةِ شَجَاعَتِهِ ، أَوْ حُسْنُ
المُظَافَرَةِ فَهُوَ الْبَاذِلُ فِيهَا جُهْدَ اسْتِطَاعَتِهِ .

ولما كانت هذه المناقب مناقبه ، وهذه المذاهب مذاهبه ؛ رُسم بالأمر الشريف
العالى - زاده الله مضاءً ونفاذاً ، وَأَسْتِحْوَاءً وَأَسْتِحْوَاذًا - أَنْ تَفْوِضَ نِيَابَةَ السُّلْطَنَةِ
بِالْقَلْعَةِ الْفُلَانِيَّةِ وَمَا هُوَ مَنْسُوبٌ إِلَيْهَا مِنْ رُبُيْضٍ وَنَوَاحٍ ، وَقُرَى وَضَوَاحٍ ، لِلجَاسِسِ
السَّامِيِ فُلَانٍ .

فَلْيَرِقْ إِلَى رُتْبَتِهَا الْمُنِيفِ قَدْرُهَا ، الْمُهْمِّ سِرُّهَا وَجَهْرُهَا ؛ وَلْيَكُنْ مِنْ أَمْرِ مَصَالِحِهَا
عَلَى بَصِيرَةٍ ، وَمِنْ تَفَقُّدِ أَحْوَالِهَا عَلَى فِطْنَةٍ مَازَالَتْ مِنْهُ مَحْبُورَهُ ؛ وَلْيَأْخُذْ مُحَرِّزَهَا
مِنَ الْجُنْدِ وَغَيْرِهِمْ بِالْمُلَازِمَةِ لِمَا عُدِقَ بِهِ مِنَ الْوِظَائِفِ ، وَيَتَقَدَّمْ إِلَى وَالِيهَا مَعَ
طَوَافِهَا أَوَّلَ طَائِفٍ ؛ وَلْيَتَفَقَّدْ حَوَاصِلَهَا مِنَ الذَّخَائِرِ ، وَوَأَصَالَهَا مِنَ التَّبْذِيرِ بِمَنْ

يرتبه على حفظها من الأَخَارِ؛ ومهما عَرَضَ يُسْرِعُ بالمطالعة بأمره، والإعلام
بنفعه وضره .

هذه نُبذةٌ كافيةٌ للوثوق بكفايته، والعلم بسديده كفايته ؛ والله تعالى يحسن له
الإعانة، ويمزله له الصبابة ؛ والخط الشريف أعلاه ... :

الوظيفة الثانية

(شدُّ الدواوين بحلب)

وهذه نسخةٌ توقع شدُّ الدواوين بحلب :

الحمد لله الذي أرهف في خدمة دولتنا كلَّ سيفٍ يزهى النصر بتقليده ، وروى
نبأ الفتح عن تجرّيته في مصالح الإسلام وتجرّيده، وروى حدّه إذا قابله عدو الدين
من قلب قلبه وموارد وريده .

نحمده على نعمه السابقة حمد متعرّض لمزيد، ونشكره على منته السائغة شكر مستزِل
موادّ تأبيده ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مقرّ بتوحيده، مسرّ
مثل ما يظهر من الخضوع لكبرياء تقدّيسه وتمجّيده، مُصرّ على جهاد من الحدّ
في آياته بنفسه وجنوده ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله أشرف من دعّت دعوته
الأمم إلى الاعتراف بخالقها بعد جُحوده، وأنجز لأمتيه من الاستيلاء على الكُفر سابق
وَعُوده، وأمال به عمود الشرك فأهوى إلى الصّعيد بعد صُعوده ؛ صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه الذين ما منهم إلا من بدّل في طاعة الله وطاعته نهايةً مجهوده، وأطفاً نار
الكُفر بعد وقودها بإيقاد لبّ الجهاد بعد جُحوده ؛ صلاة تقترن بركوع القرض
وجُحوده، وتقام أركانها في أغوار الوجود وجُحوده ؛ وسلّم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإنَّ أولى ما أبحرنا في مصالحه النَّظر ، وأعمَلنا في آرتياد الأكَفاء له
بوادِر الفِكر ؛ وأخترنا له من الأولياء من كان معدودا من خواصنا ، محببوا بمزيد
تَقَرُّبنا ومَـيَّة آخْتِصاصنا ، أمرُ الأموال الدِّيوانِيَّة بالمملكة الحليَّة وتفويضُ شدِّ
دواوينها المعمورة إلى من تُضَاعِفُها رتبته المكيَّنة ، وزاھته المتينه ؛ ويده التي
هي بكالِّ العِفَّة مبسوطة ، وخبرته التي بمنزلها يحسُن أن تكونَ مصالحَ الدولة القاهرة
منوطة ؛ ومترئته التي تكفُّ عن الأموال الأظطاع العاديَّة ، ومهابته التي تكفي
الأولياء من ضَبط الأعمال بما يروى الآمال الصاديَّة ؛ لأنها موادُّ الثغور التي ما برحت
عن شتَب النَّصر مُقرَّة ، وأمدادُ الجيوش التي جعل الله لها أبداً على أعدائه الكره ؛
ورياضُ الجهاد التي تُجتنى منها ثمراتُ الظفر الغصه ، وكُنوزُ الملك التي يُنفق منها
في سبيل الله القناطير المُقنطرة من الذهب والفضه .

ولما كان فلانٌ هو الذي آخترناه لذلك على علم ، وربحناه لما آجتمعت فيه من
سُرعة يَقْظَةٍ وأناةِ حِلْم ؛ ونَدْبناه في مُهمَّاتنا الشريفة فكان في كلِّ موطنٍ منها سيفاً
مُرهباً ، وآخترناه فكان في كلِّ ما عدقناه به بين القويِّ والضعيفِ مُنصفاً ؛ وعلمنا
من معرفته ما يستثيرُ الأموال من مكائنها ، ومن نزاهته ما يظہرُ أشتات (؟) المصالح من
معاينها ، ومن معدنِّته ما يمتنع الرعايا بأجتناء ثمر المنى من إحسان دولتنا القاهرة
وأجتلاء محاسنها - آقتضت آراؤنا الشريفة أن نُحليَّ جيد تلك الرتبة بعُقود صفاته
الحسنه ، وأن نُنبه على حُسنِ هممه التي ما برحت تَسرى إلى مصالح الدولة القاهرة
والعيونِ وسنِّه .

فلذلك رُسم أن يُفوض إليه ذلك تفويضاً يسطُ في مصالح الأموال لِسَانَه
ويده ، ويَقْصُرُ على مضاعفة آرتفاع الأعمال يومه الحاضرِ وغده ، ويحسُن بسدِّ الخللِ

وَتَتَّبِعُ الإِهْمَالَ مُصَدَّرَهُ الْجَمِيلَ وَمَوْرِدَهُ ؛ وَيَجْعَلُ [لَهُ] فِي مَصَالِحِهَا الْعَقْدَ وَالْحَلَّ ،
وَالْتَصَرَّفَ النَّافِذَ فِي كُلِّ مَادَقٍ مِنَ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَةِ وَجَلَّ .

فَلْيَأْتِ شَرَّ ذَلِكَ بِهِمَّةٍ عَلِمْنَا فِي الْحَقِّ مَوَاقِعَ سَيِّئِهَا ، وَأَمِنَّا عَلَى الرِّعَايَا بِمَا آتَصَفَتْ بِهِ
مِنَ الْعَدْلِ وَالْمَعْرِفَةِ مِنْ مَوَاقِعَ حَتْفِهَا ، وَأَيَقُظَتِ الْعَيُونَ الطَّامِحَةَ لِسُلُوكِ مَا [لَا] يَحِبُّ بِمَا لَمْ
تَزَلْ تُتَخَيَّلُهُ مِنْ رَوَائِعِ طَيْفِهَا ؛ وَلْيُشَمَّرِ الْأَمْوَالُ بِالْجَمْعِ فِي تَحْصِيلِهَا بَيْنَ الرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ،
وَيَجْعَلْ مَا يَسْتَخْرِجُ مِنْهَا بَيْرَكَةَ الْعِفَّةِ وَالرَّفْقِ : ((كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَائِلَ فِي كُلِّ
سُنْبُلَةٍ مِائَةٌ حَبَّةً)) . وَلْيُعَفَّ أَثَرُ الْجَاهِلِيَّاتِ وَرَسْمِهَا ، وَيُزِيلَ بِالْكَلْبَةِ عَنْ تِلْكَ الْمَمَالِكِ الْحَسَنَةِ
وَسَمِّهَا الْقَبِيحِ وَأَسْمِهَا ؛ وَلْيَكُنْ مِهْمُ الثَّغُورِ هُوَ الْمُهَيْمُ الْمَقْدَمُ لَدَيْهِ ، وَالنَّظَرُ فِي كُلِّ
الْفَلَاحِ الْمَحْرُوسَةِ هُوَ الْقَرَضُ الْمَتَعَيْنُ أَدَاؤُهُ عَلَيْهِ ، فَيَحْمِلُ إِلَيْهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالغَلَالِ
مَا يَعْمُ حَوَاصِلُهَا الْمَصُونَةَ ، وَيَكْفِي رِجَالَهَا الْفِكْرَ فِي الْمَشُونَةِ ؛ وَيَضَاعِفُ ذَخَائِرَهَا
الَّتِي تُعَدُّ مِنْ أَسْبَابِ تَحْصِينِهَا ، وَيُصْبِحُ بِهِ حَمْلٌ عَامِهَا الْوَاحِدِ كِفَايَةً مَا يَسْتَقْبَلُهُ مَعَ
مَوَالَاةِ الْجُمُولِ مِنْ سِنِينِهَا ؛ وَمَاعِدَا ذَلِكَ مِنَ الْوَصَايَا فَقَدْ أَلْقَيْنَا إِلَى سَمْعِهِ مَا [عَلَيْهِ]
يَعْتَمِدُ ، وَعَرَفْنَا أَنْ تَقْوَى اللَّهُ أَوْفَى مَا بِهِ يَسْتَبْدُ وَإِلَيْهِ يَسْتَنْدُ ؛ بَعْدَ انْخِطِ الشَّرِيفِ :

الصنف الثاني

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الدينية)

وهم على طبقتين أيضا :

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء ، ويشتمل على وظائف)

منها - قضاء القضاة . وبها أربعة قضاة : من كل مذهب قاض ، كما في الديار
المصرية والشام . والشافعي منهم هو الذي يولى بالبلاد كما في مصر والشام .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية :

الحمد لله الذي رفع منار الشريعة الشريفة وأقامه ، ونور به كل ظلام وأزال به كل ظلامه ، وجعله صراطاً سويّاً للإسلام والسلامه ؛ الذي جعل القضاة أعلاماً بهم يهتدى ، ونصّبهم حكاماً ، بمرآشدهم يقنأد ويقتدى ، وأخذ بهم الحق من الباطل حتى لا يعتل في قضية ولا يعتدى ؛ والصلاة على سيدنا محمد الذي أوضع الله به الطريق ، وأبدى به بين الحلال والحرام التفريق ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تكفل لرغبات قائلها بالتحقيق .

وبعد ، فإن أحق ما وجهت إليه تصريفه وجهاً مسفراً ، وقربت إلى يد الأقتطاف من شجرته المباركة غصنا ممتراً ، وسهدت في الاختيار له والأصطفاء لحظاً ما زال للفكر في مصالح الأمة مسهراً - الشرع الشريف الذي حرس الله به حومة الدين وحمى جانبه ، وحفظ به أقوال الهدى عن المجادلة من المبتدعين وأطرافه من المجاذبه ؛ وكانت حراسته معدوقة باختيار الأئمة الأعلام ، وموقوفة على كل من يطعن البدع عند الاستفتاء برماح الخط وليست رماح الخط غير الأعلام ؛ ومصرفة إلى كل منصف في قضاياها حتى لو ترافعت إليه اللبالي لأنصفها من الأيام .

ولما كان فلاً هو مداول هذه العبارة ، ومرتمى هذه المشارة ، ومرتمق هذه الإشارة ؛ وقد حل من المسادح في محل صعب المرتقى على متوقله ، وطلع من منازل سعودها في بروج بعيدة الأوج إلا على سير بدريه وتقلبه ؛ وطالما حكم فأحكم ؛ وفصل فنصل ؛ وروجع فما رجع وعدل فعدل ؛ وشهدت مراتبه الشريفة بأنه خير من تنولها ميراثاً وأستحقاقاً ، وأجل من كادت ترهبه مطالع النجوم إشراقاً وإشراقاً ؛ وكانت حلب المحروسة مركز دائرة لأيامه ، وسلك جوهر تصريفه الذي

(١) في الأصل «وصلت» ولم تفهم له معنى يناسب .

طلما تقلدت أحسن العقود بنظامه ؛ وقد آفتخرت به أفتخار السماء بسميها ،
والرؤضة بقرسها ؛ والأفهام بإدراك حسنها ، والأيام بما عملته من خير في يومها
وأسأفته في أمسيها ؛ وقد اشتاقت إلى قربه شوق النفس إلى تردد النفس ، والليلية
إلى طلوع النجم أولا فإلى إضاءة القيس .

فلذلك نرجح الأمر الشريف بأن يُجَدَّد له هذا التوقيع بالحكم والقضاء ، بالمملكة
الحليَّة وأعمالها وبلادها ، على عادته .

فليستخِر الله تعالى وليستصحب من الأحكام ما همته مليَّة باستصحابه ،
ويستوعب من أمورها ما توضح المصالح باستيعابه ؛ ويُقيم بها منار العدل والإحسان ،
وينهض بتدبير ما أقمده منها زمانه الزمان . وعند من الوصايا المباركة ، ما يستغني به
عن المساهمة فيها والمشاركة ؛ لكن الذكرى النافعة عند مثله نأفقه ، فإن لم يكن
شعاع هلال فبارقه ؛ وليتق الله ما استطاع ، ويحسن عن أموال اليتامى الدفاع ،
ويحرس موجود من غاب غيبة يجب حفظ ماله فيها شرعا ، ويقطع سبب من رام
لأسباب الحق قطعا ، ولا يراع لحايف حرمة فإن حرمت الحائفين لا تُرعى ؛ وينظر
في الأوقاف نظرا يحرسها ويصونها ، ويبحث عنها بحثا يظهر به كميئها ؛ والله تعالى
يسدده في أحكامه بمنه وكرمه ! .

قلت : وعلى ذلك تُكتب توابع بقية القضاة بها من المذاهب الثلاثة الباقية .

ومنها - وكالة بيت المال المعمور .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، كُتبت بها لمن لقبه « كمال الدين » وهي :

الحمد لله الذي جعل كمال الدين موجودا ، في اقتران العلم بالعمل ، وصلاح بيت
المال معهودا ، في استناده إلى من ليس له غير رضا الله تعالى وبرائة الذمة أمل ،

وَأَرْتَقَاءَ رُتَبِ الْمُتَّقِينَ مَقْصُورًا عَلَى مَنْ بَارْتَقَاءِ مِثْلِهِ مِنْ أُمَّةِ الْأُمَّةِ تُرْهِىٰ مَنَاصِبُ
الدُّوَلِ، وَالْأَكْتِفَاءَ بِالْعُلَمَاءِ مَحْصُورًا فِي الْآرَاءِ الْمَعْصُومَةِ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ مِنَ الْخَلَلِ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ مِنْهُمْ مَصَالِحَ الْإِسْلَامِ، مُقَدِّمًا لَدِينِنَا، وَأَخْتِصَاصَ
الْمَرَاتِبِ الدِّيْنِيَّةِ بِالْأُمَّةِ الْأَعْلَمِ، مُحِبِّبًا لِنَبِيِّنَا، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ
لَهُ شَهَادَةٌ رَفَعَ الْجِهَادَ عَامَهَا، وَأَمْضَى الْجَهَادِ كَامَهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ
الَّذِي أَشْرَقَتْ سَمَاءُ مِلَّتِهِ، مِنْ عُلَمَاءِ أُمَّتِهِ، بِأَضْوَاءِ الْأَهْلَةِ، وَنَطَقَتْ أَحْكَامَ شَرْعِيَّتِهِ،
عَلَى السَّنَةِ حَمَلَةَ سَنَّتِهِ، بِأَوْضَاعِ الْأَدِلَّةِ، وَبَزَغَتْ شَمْسُ هِدَايَتِهِ فِي تَهَائِمِ الْوُجُودِ وَتَجُودِهِ
فَانْطَوَتْ بِهَا ظُلْمُ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ نَصَحُوا اللَّهَ
وَلرَسُولَهُ؛ وَاتَّروا رِضَاهُ عَلَى نَفْسِهِمْ فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مُرَادٌ سِوَى مُرَادِهِ وَلَا سُؤْلٌ غَيْرُ
سُؤْلِهِ؛ وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ أَوْلَىٰ مَنْ تَلَقَّاهُ كَرْمًا بَوَجْهِ إِقْبَالِهِ، وَأَخْتَارَتْ لَهُ آلَاؤُنَا مِنَ الرُّتَبِ
مَا صَدَّه الْإِنْجَمَالُ فِي الطَّلِبِ عَنْ تَعَلُّقِهِ بِبَالِهِ؛ وَرَأَىٰ إِحْسَانُنَا مَكَانَهُ مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ
فَعَدَّقَ بِهِ مِنْ مَصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ مَا لَمْ يَتْرُكْهُ أَوْلًا إِلَّا مُوَافَقَةً لَهُ لِارْتِغَابَةٍ عَنْ خِيَالِهِ،
وَرَعَىٰ رِثْنَا وَقَادَتَهُ فَاقْتَضَىٰ إِعَادَتَهُ مِنْ مَنَاصِبِهِ إِلَىٰ مَا لَمْ يَزَلْ مُشْرِقَ الْأَفُقِ بِكَمَالِ طَلْعَتِهِ
وَطَلْعَةِ كَمَالِهِ - مَنْ ظَهَرَتْ لَوَائِعُ فَوَائِدِهِ، وَبَهَّرَتْ بِدَائِعِ فَرَائِدِهِ؛ وَتَدَقَّقَتْ بِحَارِ
فَضَائِلِهِ، وَتَأَلَّقَتْ أَشْعَةَ دَلَائِلِهِ؛ وَتَتَوَعَّتْ فُنُونَهُ: فَهُوَ فِي كُلِّ عِلْمٍ أَبْنُ بِيَجْدَتِهِ، وَفَارَسُ
نَجْدَتِهِ، وَحَامِلُ رَأْيَتِهِ، وَجَوَادُ مَضَارِهِ الَّذِي تَقَفَّ جِيَادُ الْأَفْكَارِ دُونَ غَايَتِهِ .

وَمَا كَانَ فَلَانٌ هُوَ هَذَا الْبَحْرَ الَّذِي أُشِيرَ إِلَى تَدَقُّقِهِ، وَالْبَدْرَ الَّذِي أُوْحِيَ إِلَى كَمَالِ
مَا تَأَلَّقَ بِهِ مِنْ أَفْقِهِ؛ وَكَانَتْ وَكَالَتْ بَيْتِ الْمَالِ الْمَعْمُورِ بِحَلْبِ الْمَحْرُوسَةِ مِنَ الْمَنَاصِبِ
الَّتِي لَا يَتَعَيَّنُ لَهَا إِلَّا مَنْ تُعَقَّدُ الْخِنَاصِرُ عَلَيْهِ، وَيُسَارُ بِبَنَانِ الْأَخْتِصَاصِ إِلَيْهِ، وَيُقَطَّعُ

بجميل فهو فيه فيما يوضع من المصالح الإسلامية بيديه ؛ وله في مباشرتها سوابق ،
 وآثار [إن] لم تصفها ألسنة الأفلام أوحث بها تلك الأحوال الخالية وهي نوايطق -
 اقتضت آراؤنا الشريفة إنعام النظر في الإنعام عليه بمكان ألقه ، ومنصب رقع
 ما أسلفه فيه من جميل السيرة قدره عندنا وأزلقه .

فرسم بالأمر الشريف - لازل باله ثمال الآمال ، وأفق السعد الذي لو أمه البدر
 لما فارق رتب الكمال - أن يفوض إليه كذا : لما ذكر من أسباب عينته ، وقضايا
 تربت به كما زينته ؛ ووفادة تقاضت له نزل الكرامة ، واقتضت له مواد الإحسان
 وموارده في السرى والإقامة .

فليل هذه الرتبة التي على مثله من الأئمة مدار أمرها ، ويمثل قوته في مصالحها
 يتضاعف در احتلابها ويترادف احتلاب درها ؛ مراعيًا حقوق الأمة فيما جره
 الإرت الشرى إليهم ، مناقشًا عن المسلمين فيما قصره مذهبه المذهب من الحقوق
 المالية عليهم ؛ واقفًا بالحق فيما يثبت بطريقه المعتبر ، تابعًا لحكم الله فيما يختلف
 سبيله [و] فيما يحزر بالبيان أو يحقق بالخبر ؛ محافظًا على ما يشول إلى بيت المال بلطف
 تدقيقه ، وحسن تحقيقه ، وقبول الدافع بوجهه ودفعه بطريقه ؛ ولا يمنع الحق
 إذا ثبت بشروطه التي أعذر فيها ، ولا يدفع الواجب إذا تعين بأسبابه التي يتقاضاها
 الشرع الشريف ويقتضيها ؛ وهو الوكيل عن الأمة فيما لهم وعليهم ، ومتولى
 المدافعة عنهم فيما يقره الشرع في يديهم ؛ فليؤد عنهم أمانة دينه ، ويحتد لهم فيما
 وضعناه من أمر هذه الوكالة الشريفة يمينه ؛ وملاك هذا الأمر الوقوف مع الحق
 الجلى ، والتمسك بالتقوى التي تظهر بها قوة الأمين وأمانة القوى ؛ والله تعالى يوفقه
 ويسدده .

قلتُ : وفي معنى ما تقدم من قطع الورق والألقاب الحسبة ، ونظر الأوقاف
الجبار، وخطابة الجوامع الجليلة، وكبار التداريس، وما يجري مجرى ذلك : إذا
كُتِبَ به من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالبُ كتابة ذلك جميعه عن نائب
السلطنة بها .

الطبقة الثانية

(من يكتب له في قطع العادة «بالسامي» بغيرياء، أو «بمجلس القاضي»)
قال في «التثقيف»: وهم من عدا الفضاة الأربعة من [أرباب] الوظائف الدينية.
فيدخل في ذلك قضاء العسكر، وإفتاء دار العدل، وما يجري مجرى ذلك، حيث
كُتِبَ من الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

(من أرباب الوظائف بحلب - أرباب الوظائف الديوانية،
وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له في قطع الثالث بـ«السامي» بالياء . وتشتمل على وظائف)
منها - كتابة السر . ويعبر عنها في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية - بصاحب
ديوان المكاتب، ورُبَّمَا قيل : صاحب ديوان الرسائل . قال في «التثقيف» :
ورُبَّمَا كُتِبَ له في قطع النصف .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك، وهي :

الحمد لله الذي زان الدولة القاهرة، بمن تغدو أسرارها من أمانته في قراري
مكبين، وحلي أيماننا الزاهرة، بمن تبدو مراسمها من بلاغته في عقد تمين، ومجمل
الكتب السائرة، بمن إذا وشتها براعته وبراعته قيل : هذا هو السحر البياني إن لم
يكن سحر مبین .

نحمده على نعمة التي خصت الأسرار الشريفة بمن لم يرشها عن كلاله، ونصت
في ترقى مناصب التنفيذ على من يستحقها بأصالة الرأي وقدم الأصاله، ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة رقم الإخلاص طروسها، وسقى الإيمان
غروسها، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي آتاه جوامع الكلم، ولوامع الهدى
والحكم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كتب في قلوبهم الإيمان، وكتب
بهم أهل الطغيان، صلاة يشفعها التسليم، ويتبعها التعظيم، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى الرتب بارتداد من تُعقد على أولوياته الخناصر، ويعتمد على
أصانته التي ما برحت في الاتصال والاتصاف بها نابتة الأواصر، ويعتقد في أمانته
التي تأوى بها الأسرار إلى «صخرة أعيان الرجال أنصداعها» ويعتصد بفضائله التي يقل
في كثير من الأكتفاء اجتماعها، ويعول فيها على بلاغته، التي أعطت كل مقام حقه
من الإطناب والإيجاز، ويرجع فيها إلى بدية، التي جرت بها سوابق المعالي إلى غاية
الحقيقة في مضمار المجاز - رتبة هي خزانة سرنا، وكثانة نهينا وأمرنا، فلا يتعين
لبوعها إلا من ومن، ولا يعين لتلقيها وترقيها إلا أفراد قل أن يكثر مثلهم في زمن؛
ولا يحسن أن تكون إلا في بيت عريق في أنسابها، وثيق في تمكين عرا أسبابها،
علم بقواعدها التي إذا اشتبهت طرق آدابها كان أدرى بها .

ولما كان فلان هو الذي دُرِّبَتْ أسباب تَعَيُّنِهِ لهذه الرتبة وتَعَيُّنِهِ ، وَفُصِّحَتْ
 أبواب أولوياتِهِ بتَلَقِّي راية هذا المنصب بيمينِهِ ، مع أدوات كَلَّمَتْ مفاخرَهُ ، وَصِفَاتِ
 جَمَلَتْ مآثرَهُ ، وَكَلَّابَةٍ ، إِذَا جَادَتْ أَنْوَأُهَا أَرْضَ طَرَسٍ أَخَذَتْ زُخْرُفَهَا ، وَإِذَا حَادَتْ
 أَنْوَارَهَا وَجَهَ سَمَاءٍ وَدَّتِ الدَّرَارِيُّ لَوْ حَكَتْ أَحْرُفَهَا ، وَبِلَاغَةٍ ، إِنْ أَطْرَتْ بِوَصْفِ
 أَغَارَتِ الفرائدِ ، وَأَعَارَتِ دُرَّرَهَا القلائدِ ، وَأَتَتْ مِنْ رَقَّةِ المعاني بِمَا هُوَ أَحْسَنُ مِنْ
 دُمُوعِ النَّصَابِيِّ فِي خُدُودِ الخرائدِ ، وَإِنْ أَغْرَتْ بَعْدُ وَأَعَانَتْ عَلَى مَقَاتِلِهِ السُّيُوفِ ،
 وَدَلَّتْ عَلَى مَكَامِنِهِ الحُتُوفِ ، وَدِيَانَةِ ، رَفَعَتْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَنَا إِلَى الْمَكَانِ الْأَمْنِيِّ ،
 وَصِيَانَةِ ، جَمَعَتْ لَهُ مِنْ آلائِنَا وَأَعْتِنَانَا بَيْنَ الزِّيَادَةِ وَالْحُسْنِيِّ ، وَأَمَانَةِ ، أَغْتَنَّهُ بِجَوْهَرِ
 وَصْفِهَا الْأَعْلَى عَنِ التَّعَرُّضِ إِلَى العَرِضِ الْأَذْنِيِّ ، وَبِرَاعَةِ ، أَعْتَصَدَ بِهَا بِرَاعِهِ فِي بُلُوغِ
 المقاصدِ أَعْتَصَادَ الرِّقِصِ بِالْمَعْنَى .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا فليُشْرَبَتْ بِتَلَقِّي هذا الإحسان ،
 بِيَدِ الْأَسْتِحْقَاقِ ، وَبِتَلَقِّي عَقُودِ هذا الامتنان ، الذي طالما قَلَدَ نَحْرَهُ الْأَعْتِاقِ ،
 وَبِإِيَّاشِ ذَلِكَ مَبَاشَرَةً بِسُرِّ خَبْرُهَا وَيَسْرِي خَبْرُهَا ، وَيَسْنِفُ الْأَسْمَاعَ تَأْثِيرُهَا وَأَثْرُهَا ،
 وَيَسْلُكُ فِيهَا مِنَ السَّدَادِ ، مَا يُؤَكِّدُ حَمْدَهُ ، وَمِنْ حَسَنِ الْأَعْتَادِ ، مَا يُؤَيِّدُ سَعْدَهُ ،
 وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ بِهَا خَيْرٌ عَلِيمٌ ، حَازِمٌ مِنْهَا أَوْفَرَ الْأَجْزَاءِ وَأَوْفَى التَّقْسِيمِ ، وَمِلا كُهَا
 تَقْوَى اللَّهِ فليَجْعَلْهَا عُمْدَتَهُ ، وَلِيَتَّخِذْهَا فِي كُلِّ الْأُمُورِ ذَخِيرَتَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعَفُ لَهُ
 مِنْ لَدُنَّا إِحْسَانًا ، وَيَرْفَعُ لَهُ قَدْرًا وَشَانًا ، وَالْأَعْتَادِ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ
 أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ .

ومنها - نظر المملكة الحليية القائم مقام الوزير .

(١) في الاصل : وأوفى التقصير ، ولا معنى له .



وهذه نسخة توقيع من ذلك : كُتِبَ به لعلم الدين « سعيد بن ريان » بالعود إليها ، وهي :

الحمد لله رافع قدر من جعل عليه اعتمادا ، ومجدد سعد من غدا في كل ما يُعَدُّق به من قواعد النظر الحسن عمادا ، ومسنى حمد من تكفل له جميل التصرف أن لا يُبَعَدَ الأيام عليه مرادا ، ومجزل مواد النعم لمن إذا استمطر قلبه في المصالح همى فافتن أفنانا وأبغ تمييرا وأتمر سدادا ، وإذا أيقظ نظره في ملاحظة الأعمال استجلى وجوه المصالح انتقاء لما خفى منها وأبتقادا .

محمد على نعيمه التي لا تزال النعم بها مُجَدَّدة ، والقواعد موطدة ، والكرم مُعَادا ، والآية التي جعل لها الشكر أزديانا على الأبد وازديادا ، ومنينه التي لا يقوم بها ولا باداء فرضها الحمد ولو أن ما في الأرض من شجرة أفلام أو كان البحر مدادا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تألو هممنا أجهادا في إعلاء منارها وجهادا ، ولا تكبو جياد عزائمنا ، دون أن تُسَكِّنَها من الجاحدين قلوبا ومجربى بها من المنكرين السنة وتقلدها من المشركين أجيادا ، ولا تذبو صوارمنا ، حتى نُخَفِّدَ لها من ورديد كل معانيد موردا ومن قيم كل نايك أعمادا ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أسرى الله به إليه فبلغ في الارتقاء سبعا شدادا ، وأنزل عليه أشرف كتبه بيانا وأعجزها آية وأوصحها إرشادا ، وبعثه إلى الأحمر والأسود فسعد من سعيد به إيمانا وشقي من شقي به عنادا ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين لم يألُقوا في طاعة الله وطاعته مهادا ، صلاة لا تستطيع لها الدهور نقادا ، ولا تملها الأسماع تعدادا وتردادا ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من سما به منصبه الذي عُرف به قديماً، وزُهِيت به رتبته، التي لم يزل فيها لأقرباء الشكر مُستديماً؛ وتحلّت به وظيفته، التي لم يبرح يلبس بها قوب الثناء قشيباً ويحزّبها رداء السعد رقيقاً، وتفاضت له عوارفنا معارفه التي لم يزل عقدها في جيد المراتب السنية نظماً؛ وتطلّع إليه مكانه فكانه بقدم هجرته لم يبرح فيه وإن بعد عنه مقيماً - من لم يزل قائمه بصرفه في أسنى ممالكا الشريفة كاسمه سعيداً، وطرف نظره فيما يليه من المناصب السنية يُريه من المصالح ما كان غائباً ويُدني إليه من أسباب التدبير ما كان بعيداً؛ فما أعمل في مصالح الدولة القاهرة قلباً إلا وأقبلت نحوه وجوه الأموال سافرة، ولا لحظ في مهمات وظائفها أمراً إلا وعادته أسباب التسمير النافرة، ولا أعترض قائمه بنطقه وفكره إلا وهدت الثلاثة على كل ما فيه عمارة ما يفوض إليه من الأعمال متضافره؛ وذلك لما أجمع فيه من عفة نفسه وكال معرفته وطهارة يراعه، وأنصف به من حسن اضطراره وجميل اطلاعه، وجبِلت عليه طباعه من نزاهة زانت خبرته ومن ينقل مشكورا عن طباعه .

ولما كان فلان هو الذي حنت إليه رتبته وتلفت إليه منصبه ودعته وظيفته النفيسة إلى نفسها، واعتدرت بإقبالها إليه في يومها عن سُوزها عنه في أمسيها، وأشتاقت إلى التحلّ بفضائله التي لم تزل تُزهي بما ألقته منها على نظرائها من جنسها - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نُجمل لها عاداتها ونُجدد له من الإحسان بمباشرتها السعيدة إعادته، ونُعيد إليه بمباشرة نظره الجميل مسرته التي ألقها وسعادته .

فذلك رسم ... - لا زال بره لعاد الدين رافعا، وأمره بالإحسان شافعا - أن يفوض إليه نظر الملكة الحليّة على عادة من تقدمه .

فليأشِرْ هذه المملكة التي هي من أشهر ممالكنا سُمعته ، وأيمنها بُقعه ، وأحسنها
 بلادا ، وأخصبها رُبًا ووهادا ، وأكثرها حُصونا شواهيق ، وقلاعاً [سوامي] ^(١) سوامق ،
 وتُغوراً لا تَسِيمُ ما أفتَر منها البروق الخوافيق ؛ مباشرة تَزِيد مصالِحها على ما عرَفته ،
 وتُرِيها من خبْرته فوق ما ألفتَه ؛ وتدلُّ على ما فيه من كفاءة هَدْبَتها التجارب ، وهَدَّتْها
 الأنوارُ الثواقِب ، وصرَفَتْها الأفكارُ المطلِعة على الطوالع من المغارب ، وسدَّدْها
 إلى الأغراضِ الجميلةِ الخلو من الأغراض ، ووقَّعها على جواهر الصوابِ عدم
 اعتراض النَّظَر إلى الأعراض ؛ وأراها التَّوفيقُ ما تَأْتِي من وجوه التدبير وما تَدَّر ،
 وعَرَفَتْها المعرفةُ الأحرَّاس من مخالفة الصوابِ فما تَزَالُ من ذلك على حَذَر ، وفتحَتْ
 لها الدَّرَبَةُ أبوابَ التَّشْمِيرِ فما لحظت أَمْرًا من الأمور الديوانية إلا وبدت البِدَر ؛
 وتكنِ النعم المصنونة المقدم لديه ، والنظر في مصالح القِلايح المحروسة هو الغرضُ
 المنصُوص عليه ؛ فليُضاعِف ذخائرها ، ويتفقَّد مواردِ أمورِها ومصادرِها ؛ وفي معرفته
 بقواعد هذه الوظيفة ما يُغني عن الوصايا ، لكن مِلاكها تقوى الله ، فليجعلها نَجِيَّ
 نَفْسِه ، وسمير أُنْسِه ؛ واتلُحط الشريف



ومنها - نظر الجيش بها .

وهذه نسخة تَوَقِّع بنظر الجيش بالمملكة الحليَّة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل أفق السعادة بطلوع شمسه مُنيرا ، وأقر في رُتَب العلياء مَنْ
 يَغْدُو ناظرُها بحسِن نظره قَريرا ، وحلَّى مفارق المناصب السنيَّة بصَدْرٍ إذا تعالَى

(١) الزيادة مما يأتي بعد نحو عشر صفحات .

اللسان في وصفه كان بيان البيان إليه مشيراً ، وأختار لأمصاري ممالك الشريفة من
إذا فوض إليه نظرها كان بنسبته إلى الإبصار حقيقاً به وجديراً .

نحمده وهو المحمود ، ونشكره شكراً مشرق السعود ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة عذبة الورود ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضحى به
شيوخ من الإسلام منشورة البنود ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما أورد عود ،
وأولج نهار السيوف في ليل الغمود ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن الله تعالى لما خص كل مملكة من ممالك الشريفة بكثرة الجيوش
والأنصار ، وجعل جيوشنا وعساكرنا تكاثر عدد النجوم في كل مضر من الأمصار ؛
وكانت المملكة الشريفة الحلبية هي ركن من أركان الإسلام شديد ، وذخر مادعاهم
داجع إلا وبأه منهم عدد عديد - وجب أن يُختار للنظر عليها من الأكفء من سما
في الراسة أصله وزكا قرعه ، فاستحق بما فيه من المعرفة تمييز قدره ورفعته ؛ وفاق
في فضل السيادة أبناء جنسه ، وأشرفت أفلاك المعالي بطلوع شمسه ؛ وأقر [بنظره] نظر
الجيوش المنصوره ، وسارت الأمثلة بما أتفق عليه [فيه] من حسن خبرة وخيره ؛ وكان
فلان هو الذي طلع في أفق هذا الثناء شمساً منيره ، واختبر بالكفاية والدراية واختبر
لهذا المنصب على بصيره ؛ وهو الذي له من جميل المباشرة في المناصب السنية
ما هو كالشمس لا يخفى ، والذي أحسن النظر في الأوقاف المبرورة حتى تمي كل
منصب جليل أن يكون عليه وفقاً ؛ وهو الذي حوى من الفضائل ما لا يوجد له
نظير ولا شبهه ، والذي سما إلى رتبة من المعالي ربعة وكان ذا الجسد النبوي
والأب النبيه .

فلذلك رُسم ... - لا زال يُقرُّ الناظر بِجُوده ، وَيُحسِّنُ النظرَ في أمرِ جُيوشه
وَجُنوده - أن يفوض إليه كذا: علماً بأنه أحقُّ بذلك وأولى، وأن كفايته لا يُستثنى
فيها ببالاً ولا بلولاً؛ وأنَّ السدادَ مقترنٌ بحسنِ تصرُّفه، وعلمه قد أغنى عن تعليمه
بمواقع التَّسديدِ وتوقيفه .

فليباشِرْ ذلك بصدرٍ مُنشرحٍ، وأملٍ مُتفِيحٍ؛ عاملاً بالسنة من تقوى الله تعالى
والقرض، علماً بأننا عند وُصولنا إلى البلاد نأمرُ بعرضِ الجيوش : فليعمل على
ما يبيِّضُ وجهه يومَ العرض؛ وليلزم عدَّةً من المباشرين بعمل ما يلزمهم من التفريع
والتأصيل، والتجريد والتتريُّل؛ وتحريرِ الأمثلة والمقابلة عليها، وسؤالِك الطريقِ
المستقيم التي لا يتطرَّقُ الدَّمُ إليها؛ والملاحظة لأُمورِ الجيوش المنصورة في قليل
الإقطاعات وكثيرها، وجليلها وحقيقها؛ بحيث يكون علمه محيطاً بذلك إحاطة
الليل، ويشترط على من يتعين تزيُّله ما أستطاع من قُوَّة ومن رباط الخيل؛
ويقابل الأمور المضطربة بالإضراب، ويسلك أحسن المسالك في سيره وسيرته :
فإننا فوضنا إليه الجيوش المنصورة من جند المملكة الحليَّة ومن أهل المدينة ومن
حوطهم من الأعراب . والوصايا كثيرة وإن كثرت فعلمها عنده، وقد ضرب له منها
مثلٌ فليكن على سياقه فيما لم يُذكر في العده؛ وأهمُّ الأمور أن يتمسك من خشية الله
بالسبب الأقوى، ويعمل تقوى الله عماده في كلِّ الأمور : فإن خير الزاد التقوى؛
والخطُّ الشريفُ أعلاه حجةٌ فيه .

الطبقة الثانية

من يكتب له من أهل المملكة الحليَّة في قطع العادة مفتتحاً بـ«رسم» إمَّا مع
«مجلس القاضي» أو مع «القاضي الأجل» ككتاب الدرِّج ومن في رتبهم، إن كتب

لأحد منهم من الأبواب السلطانية . وإلا فالغالب استبدادُ نائب السلطنة بها بالكتابة في ذلك . فإن كُتِبَ شَيْءٌ منها من الأبواب السلطانية ، فليُعمَشَ فيه على نحو ما تقدم في الديار المصرية والمملكة الشامية التي قاعدتها دمشق .

النوع الثاني

(من أرباب الوظائف بالمملكة الحلبية - من هو خارج)

عن حاضرتها ، وهم على أصناف)

الصف الأول

(أرباب السيوف ، وهم غالبٌ من يكتب لهم عن الأبواب السلطانية)

وقد تقدم أن العادة جاريةٌ بتسمية ما يكتب لمن دون أرباب النيابات العظام : من دمشق ، وحلب ، وطرابلس ، وحمّاء ، وصفد ، وغزة ، والكرك - مراسيم . وأن التقاليد مخصصةٌ بالنواب العظام المقدم ذكرهم . ولا يخفى أن النيابات الداخلة في المملكة الحلبية : مما هو تحت أمر نائب السلطنة بحلب أكثر من كل سائر الممالك الشامية .

وبالجُملة فأمرهم لا يخرج عن ثلاثة أضرب : إما مُقدم ألف ، ككاتب البيرة ، ونائب قلعة الروم المعبر عنها في ديوان الإنشاء بقاعة المسلمين ، ونائب ملطية ، ونائب طرسوس ، ونائب البُلستين ، ونائب البهسنى ، ونائب آياس المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية . وإما طبيبخاناه ، ككاتب جعبر ، ونائب درندة ونحوهما . وإما أمير عشرة ، ككاتب عين تاب ، ونائب الراوندان ، ونائب كركر ، ونائب بغراس ، ونائب الشغرو بكاس ، ونائب الدر بساك ، ونائب سرفندكار ، ومن في معناهم .

وقد تقدم في الكلام على المكاتبات نقلاً عن "التثقيف" : أن هؤلاء التواب
تختلف أحوالهم في الارتفاع والانخفاض : فتارة تكون عادة تلك النيابة أمير طبلخاناه ،
ثم يولى فيها عشرةً وبالعكس . وقد تكون عادتها طبلخاناه فيستقر بها مقدم ألف
وبالعكس . والضابط في ذلك أن من يكتب له المرسوم : إن كان مقدم ألف ،
كتب مرسومه في قطع النصف بـ «المجلس العالى» . وإن كان طبلخاناه ، كتب له
مرسومه في قطع النصف أيضا بـ «السامى» بالياء . وإن كان أمير عشرة كتب
مرسومه في قطع الثلث . فإما ما يكتب في قطع النصف ، فإنه يفتح بـ «الحمد لله»
سواء كان صاحبه مقدم ألف أو أمير طبلخاناه .



وهذه نسخة مرسوم شريف بنياية آياس ، وهي المعبر عنها بالفتوحات الجاهانية ،
يستضاء بها في ذلك ، وهي :

الحمد لله الذى جعل من أولياء دولتنا الشريفة كل سيف لا تنبو مضاربه ،
وأصطفى لبوادر الفتوحات من أنصارنا من محمد آراؤه وتجاربه ، وأهمننا حسن
الاختيار لمن تؤمن في المحافظة مآربه ، وتعدب في المخالطة مشاربه ، وحقق آمالنا
في مضاعفة الفتح التى أغنى الرغب فيها عما تدافعه سيوف الإسلام وتجاربه .

نحمده حمداً يضاعف لنا فى التأيد تمكيننا ، ونشكره شكراً يستدعى أن يزيدنا من
فضله نصرًا عزيزًا وفتحًا ميبنا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
تخلص فيها يقيننا من المخاوف يقيننا ، وترد من نهلها معيننا ، ونشهد أن محمداً عبده
ورسوله الذى أيدته الله بالملائكة والروح ، وزوى له الأرض فرأى مشارقها ومغاربها
وترجو أن يكون ما زواه له مدنراً لنا من الفتوح ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه

الذين هم خَيْرُ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلإِسْلَامِ ، والذين ما زال الإيْمَانُ بهم مرفوعَ الأثْوِيَةِ والأعلامِ ، والذين لم يبرح دَائِمِي الضَّلَالَةِ تَحْتَ قَهْرِ سَيُوفِهِمْ : فإذا أَعْنَى «جَرَّتْ عَلَيْهِ سَيُوفُهَا الأَحْلَامِ» ؛ صَلَاةً يَطِيبُ اللِّسَانَ مِنْهَا فَيُطْرِبُ ، وَيُعْرِبُ عَنْ صِدْقِ الإِخْلَاصِ فِي تَكَرُّرِهَا فَيُعْرِبُ ؛ وَسَلَّمٌ تَسْلِيًّا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ تَسْتَنِدُ أُمُورَ المَمَالِكِ لِعَزْمَتِهِ ، وَيُلْقِي أَمْرَ بَوَادِرِ الفَتْوحَاتِ السَّعِيدَةِ لِهَيْمَتِهِ ، وَيُعْتَمِدُ فِي تَدْيِيرِ أَحْوَالِ البِلَادِ وَالْعِبَادِ عَلَى يَمِينِ تَصَرُّفِهِ وَمُتَمَتِّدِ نَهْضَتِهِ - مَنْ لَمْ يَزَلْ مَعْرُوفًا سَدَادُ رَأْيِهِ ، مَشْكُورًا فِي الخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ حُسْنُ سَمْعِهِ ؛ مَوْبِدًّا [فِي] عَزْمِهِ ، مَظْفَرًا فِي حَزْمِهِ ؛ مَأْمُونًا التَّأْمِيرِ ، مَيْمُونًا التَّسْدِيرِ ، كَافِيًّا فِي المِهْمَاتِ ، كَافِلًا بَعْلُو المِهْمَاتِ ، إِذَا هَمَّ أَلْقَى بَيْنَ عَيْنَيْهِ [صَادِقٌ] عَزْمَهُ ، وَإِذَا أَعْتَمَدَ عَلَيْهِ فِي مُهِمَّةٍ تَقَاءَ هَيْمَتَهُ وَحَزْمَهُ ؛ وَإِذَا جُرِّدَ كَانَ هُوَ السَّيْفَ آتَمًّا وَفِعْلًا ، وَإِذَا دَارَتْ رَحَى الحَرْبِ الزُّبُونُ فَهُوَ الشَّمَمُ الَّذِي لَا يَخَافُ سَهْمًا وَلَا يَرْهَبُ نَصْلًا .

ولما كان ^(١) هو بَدْرَ هذا الأفقِ ، ومُقَلَّدَ هذا العِقدِ ولا يَصْلُحُ هذا الطُّوقِ إلا لهذا العُنُقِ ؛ وهو الذي فاق الأولياءَ أهتمامًا ، وراقَ العيونَ تَقَدُّمًا وإفدَامًا ؛ وَأَرْضَى القُلُوبَ نُصْحًا وَوَفَاءً ، وَأَنْضَى الهِمَمَ أَحْتِفَالًا لِلصَّالِحِ وَأَحْتِفَاءً ؛ طَالَمَا جُرِبَ حُجْمِدُ عِنْدَ التَّجَارِبِ ، وَجُرِّدَ فَأَعْنَى عَنِ القَوَاضِي ؛ وَأَخْتَبِرَ فَاخْتَبِرَ ، وَنُظِرَ فِي خَصَائِصِهِ فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ نَظِيرٌ - أَقْتَضَى حُسْنَ الرِّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ نَقَلَدَهُ فَتَوَحَّاتِ أَنْقَسَدَهَا اللهُ تَعَالَى مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ ، وَأَخْرِجَهَا إِلَى النُّورِ بَعْدَ ظِلَامِ الإِفْكَ ؛ وَبَشَّرَهَا أَنَّ هَذِهِ سَحَابَةٌ نَصِيرٌ يَأْتِي وَابِلُهُ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى بَعْدَ رَدَّاذِهِ ، وَأَنَّهَا مُقَدِّمَةٌ سَعِيدَةٌ تَتَلَوُ قَوْلَهُ تَعَالَى : ﴿ وَعَدَّكُمْ اللهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ ﴾ .

(١) بياض بالأصل والمراد المولى باسمه ولقبه .

فلذلك رُسم ... - لا زال الفتح في دولته يزهُو بانتظام سلكه، وأيامه الشريفة تسترد معتصب البلاد من يد الكفر إلى بسطة ملكه وقبضة ملكه، وإحسانه ينجي الحصون بسيف يروع العدا بآسسه وقتكه - أن يفوض ... آعتاداً على مضائه الذي لا ينكر مثله للسيف، ورُكونا إلى هيته التي تسرى برعها إلى قلوب الأعداء سرى الطيف .

فليباشر النيابة المذكورة : مُعملاً رأيه في تمهيد أحوالها، وتقرير أمورها التي راق الأولياء وراع الأعداء ما كان من مالها ؛ مجتهداً في حفظ ما بها من الفلاح والحصون، مُبادراً [إلى] كل ما ينجي حماها ويصون قائماً حق القيام في مصالح تقريرها، وأحوال تحريرها، وأمور تمهدها، ومنافع تُسبدها ؛ وحواصل تكفيها، وأسباب مصلحة توافيها بمزيد الأهتمام وتوقفها ؛ وليكن بأحكام الشرع الشريف مقتدياً، وبنور العدل والإحسان مهتدياً ؛ وبتقوى الله عز وجل متمسكاً، وبخشية الله متنسكاً؛ وهو يعلم أن هذه الفتوحات [قدى] في حدقة العدو المخذول وتنجبا في حُلوقهم، وعلّة في صدورهم وحسرة في قلوبهم .

فليكن دأبه الاجتهاد الذي ليس معه قرار، والتحرز الذي يحلها أو ينجيها فيكون عليها بمنزلة سور أو سوار؛ ويصفحها من عزمه بالصفاح، ويعمل عليها من شرفات حزمه ما يكون أحد من أسنة الرماح؛ ثم لا يزال احتياطه محيطاً بها من كل جانب، وتيقظه لأحوالها بمنزلة عين مراقب، واحتفاله الاحتفال الذي بمثله يصبان رداؤها من كل جاذب؛ ثم لا تزال قصاده وكشافه وطلائمه لا يقرّبهم السرى، ولا يعرفون طعم الكرى؛ يطلعون من أخبار العدا على حقائقها، وتحويل كل فرقة منهم على معرفة الأحوال بينهم بمكر من تعدد طرقها واتساع طرائقها، لتكون المتجددات عنده بمنزلة ما يراه

في مرآة نظره، وسر أمور العدا لديه قبل أن يشيع بينهم ذكر خبره، والوصايا كثيرة وهو بحمد الله لا يحتاج مع معرفته إلى تبصره، ولا يفتقر مع حسن بصيرته إلى تذكرة؛ والله تعالى يتولاه، ويعينه على ما ولّاه؛ بعد الخط الشريف أعلاه .

وأما من يكتب له في قطع الثلث بـ «مجلس الأمير» وهم العشرات [فقد ذكر في «التعريف»: أنه يكتب لهم من الأبواب السلطانية على ذلك .

قلت : وقد تقدم في الطبقة السابعة أن الكخنا، وكركر، والدربساك، قد تكون عشرة أيضا . وفي معنى ذلك نيابة عين تاب، والراوندان، والقصير، والشغروبكاس، إذا كانت عشرة . ونيابة دبركي إذا كانت عشرة^(١) فيفتح فيها «أما بعد حمد الله» على عادة ما يكتب للعشرات .



وهذه نسخة مرسوم شريف من هذه الرتبة، كتب به لنائب حجر شغلان من معاملة حلب، وهي :

أما بعد حمد الله الذي شيد المعقل الإسلامية بأكفائها، وصان الحصون المحروسة بمن شكرت همته في إعادتها وإبدائها، وحمى سرحتها بمن أيقظ [في] الخدمة الشريفة عيون عزمه فما ألت بعد إيقاظه بإغفائها، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي أنتضى سيف التأييد فأعزرت الهدى وأذلت العدا حين أنتضائها، وعلى آله وصحبه ما بدت النجوم في ظلمائها، وسرت الغيوم في قضائها - فإن من شكرت هممه، وثبتت في الطاعة الشريفة قدمه؛ وأشبه عزمه في مضائه صارمه، وأصحت

(١) ما بين القوسين المربعين [وجد ملحقا بهامش نسخة ومؤشرا عليها بالتصحيح فأثبتناه في الصلب عملا بتلك الإشارة .

تُغور تَقْدِيمَهُ بِاسْمِهِ ؛ أَوْلَىٰ بِأَنْ تَرْفَعَ هَذِهِ الدَّوْلَةُ الشَّرِيفَةُ مِنْ مَحَلِّهِ ، وَتَنْشُرَ عَلَيْهِ [مِنْ] تَكْرِيمِهَا وَإِرْفَاطِ ظِلِّهِ ؛ وَتَرْضِيَهُ لِقَلَاعِ الْإِسْلَامِ وَتَسَيِّدِهَا ، وَتَجْتَبِيَهُ لَصَوْنِهَا وَتَأْيِيدِهَا ، وَتَجْمَعُ لَهُ قُوَّةَ عَيْنِهَا وَحِلْيَةَ جِيدِهَا ؛ وَتُمَضِّيَ كَلِمَتَهُ فِي مَصَالِحِهَا ، وَتُعَدِّقَ بِهِ أَسْبَابَ مَنَاجِحِهَا ؛ فَيُصْبِحُ وَقَدْرُهُ مَنَّا إِعْلَاءً وَإِعْلَانًا ، وَيُمَسِّيَ وَلَهُ شُغْلٌ بِطَاعَتِنَا الْعَالِيَةِ الشَّانِ ؛ وَشُغْلٌ بِالْمَعْقِلِ الَّذِي يُحَرِّزُ بَعْزِمَهُ وَيُصَانُ ، فَلَأَجْلِ ذَلِكَ غَدَا وَلَهُ مِنْ هَذِهِ النِّيَابَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ شُغْلَانٌ .

وَكَانَ [فُلَانٌ] هُوَ الَّذِي جَادَتْ عَلَيْهِ دَوْلَتُنَا الزَّاهِرَةُ بِسَحَائِبِهَا ، وَأَشْرَقَتْ عَلَى حِظْوَتِهِ سُعُودُ كَوَاكِبِهَا ؛ وَأَسْمَتْ لَهُ قَدْرًا ، وَجَعَلَتْ لَهُ أَمْرًا وَأَمْرًا ؛ وَصَرَفَتْهُ إِلَى نِيَابَةِ مَعْقِلِ مَعْدُودٍ مِنْ قَلَاعِ الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَحُصُونِهَا ، وَمَعَاقِلِهَا الَّتِي عَلَتْ مَحَلًّا فَالْجِبَالُ الشُّمُّ مِنْ دُونِهَا ؛ قَدْ أَصْبَحَ شَاهِقًا فِي مَبْنَاهُ ، مَمْنَعًا فِي مَغْنَاهُ ؛ مُحْصَنًا بِرِجَالِهِ ، مَصُونًا مِنْ مَاضِيَيْنِ : السَّيْفِ فِي مَضَائِهِ وَالْعَزْمِ فِي آخِرَاتِهِ - أَقْنَضِي حُسْنَ الرَّأْيِ الشَّرِيفِ أَنْ تُوقَلَهُ رَتَبَةُ هَذِهِ النِّيَابَةِ ، وَنَنْشُرَ عَلَيْهِ مِنْ إِحْسَانِنَا سَحَابَهُ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ أَنْ يَسْتَقَرَّ

فَلِيَحُلَّ هَذِهِ النِّيَابَةَ الْمُبَارَكَةَ مُظْهِرًا مِنْ عَزْمِهِ مَا تُحْمَدُ عَوَاقِبُهُ ، وَتَعْلُو مَرَاقِبُهُ ؛ وَتَسْمُو مَرَاتِبُهُ ، وَتَتَوَسَّعُ سُبُلُهُ وَمَذَاهِبُهُ ؛ مُحْصَنًا لَسَرْحِهِ ، مَعَزَّزًا مَوَادِّ نَجْوِهِ ؛ مُرَاعِيًا أَحْوَالَ رِجَالِهِ ، الْمُعَدِّينَ مِنْ حُمَاتِهِ وَأَبْطَالِهِ ؛ حَتَّى يَفْعُدُوا يَقْظِينَ فِيمَا يَنْدُبُهُمْ إِلَيْهِ وَيَسْتَنْهَضُهُمْ فِيهِ ، مَبَادِرِينَ إِلَى كُلِّ مَا يَحْفَظُ هَذَا الْحِصْنَ وَيَجْمَعُهُ ؛ وَمَنْ يَهَذَا الْمَعْقِلِ مِنَ الرَّعِيَةِ فَلْيَرْتُقْ بَضْعَفَائِهِمْ ، وَلْيُعَامِلْهُمْ بِمَا يَسْتَجِيبُ لَنَا بِهِ صَالِحَ دُعَائِهِمْ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمِلَاكُهَا التَّقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا فِي السَّرِّ وَالنَّجْوَى ؛ وَلْيَغْرِسْهَا فِي كُلِّ

قول يُبْدِيهِ ، وفعل يَرْتَضِيهِ ، فَإِنَّ غُرُوسَهَا لَا تَذْوَى . واللهُ يُوَفِّقُهُ لِصَالِحِ الْقَوْلِ
وَالْعَمَلِ ، وَيُصَوِّنُهُ مِنَ الْخَطَا وَالْخَطَلِ ؛ وَالْخَطُّ الشَّرِيفُ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ؛
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَحْدَهُ .

قلتُ : وقد تقدّم أنه لا يكتب عن السلطان مرسومٌ بنبابة في قطع العادة ،
لأنّ ذلك لا يكون إلا بلُحْدِيٍّ وهو دون ، ومثل ذلك إنما يكتب عن نواب
الممالك .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الدينية بمعاملتها :

من الفلاح وغيرها)

وهي في الغالب إنما تصدر الكُتَابَةُ فيها عن نائب حلب أيضا أو قاضيا ، إن كان
مرجعُ ذلك إليه . فإن صدر شيءٌ منها عن الأبواب السلطانية ، كان في قطع العادة
مفتتحاً بـ «رُسِمَ» .

وهذه نسخةٌ تُوَقِّعُ من هذا النمط يُنْسَجُ على منواله ، كُتِبَ به لقاضي قلعة
المسامين ، وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ عَدْلُهُ مُؤَيَّدًا لِلْحُكْمِ ، وَرَأْيُهُ مُسَدَّدًا فِي النَّقْضِ
وَالْإِبْرَامِ ، وَسُلْطَانُهُ يَخْتَارُ لِلنَّاصِبِ الدِّينِيَّةِ مَنْ نَطَقَتْ بِشُكْرِهِ أَلْسِنَةُ الْأَنَامِ - أَنْ
يَسْتَقَرَّ فِي كَذَا : لَمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ مِنْ عِلْمٍ وَبِنِ ، وَظَهَرَ مِنْ حُسْنِ سِيرَةٍ أَقْتَضَتْ
لَهُ التَّعْيِينَ .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة بالحق حاكما ، وللرفق مُلازما ، وللتقوى مداوما ؛
وهو غنى عن الإسهاب في الوصايا ، ملىُّ بسُلوك تقوى الله في القضايا ؛ والله تعالى
يزيده تأييدا ، ويضاعف له بمواد السعادة تجديدًا ؛ والعلامة الشريفة أعلاه ،
حجة بمقتضاه .

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة حلب - الوظائف الديوانية)

وهي إما تصدر في الغالب أيضا عن نائب حلب . فإن كُتِب شيء منها عن
الأبواب السلطانية ، كان في قطع العادة مفتوحا بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، يستضاء به فيما يُكْتَب من هذا النوع ، كُتِب بها
بنظر جعبر ، من معاملة حلب ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال مُنهل الندى ، مُستهلّ الجدى ، مُعيدا للإحسان
كما بدا - أن يُعاد فلان إلى وظيفته : لما ألفت من سيرة له لم تزل تُحمد ، وسبيا
خير منه على مثل الشمس تشهد ؛ وإلاماته التي لم تزل تفتربها الثغور ، وتخصرُها
المعاهد : تارة في طوق النحر وتارة في نحور البحور ؛ وأصالة امتد ظلها الظليل ،
وعُرف منها في العصر حسن الأصيل ، وأينعت أكرم فرج زكا منيته في الأرض
المقدسة وجوار الخليل ؛ ولما أسلف في هذه المباشرة من عمل صالح ، وسداد
اعتماد لم يخرج عن تحرير تقرير وتقرير مصالح ؛ وكتابة رآها الرائي ونقلها الناقل ،
وكفاية حفت عليه مثل العروس المجلوة من عقائل المعامل .

(١) في الأصل « مبتها » بالتأنيث .

فليأشُرْ هذه العُرُوسَ فقد أنقدها سالف الخدم وأمهرها ، وليثأرِ سقياً العُرُوسِ
التي أنشأها في هذه الجهة وتمرها ، وليسلك مسلكه الذي لم يزل محيياً على رؤوس
القنن ، ومهوماً به طرف الأمن لليقظة الذي لا يُلمُّ به الوسن ؛ محولاً في وظيفته
المبرآت ، مستقبلاً للسرآت ، مفتخرًا بمباشراته التي تجرى مجارى البحار : تارة الملح
الأجاج وتارة العذب القرات ؛ وهو أعراف بما يقدمه من أمانة بها يتقدم ، وديانة
يرجى بها استكفاؤه ويحكم ؛ وتقوى الله جماعها فليكن بها متمسكا ، وبمشاغلها
متنسكا ؛ والله تعالى يجعل عطاءه موفرا ، وعمله متدفقا ليرد جعبرا جعفرا .

النيابة الثالثة

(نيابة طرابلس ، ووظائفها التي جرت العادة بالكتابة فيها)

من الأبواب السلطانية على نوعين)

النوع الأول

(ما هو بحاضرة طرابلس ، وهو على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وهم على طبقتين)

الطبقة الأولى

(من يكتب له تقليد)

وهو نائب السلطنة بها . ومرسومه في قطع الثلثين ، ولقبه « الجناب العالى »
مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

(١) الذى ورد فى القاموس وغيره أن القند بمعنى الاعطاء من باب الثلاثى قلل المنز من زيادة
الناح فنبه .

وهذه نسخة تقليد شريف بنياتها :

الحمد لله الذي جعل لنا التأييد مددا ، والنصر عتادا لا نفقد مع وجوده من الأولياء أحدا ، والعز وزرا تصم شبيهه مسماع العدا : (فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شَهَابًا رَصَدًا) . والفتح ذنرا حيث ما نشاء مددنا إليه بقوة الله يدا ، وشددنا عليه بمعونته عضدا .

نحمده على نعيمه التي جعلت مراتب دولتنا فلكا تُشْرِقُ فِيهِ رَبُّ الْأَوْلِيَاءِ إِشْرَاقَ الْبُدُورِ ، وتُغُورُ مِمَّا لَكَ أَفْقًا حَيْثَا شَامَتَهُ الْعِدَا ضَرْبَ بَيْنِهِمْ وَبَيْنَهُ مِنْ سَيْفِ مَهَابَتِنَا بُسُورِ ، وفواجح الفئوج النائية دانية من همم أصفياتنا فإذا يمموا غرضا طارت إليه سهامهم بأجنحة النُورِ ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يرفع الجهاد علمها ، وينصر الإيمان كلمها ، ويرزق الإيقان إلى رياض التأييد ديمها ، ويستنطق التوحيد بإعلانها وإعلانها سيف أيماننا الزاهرة وقلمها ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، ونبيه المخصوص بالآيات والذكر الحكيم ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصرنا الله فنصرهم ، وأظهروا دينه فأعزهم وأظهرهم ، ويسروا لأمتهم سبل الهدى فهداهم وللسبيل يسرهم ، صلاة لا يزال اليقين يقيم دعوتها ، والتوحيد يعصم من الانقسام عروتها ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى من تفتت الثغور بإيائته ، عن شذب النصر ، وترمى الحصون بكفالاته ، من شام من العدا برقها بشرير كالفصر ، وتقسم السواحل بمهابته ، من جاور من أهل الكفر بحرهما بين الحصد والحصر ، وتمنع عزمانه شواني العدا أن تدب عقاربا ، أو ترتكب البجح بغير أيامه ^(١) مراكبها ، أو يتنقل عن ظهر البحر إلى غير

(١) لعله « بغير أمانه » تأمل .

سيوفه أو قيوده مُحارِبها - من لم يزل في نُصرةِ الدِّينِ لَمِعًا كالبرقِ شهابه ، زاحراً
كالبحرِ عبابه ، وأصبأ على الشركِ عذابه ، ظامياً إلى موارِدِ الوَرِيدِ سَيْفُه ، سارياً
إلى قلوبِ أهلِ الكُفْرِ قبلِ جُفونهم طَيْفُه ، قائمٌ مقامِ شُرفِ الحُصونِ أسنَّةُ رِماحه ،
غنيَّةُ بروجِ الثُّغورِ عن تَصْفِيحِها بِالْحَلَمِدِ بَصفاً صَفاحه ، معِ خِبرةٍ بِتَقْدِمةِ الجيوشِ
تُضاعِفُ إقدامَها ، وتُثبِتُ في مَواطِنِ اللِّقاءِ أَقدامَها ، وتُسدِّدُ إلى مَقاتِلِ أهلِ الكُفْرِ
سَهامَها ، وتُقَرِّبُ عليها في البَرِّ واليَجرِ مَنالَها وتُبعِدُ مَرامِياها على مَن رَامَها ، ومَعَدِلَةٌ
لِلرِّعايا السُّكُونُ في مهادِ أَمِنِها ، والرُّكُونُ إلى رَبِّها إِقبالُها وِهادِ يَمَنِها ، فِسرْبُ الرِّعايا
مُصُونٌ بَعَدِلُه ، والعدْلُ مَكُونٌ بينَ قَوْلِه وفِعلِه .

ولما كان فلانٌ هو اللَّيْثُ الَّذِي يُعْجَى بِهِ غابُه ، والنَّيِّرُ الَّذِي يُزْهِى أَفْقُهُ تَأَلَّقَ فِيهِ
شهابُه ، والهَامُ الَّذِي تُعْدِي هِمَمُه فُرْسانَ الوَغَى فَعُدَّ أَحادُها بِاللُّؤُوفِ ، والشُّجَاعُ
الَّذِي إِذا اسْتَعانَتْ سَواعدُ الشُّجَعانِ بِسُيوفِها اسْتَعانَتْ بِقُوَّةِ سَواعدِ السُّيوفِ -
أَقْتَضَتْ آراؤُنا الشَّرِيفَةَ أَن تُحَلِّيَ بِهِ جِيدَ مَمْلَكَةِ ائْتَنظَمْتُ على وِشامِ البَحْرِ ، وأحاطتْ
بِما في ضَميرِه من بلادِ العِدا إِحاطَةَ القلائدِ بِالْبَحْرِ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن يفوض إليه كَيْتٌ وكَيْتٌ : لِمَا أُشيرُ
إليه من أسبابِ تَعينِه لِهذِهِ الرِّتبةِ المَكِينَةِ ، وتَحليلِه بِما وُصِفَ مِنَ المَحاسِنِ الَّتِي تُزْهِى
بِها عِقالُ الحُصونِ المِصُونَةِ .

فليل هذه النيايةِ الجَليلةِ بِعِزَّةِ مُجَلِّ مَواكِبِها ، وَهَمَّةِ تُكَلِّ مَرايِبِها ، وَمَهابةِ تَحُوطِ
مَمالِكِها ، وَصِرامَةِ تَوَمَّنِ مَسالِكِها ، وَمَعَدِلَةِ تُعَمَّرُ بِوَعِها وَرِباَعِها ، وَبِقِظَةِ تَصُونِ
حُصونِها وَقِلاعِها ، وَشِجَاعَةِ تَسيرِها إلى ائِدا سَرايا رُعيِها ، وَسَطوَةِ تُعْدِي السُّيوفِ
فَلا تَسْتَطِيعُ الكُفَّاءُ الدُّنُوَّ من قُرْبِها ، وَسَمْعَةُ تُرهبُ بِجَوارِيهِ حَتى يُنْخِئِلَ البَحْرُ [أَنه] من
أَعوانِه على حَرِبِها .

وليؤت تقدمه الحيوش الإسلامية حقها من تدير يجمع على الطاعة أمرها
وأمرأها، ويرفع في مراتب الخدمة الشريفة على ما يجب أعيانها وكبراءها، ويرهب
بإدامة الاستعداد قلوب أعدائها، ويربط بإزايكها شوائب البحر حتى تعتد الرباط
في ذلك من الفروض التي يتعبد بأدائها، فلا يلوح قلع في البحر للعدا إلا وهو يرهب
الوقوع في جبالها، ولا تلاحظ عين عدو سنا البر إلا وهي تتوقع أن تكمل بنصائها،
وليقيم منار العدل بنشر لوائه، ويعضد حكم الشريع الشريف برجوعه إلى أوامره
وآتمائه، وليكف يد الظلم [عنها] فلا تمتد إليها بنان، وليشفع العدل بالإحسان إلى
الرعية فإن الله يأمر بالعدل والإحسان، وفي سيرته التي جعلته صفة الاختيار، ونجبة
ما أوصحته الحقيقة من الاختبار، ما يغني عن الوصية إلا على سبيل الذكرى التي
تنفع المؤمنين، وترفع قدر الموقنين، وملاكها تقوى الله تعالى: فليجعلها أمام
أعماده، وإمام إصداره وإيراده، والله تعالى يديم مواد تأييده وإسعاده، إن شاء
الله تعالى.

الطبقة الثانية

(من يكتب له مرسوم شريف في قطع الثلث بـ «المجلس

السامى» بغير ياء، وتشتمل على وظائف)

منها — شدّ الدواوين بطرابلس.

وهذه نسخة توقيع بها:

الحمد لله مجدد الرتب لمن نهض فيها إخلاصه بما يجب، ومولى المنين لمن إذا
اعتمد عليه من مهمات الدولة القاهرة في أمر عرف ما يأتي فيه وما يحتبب،

وَمَوْكِدِ النَّعَمِ لَمَنْ إِذَا آرَيْتَ الْأَكْفَاءُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ كَانَ خَيْرًا مَن يُخْتَارَ وَتُحِبُّهُ
مَنْ يُنْتَخَبُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي سَرَتْ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ عَوَارِفُهَا ، وَأَشْتَمَلُ عَلَى الْأَصْفِيَاءِ وَإِفْرُ
ظِلَالِهَا وَوَارِفُهَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلَّفُ لَدَيْهِ ،
وَتَكُونُ لِقَائِهَا ذَخِيرَةً يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ
مَبْعُوثٍ إِلَى الْأُمَّمِ ، وَأَكْرَمُ مَنْعُوتٍ بِالْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ وُلُّوا أَمْرَ الْأُمَّةِ فَعَدَلُوا ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ سُنَّتِهِ فَمَا مَالُوا عَنْهَا وَلَا عَدَلُوا ، وَسَلَّمْ
تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اخْتِيرَ لَهُ مِنَ الْأَوْلِيَاءِ كُلِّ ذِي هِمَّةٍ عَلَيْهِ ، وَعَزْمَةٍ بِمَصَالِحِ
مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ مُهِمَّاتِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ مَلِيَّةٍ ، وَخَبْرَةٍ بِكُلِّ مَا يَرَادُ مِنْهَا وَفِيهِ ، وَبِقِطْعَةٍ
تَلْحَظُ فِي كُلِّ مَا قَرِبَ وَنَأَى مِنَ الْمَصَالِحِ الْأُمُورِ الْبَاطِنَةِ وَالْأَحْوَالِ الْخَفِيَّةِ ، وَصِرَامَةٍ
تُؤَيِّسُ مِنْ أَسْتِلَانَةِ جَانِبِهِ ، وَتَزَاهَةِ تُوْمُنٍ مِنْ إِمَالَةِ رَأْيِهِ فِي كُلِّ أَمْرٍ عَنْ سُلُوكِ
وَاجِبِهِ ، وَمَعْرِفَةٍ مُطَّلِعَةٍ ، وَنَهْضَةٍ بِكُلِّ مَا إِنْ حُمِّلَهُ مِنْ أَعْيَابِ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ
مَضْطَلِعَةٍ - أَمْرُ الْأَمْوَالِ الدِّيَوَانِيَّةِ : فَإِنَّهَا مَعَادِنُ الْأَرْزَاقِ ، وَمَوَادُّ مَصَالِحِ الْإِسْلَامِ
عَلَى الْإِطْلَاقِ ، وَخَزَائِنُ الدَّوْلَةِ الَّتِي لَوْ مَلَكَتْهَا الْغَائِمُ لَأَمْسَكَتْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ ،
وَذَخَائِرُ الثُّغُورِ الَّتِي مَوَاقِعُهَا مِنْ أَعْدَاءِ الدِّينِ مَوَاقِعُ الشَّجَا فِي الْقُلُوبِ وَالْقَدَى
فِي الْأَحْدَاقِ .

وَلَمَّا كَانَ الْمَجْلِسُ السَّامِي هُوَ الَّذِي سَمَّيْتُ بِهِ هِمْمَتُهُ ، وَرَسَخْتُ فِي خِدْمَةِ الدَّوْلَةِ
الْقَاهِرَةِ قَدَمُهُ ، وَتَبَارَى فِي مَصَالِحِ مَا يُعَدُّقُ بِهِ مِنْ الْمُهَمَّاتِ الشَّرِيفَةِ سَيْفُهُ وَقَلَمُهُ ،
وَكَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الطَّرَابُلُوسِيَّةَ مِنْ أَشْهَرِ مَمَالِكِ السُّمُعِيَّةِ ، وَأَيْمَنِيهَا بُقْعَةٌ ، وَأَعْمَرُهَا بِلَادًا ،

وأخصبها ربياً وهداداً، وأكثرها حصوناً شواهيق، وقلاعاً سوامي سواميق، ونغورا لا تسيم ما أقر من نغورها البروق الخوافيق، ولها الخواص الكثيره، والجهات الغزيره، والأموال الوافره، والغلات المتكافئه المتكاثره - أقتضت آراؤنا الشريفه أن تراد لها من يسد خلل عطلها، ويشد عضد ميدها وميلها، وينهض من مصالحها بما يراد من مثله، ويعيد لها بحسن المباشرة بهجة من فقدته من الأكفاء من قبله .

فلذلك رسم أن يفوض إليه شد الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية والحصون المحروسة، على عادة من تقدمه في ذلك .

فليباشر ذلك بمعرفة تستخرج الأموال من معادنها، وتستثير كوامن المصالح من مكائنها، وتتمر أموال كل معاملة بحسن الاطلاع عليها، وصرف وجه الاعتناء إليها، وتفقد أحوال مبشيرها، ومباشرة ما يتجدد من وجوه الأموال فيها، وضبط ارتفاعها بعمل تقديره، وحفظ متحصل ضياعها من ضياعه وصون بذارها عن تبذيره، وليجتهد في عمارة البلاد بالرفق الذي ما كان في شيء إلا زانه، والعذل الذي ما أتصف به ملك إلا صانه، والعفة التي ما كانت في امرئ إلا وفقه الله تعالى في مقاصده وأعانه، وليقدم تقوى الله بين يديه، ويعتمد على توفيقه فيما اعتمد فيه عليه، إن شاء الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك يكتب شد مراكر البريد ونحوها .

الصنف الثاني

(من الوظائف بطراً بلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -

الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(من يكتب له في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ، وتشتمل على وظائف)

منها - القضاء . وبها أربعة قضاة من المذاهب الأربعة : من كل مذهب قاض .

وهذه نسخة توقيع بقضاء قضاة الشافعية بها ، يُسج على منواله ، وهي :

الحمد لله الذي أعز الدين بعلمائه ، وعضد الحكم بالمتقين من أوليائه ؛ وأوضح
الرشد للفتدين بمن جعلهم في الهداية كنجوم سمائه ، وجعل لكل من الأئمة من
مطالع الظهور أفقا يهتدى فيه بأنواره ويُقتدى بأنوائه .

نحمده على أن جعل سبهم آجتهدانا في الارتداد للأحكام مُصيبا ، وقسم لكل من
أفقى ممالكا من بركة علماء قسيمه الآخر نصيبا ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تعصم من الهوى في الحكم لعباده ، وتفصم العرا من جاهر فيها
بعناده ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أضاءت أنوار ملته ، فاستشفت العلماء
لوامعها ، ووضعت آذار سنته ، فأحرز أئمة الأمة جوامعها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين دُعوا إلى الله فأجابوا ، ودعوا إلى الحكم بسنته فأصابوا ؛ صلاة لا تزال
الألسن تُقيمها ، والإخلاص يُديمها ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن أولى ما أدنى فيه الاجتهاد جهده ، وبلغ فيه الارتداد حدّه ؛ واستضىء
فيه بنور التوفيق ، واستصحب فيه من استخارة الله خير رفيق - أمر الحكم العزيز

وتفويضه إلى من وسع الله تعالى مجال علمه، وسدد مناط حكمه؛ وطهر مرام قلبه، ونور بصره في الحكم وبصيرته فأصبح فيهما على بينة من ربه؛ فأجرى الحق في البحث والفتيا على لسانه ويمينه، وزهه عن إرادة العلم لغير وجهه الكريم، ونبهه على ابتغاء ما عند الله بذلك والله عنده أجر عظيم.

ولما خلا منصب قضاء القضاة بطرابلس المحروسة على مذهب الإمام الشافعي رضى الله عنه: وهو المنصب الذي يضيء بالأئمة الأعلام أفقهم، وتلتقى بالفضلاء الكرام طرقهم؛ وتحتوي على أرباب الفنون المتعددة مجالسهم، وتزكو بالفوائد المختلفة مغاريسهم؛ وكان فلان هو الذي أشير إلى خصائص فضله، ونبه على أن الاجتهاد للأمة أفضى إلى إسناد الحكم منه إلى أهله؛ وأنه واحد زمانه، وعلامة أوانه؛ وجامع الفضائل على اختلافها، وقامع البدع على افتراق شبهها منه وأتلافها؛ وحاوي الفروع التي لا تنتهي، والمدرى على رب كل فضيلة لا يعرف غيرها ولا يألّف سواها - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نجزم من آرتياده لهذه الرتبة بهذا الرأي [السديد]، وأن تقرب سراه إلى هذا المنصب الذي ناداه بلسان الرغبة من مكان بعيد.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه كالبدري، يملأ المشارق والمغارب، وبره كالبحر، يقذف للقريب الجواهر وينعث للبعيد السحاب - أن يفوض إليه كذا.

فليطلع بذلك الأفق الذي يترقب طلوعه رقيقة أهلة المواسم، ويُسرع إلى تلك الرتبة التي تكاد تستطلع أنباءه من الرياح النواسم؛ وينشرها فرائده التي هي أحق

أن تطوى إليها المراحل ، ويقدم بها على الأسماع الظامية لعذب فوائده قُدم الغمام
على الرّوض الساحل ؛ ويل هذا المنصب الذي هو فيه بين عدل ينشره ، وحق
يظهره ، وباطل يهفهفه ، وغالب يرهقه ، ومظلوم ينصره .

وليكن أمر أموال الأيتام المهمّ المقدم لديه ، وحديث أوقاف البرّ من أول وأولى
ما يصرف فكره الجميل إليه ؛ ويتعاهد كشف ذلك بنفسه ، ولا يكتفى في علمه
فعل اليوم بأطلاعه عليه بأمره^(١) في أمسه ؛ وهو يعلم أن الله يجعله بذلك مشاركاً
للوافقين في الأجر المختص بهم والشكر المنسوب إليهم ، خارجاً من العهدة في أمر
اليتامى باستعمال الذين يخشون لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم ؛ وليقيم
منار الحق على ما يجب وإن سرقوا وساء قوماً ، ويقم بالعدل على ما شرع : فإن
« عدل يوم خير للأرض من أن تمطر أربعين يوماً » .

وأما ما عدا ذلك من أحوال الحكم وعوائده ، وآداب القضاء وقواعده ، فكل
ذلك من خصائصه يستفاد ، ومن معارفه يستراد ؛ وملاك ذلك كله تقوى الله
وهي من أظهر حلاه الحسنه ، وأشرف صفاته التي تتداولها الألسنة ؛ فليجعلها
وسيلة تسديده في القول والعمل ، وذخيرة آخرته التي ليس له في غيرها أمل ، ويقلد
العلیٰ فيما حدثته من أسباب ثقته فإن كمال العز في الثقل ؛ والله تعالى يمده بمواد
تأييده وقد فعل ، ويمسله من أوليائه المتقين وقد جعل ؛ بمنه وكرمه ! ، إن شاء
الله تعالى .

قلت : وعلى ذلك تكتب توابع القضاة الثلاثة الباقين .

ومنها - وكالة بيت المال .

(١) لله « على أمره في أمسه » .



وهذه نسخة توقيع من ذلك، وهى :

الحمد لله الذى عمّر بيت مال المسلمين بسداد وكيّله ، ونمّو تخصّصه ومزّيد
تمويله ، وتمسّكه بالصدق من قبله ، وسألوكم ماتيين [من] سبيله ، وأعتاده الحق
فى دليبه ؛ ودفعه المضارّ وجلبه المساز بتخويله .

نحمده على برّه وتفضيله ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله تنزه عن
نذّه ومثليه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذى بعثه الله لتمام هذا الدين وتكميله ؛
وأنزل عليه المعجزات فى تزويله ، وحفظ به الذكر الحكيم من تبدّله ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه وقبيله ؛ وسلم تسليماً .

وبعد ، فإن بيت المال المعمور هو نظام الإسلام ، ودُنْح الأمان ، وفيه محصول
المسلمين تحت نظر الإمام ، وفيه مادّة المجاهدين فى سبيل الله على تطاول الأيام ؛
وإليه تُجَبى القناطر المقتطّرة من الأموال ، وعنه تصدر المبيعات من الأملاك ما بين
أراض وأبنية ومحال . والوكيل على ذلك عنا بالملكة الطرابلسية المحروسة هو الذّاب
عن حوزته ، القائم بتأمين روعته ، المجتهد فى تمييز رجّعتيه ؛ وينبغى أن يكون من
العلماء الأعلام الأئمة ، المعول عليهم فى الأمور المهمّة ، البصير بما يترجى به
جانب بيت المال المعمور ويكشف كلّ عُمه ، العريق فى السيادة التى أتقادت إليها
السجايا الجميلة بالأزْمه .

ولما كان فلان هو الرّاقى هَضْبَة [هذه] المائر ، الطالِع كوكب مجده السّافر ،
المستحقّ لكلّ ارتقاء على المنابر ، ويعدّ سلفاً كريماً نصيراً فى المفانر ، ويمت بيت

بحره زانحاً؛ وله في مذهب الإمام الشافعي رضي الله عنه بحثٌ فاق به الأشباهَ
والنظائر، وعنده علمٌ بالمسائل المضروب مثلها السائر - فلذلك رسم
فليباشر هذه الوظيفة محترِّزاً في كلِّ ما يأتيه ويذرُّه، ويقصده ويحرره، ويورده
ويصدره، ويبينه ويقدره، ويخفيه ويظهره، ويديه ويستره، ويدينه ويحضره؛
ويقرّر جانب بيت المال المعمور، بما فيه الحظّ الموقور؛ والغنبة في كلِّ الأمور،
وهو عالمٌ بما فيه صلاح الجمهور؛ ومن رغب في آتباع أراض وقراح، وأبينة
وأملاك ورحاب فساح؛ مما هو جار في ملك بيت المال فليوقر جانب القيمة
على ما فيه الصلاح، وهو بحمد الله من بيت الدين والصلاح والإصلاح، وهو يقوى
بإسناده الأحاديث الصّحاح؛ ومن له حقٌّ في بيت المال فليسمع دعوى مدعيه،
ولا يصرف درهماً ولا شيئاً إلا بحقٍّ واضح فيما يثبت فيه، وهو وكيلٌ مأمونٌ في تأتية،
ومعنى الوكيل الذي يوكل إليه الأمر الذي يليه .

والوصايا كثيرةٌ وأجلها تقوى الله بالسَّمع والبصر واللسان، فمن تمسك بها من
إنسان فإنه يفوز بالإحسان؛ وهو غنيٌّ عن الوصايا بما فيه من البيان، والله
يجعله في كَلالة الرحمن؛ بمنه وكرمه ! . والحظّ الشريف أعلاه إن
شاء الله تعالى .

قلتُ : وقد يكتب لو كالة بيت المال ونحوها بالافتتاح بـ «أما بعد» على
قاعدة أصل الكتابة في قطع الثلث . والكاتب في ذلك على ما يراه بحسب ما يقتضيه
الحال .

المرتبة الثانية

(من توقيع أرباب الوظائف الدينية بطرابلس - من يكتب له
في قطع العادة ، مفتتحا بـ «رسم»)

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بوظيفة قراءة الحديث النبوي ، على قائله
أفضل الصلاة والسلام ، لمن أسمه « يحيى » يستضاء به في ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال رميم الفضل بأرواح عنايته يحيى ، وأحاديث مننه
الحسان تعيها أذن وأعية من طيب السماع لا تعيا ، ولا برحت أولياء خدمه تثنى
على صدقاته بالسنة الأفلام ، وتدير على الأسماع من رحيقها كسوسا مسكية
الخنام - أن يستقر في كذا استقرارا ترشيف الأسماع ، كسوس روايتها فلا تروى ،
ورتب كماله يقصر عن طلوعها كل باع ، فئاوانه لا تسوى ، ورُبوع معروفه لا تبيد ،
وآيات صلاحه ينطق بتلاوتها كل بلغ فيبدي ويبيد ، لأنه العالم الذي أحيا من
مدارس العلوم ما درس ، والفاضل الذي أضاء ببصر علومه ليل الجهل ولا غرو :
« فطوره الصبح يحيى آية الغلس » ، والكامل الذي لا يشوب كماله تقيصه ، والأمثل
الذي أنته الممالى رخيصة ، والإمام الذي تأتم وراءه الأفاضل ، وتأخر عصره ففاق
الاولئ ، ما درس إلا وجمع من فوائد « أي حنيفة » و « ابن إدريس » ، ولا عرس
بأيل الطلب إلا حمد عند إدراك طلبه ذلك التعريس ، ولا أعاد الدروس للطلبة
إلا وترتحت منه بالفوائد ، ولا جمع ما فصله العلماء إلا وأتى بالجمع الذي لا نظير له
في الفرائد .

(١) في الأصل : وقد مر وهو محريف واضح .

فليباشِر هذه الوظيفة مباشرة أنوار هداها لا تحمد^(١) ، وليلازمها ملازمة تشكره عليها الألسنة وتحمد ؛ وأنت - أدام الله تعالى فوائده - لا تحتاج إلى الوصايا إذ أنت بها عالم ، وبأسبابها متمسك وبالقيام بها يقظ غير نائم ؛ لكن التقوى [أولى] بمن عرف الأمور ، ولباس سوايغها يُبعد كل محذور ؛ والاعتماد على الخط الشريف أعلاه .

الصنف الثالث

(من الوظائف بطرابلس التي يكتب لأربابها من الأبواب السلطانية -
الوظائف الديوانية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يكتب في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء ،
وتشتمل على وظائف)

منها - كتابة السر ، ويعبر عنه في ديوان الإنشاء بالأبواب السلطانية بـ «صاحب ديوان المكاتب» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله الذي جعل الأسرار عند الأحرار ، وطوى الصحف على حسنات الأبرار ، وأجرى الأقلام ترجماناً للأفكار ، وجعل الحفظة يكتبون الأعمال مع تطاول الأعمار ، آتاء الليل وأطراف النهار ، وبسط المعاني أرواحاً ، والألقاظ لها أشباحاً ، مع التكرار ، وأبهج الصدور بصدور الكتب والإيراد والإصدار .

(١) في القاموس نحدث النار كنصر وسمع .

نحمدُه على فضله المذرار ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة إقرار ، وعمل بالحوارج بلا إنكار ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله المصطفى من مضر بن نزار ، المخصوص بالمهاجرين والأنصار ، النابى بأشرف بقعة تزار ، المشرف ككاتب الوحي : فهم يكتبون بما يُمليه عليهم المختار ، وجبريل يُلقى على قلبه الآيات والأذكار ، عن رب العزة المسيل الأستار ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ما نفع روض معطار ، وضح صوب أمطار ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن ملاك الملك الشريف حفظ سره ، والأحفال بكتبه الشريفة ولفظها ودرة ، وخطابها ونثره ، وخطها ونثره ، وختمها وعطره ، وتجهيزها مع الأمان الثقات الذين تؤمن غائلة أحدهم في كل أمره ؛ وما ألقى السر الشريف إلا لأكل الأعيان ، وصدر الزمان ، وبلغ كسحجان ، وفصبح كقس في هذا الزمان ، وأصيل في الأنساب ، وعريق في كرم الأحساب ، وفاضل يعنوله فاضل بلسان ، وينشئ لفظه الدر والمرجان ، وكاتب السر فلا يقوه بلسان .

ولما كان فلان هو واسطة عقد الأفاضل ، ورأس الرؤساء الأماثل ، وحافظ السر في السويداء من قلبه ، وناظم الدر في سطور كتبه ، والمورد على مسامعنا الشريفة من عبارته ألفاظاً عذبا ، القائل صوابا ، والمجيد خطابا ، وإذا جهز مهماً شريفاً راعاه بعينه عوداً وذهابا ، وإذا استعطف القلوب النافرة عادت الأعداء أحبابا ، وإذا أزد وأبرق على مازق أغنى عن الجيوش وأبدى عجبا عجبا ، وإذا كتب أنبت في القراطس رياضاً خصابا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إليه كذا . فلجّل هذا المنصب الشريف حلول القمر هالته ، وليعد إليه أيام سره وسروره الفاتية ، وليعرب عن أصول تايته ،

وفروع في منابت الخير نابتة ؛ ولينفذ المهمات الشريفة أولاً فأولاً من غير أن يعديق
 مهماً بغيره أو يبيته إلى غده ، وليحرر البريد المنصور بيديه غير معتمد فيه على غير
 رسيده ، ولا يغيب عن وظيفته طرفه عين بل يكون كالنجم في رصده لمرتبصيه ؛
 ويؤوص كتاب الإنشاء لديه ، والمتصرفين بين يديه ، بكم السر فإن ذلك إليه ؛ فإذا
 أفضى أحد من السر كلمه ، فليزجره وليأمره أن يحفظ لسانه وقلمه ، وليعط كل قضية
 ماتستحقها من تنفيذ كلمه ؛ والابتداءات والأجوبة فلتكن تغورها بالفاظه متشبهة
 وعقودها بإملائه منظمه ؛ فأمّا الابتداء فهو على اقتراحه ، وأمّا الجواب فهو على
 ما يقتضيه الكتاب الوارد باصطلاحه ، ولا يلى إلا إلى ثقائه ووصاحه ؛ والكتب
 الملوكة فليوفها مقاصدها ، وليراج عوائدها ؛ والتقوى فهي الهام [من] أمره ، وختم
 عطره ، وتمام بذره ؛ والوصايا فهي كثيرة لديه وفي صدره ، والله تعالى يكمل به
 أوقات عصره ؛ بمنه وكرمه ! والخط الشريف أعلاه

ومنها - نظر الملكة ، القائمة بها مقام الوزارة .

وهذه نسخة توقيع من ذلك ، وهي :

الحمد لله مفيض حلال إنعامنا على من أخلص في طاعتنا الشريفة قلبه ولسانه ،
 ومولى فضيل آلائنا العميمة على من أرهف في مصالحها آلة عزمه وبنانه ؛ ومحل
 رتب علياينا الشريفة بمن أشرق في سماء الأعمال بذره وإنسانه ، وأنبعث في غصون
 الأمان قطفه وأفانته .

نحمده حمداً يبلغ [به] أقصى غاية الحمد من تبيين بحمائل نظره الثغور ، وتعميم بحميد
 خبره وخبرته الأمور ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُشرك بها

البدور، ويعتمد عليها في الأيام والأيام؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، والتأثير لواء العدل بسننه الواضح وشرعه القويم؛ وعلى آله وصحبه الذين آهتدي بهمديهم ذوو البصائر والأبصار، وأرتدي بأرديتهم المعلمة مقننى الآثار من النظائر؛ وسلم تسليماً .

وبعد، فإن أولى من أسندنا إلى نظيره الجميل رتبة عز ما زالت بنو الآمال عليها تحوم، وعدقنا بتدبيره الجميل منصب سيادة ما برحت الأمانى له تروم؛ واعتمدنا على هممه العلية فصدق الخبر الخبر، وركنا إلى حميد رآه فشهد السمع له وأدى النظر .

ولما كان فلائ هو الذى رقى في ذروة هذه المعالي، وانتظم به عقد هذه الآلى، وحوى بفضيلة البيان واللسان ما لم تدركه المرهفات والعوالى؛ فما حل ذروة عز إلا حلاها بنظيره الجميل، ولا رقى رتبة سيادة إلا وأسفر في ذروتها وجه صبحه الجميل، ولا عدق بنظيره كفالة رتبة إلا وكان لها خير كفيل .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يتصي للرتب العلية خير منجد ومغير، ويختار للنصب السنية نعم المولى ونعم النصير - أن يفوض إليه كذا فإنه القوى الأمين، والمتمسك من تقوى الله تعالى وكفائته بالسبب المتين، والمستند بجميل كفائته وحميد ديانته إلى حصن حصين، والمستدرى بأصالته الطاهرة وإصابته إلى الجنة الواقية والحرم الأمين .

فليقدم خيرة الله تعالى ويأشركه الجهة المذكورة بعزم لا ينبو، وهمة لا تحبو، وتدبير يتضاعف على ممر الأيام ويربو؛ ونظر لا يعزب عن مباشرته مقال ذرة إلا وهى من خاطره في قرار مكين، وضبط لا تمتد إليه يد ملتمس إلا ويجد من مرهفه

مَا يَكْفُفُ كَفَّهَا بِالْحَدِّ الْمَتِينِ . وَلِيضَاعِيفِ هِمَّتِهِ ، فِي مِصَالِحِ هَذِهِ الْجِهَةِ الَّتِي عَدَقْنَاهَا
بِنَظَرِهِ السَّعِيدِ ، وَلِيُؤَفِّرَ عَزَمَتَهُ ، فَإِنَّ الْحَازِمَ مِنَ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَالْوَصَايَا
كثيرةٌ ومثله لا يُدُلُّ عليها ، وَاتَّئِبِيهَا تُواضِعَةٌ وَهُوَ - وَفَقَهُ اللهُ تَعَالَى - أَهْدَى مِنْ أَنْ
يُرْشِدَ إِلَيْهَا ؛ وَاللهُ يُوَفِّقُهُ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، وَيُصَلِّحُ بِجَمِيلِ تَدْيِيرِهِ وَحَمِيدِ تَأْتِيلِهِ كُلَّ
خَلَلٍ ؛ وَالْإِعْتَادَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

ومنها - نظر الجَيْشِ بها :



وهذه نسخة توقيع بها لمن لقبه «شمس الدين» وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْلَعَ فِي سَمَاءِ الْمَعَالِي شَمْسًا مُنِيرَةً ، وَأَنْبَعَ غُرُوسَ أَوْلِي الصِّدَارَةِ
بِعَهَادِ سُحُبِ عَوَارِفِهِ الْغَزِيرَةِ ، وَأَبْدَعَ الْإِحْسَانَ إِلَى مَنْ قَدَّمَهُ الْإِخْتِبَارُ وَالْإِخْتِيَارُ
عَلَى بَصِيرَةٍ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ الَّتِي عَمَّ فَضْلُهَا ، وَمَدَّ عَلَى أَوْلِيَاءِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ظِلِّهَا ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُزَلِّفُ لِدَيْهِ ، وَتُسَلِّفُ مَا يَجِدُهُ الْمُتَمَسِّكُ
بِهَا يَوْمَ الْعَرْضِ عَلَيْهِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بُعِثَ إِلَى الْأُمَّمِ
كَافَّةً ، وَأَشْرَفُ مَنْ غَدَّتْ أَمْلَاكُ النَّصْرِ بَابِيَتِهِ حَافَةً ؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ
الَّذِينَ حَازُوا بِصُحْبَتِهِ الشَّرَفَ ، وَفَازُوا بِطَاعَةِ اللهِ وَطَاعَتِهِ مِنَ الْجَنَانِ بَعْرَفٍ مِنْ
فَوْقِهَا عُرْفٍ .

وبعد ، فَإِنَّ أَوْلَى مَا عُدِّقَ بِالْأَكْفَاءِ ، وَأَحَقُّ مَا صُرِفَ إِلَيْهِ وَجْهَ الْأَعْتِيَاءِ ،
وَأَجْدَرُ مَا أَوْقِظَ لَهُ طَرْفُ كَافٍ لَا يُلِمُّ بِالْإِغْفَاءِ - أَمْرُ الْجِيُوشِ الْمَنْصُورَةِ بِطَرَابُؤُسِ

المحروسة التي لا ينهض بأعباء مصالحها إلا من عرف بالسداد في قلبه وكلمه، وألف منه حسن التصرف فيما يُسديه من نزاهته ويُظهره من هممه؛ بخبرة مؤكده، وآراء مسدده؛ ومعرفة أوضاع ترتيبها وأحوالها، وقواعد مقدمتها وأبطالها، وكفاية تفتح رحاب حالها.

ولما كان فلان هو الصدر الملى بوافي الضبط ووافر الأهتمام، والكافي الذي نطقت بكفائته ألسنة الحرصان وأفواه الأقلام، والضابط الذي لا يعجز فهمه عن إحاطة العلم بدوى الآلام.

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يقدم للراتب، كافيًا مشكورًا، ويرفع للنائب، صدرًا أضحى بالأمانة مشهورًا - أن يفوض إليه كذا: لأنه الصدر الذي تراحمت ألسنة الثناء عليه، وترادفت بين أيدينا محامده فقترنا العوارف لديه؛ وشكرت عندنا هممه في سداد كل ما يباشره، وذكرت لدينا بالخير سيرته وسرايره.

فليباشر هذه الوظيفة الجليلة متحلًا بين الأنام بعقودها، مطلقًا شمس نزاهته في فلك سعادتها؛ ناهضًا بأعباء منصبه السعيد، ضابطًا قواعده بكل تحرير تليد؛ متقنًا ديوان الجيوش المنصورة، معلمًا في ملاحظتها نافذ البصر وحسن البصيرة؛ محررًا أوراق العدة والعُدَّة، باذلاً في ضبط الحلي أهتمامه وجهده؛ والله تعالى يُسعدُ جدّه، ويُجددُ سعده؛ والخط الشريف أعلاه ... إن شاء الله تعالى.

قلت: وربما كتبت مفتتحًا في هذه الرتبة بـ«أما بعد» فإنها أصل ما يكتب في قطع الثلث.

المرتبة الثانية

(من مراتب أرباب الوظائف الديوانية بطرابلس - من يكتب له في قطع

العادة بـ «مجلس القاضي»)

وهو قليل الوقوع . والغالب في ذلك أن يكتب عن نائب السلطنة بها .

وهذه نسخة توقيع من هذه الرتبة بكتابة الدست بطرابلس ، يقاس عليه ما عداه

من ذلك ، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لزال أمره الشريف ، يزيد من بصطفيه شرفاً ، ويره
المنيف ، يُفيد من يخبئه تحفاً ، وخيره المطيف ، يُجيد لمن يختاره جوداً ، ويسر قلب
من رفعه إلى صدر الدست صعوداً ، فيبونه من جنات العلياء عرفاً - أن يستمر
في كذا : استقرراً مُجتنياً منه ثمار الخيرات ، وتجلّى عليه عروس المسرات ؛ لأنه
الرئيس الذي تفتخر هذه الوظيفة بانتسابها إليه ، وتجمل حلها وألويتها إذا نُشرت
عليه ؛ والفاضل الذي ألقته إليه البلاغة زمامها ، والكامل الذي ملك بيانها ونظامها ؛
والأديب الذي لا يدرك في الآداب ، واللبيب الذي يقصر عنه طول عامة الطلاب ؛
كتم له من كتابة حسنة الأساق ، وبلاغة حصل على فضلها الاتقان ، ودبانة أطلق
فيها لسانه ويده فشكرها الناس على الإطلاق ؛ فهو مستند الرأس ، وابن من حاز
كل فخار ورأسه ؛ والعلم المشهور علمه ، وصاحب القلم المشكور رقمه ؛ فالمنصب
بارتفاعه إليها مفتخره ، والمراتب بعلائه مستبشره ؛ والاشماع بفضائله مشتهه ،
والاشمجاع بكماله مشرفه .

فليباشر هذه الوظيفة ، وليسلك فيها طريق نفسه العفيفه ، وليدبج القمص
بأقلامه ، وليبهج التوقيع بما يوقع مبرم فصيح كلامه ؛ وليزين الطروس ، بكتابته ،

وَلِيُنْعِشَ النَّفْسَ ، بِبَلَاغَتِهِ ؛ وَلِيَجْمَلَ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ مَا تُصْبِحُ مِنْهُ مَطَالِعُ شَرْفِهِ
 مُنِيرِهِ ، وَتُحْسِي بِهِ عَيْنُ مُحِبِّهِ قَرِيرَهُ ؛ وَالْوَصَايَا فَهِيَ خَطِيبُ مَنْبَرِهَا ، وَلِيَبِّ مُورِدِهَا
 وَمَصْدَرِهَا ؛ وَالتَّقْوَى فليَلْزَمْ فِيهَا شِعَارَهُ ، وَلِيَدَاوِمْ بِهَا عَلَى مَا يَبْلُغُ بِهِ أَوْطَارَهُ ؛ وَاللَّهُ
 تَعَالَى يَجْعَلُ سُعُودَهُ كُلَّ يَوْمٍ فِي آزْدِيَادٍ ، وَيَسْهَلُ لَهُ مَا يَرْفَعُ ذِكْرَهُ بَيْنَ الْعِبَادِ ، بِمَنَّةٍ
 وَكَرَمِهِ ! . وَالْإِعْتَادُ فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الشَّرِيفِ أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .

النوع الثاني

(من الوظائف بطرابلس - ما هو خارج عن حاضرتها ،
 وهم على ثلاثة أصناف أيضا)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وقد تقدم أنه ليس بها مقدم ألف سوى نائب السلطنة بها ، وحينئذ فالنيابات
 بمعاملتها على طريقتين :

الطبقة الأولى

(الطَّبَلْخَانَاهُ)

وَمَرَّاسِيهِمْ تُكْتَبُ فِي قَطْعِ الثَّلَاثِ بِـ«السَّامِي» بِالْيَاءِ ، مَفْتُوحَةً بِـ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» .
 وَهَذِهِ نَسْخَةُ مَرْسُومِ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ بِنِيَابَةِ قَلْعَةٍ ، تَصْلُحُ لِنَائِبِ اللَّادِقِيَّةِ ،
 يُنْسَجُ عَلَى مَنْوَالِهَا ، وَهِيَ :

الحمد لله الذي جعل الحصون الإسلامية في أيامنا الزاهرة ، مصفحةً بالصفاح ،
والتغور المصونة في دولتنا القاهرة ، مشرفةً بأسنة الرماح ، والمعاقل المحروسة مخصوصةً
من أولياتنا بمن يعدُّ بأسه لها أوقى الجنين وذبه عنها أقوى السلاح .

نحمده على نعمه التي عوارفها عميمه ، وطوارفها كالتالدة للزريد مستديمه ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تنطق الضائر قبل الألسنة بإخلاصها ،
وتشرق القلوب بعموم إحاطتها بها واختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي
أشرفت بنور ملبسه الظلم ، وأرتوت بفور شريعته الأمم ، صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين آمنطوا إلى جهاد أعداء الله وأعدائه غارب الهمم ، صلاة سارية
كالرياح هامية كالديم ، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى ما عقده عليه في صيانة الحصون الخناصر ، وأعتمد على مثله
في كفاية المعاقل إذا لم يكن غير تأيد الله وحد السيف ناصر - من هو في حفظ
ما يليه كالصدور التي تصون الأسرار ، والكائم التي تحوط الثمار ؛ مع اليقظة التي تدود
الطيف أن يلم بجماة حماه ، والفيطنة التي تصد الفكر أن يتخيل فيه ما أشتمل عليه
وحواه ، والأمانة التي ينوي فيها طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا
الشريفة ولكل أمرئ ما نواه .

ولما كان فلان هو السيف الذي تروق تجرِبته ويروع تجرِيدُه ، وإذا ورد
في الوغى منهل حرب فمشرعه من كل كبي وريده - اقتضت آراؤنا الشريفة أن ترهف
حده يحفظ أسنى الحصون عندنا مكاناً ومكانه ، وأسمى المعاقل رفعة وعزّة وصيانته .

فُرم بالأمر الشريف أن تفوض إليه النيابة بقلعة كذا .

فليباشِرْ هذه النِّبَاةَ السَّامِيَّ قَدْرُهَا ، الكَامِلَ في أَفْقِ الرُّتْبِ بِذُرِّهَا ، مَبَاشِرَةً تَصُدُّ
الأفكارَ ، عن تَوْهَمِهَا ، والأبصارَ ، عن تَوْشِيحِهَا ، والخَوَاطِرَ ، عن تَحْيِيلِ مَعْنَاهَا ،
والسَّرَائِرَ ، عن تَمَثُّلِ صَوْرَتِهَا وَمَعْنَاهَا .

وَلِيَكُنْ لمصالحها مَتَمِّعًا ، وَلِنَجْوَى رَجَالِهَا مَتَصَفِّحًا ، ولأَعْدَادِ حُمَاتِهَا مُزِيحًا ،
وللخَوَاطِرِ من أسباب كَفَايَتِهَا مُزِيحًا ، ولموَاطِنِهَا عَامِرًا ، وبِمَا قَلَّ وَجَلَّ من
مصالحها آمِرًا ، ولوَظَائِفِهَا مُقِيًا ، وللنَّظَرِ في الكبير والصغير من أُمُورِهَا مُدِيحًا ،
وَلِنَدَمَتِهَا مُضَاعِفًا ، وَلِكُلِّ مَا يَتَعَيَّنُ الاحتفال به من مُهِمَّاتِهَا وَأَقْفَاءِ ، ومِلَاكِ الوصايا
تَقْوَى الله : وهى أَوَّلُ مَا يَقْدَمُ بين يديه ، وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ نَظْرَهُ إِلَيْهِ ،
فليَجْعَلْ ذلك خُلُقَ نَفْسِهِ ، وَمَزِيَّةَ يَوْمِهِ عَلَى أَمْسِهِ ، والخير يَكُونُ . والخَطِ الشَّرِيفِ
أَعْلَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .

الطبقة الثانية

(العشرات)

ومراسيمهم إن كتبت من الأبواب السلطانية ففى قطع الثلث بـ«السامى» بغير
ياء، مفتتحة بـ«أما بعد» إلا أن الغالب كتابتها عن نائب السلطنة .

وهذه نسخة مرسوم شريف بناية قلعة بلاطنس ، من معاملتها وهى :

أما بعد حمد الله على نعم توالى رَفْدُهَا ، ووجب شُكْرُهَا وَحَمْدُهَا ، وَعَدْبُ لَدْوَى
الآمالِ وَرَدُّهَا ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي رُفِعَ بِهِ لِقَرَيْشٍ بَجْدُهَا ،
فَعَلَّا جَدُّهَا ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً لَا يُحْصَى عَدْدُهَا وَلَا يَحْصُرُ حَدُّهَا - فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ
فَلَانٌ مِنْ قَدَمَتِ تَقَادُمِ خَدَمِهِ ، وَتَعَالَى بِهِ إِلَى الْعُلِيَاءِ سَامِيٍّ هِمَمِهِ ، وَتَرَفَّعَ بِهِ حُسْنُ

ولأنه حتى أعلت الدولة من شأنه ورفعت من عامه؛ وأستكفته لمصون الحصون،
وجادت عليه بصوب إحسان روى الأمانى فاصححت نضرة الغصون؛ وكانت قلعة
فلانة هي القلعة التي شمخت بأنفها على القلاع علواً، وسامت الجوزاء سُموا؛ فوجب
أن لا يُستحفظ عليها وفيها، إلا من عُرف بحسن المحافظة وتوقفها؛ وكان المشار
إليه هو عين هذه الأوصاف، والوارد من حُسن الطاعة المورِد الصاف - أقتضى
حسنُ الرأي الشريف أن نُنوه بذكره، ونرفع من قدره .

ولذلك رُسم ... - لازل ... أن تفوض إليه النيابة بهذه القلعة المحروسة،
وأن تكون بأوانيس صفاته مأنوسه .

فليكن فيما أستحفظ كُفوا، وليُورِد الرعية من حُسن السيرة صفوا، وإذا
تعارض حكم الانتقام وكان الذنب دون الحد فليقدم عفواً . وعليه بالعدل، فإنه
زمام الفصل؛ والقلعة ورجالها، وذخايرها وأموالها، فليُمعن النظر في ذلك بكرة
وأصيلاً، وإجمالاً وتفصيلاً، وتخصيلاً وتخصيلاً . وعليه بالتمسك بالشرعية المطهرة،
وأحكامها المحررة؛ وليردع أهل الفساد، ويقابل من ظهر منه العناد، بما يُؤمن
المنهج، ويحدد المباح؛ والوصايا كغيره، فليكن مما ذكر على بصيره؛ أعانه الله على
ما أولاه، ورعاه فيما أسترعاه؛ وانلخط الشريف أعلاه، حجةً بمقتضاه؛ والخير يكون
إن شاء الله تعالى .

الصنف الثاني

(مما هو خارج عن حاضرة طرابؤس - الوظائف الدينية،)

والغالب كتابتها عن نائب السلطنة بطرابؤس . فإن كُتب شيء منها عن الأبواب
السلطانية، كان في قطع العادة «بمجلس القاضي» مفتتحاً بـ«رُسم» .

وهذه نسخة توقيع من ذلك بنظر وقف على جامع بمعاملة طرابلس، كتب به لمن لقبه «زين الدين» وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زال كريم نظره يستنيب عنه بمصالح بيوت الله تعالى من ترداد بنظره شرفاً وزينا ، ويعين لها من الأعيان من تسر به خاطراً وتقر به عينا ، ويمتحها من إذا باراه مبار ووجد بينهما بونا وبيننا ، ويقتر لها كل كاف إذا فاه راء بوصف آرائه المموحة عين صوابها ولا يجيد عليها عينا - أن يستقر بالنظر على كذا : استقاراً يرى الوقف بنظره على ربه طلاوه ، ويجيد بمباشرة في صحبه حلاوه ؛ ويعرب عن استمراره على حسن الثناء ، ويجيد من نبيل ربه أكل وفاء ؛ لأنه الناظر الذي لا يمل إنسانه ، من حسن النظر ، ولا يكمل لسانه ، عن الأمر بالمصالح ولقظه عن إلقاء الدرر ، والشريف الذي وجدت محال شرفه من فضل خالاه ، والحواد الحائر بجوده قصب السبق على أمثاله ؛ والكامل الذي لا توجد في صفاته تقيصه ، والفاضل الذي أنته الفضائل على رغبها رخصه .

فليباشر هذا النظر مباشرة ما تكحل ناظره فيها بالوسن ، وليقابلها من جميل سلوكه بكل وجه حسن ؛ وليبدأ أوقاف الجامع المذكور بالعمارة ، وليقطع بمدية أمانته يد من يشن على ماله الفاره ؛ وليأمر أرباب وظائفه بالزوم ، وليخص كلاً منهم من فضله بالعموم ؛ وليتق الله تعالى في القول والعمل ، وليجتهد على أن لا يتخلل بمباشرة الخلل ؛ والاعتاد على الخط الشريف . أعلاه

الصنف الثالث

(مما هو خارج عن حاضرة طرابُلُس - أرباب الوظائف الديوانية)

وقل أن يُكتب فيها شيء عن الأبواب الشريفة السلطانية، وأن الغالب كتابة ما يكتب فيها من نائب السلطنة بطرابُلُس . فإن اتفق كتابة شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية، مسمى الكاتب فيه على نهج ما تقدم في الوظائف الدينية : من كتابته في قطع العادة بـ «مجلس القاضي» مفتتحاً بـ «رسم» لا يختلف الحال منه في ذلك إلا في الفرق بين التعلقات الدينية والديوانية . والكاتب الماهر يصرف قلمه في ذلك وفي كل ما يحدث من غيره على وفق ما تقتضيه الحال، وبالله المستعان .

النيابة الرابعة

(نيابة حماة . ووظائفها التي تُكتب بها من الأبواب السلطانية،

ما بحاضرتها خاصة ، وهي على ثلاثة أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة خاصة . ويُكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «الجناب العالي» مع الدعاء بمضاعفة النعمة .

وهذه نسخة تقليد نيابة حماة :

الحمد لله ذي التدبير اللطيف ، والعمون المطيف ، والجياطة التي تستوعب كل تصرف وكل تكليف .

نحمدُه بحمادٍ جميلةِ التَّفْوِيفِ ، حَسَنَةِ التَّأْلِيفِ ، مُكَلِّمَةِ التَّكْوِيفِ ، بَرِيَّةٍ مِنْ
التَّطْفِيفِ ، حَرِيَّةٍ بِكُلِّ شُكْرِ مُنِيفِ ، وَذِكْرِ شَرِيفِ ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ
وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً خَلَصَ تَحْرِيرُهَا عَنْ كُلِّ تَحْرِيفِ ، وَتَرَاهُ مَقَالُهَا عَنْ تَسْوِيدِ
تَفْنِيدِ أَوْ تَسْوِيفِ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَاحِبُ الدِّينِ الْحَنِيفِ ،
وَالْمَبْعُوثِ بِالرَّحْمَةِ وَالتَّخْفِيفِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً مُتَنَاوِبَةً تَتَأَوَّبُ
الصَّيْرُ وَالصَّرِيفُ ، وَالشَّتَاءُ وَالْمَصِيفُ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ مِنْ سِيَمِ الدَّوَلَةِ وَبِحَايَاهَا ، وَأَحْكَامِهَا وَقَضَايَاهَا ، تَقْدِيمَ الْأَهَمِّ فَالْأَهَمِّ ،
وَتَحْتِمَ الْأَهَمِّ مِنَ الرَّأْيِ وَتَحْكِيمَ التَّنْذِيرِ الْأَعْمِ ؛ وَفِعْلَ كُلِّ مَا يَحُوطُ الْمَالِكُ وَيَحْفَظُهَا ،
وَيُذَكِّي الْعِيُونَ لِمَ لَاحِظَتِهَا وَيُوقِظُهَا : لِمَا أَوْجَبَهُ اللَّهُ مِنْ حُقُوقِهَا ، وَحَفَظَهُ مِنْ
عُقُوقِهَا ؛ وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا بِاخْتِيَارِ الْأَوْلِيَاءِ لَضَبِطِهَا ، وَالتَّعْوِيلِ عَلَى الْأَمْلِيَاءِ بِالْقِيَامِ
بشَرِطِهَا ، وَالْأَسْتِنَادِ مِنَ الرَّعْمَاءِ إِلَى مَنْ يُوقِي مِنَ الْخَرَاجَةِ وَالْعِيُونَ وَآفِي قَسِطِهَا .

وَمَا كَانَتْ الْمَمْلُوكَةُ الْحَمَوِيَّةُ جَدِيرَةً بِالْإِنْفَاتِ ، حَقِيقَةً بِالْحَيَاظَةِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ ؛
مُسْتَدْعِيَةً مِنْ جَمِيلِ النَّظَرِ كُلِّ مَا يَحْرُسُ رَبْعَهَا ، وَيُدِيمُ نَفْعَهَا ، وَيُحْفَلُ ضَرْعَهَا ،
وَيَلْمُ شَعْنَهَا وَيَسْعَبُ صَدْعَهَا ، وَيَسْرُ سَمْعَهَا ، وَيُقْعَمُ شَرْعَهَا ، وَيُعْظَمُ شَرْعَهَا ؛
وَيَكْتَنِفُهَا أَكْتِنَافُ السُّورِ وَالسُّوَارِ ، وَالْهَالَةَ لِلْبَدْرِ وَالْأَكْجَامِ لِلنَّارِ ؛ وَكَانَ فَلَانٌ هُوَ
الْمُنْفَعُ سَحَابٌ هَذَا الْوَصْفِ عَنْ بَدْرِهِ الْمُنِيرِ ، وَالْمُنْفَعُ ضَبَابٌ هَذَا التَّفْوِيفِ عَنْ نُورِ
تَمِيمِهِ الْمُنْعِشَةِ قُوَى كُلِّ نَبْتِ نَضِيرِ ، وَالَّذِي بَاهِيَّتُهُ لُرْتَبَةُ هَذَا التَّفْوِيفِ مَا خَابَ
الْمُسْتَخِيرِ ، وَلَا نَدِمَ الْمُسْتَشِيرِ ، وَالَّذِي يُفْرِدُهُ أَسْتَحْقَاقُهُ بِهَذِهِ الرُّتْبَةِ فَلَا يَقُولُ أَحَدٌ مِنْ
كَبِيرٍ وَلَا صَغِيرٍ أَمْتَالًا لِلرَّاسِمِ الشَّرِيفَةِ فِي حَقِّهِ : « مَنَا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ » - أَقْتَضَى

(١) في القاموس "رجل نزاج ولأج كثير الظرف والاحتبال" ولعله المراد هنا .

جميل الرأي المنيف ، أن نخرج الأمر الشريف - لا برج يُحسِن التَّعْوِيل ، ويَهْدِي إلى سواء السبيل ، وَيَمْضِي مَضَاءَ الْقَضَاءِ الْمُنَزَّلِ وَالسَّيْفِ الصَّقِيلِ - أن تقوِّضَ إليه نيابةً السلطنة المعظمة في مملكة كذا وكذا .

فَلْيَقْدَمْ خَيْرَةَ اللَّهِ قَائِلًا وَفَاعِلًا ، وَمُقِيًا وَرَاحِلًا ، وَمُوجِّهًا وَمُوجَّهًا وَمُسَجِّلًا وَسَاجِلًا ، وَعَالِمًا وَعَامِلًا ؛ وَمَعْتَمِدًا عَلَى اللَّهِ فِي أَمْرِهِ كُلِّهِ . وَلْيَكُنْ مِنْ هَذِهِ الْمَعْرِفَةِ قَرِيبًا ، وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰ عَلَىٰ نَفْسِهِ رَقِيبًا ؛ وَإِذَا آتَىٰ اللَّهُ كِفَاءَ اللَّهِ النَّاسَ ، وَإِنْ آتَىٰ النَّاسَ لَمْ يَغْنُوا عَنْهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا فَلْيَقْسُ عَلَىٰ هَذَا الْقِيَاسِ ، وَيَقْتَسِمْ هَذَا الْاِقْتِسَاسَ .

وأما الوصايا فالعساكر المنصورة هم مِخْلَبُ الظَّفَرِ وَظُفْرُهُ ، وَبِهِمْ يُكشَفُ مِنْ كُلِّ عَدُوٍّ سِرُّهُ ، وَيُجَلَّىٰ وَطْنُهُ وَوَكْرُهُ ، وَيَضْرَبُ زَيْدُهُ وَعَمْرُهُ ؛ وَيَبْدُدُ جَمْعَهُ ، وَيُسَاءُ صُنْعُهُ ، وَيَعْمَىٰ بَصْرُهُ وَيَضْمُ سَمْعُهُ ؛ وَهُمْ أَسْوَارُ نُجَاهِ الْأَسْوَارِ ، وَأَمْوَاجُ تَنْدَفِيعٍ وَتَنْدَفِيقٍ أَعْظَمُ مِنْ أَنْدَفَاقِ الْبِحَارِ ، وَمَا مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ هُوَ عِنْدَنَا مِنَ الْمُصْطَفَيْنِ الْأَخْيَارِ ؛ فَأَحْسِنِ اسْتِجْلَابَ خَوَاطِرِهِمْ ، وَاسْتِخْلَابَ بَوَاطِنِهِمْ وَسِرَائِرِهِمْ ، وَاسْتِخْلَابَ الشَّائِعِ مِنْ طَاعَتِهِمْ فِي مَوَارِدِهِمْ وَمَصَادِرِهِمْ ؛ وَكُنْ عَلَيْهِمْ شَفُوقًا ، وَبِهِمْ فِي غَيْرِ الطَّاعَةِ وَالْاِسْتِعْبَادِ رَفُوقًا ، وَأَوْجِبْ لَهُمْ بِالْجِهَادِ وَالْاِجْتِهَادِ حُقُوقًا ، وَأَصْرِفْ لَهُمْ حِمْلًا لِأَعْيَابِ الْمِهْمَاتِ وَالْمَلَمَّاتِ مُطَبِّقًا ؛ وَاسْتَشِرْ مِنْهُمْ ذَوِي الرَّأْيِ الْمَصِيبِ ، وَمَنْ أَحْسَنَ التَّجْرِبِ ، وَمَنْ تَحَقَّقَ مِنْهُ النَّصِيحُ مِنَ الْكُفُولِ وَالشَّيْبِ ، مِمَّنْ كَلَّلَ بِغَيْرَةٍ مِنْهُ مَا شَبَّ فَإِنَّ الْمَرْءَ كَثِيرٌ بِأَخِيهِ ، وَإِذَا اجْتَمَعَتْ غُصُونٌ فِي يَدٍ أَيْدٍ عَسَتْ ^(٢) عَلَىٰ قَصْفِهِ وَقَصَفُ كُلِّ وَاحِدَةٍ فَوَاحِدَةٌ لَا يُعِيهِ .

(١) في الأصل "السامع مع من" الخ وهو تحريف كما لا يخفى .

(٢) في اللسان "عسى القضيبي يس" . وهو مناسب لتمام .

والجهاد فهو ملاك كل استحواء واستحواد ، وبه تميز أفعال الكفار بالنقاد
وأفعال الدين الحنيف بالنقاد ، وما جعل الله للدافعين عن دين الله سواه ، ولا مزيجي
صوب صواب إلا إياه ، وعلى ذلك جعل الله أرزاقهم ، وهياً لهم به إرفاقهم ،
فليكرّمهم بأخذ الأهبه ، في الاعتلاء والأنصبا في كل هضبه ، والاستعداد برباط
الخيال وكل قوه .

ومن الوصايا التي ينبغي أنها ترسم في جهات الفكر [دون توان] أو تكون أن
لا يستحقّر عدواً ، ولا يستهزئ بقلته لا رواحاً ولا غدواً ، وليكن للاستظهار مستوعباً ،
ولإنعمال المكاييد مستوثباً ، وللكشف بعد الكشف مستصحباً ، وغير ذلك من
الأمر ، التي بها صلاح الجمهور .

والشرع الشريف وتنفيذ أحكامه ، وتقوية أيدي حكامه ، فهو ميزان الإسلام
والسلامه ، وقوام الصلاح والاستقامه ، وأخوه الرتضع من ندى الحق ، العادل
الذي كم شاق وكثيراً ما على أهل الباطل شق ، وعمّ القريب والبعيد ، والسائق
والشديد ، والمريب والمريد ، وكل ذي ضعف مبيد ، وكل ذي بأس شديد ، وكل
مستشير ومستتريد ، فإن ذلك إذا شمل حاط ، وتم به الارتباد والارتباط ، وهدى
إلى أقوم صراط .

والحدود فهي حياة النفوس ، وبها تزال البشوس ، فاقمها ما لم تدر بالشبهات
الشرعية ، والأمر المرعية .

والأموال فهي مجلبة الرجال ، ومغلبة الآمال ، وبها يسد الأزر ، ويقوى
الاستظهار [و] الظهر ، فيسد من الذين أمرها بهم معدوق ، ويقوى أيديهم بكل
طريق في كل طروق ، بحيث لا يؤخذ إلا الحق ولا يترك شيء من الحقوق .

(١) في الأصل "الاجتهاد" وهو غلط .

والرعية فهم عند وإلى الأمر ودائع : ينبغي أنها تكون محفوظه ، وبين الاعتناء
مأخوظه ؛ فاحسن جوارهم ، وأزل نقارهم ، وأكف عنهم مضارهم ، ولا تعاملهم
إلا بما لا تسأل عنه غداً بين يدي ربك فإنه يراك حين تقوم ، وأعد جواً لذلك
فكل راج مسؤل .

وأما غير ذلك فلا بد أن تطلعك المباشرة على خفايا تغنيك عن المؤامره ، وستوالى
إليك الأجوبة عند المسافرة في المكاتب الواردة والصادره ؛ والله يوفقك في كل
منهج تسلكه وتقتضيه ، ويسدّدك فيما من ذلك تنتجيه .

قلت : أما سائر أرباب الوظائف بها : كشدّ الدواوين ، وشدّ مراكز البريد
وغيرهما ، فقد جرت العادة أن النائب يستقل بتوليها . فإن قدر كتابة شيء من ذلك
لأحد بها ، كتب لمن يكون طبلخاناه في قطع النصف بـ « السامى » بغيرياء ، ولن
يكون عشرة في قطع الثلث بـ « مجلس الأمير » كما في غيرها .

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الدينية ، وهم على مرتبتين)

المرتبة الاولى — من يكتب له في قطع الثلث بـ « السامى بالياء » . وهم قضاة
القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية — من يكتب له في قطع العادة : إما في المنصوري ، مفتتحاً
بـ « أما بعد » وإما في الصغير مفتتحاً بـ « رسم » . وعلى ذلك تكتب توابع قضاة
العسكر بها ، ومفتي دار العدل ، والمحتسب ، ووكيل بيت المال ، ووظائف

التدريس والتصدير، ونظر^(١) إن كتب شيء من ذلك عن الأبواب السلطانية،
وإلا فالغالب كتابة ذلك عن النائب بها^(٢).

النيابة الخامسة

(نيابة صَفَد)

قد تقدم في الكلام على المكاتب أنها في رتبة نيابة طرابُلُس وحمّة في المكتبة،
وأنها تُذكر بعد حمّة في المطلقات .

وظائفها التي تولّى من الأبواب السلطانية على ثلاثة اصناف .

الصنف الأول

(أرباب السيوف ، وفيه وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(نيابة السلطنة بها ، ويكتب تقليده في قطع الثلثين)

وهذه نسخة تقليد بنيابة السلطنة بصَفَد ، كُتِبَ به لسيف الدين «قطلقتمش»
السلحدار الناصري ، في سابع رمضان سنة عشر وسبعائة ، من إنشاء الشيخ
شهاب الدين محمود الحلبي ، وهي :

الحمد لله الذي صان الثغور المحروسة من أوليائنا بسيف لا تَبُو مَضارِبُهُ ، وخصَّ
أسنى الممالك المصونة من أصفهائنا بعَضْب لا يُقْل غَرِبَهُ مُحارِبُهُ ، وقدم على زعامة

(١) بياض بالأصل ولعله الأحياس .

(٢) ترك الكلام على الصنف الثالث وهم أرباب الوظائف الديوانية كما يؤخذ من نظائره السابقة واللاحقة .

الجيوش من خواصنا لينا يسكنُ إليه كلُّ أسيدٍ من أسيدٍ ذائلةٌ تُغالبُهُ ، حافظُ نطاقِ
البحرِ من أبطالِ دولتنا بكلِّ كيميٍّ تصدَّ البحرَ مهايته أن يَسْتَقِلَّ بِرَاكِبِهِ أو تستقرَّ
على ظهره مرًا كبه ، وناشرِ لواءِ عدلنا في أقاليمنا بما يُغني كلَّ قَطْرٍ [عن] أن
تتدفَّقَ جداولُهُ أو تستهلَّ به سمائُهُ .

نحمدهُ على نِعَمِهِ التي جعلتْ سيفَ الجهادِ رائدَ أوامِرنا ، وقائدَ جيوشنا إلى
مواقفِ النصرِ وعساكرنا ، وذائدَ أعداءِ الملة عن أطرافِ ممالكنا التي أسبقُ إليها من
رَجَعِ النَّفْسِ في الدُّجَى تالِقُ نجومِ ذوابِلنا ، وفي الضُّحَى تَبْلُجُ غُرُورِ صَوَارمنا ؛ ونشهدُ
أن لا إلهَ إلا اللهُ وحده لا شريكَ له شهادةً يستظلُّ الإيمانُ ، تحتِ لوائها ، وتَبَقُّ
الأَكْوَانُ ، بما تنطقُ به الألسنةُ من اروائها ، ويُشرقُ الوجودُ بما يبدو على
الوجوه من روائها ، وتُجادلُ أعداءها في الآفاقِ لرفعِ تَبَاسَةٍ ملتها على المللِ وإعلانيها ؛
ونشهدُ أنَّ محمداً عبدهُ ورسوله خاتمُ الأنبياءِ ، وأشرفِ حملةِ الأنبياءِ ، صلى اللهُ عليه
وعلى آله وصحبه المخصوصينِ بأسنَى مراتبِ الأَجْتِبَاءِ ، صلاةً دائمةً بدوامِ الأرضِ
والسماءِ ؛ وسلِّمًا تسليماً كثيراً .

أما بعدُ ، فإنَّ أَوْلَى من فُوِّضَتْ إليه زعامةُ الجيوشِ بأسنَى الممالكِ ، وعُدِّقَ به
من تَهَدَّمِ العساكرِ ما يُرَجَفُ بمهايته هناكِ أرضَ العدوِّ هنالكِ ؛ وعُقِدَ به للرعايا لواءُ
عدلٍ تجلَّى بإشراقِ لَيْلِ الظلمِ الخالِكِ ، وعوَّلَ عليه من جميلِ السيرةِ فيما تعمُرُ به البلادُ
وتأمُرُ به الرعايا وتطمئنُّ به المسالكُ - من لم يزلْ في خدمةِ الدولةِ القاهرةِ سيقاً
ترهبُ العدا حدهُ ، ويخافُ أهلَ الكُفْرِ فتكاته تحقُّقاً أن آجالهم عندهُ ، ويتوقَّعُ
كلُّ كيميٍّ من عظماءِ الشُّركِ أن رأسه سيكونُ غمدهُ ؛ مع سياسةٍ تستعملُ على الرعايا

(١) ذائلة طويلة الذبابة .

(٢) حن التركيب «وحفظ عطقا على صان» ... ونشر لواء .

ظلالها الممتدة، وسيرة تضع الأشياء مواضعها فلا تضع الحدة موضع اللين ولا اللين موضع الحدة؛ وتوفر على عمارة البلاد يعين على ريبها طلل الأنواء والوابل، وبراءة تجعل ما يودع فيها بالبركة والنماء: (كثَل حَيَّةً أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ) .

ولما كان الجناح العالى هو السيف الذى على عاتق الدولة نجاده، والليت الذى لم يزل فى سبيل الله إغارته وإنجاده؛ والغيث الذى يُحْصَبُ بمعدلته البلد الماحل، والأسد الذى تصد ساكنى البحر مهايته فيتحققون أن العطب لا السلامة فى الساحل - اقتضت آراؤنا الشريفة أن يزيد حد عزمه إرهابا، وأن ترهب العدا بياسه الذى يرد آحاد ما تقدم عليه من الجيوش آلافا، وأن تفوض إليه من أمور رعايانا ما اذا أسند إليه يوسعهم عدلا وإنصافا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف: أن تفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بصفد المحروسة: تفويضا يعلى قدره، ويمضى فى عموم مصالحها وخصوصها تنبه وأمره، ويهف فى حفظ سواحلها وموانئها بيضه وشمه، ويصلي مجاورها من ساكنى الماء من بأسه المتوقد بجمره .

فلتلق هذه النعمة بباع شكره المديد، ويرق هذه المرتبة بمزية أعترامه التى ليس عليها فيما يصدق به من مصالح الإسلام مزيد؛ وينشرها من عموم معدلته مالا يخص دون قوم قوما، ويعمر بلادها بالعدل: فإن «عدل يوم واحد خير للارض من أن تُمطر أربعين يوما»؛ ويستط فيها من مهايته ما يكف أكف البغاة أن تمتد، ويمنع رخاء أهوية أهلها أن تستد؛ ويؤمن المسالك أن تخاف، والرعايا أن يجار عليهم أو يخاف؛ وليكن من فى تقدمته من الجيوش المنصورة مكلى العدد والعدد،

(١) فى الأصل "رعايا أسند اليه ما" الخ وهو خلط من النسخ .

ظَاهِرِي الْأُمَمَةِ الَّتِي هِيَ مَادَّةُ الْمَجَالِدَةِ وَعَوْنُ الْجَلْدِ؛ مُزَاحِي الْأَعْذَارِ فِيمَا يُرْسَمُ لَهُمْ بِهِ مِنْ
الرُّكُوبِ، مُزَالِي الْعَوَاقِقِ فِي النَّأْهِبِ لَمَّا هُمْ بِصَدَدِهِ مِنَ الْوُثُوبِ؛ حَافِظِي مَرَآئِكِرِهِمْ
حَفَظَ الْعَيُونِ بِأَهْدَائِيهَا، آخِذِي أَخْبَارَ مَا يَسْغُلُ الْبَحْرَ مِنْ قِطْعِ الْعِدَا فِي حَالِ بُعْدِهَا
كَحَالِ اقْتِرَابِهَا؛ بِحَيْثُ لَا يُشْرَفُ عَلَى الْبَرِّ مِنْ قِطْعِ الْخُذُولِينَ إِلَّا أَسِيرًا أَوْ كَسِيرًا،
أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ بَصَرَهُ إِلَى السَّوَاوِحِلِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ؛ وَلِيَكُنَّ
أَهْلُ الْجِبَالِ بِمَهَابَتِهِ كَأَنَّ [هَلْ] لَسَهْلٍ فِي حُسْنِ اقْتِيَادِهِمْ وَطَاعَتِهِمْ، وَيَصَدَّدَ عَنْهُمْ
بَسْطُوتِهِ مَجَالِ الْأَوْهَامِ الْمُتَّصِلَةِ فَلَا تَنْصَرِفُ إِلَى غَيْرِ مُجَاوِرِيهِمْ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَوَاقِعُ بِأَسِيهِمْ
وَتَجَاعَتِهِمْ؛ وَمِلَاكُ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ: وَهِيَ مِنْ أَحْصَى أَوْصَافِهِ، وَالْجَمْعُ بَيْنَ الْعَدْلِ
وَالْإِحْسَانِ وَهُمَا مِنْ تَنَاطُجِ إِنْصَافِهِ؛ فَيُجْعَلُهُمَا عِمْدَتِي حُكْمِي فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَاللَّهُ
تَعَالَى يَجْعَلُهُ مِنْ أَوْلِيَائِهِ الْمُتَّقِينَ وَقَدْ فَعَلَ؛ وَالْإِعْتَادُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

الوظيفة الثانية

(نِيبَاةُ قَلْعَةِ صَفَدِ)

وهذه نسخة مرسومة شريف نيبابة قلعة صفد المحروسة، من إنشاء المقر الشهابي
آبن فضل الله، كُتِبَ بِهِ لِلْأَمِيرِ سَيْفِ الدِّينِ «أَزَاقِ النَّاصِرِيِّ» خَامِسَ الْمُحَرَّمِ سَنَةِ
أَرْبَعٍ وَثَلَاثِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ، وَهِيَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ الْحِصُونَ بِرِفْعَةٍ ذُرَاهَا، وَسُمِّعَةٍ مَنْ فِيهَا مِنْ رِجَالِ تَحْمِي
أَهَا، وَتَحْطَفُ أَبْصَارَ السِّيُوفِ بِسَنَاهَا، وَتُصِيبُ بِرَمِيهَا حَتَّى قَوْمَسَ قُرْحَ إِذَا رَامَاهَا.
نَحْمَدُهُ حَمْدًا تَبَرُّزُ بِهِ الْمَعَاوِلُ فِي حِلَالِهَا، وَتَفْخَرُ بِهِ عَقَائِلُ الْفِصَالِ عَلَى سِوَاهَا؛
وَتَشْرُفُ بِهِ شُرُفَاتُهَا حَتَّى تَجْرَى الْحَجَرَةُ فِي رُبَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ
لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً يَطِيبُ جَنَاهَا، وَيَطْنِبُ فِي السَّمَاءِ مُرْتَقَاهَا؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا

مجداً عبده ورسوله الذى كتب به للأمم هداها ، وكبت عداها ، وبوأها مقاعد
للقتال تقصر دونها النجوم فى سراها ، صلى الله عليه على آله وصحبه صلاة لا ينقطع
عنهم قرأها ، وسلم تسليماً كثيراً دائماً إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن صفد صفت ، ووقت ووقت ، وكفت وكفت ، وجاورت البحر
فما غمضت عنه لدايديها عيون ، ولا خيطة لسيوفها بالكرى جفون ، ولا وئت
لرماحها عزائم شابت لثمها ، ولا أنتشت من السهام نبال تغيص ديمها ، ولا أطالت
مجانيقها الشكوت إلا لتهدر شقاشقها ، وتهد بها من الجبال شواحقها ، وتهول العدا
بما تريمهم من التهويل ، وترى به من كفاتها الحجارة من سجيل .

وهى القلعة التى يضرب المنل بحصاتها ، ويطمئن [أهل] الإسلام فى إبداع
أموالهم وأهلهم إلى أماتها ، قد أطلت على الكواكب نزولا ، وجردت على منطفة
بروجها من البروق نصولا ، وأتعبت الرياح لما حلفت إليها ، وأخانت الهلال حتى
وقف رقيباً عليها ، وفيها من جنودنا المؤيدة من تزيدهم بها مددا ، وتطيب قلوبهم
إذا خرجوا لجهاد أعداء الله وخلوا لهم فيها مالا وولدا . وكانت النياحة بهذه القلعة
المحروسة قد كادت تنطق بشكواها ، وتنظم من أساء صحتها لما تولأها ، واقتضت
أراؤنا العالية أن نخرج ظلامه ، عن صباحها ، ونقوض خيامه ، عما قرش على الفلك
الشاهقة من بطاحها ، وفكرنا فيمن له بالفلاع المحروسة دربة لا يخفى عليه بها سلوك ،
ولا يخاف معه على هذه الدرّة الثمينة فى سلوك ، ممن حمد فى دولتنا الشريفة مساء
صباح ، ومن كان فى أبوابنا العالية هو الفتاح ، ومن له همه تناط بالثريا مطالها ،
وعزومة ما أفضأ إلا قواضبها ، ومعرفة ما الرشح المتقف إلا تجارها ، وكفاية ما الغر
الزواهر إذا عدت إلا مناقبها .

وكان المجلس السامى - أدام الله عزه - هو المحقق إلى هذه المرتبة، والمحقق بالأصيل أزديتها المذهب، والمحقق في صفاته الورع، والمتره عن تدنيس طباعه بالطمع، وله في الأمانة اليد المشكورة، وفي الصيانة ما يمتع به ذبول السحاب المجرورة، ومن التقوى ما قرب عليه المطالب البطية، ومن الفروسية ما أخذ كل ذروة صهوة وكل جبل مطية، ومن الاستحقاق ما يسهل له من صدقاتنا الشريفة صفد: وفي اللغة أن الصفد هو العطية.

فرس بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه، وأحكمه وحكمه - أن يرتب في النيابة بقلعة صفد المحروسة: على عادة من تقدم وقاعدته في التقرير، وأما كيف يكون اعتماد، فسنرشد منه بصبح منير.

فقدم تقوى الله في سرك ونجواك، وأقصر على القناعة رجواك، وأحفظ هذه القلعة من طوارق الليل والنهار، وأعد من قبلك للقتال في قرى محصنة أو من وراء جدار، وأملأ سماءك حرساً شديداً، وشهباً وكثر رجائها لتبارى بهم الهجوم في أمثالها من بروج السماء عديداً، وخذ إلى طاعتنا الشريفة بقلوبهم وهم على ذلك وليكأ تريد أن يزيدهم توكيدا، وتألفهم على موالاتنا حتى لا تجد أنت ولاهم إلى المزيد مزيدا، وتفقد الذخائر والآلات، وتيقظ لما تلجئ إليه الضائقة في أوسع الأوقات، وحصن مبانيها، وحصل فيها من الذخائر فوق ما يكفيها، ومن السلاح ما هو أمتع من أسوارها، وأنفع في أوقات الحاجة مما تكثره الخزائن من درهمها ودينارها، من مجانبك كالعقارب شائلة أذنانها، دافعة في صدر الخطب إذا نابها، ترمي بشرر كالفصر، وتنزل من السماء آيات النصر، ومن قيسى: منها ما تدافع بالأرجل مرابي

(١) مراده واقصر رجاءك على القناعة ولكن اضطره السجع فاستعمل مصدرا للرجاء ليس فينا بأيدينا من

سهايمه ، ومنها ما تدور بالأيدى كأس حمامه ؛ ومنها ما يسكت إذا أطلق حتى لا يسمع كلامه ، ومنها ما يترنم إذا غنى بالحمام صوت حمامه ؛ و [من] سائر يستر بها وجهها المصون ، ومنها يُشاهد منها أقرب من يكون أبعد ما يكون ؛ ورهية تُجلى بها في كل ليلة عروسها المُنعمه ، ودراجة تحاط بهم من جهاتها الست وحدودها الأربعة ؛ وأقر نوب الحمام الرسائل فيها تسقط علينا وعلى الأخبار ، ويطوى المدى البعيد في أول ساعة من نهار ؛ وأفتح الباب وأغلقه بشمس ، واحترز على ما أشتمت عليه من مال ونفس ؛ وبقية الوصايا أنت بها أمس ، والله تعالى يزيل عنك اللبس ؛ والاعتقاد

الصنف الثاني

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذين يكتب لهم من الأبواب السلطانية صاحب ديوان الرسائل ، وناظر المال ، وناظر الجيش ، ووكيل بيت المال . وما عدا ذلك فإنه يكتب عن نائبها ، وربما كتب عن الأبواب السلطانية .

الصنف الثالث

([أرباب] الوظائف الدينية ، وهي على مرتبتين)

المرتبة الأولى : ما يكتب في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء ، وهم القضاة الأربعة .

المرتبة الثانية : من يكتب له في قطع العادة ، وتشتمل على قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، والحسبة ، ووكالة بيت المال .

الصنف الرابع^(١)

(أرباب الوظائف الديوانية)

والذي يكتب به من الوظائف الديوانية بها - ثلاث وظائف، يُكْتَبُ لكلّ منهم في قطع الثلث بـ «السامى» بالياء؛ وهم: صحابة ديوان المكاتب، ونظّر المال، ونظّر الجيش. فإن كُتِبَ لأحد غير هؤلاء، كتب له في قطع العادة.

النيابة السادسة

(نيابة غزّة)

وقد تقدّم أنها تارة تكون نيابة، وتارة تكون مقدمة عسكر، ومقدّم العسكرها يراجع نائب الشام في أموره. وبكلّ حال فالوظائف التي تُؤلّى بها من الأبواب السلطانية على صنفين:

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم إلا نائب السلطنة إن كانت نيابة، أو مقدّم العسكر إن كانت مقدمة عسكر. فكيفما كان فإنه يُكْتَبُ له تقليد في قطع الثمين بـ «الجناب العالى» مع الدعاء بدوام النعمة.

وهذه نسخة تقليد بنيابتها: كُتِبَ به للأمير «علم الدين الجاولى» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي، وهو:

(١) هذا الصنف زائد على ما في التقسيم ومع ذلك هو بمعنى الصنف الثاني وغاية ما في هذا أنه بين فيه اللقب وقطع الورق فتبه.

الحمد لله رافع علم الدين في أيامنا الزاهرة، بإقامة فرض الجهاد وإدامته، وجامع ربّ التقديم في دولتنا القاهرة، لمن تفرقت الثغور بين تفرق عدله وتآلق صرامته، وقاطع أطباع المعتدين بمن يتوقد بأسه في ظلال رقيقه توقد البرق في ظلل غمامته، وقامع أعدائه الكافرين بتفويض مقدمة الجيوش بأوامرنا إلى كلّ ولى يحنى النصر ويحنى من أفنان عزماته ووجاهة زعامته .

نحمده على نعيمه التي سددت ما يصدر من الأوامر عنا، وقلدت الربّ السنية بتقليدها أعزّ الأولياء منا منا، وربحت مهمات الثغور لدينا على ما سواها فلا تعدق أمورها إلا بمن تُعقد عليه الخناصر نفاسة به وضنا، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا تزال القلوب بإخلاصها متدينه، والألسنة بإعلانها مقرينه، والأسنة والأعنة متبارين في إقامة دعوتها التي لا تحتاج أنوارها البينة إلى البينة، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أشرف مبعوث إلى الأمم، وأكرم منوع بالفضل والكرم، وأعز منصور بالرعب الذي أغمدت سيوفه قبل تجريدتها في القم، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نهضوا بجهاد أعداء الله وأعدائه على أثبت قدم، وسروا لفتح ما زوى له من الأرض على جياذ العزائم وبجائب الهيم، وبدلوا نفائسهم ونفوسهم للذب عن دينه فلم تسرل أقدامهم حمر النعم، ولم يثن إقدامهم بيض النعم، صلاة لا يمل السامع نداءها، ولا تسأم الألسن إعادتها وإبداءها، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإننا من حين مكن الله لنا في أرضه، وأنهضنا بمننون الجهاد وفرضه، وقلدنا سيف نصره الذي انتصاه، وأقامنا لنصرة دينه الذي ارتضاه، لم يزل مهم كل ثغر مقدما لدينا، وحفظ كل جانب جاور العدو برا وبحرا متعينا على اعتنائنا

وَمُحِبِّبًا إِلَيْنَا ، فَلَا تُرْهِفْ لِإِيَالَةِ الْمَالِكِ إِلَّا مِنْ إِذَا جَرَدَ سَيْفَهُ أَعْمَدَهُ الرَّعْبُ فِي قُلُوبِ
 الْعِدَا ، وَمَنْ إِنْ لَمْ تَسْلُكِ الْبَحْرَ خَيْلُهُ بَتَّ فِي قُلُوبِ سَاكِنِيهِ سَرَايَا مَهَابَةٍ لَا تَرْهَبُ
 مَوْتًا وَلَا تَسْتَبْعِدُ مَدَى ؛ وَمَنْ إِذَا تَقَدَّمَ عَلَى الْجِيُوشِ أَعَادَ آحَادَهَا إِلَى رُتَبِ الْأُلُوفِ ،
 وَجَعَلَ طَلَائِعَهُمْ رُسُلَ الْخُتُوفِ ؛ وَأَعْدَاهُمْ بَأْسَهُ فَاسْتَقَلُّوا أَعْدَاءَهُمْ وَإِنْ كَثُرُوا ،
 وَأَغْرَاهُمْ بِمَعْنَى النَّكَايَةِ فِي كِتَابِ الْعِدَا : فَكَمْ مِنْ قَلْبٍ بِالرَّمَا حِ قَدْ نَقَطُوا وَكَمْ مِنْ
 هَامٍ بِالصَّفْحِ قَدْ نَثَرُوا .

وَلِذَلِكَ لَمَّا كَانَ فَلَانٌ هُوَ الَّذِي مَا زَالَ الدِّينَ يَرْفَعُ عِلْمَهُ ، وَالْإِقْدَامُ وَالرَّأْيُ يَبْتَأَنَّ
 فِي مَقَاتِلِ الْعِدَا كَلُومَهُ وَكَلِمَهُ ، وَالْعَدْلُ وَالْبَأْسُ يَتَوَلَّيَانِ أَحْكَامَهُ فَلَا يُمِضِيَانِ إِلَّا بِالْحَقِّ
 سَيْفَهُ وَقَلَمَهُ ؛ فَكَمْ نَكَسَ رَايَةَ عَدُوِّكَ كَانَتْ مُرْتَفَعَةً ، وَأَبَاحَ عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ مَعَاقِلَ
 شِرْكَ كَانَتْ مُتَمَتِّعَةً ؛ وَكَمْ زَلَزَلَ ثَبَاتَهُ قَدَمُ كُفْرٍ فَازَالَهَا ، وَهَزَمَ إِقْدَامَهُ جِيُوشَ بَاطِلٍ
 تَرْهَبُ الْآسَادُ زَالَهَا ؛ فَهُوَ الْعِلْمُ الْقَرْدُ ، وَالْبَطْلُ الَّذِي لَا وِلَايَاتَهُ الْإِقْبَالُ وَالنَّبَاتُ
 وَلَا عِدَائِهِ الْعَكْسُ وَالطَّرْدُ ؛ وَالْوَلِيُّ الَّذِي لَوْلَا أَحْتِفَالُنَا بِنَكَايَةِ الْعِدَا لَمْ نَسْمَحْ بِمِثْلِهِ ،
 وَالْهَامُ الَّذِي مَا عَدَقْنَا بِهِ أَمْرًا إِلَّا وَقَعَ فِي أَحْسَنِ مَوَاقِعِهِ وَأُسْنِدٍ إِلَى أَكْمَلِ أَهْلِهِ .

وَكَانَتْ الْبِلَادُ الْغَزَاوِيَّةُ وَالسَّاحِلِيَّةُ وَالْجَبَلِيَّةُ عَلَى سَاحِلِ الْبَحْرِ بِمَنْزِلَةِ السُّورِ الْمَشْرِفِ
 بِالرَّمَا حِ ، الْمَصْفَحُ بِالصَّفْحِ ؛ مُرُوجُهُ الْحَمَاهُ ، وَقَلَلُهُ الْكُكَاهُ ؛ لَا يَشِيمُ بَرَقَهُ مِنْ سَاكِنِي
 الْبَحْرِ إِلَّا أَسِيرٌ أَوْ كَسِيرٌ ، أَوْ مَنْ إِذَا رَجَعَ إِلَيْهِ طَرَفَهُ يَنْقَلِبُ إِلَيْهِ الْبَصْرُ خَاسِتًا
 وَهُوَ حَسِيرٌ ؛ وَبِهَا الْجَيْشُ الَّذِي كَمْ لَسِيُوفِهِ فِي رِقَابِ الْعِدَا مِنْ مَوَاقِعَ ، وَلَسُمِعْتِهِ
 فِي قُلُوبِ أَهْلِ الْكُفْرِ مِنْ إِغَارَةِ تَرَكَّتْهَا مِنَ الْأَمْنِ بِلَا قِيَامِ ؛ وَبِهَا الْأَرْضُ الْمَقْدَسَةُ ،
 وَالْمَوَاطِنُ الَّتِي هِيَ عَلَى التَّقْوَى مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَالْمَعَابِدُ الَّتِي لَا تُعَدُّ أُمُورَهَا إِلَّا بِمِثْلِهِ مِنْ
 أَهْلِ الدِّينِ وَالْوَرَعِ ، وَالْأَعْمَالُ الَّتِي هِيَ أَدْرَى بِمَا يَأْتِي مِنْ مَصَالِحِهَا وَأَذْرَبُ بِمَا

يَدَع - آفَتَصَتْ آرَاؤُنَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَعِدَّقَ بِهِ نِيَابَةَ مُلْكِهَا ، وَزَيْنَ بِلَالِي مَفَاخِرِهِ
عُقُودَ سِلْكِهَا ؛ وَأَنْ نَفُوضَ إِلَيْهِ زَعَامَةَ أَبْطَالِهَا ، وَتَقْدِيمَةَ عَسَاكِرِهَا الَّتِي تَلْقَى الْبَحْرَ
بِأَزْحَرٍ مِنْ عُبَابِهِ وَالْأَرْضَ بِأَثْبَتٍ مِنْ جِبَالِهَا ؛ وَأَنْ نَزِيحَ بِجَرِّهَا مِنْ مَهَابَتِهِ بِأَهْوَلٍ
مِنْ أُمُوجِهِ ، وَأَمْرًا فِي لَهَوَاتِ سَاكِنِيهِ مِنْ أُجَاجِهِ ؛ لَتَغْدُوَ عَقَائِلُ أَهْلِهِ ، أَرْقَاءَ سَيْفِهِ
الْأَبْيَضِ وَذَائِلِهِ ، وَيَتَّبِرَ الْعُدُوُّ الْأَزْرَقُ مِنْ بَنِي الْأَصْفَرِ ، خَوْفُ بَأْسِهِ الْأَحْمَرِ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ كَيْتٌ وَكَيْتٌ : تَفْوِيضًا يَحْقُقُ
فِي مِثْلِهِ رَجَاءَهَا ، وَزَيْنٌ بَعْدَ إِجْرَاءِهَا ؛ وَيَصُونُ بِبَأْسِهِ قَاطِنَهَا وَظَاطِنَهَا ، وَيَعْمُرُ
وَيَغْمُرُ بِرِفْقِهِ وَإِنصَافِهِ مَسَاكِنَهَا وَسَاكِنَهَا .

فَلْيَبِشِرْ هَذِهِ الرَّتَبَةَ الَّتِي يُكَلِّلُ بِهَا سُعُودُهَا ، وَتُجَمَّلُ بِهَا عُقُودُهَا ؛ مَبَاشِرَةً يُجِبُّ
بِأُسْهَا اللَّيُوتَ فِي أَجْمَاتِهَا ، وَيُعِينُ عَدْلُهَا الْغُيُوتَ عَلَى دَفْعِ أَرْمَاتِهَا ؛ وَيَغْدُوَ بِهَا الْحَقُّ
مَرْفُوعَ الْعَلَمِ ، مَسْمُوعَ الْكَلِمِ ، مَا ضَى السَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، مَمْدُودَ الظِّلِّ عَلَى مَنْ بَهَا
مِنْ أَنْوَاعِ الْأُمَمِ . وَلْيَأْخُذِ الْجِيُوشَ الَّتِي بَهَا مِنْ إَعْدَادِ الْأَهْبَةِ بِمَا يُزِيلُ أَعْدَارَهُمْ
عَنِ الرُّكُوبِ ، وَيُزِيحُ عَوَائِقَهُمْ عَنِ الْوُتُوبِ ؛ وَيَجْعَلُهُمْ أَوَّلَ مَلَبٍّ لِدَاعِي الْجِهَادِ ،
وَأَسْرَعَ مُجِيبٍ لِنِدَاءِ أَلْسِنَةِ السُّيُوفِ الْحِدَادِ ؛ وَيَنْظُمُ أَيْزَاكِهِمْ عَلَى الْبَحْرِ أَنْتِظَامِ
النُّجُومِ فِي أَفْلَاكِهَا ، وَالشُّدُورِ فِي أَسْلَاحِهَا ، فَلَا تَلُوحُ لِلْأَعْدَاءِ طَرِيدَةٌ إِلَّا طُرِدَتْ ،
وَلَا قِطْعَةٌ إِلَّا قِطِعَتْ ؛ وَلَا غُرَابٌ إِلَّا حُصَّتْ قَوَادِمُهُ ، وَلَا شَاخِ عِمَارَةٍ إِلَّا وَأُتِيعَ
لَهُ مِنَ اللَّهَازِمِ هَادِمُهُ . وَلْيُعَلِّلْ مَنَارَ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ بِأَمْضَاءِ أَحْكَامِهِ ، وَمُعَاضِدَةَ
حُكْمِهِ ، وَالْأَقْيَادِ إِلَى أَوَامِرِهِ ، وَالْوُقُوفِ مَعَ مَوَارِدِ نَهْيِهِ وَمَصَادِرِهِ ؛ وَلْيَكُنْ وَطْأَتُهُ
عَلَى أَهْلِ الْعِنَادِ مُشْتَدَّةً ، وَمَعْرِفَتُهُ تَضَعُ الْأَشْيَاءَ مَوَاضِعَهَا : فَلَا تَضَعُ الْحِدَّةَ مَوْضِعَ
الَّذِينَ وَلَا اللَّيْنَ مَوْضِعَ الْحِدَّةِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ وَإِنْ بَعُدَ عَنِ أَبْوَابِنَا الْعَالِيَةِ مَخْصُوصٌ مِنَّا

بمزية قُربه ، مختص بمنزلة إخلاصه التي أصبح فيها على بيّنة من ربه ؛ وجميع ما يذكر من الوصايا فهو مما يُحكى من صفاته الحسنه ، وأدواته التي ما برحت الأفلام في وصف كمالها فصيحة الألسنة ؛ وملاكمها تقوى الله وهي في خصائصه كلمة إجماع ، وحلية أبصار وأسماع ؛ والله تعالى يعلي قدره وقد فعل ، ويؤيده في القول والعمل ؛ والاعتماد



وهذه نسخة تقليد بتقدمة العسكر بغزة المحروسة :

الحمد لله مبدئ النعم ومعيدها ، ومؤكّد أسبابها بتجديدها ، ومعلي أقدارها بمزايا مزديدها ؛ الذي زين أعناق الممالك من السيوف بتقليدها ، وبين من ميامنه ما ردت إليه بمقاليدها .

نحمده بحماده التي تفوت الدراري في تنصيدها ، وتُفوق الدرّ فيتمنى منه عقد فريدها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نافعة لشهيدها ، جامعة لتوحيدها ، ناقمة لأهل الجحود مما يورد الأرض بالدماء من وريدها ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي كثر الأمم بأمنته في عديدها ، وظاهر على أعداء الله بمن يُقل بأس حديدها ، فيرسل من أسننه نجومًا رجومًا لمريدها ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتظافر بتأييدها ، وسلم تسليًا كثيرا .

وبعد ، فإن من عوائد دولتنا القاهرة أن تعود بإحسانها ، وتجوّد بثبوت كلّ قدم في مكانها ؛ وإذا ولت عرف سمحها عن جهة عادت إليها ، أو سلبت لها رونقاً أعادت بهجته عليها ؛ وكانت البلاد الغزاوية وما معها قد تمتعت من قدماء ملوك

(١) في الأصل «ممالك» وهو لا يناسب المقام .

بيتنا الشريف بسيف مشهور، وبطل نسام بوارق عزيمه في الثغور؛ وهو الذي عم بصيئه بلادها سهلاً وجبلاً، وعمر روضها بعدل أغنادا أن يسقي ظلّ ظللاً، وجمع أعمالها براً وبحراً، ومنع جانبيها شاماً ومصرأ؛ وألف أهلها منه سيرة لولا ما استأثرنا الله به من سره لما أفقدناهم في هذه المدة حلاوة مذاقيها، وسيرة لا نرضى معها بكف الثريا إذا بسطت لأخذ ميثاقها؛ ولم ترفع يده إلا لأمر قضى الله به لأجل موقوت، ومضى منه ما يعلم أنه بمرجوعه القريب لا يقوت؛ لأن الشمس تغيب لتطالع بضوء جديد، والسيف يغمد ثم يتنقى فيقذ القذ والجيد؛ والعيون تشهد ثم يعاودها الرقاد، والماء لو لم يفقد في وقت لما وجد لموقعه برد على الأجداد.

فلمّا بلغ الكتاب أجله، وأخذ حقه من المسألة؛ وانتقل من كان قد استقر فيها إلى جوار ربّه الكريم، وفارق الدنيا وهو على طاعتنا مقيم - أقتضت آراؤنا الشريفة أن يراجع هذه العقيلة كفؤها القديم، وترجع هذه الأرض المقدسة إلى من فارقتها وما عهدت بديم؛ من لم تزل به عقائل المعامل تُصان، وخُصُورُ الحصون بمحائل سُيوفه تُزان، ومباسم الثغور تُحمى في كل ناحية من أسننه بلسان؛ وحمى الثغرين وما بينهما من الفجاج، وجاور البحرين فنع جانبيهما: فهذا عذب فرات وهذا ملح أجاج؛ وله في العدا وقائع زلزلات لمواقمها الألوفا، ومواقف لولا ما نعمت فيها من غربان البين لطلّ على الديار الوقوف؛ وهو الذي مدحت له في بيتنا المنصور المنصوري من الخدمة سوابق، ومجدت طرائق؛ وكثرت محاسن، وكبرت ميامن؛ ولمعت كواكب، وهمعت سخائب؛ وصدحت حمائم، وفوّجت كائيم؛ وعزّت جيوشنا المؤيدة له بمضارب، وهزّت سيوفاً حدادا وهو بالسيف ضارب.

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته - هو الذى حُمدت له آثار، وحُسنت أخبار؛ وعمت مدح، وتمت منح؛ فرسمنا بإقراره من هذا المنصب الشريف^(١) فى محله، وإعادته إلى صيب وبه، وإقامة أهلها مطمئنين فى عدله، وإقرار عيون من أدرك زمانه بعوده ومن لم يدرك زمانه بما سيروته من فضله.

فرسم بالأمر الشريف - لازالت ملايس نعيمه، تُخلع وتلبس برودها، وعرائس كرمه، تُفارق ثم تُراجع غيدها - أن تفوض إليه أمور غرة المحروسة وأعمالها وإلادها، والتقدمة على عساكرها وأجنادها؛ والحكم فى جميع ما هو مضاف إليها من سهل ووعر، وبر وجر، وسواحل وموانى، ومجرى خيول وشوانى؛ ومن فيها من أهل عمد، ورعايا وتجار وأعيان فى بلد؛ ومن يتعلق فيها بأسباب، ويعد فى صف كتيبة وكتاب؛ على عادة من تقدم فى ذلك، وعلى ما كان عليه من المسالك.

وسنخصر له الوصايا لأنه بها بصير، وقد تقدم لها على مسامحة تكثير، ورأس الأمور التقوى وهو بها جدير، وتأيد الشرع الشريف فإنه على هدى وكتاب منير، والأطلاع على الاحوال ولا ينبتك مثل خير.

والعدل فهو العروة الوثقى، والإنصاف حتى لا يجد مستحقا؛ والعفاف فإن التطلع لما فى أيدى الناس لا يزيد رزقا، والإنصاف بالذكر الجميل هو الذى يسقى؛ وعرض العسكر المنصور ومن ينضم إليه من عربيه وتركانه وأكواده، وكل مكبر فى بحافله ومكثير لسواده؛ وأخذهم بالتأهب فى كل حركة وسكون، والتيقظ بهم لكل سيف مشحود وفلك مشحون؛ والاحتراز من قبيل البر والبحر، وإقامة كل يرك فى موضعه كالقلادة فى النحر؛ ولا يعين إقطاعا إلا لمن يقطع باستحقاقه،

(١) فى الأصل «من أقراره فى» وهو تصحيف الا أن يكون الأصل فرسمنا مارسمنا من الخ.

ويُصَمِّعُ العِسا بما يَعْرِفُ في صَفَحَاتِ الصَّفاح من أخلاقه ؛ ولا يُحِلُّ المباشِرِينَ من عنايةِ تَمَدُّدِ إليهم ساعِدِ المِساعدِ ، فلا يُحِلُّوا في البلادِ بَعارةً تَعُدُّو في حُلِّها ما نَدَّه ؛ وليحفظ الطُّرُقَاتِ حَفْظًا تكون به مَمْنوعه ، ويَمسِكُ المِسالِكَ فإنَّه في مَفَرِّقِ طرقاتها المِجموعه ؛ وليقدِّمُ مُهمَّاتِ البَرِيدِ وما يَنْطِقُ على جِناحِ الحِمامِ ، وليتَّخِذْهُما نَصَبَ عَيْنِيهِ في اليَقْظَةِ والمَنامِ ؛ فَرُبُّ غَفْلَةٍ لا يَسْتَدْرِكُ فائِتها رَكْضُ ، ورسالةٌ لا يَبْلُغُها إلا رِسولٌ يَنْزِلُ من السِماءِ وَأَنْخُرُ يَسِيحُ في الأَرْضِ ؛ ويرصُدُ ما تَرَدُّ به مِراسِمُنَا العالِيَةِ لِيَسارِعَ إليه مُمْتِلا ، ويَطالِعُنَا بما يَتَجَدَّدُ عنده حَتَّى يَكُونَ لَدِينا مُمْتِلا ؛ وهو يَعلمُ أَنَّهُ واقِفٌ من بابنا الشَريفِ بالمِجازِ ، وَقَدَّامِ عَيْنِنَا حَقِيقَةً وإن قِيلَ على طَريقِ المِجازِ ؛ فليؤاخِذْ نَفْسَهُ مِواخِذَةً من هِوِينِ يَدِينا ، وَيَعْمَلْ بما يَسُرُّه أن يَقدِّمَ فيما يُعْرَضُ من أَعْماله عَلينا ؛ واللهُ تَعَالَى يَزِيدُهُ حُظُوةً لَدِينا ، وَيؤيِّدُ به الإسلامَ حَتَّى لا يَدَعَ على أَعْداءِ اللهِ لِلدِّينِ دِينًا ، والأَعْتادِ

الصنف الثاني

(الوظائف الديوانية بقرعة)

وبها ثلاثُ وظائفٍ : يُكْتَبُ لِكُلِّ منها في قَطْعِ العادةِ بـ«السامى» بغيرِ ياء .
وهي : كِتابَةُ الدَّرَجِ القائِمَةُ مِقامَ كِتابَةِ السَّرِّ ، ونظَرُ المِمالِ ، ونظَرُ الجِيشِ . قال في «التنقيف» : أَمَّا قاضِيها ومَحْتَسِبُها ووكيلُ بيتِ المِمالِ بها ، فإنَّهم نَوَّابٌ عن أربابِ هذه الوظائفِ بالسَّامِ ، فلا يَكْتَبُ لأحدٍ منهم شَيْءٌ عن المواقِفِ الشَريفَةِ .
قلتُ : وما ذَكَرَهُ بِناءٍ على أَنَّها تَقَدِّمُهُ عَسْكَرُ . أَمَّا إذا كانت نِيايَةً فإنَّ هذه الوظائفِ يَكْتَبُ بها عن الأبوابِ السُّلْطانيَةِ . وقد يَكْتَبُ حينئِذٍ بوِكالَةِ بيتِ

المال والحسبة عن النائب ، ويكون ذلك جميعه في قطع العادة ، مفتتحاً بـ «بأماً بعد» في المنصوري ، أو بـ «رُسم» في الصغير ، على حسب ما يقتضيه الحال .
على أنه قد حدث بها في الدولة الظاهرية قاض حنفي يكتب له من الأبواب السلطانية .

النيابة السابعة

(نيابة الكرك . وأرباب الولايات بها من الأبواب السلطانية على أصناف)

الصنف الأول

(أرباب السيوف)

وليس بها منهم غير نائب السلطنة ، ويكتب له تقليد في قطع الثلثين بـ «المجلس العالي» .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كتب به للأمر «سيف الدين ايتمش» من إنشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي ، وهو :

الحمد لله الذي خصَّ بعزائنا معاقِلَ الإسلام وحُصُونَه ، وبصُرنا باختيار من تُربُّه
في كلِّ معقلٍ منها من أجداد الأُمراء ليحفظه ويصونه ، وجعلها بعنايتنا روضاً تجتلي
أبصارُ الأولياء من بيض صفاحتنا نوره وتجتني من سمر رماحنا عُصُونَه ، وعوذها
من آيات الحرس بما لا تزال حُماتها وكُتُها يروون خبره عن سيفنا المتصني لحفظها
ويقصونه .

نحمدُه على نعيمه التي أعلت بنا بناء الممالك ، وحاطتها من نبيل مهايتنا ، بما لو تسَلَّت
بينه الأوهام ضاقت بها المسالك ، وصفحتنا من صفاح عنايتنا ، بما يحول برقه

بينها وبين ما يستر طيف العدا من الظلام الحالك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من أوى إلى حرم إخلاصها ، وتنجي غداً من غداً من أهل تقربها وأختصاصها ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت ملته ، فلم تخف على ذي بصر ، وعلت شرعته ، فغداً باع كل ذي باع عن معارضتها ذا قصر ، وسمت أمته ، فلو جالدها معاد أوبقه الحضر أو جادلها مناو أوثقه الحصر ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانت معاقلهم صهوات جياهم ، وحضونهم عرصات جلادهم ، وخيامهم ظلال سبيوفهم وظلالهم أفياء صعادهم ؛ صلاة لا يزال الإخلاص لها مقياً ، والإيمان لها مديماً ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى الحصون الإسلامية بأن تحوط عنايتنا أركانها ، وتعاهد رعايتنا مكانها ؛ وتلاحظ مهايتنا أحواله فتحليها ، وتشهد أوامرنا قواعده فتشيد بها بجمل النظر وتعليقها ؛ وتحول سطواتنا بين آمال الأعداء وتوهمه ، وتحجب مخافة بأسنا أفكار أهل العناد عن تأمل ما في الضمير وتوشيمه - حصن انعقد الإجماع على انقطاع قرينه ، وأمتناع نظيره فيما خصه الله به من تحصيله ؛ فهو فرد الدهر العزيز مثاله ، البعيد مثاله ؛ المستكنة في ضائر الأودية الغوامض بقعته ، المستجنة بقلل الجبال الشواحق تقعته ، السائر في أفطار الأرض صيته وسمعته .

ولما كانت قلعة الكرك المحروسة هي هذه العقيلة التي كم ردت آمال الملوك راعمه ، ومنعت أهواء النفوس أن تمثلها في الكرى الأجناف الحالمه ؛ وكان فلان ممن ينهض مثله بحفظ مثيلها ، ويعلم أن أماتها التي لا تتجملها الجبال قد أودعت منه إلى كفتها ووضعت كفايتها في أهلها ؛ فهو سيفنا الذي يحوطها دبابه ، وولينا الذي من طمح بصره إلى أفق حله أحرقه شهابه ، ونشو أيا منا التي تنشئ كل لث يقص

الظفر ظفره وينبو بالسيوف نأبه ، وغدي دولينا الذي ما أعتدنا فيه على أمر إلا
كرم به نهوضه وحسن فيه منابه - اقتضت آراؤنا الشريفة أن نحصها بمهابة سيفه ،
ونحصنها بما فيه من قوة في الحق تكف كل باع عن حيفه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت الحصون المصونة تحتال من ملكه في أبي
الحلل ، وتعلو معاقل الكفر بسططانه علو ملة الإسلام على الملل - أن تفوض إليه
نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس تفويضا يعلي قدره ، ويطلع في أفقها
بدره ، ويطلق في مصالحها سيفه بالحق وقلمه ، ويمضي في حمايتها أفعاله وكلمه ،
ويسدد في أمورها آراءه المقرونة بالصواب وهمه .

فليأشر هذه الرتبة العلية صورة ومعنى ، المليئة إذا طاوالت الكواكب بأن
لا يعلم لها أسنى وأسنى ؛ وليجتهد في مصالحها اجتهدا يوالى له من شكرنا المنع ،
ويأتي فيه من مواضينا بالعرض المقترح ؛ ويزيدها إلى حصانتها حصانة وقوة ،
ويزينها بسياسته التي تغدو قلوب أهل العناد بخافيتها مغزوه . ولينظر في مصالح رجالها
فيكون لحمايتهم مقدما ، ولتقدمهم مكرما ؛ ولأعذارهم مريحا ، ولخواطيرهم بتيسير
مقرراتهم مريحا . وليكن لمنار الشريع الشريف معظما ، ولأحكامه في كل عقد محكما ؛
ولما قرب وبعد من بلاد نيابته عامرا ، ولأكف الجور عن الرعية كافا ؛ فلا يبرح
عن الظلم ناهيا وبالعدل آمرا ؛ وملاك الوصايا تقوى الله فليجعلها حلية نفسه ،
ونجى أنسه ، ووظيفة اجتهاده التي تظهر بها مزية يومه على أمسه ؛ والله تعالى
يسدده في أحواله ، ويعضده في أفعاله وأقواله ؛ بمنه وكرمه ! .

(١) لعله «أن لا يعلم أسنى منها وأسنى» .



وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك ، كُتِبَ به للأُمير «تلكتمر الناصري»
عند ما كان المقرّ الشهابي أحمد ولّد السلطان الملك الناصر بالكرك ، وهو :

الحمدُ لله الذي جعل بنا الممالك مُحَصَّنَةً الحُصُونِ ، نَجْمِيَّةً بِكُلِّ سَيْفٍ يَقْطُرُ مِنْ
حَدِّهِ الْمُنُونُ ، مُنْعَةً لَا تَنْخَطِي إِلَيْهَا الظُّنُونُ ، مُحَجَّبَةً لَا تَرَاهَا مِنَ النُّجُومِ عِيُونَ ؛ رَافِلَةً
مِنَ الْكَوَاكِبِ فِي عَقْدِ تَمِيمٍ ، مَنِيعَةً أَشْبَهتِ السَّمَاءَ وَأَشَقَبَتْ بِهَا فَأَصْبَحَتْ هَذِهِ
الْبُرُوجُ مِنْ هَذِهِ لَا تَبِينُ .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي رَفَعَتِ الْأَقْدَارَ ، وَشَرَّفَتِ الْمَقْدَارَ ، وَحَلَّتْ فِي مَمَالِكِ الشَّرِيفَةِ
كُلَّ عَقِيلَةٍ مَا كَانَ مِعْصَمُهَا الْمُتَمَدُّ إِلَى الْهَلَالِ لِيُتْرَكَ بِغَيْرِ سِوَارٍ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً رَفَعَتْ لِلْحُصُونِ الْعَالِيَةِ رُتْبًا ، وَمَلِكَتْ بِهَا سَمَائُهَا
حَرَسًا وَشُمُهَا ، وَأَعْلَتْ مَكَانَهَا فَاقْتَبَسَتْ مِنَ الْبَرْقِ نَارًا وَوَرَدَتْ مِنَ السَّحَابِ قُلُوبًا ؛
وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَشْرَفُ مَنْ بَعَثَ وَوَلَاةٌ عَلَى الْأَمْصَارِ ، وَكُفَاةٌ عَلَى
الْأَقْطَارِ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ مَا صَدَحَتْ الْحَمَائِمُ ، وَسَفَّحَتْ الْغَيْمُ ؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ خَيْرَ مَنْ حُمِيَتْ بِهِ الْمَمَالِكُ ، وَحُدِّثَتْ - وَوَلَّهِ الْمِنَّةُ - مِنْهُ الْمَسَالِكُ ،
وَأَرْتَقَتْ هِمَمُهُ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مَنْ حَصَلَ الْوُثُوقُ بِهِ
فِي أَشْرَفِ مَمْلَكَةِ لَدَيْنَا ، وَأَفْضَلُ مَا يُعْرَضُ فِي دَوْلَتِنَا الشَّرِيفَةِ مِنْ أَعْمَالِهَا الصَّالِحَةِ
عَلَيْنَا : وَهِيَ الَّتِي قَعَدَتْ مِنَ الْجِبَالِ عَلَى مَفَارِقِهَا ، وَأَتَّصَلَتْ مِنَ النُّجُومِ بِعَلَائِقِهَا ؛
وَتَحَدَّرَتْ الْغَيْمُ مِنْ ذُبُوبِهَا ، وَطَفَّتْ عَلَى السَّمَاءِ وَطَافَتْ عَلَى الْكَوَاكِبِ بِفِرَّتِ الْحَجَرَةِ

من سُيُوهَا . وكان الكرك المحروس هو المراد ، ومدينته التي لم يُحَاقَ مِنْهَا في البلاد ،
 وَقَلَعْتُهُ نَشَكِّي الرِّيحَ لها طَلُوعَ وَادٍ وَزُولَ وَادٍ ؛ وهي أَرْضٌ تَمُتُّ بِأَنَّهَا لَنَا سَكَنٌ ،
 وَتَمَّتْ مَنَاقِبُهَا بِمَا فِي قُلُوبِنَا مِنْ حُبِّ الْوَطَنِ ؛ وَأَسْتَقَرَّتْ لِلْقَامَاتِ الْعَالِيَةِ أَوْلَادِنَا
 - أَعَزَّزَهُمُ اللَّهُ بِنَصْرِهِ - فَانْتَقَلَتْ مِنْ يَمِينٍ إِلَى يَسَارٍ ، وَتَقَابَلَتْ بَيْنَ شُمُوشٍ وَأَقْسَارٍ ،
 وَجَادَ بِهَا الْبَحْرُ عَلَى الْأَنْهَارِ .

فَلَمَّا خَلَّتْ نِيَابَةُ السُّلْطَنَةِ الْمَعْظَمَةِ بِهَا عَرَضْنَا عَلَى آرَائِنَا الشَّرِيفَةِ مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ
 الْقُلُوبُ ، وَيَحْصُلُ الْمَطْلُوبُ ، وَتَجْرِي الْأُمُورُ بِهِ عَلَى الْحُسْنَى فَيَا يَنُوبُ ؛ وَتُبَارَى
 عِزَائِمُهُ الرِّيحَ بِمِرْمِي كُلِّ مَقْلَةٍ وَهَزَّةٍ جَيِّدٍ ، وَلَا يُسَكُّ فِي أَنَّهُ كُفُوُ هَذِهِ الْعَقِيلَةِ ،
 وَكَافِي هَذِهِ الْكِفَالَةِ الَّتِي مَا هِيَ عِنْدَ اللَّهِ وَلَا عِنْدَنَا قَلِيلَةٌ ، وَكَافِلُ هَذِهِ الْمُلْكَةِ الَّتِي كَمَّ
 بِهَا بَيِّنَةٌ أَحْسَنُ مِنْ بَيِّنَةٍ وَتَحْمِيلَةٌ أَحْسَنُ مِنْ تَحْمِيلَةٍ ؛ مَنْ كَانَ مِنْ أَبْوَانِنَا الْعَالِيَةِ مَطَّلَعُهُ ،
 وَبَيْنَ أَيْدِينَا الشَّرِيفَةِ لَا يُجْهَلُ مَوْضِعُهُ ؛ طَالَمَا تَكَلَّمْتُ بِهِ الصَّفُوفَ ، وَتَجَمَّلْتُ بِهِ
 الْوُقُوفَ ، وَحَسَّنَ كُلَّ مَوْصُوفٍ ، وَلَمْ تَخْفَ مَحَاسِنُهُ الَّتِي هُوَ بِهَا مَعْرُوفٌ ؛
 كَمَّ لَهُ شَيْئَةٌ عَلَيْهِ ، وَهَمَّةٌ جَالِيَةٌ ، وَتَقْدِيمَاتُ إِقْدَامٍ بِكُلِّ نَهَائِيَةٍ غَايَةِ مَالِيَةٍ ، وَعِزَائِمُهَا
 بِنَعْتِهِ مِضَاءُ السَّيْفِ وَبِاسْمِهِ قُوَّةُ الْحَدِيدِ وَهِيَ بِالنَّسْبَةِ إِلَيْهِ مُلْكِيَّةٌ ؛ وَكَانَ الْمَجْلِسُ
 الْعَالِيُّ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ لَا يَسِرُّ هَذِهِ الْبُرُودَ الَّتِي رُقِيتْ ، وَالْعُقُودَ الَّتِي نُظِمَتْ ،
 وَجَامِعَ هَذِهِ الدَّرَرِ الَّتِي قُيسَتْ ، وَالدَّرَارِيَّ الَّتِي سَمَتْ إِلَى السَّمَاءِ لَمَّا أُوسِمَتْ ؛ وَهُوَ
 مِنَ الْمَلَائِكِ فِي الْوَقَارِ ، وَلَهُ حُكْمُ كَلِمَاتٍ وَأَسُّ يَقْطَعُ الْأَشْجَارَ ، وَهُوَ مَلِكٌ نِصْفُهُ
 الْإِنْسَانُ مِنْ حَدِيدٍ كَمَا أَنَّ اللَّهَ مَلَائِكَةٌ نِصْفُهُمْ مِنَ النَّجْمِ وَنِصْفُهُمْ مِنْ نَارٍ ؛ وَهُوَ الَّذِي
 أَقْنَضَتْ آرَائُونَا الشَّرِيفَةَ أَنْ نَجْعَلَهُ فِي خِدْمَةِ وَلَدِنَا - أَمْتَعَهُ اللَّهُ بِبِقَائِنَا - نَائِبًا بِهَا ،
 وَقَائِمًا بِحَسَنِ مَنَابِهَا ؛ وَالْمُنْتَصِرَفَ فِيهَا بَيْنَ أَيْدِيهِ الْكَرِيمِ ، وَالْمَتَلَقِّي دُونَهُ لِأُمُورِهَا الَّتِي
 قَلَدْنَا بِهَا عُنُقَهُ أَمَانَةً عَظِيمَةً .

فلذلك نخرج الأمر الشريف - لا زال به سيف الدين ماضيا ، ولا برح كل واحد بحكم سيفه في كل تجريد وقلمه في كل تقليد راضيا - أن نفوض إليه نيابة السلطنة الشريفة بالكرك المحروس وما معه على عادة من تقدمه فيها ، وقاعدته التي يتكفل لها بالإحسان وبكف العُدوان ويكفيها ؛ وكل ما فيها من أمر فهو به منوط ، وكل عمل لها به محوط ، وحكمه في مصالحنا الشريفة في جميع بلادها مبسوط ، وله تطالع الأمور ومنه تصدر المطالعة ؛ وبه تُزال كل ظلامه ، وتُراح كل ملامه ؛ ويُؤيد الشرع الشريف ويُؤبد حكمه ، ويثري علمه ويُشر علمه ؛ وتقام الحدود بحده ، والمهابة بحده . ورجال هذه القلعة به تتألف على طاعتنا الشريفة قلوبهم ، والراعايا يعمهم بالعدل والإحسان وأيسر ما عندنا مطلوبهم ؛ وهؤلاء هم شيعتنا قبلك ، ورعيقتنا الذين هم لنا ولك ؛ فرفرق عليهم بيمينك ، وخذهم بسماحك ؛ والمُسارعة إلى امتثال مراسمتنا الشريفة هي أول ما نوصيك باعتماده ، وأولى ما يقبس من نوره ويُستمد من أمداه ؛ فلا تُقدم شيئا على الانتهاء إلى أمره المُطاع ، والعمل في السمع والطاعة باكر له ما يمكن أن يستطاع ؛ وخدمة أولادنا فلا تدع فيها ممكنا ، وأعلم بأن خدمتهم وخدمتنا الشريفة سواء لأنه لا فرق بينهم وبيننا ؛ وهذه القلعة هي التي أودعناها في يمين أمانتك ، وحميناها بسيفك وصنناها بصيانتك ؛ فالله الله ! في هذه الوديعه ، وأد الأمانة فإنها نعمت الذريعة ؛ وأحفظها بقوة الله وتحفظ بأسوارها المنيعه ، وعليك بالتقوى لتقوى والوقوف عند الشريعة ؛ والله تعالى يزيدك علوا ، ويبلغك مرجوا ؛ والاعتماد

قلت : ورُبما ولي نيابة الكرك من هو جليل الرتبة رفيع القدر ، من أولاد السلطان أو غيرهم ، فتعظم النيابة بعظمه ، ويرفع قدرها بارتفاع قدره ، وتكون مكاتبته وتقليده فوق ما تقدم ، بحسب ما يقتضيه الحال من «الجناب» أو غيره .

وهذه نسخة تقليد بناية السلطنة بالكرك، كُتبت بها عن السلطان الملك الناصر «محمد بن قلاوون» لولده الملك الناصر «أحمد» قبل سلطنته، وكتب له فيه بـ «الجناب العالی»، من إنشاء الشريف شهاب الدين، وهي :

الحمد لله الذي أسعدنا بولاية الملك والمالك، وأرشدنا للرأي المصيب في أن
تسقينب من نشاء من ذلك ؛ وأيدنا بالعون والصون في حفظ ما هنا ولحظ
ما هنالك، وعودنا الإمداد بيمينه المتداول والإيجاد بيمينه المتدارك ؛ وسدنا بالفضل
والإسعاف إلى أن نتبع من العدل والإنصاف أنجح السبل وأوضح المسالك، وعضدنا
من ذريتنا بكل تجل معرق، ونجم مشرق، يرشق شهابه، في الكرب الحائل ويأتلق
صوابه، في الخطب الحالك ؛ وأفردنا بالنظر الجميل، والفكر الحليل، إلى أسعد تحويل
تير بمرآته في الآفاق الشهب الطوالع وتسير بئسراه في الأقطار الشجب الروانك .^(١)

نحمده ! وكيف لا يحمده العبد المالك ! ، ونشكره على أن أهلنا لإقامة الشعا
وإدامة المناسك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جل في جبروته، عن
مشابه وتعالى في ملكوته، عن مشارك ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي
أنجد جنوده من الملأ الأعلى بالملائك ، وأمد بعونه بالنصر والظفر في جميع المواقف
والمعارك ؛ وأيد أمته بولاية ملوك يجلسون في النعم على الأرائك، ويحرسون حامي
الدين بجهادهم وأجتهادهم من كل فأتين وفأتك ؛ صلى الله عليه وعلى آله سفن النجاة
المؤمنين من المخاوف والمنقذين من المهالك ، ورصى الله عن أصحابه الذين نظموا
شتمل الإيمان، وهزموا جمع البهتان، بكل باتر وفأتك ؛ صلاة ورضوانا يضحى لقاتلها

(١) أي القرىبات الخطا .

في اليوم العَبُوسِ الْوَجْهُ الطُّلُقُ وَالنَّغْرُ الضَّاحِكُ ، وَيُنْشَرُ فَيُحْشَرُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصَّادِقِينَ
وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أَوْلِيَاكَ ، مَا أَتَهَّلَ بِصَالِحِ الدُّعَاءِ ، وَنَاجِحِ الْإِسْتِدْعَاءِ ،
لَأَيَّامِنَا كُلِّ عَابِدٍ وَنَاسِكٍ ، وَعَوَّلِ حُسْنُ آرَاتِنَا عَلَى تَقْدِيمِ مَنْ هُوَ لِحَمِيلِ آثَارِنَا سَالِكٍ ،
وَأَقْبَلِ بِالْإِقْبَالِ سَنًا شِهَابِيَهُ الْمُنِيرِ يَجْلُو مَا تُثِيرُ مِنْ لَيْلِ تَقَعِهَا السَّنَائِكُ ، فَخِصْلِ لِلكَرَّكِ
وَالشُّوَبِكِ بِهَذَا الْقُدُومِ نَحَارَ مَسِيرِكَ بَيْنَهُمَا وَيُنِجُومِ الشُّوَابِكِ .

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى آتَرْنَا بِتَوْفِيرِ التَّوْفِيقِ ، وَيَسَّرْنَا مِنَ الْهُدَى إِلَى أَقْوَمِ طَرِيقٍ ؛
وَوَهَبْنَا فِي الْمَلِكِ النَّسَبَ الْعَلِيِّ الْعَرِيقِ ، وَالْحَسَبَ الَّذِي هُوَ بِالتَّقْدِيمِ وَالتَّحْكِيمِ حَقِيقٍ ؛
وَقَلَدْنَا مِنْ عَهْدِ بَيْعَةِ السُّلْطَنَةِ مَا لَمْ يَكُنْ فِي الْآفَاقِ تَطْرِيقٍ ، وَلِعَقْدِهِ فِي الْأَعْنَاقِ تَطْوِيقٍ ؛
فَقَيَّأْنَا مِنْ شَجَرَةِ هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ النَّاصِرِيِّ الْمَنْصُورِيِّ كُلِّ غُصْنٍ وَرِيقٍ ، وَهِيَ
لِلْبَرِيَّةِ تَكْرِيمًا عَمِيمًا بِتَقْدِيمِ مَنْ لَهُ الْمَجْدُ يَتَعَيَّنُ وَبِهِ السُّؤْدُودُ يَلِيقُ ؛ وَأَطَّلَعَ فِي أَفْقِ أَعْرَ
الْمَمَالِكِ عَلَيْنَا مِنْ بَيْتِنَا شِهَابَ عَلًّا هُوَ لِلبَدْرِ فِي الْكَمَالِ وَالْجَمَالِ شَيْبُهُ وَشَقِيقُ ، وَأَطْعَمْنَا
أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى فِي مَعَامِلَةِ الْوَالِدِ الْبَارِ مَعَامِلَةَ الْوَالِدِ الشَّفِيقِ ؛ وَأَوْدَعْنَا لَدَيْهِ مَا أَوْدَعَهُ
اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْنَا : مَمْلَكَةً مَرْتَفَعَةً مَتَسَعَةً لِيَرْفَعَ مَحَلَّهُ وَيَتَسَعَ أَمَلُهُ وَلَا يَضِيقُ ، وَجَمَعْنَا
لَهُ أَطْرَافَهَا لِتَكُونَ لِكَلِمَتِهِ الْعُلْيَا بِهَا الْاجْتِمَاعُ مِنْ غَيْرِ تَفْرِيقِ .

وَمَا كَانَ الْجَنَابُ الْعَالِي ، الْوَالِدِيُّ ، الشَّهَابِيُّ ، سَلِيلُ الْمُلُوكِ وَالسُّلْطَانِينَ ، حَلِيلِ
أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : هُوَ الَّذِي تُسِيرُ رُبَّ الْكِفَالَةِ بِرَقِيهِ ، وَتَفَرُّ عِيُونَُ الْأَوْلِيَاءِ بِتَعَيْنِهِ لِإِقْلَاءِ
أَمْرِنَا الْمَطَاعِ وَتَلْقِيهِ ؛ وَتَلْهَجُ الْأَلْسِنَةُ ضَارِعَةً إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُدَ مُلْكُ بَيْتِهِ
الشَّرِيفِ وَيُثْقِيَهُ ، وَتَعْرُجُ إِلَى السَّمَوَاتِ دَعَوَاتُ الْأَتْقِيَاءِ أَنْ يُوقِيَهُ اللَّهُ مِمَّا يَتَّقِيهِ ؛
وَمُنْمِسِكُ فِي هَذَا الْمَقَامِ لِسَانَ الْمَقَالِ عَنْ مَدْحِهِ أَدْبَا ، وَتَرَكُ الْإِفْتِخَارَ بِالْمَالِ
وَالْعَدِيدِ إِثَارًا لِثَوَابِ اللَّهِ وَطَلْبًا ؛ وَتُدْرِكُ مَوْعِظَةَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فِي كِتَابِهِ قَصْدًا وَأَرْبَا :

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عَقْبًا) ^(١) . و بركة هذا القصد يتم لنا فيه المراد، ويتم هذه المملكة النفع بهذا الأفراد؛ فإنها معهد النصر والفتح، ومشهد الوفر والمنح؛ ومضعد العز الذي لما وطئنا صرحه تدكدك للعدا كل صرح، وتملك للهدى كل سرح؛ ونسقنا بها لقرب المزار من طيب طيبة أعظم نفع، وقد بقينا بجماله الحال بها في تيسير التأيد فكان كالمنح؛ وجرى خلقنا السمع بعد ذلك على عادته في الحكم والصفح، وسرى ذكرا في الشرق والغرب وللهداة به أطرب صدح، وآتى الله من فضله ملكنا نعمًا يجل عن العذ والشرح؛ فيها منشأ دولة الدول ومنها فتح الفتوح، وبإضافته إلينا تفاؤل خير مشهور ملموح؛ كما قيل قبلها كرك نوح، فبتطهير الأرض من الكفار، عزائمنا تغدو وتروح، وبالأستناد بأطول الأعمار، أمارة بادية الوضوح؛ وآثار بركة الأسم الشريف الحمدي تظهر علينا في الحركات والسكات وتلوح، ونغار هذه المملكة المباركة : لأختصاصها بالحرمين الشريفين عليها طلاوة وسعادة وفيها روح؛ وكما قد سلطنا بهذا الولد النبيل، سنة أبي الأنبياء إبراهيم الخليل، في ولده إسماعيل، عليهما السلام التأم في كل بكرة وأصيل؛ حيث فارقه وأفرده، وتفقدته في كل حين وتعهده؛ حتى شد الله تعالى به عضده ورفع هو وأبوه قواعد البيت وأعانه لما شيده، فأجمل الله لنا هذا القصد وأحمده، وكل هذا الشروع وأسعده؛ وأجزل [له] من فوائده أوفر هبة وأنجزله من عوائده أصدق عده؛ فأحللناه في هذه المسنة بمملكة الكرك فسلك من حسن السجايا أحسن مسلك، وملك قلوب الرعايا وبما وهب من المنح تملك؛ وبسنتنا في التواضع للحق مع الخلق تمسك، وبشيمنا وخلقنا في الجود تخلق فبدل وما أمسك .

(١) التلاوة «وخير أملا» أما وخير عقبا فهو في آية قبلها .

ولما بلغ أشده وأستوى، وبرز شهاب علاه الذى هو وبدر السماء سوا، وحاز
مكارم الأخلاق وحوى، وفاز سلطاننا فى نجابته بحسن النية : "وإنما لكل أمرئ
ما نوى" - حكناه فى هذه النيابة التى ألقها ودربها ، وعرف أمورها وجرها ،
وأستمال خواطر أهلها وأستجلبها ، وأدنى لهم لما دنا منهم الميامن ولما قرَّبها
منهم قرَّبها ، وأستحق كفايتها وأستوجبها ، وأظهر الله تعالى فيه من الشايل أنجبها ،
ومن الخلائق أرحبها ، ومن الأعراق أطيبها ، ومن العوارف أنسبها ، ومن العواطف
أقربها ، ومن البسالة أرهفها وأرهبها ، ومن الجلالة أحبها إلى القلوب وأعجبها ، ومن
السيادة ما أخذت نفسه لها أهبها ، ومن الزيادة ما يتعين [له] شكر الله الواهب الذى
وهبها ، ومن السعادة ما رفعت الأقدار على منايك الكواكب رتبها ، وأطلعت
لجأته سماء العلاء شهبها ، ورقت على هامية الجوزاء منصبها ، وأستصحبت من العناية
لهذا البيت مزينة فرض الله بها له الطاعة وكتبها ، فاستخرنا الله تعالى الذى يختار لنا
ويخير ، وسألناه التأييد والتيسير ، وفوضنا إليه وهو الكفيل لنا بالتدبير ، فى كل مبدئ
ومصير ، واستعنا به وهو نعم النصير ، وأقتضى حسن الرأى الشريف أن نُسرح
شهابه المنير ، وننتج لآولياء يمن التأثيل بحسن هذا التأثير ، ونهيج فى ربه سبلا
تقدما إليها كل ذى منبر ومرير ، ونثلج الصدور ونقر العيون بسعيد هذا الإصدار
وحيد هذا التقرير .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا برح أمره يصيب السداد فيما إليه يصير ،
وخبره يحمل الموافاة فلا لئسنة عن مكافاة ربه تقصير - أن تفوض نيابته السلطنة
الشريفة بالكرك المحروس والشوبك للجناب العالى ، الولدى ، الشهابى ، وما ينضم
إلى ذلك وينضاف ، من جميع الأقطار والأكاف ، وجمعنا له من هذه المملكة
الأطراف ، وجعلنا له على سبيلها وجبيلها إشراف ، وصرفناه منها فيما هو عن علمه

الكريم غير خاف ؛ نيابةً كاملةً ، كافلةً شاملةً ؛ عامه ، تامه ؛ وافره ، سافره ؛
يستلزم طاعته فيها الاقتراض ، ونحسم عنه فيها مواد الاعتراض ، وتتقد مراسمه
من غير توقف ولا انتقاض ، وتبسط يده البيضاء من غير انقباض ، ويرتفع رايه
من غير انخفاض .

فلتقدر رعية هذه البلاد نعمة هذا التفويض قدرها ، ويسألوا الله أن يوزعهم
لحسن هذا التفويض شكرها ؛ فقد أنشأ لهم يسرها ، وأفاء لهم برها ؛ وألقى إليهم
جودها وخيرها ، وأبقى عندهم عزها ونصرها . وليتبعوا السبيل القويم ، وليجتمعوا
على الطاعة التي تبيح عليهم نعمة العافية وتديم ؛ وليسمعوا ويطيعوا لما يرد إليهم
من المراسيم ، فمن لم يستقم كما أمر لا يستمر بهذه البلاد ولا يقيم ؛ والعاقلة لنفسه
خصيم ، والجاهل من عديم النعمة وحرم النعم ؛ وفراستنا تلمح نتائج الخير من هذا
التقديم ، وسياستنا تصلح ما قرب منا وما بعد بتعريف أحكام التحكيم ؛ وكيف لا ؟
وهو الكريم بن الكريم ، المؤمن لتمام الشؤدد قبل أن يعقد عليه التميم ؛
المشتمل على الخلال الموجبة له الفضل العيم ، المتوصل بيمين حركاته إلى أن يكون
لمثل هذا الملك العظيم ؛ وإلى أمانته آستيداع ، وإلى صيافته تسليم ، المقبل وجهدنا
الإقبال فتتلو الرجال : ﴿ ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ﴾ .

ونحن نأمرك من التقوى بما به من الله أمرنا ، ونبصرك من الهدى بما له هدينا
وبصرتنا ، ونبقي لديك من بدائعها ما به خصصنا وأوترنا ؛ ونوصيك أتباعاً للكتاب
والسنه ، ونؤتيك من الهداية ما لله في الإرشاد إليه المنه ؛ فقد وعظ ووصى لقمان -
عليه السلام - ابنه ، وأوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم معاذ بن جبل لما بعثه
إلى اليمن لحقق الله تعالى في نجاحه رجاءه وفي فلاحه ظنه ؛ ونذكر جنابك ، ونرجو أن

تكون ممن تنفعه الذكرى، وتسير شهائك، إلى أفق السعد وتأمل أن تيسر للبشرى،
وتؤمرك فتزيد علم عزك رفعا ولوآء مجديك نشرا، وتأمرك ثقة بحسن أخلاقك،
فيتلو لسان وفائك: (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا) . فمثلك
من أيدته العصم، وأصعدته الهمم، وحيدته الأمم، وأرشدته إلى الحكم ما عهدته
فكرته من الحكم، وسدده أعرافه وأخلاقه فلا يزداد على ما فيه من كرم؛ فلا تذكّر
منك ناسيا، ولا تفكر لاهيا، ولا تأمر وتنهى إلا من لم يزل بالمعروف آمرا وعن
المُنكر ناهيا .

فاتق الله تعالى: فعلى التقوى مَرَبَاك، وراقب الله تعالى: فالمرابسة للولوك من
بيتك مَلَاك، وجدّ في نُصرة الحق ولا تآب: فقد أنجد الله تعالى بذلك جدك وأباك،
وأعدل فبالعدل تعمر الدول وأقم منار الشرع، فهو الأصل الذي يرد إليه من القضايا
كل فرع، وبجأله الرُحْب إذا ضاق الذرع؛ فأيد حاكمه، وشيّد معالمه؛ وأكّد
الإلزام بأحكامه اللازمه .

والأمرأء والجنود فهم جناح النجّاح، وصفاح الصّفاح؛ فاعتمد أحوالهم بالصّلاح،
وأرد فيهم ما استطعت الإصلاح . وانحيالة الرجالة الذين يُعجى بهم مَصُون الحصون
أن يُستباح، فالخط أمورهم بعين فكرك في كلّ مساء وصباح، فمن نهض في الخدمة
تعيّن من النعمة أن يزداد ومن قصر في العزم قضى الخزم أن يزاح . والرايا فهم
للإحسان ودائع، وللأمتين صنائع؛ فاعذب لهم من المعدلة المشارع، وأنصب
لهم من إقامة الحرمة الزواجر والروادع؛ وأخصب لهم من النعمة مَرَبَعَا يُرغّب الجالِح
ويقرب الطائع . وأهل الذمة فآوهم إلى كنف العدل الواسع، وأجهم أن تمتدّ
إلى أنفُسهم يد جانٍ وإلى أموالهم يد طامع، وأقم عليهم بأسا يُجِل بهم إذا اعتدوا

القواصم والقوارع ، وأدم لهم مهابة تُسدُّ من فساد الدرائع ، وطاود آراءنا الشريفة
وراجع ، وواصل بأنباتك السارة وأفعالك البارة وتابع ، وبما نتطلع إليه خواطرننا
العاطفة من متجدداتك المباركة أتحف وطالع ، والله تعالى يشنف بحسن سيرتك
المسامع ، ويشرف بحلول عدلك المحافل والمجامع ، ويوزعك شكر نعمته ويجعل لك
من عظمته أعظم وازرع ، ويمتلك بأيامنا التي فيها الخير الشامل والبر الجامع ،
ويصون بجلالك الحسنى ما استظعت من أسنى الودائع ، ويزين سماء العلياء
بجلالك فمنها لك قمرها والنجوم الطوالع ، ويوفق بحميد قصدك إلى أن تأخذ
من القلوب بالمجامع ، ويحقق في إسعاد جنابك المطالب ويُسِرِّق بإصعاد شهابك
المطالع والعلامة

الصف الثاني - أرباب الوظائف الدينية . وبها قاض واحد شافعي ،
وتوقيع في قطع الثلث بـ «السامي» بالياء .

الصف الثالث - الوظائف الدبلوماسية . وهي ثلاث وظائف ، يكتب لكل
منها توقيع في قطع العادة . الأولى كتابة الدرج . الثانية نظر المال . الثالثة
نظر الجيش .

القسم الثالث

(مما يكتب من الولايات عن الأبواب السلطانية بالديار المصرية -

ما يكتب لأرباب الوظائف بالملكة المجازية)

وقد تقدم أنها تشمل على ثلاث قواعد :

(١) لعله «ما استفظت» .

القاعدة الأولى

(مكة المشرفة ، وبها وظيفتان)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
وأنها كانت تولى من أبواب الخلافة بيغداد إلى حين أنقراضها ، إلا ما تغلب عليه
الفاطميون أصحاب مصر في خلال ذلك . ثم استقرت آخرًا من جهة ملوك مصر
إلى الآن . ويكتب له تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالى» بزيادة ألفاظ
تخصه ، وقد تقدمت ألقابه في أول هذا الطرف .

وهذه نسخة تقليد بإمرة مكة المشرفة : كُتِبَ بها عن الملك الناصر « محمد بن
قلاوون » لأمس الدين « رميثة » بن أبي نُمَيْ ، بإمرة مكة المشرفة ، عوضًا عن أخيه
« عطيفة » عند قتل الأمير الدمرجان دار وولده خليل ، من إنشاء المولى تاج الدين
أبن البارنبارى رحمه الله ، في المحرم سنة إحدى وثلاثين وسبعائة ، وهي :

الحمد لله الحكيم : فالشريف من أتبع أوامره ، العظيم : فالسعيد من أتقى غضبه
بأعماله الزاكية ونياته الطاهرة ، الكريم : فالفائز من سلك مراضيه في الدنيا ليأمن
في الآخرة ، ومن أخاف عاكف حرم الله وبأديه فقد بآء بالأفعال الخاسره ، ومن عظم
شعائر الله فقد رقل في حلال الإقبال الفآخره .

نحمده على أطفاه الباطنة والظاهرة ، ونشكره ونرجوه وما زال يُجْحِرُ راجيه ويزيد
شآكره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من آخذ الحق ناصره ،

وأودع إخلاصها صمائرَه ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي بعثه الله من الحرم
فألف القلوب النافره، وفتح مكة فطهرها من الزمرة الكافره، وقال في ذلك اليوم :
« من أظاق عليه بآبه فقد آمن » فامسى أهلها ونفوسهم بالأمن ظافره ؛ صلى الله عليه
وعلى آله نبي الزهراء العترة الزاهره، وعلى صحبه النجوم السافره ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن الحكم [بالعدل] شعارنا ، وبالله اقتدأنا وأقتدارنا ؛ وفي الإحسان
رغبنا، وفي كل عنق مثنا ؛ نصقح وتمح ، وزرعى من أمسى قديم الهجرة في ولايتنا
وأصبح ؛ وقيم من أهل البيت لحفظ ذلك البيت الأصحح فالأصلح ، وتقدم من لم
يزل مقدماً وإلى صوب الصواب ينجح فينجح ، وتنجي من الهلكة من لاح له
منهج الخير فسلكه فأفلح .

وكانت مكة المعظمة هي أم القرى ، والبلد الامين المجزل فيه القرى ؛ نشأ الإسلام
في بطحائها ، وحرّمها الله فلا ينفر صبيدها ، ولا يعضد شجرها ، ولا يحل لقطتها
إلا لمنشد تاكيدا لتشريفها وإطلائها ؛ وطلعت شمس النبوة من شعابها ، وغسلت
الذنوب بويل شعابها ؛ فيها زمزم وسكرة جبريل ، وفيها بدأ الوحي والتنزيل ، وإليها
أعنت الركاب ففى كل أبطح للطى مسير ومسيل ؛ فكم أتى إليها من سائر الناس
سائر ، وكم أتى إليها الناس رجالاً وعلى كل ضامر ؛ فالرحمة مستقرّة بين نواحيها
والعيون تملىّ بأنوار تلك الأستار حتى تجتليها ، والشفاة لتشرّف بتقريب ذلك الحجر
الذى يشهد لما فى غد ويقيها ؛ فطوبى لمتقيها ، ومحقاً لمن أخاف وقد الله فيها ؛ ونحن
قد بصرنا الله بخدمة بيتها المحرم ، وحرّمها المعظم ، وكرّر إليها حجنا وكرّمه : فله الحمد
أن كرّر حجنا وكرّمه ؛ وما برحنا نقيم فى إمارتها من العترة النبوية كل شريف النسب ،

وكل من يكتسب فيها رضا الله تعالى : وكل أمرئ وما آكتسب ؛ فمن أصلح منهم أقنأه ، ومن حاد عن الطاعة وجمد النعمة أزلناه ؛ ومن أخاف فيه السبيل لم نجعل له إلى الخير سبيلا ، ومن استقام على الطريقة توكلنا على الله ووليناه : وكفى بالله وكيلا .

وكان فلان هو الذي مازالت خواطرننا الشريفة تقدمه على بني أبيه ، وتختاره أميراً وتجتبه ؛ وربما سلفت من بيته هنأت صفحنا عنها الصفح الجميل ، وما قابلناهم إلا بما يليق لمجدهم الحسن الحسن الأصيل ؛ والإمرة وإن كانت بيد غيره هذه المدة فما كان في الحقيقة أميراً عندنا سواه ، لأنه كبير بيته المشكور من سائر الأقواء .

والآن قد اقتضت آراؤنا الشريفة أن نقيم في بلده أميراً مفرداً إليه يشار ، وأن نصطفيه ؛ وإنه عندنا لمن المصطفين الأخيار ، وأن نجعل الكلمة واحدة ليأمن التزبل والجار ؛ ومتى تجاذب الأمر كلمتان فسد نظامه ، ومتى أفرد الحكم حسنت أحكامه ؛ ومتى توحد الأمر زال الاختلاف ، وزاد الائتلاف ، وأقبلت أيامه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن تفوض إليه إمرة مكة المشرفة ، على عادة والده . فليقلد ما فوضناه إليه من الإمرة والنيابة بمكة المعظمة : شاكراً ما أنعم الله به عليه من مرضينا التي لا نجاة لمن لم ينل منها نصيباً موفوراً ، ولا فوز لمن لم يدرك منها حظاً كبيراً ؛ وليشرع في تمهيد البلاد من إزالة المظلمة ، وليطهرها من كل مجتري على الله تعالى في البقعة المحرمة ؛ ولا يقرب من في قلبه مرض فيعديه ، ولا يرجع لمن فيه شقاق ظاهر في صفحات وجهه وفتات فيه ؛ وليعلم أن هذا بلد حرام حرمه الله يوم خلق السموات والأرض ، وصير حج بيته على مستطيعه من القرض ؛ وجعله للناس معاداً ومعاداً ، وقال صلى الله عليه وسلم يوم

عَرَفَةَ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ حُرْمَةً يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا » .

فَلْيَمْنَعِ الدِّمَاءَ مِنْ أَنْ تُرَاقَ ، وَالْأَمْوَالَ مِنْ أَنْ تُؤْخَذَ بِغَيْرِ اسْتِحْقَاقٍ ؛ وَالظُّلْمُ فِي الْبَلَدِ الْحَرَامِ حَرَامٌ ، وَبَنُو حَسَنِ أَحَقُّ بِاتِّبَاعِ سُنَّةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَأَتَقَى اللَّهُ لِقَاءَهُ بِالْوَجْهِ الْأَبْيَضِ وَالْعَمَلِ الْأَغْرَ ، وَأَتَّبِعَ سُنَّةَ جَدِّكَ : فَعَلَى اتِّبَاعِهَا حَثٌّ وَأَمْرٌ ؛ وَأَتَقَى وَقَدَّ اللَّهُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِالْحُسْنَى فَهَمُ أَضْيَافُهُ ، وَأَمِنَ الْحَجَّ لَيْتَمَ تُسَكِّهُ وَطَوَّافُهُ .

هَذَا تَقْلِيدُنَا لِكَ أَيْهَا الشَّرِيفِ : فَطَبَّ نَفْسًا بِمَرَاضِينَا ، وَصَفَّحْنَا عَمَّا مَضَى وَمَنْحِنَا الرِّضَا حَقًّا يَقِينًا ، لِأَنَّا نَتَحَقَّقُ أَنَّ الْإِحْسَانَ يَحْرُسُنَا وَيَقِينُنَا ؛ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة تقليد شريف لأمير مكة المشرفة :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا ، وَنَصَبَ فِيهِ لِلْقَائِمِينَ رُكْنًا ، وَجَعَلَ أَرْضَ الْحَرَمِ لَا تَيْبَدُ بَرَكَاتُهَا وَلَا تَفْنَى ، وَجَعَلَ لِشَجَرَةِ النَّسَبِ الْمَهَاشِمِيِّ فِيهَا أَصْلًا شَرِيفًا كَمْ أَنْجَحَ غُصْنًا ، وَأَتَى نَبِيَّ الْحَسَنِ فِيهَا إِحْسَانًا مِنْ لَدُنْهُ وَحُسْنًا ، وَأَقَامَ مِنْهُمْ أَمِيرًا فِي ذَلِكَ الْمَحَلِّ الْأَسْنَى .

نَحْمَدُهُ فُرَادَى وَمُنْتَهَى ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً كَامِلَةً اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي شَهِدَ اللَّهُ بِهِ لِلدِّينِ خَيْرَ مَبْنِي ، وَأَضْحَيْتِ الضُّلُوعَ عَلَى مَحَبَّتِهِ تُحْنِي ، وَثَمَارُ الْخَيْرِ مِمَّا يَنْبَغِي رَوْضَتَهُ وَمِنْبَرُهُ تُحْنِي ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ بِالْبُرْعِ الْمُسْتَقِيمِ وَالدِّينِ الْأَهْنَى ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ صَلَاةً فِي الصَّدُورِ لَهَا سُكْنَى ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإنَّ أمَّ القرى ، خير البلاد بلا مِراً ، قد جعل الله للناس إليها رحلةً
وسرى ، وهجروا في قَصْدِهِم إليها لذيذ الكرى ، ونصبَ فيها بيتاً مَتيّن العرى ، وأنبع
فيها بئراً مأثراً يشفي السَّقِيمَ وَيُبرئُ الورى ،^(١) وجعل فيها للشرف بيتاً عالي الذرى ؛
فأميرها المطاع ، من أهل بيت النبوة لا يُخيب ولا يُضاع ، ذُو همة تخافها السباع ،
ويرهبها البطل الشجاع ؛ يَعدُّ من الآباء أسلافاً كراماً ، كصابيح السماء تجلو ظلاماً ،
وقد طيب الله مقامهم وأعلى مقامهم حين جاؤوا مقاماً .

ولما كان هو شريف العرب ، المعرق في النسب ، الطيب الحسب ،
المحبي من آثار آباؤه ما ذهب ، الشريف النفس : فلا يلتفت إلى العرض الأذنى
من الرقة وأكد شكره الحرم وأهله ، وأثنى على صفاء سيرته الصفا وعلى مروءته
المروءة إذ طاب أصله ؛ قد آقتنى في الكرم أباه وجدّه ، وأمن سبيل الحاج من جهة
البر ومن جهة البحر من جدّه .

فذلك رسم أن يفوض إليه فليحل البلد الحرام حاكماً وأميراً ،
وليستجلب له من العاكف والباد شاكراً ؛ وليحسن للطائفين والعاكفين والرَّكع
السجود ، وليتبع آثار آباؤه أهل الكرم والجود ؛ وليؤمن الخائف في تلك التهامم
والتجود ، وليردع الخائف عن حيفه فلا يعود ، وليعلم أنه بوادٍ غير ذي زرع ولكن
فيه للبركات ظلٌ ممدود ، وخير مشهود ؛ وبمكة مولدٍ أشرف مولود ، وجدّه الحسن
رضى الله عنه فليكن حسن الفعل فكما ساد يسود ، وليعرب عن الثناء الأبيض عند
ما تمسك بتلك السور السود ؛ وليتأق المَحْمَل الشريف في كل عام ، بالاحتفال
والإكرام ، والطاعة التي يبلغ بها المرام ، وليقف مع أمراء الحاج مقياً لحرماتهم
بجميل الاحترام ؛ وليكف الأشرار من العبيد والموالي ، عن النهب والتخطف لو قد

(١) الوري اسم للقيح يكون في الجوف .

الله الذي قَطَعَ السُّرَى بِالْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي ؛ وَلِيَلْزِمَ خَدَمَةَ الْمُحْمِلِ الشَّرِيفِ عَلَى مَا يَنَاسِبُ شَرَفَهُ ، حَتَّى يَقِفَ بِعَرَفَةَ ، ثُمَّ يَدْفَعُ إِلَى الْمَزْدَلِفَةِ ، إِلَى أَنْ يَقْضِيَ الْحَجَّ وَيَرْحَلَ مِنْ مَكَّةَ الْمَشْرَفَةَ ؛ وَلِيَكُنَّ سِيَاجًا عَلَى الْمُحْجَّاجِ ، فِي تِلْكَ النِّجَاجِ ، حَتَّى لَا يَفْقِدَ أَحَدُهُمْ عِقَالًا ، وَلَا يَحْدَ أَخْتِرَالًا ، وَيَرْحَلُونَ عَنْ مَكَّةَ الْمُعْظَمَةِ مِنَ الذُّنُوبِ خِفَافًا وَبِمَنْتَه تِقَالًا . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْ أَنْ نُطِيلَ لَهُ فِيهَا مَقَالًا ، وَتَقْوَى اللَّهِ فَمَنْ تَمَسَّكَ بِهَا حَسَنَ حَالًا ، وَأَتَمَّ أَهْلَهَا كَرَّمَ اللَّهُ أَهْلًا وَآلًا ، وَاللَّهُ اللَّهُ فِي حِفْظِ جَانِبِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَلْيُرَدِّعْ عَنِ الْخَوْضِ فِيهِمْ جُهَالًا ، وَاللَّهُ يُجْعَلُهُ مَغْمُورًا مَسْرُورًا بِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى ، بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ ! .



وهذه وصية لأمر مكة، أوردها في "التعريف" :

وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ وُلِّيَ حَيْثُ وُلِدَ بِمَكَّةَ فِي سُرَّةِ بَطْحَانِهَا ، وَأُمِرَ عَلَيْهَا مَا بَيْنَ بَطْنِ نَعْمَانِهَا إِلَى بَحْسَوَةِ رَوْحَانِهَا ؛ وَأَنَّهُ قَدْ جُعِلَتْ لَهُ وَلايَةٌ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي بِهِ تَمَّ شَرَفُهُ ، وَعَلَتْ غُرْفُهُ ، وَعَرَفَ حَقَّهُ لَهُ أَبْطَحُهُ وَمَعْرِفُهُ ، إِذْ كَانَ أَوْلَى وَلايَةِ هَذَا الْحَرَمِ بِتَعْظِيمِ حُرْمَاتِهِ ، وَسُرُورِ جِوَانِبِهِ بِمَا يُلُوحُ مِنَ الْبِشْرِ عَلَى قِيَمَاتِهِ ؛ وَلِأَنَّهُ أَحَقُّ بِبَنِي الزُّهْرَاءِ بِمَا أَبْقَتْهُ لَهُ آبَاؤُهُ ، وَأَلْقَتْهُ إِلَيْهِ مِنْ حَدِيثِ قُصَى جَدِّهِ الْأَقْصَى أَنْبَاؤُهُ ؛ وَهُوَ أَجْدَرُ مِنْ طَهْرٍ هَذَا الْمَسْجِدِ مِنْ أَشْيَاءٍ يُتْرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِهِ مُخَشُّ عَائِيهَا ، وَسَنَعَاءُ هُوَ يَعْرِفُ كَيْفَ يَنْتَبِعُهَا « وَأَهْلُ مَكَّةَ أَعْرَفُ بِشِعَابِهَا » .

فَلْيَتَلَقَّ رَأْيَةَ هَذِهِ الْوِلايَةِ بِالْيَمِينِ ، وَلْيَتَوَقَّ مَا يَتَخَوَّفُ بِهِ ذَلِكَ الْبَلَدُ الْأَمِينِ ؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَهُوَ بَيْنَ رُكْنٍ وَمَقَامٍ ، وَأَنَّهُ قَدْ بَايَعَ اللَّهُ : وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو أَنْتِقَامٍ ؛ وَلْيَعْمُرْ تِلْكَ الْمَوَاطِنَ ، وَيَعْمُرْ بَيْرَةَ الْمَسَارِّ وَالنَّقَاطِنَ ؛ وَلْيَعْمَلْ فِي ذَلِكَ

(١) فِي الْأَصْلِ «نَمْرَةٌ» وَالتَّصْحِيحُ مِنْ «التَّعْرِيفِ» (ص ١٠٤) .

بما يُجَبَّتْ عنه نِجَارُهُ ، وَيَأْمَنُ به سُكَّانُ ذلك الحَرَمِ الذى لا يُرَوَّعُ حَمَامُهُ فكيف جَارُهُ ؛ وَلِيُنْصِتْ إلى آسَمِهِ [عز وجل] حيث يُعَلِنُ به الدَّاعِي على قُبَّةِ زَمْرَمٍ فى كُلِّ مَسَاءٍ وَلِيَعْرِفَ حَقَّ هذه النِّعْمَةِ ، وَلِيَعَامِلَ من وُلَّى عليهم بما يليق أن يعامل به من وَقَفَ تَحْتَ ميزاب الرِّحْمِ ؛ وقد أَكَّدَ مَوْتِقَهُ والله اللهُ فى تَقْضِيهِ ، ومدَّ يَدَهُ على النَجْرِ الأَسْوَدِ يَمِينِ اللهِ فى أرضِهِ ؛ وَلِيَتَبَصَّرَ أين هُوَ فَإِنَّ اللهَ قد آسَأَمَنَهُ على بَيْتِهِ الذى بَنَاهُ ، وسَأَمَهُ إليه بِمَشْعَرِهِ الحَرَامِ وَمَسْجِدِ خَيْفِهِ وَمِنَاهُ ؛ وإِنَّه البَيْتُ المَقْصُودُ : وكُلُّ من تَسَوَّقَ حَمَى لَيْلَى فَأَيُّمَا قَصَدَهُ او لَعَلَّعَ بَلَعَلَّعَ فَأَيُّمَا عَنَاهُ ؛ وفى جَمْعِهِ يَجْتَمِعُ كُلُّ شَيْئَةٍ ، وفى لِيَالِي مِنَاهُ يَطِيبُ المَيْتَ ؛ وَبِجُحْصِيهِ تُقَامُ المَوَاسِمُ ، وتَفْتَرُّ الثُّغُورُ البَوَاسِمُ ، وَتَهَبُّ من قِبَلِ نَعْمَانَ الرِّيحُ النُّوَاسِمُ ؛ وفى عَقْوَةِ دارِهِ مَحْطُ الرِّحَالِ فى كُلِّ عامٍ ، ومَقَرُّ كلِّ ذاتِ عُدُو تُجَدِّبُ يَقْلَعُ وَعُوذُ تُقَادُ بِزِمَامٍ ؛ وإليه تَضْرِبُ التِّجَارُ البرَارِيُّ والبِحَارُ ، وتَأْتِيهِ الوُفُودُ على كُلِّ قِطَارٍ يُحْدَى من الأَقْطَارِ ؛ وكُلُّ هؤلاءِ أَيُّمَا يَأْتُونَ فى ذِمَامِ اللهِ بَيْتِهِ الذى مَنَ دَخَلَهُ كان آمِنًا ، وإلى مَحَلِّ آبنِ بَنَتْ نَبِيَّهِ الذى يَلْزِمُهُ من طَرِيقِ رِ الضَّيْفِ ما أَخَذَ لهم وَإِنْ لم يَكُنْ ضَامِنًا .

فَلْيَأْخُذْ بِمَنْ أَطَاعَ من عَصَى ، وَلِيَرْدَعْ كُلَّ مَفْسِدٍ ولا سِيِّمًا العَبِيدُ فَإِنَّ العَبْدَ المَفْسِدَ لا يَزُجِرُهُ إِلا العِصَا ؛ وَلِيَتَلَقَّ الحِجَّاجَ بِالرُّحْبِ والسَّعَةِ ، فهُم زُورُهُ وقد دَعَاهُم إلى بَيْتِهِ وإيَّامًا دَعَاهُم إلى دَعَاهِ ؛ وَلِيَتَلَقَّ الحَمِيمَ الشَّرِيفَ والعِصَابَ المَنْصُورَةَ ، وَلِيُخْدَمَ على العَادَةِ التى هِيَ من الأَدبِ مع اللهُ تَعَالَى مَعْنَى وَمَعْنَى صُورَةَ ؛ وَلِيَأْخُذْ بِخِوَاطِرِ التِّجَارِ فَإِنَّهُمْ سَبَبُ الرِّفْقِ لِأَهْلِ هذا البَلَدِ وتَوْسِيعَةِ ما لَدَيْهِمْ ، والمُسْتَجَابُ فِيهِمُ دَعْوَةُ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ - صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ - إِذْ قال : ﴿ وَأَجْعَلْ أَفئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوَى إِلَيْهِمْ ﴾ . ولا تَحْيِفْ أَمْوَالَهُم بِغَرَامَةٍ يَقِلُّ بها الغنمُ ، ولا بظُلَامَةٍ فَإِنَّه بِإِزَاءِ هذا

الْبَيْتِ الَّذِي يُرَدُّ دُونَهُ مِنْ أَرَادَ فِيهِ إِحَادًا بظُلْمٍ ؛ وَلِيَنْظُرَ كَيْفَ حُبِسَ دُونَهُ الْفِيلُ ،
 وَلِيَكُفَّ عَادِيَةً مَنْ جَاوَرَهُ مِنَ الْأَعْرَابِ حَتَّى لَا يَخَافَ ابْنَ سَبِيلٍ ؛ وَلِيُقِيمَ شِعَائِرَ
 الشَّرْعِ الْمُطَهَّرِ ، وَأُوَامِرَ أَحْكَامِهِ الَّتِي قَامَتْ بِأَبْوَيْهِ : بِحُكْمِ جَدِّهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَيِّفِ أَبِيهِ حَيْدَرَ . وَلِيَأْمُرَ طَوَائِفَ الْأَشْرَافِ وَأَشْيَاعَهُمْ وَسَائِرَ أَهْلِ
 مَوَالِيهِمْ وَأَتْبَاعَهُمْ بِلزوم ما كان عليه صالح السلف وما عليه الإجماع ، وَتَجَنُّبِ مَا كَانَتْ
 الرِّيَاضَةُ زَادَتْ فِيهِ وَكَفَّ الْأَطْعَامَ ، وَلِيَتَّقَى اللَّهَ فَإِنَّهُ مَسْئُولٌ لَدَيْهِ عَمَّا آسْرَعَاهُ
 وَقَدْ أَصْبَحَ وَهُوَ لَهُ رَاعٍ ؛ وَإِيَّاهُ أَنْ يَتَّكِلَ عَلَى شَرَفِ بَلَدِهِ ، فَإِنَّ الْأَرْضَ لَا تُقَدِّسُ
 أَحَدًا ، أَوْ شَرَفٍ مَحْتَدِهِ ، فَإِنَّ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا يَنْفَعُ وُلْدٌ وَالِدًا وَلَا وَالِدٌ وُلْدًا .

الوظيفة الثانية

(قضاء مكة، ويكتب به توقيع في قطع الثلث بـ«السامي» بالياء)

وهذه نسخة توقيع بقضاء مكة المشرفة :

الحمد لله الذي أنفذ الأحكام ، بالبلد الحرام ، وأيد كلمة الشرع في بلده
 ومنشئه بين الركن والمقام ، وجعل الإنصاف الجزيل ، حول حجر إسماعيل ؛
 مُتَّسِقِ النَّظَامِ .

نحمده حمدا حسن الدوام ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
 عبد فائم بحقها أحسن القيام ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله السامي من ولد
 سَامٍ ، وَالَّذِي قَامَ اللَّهُ حَتَّى وَرِمَتْ مِنْهُ الْأَقْدَامُ ؛ وَأُسْرِيَ بِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى السَّمَاءِ
 مَرَّتَيْنِ : فِي الْبَقِظَةِ وَالْمَنَامِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَتَمَّةَ الصَّلَاةِ وَالصِّيَامِ ؛
 وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا .

وبعد ، فإن وظيفة القضاء بمكة المعظمة هي أجل منصب بتلك الأباطح ، ونورها في الجبين لانيح ؛ فإن الشرع نسا منها والوحي أنزل فيها فزهيت البطائح ، وظهرت النصائح ، وأطربت الصوايح ، وأسكنت النوايح ، وغمرت المنائح ، وانتشرت المصالح ، فمن ولي الحكم بها وعدل فذلك هو العدل الصالح ؛ وكيف لا؟ وماء زمزم شربه ، وأستار البيت ممسها أنوابه ، وعلى الله أجره وثوابه ؛ وفي ذلك الجناب الشريف كرم جنابه ، وإذا دعا الله عند الملتزم جاءه من القبول جوابه .

ولما كان فلان هو فرع الدوحة المثمرة ، ومحصل من العلوم الشرعية المادة الموقرة ، وله البحوث التي [هي] عن أحسن القوائد وغرر الفرائد مسفرة ؛ ورضى أهل الحرم ، لما جيل عليه من خير وكرم ، [تمسك] بالعروة الوثقى والقوى الأتقى فلا جرم .

فلذلك رسم ... - لا زال ...

فليكن في أم القرى ، كالوالد المشفق على الوري ؛ وليتمسك من التقوى بأوثق العرا ، وليخش رب هذا البيت إنه سميع عليم ويرى ، وقد الله قطعوا إليه المراحل في السرى ، ليصالحوا كفه المصمخ عنبرا ؛ وليقض بين الخصوم بالحق فمثله من درأ الباطل : قد جعله الله جار بيت عالي الذرا ، وفي أرض شرف الله جبالها وقدس غيراتها فمنها غار ثور وغار حرا ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتعبد في غار حرا ، وأوى إلى غار ثور لما هاجر مؤيدا مظفرا ؛ والوصايا كثيرة وملاكها تقوى الله فليتمسك بها من أيام وورا ، والله تعالى يجعل نهاره متورا ، وليله مقمرا ؛ بئنه وكرمه ! .

القاعدة الثانية

(المدينة النبوية، وبها ثلاث وظائف)

الوظيفة الأولى

(الإمارة)

والأمر فيها على مامر في إمارة مكة المشرفة .

وقد تقدم أن إمارتها في بني الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما ،
ويكتب لها تقليد في قطع النصف بـ «المجلس العالي» أيضا بالقاب مخصوصة ،
وقد تقدم ذكر ألقابه .

وهذه نسخة تقليد شريف بإمارة المدينة النبوية ، كُتب به للأمير بدر الدين
«وَدَى بن جِمْاز» من إنشاء المقر الشهابي بن فضل الله ، سقى الله عهده :

الحمد لله الذي صرف أمرنا في أشرف البقاع ، وشرف قدرنا بملك ما أنعقد على
فضله الإجماع ، وعرف أهل طيبة الطيبة كيف طلع البدر عليهم من ثيابت الوداع ،
وأمتها بوْدَى صغر للتجيب وإلا فهو واد متدفق الأجرع .

نحمده على نعمه التي أغنت مهابط الوحي عن ارتقاب البرد اللئاع ، وارتقاء النظر
مع بدره المنير إلى كل شمس سافرة القناع ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة محمد من الضلال ما شاع ، ومن البدع ما استطار له في كل أفق شعاع ؛
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف من أنفت به حمية الامتناع ، وألفت

(١) سبق ضبطه موارا في ج ؛ بالتكبير تبعاً لضبط النسخة والظاهر ما هنا .

بنا سنته أن ترعى لأهلها ولا تُزاع، وعصفت ريحها بمن يمالى دينه فقال إلى
الابتداع، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين ليس في فضل أحد منهم نزاع،
وسلم تسلياً كثيراً .

وبعد، فإن الأهتمام بكلّ جهة على قدر شرفها، وعلى حسب الدرّة الثمينة كرامة
صدفها، واليكامة بتمرها، والغمامة بمطرها، والهالة بما يحلو الدجى من قمرها،
والمدينة الشريفة النبوية لولا ساكنها ما عاجت إليها الركائب، ولا ناجت حدائقها
غمر السحاب، ولا وقفت بتأرجح شذا الروضة الغناء بها الجنائب، ولا بكى متيم
دمن العقيق بمثله من دم ذائب، ولا هاج إليها البرق متألّقا، ولا هام صب فيها
بظلمات سابع والنقا، ولكنها مئوى النبوة تُرابها، ومهوى الرسل جنابها، ومأوى
كتاب الله الفسيح رحابها، دار الهجرة التي تعالت شمس الشريعة بأفقيها، وتوالت
شعب الهدى من بين أبيرقها، وهي ثانية مكة المعظمة في فضلها إلا ما ذهب إليه
في تفضيلها على مكة مالك بن أنس، ومنها أنبعثت للهدى نوارة كل نور وشعاع
كل قبس، وكانت لنبي هذه الأمة صلى الله عليه وسلم أبق داريه، وأعلى سماء
حوت ثلاثة أقيار منه ومن جاريه .

ولما كان بها لبعض الولاة من الشيعة مقام، ولهم فيها تحامل لا يجوز معه
من الانتقاد إلا الانتقال أو الانتقام، حتى إنه فيما مضى لما كثرت منهم على بعض
الصاحبين - رضى الله عنهما - الإصرار، وأشرأبوا في التظاهر بسبهما إلى هناك
الأستار، دب من النار في هذا الحرم الشريف ما تعلق بكلّ جدار، وأبت لها حمية
الغضب إلا أن يطهر ما سنته أيدي الروافض بالنار، فلما اتصل بنا الآن أن منهم
بقايا وجدوا آباءهم على أمه، واقتدوا بهم في مذهب الإمامية بما لا أراه الله تعالى

ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ولا أولئك الأئمة ؛ وحضر المجلس العالى الأميرى ،
الأصبلى ، الكبيرى العادلى ، المجاهدى ، المؤيدى ، الزعيمى ، المقدمى ، الذخرى ،
الكافلى ، الشرفى ، الحسينى ، النسبى ، الأوحدي ، البدرى : عز الإسلام
والمسلمين ، شرف الأمراء فى العالمين ، نصره الغزاة والمجاهدين ؛ جمال العترة
الطاهرة ، جلال الأسرة الزاهرة ؛ طراز العصابة العلوية ، كوكب الدرية الدرية ،
خلاصة البقية النبوية ؛ ظهير الملوك والسلاطين ، نسيب أمير المؤمنين ؛ ودى بن
جهاز الحسينى - أدام الله تعالى نعمته - بين أيدينا الشريفة بمحضر قضاة القضاة
الأربعة الحكام ، وتذم بأن مع طلوع بدره المنير لا تبقى ظلامه ولا ظلام ، وتكفل
لأهل السنة بما أئمهنا الله به عليه ومن حضر ، وتلقى بإظهار فضل الترتيب كما هم
عليه : النبي صلى الله عليه وسلم ثم أبو بكر ثم عمر ؛ فما اختصهما الله بجواره إلا ليثبت
لها على غيرهما إفضالا ، وليجعل قبورهما فى معرفة أقربهم منه درجة مثالا ؛ لما
تواترت به الأحاديث الشريفة فى فضائلهما مما هو شفاء الصدور ، ووفاء بعهده
إذ يقول : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى عصبوا عليها
بالتواجد وإياكم ومحدثات الأمور » ؛ فلم يسعنا إلا أن نجعل له منا تقليدا
يحوي بحده ما حدث من أحداث البدع ، ويجدد من عهد جدّه نبينا صلى الله
عليه وسلم فى معرفة حق أصحابه رضى الله عنهم ما شرع ؛ وتوقا بأنه من بيت كان
أول هذا الدين الحنيف من دله ، ومبدأ هذا الحق الظاهر ما أئتمته ومثلته فى سلفه
الشريف بأقارب متصليه ؛ وأنه هو المورث من الفخار ما ورثه عن آبائه الكرام ،
المحدث عن كرم الحدود بما لا يحقر له جوار أو يحقر ذمام ؛ المشرق من الأسرة
العلوية بدرأ تماما ، المحديق به من الكواكب العلوية ما يظن به (؟) أبا تسمى وأبنا

تسأى ؛ المتخَبُّ من آباء صدق أحسن في ديارهم الصنيع ، وحفظ من حسبهم
 الكريم ما أوشك أن يضيع ؛ وأستضاء بلامعة من هدى سلفه السابق ، وهامعة من
 ندى ما يرويه السحاب عن الجود والبرق عن المهارق ؛ تَهَرَّبُ بمقدمه المدينة سرورا ،
 وتفتَرُّ رباهما منه بنسب كأن على نسبه من شمس الضحى نورا ؛ ويتباشر ما بين
 لابتها بمن يحمي حماها ، ويحيي حياها ؛ وتتشوق منه ربا كل نذبة إلى ابن جلاها ،
 وطلّاح شاياها ؛ مع ما لا يُحَدُّ من أن له فيها من أبيه حق الورائه ، وأنه لما
 كان هذا ثاني المسجدين أحتاج إلى ثاني اثنين تعظيما للواحد وفرارا من الثلاثة ؛
 ليكون هو ومن فيها الآن بمنزلة يدين كتاها تقبل الأخرى ، وأذنين كلتاها توعى
 دُرا ؛ وعينين مامنهما إلا ما يدرك أمرا بعيدا ، وفرقدين لا يصلح أن يكون أحدهما
 فريدا ؛ وقرنين لا يغلب أحدهما على الآخر في التسمية بالقمرين ، وعمرين وكفى
 شرفا أن لا يوجد في الفضل ثالث للعمرين .

فرسم بالأمر الشريف العالى ، المولوى ، السلطانى ، الملكى ، الفلانى - زاد الله
 به المواطن شرفا ، وزاد به البواطن الشريفة حبا وشغفا - أن يفوض إليه نصف
 الإمرة بالمدينة الشريفة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، شريكا للأمر سيف
 الدين ابن أخيه ، ورسيلا معه فيما يليه ، ولكل منهما حق لا يكاد الآخر يخفيه ،
 هذا له بر الولد وهذا له حرمة الوالد لأن ابن الأخت ولد وعم الرجل صنو أبيه ؛ فتقسم
 الإمرة بينهما نصفين ، وتوسم جباه الكتب الصادرة عنهما لها بأسمين .

والوصايا تمتد من عنانها ، وتعد من أعيانها ؛ فأوقطت تقوى الله فإنها من شعائر
 القلوب ، وبشائر القلوب ، وأما نرجاح كل مطلوب ؛ والاعتصام بالشرعية الشريفة ؛
 فإنها الحبل الممدود ، والحبل الذى كتم دونه من عقبة كشود ؛ والالتناء إلى مانص عليه

الكتاب والسنة والإجماع ، وقص جناح من مال به الهوى إلى مجاذبة الاطماع ؛ وتلقى
وفد الله الزائر بما أله نزيل هذا الحى من كرامة المتقى ، وتوفى المذمة فإنها دنس
لا يتجدد مثله تقاء هذا النقا ؛ ونعني بالمذمة ما نُسب إلى الروافض من البدع التي
لا تطهرها غر السحاب ، ولا يستبيح معها لدخول المسجد الطاهر من قنع بمقامه
حواله التيمم بالتراب ؛ ولا يدع أحدا من هذه الفرقة الضالة بعلى ولا يعيره بما
يكون به مثله ، ولا يشبه قلبه في محبة أهل البيت - سلام الله عليهم - بإناء أمثلاً
ماء ولم تبق فيه فضله .

ولا يظن جاهل منهم أن عليه - كرم الله وجهه - كان على أحد من الصاحبين
معاتباً أو عائب ، أو أنه تأول في خلافتهما معتقداً أن أحداً منهم غاصب ؛ فما تأخر
عن البيعة الأولى قليلاً إلا لا شغاله بما دهمه بموت رسول الله صلى الله عليه وسلم
من المصائب ، وإلا فقد آخذ أم ولد من سبي أبي بكر رضى الله عنه لا كما يدعيه
كل كاذب ، وقد تزوج عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابنته أم كلثوم وأقام بأمره
الحدود وناب عنه وهو غائب ؛ فيكف من عادية هؤلاء الروافض الأشرار ماسيصلون
في الموافقة بناره ، وسيصلون إلى الموافقة على ما طار من شراره ؛ ولا يدع للإمامية
إماماً يقتدى به منهم قوم شرار ، ولا قاضياً يقضى بينهم : فإنه إنما يقطع لمن قضى
له أو عليه قطعة من نار ؛ ولا عالماً يرفع له علم ، ولا يفتح لهم بفتوى على مذاهبهم
فم ، حتى ولا ما يتحرك به في فم الدواة القلم .

ويطهر هذا المسجد الشريف من دنسهم ، ويضط ما يحمله أديم مجلدات التصانيف
من نجسهم ؛ وسكان هذا الحرم الشريف ومن أقام عندهم من المجاورين ، أو خالطهم
من زمر المقيمين والسائرين ؛ يحسن لأموالهم الكفالة ، ولا يتعرض لأحد منهم
بما يؤذى نفسه ولا يناله ؛ فهم في جوار نبينا صلى الله عليه وسلم وفي شفاعته ،

وكلُّ منهم تَزِيلُ حَرَمِهِ وَمَكْتَرٌ سَوَادِ جَمَاعَتِهِ ؛ وَحَقَّهُمْ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ فَكَيْفَ
عَلَى حَامِيِ ذَلِكَ الْحِمَى ، بَلْ مِنْ لَهْ إِلَى نَسَبِهِ الشَّرِيفِ مُتَمَّى .

وَأَصْحَبُ رَفِيقِكَ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنَّكَ مَفْتَرِقَانِ وَالسَّعِيدِ مِنْ لَا يَدُمُّ بَعْدَ فِرَاقِهِ ، وَمُسْتَبِقَانِ
إِلَى كُلِّ مَوْرِدٍ لَا يُدْرَى أَيُّكُمَا الْمُحْدَى فِي سَبَاقِهِ ؛ وَمَتَّفِقَانِ عَلَى قَرْدِ أَمْرٍ وَأَفْضَلُكُمَا مِنْ
دَاوَمِ صَاحِبِهِ عَلَى إِرْفَاقِهِ ، وَصَحْبِهِ عَلَى وِفَاقِهِ .

وَأَمَّا مَا لِلْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ مِنْ تَهَائِمٍ وَتُجُودٍ مُضَافَةٍ إِلَيْهَا ، وَمُسْتِظَلَّةٍ يُجَدُّرُهَا أَوْ مُتَقَدِّمَةٍ
فِي الصَّحْرَاءِ عَلَيْهَا ، فَهِيَ وَمَنْ فِيهَا : إِمَّا أَنْ تُوجَدَ بِقُلُوبِهِمْ فَهَمُّ أَعْوَانٍ ، وَإِمَّا أَنْ تَتَفَرَّ
فَهَمُّ أَشْبَهُ شَيْءٍ بِالْإِبْلِ إِذَا تَفَرَّتْ تَعَلَّقَ بِذَنْبِ كُلِّ بَعِيرٍ شَيْطَانٌ ؛ فَاقْرَبُهُمَا إِلَى الْمَصْلَحَةِ
تَقْرِبُهُمْ ، وَتَأَلِّفُهُمْ بِمَا يَقْرُبُ بِهِ بَعِيدَهُمْ وَيَزِدُّهُ قُرْبِي قَرِيبَهُمْ ؛ وَالرُّبَّانَ الَّتِي تَتَّقِدُ
بِهِمْ بَحْرَاتُ الْأَصْبَاحِ وَالْعَشَايَا ، وَيَتَّقِعُهُ كُلُّ مَنْهُمْ فِي مَعَاجِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ أَنْ
تَمَامَ الْحَجِّ أَنْ تَقَفَ عَلَيْهَا الْمَطَايَا ؛ فَهَمُّ هُجُودٍ سُرَى ، وَوُفُودٍ قُرَى ، وَرُكُودٍ فِي أَفُقِ
الرِّجَالِ خَلَعَتْ مُقْلَهُمْ عَلَى النُّجُومِ الْكَرَى ؛ وَمَعَهُمُ الْحَامِلُ الشَّرِيفَةُ الَّتِي هِيَ مُلْتَفٌّ
شِعَابِهِمْ ، وَمَحْتَفٌّ رُكَايِهِمْ ؛ وَهِيَ مِنْ أَسْرَتِنَا الْمَرْفُوعَةِ ، وَمَبْرَتِنَا الْمَشْرُوعَةِ ؛ فَعَظْمُ شِعَابِهَا
حُرْمَاتُهَا ، وَقَبْلُ أَمَامِ مَنَابِرِهَا الْمُثَلَّةِ مَرَاكِرُ رَايَاتِهَا ؛ وَأَكْرَمُ مَنْ جَاءَ فِي خِفَارَتِهَا ، وَمَنْ
جَالَ فِي دُجَى اللَّيْلِ لَا يَسْتَضِيءُ إِلَّا بِمَا يَبْدُو مِنْ إِشَارَتِهَا ، وَقَدْ أَشْهَدْنَا عَلَيْكَ مَنْ هُوَ
لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خَصِيمٌ ، وَأَنْتَ وَشَأْنُكَ فِيهَا أَنْتَ بِهِ عَلِيمٌ .

وَبَاقِي الْوَصَايَا أَنْتَ لَهَا مُتَفَقِّنٌ ، وَعَلَيْهَا مُتَوَطِّنٌ ، وَمَا يَنْتَفِعُ الشَّرِيفُ بِحَسَبِهِ ،
إِنْ لَمْ يَكُنْ عَمَلُهُ بِحَسَبِهِ ؛ وَلَا يَرْتَفِعُ بِنَسَبِهِ ، إِنْ لَمْ يَتَجَنَّبْ مَكَانَ نَسَبِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى
يَمْتَعُ بِدَوَامِ شَرَفِهِ ، وَلَا يَضِيغُ لَهُ أَجْرُ حَالِّ عَمَلِهِ الصَّالِحِ وَسَلَفِهِ ؛ وَالْأَعْتَادُ



وهذه نسخة تقليد شريف بإمرة المدينة النبوية ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام :

الحمد لله الفرد بلا شريك ، الواحد لا من أعداد تقتضي التثريك ، المليك الذي يتناهى إليه تقليد كل ملك .

نحمده حمداً يكمل مواهب التملك ، ويحمد عواقب التسليك ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تصدع التشكيك ، وتصدق كل أفيك ، وتسد خلل التدريك ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله خير من حوى به عريك ، وحوى عليه تريك ، وحمل حتى تأنى له التحري في التحريك ، وتأنى وما فاته على أعدائه النصر الوشيك ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تخلص كالدَّهَب السَّيِّك ، وترفع ما شيد وتمنع ما شيك ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ، فلما كانت المدينة الشريفة النبوية - على ساكنها أفضل الصلاة والسلام - حرماً لا يُستباح ، وحى ليس إلا لمن آتته دم مباح ، وجناباً ما على من حله جناح ، ومهبط وحى لا يُمسح بأركانها لغير الملائكة جناح ؛ ولا يُمسك بعصمة من أغضى فيه على قذى ، وسكت لساكنيه على أذى .

ولما اتصل بنا عن الروافض ما لا صبر لمسلم يرجو الله واليوم الآخر عليه ، ولا وجه لمن قنع فيها بإخراج يديه ؛ ولا عذر لمن لقي الله مغضباً لما يُنهى إليه ، لامغضباً لما ينال رسول الله صلى الله عليه وسلم من التعرض إلى صاحبيه ، مما تقاضى منا ما يحو ظلامه الممتد ، وظلمه المشتد ، ويدعهم فسواً من آبتدعها ومن ارتد - فمكناً بتقليدنا الشريف من أعطى الله وأعطانا على قوله مؤتفاً ، وجرّد عزائم لا تردها من

خَدَعَهُمُ الرُّقَى ؛ وَأَشْهَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَنْ حَضَرَ أَنَّهُ لَا يَدْعُ هَذِهِ الْفِرْقَةَ الضَّالَّةَ حَتَّى يَدْعُ
بِتَيْمَمِهَا ، وَيُعَدُّ لِمَقَاتِلِ السُّيُوفِ حَطِيمَهَا : مِمَّا تَضَمَّنَهُ نَصُّ مَا ضَى ذَلِكَ التَّقْلِيدِ ،
وَمَا ضَمَّ ذِكْرِي لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ؛ وَنَبَّهْنَا عَلَى أَنَّهُ بَدْرٌ لَمْ يَبْقَ
مَعَ طُلُوعِهِ ظُلْمَةٌ وَلَا ظُلَامَةٌ ، وَلَا إِضَاعَةٌ وَلَا إِضَامَةٌ ^(١) ، وَلَا مَا تَجَنَّبُ بِهِ الرَّاكِبُ
تَمَامَ الْحَجِّ فِي مَوَاقِفِهَا ، وَلَا تُشْكِرُ مَا جِئْتَ فِي قِبَابِ قُبَاءٍ مِنْ مَعَارِفِهَا ؛ وَتَرَدُّ أَعْطَانَهَا
وَلَا يَسُوقُهَا إِلَى الْأَبْرِقِ بَارِقٌ عَلَى أَطْلَالِهِ ، وَلَا يُعْجِبُهَا إِنْ خِيلَ لَهَا فِي النَّخِيلِ مَقِيلٌ
فِي ظِلَالِهِ .

وكان المجلس العالى - أدام الله تعالى نعمته هو المتكفل بتطهير ذلك الحرم
الشريف من ألم كل قول يُفترى ، ولم كل باطل يُلم يقظة أو طيف كرى ، وإزالة
كل نوح فيها على من أمّل قرى أم القرى ؛ وإماتة كل بدعة تُسكب على مثلها العبرات ،
وإماطة كل أذى من طريق منى والجمرات ، ومنع شقاشق شيعية تغلي مرآجلها من
الزفرات ، وقطع كل تجوى يُسأدون بها من وراء الحجرات ، وقلع طائفية لولا إقامة
حدود الله لكفاهم ما يقطع أجداهم من الحسرات ؛ وكان بها من أولاد أخيه ، بل
بعضه منه وبعضه من بنى أبيه ، من انتهى عما تعلّى به شيم الشريف الشريفه ،
وآتهى إلى ما لا يعنيه ولا يُغنيه في تأخير خليفة وتقديم خليفه ، وأهمل حقوقاً
عواقبها مع الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم مُخَيِّفه ، وأوهم عقوقاً لأصحابه بل
له لقرله : «دعوا لى أصحابى فلو أنفق أحدكم مثلاً أحد ذهباً ما أدرك مدى أحدكم
ولا نصيفه» . وبقى يتصل بنا فى هذا المعنى ما لا يُقال ممّا يُقال عنهم ، ويصل
أذاهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صاحبيته وقد قال : «إن أهل الدرجات

(١) مراده اضاءة الحق كله أو نقص شئ منه الا أنا لم نجد فى بأيدينا من كتب اللغة من هذه المادة

فدلاً رباعياً ليكون هذا مصدراً له ولعله استعمل اللغة العامية ترويحاً للسجع .

الْعُلَى لِيَرَاهُمْ مَنْ تَحْتَهُمْ كَمَا يَرَوْنَ النَّجْمَ الطَّالِعَ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ، وَإِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ مِنْهُمْ»
 يطلبون في التقديم على من قدمه الله رد فائت ما جرى به القدر، ويضربون صفحا
 عما لا أراد الله ولا رسوله صلى الله عليه وسلم في قوله: « لا أدري ما قد بقي لي
 فيكم فاقتدوا باللذين من بعدي: أبي بكر وعمر ». مع ما أضيف إلى هذا من
 قوادح نواب، وفوائح أبواب، وحوادث تزج مقر النبوة أنبأؤها، وتمتد على مشارق
 الأنواء ظلمساؤها، وتغير عوائد الوفود في كرامة زائرهم، وإدامة بشاشة المتقي
 لسائرهم، وأمن سربهم أن يراع، وشربهم أن يتمثل به لغير برق شعاع، وضمهم
 إلى ذلك الحمى الذي لا يضام نزيله، ولا يرام في طريق المجرة سيبله، ولا يضل
 سار إليه ووجوه سكان الحمى دليله، ولا يضيع وقد تلقاه من النسيم بلبه بلبه،
 ولا يقف وقفه المريب وضوء الصباح من أيمن النقا قنديله، ولا يخشى وشعب ذلك
 الحمى شعبه وقبيله قبيله، وإراحة ركابهم التي أزعجها حادي السرى، وإمتاعهم
 بقرب الحوار عوضا من دموعهم عما جرى.

فلما لم يبق لمن أشرنا إليه - ممن أعطانا عهد موثقه، وسار لا يريد إلا نقاء نقاه
 وبراءة أبرقه - إلا أن يحط بالمدينة الشريفة ركابه، ويبعد الشكوى مما لاعهد من
 معاهدها اقترابه - أصر من فيها من ذوى قرابته على منعه أن يدخلها إلا بقتال يحل
 مقاعد الحرم، ويحل مقاعد الحرم^(٢)، ويشعل نارا يضل بها من لم تمتد له يد إليها إلى
 وقود، ويروغ من الآلف فيها من يمتد له في غير مراتع غزلان النقا سجايف قيام
 معقود، وقدم إلى أبوابنا العالية من كان فيها مقيا، وأنعمنا عليه بإبقاء النصف

(١) مراده أنهم يطلبون في تقديم على رد فائت ما أراد الله من تأخيره عنها ويتركون أيضا ما ورد
 في الحديث من الأمر بالافتداء بعده بأبي بكر وعمر. إلا أن العبارة سلت عليها يد النساخ فزادت فيها ما غير
 ميناها وشوش معناها. تأمل.

(٢) في الأصل مقاعد وهو تصحيف.

ففاتة الكُلِّ لمَّا لم يَقْنَعْ أَنْ يَكُونَ قَسِيًّا ؛ فَابَتْ حَمِيْدًا لِهِنَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَلِتِلْكَ الْمَوَاطِنِ الْمُعْظَمَةِ إِلَّا أَنْ نُظَهَّرَهَا مِمَّا أَسْبَلَتْ عَلَى سَرِيْرِهٖ أَذْيَالَهَا ، وَمَا أَطَاقَتْ
 عَلَى مَضَضِهِ الْأَلِيمِ أَحْتَالَهَا .

فُرْسَمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَ قَدْرُهُ عَالِيًّا ، وَرَبُّهُ لَا يَخِلُّ بُوْدَى وَلَا يَخِلُّ مُوَالِيَا -
 أَنْ تَفَوَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَةَ الْمَدِيْنَةِ الشَّرِيفَةِ النَّبَوِيَّةِ عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ :
 مُسْتَقَلًّا بِأَعْبَائِهَا ، مُسْتَهْلًا بِحَابِهِ عَلَى أَرْجَائِهَا ؛ أَمْرَةَ تَسْتَوْعِبُ جَمِيْعَهَا ، وَتَسْتَوْعِي
 لِمِرَاسِمِ رُبَاهَا وَرُبُوعِهَا وَعَاصِيِيهَا وَمُطِيْعِيهَا ؛ وَتَهَائِمِهَا وَتُجُودِهَا ، وَقَرِيْبِيهَا وَبَعِيْدِيهَا ؛ وَكُلَّ
 مَا يَدْخُلُ لَهَا فِي حَدِّ ، وَيَنْتَظِمُ لَهَا فِي عَدَدٍ ؛ وَأَهْلَ حَاضِرَتِهَا وَبَادِيَتِهَا ، وَمَا تَقِفُ عَلَيْهِ
 مِنَ السَّحْبِ (؟) رَكَائِبَ رَوَاعِيهَا وَغَادِيَتِهَا ؛ وَمَنْ تَتَبَسَّمُ بِهِمْ شَايَاهَا ، وَتَسْتَسَمُّ لَهُمْ أَرْوَاحَ
 بَكْرِيَّهَا وَعَشَايَاهَا ؛ وَمَنْ يَضُمُّهُمْ جَنَاحِهَا الْمَفْضَلِ ، وَيَأْمَهُمْ وَشَاحِهَا الْمَفْضَلِ ؛
 وَيَجْمَعُهُمْ جَيْشِهَا السَّائِرِ ، وَيُلْفِيَهُمْ فِي تَمَلُّةِ الدُّجَى قَمْرُهَا الزَّاهِرِ - تَفَوُّضًا يَدْخُلُ فِيهِ كُلُّ
 شَرِيفٍ وَمَشْرُوفٍ ، وَبِجْهَوْلٍ وَمَعْرُوفٍ ؛ وَمَسْتَوْطِنٍ مِنْ أَهْلِهَا ، وَغَرِيْبٍ آتَيْتْ [بِهِ]
 إِلَيْهَا مَطَارِحَ سُبُلِهَا ؛ مَا فِيهِ تَأْوِيلٌ ، وَلَا تَعْلِيلٌ ، وَلَا آسْتِنَاءٌ ، وَلَا أَنْتَاءٌ ، وَلَا تَخْرُجُ مِنْهُ
 الْأَرْضُ الْمُغْبَرَةُ وَلَا الرُّوْضَةُ الْغَنَاءُ ؛ لِأَشْبَهَةٍ فِيهِ لِدَاخِضٍ ، وَلَا حُجَّةٍ لِمُعَارِضٍ ؛ يَسْتَقِلُّ
 بِهَا جَمِيْعِيهَا بِدَرِّهِ التَّمَامِ ، وَبَرِّهِ الْعَلَامِ ، وَبِحُجْرِهِ الَّذِي يَأْبِي فَرِيْدَهُ أَنْ يُؤَاسِيْ فِي نِظَامٍ ؛
 وَأَمْرِهِ الَّذِي يَتَلَقَّى بِهِ عَنِ الثَّقَةِ مِنْ سَادَاتِ بَيْتِهِ مَقَالِيْدَ الْأَحْكَامِ ، وَتَقَالِيْدَ مَا يَجْرِي
 بِهِ الْقَلَمُ وَيَمْحِي السِّيفُ الْحُسَامِ ؛ إِفْرَادًا لَهُ فِي التَّحْكِيمِ ، وَأَنْفَةً لِنُتْلِهِ مِنْ ضَرَرِ
 التَّقْسِيمِ ، وَفِرَارًا مِنَ الشَّرِيْكَةِ الْمَشْتَقَةِ مِنَ الشَّرْكِ : ((إِنَّ الشَّرْكَ لَطَلْمٌ عَظِيْمٌ)) . وَوَلَايَةٌ
 تَامَةٌ ، عَامَةٌ ؛ كَامِلَةٌ ، شَامِلَةٌ ؛ لَا يَبْقَى مِنْ أَهْلِ تَجْدِيْدٍ مَنْ لَا يَدْخُلُ فِي حُكْمِهَا ، وَيَنْضَافُ

إلى قسَمِها ؛ تَقَابِلُ السَّوَابِقُ فِي غَايَاتِهَا ، وَتُقَابِلُ الْجَحَائِلُ تَحْتَ رَايَاتِهَا ؛ وَيَعُدُّ مَعَ أَهْلِ بَدْرِ فِيهَا ، وَيُعَدُّ مِنْ حَقُوقِهَا مَا يُوقِيهَا .

وقد سبق من الوصايا ما فيه غنى ، إلا ما لا تخل العوائد به مما يُذكر هنا ؛ وقد حَوَّيْتَ بِحَمْدِ اللَّهِ فِي جَمِيعِ طِبَاعِكَ ، وَجَمِيلِ أَنْطِبَاعِكَ ؛ مِنْ حَقِّ آعْتْرَامِكَ ، وَصَدَقَ آتْرَامِكَ ؛ مَا هُوَ كَالسَّنَا لِلشَّمْسِ ، وَالْمُنَى لِلنَّفْسِ ؛ مِمَّا تَحْسُدُ عَلَى شَرَفِهِ النُّجُومُ ، وَتَنَافِسُ الْعَلْيَاءُ مَا تَعْلُقُ بِهِ الْعُيُومُ .

فَكَيْلَ بِتَقْوَى اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَأَتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةِ سَلَفَكَ ؛ وَكِتَابَ اللَّهِ الْمُنَزَّلَ ، أَنْتُمْ أَهْلُ بَيْتِ فِيكُمْ تَنْزَلُ ، وَسُنَّةُ جَدِّكُمْ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتْمَعْلَ ، وَهِيَ بِمَجْدِكُمُ الْمُؤْتَلِ ؛ وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى عَنْكُمْ ، وَإِلَّا فَعَمَّنْ تُثْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَالْإِفْهَمْنَ تُوْمَلُ ؛ وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا تَشَىءُ سِيُوفِكُمْ تُصَقَّلُ ، وَ[لِمَاذَا] رِمَا حُكْمُ تَعَدَّلُ ؛ وَالرَّافِضَةُ وَغَلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ انْتَمَى إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ وَقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لِيَوَائِهِ ؛ فَهَمَّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا - وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِّينَ لِسَوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمُوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَالُوا ؛ وَأَنْفَ مِنْ هُوَ بَرِيٌّ مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ يَتَّظَاهَرَ بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمَعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأَتْهُمْ الْمَطَامِعُ ، وَصَحَّحُ أَنْهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهَا كَرِيَّةُ الشُّغْيَاءِ أَوْ كَرِيَّةُ الْأَصَابِعِ .

فَصَمَّمْ عَزْمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قَضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ هُمْ وَمَنْ أَتَّبَعَ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرْضَاتِهِمْ ؛ وَحَدَّرْهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرِي سَبِيلَ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يُقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّلَفِ الصَّالِحِ يَمِّ دَمِّ

(١) الزيادة من "التعريف" ص ١٠٧ .

(٢) في القاموس : الشغيا السن المخالفة الخارجة عن نية الأستان .

أُغْرِقَ فِي تِيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زَنَادَ عِنَادٍ أَحْرَقَ بِنَارِهِ ؛ وَأَلْزَمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةَ -
 عَلَى سَاكِنِهَا أَفْضَلَ الصَّلَاةِ وَالتَّسْلِيمِ - بِكَلِمَةِ السَّنَةِ فَإِنَّهَا أَوَّلُ مَا رُفِعَتْ بِتِلْكَ الْمَوَاطِنِ
 الْمَعْظَمَةِ أَعْلَامُهَا ، وَسَمِعَتْ فِي تِلْكَ الْحَجْرَةِ الْمَكْرَمَةِ أَحْكَامُهَا ؛ مَعَ تَغْفِيَةِ آثَارِ مَا يَنْشَأُ
 عَلَى هَذِهِ الْبِدْعَةِ مِنَ الْفِتَنِ حَتَّى لَا يَنْعَقِدَ لَهَا نَقْعٌ مُنَارٌ ، وَتَوَطِّئَةَ أَكْخَافِ الْحِمَى لِقِسْلًا
 يَبْقَى بِهِ لُبْطَلٌ فِي مَدَارِجِ نُطْقِهِ عِنَارٌ ؛ وَالْوَصِيَّةُ بِسُكَّانِ هَذَا الْحَرَمِ الشَّرِيفِ وَمَنْ يَنْزِلُ
 بِهِ مِنْ تَزْيِيلٍ ، وَيُجَاوِرُهُ مُسْتَقَرًّا فِي مِهَادِ إِقَامَةٍ أَوْ مُسْتَوَفِّرًا عَلَى جَنَاحِ رَحِيلٍ ؛
 وَمَنْ يَهْوَى إِلَيْهِمْ مِنْ رُكَّابٍ ، وَيَأْوِي إِلَيْهِمْ مِنْ رُقُقَةٍ مَالَتْ مِنْ نَشْوَاتِ الْكِرَى بِهِمْ
 رَاقِصَاتُ النَّجَائِبِ ؛ وَمَنْ يَصِلُ مِنْ رُجْبَانِ الْآفَاقِ ، وَإِخْوَانِ نَوَى يَنْشَأُ كَوْنَ إِلَيْهِمْ
 مَرَّ الْفِرَاقِ ؛ وَمَنْ يَتَلَقَّى بِهِمْ مِنْ طَوَائِفِ كُلِّهِمْ فِي بِيوتِ هَذَا الْحِمَى عَشَّاقٌ ، وَأُمَّمٌ
 شَتَّى جُمُوعُهُمْ : مِنْ مِصْرٍ وَشَامٍ وَيَمَّنَ وَعِرَاقٍ ؛ وَمَا يَصِلُ مَعَهُمْ فِي مَسِيلِ وَفُودِنَا ،
 وَسَيْبِلِ جُودِنَا ، وَمَحَامِلِنَا الشَّرِيفَةِ الَّتِي يُنْصَبُ لَنَا بِهَا فِي كُلِّ أَرْضٍ سِرِيرٌ ، وَأَعْلَامِنَا
 الَّتِي مَا سُمِّيَتْ بِالْعِقْبَانِ إِلَّا وَهِيَ إِلَيْهَا مِنَ الْأَشْوَاقِ تَطِيرُ ؛ فَتِي شَعَرَتْ بِمَقْدَمِ رِكَابِهِمْ ،
 أَوْ بَرَقَتْ لَكَ عَوَارِضُ الْأَقْمَارِ مِنْ سَمَاءِ قِيَابِهِمْ ؛ فَبَادِرُ إِلَى تَلْقَائِهِمْ ، وَقَبْلُ لَنَا الْأَرْضُ
 فِي آثَارِ مَوَاطِنِهِمْ ، وَقُمْ بِمَا يَجِبُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 وَطَاعَتِنَا [وَأَخْرَجَ عَنْهُمْ كُلَّ يَدٍ وَلَا تُخْرِجْهُمْ عَنْ جَمَاعَتِنَا] .^(١)

وَأَهْلَ الْبَادِيَةِ هُمْ حَزْبُكَ الْجَيْشِ اللَّهُامَ ، وَحَرْبُكَ إِذَا كَانَ وَقُودَهَا جُثَّتْ وَهَامَ ؛
 وَهَمَّ قَوْمٌ لَمْ يُوَدِّهِمُ الْحَضَرَ ، وَلَا يَبِيْتُ أَحَدٌ مِنْهُمْ لِأَنْفَتِهِ عَلَى حَدَرٍ ؛ فَاسْتَجَلِبْ
 بِمَدَارَاتِكَ قُلُوبَهُمُ الْأَشْنَاتِ ، وَبَادِرْ جِبَالَ إِلَيْهِمُ النَّافِرَةَ قَبْلَ الْبَتَاتِ ؛ وَتَرَقَّبْ مَرَامَتَنَا
 الْمُطَاعَةَ إِذَا ذَرَّتْ لَكَ مَشَارِقُهَا ، وَتَاهَبْ لِحَيْدِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مَتَى لَمَعَتْ لَكَ مِنْ
 الْحُرُوبِ بَوَارِقُهَا ؛ وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ لَا يَحْتَاجُ إِلَى حِلْيَةِ

(١) الزيادة من الوصية الآتية بعد ومن التعريف (ص ١٠٨) .

لأطنا حمائل ما نُملِيه عليك ؛ فما شهيد للشريف بصحة نسبه ، أركن من عمله
بحسبه ؛ والله تعالى يقوى أسبابك المتينه ، ويمتدح العيون بلوامعك المينه ، ويمسك
بك ما طال به إرجاف أهل المدينة ؛ والاعتاد



وهذه نسخة تقليد بإمرة المدينة النبوية ، وهي :

الحمد لله الذي خصص بالنصرة ، دار الهجرة ، وأطلع للإيمان بقره ، بتلك الهجرة ،
وطيب طيبة وأودع فيها سليل الأسره .

نحمده حمدا نؤمن به مكره ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
عبد تمسك بالحج وتنسك بالعمرة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرف الله
قدره ، وأنفذ أمره ، وأيده في ساعة العسرة ، وكان أكرم الناس في العشرة ، وأسخط
العالمين إذ يسط بالجوود راحته فما أسمع عشره ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
صلاة ثبتت شجرتها من الأرض فاتصلت فروعها بالسدره ؛ وسلم تسليما .

وبعد ، فإن المدينة النبوية معدن الهدى والوقار ، ومسكن الرضوان والأنوار ،
ومهبط الملائكة الأبرار ، ومنزل الوحي في الليل والنهار ، ودار الهجرة للنبي المختار ،
وتربة مدفنه الزاكي المعطار ؛ تُسد الرحال إليها من أقاصي الأقطار ، ويأتي إليها
الظالمون لأنفسهم بالأمستغفار ، فيرجعون وقد حُجبت عنهم الأوزار ، فقلوب أهل
الأشتياق مقيمة في فناء تلك الدار ، وإن كانت أجسامهم بعيدة من وراء البحار ،
وبها من آل البيت سادة أطهار ، وأمراء كبار ، يُتقرب إلى الله بحبهم في الإعلان
والإضمار ، ويتوسل بولايتهم في دعوة الأمتار ، قد صموا إلى كرم الراحة ، وسماحة

الأُنفس المُرْتاحه ؛ شجاعه و بَسَّالَه ، وعلوية فعَّالَه ، و تمسُّكًا بالمُرُوَّة المعروفة بِشَرَفِ
الأصَالَه ؛ وهم يتوارثون إمرتها عن آباء سادات ، و كرام لهم في القَضاء عادات .
ولما كان فلان هو بقية الأسرة المتضوِّعه ، وثمره الشجرة المتفرَّعه ؛ والمختصُّوص
بالوصف الذي رَفَعَه ، والقول الذي أتبعه حين سَمِعَه - ما زال في المدينة النبوية
على ساكنها أفضل الصلاة والسلام مشكور الطَّريقَه ، محفوظ الوثيقَه ، معروف
الحقيقَه ، موصوف الآثار الحسنه بين الخَلِيقَه ، يَحْتَنِي لكلِّ صالحه من تلك الرُّوضه
الشريفة المُنْمرة الوَريقَه ؛ ويحیی السَّرح أن يتهب ، ويطفي نار الفتن فما تلتهب ،
ويعظم المجاورين والواردين والقادمين على حِمَى سَيِّد العجم والعرب .

فلذلك رسم أن يستقر

فليحلَّ هذا الربع المعمور بالتقى ، وليباشِر هذه الإمرة الشريفة زادها الله علوًا
وآرتقا ؛ وليستعمل السكينة فإنها جميلة اللقا ، وليسلك الأدب مع ساكن النقا ،
وليتمد على حسن اليقين فإنه له وقا ، وقد جاور العقيق فأصبح بقلايده الفاحرة
مطوقا ، وليحكم بالعدل في بلد نشأ منه العدل والإنصاف فمُنْدُ اجتماعه فيه ما أفرقا ؛
وليصن شرفه من الولوج في فتنه ، وليغمد سيفه ولا يشهره في وقت محنه ؛ ويحقي
الدماء أن تراق ، ويتلق الزوار بالإرفاق ، فإنهم جاءوا من أقاصى الآفاق ، رجالا وعلى
النياق ، تحثم الصباية والأشواق .

وكلمة الشرع وشعار السنة فليكن معظما لها بانفاق بغير شقاق ، وشيخ الحرم
الشريف وخدامه ومجاوريه فليكرم محسنهم ويعامله بحسن الأخلاق ، ويتجاوز
عن مسيئتهم بطيب أخلاق ، وحوصل الحرم الشريف المخزونة فيه فلتكن محمية من
التبذير في وقت الإنفاق ، وتلك دارهم سُكَّانها الطيبو الاعراق ؛ والتقوى فن بيتهم

الشريف آثارها الإشراف ، وعليهم نزل الفرقان والتخريم والطلاق ، فماذا عسى
أن نوصيه وهو أهل الفضل على الإطلاق ، والله تعالى يجعل نجاره في الفخر مجليه
في السابق ، بمنه وكرمه ! .



وهذه وصية لأمير المدينة أوردتها في "التعريف" ، وهي :

فكَلِّبْ بِنُورِ اللَّهِ شَرَفَكَ ، وَأَتَّبِعْ فِي الشَّرِيعَةِ الشَّرِيفَةَ سَلَفَكَ ؛ وَكَتَابُ اللَّهِ الْمُنَزَّلُ ،
أَتَمُّ أَهْلِ بَيْتِ فَيْكَمْ تَنَزَّلُ ، وَسُنَّةُ جَدِّكَ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَتَمِّمْ ،
وَهِيَ مَجْدُكُمْ الْمُؤْتَلُ ، وَمَعْرِفَةُ حَقِّ مَنْ مَضَى ، عَاكُمْ ، وَالْإِفْعَمُّ تَنْقَلُ ، وَمِنْكُمْ ، وَإِلَّا فَمَنْ
تَوَمَّلْ ، وَإِزَالَةُ الْبِدْعِ وَإِلَّا فَلَا شَيْءَ سُبُوفَكُمْ تُصَقِّلُ ، وَلِمَاذَا رِمَا حُكْمُ تَعَدَّلْ ؛
وَالرَّافِضَةُ وَغُلَاةُ الشَّيْعَةِ هُمْ دَنَسٌ مِنْ آتَمِّي إِلَى هَذَا الْبَيْتِ الشَّرِيفِ بَوْلَانِهِ ، وَسَبَبُ
وُقُوفٍ مِنْ يَقْصِدُ الدُّخُولَ تَحْتَ لَوَائِهِ ؛ فَهَمُّ وَإِنْ حُسِبُوا مِنْ أَمْدَادِهِ ، لَيْسُوا -
وَحَاشَى نُورِهِ السَّاطِعِ - إِلَّا مِنَ الْمَكْتَرِينَ لَسْوَادِهِ ؛ أَرَادُوا حِفْظَ الْمَوَدَّةِ فِي الْقُرْبَى
فَأَخْلَوْا ، وَقَصَدُوا تَكْثِيرَ عَدَدِهِمْ فَقَلُّوا ؛ وَأَنْفٍ مَنْ هُوَ بَرِيٌّ ، مِنْ سُوءِ مَذْهَبِهِمْ ، أَنْ
يَتَّظَاهَرُ بِالْوَلَاءِ فَيُعَدَّ فِي أَهْلِ الْبِدْعِ بِسَبَبِهِمْ ؛ مَعَ أَنَّهُمْ طَمِعُوا فِي رِضَا اللَّهِ فَأَخْطَأَتْهُمْ
الْمَطَامِعُ ، وَصَحِيحٌ أَنَّهُمْ زَادُوهُمْ عَدَدًا إِلَّا أَنَّهُمْ كَرَّ يَزِيدُ [الشَّغْيَاءُ أَوْ كَرَّ يَزِيدُ] الْأَصَابِعُ .
(١)

فَصَمَّ عَزْمَكَ عَلَى مَا عَاهَدْتَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ رَفْعِ أَيْدِي قُضَاتِهِمْ ، وَمَنْعِهِمْ مِنْ اتِّبَاعِ
خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فِي سَبِيلِ مَرَضَاتِهِمْ ؛ وَحَدْرَهُمْ مِمَّا لَا يَعُودُ مَعَهُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ سِتْرٌ
يُسْبَلُ ، وَلَا يَبْقَى مَعَهُ لَغَيْرِ السَّيْفِ حُكْمٌ يَقْبَلُ ؛ فَمَنْ خَاضَ لِلسَّيْفِ الصَّالِحِ يَمَّ دَمٌ أُغْرِقَ
فِي تَيَّارِهِ ، أَوْ قَدَحَ فِيهِمْ زِنَادٌ عِنَادٌ أُحْرِقَ بِنَارِهِ ؛ وَأَلْزِمَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةَ النَّبَوِيَّةَ

(١) الزيادة من "التعريف" . (ص ١٠٧) ومن التقليد الذي سبق ، انظر (ص ٢٥٢) .

بكلمة السنة فإنها أول ما رُفِعَتْ بتلك المواطنِ المعظمةِ أعلامُها ، وسمِعَتْ في تلك الحجرةِ المكرّمةِ أحكامُها ، مع تعقِبةِ [آثار] ما ينشأ على هذه البدعةِ من الفتنِ حتّى لا ينعقد لها تقعُّ مَنار ، وتوطئةُ أكثاف [ذلك] الحِمَى لئلا يبقَى به لمبطل في مدارج نُطقه عثار ؛ والوصيةُ بسُكّانِ هذا الحرمِ الشريفِ على الحالِّ به أفضلُ الصلاة والسلام ومن ينزل به من تزيل ، ويجاور به مستقراً في مهادِ إقامة أو مستوفزاً على جناح رحيل ؛ ومن يهوى إليهم من ركائب ، ويأوى إليهم من رُفقة مالت من نسوات الكرى بهم راقصاتُ التجائب ؛ ومن يصلُ من رُجبان الآفاق ، وإخوانِ نوى يتشاكون إليهم مرَّ الفراق ؛ ومن يتلاقى بها من طوائفِ كلِّهم في بيوتِ هذا الحِمَى عشاق ، وأممٍ شتى جموعهم من مِصرٍ وشام [ويمن] ^(١) وعِراق ؛ وما يصل معهم في مسيل وفودنا ، وسبيل جودنا ؛ ومحاملنا الشريفةِ التي يُنصبُ لنا بها في كلِّ أرضٍ سرير ، وأعلامنا التي ما سُميت بالعقبان إلا وهي إليها من الأشواق تطير .

فتى شعرت بمقدّمِ ركابهم ، أو برقت [لك] عوارضُ الأقدار من سماءِ قبايهم ؛ فبادر إلى تلقّيهم ، وقبّل لنا الأرض في آثار مواطيتهم ، وقم بما يجبُ في طاعة الله وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم وطاعتنا ، وأخرج عنهم كلَّ يد ولا تُخرجهم عن جماعتنا .

وأهل البادية هم حزبك الجيشُ اللهم ، وحربك إذا كان وفودها جثثٌ وهام ؛ وهم قوم لم يؤدّبهم الحضّر ، ولا يبيتُ أحدٌ منهم لأنفثه على حذر ؛ فاستجلب بدارائك قلوبهم الأشتات ، وبادر حبال إبلهم النافرة قبل الأثبات ؛ وترقّب مراسمتنا المطاعة إذا ذرت لك مشارقها ، وتأهب لجهاد أعداء الله متى لمعت لك

(١) الزيادة من التعريف (ص ١٠٨) .

من الحُرُوبِ بَوَارِقُهَا ؛ وَأَحْسِنُ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ، وَلَوْلَا أَنَّ السَّيْفَ لَا يَحْتَاجُ
إِلَى حَلِيَّةٍ لِأَطْلَانَا حَمَائِلَ مَا تُمْلِيهِ عَلَيْكَ ؛ فَمَا شَهِدَ لِلشَّرِيفِ بِصِحَّةِ نَسَبِهِ ، أَوْ كُنِيَ مِنْ
عَمَلِهِ بِحَسَبِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُقَوِّى أَسْبَابَكَ الْمَيْتَنَةَ ، وَيُمْتَعُ الْعِيُونَ بِأَوَامِعِكَ الْمَيْتَنَةَ ،
وَيُمْسِكُ بِكَ مَا طَالَ بِهِ إِزْجَافُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ .

الوظيفة الثانية

(القضاء)

وكان في الزمن القديم بها قاض واحد شافعي ، ثم استقر بها قاضيان آخران :
حنفي ومالكي ، يُكْتَبُ لِكُلِّ مِنْهُمُ تَوْقِيعٌ فِي قِطْعِ التَّلْثِ بِـ «السامى» بالياء .

وهذه نسخة تقليد بقضاء الشافعية بالمدينة النبوية :

الحمد لله الذى جعل الشرع الشريف دافق السئول ، وفي طيبة له الأصول ؛
ومنها نشأ وتفرع فله في البسيطة عموم وشمول ، وكل قطر به مشمول ، وكل ربع به
مأهول ، وتأكد به المعلوم وتبدد به المجهول ، وزالت الشرائع كلها وهو إلى آخر
الدهور لا يزول .

نحمده وحمده يطول ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة عمرت
[بها] طلوع ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أشرف رسول ، وأكرم مأمول ،
وأفضل مسؤل ، ومهتد من سيوف الله مسؤل ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الطيبى الفروع والأصول ؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الشرع الشريف معدنه في أرض توى خير الرسل فيها ، ومنشأه
في بلد ملائكة الله تحميها ؛ فلا يلى أفضية الناس إلا من طالت ذوابب علمه ،

وأشرقت نواقب فهمه ؛ وبنيت على الأصول قواعد حكمه ، وتحلى بالورع فتجلى
في سماء النجاة كنجمه .

ولما كان فلان هو الذي جذبته السعادة إلى مقرها ، وخطبته المغفرة إلى موطن
برها ، وأهنته الأقدار إلى جوار نبي هو خاتم الأنبياء وفاتح أمرها ؛ وأصبح للحكم
في المدينة ، مستحقا لما فيه من سكينته ، وتخصيل للعالم ومن حصل العلم
كان الله معينه .

فلذلك رسم أن يستقر

فلباشر منصبا جليلا في محل جليل ، ولعلم أن سائر الأمصار تغيطه وتحسده
وما لمنصبه من مثيل ؛ أين يوجد سواه في كل سبيل ؟ من قاض هو بسيد المرسلين
تزيل ، ومن يضح ويمنى جارا للمستجير في المحشر الطويل .

فاحكم بين ناس طيبة بورع وتأصيل ، وتحرير في تحريم وتحليل ، وأتق الله في كل
فعل وقيل ، وأستقم على الحق حذار أن تميل ، فصاحب الشرع أنت منه قريب
والنبي من الله قريب وحبيب وخليل ، وما ذا عسى أن نوصيه وهو بحمد الله تعالى
كالنهار لا يحتاج إلى دليل .

وأما الخطابة : فأرق درج منبرها ، وسنف الأسماع من ألفاظك بذرهما ؛ وحرر
ما تقوله من المواعظ فإن صاحب العظات يسمعك ، وتواضع لله فإن الله يرفعك ؛
وهذا المرقى فقد قام فيه النبي الأُمى سيد الثقلين ، ومن بعده الخليفةان قرنا العين ،
ومن بعدهما عثمان ذو النورين ، وعلي رضي الله عنه أبو الحسنين ؛ فاخشع ، عند
المطلع ؛ وأصدع ، بما يتقع ؛ وأنظر لما تقوله فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم

هناك يسمع ، وقاضي المدينة وخطيبها يرجو أن ليس للشيطان فيه مطمع ، والله تعالى يحوز له الخير ويجمع ؛ بمنه وكرمه ! .

الوظيفة الثالثة

(مشيخة الحرم الشريف)

وقد جرت العادة أن يكون له خادمٌ من الخُصيان المعبر عنهم بالطواشيء ، يُعين لذلك من الأبواب السلطانية ، ويكتب له توقيعٌ في قطع الثلث بـ «المجلس السامي» بالياء مفتوحاً بـ «الحمد لله» .

وهذه نسخة توقيع شريف من ذلك :

الحمد لله الذي شرف بخدمة سيّد الرسل الأقدار ، وفضل بالتأهل للدخول في عداد كرمه بخدمته من آخاره لذلك من المهاجرين والأنصار ، وجعل الاختصاص بجواره حرمه أفضل غاية تهجر لبلوغها الأوطان والأوطار ، وعجل لمن حلّ بمسجده الشريف تبوأ أشرف روضة تردها البصائر وترودها الأبصار .

نعمده على نعيمه التي أكملها خدمة نبيه الكريم ، وأفضلها التوفر على مصالح مجاوري قبر رسوله الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم ، وأكملها الانتظام في سلك خدمة حرمه [لأنها] بمنزلة واسطة العقد الكريم النظيم ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة مُزلفه لديه ، مُقرّبه إليه ، مدخرة ليوم العرض عليه ، ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف نبي بعث إلى الأسود والأحمر ، وأكرم من أنار ليل الشرك بالشرع الأقر ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين نغرت الحبشة بهجرتهم الأولى ، ونجا النجاشي بما أخذ عندهم من السابقة الحسنة واليد الطولى ، وأولى

بِاللَّهِمَّ مِنَ السَّبْقِ إِلَى خِدْمَةِ أَشْرَفِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ
أَفْضَلُ مَا يُؤْتَى؛ صَلَاةٌ لَا يَزَالُ شَهَابُهَا مُرْسِدًا، وَذِكْرُهَا فِي الْآفَاقِ مُغَيَّرًا وَمُنْجِدًا؛
وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فَإِنَّ أَوْلَى مَا اعْتَمَدَ عَلَيْهِ مَنْ آفَأَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَفَاضَ عَلَيْهِ مِنْ
مَلَائِكَةِ كَرَمِهِ، وَشَرَّفَ قَدْرَهُ بِأَنْ أَهْلَهُ بِخِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ بِلِمْشِيخَةِ حَرَمِهِ؛ وَخَصَّهُ
بِرُتْبَةٍ هِيَ أَسْنَى الرُّتَبِ الْفَائِحَةِ، وَأَجْمَعُ الوَظَائِفِ لِشَرَفِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - مِنْ رَجْمِهِ
لِذَلِكَ دِينُهُ الْمَتِينِ، وَوَرَعِهِ الْمَكِينِ، وَزُهْدِهِ الَّذِي بَلَغَ بِهِ إِلَى هَذِهِ الرُّتْبَةِ الَّتِي سَيَكُونُ
بِهَا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي ادْرَكَ مِنْ خِدْمَةِ سَيِّدِ الرُّسُلِ غَايَةَ سُؤْلِهِ، وَزَكَتْ عِنْدَ
اللَّهِ هِجْرَتُهُ الَّتِي كَانَتْ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ؛ وَسَلَكَ فِي طَرِيقِ خِدْمَتِهِ الشَّرِيفَةِ
أَحْسَنَ السُّلُوكِ، وَأَتَمَّتْ بِهِ السَّعَادَةُ إِلَى خِدْمَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لِيُعْرَضَ بِجَوْهَرِهَا الْأَعْلَى عَنْ عَرَضِ خِدْمَةِ الْمُلُوكِ؛ وَقَازَ مِنْ مُجَاوَرَةِ الْحَجْرَةِ الشَّرِيفَةِ
بِمَا عَظُمَتْ عَلَيْهِ [بِهِ] الْمَنَّةُ، وَحَلَّ بِهِ مِمَّا بَيْنَ الْقَبْرِ وَالْمَنْبَرِ فِي رَوْضَةٍ مِنْ رِيَاضِ
الْحَنَّةِ؛ وَأَقَامَ فِي مَقَامِ جَبْرِئِيلَ، وَمَهَيِّطِ الْوَحْيِ وَالْتَسْرِيلِ؛ يَتَفَيَّأُ ظِلَالِ الرَّحْمَةِ
الْوَارِفَةِ، وَيَتَهَيَّأُ مِنْ تِلْكَ النِّعْمَةِ بِالْعَارِفَةِ بَعْدَ الْعَارِفِ - تَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْمُحَلِّي
بِعُقُودِ مَشِيخَةِ ذَلِكَ الْحَرَمِ، وَالْمُنَوَّلِ لِمَصَالِحِ هَذِهِ الطَّائِفَةِ الَّتِي لَهُ فِي التَّقَدُّمِ عَلَيْهِمْ
أَثْبَتُ قَدَمٍ .

فرسم بالأمر الشريف لا زال أن تفوض إليه المشيخة على خدام
الحرم الشريف النبوي: لعلهم بأنه العادل الورع، والكافل الذي يعرف أدب تلك

(١) لعله "من اعتمد عليه من" الخ .

(٢) في الأصل "إليه" .

الوظيفة : من خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم - علي ما شُرع ؛ والزاهد الذي آثر جوار نبيه علي ما سواه ، والخاشع الذي نوى بخدمته الدخول في زمرة من خدمه في حياته : « ولكل أمرئ ما نواه » .

فليستقر في هذه الوظيفة الكريمة قائماً بأدائها ، مشرفاً بها نفسه التي تشبثت من خدمته الشريفة بأهدائها ؛ سالكاً في ذلك ما يجب ، محافظاً علي قواعد الورع في كل ما يأتي وما يجنب ؛ قاصداً بذلك وجه الله الذي لا يجيب لراج أملاً ، ولا يضع أجر من أحسن عملاً ؛ ملزماً كلاً من طائفة الخدام بما يقربه عند الله زلفى ، ويضعف الحسنة الواحدة سبعين ضعفاً ؛ هادياً من ضل في قوانين الخدمة إلى سواء السبيل ، مبدياً لهم من آداب سلوكه ما يغدو لهم منه أوضح هاد وأنور دليل ؛ وفيه من آداب دينه ما يغني عن تكرار الوصايا ، وتجديد القضايا ؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل ، ويوفقه لخدمة سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم وقد فعل ؛ بمنه وكرمه .

القاعدة الثالثة الينبع

(وبها وظيفة واحدة ، وهي النيابة)

وقد تقدم أن نيابتها في بني الحسن ، من بني قتادة أيضا . وعدل بها عن لفظ الإمارة إلى لفظ النيابة تصغيراً لشأنها عن مكة والمدينة . ويكتب لنائبها مرسوم شريف في قطع الثلث « بالمجلس السامي » بغير ياء .

وهذه نسخة مرسوم شريف بنبابة الينبع ، كتب به « لمخدم بن عقيل » في عاشر رجب الفرد سنة أربع وثلاثين وسبعائة ، من إنشاء المقتر الشهابي بن فضل الله ، وهو :

الحمد لله الذي أتم لدولتنا الشريفة أنعمًا، وأحسن في تقديم شريف كل قوم
تقدمًا، وأمضى في كف كف الأعداء رُحماً سَمَهَرِيًّا وسِيقًا مَحْدَمًا .

نحمده حمدًا يكثر عدد القطر إذا همي، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تؤمن بالإدمان عليها مُنَجِدًا ومُتَمِّمًا؛ ونشهد أن محمدًا عبده ورسوله الذي
شرف من إليه آتَمُّ، وعلى نسبه الشريف آرَمِي، وبجوارحه المنيب آحَمِي؛ صلى
الله عليه وعلى آله وصحبه الذين طلَّعوا في صباح كل نهار شُموسًا وفي عَشِيَّة كلَّ ليل
أنجما؛ وسلَّم تسليماً .

وبعد، فإن أولى من أعدنا له سعادة جدّه، وعُدنا إلى عَوَائِدِهِ الحُسْنَى لأبيه
وجده؛ ورعت صدقاتنا الشريفة له قَصْدَهُ الجَمِيلَ، وشرفه الذي سما به من أصله
إلى النجم فرع لا ينال طَوِيل؛ وأقزت عينه بسكِّنه، وأستقرت به مراسمنا العالية
في مسكِّنه؛ وأغنته عنايتنا الشريفة عن انتظار كلِّ نجم سعادة يَطَّلِعُ، وبَعَثتُ إليه كلَّ
خير إلى وطنه وهو «يَبُوع»؛ منزلة نسبه الصِّمِيمِ، والحسب الذي يتمسكُ به في قومه
كلِّ كَرِيمٍ؛ والشرف الذي أثارَت كَوَاكِبُهُ، والوصف الذي ينظم الدرَّ ناقِبُهُ^(١) .

ولما كان المجلس السَّامِي، الأَمِيرُ، الأَجَلُّ، الكَبِيرُ، الشَرِيفُ، الحَسِيبُ،
النَّسِيبُ، الأَوْحَدُ، العَضُدُ، النَّصِيرُ، الأَصِيلُ، فلان الدين، مجد الإسلام، زين
الأنام، شرف الأُمراء الأَشْرَافِ، نَخْرُ العِثْرَةِ الطَّاهِرَةِ، جمالُ الأُسْرَةِ الزَّاهِرَةِ،
نَسِيبُ الخِلافةِ، عَضُدُ المُلُوكِ والسُّلْطَانِ «مَحْدَمُ بنِ عَقِيلِ» أيدَهُ اللهُ تَعَالَى - هو
الذي تقدَّمت إليه كلُّ إشارة، وحسنت به كلُّ شاره، وتمجَّلت له بمراضينا
الشريفة من مُخَلِّقِ الشَّفَقِ كلُّ بشاره؛ وحصل في اليَبُوعِ ما حصل من الاعتداء،
وَأَمْتَدَّتِ الأَيْدِي به إلى ما كان مُجْجَاجِ بَيْتِ اللهِ من وديعه، وظنَّ أنه لا يشيع خبره

(١) لم يذكر خبرا لأن وهو معلوم من فظائره وكثيرا ما ورد كذلك ونهنا عليه .

في البيداء ، مخالف الواجب وتعدي الشريعة ؛ فاقترضت آراؤنا الشريفة تفويضها إلى العارف منها بما يجب ، العالم من طريق سلفه الصالح بما يأتي فيها ويحتجب ؛ العايل في طاعتنا الشريفة بما هو به ويمثله من أهل الشرف يليق ، الماشي في خدمتنا الشريفة وفي خدمة الوفود إلى بيت الله الحرام على الطريق .

فرسم بالأمر الشريف - أعلاه الله تعالى وشرفه ، وأنفذه وصرّفه - أن تفوض إليه النيابة بالينبوع على عادة من تقدمه وقاعدته إلى آخر وقت :

فليقدم تقوى الله في كل ما تقدم ، ويقف مع حكم الشرع الشريف فإنه المهيم المقدم ؛ وليستوص بالجمّاج خيراً فإنهم وقد الله وهو عليه سيّقدم ، وليؤمن الطريق فإنه بين حرمين : بيت الله ومسجد رسوله صلى الله عليه وسلم ؛ وليحفظ أمانة الله فيما يحلّ ويخلف عنده الجمّاج كتب الله سلامتهم من وداعه ،^(١) وليأخذ بقلوب الحلّابة فإنهم في توسيعهم على أهل الحرمين كالمُتصدّقين وإن كانوا تجّاراً بيضاعه ؛ وليوصل من تأخر من أبناء السبيل إلى مأمنهم ، وليخص بالعدل أهل بلده ليستقرّوا آمنين في موطنهم ، والرّفق فهو الذي بحلّله يُزيّن ، وبحلّله يُستحسن ، والتأني في معرفة الحق من الباطل فإن به الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الباطل بيّن ؛ ولزوم الطاعة ، التي أوجبها الله لنا على عباده ونّدب إليها ، وملازمة الجماعة ، التي يكفيه من بركاتها أن يد الله عليها ؛ وإقامة الخدمة فيما قبله من البلاد ، وكلّ حاضر وباد ، وكلّ من كاد أو كاد ، أو تعرض لعناد العباد ؛ فمن أقدم على محذور ، أو تقدم إلى محظور ، أو ارتكب في الخلاف أمراً من الأمور ؛ بخره بالبنّي إلى مصرعه ، وحرك السيف لمضجعه ، ودع الرّمح الذي أعتقله للشقاق يبكي للإشفاق عليه بأدميه ؛ وقد رأيت كيف

(١) مراده «ردية» ولكن اضطره السجع الى موافقة اللفظ العامية . فنبه .

طَرِيقَتَنَا الْمُتَلَى، وَسِيرَتَنَا الَّتِي لَا تَجِدُ لَهَا مِثْلًا؛ فَاسْأَلْكَ هَذِهِ الْمَحَجَّةَ، وَحَسْبُكَ أَنْ تُتَّخَذَ
بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ حُجَّةً؛ وَفِي هَذَا عَنِ بَقِيَّةِ الْوَصَايَا غَنَى، وَاللَّهُ يُزِيلُ عَنْكَ الْخَوْفَ
فِي الْخَيْفِ وَيُسَلِّعُكَ الْمُنَى فِي مَنَى؛ وَالْأَعْتَادُ

القسم الرابع^(١)

(مما يُكْتَبُ مِنَ الْوَلَايَاتِ عَنِ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ)

بِالدِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - مَا يَقَعُ عَلَى سَبِيلِ النُّدُورِ، وَهُوَ الَّذِي يَقَعُ فِي حِينِ

مِنَ الْأَحْيَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَسْبِقَ لَهُ نَظِيرٌ)

قَالَ الشَّيْخُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ الْحَلَبِيُّ فِي "حُسْنِ التَّوَسُّلِ": وَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ فِيهِ
إِلَى حُسْنِ التَّصَرُّفِ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ .

[فَمِنْ ذَلِكَ] مَا يُكْتَبُ بِهِ لِلنِّيَابَةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْمَمْلُوكَةِ إِذَا رَغِبَ فِيهَا مُتَوَلِّيًا .

وَهَذِهِ نَسْخَةٌ تَقْلِيدُ شَرِيفٍ مِنْ ذَلِكَ، كَتَبَ بِهِ الْمَوْلَى الْفَاضِلُ شَهَابُ الدِّينِ مُحَمَّدُ
الْحَلَبِيُّ لِمَتَمَلِّكَ سَيْسَ، بِإِقْرَارِهِ عَلَى مَا هُوَ قَاطِعُ النَّهْرِ مِنْ بِلَادِهِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَصَّ أَبَا مَنَا الزَّاهِرَةَ، بِاصْطِنَاعِ مُلُوكِ الْمَلَلِ، وَفَضَّلَ دَوْلَتَنَا
الْقَاهِرَةَ، بِإِجَابَةِ مَنْ سَأَلَ بَعْضَ مَا أحرَزَتْهُ لَهَا الْبَيْضُ وَالْأَسَلُ؛ وَجَعَلَ مِنْ خِصَائِصِ
مُلْكِكَ إِطْلَاقَ الْمَمَالِكِ وَإِعْطَاءَ الدُّوَلِ، وَالْمَنْ بِالنُّفُوسِ الَّتِي جَعَلَهَا النَّصْرُ لَنَا مِنْ جُمْلَةِ
الْخَوْلِ؛ وَأَغْرَى عَوَاطِفَنَا بِتَحْقِيقِ رَجَاءٍ مَنْ مَدَّ إِلَى عَوَارِفِنَا كَفَّ الْأَمَلَ، وَأَفَاضَ
بِمَوَاهِبِ نِعْمَاتِنَا، عَلَى مَنْ أَنَابَ إِلَى الطَّاعَةِ حُلَّ الْأَمْنِ بَعْدَ الْوَجَلِ؛ وَأَتَرَعَ بِالْآثِنَا،

(١) نَقَدَمُ لَهُ تَقْسِيمَهُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ قَطَطَ كَمَا وَرَدَ فِي الصَّفْحَةِ ١٣٤ مِنْ ج ١١ مِنْ هَذِهِ الطَّبَعَةِ فَيَكُونُ

هَذَا زَائِدًا عَلَى الْأَقْسَامِ .

لمن تَمَسَّكَ بَوْلَانِنَا ، أَرْوَاحَ رَعَايَاهُ مِنْ قَبْضَةِ الْأَجَلِ ، وَجَعَلَ بَرْدَ الْعَفْوِ عَنْهُ وَعَنْهُمْ بِالطَّاعَةِ تَبِيحَةً مَا أَذَاقَهُمُ الْعِضْيَانُ مِنْ حَرَارَةِ الْغَضَبِ : إِذْ «رُبَّمَا صَحَّتِ الْأَجْسَامُ بِالْعِلَلِ» .

نَحْمَدُهُ عَلَى نِعْمِهِ الَّتِي جَعَلَتْ عَفْوَنَا مِمَّنْ رَجَاهُ قَرِيبًا ، وَكَرَمَنَا لِمَنْ دَعَاهُ بِإِخْلَاصِ الطَّاعَةِ مُجِيبًا ، وَرَبَّنَا لِمَنْ أَقْبَلَ إِلَيْهِ مَثِيبًا بِوَجْهِ الْأَمَلِ مُنِيبًا ، وَبَأَسْنَا مُصِيبًا لِمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهَ لَهُ فِي التَّمَسُّكِ بِمِرَاحِمِنَا نَصِيبًا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تَعَصِمُ دَمَّ مَنْ تَمَسَّكَ بِذِمَامِهَا ، وَتَحْسِمُ مَوَادَّ مَنْ عَانَدَهَا بِانْتِقَامِ حُسَامِهَا ، وَتَقْصِمُ عُرَا الْأَعْنَاقِ مِمَّنْ أَطْمَعَهُ الْغُرُورُ فِي أَنْفِصَالِ أَحْكَامِهَا وَأَنْفِصَامِهَا ، وَتَقْصِمُ مَنْ قَصَدَ إِطْفَاءَ مَا أَظْهَرَهُ اللَّهُ مِنْ نُورِهَا وَأَقْتِطَاعَ مَا قَضَاهُ مِنْ دَوَامِهَا ، وَتَجْعَلُ كَلِمَةً حَمَلَتْهَا هِيَ الْعُلْيَا وَلَا تَزَالُ أَعْنَاقُ جَاوِدِيهَا فِي قَبْضَةِ أَوْلِيَانِهَا وَتَحْتَ أَقْدَمِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مَجْدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ إِلَى كُلِّ أُمَّةٍ ، الْمَنْعُوتُ فِي الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ بِالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ ، الْمَخْضُوعُ مَعَ عَمُومِ الْمَعْجَزَاتِ بِمَحْسُ : مِنْهَا الرُّعْبُ الَّذِي كَانَ يَتَقَدَّمُهُ إِلَى مَنْ قَصَدَهُ وَيَسْبِقُهُ مَسِيرَةَ شَهْرٍ إِلَى مَنْ أَمَّهُ ، الْمَنْصُوعُ فِي الْكُتُبِ الْمُحْكَمَةِ عَلَى جِهَادِ أُمَّتِهِ الَّذِينَ لَا حَيَاةَ لِمَنْ لَمْ يَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِهِمْ بِذَقِّهِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا بِدَعْوَتِهِ الْمَمَالِكَ ، وَأَوْصَحُّوا بِشَرْعَتِهِ إِلَى اللَّهِ الْمَسَالِكَ ، وَجَلُّوا بِنُورِ سُنَّتِهِ عَنْ وَجْهِ الزَّمَنِ كُلِّ حَالٍ حَالِكٍ ، وَأَوْرَدُوا مِنْ كَفَرِ رَبِّهِ وَرُسُلِهِ مَوَارِدَ الْمَهَالِكِ ، وَوَتَّقُوا بِمَا وَعَدَ اللَّهُ نَبِيَّهُ حِينَ زَوَى لَهُ ذَلِكَ ، صَلَاةً لَا تَزَالُ الْأَرْضُ لَهَا مَسْجِدًا ، وَلَا يَبْرُحُ ذِكْرُهَا مُغِيرًا فِي الْأَفَاقِ وَمُنْجِدًا ، مَا اسْتَفْتَحَتْ أَلْسِنَةُ الْأَسِنَّةِ النَّصْرَ بِإِقَامَتِهَا ، وَأَبَادَتْ أَعْدَاءَهَا بِاسْتِدَامَتِهَا ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّهُ لِمَا آتَانَا اللَّهُ مُلْكَ الْبَسِيطَةِ ، وَجَعَلَ دَعْوَتَنَا بِأَعْنَةِ مَمَالِكِ الْأَقْفَارِ مُحِيطَةً ، وَمَكَّنَ لَنَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنْهَضَنَا مِنَ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِهِ بِالْأَسِنَّةِ وَالْفَرَسِ ،

وجعل كل يوم تعرض فيه جيوشنا من أمثلة يوم العرض ؛ وأظلتنا بوادر الفتوح ، وأطلت على الأعداء سيوفنا التي هي على من كفر بالله وكفر النعمة دعوة نوح ؛ وأيدنا بالملائكة والروح ، على من جعل الواحد سبحانه ثلاثة : فانتصر بالأي والابن والروح ؛ وألقت إلينا ملوك الأقطار السلام ، وبذلت كرائم بلادها وتلاذها رغبة في الاتجاء إلى ظل أعلى من الأعلام ؛ وتوسل من كان منهم يظهر الغلظة بالذلة والخضوع ، وتوصل من كان منهم يبيد القوة بالإخلاص الذي رأوه لهم أقوى الجتن وأوقى الدروع - عاهدنا الله تعالى أن لا نرد منهم آملا ، ولا نصد عن مشاريع كرمنا ناهلا ؛ ولا نحيب من إحساننا راجيا ، ولا نخلي عن ظل ربنا لاجيا ؛ علمنا أن ذلك شكر للقدرة التي جعلها الله لنا على ذلك الآمل ، ووثوقا بأنه حيث كان في قبضتنا متى نشاء نجتمع عليه الأنايل ؛ اللهم إلا أن يكون ذلك اللابحى للغل مسرا ، وعلى عداوة الإسلام مصرا ؛ فيكون هو الجاني على نفسه ، والجاني على موضع رمنه ، والمفرط في مصلحة يومه وغده بتذكير عداوة أمسه .

ولما كان من تقدم بالملكة الفلانية قد زين له الشيطان أعماله ، وعقد بجبال الغرور آماله ؛ وحسن له التمسك بالثأر الذين هم بمهابتنا محصورون في ديارهم ، مأسورون في جبال إديارهم ؛ عاجزون عن حفظ ما لديهم ، قاصرون عن ضبط ما استلبته سرايا المنصورة من يديهم ؛ ليس منهم إلا من له عند سيوفنا ثار ، ولها في عنقه آثار ، ومن يعلم أنه لا بد له عندنا من خطي خسف : إما القتل أو الإيسار .

وحين تمادى المذكور في غيه ، وحمله الغرور على ركوب جواد بغيه ، أمرنا جيوشنا المنصورة بفحاست خلال تلك المسالك ، ودأست حوافر خيلها ما هنالك ، وسارت في عموم القتل والأسرين العبد والحرب والملوك والممالك ؛ وألحقت روايس

جِبَالِهِم بِالصَّعِيدِ ، وَجَعَلَتْ حُمَاتِهِمْ كُرُورِعَ فَلَاتِهِمْ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ، فَاسْلَمَهُم
الشَّيْطَانُ وَمَرَّةً ، وَتَرَكَهُمْ وَفَزَ ؛ وَمَا كَرَّهَ وَمَا كَرَّ ، وَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ مَوْعِدَهُمُ السَّاعَةُ وَالسَّاعَةُ
أَذْهَىٰ وَأَمْرٌ ؛ وَأَخْلَفَهُمْ مَا صَيَّنَ لَهُمْ مِنَ الْعَوْنِ ، وَقَالَ لَهُمْ : (إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي
أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ) .

وَكَانَ الْمَلِكُ فَلَانٌ مِّنْ تَدْبَرِ طُرُقِ النِّجَاةِ فَلَمْ يَرَّ إِلَيْهَا سِوَى الطَّاعَةِ سَيِّلًا ، وَتَأَمَّلْ
أَسْبَابَ النَّجَاحِ فَلَمْ يَجِدْ عَلَيْهَا غَيْرَ صِدْقِ الْإِنْتِمَاءِ دَلِيلًا ؛ فَأَبْصَرَ بِالْخِدْمَةِ مَوْضِعَ رُشْدِهِ ،
وَأَدْرَكَ بِسَعْيِهِ نَافِرَ سَعْدِهِ ؛ وَأَرَاهُ الْإِقْبَالَ كَيْفَ ثَبَّتَ قَدَمَهُ فِي الْمَلِكِ الَّذِي زَلَّتْ عَنْهُ
قَدَمٌ مِنْ سَلْفٍ ، وَأَظْهَرَ لَهُ الْإِشْفَاقَ عَلَىٰ رِعَايَاهُ مَصَارِعَ مِنْ أَوْرَدِهِ سُوءَ تَدْبِيرِ أَخِيهِ
مَوَارِدَ التَّلَفِّ ؛ وَعَرَّفَهُ التَّمَسُّكَ بِإِحْسَانِنَا كَيْفَ أَحْتَوَتْ يَدُهُ عَلَىٰ مَا لَمْ يُبْقِ غَضَبُنَا فِي يَدِ
أَخِيهِ مِنْهُ إِلَّا الْأَسَىٰ وَالْأَسْفَ ؛ وَحَسَّنَتْ لَهُ الثَّقَةَ بِكِرْمَتِنَا كَيْفَ يُجِبُّ الطَّلَبَ ،
وَعَلَّمَتْهُ الطَّاعَةَ كَيْفَ يَسْتَتِرُ عَوَارِفَنَا عَنْ بَعْضِ مَا غَلَبَتْ عَلَيْهِ سُيُوفُنَا : وَإِنَّمَا الدُّنْيَا
لِمَنْ غَلَبَ ؛ وَأَتَمَّتْ لِنَا فِصَارَ مَنْ خَدَمَ أَيَّامَنَا ، وَصَنَائِعَ إِنْعَامِنَا ، وَقَطَعَ عِلَاقَتَهُ مِنْ
غَيْرِنَا ؛ فَلَجَا مِنَّا إِلَىٰ رُكْنِ شَدِيدٍ ، وَظَلَّ مَدِيدٍ ، وَنَصَرَ عَتِيدٍ ؛ وَحَرَّمَ تَأْوِي الْمَلَّةِ إِلَيْهِ ،
وَكَرَّمَ تَغْرِ نَضَارَتِهِ نَاطِرِيهِ ، وَإِحْسَانَ يَمْتَعَهُ بِمَا أَقْرَهُ عَطَاؤُنَا فِي يَدِيهِ ، وَامْتِنَانَ يَضَعُ
عَنْهُ إِصْرَهُ وَالْأَثْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِ - أَقْتَضَىٰ إِحْسَانُنَا أَنْ نُغْفِرَ لَهُ عَنْ بَعْضِ
مَا حَلَّتْ جُيُوشُنَا ذُرَاهُ ، وَحَلَّتْ سَطَوَاتُ عَسَاكِرِنَا عُورَاهُ ، وَأَضْعَفَتْ عَزَمَاتُ
سَرَايَانَا قُوَاهُ ، وَتَشَرَّتْ طَلَائِعُ جُنُودِنَا مَا كَانَتْ سَتْرَهُ صَفْحُنَا عَنْهُمْ مِنْ عَوَارِثِ
بِلَادِهِمْ وَطَوَاهُ ؛ وَأَنْ يُحَوَّلَهُ بَعْضُ مَا وَرَدَتْ حُيُوتُنَا مِنْهَا لَهُ ، وَوَطِئَتْ جِيَادُنَا غَارِيَهُ
وَكَاهِلَهُ ، وَسَلَكَتْ كَأْسًا فَلَكَتْ دَارِسَهُ وَأَهْلَهُ ؛ وَأَنْ يُبْقِيَ مُلْكُ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي
مَضَىٰ سَلْفُهُ فِي الطَّاعَةِ عَلَيْهِ ، وَيَسْتَمِرَّ مَلِكُ الْأَرَمَنِ الَّذِي أَجْمَلَ السُّعْيَ فِي مَصَالِحِهِ

بيديه ؛ لنتيمن رعاياه به ، ويعلموا أنهم أمنوا على أزواجهم وأولادهم بسببه ، عن طوية مخلصه ونفس مطيعة ، ولا تخشى عليه يد جائره ، ولا سرية في طلب الغرة سائره ؛ ولا تطرق ككاسه أسد جيوش مفرسه ، ولا سباع نهاب محتلسه ؛ بل تستمر بلادُه المذكورة في ذمام رعايتنا ، وحضانة عنايتنا ؛ وكنف إحساننا ، ووديعه برنا وأمتنا ؛ لا تطمح إليها عين مُعاند ، ولا يمتد إليها إلا ساعد مُساعد وعَضد مُعاضد .

فليقابل هذه النعمة بشكر الله الذي هداه إلى الطاعة ، وصان بإخلاص ولايته نفسه ونفائس بلاده من الإضاعة ؛ وليقرن ذلك بإصفاء موارد الموَدَّة ، وإصفاء ملابس الطاعة التي لا تزاد بحسن الوفاء إلا جدده ؛ واستمرار المناصحة في السر والعلن ، واجتناب المخادعة ما ظهر منها وما بطن ؛ وأداء الأمانة فيما استقر معه الخلف عليه ، ومباينة ما يخشى أن يتوجه بسببه وجه عتب إليه ؛ واستدامة هذه النعمة بحفظ أسبابها ، واستقامة أحوال هذه المينة برفض موجبات الكدر واجتنابها ، وإخلاص النية التي لا تعتبر ظواهر الأحوال الصالحة إلا بها .



ومن ذلك ما يكتب به لحكم رمة البندق

قد جرت العادة أنه إذا كان للسلطان عناية برمي البندق ، أقام رُماته حاكما من الأمراء الذين لهم عناية برمي البندق .

وهذه نسخة توقيع من ذلك :

الحمد لله الذي خص أيامنا الزاهرة ، باستكمال المحاسن في كل مرام ، وجعل [من] أولياء دولتنا القاهرة ، من أصاب من كل رمي بعيد شاكلة الصواب حتى أصبح

حاشا فيه بين كل رام ، وجمع نحواصنا من أشنات المفاسخ ما إذا برزوا فيه للرياضة ليلا [أغنت] قسيهم عن الأهلة ورجومها عن رجوم الظلام ، وسدد مقاصد أصفائنا في كل أمر فبا شغلوا بمسرة سر إلا وكانت من أقوى أسباب التمرن على خوض الغمرات العظام ، واقتحام الحرب اللهم ، وأشتيال جلابيب الدجى في مصالح الإسلام .

نحمده على نعمة الوسام ، وأياديه الجسام ، وآلائه التي ما برحت بها تغور المساز دائمة الأيتسام ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تعصم من الزلل ، وتؤمن من الزنغ والحلل ، وتلبس المتمسك بها من أنوار الجلالة أبهى الحلل ؛ ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المتز عن الهوى ، المخصوص بالوحي الذي علمه شديد القوى ، الدال على اعتبار الأعمال بصحة القصد بقوله صلى الله عليه وسلم : « إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرئ مانوى » . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين وفق الإخلاص مساعيهم ، ووقر الإيمان دواعيهم ؛ صلاة دائمة الاتصال ، مستمرة الإقامة بالغدو والآصال ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإنه لما كان رمى البندق من أحسن ما هنت به الكفاة ، في حال سائها ، ومن أهبج ما حفظت به الرامة ، حياة نفوسها وعزة عزيمتها ؛ على ما فيه من أطراج الراحة وأجتنابها ، وأستدعاء الرياضة وأجتنابها ؛ وخوض الظلمات في الظلام ، وتوثي الإصابة في غمرات الدجى التي تخفى فيها المقاتل على حدق السهام ، وأرتقاب ظفر ، يسفر عنه وجه سفره ؛ ومهاجمة خطر ، تفضي إلى بلوغ وطر - وله شرائط تقتضي التقدم بين أربابه ، وقواعد لا يخالفها من كان مبرزاً في أصحابه ؛ وأدوات

(١) في الأصل «في مخالفتها» ولا معنى له . تأمل .

كمال، لأبد للتحلى بهذه الرتبة منها، وحسن خلال، تُهدر أعمال من بعد عليه مرأها وقصرت مساعيه عنها؛ وعوائد معلومة، بين أرباب هذا الشأن وكبرائه، ومقاصد مفهومة، فيما يميز به المصيب الحاذق على نظرائه .

ولما كان الحساب العالى الفلانى ممن يشار إليه في هذه الرتبة ببنان الترجيح، ويرجع إلى أقواله فيما اقتضى التعديل فيما بين أربابها والتجريح؛ ويعمل فيها بإشارته الخالصة من الهوى والأغراض، ويعول فيها على قدم معرفته المميزة بين أقدار الرماة مع تساوى إصابه الأغراض؛ لأحتوائه على غايات الكمال فيها، وسبقه منها إلى مقامات حسان لا يعطيها حقها [الا] مثله ولا يوفيها - اقتضى رأينا الشريف أن تعدق به أحكامها، ونزد إلى أمره ونبيه كبراءها وحكامها .

فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق لما يتعين من اختصاصها بجانها، ويتبين من أولويته بالحكم في هذا الفن على سائر أربابه .

قليل ذلك حاكما بشروطه اللازمة بين أهله، المعتبرة بها خلال الكمال في قول كل أحد منهم وفعله؛ المميزة بين تفاوت الرماة بحسب كيفية الرمي وإتقانه، المرجحة في كثرة الطير بإمكانه له في وقت البروز ومكانه؛ المهذرة ما يجب بين أهل هذا الفن إهداره، المثبتة ما يتعين في كمال الأدوات إثباته في قدم الكبراء وإقراره؛ ويعمل في ذلك جميعه بما تقتضيه معرفته المجمع في فنه عليها، ويتقدم فيه بما تدله عليه خبرته التي ما برح وجه الاختيار مصروفا إليها؛ والله تعالى يسدده في القول والعمل، ويبالغه مراتب الرفعة في خلاله الجميلة وقد فعل؛ والخير يكون، إن شاء الله تعالى .

قلت : ورُبما كان المرسوم المكتتب لمن هو دون من تقدم من أمير عشرة أو من في معناه، فيفتح بـ «أما بعد» ويكمل على نحو ما تقدم .

وهذه نسخة ثانية لحاكم البندق، مفتوحة بـ «أما بعد» وهي :

أما بعد حمد الله الذي لا معقب لحكمه ، ولا يعزب شيء عنه ، ولا قنوط
من رحمته وسعة حلمه ، ملهم أهل محاربة أعداء دينه بالرياضة لها في أيام سلمه ،
ومنجز وعود السعود لمن كان النجم مبدأ همته ، والصدق حلة صحبته ، والعز حلية
آمنه ؛ والصلوة والسلام على سيدنا محمد الذي هدى الله بنور ملة العادلة من تردى
في ظلمات ظلمه ، ورفع منار النبوة بما خصه به من أفتتاح التقدم في رتبها
وختمه ؛ وعلى آله وصحبه الذين سرى كل منهم إلى غاية الكمال على نجائب همته
وجياد عزيمه - فإن أولى من رعبت له أسباب قدمه وتقدمه ، وفُحِت له أبواب
حكيمه في رتبته وتحكمه ؛ وأعيد إلى مكانته التي رقاها باستحقاقه قديما ، ورفع إلى
منزله التي لم يزل بقواعدها خيرا وبأوضاعها عليا - من ارتقى في رتبته إلى نجم أُنقها ،
واقترى في مناهجه بدليل مسالكها وطرقها ؛ فأتى في مصالحها بيوت الإصابة من
أبوابها ، ونقل فيها أوضاع الإجابة عن كان أدري بها ؛ وتقدم فيها تقدم هجرته
وسبق قدمه ، وبلغ في مقاماتها الغاية بين وثبات ساعده وثبات قدمه ؛ وجمع من
أشنت الطير ما أفرق في غيره ، وحوى من السبق إلى أنواعها ما حكم بسعد نتجه
ويمن طيره ؛ فكم ليلة أسفر فيا أبرزوه عن صباح نجاحه ، وكم طائر زاحم النسر ين
بقواده أصبح لديه محولا بجناحه ؛ وكم أنزلت أهلة قسيه الطير على حكمها ، وكم
حكمت بنادقه في رجوم الطير المخلقة إلى السماء آتقصاص تجها ؛ وكم أبصر مقاتل
الطير وهي من الليل في ظلمات بعضها فوق بعض ، وكم أشتغل من الطير الواجب
بندب رمي لم يشغله من إنداد الأهبة للجهاد عن الفرض ؛ حتى كاد النسر الطائر
إذا توهم أن الهلال قوسه يغدو كإخيه واقعا ، والمرزم الملق في الأفق يُمسي لإشارة

بنادقه الصمّ متبعا ؛ حتى أصبح وهو الكبير في فنّه بأداب التعريف ، وأضحى وهو الخبير بنوعه بطريق النقل والتوقيف .

ولما كان فلان هو كبير هذا الفن وخبيره ، ومقدم هذا النوع الذي لم يزل بتجلاته عظيم كل عصر وأميره ؛ وقديم هذا المرمى الذي جُلّ المراد به الخد لا اللعب ، وأليف هذا المرام الذي ينشط إليه اللاعب ويستروح إليه التعب - أقتضى الرأي الشريف أن نجعله حاكما في هذه الرتبة الجليلة بما علم أو علم منها ، فاصلا بين أهلها بمعرفته التي ما برحت يؤخذ بها في قواعدها وينقل عنها - فرسم بالأمر الشريف أن يكون حاكما في البندق .

فليستقر في هذه الرتبة التي تلقاها ، يمين كفايته ويمنه ، وأرتقاها ، بتفرده في نوعه وتقدمه في فنّه ؛ وليعتمد الإنصاف في أحكام قواعدها ، وإجراء أمر أربابها على أحوالها المعروفة وعوائدها . وينافس المعروفين بها على التحلّي بأدائها ، والتمسك من المروءة والأخوة بأفضل أهدائها ؛ ويُنصف بينهم فيما يُعتدُّ به من واجبها ، ويلزم الداخل فيها بالمشي على المألوف من طرُقها والمعروف من مراتبها ؛ ولا يحكم في التقديم والتأخير بهوى نفسه ، ولا يقبل من لم يتحرّ الصدق في يومه أنه قيل منه في أمسه ؛ فإنّ أمستدامة شروطها أمان من السقوط عن درجتها ، وإذا حكمت نفوس أهلها الصدق في أقوالها وأفعالها فقد خرجت من خطّ حرجها ؛ وليرع لذوى التقدم فيها قدم هجرتهم ، وأشتهار سيرتهم الحسنة بين أسرهم ؛ وقد خبر من أوصافه الحسنة ، وسابق رتبته التي لم تكن عين العناية عنها وسنه ؛ ما اقتضى استقرار رتبته على مكاتبا ومكانها ، وأكتفى له من مبسوط الوصايا بعنوانها ؛ فليتيق الله في قوله وعمله ، ويجعل الاعتماد على توفيقه غاية أمله ؛ والخير يكون : إن شاء الله تعالى .



ومن ذلك ما يكتَبُ به في إلباس الفتوة .

إِعلم أنَّ طائفةً كبيرةً من الناس يذهبون إلى إلباس لباس الفتوة، ويقيّمون لذلك شروطاً وآداباً جاريةً بينهم . ينسبون ذلك في الأصل إلى أنه مأخوذٌ عن الإمام عليٍّ كرم الله وجهه .

والطريق الجارى عليه أمرهم الآن أنه إذا أراد أحدهم أخذَ الطريق عن كبير من كبراء هذه الطائفة، أجمع من أهلها من تيسر جمعه، وتقدم ذلك الكبير فيلبس ذلك^(١) ثياباً، ثم يجعل في كوز أو نحو ماءٍ ويخلط به بعض ملح، ويقوم كلُّ منهم فيشرب من ذلك الماء وينسبه إلى كبيره . وربما اعتنى بذلك بعض الملوك . وقد برت العادة في ذلك أنه إذا ألبس السلطان واحداً من الأمراء أن يكتب له بذلك توقيعاً .

وهذه نسخة توقيع بفتوة، من إنشاء القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر، وهو :
الحمد لله الذي جعل أنساب الفتوة، متصلةً بأشرف أسباب النبوة، وأفضل من أمته منه بكل حيل وقوة، وأسعد من سما فكان علياً على كل من سام علوه .
نحمده حمداً تغدو الأفواه به مملؤه، ونشكره على مواهبه بآيات الشكر المتلوه؛
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من جعل إلى منتهج التوحيد رَوَاحه وغُدوه، ونشهد أن محمداً عبده وسوله الذي شد الله أزره بخير من أفتى وفتى
فقال كل فتوى من الفتيان به شرف الأبوّة والنبوة، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين نصروا وليه وخذلوا عدوه، صلاة موصلة إلى نيل الأمانى المرجوه .

(١) بياض بالأصول، ولعله : المرید أو نحوه .

وبعد، فإن خير من اتصل به رجاء الرجال الأجواد، وطوى البعيد إلى تحصيل مرآته كل طود من الأطواد، وأماط به عن مكارم الأخلاق لئلا يكتسب كل جود وأمتطى ظهر خير جواد، وأستمسك من ملابس الشرف بما يؤمن ويؤمل وما يشد به من كل خير لباس التقوى، وما تؤيد به عزيمته فتقوى؛ وما يتقيد به على رؤوس الأحزاب، وما يتزل به عليه أحسن آية من هذا الكتاب - من أشتهر بالشجاعة التي تقدم بها على قومه، وحمد أممها في يومه؛ وبالشهامه التي لها مال للسهام من تفويق، ولزرق الأسنه من تحديق؛ ولبيض الصفاح من حدة متون، ولسمهرية من أزدحام إذا أزدحم المتون؛ ومن صدق العزيمة، ما يشهد به كرم الشيمه؛ ومن شدة الباس، ما يجتمع [به] على طاعته كثير من الناس؛ ومن صدق اللهجة واللسان، ما أنصف عفاقه منهما بأشرف ما يتصف به الإنسان؛ ومن طهارة النفس ما يتناقس على مثله المتناقسون، ويستضيء بأنواره القاسون، ويرفل في حلل نعمائه اللاسون؛ و[كان] من الذين أبانوا عن حسن الطاعة وأجابوا، وإذا دُعوا إلى استنفار جهاد وأجتهد لبوا وأجابوا؛ والذين لا يتلون ألسنتهم عن الصدق، ولا يولون وجوههم عن الحق؛ والذين لا يقعدهم عن بلوغ الأوطار مع إيمانهم حب الأوطان، وإذا نفذوا في حرب حزب الأعداء لا يتفدون إلا بسُلطان .

ولما كان فلان ذو المفانير، والمآثر؛ أمير القتيان، مُميز الإخوان والأعيان؛ هو صاحب هذا المخيل المعقود، والمدوح بهذا المقال المحمود، والمنوخ بهذا المقام المشهود؛ والثناء الذي سر بالله بما سر به له أثواب العزة والفخر، والاعتناء الذي استخير الله في أصطفائه واختياره في ذلك نثار - أقتضى حسن الرأي الشريف - كرم الله أنصاره، وأعلى مناره - أن يجيب وسائل من وقف في هذا القصد وقفة سائل، لينال بذلك كل إحسان وإحسان كل نائل؛ ودعا إلى الكرم العام بالإنعام،

والدعاء لسُلطان يُدعى له ويدعو كل الأنام ، فقال : أَسْأَلُ اللهَ وَأَسْأَلُ سُلْطَانَ
الأَرْضِ ، مَلِكَ البَيْسِطَةِ إِمَامَ العَصْرِ ، رَافِعَ لَوَاءِ النُّصْرَةِ ، نَاصِرَ المِلَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ ، مُجِيبَ
الدَّوْلَةِ العَبَّاسِيَّةِ ، فَاتِحَ البِلَادِ والقِلَاجِ والأَمْصَارِ ، قَاهِرَ الكُفَّارِ مُبِيدَ الفَرِنجِ والأَرْمَنِ
والتُّتَارِ ، سُلْطَانَ الزَّمَانِ ، حُصْرُونََ إِيْرَانَ ، شَاهِنشَاهَ القَانِ ؛ سُلْطَانَ العَالَمِ وَارِثَ
المُلْكِ ، سُلْطَانَ العَرَبِ والعَجَمِ والتُّرْكِ ؛ الَّذِي آتَيْتُ بِهِ عَنِ أميرِ المُؤْمِنِينَ الإِمَامِ
الأَوْتَابِ ، المَغْوَارِ ، عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ ذِي الفَخَّارِ ، شَرَفِ الفُتُوَّةِ وَأَتِّصَالِ الأَنْسَابِ .

قُلْتُ : هَذَا مَا وَقَفْتُ عَلَيْهِ مِنْ نُسخةِ هَذَا التَّوْقِيعِ . وَقَدْ ذَكَرَ الشَّيْخُ شِهَابُ
الدِّينِ مَحْمُودُ الحَلْبِيُّ فِي كِتَابِهِ "حَسَنَ التَّوَسُّلِ" نُسخةً تَقْلِيدَ أَنْشَاءِ فِي الفُتُوَّةِ ، أَسْقَطَ
مِنْهُ أَوَّلَ الخُطْبَةِ وَهُوَ : - وَابْتَدَأَ مِنْهُ بِقَوْلِهِ :

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا مَنَحَنَا مِنْ نِعَمٍ شَتَّى ، وَوَهَبَنَا مِنْ عِلْمٍ وَحِلْمٍ غَدَوْنَا بِهِمَا أَشْرَفَ مِنْ
أَفْقَى ، وَأَنَا مَا مَلَكَ خِلَالَ الشَّرْفِ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لغيرِ مَا أَخْتَصْنَا بِهِ مِنَ الكَمَالِ وَلَا يَتَأْتِي ،
وَخَصَّصْنَا بِهِ مِنْ رَفَعِ أَهْلِ الطَّاعَةِ إِلَى سَمَاءِ النِّعَمِ يَتَبَوَّءُ مِنْ جَنَّاتِ الكَرَمِ حَيْثُ
شَاءُوا ؛ وَغَيْرُهُمْ لَا تُفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ حَتَّى ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً مِنْ آتَمْتِي فِي نَخَارِ أُبُوَّةِ التَّقَى إِلَى حَسَبِ عَلِيٍّ ، وَآتَمْتِي
فِي بَاوَةِ البُنُوَّةِ إِلَى سَبَبِ قَوِيٍّ وَنَسَبِ زَكِيِّ ، وَأَرْتَدِي حُلَّ الوَقَارِ بِوِاسِطَةِ الفُتُوَّةِ عَنْ
خَيْرِ وَصِيِّ عَنِ أَشْرَفِ نَبِيِّ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي نُورُ شَرِيْعَتِهِ جَلِيٌّ ،
وَجَاهُ شَفَاعَتِهِ مَلِيٌّ ، وَبَسِيفُهُ وَبِهِ حَازَ النُّصْرَةَ مِنْ آتَمْتِي وَفَاءِ إِلَيْهِ : فَلَا سَيْفَ إِلَّا
دُو الفَقَارِ وَلَا قَتِيَّ إِلَّا عَلِيٌّ .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ لَبِيٍّ إِحْسَانُنَا نِدَاءَ وَدَّهِ ، وَرَبِّي آمِنَاتُنَا نِتَاجَ وَلَائِهِ المَوْزُونِ
عَنْ أَبِيهِ وَجَدِّهِ ، وَرَفَاهِ كَرَمُنَا إِلَى رُبَّةِ عِلَاءٍ يَقْفُ جَوَادُ الأَمَلِ عَنْ بُلُوغِهَا عِنْدَ حَدِّهِ ؛

وَتَلَقَّتْ كَرَامِنَا وَفَدَّ قَصْدِهِ بِالْتَّرْحِيبِ ، وَأَنْزَلَتْ جَارَ رَجَائِهِ مِنْ مِصْرٍ نَصَرَهَا بِالْحَرَمِ
الْأَمِينِ وَالرَّبْعِ الْخَصِيبِ ؛ وَأَذْنَتْ لِأَمَلِهِ مَا نَأَى مِنَ الْأَغْرَاضِ حَتَّى بَلَغَهُ بِفَضْلِهَا سَمَهُمْ
أَجْتِهَادِهِ الْمُصِيبِ ، وَأَعَدَّتْ لَهُ مِنْ حُلَلِ الْجَلَالَةِ مَا هُوَ أَيْبَى مِنْ رِذَاءِ السَّمَاءِ الَّذِي
تَرْدَادُهُ عَلَى الْأَيْدِ جِدَّةُ بُرْدِهِ الْقَشِيبِ ؛ وَخَصَّصَتْهُ لِابْتِنَاءِ الْمَجْدِ بِأَجَلٍ بُنُوَّةٌ جَعَلَتْ لَهُ
فِي إِرْثِ خِلَالِ الشَّرَفِ أَوْفَرَ حَظًّا وَأَوْفَى نَصِيبًا - مِنْ سَمَّتْ مَنَارُ الْمَجْدِ بِذِكْرِهِ ،
وَأَبْتَسَمَتْ أَسِرَّةُ الْحَمْدِ بِشُكْرِ أَوْصَافِهِ وَوَصِيفِ شُكْرِهِ ؛ وَأَخْتَالَتْ مَوَادُّ الشَّنَاءِ بِمَحْسَنِ
خِلَالِهِ ، وَأَخْتَارَتْ كَوَاكِبُ السَّنَاءِ إِقْبَالَ طَوْلِيهِ بِطَوْلِ الْعِاقِبَةِ ؛ وَتَمَسَّكَ مِنْ طَاعَتِنَا
بِأَمْثَلِ أَنْسَابِ الْهُدَى ، وَأَعْتَصَمَ بِعُرْوَةِ بُنُوَّةِ الْأَبْنَاءِ فَأَوْطَاهُ التَّوْتُقُ بِهَا رِقَابَ الْعِدَاءِ ،
وَأَتَّصَفَ بِمَحَاسِنِ الشِّيمِ فِي مَوَدَّتِنَا فَاصْحَى فَيَّ السَّنِّ كَهَيْلِ الْحِلْمِ يَهْتَرُ لِلنَّدَى ؛ وَأَنْتَمَى
إِلَيْنَا فَاصْبَحَ لَدِينَا مَلِكًا مَقْرَبًا ، وَأَوْجِبَ مِنْ حُقُوقِ الطَّاعَةِ عَلَيْنَا مَا أَمْسَى بِهِ لَدِينَا
- مَعَ جَلَالَةِ الْأَبْنَاءِ - أَبْنَاءًا وَغَدُونًا لَهُ - مَعَ شَرَفِ الْأَبَاءِ - فِي نَسَبِ الْفَخْرِ الْعَرِيقِ أَبَاءُ ؛
وَنَشَأُ فِي مَهَادِ الْمُلْكِ فَمَا بِهِ لِلْعِلْمِ وَالْعَلَمِ ، بِالسَّيْفِ وَالْقَلَمِ ، وَالْبَأْسِ وَالكَرَمِ ، وَأَعْتَرَى
إِلَى أُبُوَّةِ حُنُونًا بِبُنُوَّةِ رَجَائِهِ فَتَشَبَّهَ بِعَدْلِ أَيَّامِنَا : « وَمَنْ يُسَبِّحْ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ » ؛ وَتَحَلَّى
بِصُدْقِ الْوَلَاءِ وَهُوَ أَوَّلُ مَا يَطْلُبُ فِي سِرِّ هَذَا النَّسَبِ وَيُعْتَبَرُ ، وَتَحَلَّى لِنِكَايَةِ عَدُوِّ
الْإِسْلَامِ بِلُطْفِ مُكَايَدَةِ : السِّيُوفِ تَجَزُّ الرِّقَابِ « وَتَعَجَّزَ عَمَّا تَنَالِ الْإِبْرَ » .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ هُوَ الَّذِي زَانَ بِمُؤَالَاتِنَا عُقُودَ مَجْدِهِ ، وَزَادَ فِي طَاعَتِنَا عَلَى مَا وَرَثَ
مِنْ مَكَارِمِ أَبِيهِ وَجَدَّهُ ؛ وَزَانَ الْمُلُوكَ فِي إِقْبَالِ شَبَابِهِ ، وَصَانَ مُلْكَ أَبِيهِ عَنْ عَوَارِضِ
أَوْصِيَاءِهِ بِاتِّبَاعِ مَا أَوْصَى بِهِ ، وَأَنْفَتِ صَوَارِمَهُ أَنْ تَكُونَ لِغَيْرِ جِهَادِ أَعْدَاءِ اللَّهِ مُعَدَّةً ،
وَعَزَائِمُهُ أَنْ تَتَّخِذَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَعَدُوًّا لِأَوْلِيَاءِهِ تُلْقَى إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ ؛ وَسَهَامُهُ أَنْ تُسَدَّدَ
[الـ] إِلَى مَقَاتِلِ الْعِدَاءِ ، وَأَسِنَّتُهُ أَنْ يُبَيَّلَ لَهَا مِنْ غَيْرِ مَنَاهِلِ صُدُورِ الْكُفْرِ صَدَى ؛
مَعَ أَجْتِمَاعِ خِلَالِ الشَّرَفِ لِشَرَفِ خِلَالِهِ ، وَأَفْتِرَاقِ أَنْسَابِ السَّرَارِ عَنْ هَالَةِ كَيْالِهِ ؛

وسؤاله ما ليس لغيره أن يمد إليه يدا ، وأتمسسه من كرمنا العميم أجل ما تحل والد
ولدا ، وأنه وقف على قدم الرجاء الثابت ، ومتت بقدم غروس الولاء التي أصلها
في روض المودّة نابت ، وقال : أسأل الله وأسأل سلطان الأرض ، القسائم لجهاد
أعداء الله بالسنة والفرض ، فاتح الأمصار ، الذي لم تزل سيوفه تهاجر في سبيل الله
عن محمودها إلى أن صار له من الملائكة الكرام أنصار ، الذي كرم الله شرف الفتوة
بأتمائها إليه ، وأعلى قدر بنوة المروءة باتصالها به عن الخلق الراشدين عن أب أواب
عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأورثه من خلقه الكرم
والباس فتحليا منه بأجل مواف موافق ، ومنحه بحفظ العهد من خصائصه ماعهد به
إليه النبي الأُمّي من أنه ما يحبّه إلا مؤمّن ولا يبغضه إلا منافق ، أعز الله سلطانه ،
وأوطأ جواده معاقل الكفر وأوطانه ، أن يتقبل قصدي بقبول حسن ، ويُقبل
بوجه كرمه على أملي الذي لم يقعد به عن فروض الطاعات وسنها وسن ، وينظمني
في سلك عقود الفتوة ملتزما بأسبابها ، مقتديا بطاعته التي هي أكمل أنسابها ، متصفا
بموالاته التي لا يثبت لها حكم إلا بها ، آتيا بشروط خدمته التي من لم يأت بها على
ما يجب فما أتى البيوت من أبوابها .

فاستخرنا الله تعالى في عقد لواء هذا الفخار لمجده نخار ، ونظمتاه لعقد هذا المقام
الكريم واسطة لمثله كان يزينا الأذخار .

فرسم بالأمر الشريف - لزال جوده يُعلي الجُدود ، ويوطد لأبناء ملوك الزمن
من رتب الشرف فوق ما وطدت الآباء والجُدود - أن نصل سببه بهذا السبب
الكريم ، ونعقد حسبه في الفتوة بأواخي هذا الحسب الصميم ، ونعقد نسبه بأصالة
هذه الأبوة التي هي إلا عن مثله عقيم ، ويُفاض عليه شعار هذا الخلق المتصل عن
أكرم وصي بن قال الله تعالى في حقه : (إِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ) .

فليحل هذه الهضبة التي أخذت من مرافق العز بالمعاقيل ، ويحل هذه الرتبة التي دون بلوغها من نوع الفراقد ألف راقد ، ويحرداء الفخر على أهداب الكواكب ، ويراحم بمواكب مجده النجوم على ورود نهر المجرة بالمناكب ؛ وليصل شرف هذه النسبة من جهته بمن رآه أهلاً لذلك ، وليفت في الفتوة بما علم من مذهبنا الذي انتهى فيه منّا إلى مالك ؛ وليطل على ملوك الأقطار ، بهذه الرتبة التي تفانى الرجال على حبها ، ويصل على صروف الأقدار ، بهذه العناية التي جعلته - وهي حلية حزب الله - من حزبها ؛ وليصل سر هذا الفضل العميم بإيداعه إلى أهله ، وأتراعه ممن لم يره أهلاً لحمله .

قلت : وما تقدم مما يكتب عن الأبواب الشريفة السلطانية بالديار المصرية والممالك الشامية ، لأرباب السيوف وأرباب الأقلام وغيرهم : من التقاليد ، والتفاويض ، والتواقيع ، والمراسيم : المكبرة والمصغرة ، ليس هو على سبيل الاستيعاب ، بل على سبيل التمثيل والتذكير ، لينسج على منواله ، وينهج على نهجه . فإن استيفاء ما يكتب في ذلك مما يسق ، ويقف القصدُ دونه . بل لا بد من حوادث تحدث لم يسبق لها مثال يقتضى أثره . فيحتاج الكاتب إلى حسن التصرف في إيراد ما يلائم ذلك ويناسبه . وكل كاتب ينفق من كسبه ، على قدر سعته ، والله تعالى هو الموفق إلى نهج الصواب ، والهادي إلى طريق الحق في الأمور كلها ، بمنه وكرمه .

الفصل الثالث

من الباب الرابع من المقالة الخامسة

(فما يكتب من الولايات عن تواب السلطنة ؛ وفيه طرفان)

الطرف الأول

(في مقدمات هذه الولايات ، ويتعلق بها مقاصد)

المقصد الأول

(في بيان من تصدر عنه الولايات : من تواب السلطنة)

إعلم أن تواب السلطنة بالديار المصرية لا تصدر عنهم ولاية في جليل ولا حقير ، بل التولية والعزل منوطان بالسلطان ، والكتابة في ذلك معدومة به ، سواء في ذلك النائب الكافل ، ونائب الإسكندرية ، ونائب الوجهين : القبلي والبحري ، إلا ما يكتب عليه النائب الكافل من القصاص في صغائر الولايات : من نظر الأوقاف وغيرها ، ثم تعين ويكتب بها تواقيع سلطانية .

أما تواب السلطنة بالممالك الشامية : وهم نائب السلطنة بالشام ، ونائب السلطنة بحلب ، ونائب السلطنة بطرابلس ، ونائب السلطنة بجماعة ، ونائب السلطنة بصفد ، ونائب السلطنة بقرية ، إذا كانت نيابة لا تقدمه عسكر .^(١)

(١) يظهر أن هنا سقطا ولعله « تصدر عنهم الولاية » أخذا مما تقدم .

المقصد الثاني

(في بيان الولايات التي تصدر عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قد تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية بالممالك الشامية ، أن نواب هذه الممالك يَسْتَبِدُّون بتولية ولاية الأعمال ، وقد يَسْتَبِدُّون أيضا بتولية صغار النواب ، كالقلاع والبلدان التي تكون نيابتها إمرة عشرة . وربما استبدوا بتولية بعض النيابات التي تكون نيابتها إمرة طبليخاناه ، إلا أن تولية العشرات عن النواب أكثر ، وتولية الطبليخاناه عن السلطان أكثر . أما النيابات التي تكون نيابتها مقدمة ألف ، فإنها مخصصة بالسلطان . والنيابات التي يكون متوليها جنديا أو مقدم حلقه فإنها مخصصة بالنواب . وأن تولية أكبر أرباب الأفلام : كتابي السر ، والوزير بالشام ، حيث جعلت وزارة ، وناظر النظار ، حيث جعلت نظرا ، وأصحاب دواوين المكاتب ، ونظار المال بسائر الممالك ، ونظار الجيش ، وقضاة القضاة بها - فإن التولية^(١) في ذلك تختص بالسلطان دون النواب . وما عدا ذلك يولي فيه السلطان تارة ، والنواب أخرى . وربما حصلت الولاية في بعض ذلك من بعض النواب ثم يكتب من الأبواب السلطانية بالمحل عليها ، على ما تقدم بسط القول فيه هناك ، فليراجع منه .

(١) أعاد هذه الكلمة لطول الفصل .

المقصد الثالث

[في افتتاحات التواقيع والمراسيم بتلك الولايات]

تقدم في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب السلطانية أنه يراعى فيها براعة الاستهلال في الافتتاح وأن الافتتاح فيها بـ«الحمد لله» أعلى من الافتتاح بـ«أما بعد» والافتتاح بـ«أما بعد» أعلى من الافتتاح بـ«رسم بالأمر الشريف» وأن لفظ «أما بعد» أعلى من لفظ «وبعد» وأنه يراعى في الولايات وصف المتولى والولاية، ويؤتى لكل أحد من ذلك بما يناسبه من صفات المدح، ثم يقال: «ولما كان فلان هو المشار إليه بالصفات المتقدمة، اقتضى حسن الرأي أن يستقر في كذا ونحو ذلك». ثم يؤتى من الوصايا بما يناسب مقام الولاية والمتولى لها، ثم يؤتى بالاختتام: من المشيئة والتاريخ، والحمدلة، والتصلة، والحسبة.

والأمر فيما يكتب عن التواب جار على هذا المنهج إلا في أمور قليلة:

منها - أن جميع ما يكتب عن التواب بالشام يقال فيه «توقيع» ولا يقال فيه «تقليد» ولا «تفويض» وربما قيل «مرسوم» في أمور خاصة.

ومنها - أن التوقيع يوصف بـ«الكريم» لا بـ«الشريف» فيقال: «توقيع كريم» أن يستقر فلان في كذا» أو «مرسوم كريم فلان بكذا» بخلاف ما يكتب عن الأبواب السلطانية، فإنه يوصف بكونه «شريفًا» فيقال: «تقليد شريف» و«تفويض شريف» و«مرسوم شريف» و«توقيع شريف» على ما تقدم ذكره.

ومنها - أن الكاتب يأتي بنون الجمع [جاريا] في ذلك على من تصدر عنه الولاية، كما أن الولايات عن الأبواب السلطانية [يجرى فيها على] العادة في الكتابة

(١) ذكر هذا في الخالف سهو فانه موافق لما يكتب عن السلطان أو الملك كما لا يخفى. (٢) بياض بالأصل.

عن الملوك . وكأنهم راعوا في ذلك أن المكتوب عنه هو السلطان في الحقيقة ،
وفعل النائب كأنه فعله نفسه ، كما يقال : هزم الأمير الجيش ، وفتح السلطان
المدينة ، والذي هزم وفتح إنما هم جنده لا هو في نفس الأمر .

ومنها - أنه إذا أفتح التوقيع بـ «رسم بالأمر» - لا يوصف بـ «الشريف» بل
بـ «العالى» على ما تقدم . فيقال : «رسم بالأمر العالی ، المولوی ، السلطانی ،
الملکی ، الفلانی الفلانی» . وكذلك إذا أتى بذكر «رسم» بعد الافتتاح بـ «الحمد لله
وأما بعد» فإنه يقال فيه : «العالى» دون «الشريف» .

قلت : هذا ما كان الأمر عليه في الزمن المتقدم كما أشار إليه المقتر الشهابي
ابن فضل الله في «التعريف» . ثم استقر الحال على وصف الأمر بـ «الشريف»
فيقال : «رسم بالأمر الشريف العالی» إلى آخره ، كما يكتب عن السلطان .

ومنها - أنه يقال في آخر التوقيع : «والاعتاد على الخط الكريم أعلاه» ولا يقال :
«على الخط الشريف» ، كما في السلطان .

ومنها - أنه لا يذكر في توابع التواب مستند كتابتها ، كما يكتب فيما يكتب
عن السلطان .

المقصد الرابع

(في بيان الألقاب)

قد تقدم في المقالة الثالثة ، في الكلام على الولايات الصادرة عن الأبواب
السلطانية أن أعلى ما يكتب لأرباب السيوف «المقر الكريم» ثم «الجناب
الكريم» ثم «الجناب العالی» ثم «المجلس العالی» ثم «المجلس السامي» بالياء ، ثم
«المجلس السامي» بغير ياء ، ثم «مجلس الأمير» ثم «الأمير» .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الديوانية : « الجتاب العالى » ثم « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف الدينية : « المجلس العالى » . ثم أستقر أعلى ما يكتب لهم : « الجتاب العالى » و « المجلس العالى » بعده ، ثم « السامى » بالياء ، ثم « السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس القاضى » ثم « القاضى » على ما تقدم فى أرباب الوظائف الديوانية ، إلا فيما يقع الاختلاف فيه من الألقاب والتعوت الخاصة بكل منهما .

وأن أعلى ما يكتب لأرباب الوظائف السوفية : « المجلس العالى » ثم « المجلس السامى » بالياء ، ثم « المجلس السامى » بغير ياء ، ثم « مجلس الشيخ » ثم « الشيخ » .

وأنه يكتب لأرباب الوظائف العادية : « المجلس السامى ، الصدر الأجل » أو « مجلس الصدر » أو « الصدر » .

وأنه يكتب لزعماء أهل الذمة ألقابهم المتعارفة . فيكتب لرئيس اليهود : « الرئيس » ولبطاركة النصارى : « البترك » ونحو ذلك .

فأما ما يكتب عن نواب الشام ، فعلى أصناف ، كما تقدم فى الألقاب التى تكتب عن الأبواب السلطانية ، مع اختلاف فى بعض الألقاب بزيادة ونقص ، وعلو وهبوط .

الصفنف الأول

(أرباب السيف، ولألقابهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب للطبقة الأولى من مقدمى الألوفا بالشام، وحب، وطرابلس، إذا ولى أحد منهم نظراً وقف، أو نحو ذلك . أما غير هذه الممالك الثلاث ، فقد تقدم أنه ليس فى شىء منها تقدم ألف ، ويقال فيه عندهم : « المقر الشريف ، العالى ، المولى ، الأميرى ، الكبرى ، العالمى ، العادى ، العونى ، الغيانى ، الزعيمى ، الظهيرى ، المخدومى ، الفلانى ، عز الإسلام والمسلمين ، سيد الأمراء فى العالمين ، ناصر العزاة والمجاهدين ، زعيم جيوش الموحدين ، عون الأمة ، كهف الملة ، ظهير الملوك والسلاطين ، فلان الفلانى : أعز الله تعالى أنصاره » .

المرتبة الثانية — المقر الكريم . وبذلك يكتب للطبقة الثانية من مقدمى الألوفا ، ويقال فيه : « المقر الكريم ، العالى ، المولى » . بنحو الألقاب المتقدمة .

المرتبة الثالثة — المقر العالى . وبه يكتب للطبقة الثالثة من مقدمى الألوفا ، ويقال فيه : « المقر العالى ، المولى » بنحو الألقاب المتقدمة أيضاً [كما]^(١) يكتب لتقيب الأشراف بحلب ، وهى : « المقر العالى ، الأميرى ، الكبرى ، النقيبى ، الحسينى ، النسبى ، العريقى ، الأصيلى ، الفاضلى ، العلمى ، العارفى ، الحجى ، القدوى ، الناسكى ، الزاهدى ، العابدى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ، جمال الفضلاء البارعين ، نحر الأمراء الحاكمين ، زين العترة الطاهرة ، شرف الأسرة

(١) بياض بالأصول .

الفانر، حجة العصابة الهاشمية، قُدوة الطائفة العلوية، مُجبة الفرقة الناجية الحسينية، شرف أولى المراتب، تقيب ذوى المناقب، ملاذ الطلاب الداعين، بركة الملوك والسلاطين، فلان : أسبغ الله عليه ظلاله .

المرتبة الرابعة — الجنب الكريم . وبه يُكتب للأمرء الطباخانا، ويُقال فيه : « الجنب الكريم، العالى، المولى، الأمير، الكبير، العضدي، النصيري، المجاهدي، المؤيدي، الذخري، الظهيري، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان : أعز الله تعالى نصرته . »

المرتبة الخامسة — الجنب العالى . وبه يُكتب لأمرء العشرينات، ويُقال فيه : « الجنب العالى، الأمير، الكبير، الذخري، النصيري، المجاهدي، المؤيدي، الأوحدي، الأكلبي، الظهيري، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، ظهير الملوك والسلاطين، فلان أدام الله تعالى نعمته . »

المرتبة السادسة — المجلس العالى . وبه يُكتب لأمرء العشرات، ويُقال فيه : « المجلس العالى، الأمير، الكبير، الأجلي، المجاهدي، العضدي، النصيري، الهامي، الأوحدي، الذخري، الفلاني، مجد الإسلام والمسلمين، شرف الأمرء فى العالمين، نصره الغزاة والمجاهدين، عضد الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة . »

المرتبة السابعة — المجلس السامى بالياء . وبه يُكتب لمقدّمى الحلقة، وأعيان جند الحلقة، ويُقال فيه : « المجلس السامى، الأمير، الأجلي، الكبير،

المجاهدى، الأعزى، الأخصى، الأكلى، الأوحدى، الفلانى، مجد الأمراء،
زين الأكار، ذخر المجاهدين، فلان : أدام الله توفيقه .

المرتبة الثامنة — المجلس السامى بغير ياء . وبه يكتب للطبقة الثانية من
جند الحلقة ، ويقال فيه : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ، الغازى ،
المجاهد ، المرتضى ، المختار ، فلان الدين ، مجد الإسلام ، بهاء الأنام ، زين الأمراء ،
نحر المجاهدين ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزه الله تعالى » .

المرتبة التاسعة — مجلس الأمير . وبه يكتب للطبقة الثالثة من جند الحلقة ،
ويقال فيه : « مجلس الأمير ، الكبير » . بنحو ألقاب السامى بغير ياء .

المرتبة العاشرة — الأمير . وبه يكتب لجند الأمراء ونحوهم ، ويقال فيه :
« الأمير الأجل » .

الصنف الثانى

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الديوانية ، وفيهم مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبه يكتب لكاتب السر بالشام ، وصاحب
ديوان الرسائل بحلب ، ومن فى معناهما .

وهذه ألقاب كُتِبَ بها لكاتب السر بدمشق بولاية مشيخة الشيوخ ، وبولغ فيها
جداً المبالغة ، إلا أنها ليست حسنة التأليف ، ولا رائقة الترتيب ، وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، المولوى ، القاضوى ، الكبيرى ، العالمى ، العالمى ، العالمى ،
الإمامى ، الفريدى ، المفيدى ، القدوى ، المنجى ، الأجل ، الحبرى ، المحققى ،

المُدَقِّقِي، الزَاهِدِي، العَارِفِي، الخَاشِعِي، النَّاسِكِي، المُسَلِّكِي، العَاذِي، المُرَشِدِي،
 الرَّبَّانِي، الوَرَعِي، المِهْدِي، المَشِيدِي، المُشِيرِي، السَّفِيرِي، اِبْتِمْنِي، المَلَّادِي،
 الشَّيْخِي، الفَلَانِي، جَلَالُ الإِسْلَامِ والمَسَامِين، سَيِّدُ الأَكْبَارِ والرُّؤَسَاءِ فِي العَالَمِينَ،
 عَوْنُ الأُمَّةِ، صِلَاحُ المَلِكِ، جَمَالُ المَمْلُوكَةِ، نِظَامُ الدَّوْلَةِ، عِزُّ المَلِكِ، لِسَانُ المَمَالِكِ،
 زَيْنُ الأَوْلِيَاءِ، مُظْهَرُ أنْبَاءِ الشَّرِيعَةِ وَنَاصِرُهَا، مُؤَيِّدُ الحَقِّ وَالمُؤَيِّنُ عَلَى إظهارِهِ،
 قَامِعُ البِدْعِ وَمُخْنِي أَهْلِهَا، رُحْمَةُ الحُقَاطِ، عِلْمُ المُفَسِّرِينَ، حُجَّةُ الطَّالِبِينَ، سَيْفُ
 المُنَاطِرِينَ، قُدْوَةُ العِبَادِ وَالرُّهَادِ، مَلْجَأُ الصَّالِحِينَ وَالعَارِفِينَ، حَسَنَةُ الأَيَّامِ، فَرْدُ
 الزَّمَانِ، غُرَّةُ وَجْهِ الأَوَانِ، شَيْخُ المَشَائِخِ، مُفِيدُ كُلِّ غَادٍ وَرَائِحِ، مُوَصِّلُ السَّالِكِينَ،
 مُرَبِّي الأَتْقِيَاءِ وَالمُرِيدِينَ، كَثْرُ السَّالِكِينَ وَالمُرَشِدِينَ، مُمَهِّدُ الدُّوَلِ، مُشِيدُ المَمَالِكِ،
 جَمَلُ الأَمْصَارِ، مَدَبِّرُ أُمُورِ سُلْطَانِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، مُجَاهِدُ نَفْسِهِ فِي رِضَا مَوْلَاهِ،
 مَعِينُ الخَلَائِقِ عَلَى حُقُوقِهِمْ، مُنْذِلُ حِزْبِ الشَّيْطَانِ، مَلَأُ البُلْغَاءِ وَالمُتَكَلِّمِينَ،
 خُلَاصَةُ سَلَفِ القَوْمِ المُبَارِكِينَ، بَرَكَتُ المَمْلُوكِ وَالسُّلْطَانِ، وَلِيُّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ، فَلَانُ
 الفَلَانِي: أَسْبَغَ اللهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ» .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثانية من أرباب الوظائف
 الديوانية. ويقال فيه: «المقرُّ الكريم، العالی، المُولَوِي، القَاصَوِي». بنحو الألقاب
 السابقة مع «المقرُّ الشريف» .

المرتبة الثالثة — الجناب الكريم. وبه يُكْتَبُ للطبقة الثالثة من أرباب الوظائف
 الديوانية. وهذه ألقابٌ كُتِبَ بها لبعض الكُتَّابِ بكتابة الإنشاء والجيش بحلب،
 وهي: «الجناب الكريم، العالی، المُولَوِي، القَضَائِي، الكَبِيرِي، العَالِي، الفَاضِلِي،
 البَارِعِي، الكَامِلِي، المَاجِدِي، الأَوْحَدِي، الأَثِيرِي، الأَيْمَلِي، الأَصْبَلِي، القَوَامِي،

النَّظَامِيّ، الْفُلَانِيّ، ضِيَاءُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ، أَوْحُدُ الْفُضَلَاءِ فِي الْعَالَمِينَ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ، فَلَانٌ : ضَاعَفَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ .

المرتبة الرابعة — الجَنَابُ الْعَالِي . وَبِهِ يُكْتَبُ لِكُتَّابِ الدَّسْتِ وَنَحْوِهِمْ . وَهَذِهِ أَلْقَابٌ كُتِبَ بِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ الدَّسْتِ بِالشَّامِ ، وَهِيَ : « الْجَنَابُ الْعَالِي ، الْقَضَائِيّ ، الْكَبِيرِيّ ، الْعَالِمِيّ ، الْفَاضِلِيّ ، الْأَنْكَلِيّ ، الْبَارِعِيّ ، الْأَوْحَدِيّ ، الْقَوَائِمِيّ ، النَّظَامِيّ ، الْمُقَوِّهِيّ ، الرَّئِيسِيّ ، الْمَاجِدِيّ ، الْفُلَانِيّ ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْعَالَمِينَ ، أَوْحُدُ الْفُضَلَاءِ الْمَاجِدِينَ ، قُدْوَةُ الْبُلَغَاءِ ، جَمَالُ الْكُتَّابِ ، زَيْنُ الْمُنتَشِثِينَ ، خَالِصَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى نِعْمَتَهُ . »

المرتبة الخامسة — الْمَجْلِسُ الْعَالِي . وَهَذِهِ أَلْقَابٌ كُتِبَ بِهَا لِكَاتِبِ دَرَجٍ بِالشَّامِ جَلِيلِ الْقَدْرِ ، وَهِيَ : « الْمَجْلِسُ الْعَالِي ، الْقَضَائِيّ ، الْأَجَلِيّ ، الْكَبِيرِيّ ، الْعَالِمِيّ ، الْفَاضِلِيّ ، الْبَارِعِيّ ، الْكَامِلِيّ ، الرَّئِيسِيّ ، الْأَوْحَدِيّ ، الْأَيْبَرِيّ ، الْأَصِيلِيّ ، الْعَرِيقِيّ ، الْفُلَانِيّ ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ فِي الْأَنْامِ ، حُجَّةُ الْبُلَغَاءِ ، قُدْوَةُ الْفُضَلَاءِ ، أَوْحُدُ الْأَمْنَاءِ ، زَيْنُ الْكُتَّابِ ، رَضِيَ الدَّوْلَةُ ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، فَلَانٌ : أَدَامَ اللَّهُ عُلُوَّهُ . »

المرتبة السادسة — الْمَجْلِسُ السَّامِيّ بِالْيَمَامَةِ . وَهَذِهِ أَلْقَابٌ كُتِبَ بِهَا لِبَعْضِ كُتَّابِ دِمَشْقَ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ وَهِيَ : « الْمَجْلِسُ السَّامِيّ ، الْقَضَائِيّ ، الْأَجَلِيّ ، الْكَبِيرِيّ ، الرَّئِيسِيّ ، الْأَوْحَدِيّ ، الْأَنْكَلِيّ ، الْمَاجِدِيّ ، الْأَيْبَرِيّ ، الْأَثِيلِيّ ، الْأَصِيلِيّ ، الْفُلَانِيّ ، مَجْدُ الْإِسْلَامِ ، شَرَفُ الرُّؤَسَاءِ ، أَوْحُدُ الْفُضَلَاءِ ، صَفْوَةُ الْمُلُوكِ وَالسَّلَاطِينِ ، أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى عُلُوَّهُ . »

المرتبة السابعة — الْمَجْلِسُ السَّامِيّ بِغَيْرِ يَمَامَةٍ . وَهَذِهِ أَلْقَابٌ كُتِبَ بِهَا لِكُتَّابِ دَرَجٍ بِالشَّامِ ، وَهِيَ : « الْمَجْلِسُ السَّامِيّ ، الْقَاضِيّ ، الْأَجَلِيّ ، الْكَبِيرِيّ ، الْفَاضِلِيّ ، الْأَوْحَدِيّ ،

الأثير، الرئيس، البليغ، الأصيل، فلان الدين، مجدد الإسلام، بهاء الأنام، شرف
الرؤساء، أوجد الفضلاء، زين الأعيان، نحر الصدور، تجل الأكارب، سيل العلماء،
صقوة الملوك والسلاطين، فلان : أدام الله تعالى رفعتة .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهى : « مجلس القاضى ، الاجل ، الكبير »
والباقي من نسبة ألقاب السامى بغيرياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . ويقال فيها : « القاضى ، الاجل » . وربما زيد
على ذلك قليلا ، كما تقدم فى السلطانيات .

الصنف الثالث

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية — أرباب الوظائف

الدينية ، وفيه مراتب)

المرتبة الأولى — المقر الشريف . وبذلك يكتب لقضاة القضاة ومن فى معناهم .
وهذه ألقاب كتب بها لقاضى القضاة المالكي بدمشق بتصدير ، وهى : « المقر
الشريف ، العالى ، المولى ، القضاة ، الكبيرى ، الإمامى ، العالمى ، العالمى ،
الفريدى ، المفيدى ، الخاشعى ، الناسكى ، الرحلى ، القدوى ، الملاذى ، العابدى ،
المحققى ، المدققى ، المحسنى ، الحاكمى ، الفلانى ، جلال الإسلام والمسلمين ،
سيد العلماء فى العالمين ، قدوة البارعين ، سيد المناظرين ، لسان المتكلمين ،
ملاذ الطالبين ، كثر المتفقهين ، امام الأئمة ، حجة الأمة ، ناصر الشريعة ، فرد
الزمان ، أوجد الوقت والأوان ، رحلة القاصدين ، حكم الملوك والسلاطين ، فلان :
أسبغ الله ظلالة » .

المرتبة الثانية — المقرُّ الكريم . وبه يُكتب لمن دونه من هذه الرتبة .

وهذه ألقاب كُتِبَ بها لقاضى القضاة بحلب بوظيفة دينية ، وهى : « المقرُّ الكريم ، العالى ، المولوى ، القاصوى ، الكبيرى ، العالمى ، العادلى ، الأصيلى ، العريقى ، القوامى ، النظامى ، الإمامى ، العلمى ، القدوى ، المفيدى ، الشىخى ، الركنى ، الصاحبى ، الحاكمى ، المحسنى ، الفلانى ، فلان الإسلام والمسلمين ، شرف الفضلاء فى العالمين ، قدوة العلماء العاملين ، لسان المتكلمين ، برهان المناظرين ، صدر المدرسين ، رُحمة الطالبين ، بقية السلف الكرام الدارجين ، بركة الملوك والسلاطين ، خالصة أمير المؤمنين ، فلان : أعزَّ الله تعالى أحكامه » .

المرتبة الثالثة — الجنب الكريم . وهذه ألقاب كُتِبَ بها لبعض المشايخ بتدريس بالشام ، وهى : « الجنب الكريم ، العالى ، المولوى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، المفيدى ، الفريدى ، المحققى ، المدققى ، الأوحدي ، الأكلى ، الفلانى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء فى العالمين ، جمال الفضلاء المدرسين ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أسبغ الله تعالى ظلّه » .

المرتبة الرابعة — الجنب العالى . وهذه ألقاب من ذلك كُتِبَ بها لقاض من قضاة العسكر بالشام ، وهى : « الجنب العالى ، القضاى ، الكبيرى ، العالمى ، الفاضلى ، الرئيسى ، الأكلى ، الإمامى ، العلمى ، المفيدى ، المحققى ، الفريدى ، البارعى ، المدققى ، الأوحدي ، القدوى ، الحبرى ، الحافظى ، الأصيلى ، الأثيرى ، النَّاسكى ، الورعى ، العلمى ، مجد الإسلام والمسلمين ، شرف العلماء العاملين ، زين الحكام فى العالمين ، حجة المذهب ، إمام البلغاء ، مفتى المسلمين ، مفيد الطالبين ، قطب الزهاد ، ملائذ العباد ، خالصة الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى نعمته » .

المرتبة الخامسة — المجلس العالي . وهي : « المجلسُ العالي ، القضاةُ ، الأجلُ ، الكبيرُ ، العالميُّ ، الفاضلُ ، الكاملُ ، الرئيسيُّ ، الأوحدى ، الأثيرى ، الأئبلُ ، الأصبلى ، العريقُ ، الفلانيُّ ، مجدُ الإسلام ، شرفُ الرؤساء في الأنام ، حجةُ الفضلاء ، صدرُ المدرسين ، مُرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله تعالى علوه » .

المرتبة السادسة — المجلس السامي بالياء . وهي : « المجلسُ السامي ، القضاةُ ، العالميُّ ، الفاضلُ ، الكاملُ ، الأوحدى ، الأصبلى ، العريقُ ، المحققُ ، الفلانيُّ ، مجدُ الإسلام والمسلمين ، أوحدُ الفضلاء في العالمين ، صدرُ المدرسين ، أوحدُ المفيدين ، مُرتضى الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله سعادته » .

المرتبة السابعة — المجلس السامي بغير ياء . وهي : « المجلسُ السامي ، القضاةُ ، الأجلُ ، الكبيرُ ، الأحد ، المرتضى ، الأكلُ ، فلانُ الدين ، مجدُ الإسلام ، بهاءُ الأنام ، زينُ الفضلاء ، أوحدُ العلماء ، رضىُ الملوك والسلاطين ، فلان : أدام الله عزه » .

المرتبة الثامنة — مجلس القاضى . وهي : « مجلسُ القاضى ، الأجلُ » بتحو الألقاب المذكورة في « السامى » بغير ياء .

المرتبة التاسعة — القاضى . وهي : « القاضى الأجلُ » على ما تقدم .

الصنف الرابع

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - مشايخ الصوفية)

ولم أقف على شيء من ألقاب ما كتبت من هذا الباب . سوى [ما كتبت] في مشيخة الشيوخ بالشام لكاتب السر ، وقد تقدم ذكره في أول الألقاب الديوانية

هناك . وألقاب الجناب العالى فيما كُتِبَ به فى مشيخة الزاوية الأمينية بدمشق ، وهى :
 « الجنابُ العالى ، الشيخُ ، العالمى ، العالمى العلامى ، الأوحدي ، القُدوى ،
 العايدى ، الزاهدى ، الورعى ، الناسكى ، الخاشعى ، المسلكى ، المرقى ، الربانى ،
 الأصيلى ، الفلانى ، مجدد الإسلام ، حسنة الأيام ، قُدوة الزهاد ، ملاذ العباد ، جمال
 الورعين ؛ مربي المريدن ، أوحد السالكين ، خلف الأولياء ، بركة السلاطين ،
 فلان : أعاد الله تعالى من بركته » .

ومن هذا يؤخذ ما حدث كتابته مما هو فوق ذلك أو دونه .

الصفحة الخامس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أمراء العربان)

ولم أقف على شيء مما كُتِبَ به من ألقابهم ، سوى ألقاب « السامى » بغير ياء
 لبعض أمراء بنى مهدي ، وهى : « المجلس السامى ، الأمير ، الأجل ، الكبير ،
 المجاهد ، الأصيل ، العريق ، الأوحده ، فلان الدين ، مجدد الإسلام ، بهاء الأنام ،
 شرف العربان ، زين القبائل ، عمدة الملوك والسلاطين ، فلان : أعزّه الله
 تعالى » . وعليه يقاس ما عساه يُكتب من هذا النمط .

الصفحة السادس

(من أرباب الولايات بالممالك الشامية - أرباب الوظائف

العادية ، كراسية الطب ونحوها)

وألقاب رئيس الطب : « المجلس العالى ، القضائى » على نحو ما تقدم
 فى الديوانيات .

الصنف السابع

(من أرباب الولايات بالنيابات الشامية - زعماء أهل الذمة)

وهي رئاسة اليهود، وبَطْرَكِيَّة النَّصَارَى .

أما رئيسُ اليهود، فالذي رأيتُه لهم من ألقابه في عهدٍ قديمٍ، كتبه ابن الزكي في الدولة الأيوبية . قال في ألقابه: «الرئيس، الأوحُد، الأجل، الأعرز، الأخص، الكبير، شرفُ الداووديين، فلان» .

وأما بَطْرَك النَّصَارَى، فرأيتُ لهم فيه طريقتين :

الطريقة الأولى: «البَطْرَكُ المَحْتَشِمُ، المَبْجَلُ، فلان، العالمُ بأُمُورِ دينِهِ، المَعْلَمُ أهلِ ملته، ذُخْرُ المِلَّةِ المَسِيحِيَّةِ، كبيرُ الطائفةِ العيسويَّةِ، المشكورُ بعقله عند الملوك والسلطين، وفقه الله تعالى» .

الطريقة الثانية: «مجلسُ التَّسْيِيسِ، الجليل، الرُّوحَانِيّ، الخطير، المتبتل، ابن المَطران، النَّاصِب، الخاشع، المَبْجَل، قُدُوةُ دينِ النَّصْرَانِيَّةِ، نَخْرُ المِلَّةِ العيسويَّةِ، عمادُ بني المَعْمُودِيَّةِ، جمالُ الطائفةِ القُلَانِيَّةِ، صَفْوَةُ الملوك والسلطين، فلان: أدام اللهُ تعالى بهجته» .

المقصد الخامس

(في بيان مقادير قطع الورق المستعمل فيما يُكتب

عن نواب الممالك الشامية)

قد تقدم في المقالة الثالثة، في الكلام على مقادير قطع الورق، أن الورق المستعمل في دواوين الممالك الشامية على ثلاثة مقادير: قطع الطلحية الشامية الكاملة، وهو

في عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ المعبر عنها بالفَرْخَةُ وطُولِهَا . وقطع نصفَ الحَمْوِيّ ، وهو في نصفِ عَرْضِ الطَّلْحِيَّةِ التي في قَطْعِ الحَمْوِيّ وطُولِهَا ، ورُبَّمَا نقصتْ في الطول . وقطع العادة ، وهو على نَحْوِ من قَطْعِ العادة البلدي . وقد تقدّم ذكره .

فما كان منها في طولِ الشاميّ الكامل كُتِبَ بقلمِ الثلث . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوِيّ كُتِبَ بقلمِ التوقيعات . وما كان في قَطْعِ العادة كُتِبَ بقلمِ الرِّقَاعِ . ثم ما كان في قَطْعِ الطَّلْحِيَّةِ ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «الحمد لله» . وما كان في قَطْعِ نِصْفِ الحَمْوِيّ ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «أما بعد حمد الله» . وما كان في قَطْعِ العادة ، أفتتح ما يكتب فيه بـ «رُسمُ بالأمرِ الشريف» سواء في ذلك عَلَتِ الألقابُ أو انْحَطَّتْ ، حتّى إنه رُبَّمَا كُتِبَ بـ «المقرّ» في قَطْعِ العادة ، اعتباراً بحالِ الوظيفَةِ .

المقصود السادس

(في بيان ما يكتب في طُرّةِ التوقيع)

اعلم أنّ التوّابَ بالممالك الشاميّة عادتُهم في العلامة كتابة اسمِ النائب ، كما أنّ السلطانَ فيما يكتب عنه من الولاية يكتب في العلامة اسمه . وحينئذٍ فيحتاجُ الكاتبُ إلى أن يكتب في أعلى الدَّرَجِ في الوسط ما صورته : « الأسم الكريم » ثم يكتب من أولِ عَرْضِ الدَّرَجِ ما صورته : « توقيع كريم باستقرار المقرّ الشريف أو الكريم ، أو الجناب الكريم أو العالی ، أو المجلس العالی أو السامی ، أو مجلس الأمير أو القاضي ، أو الشيخ ، ونحو ذلك ، في كذا وكذا إلى آخره » . فإن كان فيه معلومٌ كتب آخرًا : « بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور ، أو الشاهد به كاتب الوقف » ونحو ذلك ثم يكتب : « حَسَبَ ما رُسم به على ما شِرح فيه » . ولفظ :

«حَسَبَ ما رُسم به» مما جرت به عادة مُكَّابهم ، بخلاف ما يكتب به من الأبواب السلطانية على ما تقدم ذكروه .

وهذه طرّة توقيع بنقابة الأشراف بحلب المحروسة ، كُتب به للشريف « غياث الدين أحمد » بن محمد بن إبراهيم المعروف بأبن المدوح ، وهي :

توقيع كريمٌ بأستقرار المقر العالى ، الأميرى ، الكبيرى ، الشرفى ، النقيبى ، الحسينى ، الأصيلى ، العزى ، بركة الملوك والسلاطين ، أحمد ابن المقر العالى ، الشرفى ، النقيبى ، الشهابى ، أحمد الحسينى ، أسبغ الله ظلها ، فى وظيفة نقابة السادة الأشراف ، ونظر أوقافها ، والحكم فى طوائفهم على اختلافهم أجمعين ، عوضاً عن والده المشار إليه براضاه ، على عادته فى ذلك ومُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ ، وتعاليمه المستمرة إلى آخر وقت ، حسب ما رسم به بمقتضى الخطِّ الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بكشف الصفقة القبلية بالشام ، مما كُتب به ل«غرس الدين خليل الناصرى» وهي :

توقيع كريمٌ بأن يستقرَّ الجناحُ الكريمُ ، العالى ، المولوى ، الأميرى ، الكبيرى ، الغرسى ، ظهير الملوك والسلاطين ، خليل الناصرى ، أدام الله تعالى نعمته ، فى كشف البلاد القبلية المحروسة بالشام المحروس ، على عادة من تقدمه فى ذلك ومُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بالمهمندارية بالشام المحروس ، كُتب به ل«غرس الدين خليل الطناحى» وهي :

توقيع كريم باستقرار الجناح العالى، الأميرى، الكبرى، الغرمى، عضد الملوك والسلاطين، خليل الطناحى، أدام الله تعالى نعمته، فى وظيفة المهتمندارية الثانية بالشام المحروس، عوضاً عن حسام الدين حسن بن صاروجا، بحكم شعورها عنه، لما آتفق من الغضب الشريف عليه، وأعتقاله بالقلعة المنصورة بحلب المحروسة، على أجمال عادة، وأكمل قاعدة، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بتصدير الجامع الأموى بالشام، كُتِبَ به للقاضى «ناصر الدين» بن أبى الطيب كاتب السربالشام، وهى :

توقيع كريم بأن يستقر المقر الشريف، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى، الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، عظم الله تعالى شأنه، فى وظيفة التصدير بالجامع الأموى المعمور بذكر الله تعالى، عوضاً عن القاضى صدر الدين عبد الرحمن الكفرى الشافعى، بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى، بماله من المعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور، حسب ما رسم به، على ما شرح فيه .



وهذه نسخة طرة توقيع بإعادة مشيخة الشيوخ بالشام إلى القاضى «ناصر الدين ابن أبى الطيب» المذكور أعلاه، وهى :

توقيع كريم بأن تُفوض إلى المقر الشريف العالى، المولوى، القاضوى، الناصرى، محمد بن أبى الطيب العمري، العثمانى الشافعى، صاحب ديوان الإنشاء الشريف بالمملكة الشريفة الشامية المحروسة، أعاد الله تعالى من بركاته، وأسبغ

ظلاله ، مشيخة الشيوخ بالشام المحروس ، وظيفته التي خرجت عنه ، المرسوم الآن ، إعادتها إليه ، عوضاً عما هي بيده ، بمعلومه في النظر والمشیخة ، الشاهد بهما ديوان الوقف المبرور ، إلى آخر وقت ، على أجل العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع بالتحمل على النزول والتقرير الشرعي ، بالزاوية الأيضية ، بالقدس ، كتب به للشيخ «برهان الدين الموصلي» وهي :

توقيع كريم بأن يحمل الجنب العالي ، الشيخي ، البرهاني ، إبراهيم ابن سيدنا المرحوم الشيخ القطب ، تقي الدين أبي بكر الموصلي ، رضي الله عنه وأعاد من بركاتهما ، في وظيفتي النظر والمشیخة ، بالزاوية الأيضية بالقدس الشريف ، على حكم النزول الشرعي ، واستمرار ذلك بمقتضاهما ، ومنع المنازع بغير حكم الشرع الشريف ، حسب ما رسم به ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة مرسوم برقع مقدمة إمرة بني مهدي ، كتب به لـ «عيسى بن حناس» وهي :

مرسوم كريم بأن يستقر المجلس السامي ، الأمير ، شرف الدين ، عيسى بن حناس (؟) ، أعزّه الله تعالى ، في ربيع تقدمه بني مهدي ، على عادة من تقدمه ، حملاً على ما بيده من التوقيع الكريم ، على ما شرح فيه .



وهذه طرة توقيع ببطركية النصاري الملكية بالشام ، كتب به لـ «مداود الخوري» وهي :

تَوْقِيعٌ كَرِيمٌ بَانَ يَسْتَقِرُّ الْبَطْرِيْرُكُ ، الْمُحْتَشِمُ ، الْمَبْجَلُ ، دَاوُدُ الْخُوْرِيُّ ، الْمَشْكُوْرُ
بِعَقْلِهِ لَدَى الْمَلُوْكَ وَالسَّلَاطِيْنَ ، وَقَفَّ اللهُ تَعَالَى ، بَطْرِيْرُكَ الْمَلِكِيَّةِ بِالْمَلِكَةِ الشَّرِيْفَةِ
الشَّامِيَةِ الْمَحْرُوسَةِ ، حَسَبَ مَا اخْتَارَهُ اَهْلُ مَلْتَسِه الْمَقِيْمُوْنَ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ ، وَرَغِبُوْا
فِيْهِ ، وَكَتَبُوْا حُطُوْطَهُمْ بِهِ ، وَسَالُوْنَا تَقْرِيْرَهُ دُوْنَ غَيْرِهِ ، حَسَبَ مَا رَسِمَ بِهِ ، عَلَيَّ
مَا تُشْرِحُ فِيْهِ .

المقصد السابع

(في بيان كيفية ترتيب هذه التواقيع)

قَدْ جَرَتْ عَادَةٌ كُتَّابِ هَذِهِ النِّيَابَاتِ اَنْ تُكْتَبَ الطَّرَةُ بِأَعْلَى الدَّرَجِ كَمَا تَقْدَمُ .
ثُمَّ يَتْرُكُ وَصْلَانُ بِيَاضًا بِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ وَصْلِ الطَّرَةِ ؛ ثُمَّ تُكْتَبُ الْبَسْمَلَةُ فِي أَوَّلِ
الْوَصْلِ الثَّلَاثِ ، ثُمَّ يُكْتَبُ تَحْتَ الْبَسْمَلَةِ عَلَيَّ سَمْتُ الْجَلَالَةِ : « الْمَلِكِيُّ الْفَلَانِيُّ »
ثُمَّ يُخَلَّى بَيْتُ الْعَلَامَةِ نَحْوَ سِتَّةِ أَصْبَاعٍ مُعْتَرِضَةً ، ثُمَّ يُكْتَبُ السُّطْرُ الثَّانِي وَبِوَاوِي كِتَابَةِ
السُّطْرِ ، وَيَكُوْنُ مَا بَيْنَهُمَا بِقَدْرِ أَصْبَعَيْنِ ، وَالبَاقِي عَلَيَّ نَحْوَ مَا تَقْدَمُ فِي السُّلْطَانِيَّاتِ .

الطرف الثاني

(في نسخ التواقيع المكتتبة عن نواب السلطنة بالممالك الشامية)

قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْمَقَالَةِ الثَّانِيَةِ اَنْ بِالْبِلَادِ الشَّامِيَةِ سَبْعُ نِّيَابَاتٍ : دِمَشْقُ ، وَحَلَبُ ،
وَطَرَابُلُسُ ، وَحِمَاةُ ، وَصَفَدُ ، وَغَزَّةُ اِنْ كَانَتْ نِيَابَةً ، وَالكَرْكُ . وَاَنَّ اَعْلَاهَا دِمَشْقُ ،
ثُمَّ حَلَبُ ، ثُمَّ طَرَابُلُسُ . وَفِي مَعْنَى طَرَابُلُسُ حِمَاةُ وَصَفَدُ .

وقد اقتصرنا في نسخ التواقيع على ما يكتب في ثلاث نيايات [تقديمها]^(١)

على ما عداها .

(١) بياض بالأصل .

النيابة الأولى الشام

(والتواقيع التي تُكتب بها على خمسة أصناف)

الصنف الأول

(ما يُكتب بوظائف أرباب السيوف ، وهو على ضربين)

الضرب الأول

(ماهو بحاضرة دِمَشْق ، وهو على مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ«الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بولاية دِمَشْق :

الحمد لله الذي جعل هذه الأيام الزاهرة تنقل أولياء آلائه الشريفة إلى أعلى
المراتب ، ويُجزل لهم من مَنِّه الجمَّة المواهب ، وتضاعف لهم النعمة بكرمها الذي إذا
أنهمل كان كالغيث السَّاب .

نحمده على أن جعل نظرنا يلمح أهل الهمم ويراقب ، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة يبلغ قائلها بركتها المُنَى والمآرب ، وتهونُ عليه كلُّ
المصاعب ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أظهر الله بعثته الحقَّ
في المشارق والمغارب ، وأنار به ظلم الغياهب ؛ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين
شيدوا منار الإسلام وأقاموه بالسيوف القواضب ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن المناصب بمتولّيها ، والمعالي بمعلّيها ، والعقود ليست بمن تحلّيها بل بمن يحلّيها ؛ وأطيب البقاع جناباً ما طاب أرباباً وثماراً ، وبخمر خلاقه كلُّ نهر « يروع حصاه حاليّة العذارى » ورثت معاطف غصونه سلاف النسيم فتراها سُكّارى ، وتمتدُّ ظلال الغصون فيخال أنّها على وجنات الأنهار عذارا .

ولما كانت دمشق المحروسة لها هذه الصفات ، وعلى صفاتها تهبّ سمات [هذه] السمات ، لم يتّصف غيرها بهذه الصفة ، [ولا آتقى أولو الألباب إلا على محاسنها المختلفة] وكان الحساب الكريم هو من أعيان الدولة وأمانيلهم ، ووجوه رؤسائهم وأفاضلهم ؛ وله في طاعتها آسترسال الأيمن من سوء مواطن المخاوف ، ووصل في ولايتها القديم بالحديث والتألّد بالطّاريف ؛ وتولّى مهمّات الخدم فأبان في جميعها عن مضاء عزمه ، وكان من حُسن آثاره فيها ما شهر غفلتها بوسميه ؛ فمن ناواه من أقرانه أربى عليه وزاد ، ومن بآراه من أنظاره أنسى ذكره أو كاد .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقرّ في ولاية مدينة دمشق المحروسة .

فلبياشر هذه الولاية : عاملاً بتقوى الله تعالى التي أمر بها في مُحكم الكتاب ، حيث يقول : (وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ) . ويشمل كافة الرعايا بالحفظ والرعاية ، ويخزل حظهم من الملاحظة والعناية ؛ وليساوي الحق بين ضعيفهم وقويهم ، وفقيرهم وغنيهم ؛ ويلزم أتباعه بحفظ الشوارع والحارات ، وحراستها في جميع الأزمنة والأوقات ؛ مع مواصلة التطواف كل ليلة بنفسه في أوفى عدّه ، وأظهر عدّه ، منتهياً في ذلك وفيما يُجاريه إلى ما يشهد باجتهاده ، ويُعرب عن سدايه ، ويُعلم منه صواب قصده وأعتاده ، وبذل مناصحته في إصداره وإيراده ؛ والله تعالى يعينه على ما ولاه ، ويحفظ عليه ما نوله وأولاه ؛ بمنه وكرمه .

(١) الزيادة ما تقدّم في الصف الثالث في نواع أرباب الوظائف في حاضرة دمشق ليستقيم الكلام .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، لصاحب سيف: كُتِبَ به في الدولة الظاهرية « برفوق » لناصر الدين « محمد » ابن الأمير جمال الدين، عبد الله ابن الحاجب، عند مصاهرته الأمير بطلان الدوادار، وهي:

الحمد لله الذي قدم أعظم الأمراء ليعم مواطن الذكر بنظره السعيد، وأقام لتعظيم بيوت أذن الله أن ترفع، [أميراً] في الأكتساب للأجور أسرع من البريد، وأطرب المسامع بسيرته في أحسن معبد جليت فيه عروس مهرها كتاب الله تعالى والنور من زيتونة لا شرقية ولا غربية ومرزوق^(١) عليه من مكان بعيد.

نحمده على أن أحل ناصر الدين بجماله الأسنى أشرف المراتب، وبواه المحل الرفيع الذي بلغ به الأمة المحمدية المآرب، وسار خبر سيرته في المشارق والمغرب، وبلغ بمشاركة نظره السعيد الشاهد والغائب، حمداً نرفعه على النسر الطائر، ونتمثل بقول القائل: كَمْ تَرَكَ الْأَوَّلَ لِلآخِرِ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي خلق العباد لعبادته، وفضل بعض المساجد على بعض لما سبق في علمه من إرادته؛ ونشهد أن سيدنا محمداً خير الخلائق عبده ورسوله الذي سن الجماعة والجماعة، وعمر المساجد بالركوع والسجود إلى قيام الساعة؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أتبعوه في قيام الليل إلا قليلاً، ولا زموا المساجد بكرة وأصيلاً، وحضوا على الجماعة إلى يوم تكون الجبال فيه كتيباً مهيباً؛ وسلم تسليماً كثيراً.

وبعد، فلما كان جامع دمشق المحروسة رابع المساجد، وموطن كل رايح وساجد؛ وتخصده الأمم من الإفطار، ولم يحل من العبادة في الليل والنهار، ورواتب حكام الشريعة عليه، والعلماء الأعلام تبث فيه العلوم وتأوي إليه؛ وغالب المساجد

(١) في الاصل «ومزوق» ولم تفهم معناه.

إلى سيماط وفقه مضافه، وخطابته تضاهي مرتبة الخلافه؛ وهو أجل عجائب الدنيا التي وضعت على غير مثال، وبه يفخر أهل الهدى على أهل الضلال - تعين أن يكون الناظر في أمره من عظم قدرا، وطاب ذكرا؛ وفتح لوقفه باب الزيادة على مضي الساعات، وجمع أمواله بعد الشتات؛ ووصل الحقوق لأربابها الذين كأنهم جراد منتشر، ولم يضع من ماله مثقال حبة ومن قال: إنه صدقة فيومه يوم عسر؛ وعم جميع المساجد المضافة إليه بالقرش والتنوير، وبدأ الأئمة والمؤذنين والخدمة بعد العماره على الكبير والصغير.

وكان الجنب الكريم - ضاعف الله تعالى نعمته - هو الذي يقوم في هذا الأمر أحسن مقام، ويصلح له في مصلحته الكلام.

رسم بالأمر العالي، المولوي، السلطاني، الملكي، الظاهري، السيفي - لزال هذا الدين القيم قائما بمحمده، والمساجد المعمورة [معمورة] بإكرام مسجده - أن يستقر الجنب الناصري المشار إليه في النظر السعيد على الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى، وأوقافه المبرورة، على أجل العوائد، وأجل القواعد؛ بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور، إلى آخر وقت.

فليأشر ذلك: لما يعرف من فعالية الحسنه، وخبرته التي نطقت بها من المحابر الأفواه ومن الأفلام الألسنه؛ ولما حازه من فضيلتي السيف والقلم، وأعمال التي بدت لهتهدي بها كنور لا تار على علم؛ ولعمرم ما دثر من الأوقاف ولوصول الحقوق إلى أربابها، وليدفع الأموال إلى من هو أولى بها؛ ويكف كف الظلم وليبلغ المستحق المآرب، وليحجب الخونة عن التوصل إلى مثقال ذرة بجدته فهو بكدته حاجب؛ وليبدأ بالعماره والقرش والتنوير في جميع الأوقات، وأرباب الصلاة

وَالصَّلَاتِ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَهِيَ أَدْرَى ، وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِلَاكُهَا وَلَا زَالَ يُفَيْدُهَا كَمَا يُعَلِّمُ الشَّجَاعَةَ زَيْدًا وَعَمْرًا ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُهُ أَبَدًا لِلدِّينِ نَاصِرًا ، وَيُصَلِّحُ عَمَلَهُ أَوْلًا وَأَنَحْرًا ، وَالْإِعْتِدَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .

المرتبة الثانية

(مَا يُفْتَحُ بِهِ «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ» فِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخة توقيع ... الزكاة، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة، وهي:
 أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ مُسْعِدٍ مِنْ زَكَاةِ عَمَلِهِ ، وَوَقَّاهُ وَعَدَّ الْخَيْرَ أَمَلُهُ ، وَمُصْعِدٍ مِنْ وَقْتِ
 فِي تَدْيِيرِ الْوِظَائِفِ تَفَاصِيلُ أَمْرِهِ وَوَقَّرَتْ فِي تَمْيِيرِ الْأَمْوَالِ جُمْلُهُ ، وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ
 عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي أَمَرَنَا بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ، وَشَفَى جَانِبَ الدِّينِ الْقِيمَ
 مِنَ الشُّكَاةِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ سَارَ عَلَى نَهْجِهِ الْقَوِيمِ سَائِرُهُمْ ، وَتَرَكَى - وَإِنَّمَا
 يَتَرَكَى لِنَفْسِهِ - مُنْجِدُهُمْ وَظَاهِرُهُمْ - فَإِنَّ أَحَقَّ الْوِظَائِفِ أَنْ يُسَدَّبَ لِحِمَايَتِهَا الْحُسَامُ ،
 وَيَتَرْتَّبَ لِكِفَايَتِهَا مِنْ تَحَلَّتْ بِالْمِحَامِدِ شِمِيمَةُ الْحُسَامِ - وَظَيْفَةُ الزَّكَاةِ الَّتِي وَصَلَتْ سَبَبَ
 مَكَانِهَا بِإِمْكَانِهَا ، وَبُنِيَتْ شَرِيعَةُ الْإِسْلَامِ عَلَى أَحَدِ أَرْكَانِهَا ، وَمُدِحَّتِ الْمَلَكَةُ بِمَعَالِي
 الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ الْمُنْتَظَمَةِ مِنْ دِيَوَانِهَا .

ولما كان فلان ممن زكت صفاته ، وسمت بالجميل سماته ، ووصحت كفاءته
 ودرأيته ، وصلحت حمايته الحسامية ووقايته ، وكان اليمن في قبضة مضاياه ، وتجرده
 وأتضاياه ، وكان نفوذ أمره واقفاً عند حده واقفاً على وفق آرتضاياه - تعين أن يوصل
 سبب الشد بأسبابه ، ويرجع إليه في الزكاة المستحق نصابها حتى يقال : رجع الحق
 بالحسام إلى نصابه .

(١) بياض بالأصل ولعله : بتولية وظيفة الزكاة الخ .

فلذلك رُسم أن يرتب علماً بأنه الكافي الذي إذا شدَّ سدَّ، وإذا قصر رأيه على الصنع الجميل مدَّ، والخبير الذي إذا جمع مالا وعدده كان مشكوراً، وإذا فرقه في مستحقه كان خلاف الغير بالخير مدكوراً، والناهض الذي ما تبرم بمضايق المهمات ولا شكاهها، والمهيب الذي قد آمن من سار بالبضاعة إليه وقد أفلح من زكاهها .

فليستقر في هذه الجهة استقراراً يزيد مكانه وإمكانه، ويتمر عمله وديوانه، وليوصل كل ذي حق إلى حقه فإمّا بسطت أيدي ولاة الأمور ليبسط عدله متولياً وإحسانه . وتقوى الله تعالى هي العمدة : فليحقق باعتمادها فيه ظنون الراجين، وليستعين بها على رضا المستنضين له وعلى رضا المحتاجين، والله تعالى يلهمه الخير في ذوى الصادر والوارد حتى يكونوا إلى خير « لاجين » خير لاجين .



وهذه نسخة توقيع بشد الحوطات بدمشق . كُتب به لشرف الدين يحيى بن العفيف، [باجرائه] على عادته، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف، وهي :
أما بعد حمد الله الذي سهل الخيرات بأسبابها، وأقر في الوظائف السنية كفاة أربابها، وكل أدوات من حنكته التجارب في المباشرات حتى دخل المناصب العلية من أبوابها، والصلاة والسلام الأتمين الأتكين على سيدنا محمد الذي جاء برشد الشريعة وصوابها، وعرف بحسن الصنعة وثوابها، وعلى آله وصحبه وصغيرته الطاهرين - فإن أولى من لفتنا إليه جيد الإحسان، وألقينا إليه طرف التكرم فبلغ الأمانى والأمان، ولحظنا به بعين عنايتنا فنال من فضلنا ما أنجمل الغيث الهتان، ومنحناه من ربنا ما شرح له صدرا، وأستصحبنا له ما ألفه من كرمنا وجعلنا له بعد

عُسْرٍ يُسْرًا؛ وَأَيُّقُظْنَا حَظَّهُ وَقَدْ كَادَ أَنْ يَغْفَى، وَأُظْلَعْنَا كَوْكَبَ سَعْدِهِ بَعْدَ أَنْ كَادَ يَحْفَى - مِنْ أَلْفَتْ مُهِمَاتُنَا مِنْهُ الْهِمَمَ الْعَلِيَّةَ، وَسَلَكَ بَيْنَ أَيْدِينَا الْمَسَالِكَ الْمَرَضِيَّةَ، وَأُثْمِنَ عَلَى أَمْوَالِ الْخَوَطَاتِ الدِّيَوَانِيَّةِ فَنَمَتَ بِحُسْنِ أَمَانَتِهِ، وَشَكَرَتِ الدَّوْلَةُ جَمِيلَ تَدْبِيرِهِ وَدِرَايَتِهِ .

وكان المجلس العالي فلان - أدام الله عزه - هو الذي أخبر عنه الوصف بما أثبتته العيان ، وأظهر الاختبار منه حسن السيرة والسريرة والسجايا الحسان .

فلذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى ، وضاعف إحسانه على أهل الهيمم وإلى - أن يستمر المشار إليه في شد الخوطات الديوانية بدمشق المحروسة، على عادته، ومستقر قاعدته، وحمله على ما بيده من التوقيع الشريف المستمر حكمه .

فليباشر هذه الوظيفة على أجمل عوائده، وليعد إليها على أكمل قواعده؛ إلا أن التذكرة بتقوى الله تعالى لأبد من اقتباس ضيائها، والتنبية على سلوك سبيل هداها؛ فتكن قاعدة أمه، وخاتمة عمليه . والأعتاد في معناه، على الخط الكريم أعلاه؛ إن شاء الله تعالى .

المرتبة الثالثة

(من توقيع وظائف أرباب السيوف بدمشق - ما يفتتح به «رسم

بالأمر العالي» وفيه وظائف)

وهذه نسخ توقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد مراكر البريد، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نبأته، كتب

بها لمن لقبه «بدر الدين» في سنة ثلاث وأربعين وسبعائة، وهي :

رسم بالأمر العالى - لا زالت البرد سائرة بأوامر عدله المديد ، وهو امر جوده
 المجيد ، وسوائر الأخبار عن بأسه ونداه المروى سندهما عن ثابت ويزيد ، ولا برحت
 جوامع عطايه وقضاياه : هذه فاتحة لمصالح الآمال باب الزيادة وهذه فاتحة لمصالح
 الإسلام باب البريد - أن يستقر المجلس على عادته الأولى ، وقاعدته التي ما برحت
 قدم مساعيه فيها المقدمة ويد أمانته الطولى ، علم بكفاءته التي شهدت بها حتى
 الخليل المائلات خرسا فأفصحت ، المواصلات سعياً فأنجحت ، الموريات قدحاً
 إلا أن ألسنة الأحوال في شهادتها ما قدحت ، المغيرات على السرى صبيحاً ما دار عليها
 شفق العشى فأغبت ، حتى دار عليها شفق الفجر فأصطبحت . ومرأى الطرق
 التي حتمت مهائنه فكانت مراكر الأسل ، ومرأى كص السبل ، كل واحد منها وما حمل
 وكل حدب وما نسل ، وأعتاداً على سداد عزمه الذي وافق خبره الخبر ، ورشاد سعيه
 الذي كل أوقاته من وجوه الإجابة ووجوه الجهاد غرر ، ورؤونا إلى أنه الكافي
 فيما يعتمده ويراها ، السارى في المهمات لا يمل وهيئات أن يمل البدر من سراه ، كم
 أعان الإسلام على ما آخذ من قوة ومن رباط الخيل ، وتم جاد على الجهاد على القيث^(١)
 حتى سارت بين يديه كالسيل ، وتم حفظ عليها قوتها وقوتها فبعد ما كانت تموت
 بالعدد صارت تعيش بالخيال .

فليباشر ما عول فيه عليه ، وأعيد من حقه وإن كان نرج عنه إليه ، وليطلق يد
 أمره ونهيه بما يسره أن يقدمه بين يديه ، حريصاً على أن تنطق هذه الدواب
 الخرس غداً بثنائه ، مجرباً لقوائمها وللإقامة بها على عادة إجرائه ، متخيراً لها كل
 حسن الإمرة والسياسة عند رحيلها وقدمها ، ومن إذا عرضت عليه بالعشى
 الصافات الجياد طفق مسحاً ولكن بإماطة الأذى عن جسومها ، موسعاً تليها من

(١) لعله زائد من قلم النسخ .

المباني والأحوال كل مَضِيق، أمراً بما يحتاج إليه فوعها البديع من صناعتى ترشيع وتطبيق؛ مستأمناً من الأيدي من يردُّ عنها الأيدي الضائمه، ومن يساوى بينها في الأقوات حتى لا تكون كما قال الأول: «خَيْلٌ صِيَامٌ وَخَيْلٌ غَيْرُ صَائِمَةٍ»؛ متحرراً في تكيفتها أجمل الطرق والطرائق، مستجلباً صنوف العليق فلا تنقطع من بره العلائق؛ والله تعالى يمده بعونه ورشده، ويجعل عزمه سابقاً إلى التوفيق «سبق الجواد إذا استولى على أمده»؛ بمنه وكرمه.



وهذه نسخة توقيع بنقابة النقباء، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضاً، كُتِبَ بها لشهاب الدين «بولاق» عوضاً عن أبيه، في سنة أربع وثمانمائة، وهى:

رُسم بالأمر العالى - لازل بإنعامه يُسْفِرُ عن وجه الأملِ نِقَابَهُ، ويحفظُ لكافى الخِدْمَةِ أَعْقَابَهُ، ويلوى باستمرار النعم أدوار الزمان وأحقابها، ويُطْلِعُ فى آفاق دَوْلَتِهِ شِهَابَ كُلِّ عَزْمٍ تَحْمَدُ عَسَاكِرُهُ الْمَنْصُورَةَ أَرْتِقَاءَهُ وَأَرْتِقَابَهُ - أن يرثب المجلس السامى، الأمير: علماً بأوصافه الحسنة، وأوضاعه التى لا يحتاج الحكم بفضلاها إلى إقامة بينه، وكفأته التى تنطق بها ألسنة الأحوال المؤمنة وقلوب العساكر المؤمنة، وهمة التى إذا وقفت المواقف على الأعداء عرفته أصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة، وتصديقاً لدلالة عزمه الواعد، وتحقيقاً لحماية شهابه الواقد، ورؤونا إلى قيامه مقام أبيه رحمه الله فى الخدمة حتى كان لم يفقده من الجيش فاقد؛ وأنه لدرجات الاستحقاق راقى، وأنه العوض عن أب لاقى منيته وكل أمرى لاقى المنية وابن لاقى؛ وأنه كفى هذه المترلة كما حكم الرأى وأقتضى، وكما شهيد(?) لغزته بغرر الفوائد وكيف لا وهو ابن النقيب المرتضى!

فَلْيَتَلَقَّ بِشَهِابِهِ الْمِضْيَاءَ هَذَا الْمَطَّلَعِ الْأَسْنَى، وَلْيَقُمْ فِي هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ عَلَى قَدَمِ الْخِدْمَةِ
 صُورَةً وَمَعْنَى؛ مُقَدِّمًا عَلَى النَّقِيَاءِ تَقْدِيمَ إِمَامِهِمْ، مُعَلِّمًا لِحُنْدِ الْإِسْلَامِ مَعْلُومَ مَقَامِهِمْ؛
 مَالِكًا بِإِتْقَانٍ مَعْرِفَةَ الْحِلِّيِّ سَمِعَ مَنْ اسْتَمَلَاهُ، مُحَظِيًّا لِلْجُنْدِيِّ مَعِينًا لَهُ عَلَى حُصُولِ الْخَيْرِ
 حَتَّى يَشْكُرَهُ شُكْرًا مِنْ أَطْعَمَهُ وَحَلَاهُ؛ نَاطِقًا لِلْوَاكِبِ عَقْدَ مُجْتَمَعِهَا الثَّمِينِ، مُصَاحِبًا لَهَا
 صُحْبَةً يَنْتَبِئُ بِهَا عَلَيْهِ وَحَسْبُهُ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ مُرْتَبًا لَهَا أَحْسَنَ تَرْتِيبٍ،
 مُنْقَبًا عَنْ مَحَاسِنَ مُجَمَّلَهَا : فَإِنَّ أَسْمَ النَّقِيبِ مُسْتَقٌّ مِنَ النَّقِيبِ . وَلِيُكَاتِرَ حَمَلَةَ
 السُّيُوفِ فَإِنَّهُ حَامِلُ سَيْفٍ وَعَصَا، وَإِنَّهُ بِهِذِهِ مُخَلَّصٌ حَقُوقٌ مِنْ أَطَاعَ وَبِهَذَا مُوْبِقٌ
 نَفْسٍ مِنْ عَصَى؛ وَلِيَحْرِضَ عَلَى أَنْ يَقُومَ بِوَعْدِ الْأَجْتِهَادِ الْمُتَنَجِّزِ، وَعَلَى أَنْ يَكُونَ
 مَسِيفَ تَحْرِيبِضٍ عَلَى جَرَحَى الْأَعْدَاءِ مُجْهِّزٍ، وَعَلَى أَنْ يَحْصُلَ فِي مَوَاطِنِ الْجِهَادِ عَلَى
 الْأَجْرَيْنِ : أَجْرِ الْمُقَاتِلِ وَأَجْرِ الْمُجَهِّزِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الْخَيْرِ طَرَائِقَهُ، وَيُؤَيِّدُ عَزْمَهُ
 الْجَيْشِيَّ حَتَّى تَلْهَجَ بِشُكْرِهِ الْأَسِنَّةُ الْأَعْلَامَ الْخَالِقَةَ؛ وَالْأَعْتَادَ



وهذه نسخة توقيع بَشْدَ خَزَائِنِ السَّلَاحِ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ أَيْضًا، وَهِيَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَازَلَتْ أَسِنَّةُ نَجُومِ السَّعْدِ مِنْ سِلَاحِهِ، وَصَوَاعِقُهَا مِنْ
 أَعْوَانِ صِفَاحِهِ، وَسِمَاكُهَا الرِّايْحُ مِنْ أَنْصَارِ رِمَاحِهِ؛ وَلَا بَرَحَ يُعْمَلُ مَعَادِنَ الْأَرْضِ
 حَتَّى يَفْتَنَ ذَهَبُهَا وَحَدِيدُهَا عَلَى يَدَيْ بَأْسِهِ وَسَمَاحِهِ - أَنْ يَرْتَبَ لِأَنَّهُ الذَّاهِبُ
 الَّذِي تَتَرَيَنَّ الْوِظَانُفَ بِسَمْتِهِ وَبِأَسْمِهِ، وَتَتَعَيَّنُ الْمَصَالِحُ وَالْمَنَاسِحُ بِعَزْمِهِ وَحَزْمِهِ؛
 وَالْمُسَدَّدُ مِنْ آرَائِهِ سِمَامًا، وَالْمُجْرَدُ مِنْ أَهْتَامِهِ كُلِّ مَاضِي الْحَدِّ إِذَا كَانَ بَعْضُ الْأَهْتَامِ
 كَهَمًا؛ وَالْوَفِيُّ فِي شَدِّ الْجِهَاتِ قَوْلًا وَعَمَلًا، وَالْمَلِيُّ بِجَمَلِ السَّلَاحِ وَأَسْتِمَالِهِ عَلَى رَغْمِ
 الْقَائِلِ : «أَصْبَحْتُ لَا أُحْمِلُ السَّلَاحَ وَلَا»؛ وَالْخَيْرُ بِمَحَاسِنِ الْإِقْتِرَاحِ، وَالْكَافِي وَلَا

عَجِبَ إِذَا سَأَمَتْ لَهُ ذَوُوُ الْوِظَانِفِ وَأَثَمَتْ عَلَيْهِ السَّلَاحُ ! ؛ ذُو الْعَزْمِ الْأَشَدُّ ، وَالرَّأْيِ الْأَسَدُ ، وَالذِّكْرِ الَّذِي إِذَا تَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَسْلِحَةِ وَأَنْتَسَبَتْ شَجَاعَتُهُ رَأَيْتَ الْقَوْسَ فِي يَدِ عُطَارِدٍ فِي بَيْتِ الْأَسَدِ .

فَلْيُبَيِّنْ هَذِهِ الْوِظَانِفَ الْمُبَارَكَةَ بِعَزْمِ أَقْطَعٍ مِنْ حُسَامٍ ، وَأَمَانَةِ أَقْوَمٍ مِنَ الْإِيفِ وَصِيَانَةِ أَحْصَنٍ مِنْ لَامٍ ؛ مُعْتَبَرًا لِأَحْوَالِهَا ، مُقَرَّرًا لِمَطَالِبِ مَا لَهَا مِنْ مَالِهَا ؛ مُؤَفَّرًا مِنْ أَسْلِحَتِهَا الَّتِي تَتَوَفَّرُ بِهَا مِنَ الْخَيْرِ بِسَهَامِهِ ، مُنْصَفًا لِصِنَاعِهَا الَّذِينَ يُحَمَّدُ عِنْدَ اسْتِعْمَالِهِمْ صَنِيعُهُ وَأَهْتِيَامُهُ ؛ مُكَثَّرًا لِخَزَائِنِهَا مِنْ ذَخَائِرِ الْعُدَدِ ، مُجَهَّزًا بِجِيُوشِ الْإِسْلَامِ مِنْ مَادَّةِ عَمَلِهَا بِأَنْفَعِ مَدَدٍ : مِنْ قَيْسِيٍّ تَقْضِي أَهْلَهَا بِقَطْعِ أَعْمَارِ الْعَدَا ، وَسُيُوفِ صَقِيلَةٍ إِذَا نَادَتْ دِيَارُ النَّاكِثِينَ أَجَابَتْ النَّدَا ؛ وَدُرُوجِ تَمْوِجَتْ غُدْرَانُهَا إِلَّا أَنَّهَا فِي مَهَالِكِ الْحَرْبِ لَا تُغَوَّرُ ، وَرِمَاحِ أَطْرَدَتْ كَعُوبِهَا فَكَلَّهَا عَلَى عَدُوِّ الْإِسْلَامِ كَعَبُّ مَدَوَّرٍ ؛ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يُدُلُّ عَلَى عَزْمِهِ الْحَمِيدِ ، وَيَقْضِي لِلنَّعْمَةِ عَلَيْهِ بِالْمَزِيدِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَّقَفُ عَزْمَهُ ، وَيُوفِّرُ مِنَ السَّلَاحِ وَالنَّجَاحِ سَهْمَهُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الجوالى، من إنشاء ابن نباتة أيضا، وهي :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت سعود أوامره واضحة الأدلة ، نافذة الحكم على كل مله ، قائمة لخصب البلاد بالعدل مقام السحب المستهله - أن يرتب فلان في شد الجوالى بدمشق المحروسة : لما ظهر من نجابته ، وأشتهر من حزمه ومهابة ؛ وبدا من هممه العوالى ، وعزائمه التى تجلوا صدأ الهمم بالجوالى ، وإذا قيل لحاسده : له ولأبيه إمرة الخيل قال : والجوالى لي ، وأنه الكافي الذى إذا استنهض كانت عزائمُه شابه ، ونفحات ذكره الجميل هابه ؛ وتجلل المهام الذى أشهد على كفاءته النهار وعلى

تَعْبُدُهُ اللَّيْلُ ، وَأَعَدَّ لِمَصَالِحِ الْإِسْلَامِ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ؛ وَأَنَّ
 مَرَبَاهُ بِجَمِيلٍ ، وَمُنْشَاهُ فِي مَنَازِلِ الْخَيْرِ دَلِيلٌ .
 فُلَيْبًا يَشْرُهُ هَذِهِ الْوُضَيْفَةَ الْمُبَارَكَةَ بَعَزْمٍ يُتَمَرُّ مَالِهَا ، وَيَقْرَرُّ عَلَى السُّدَادِ أَحْوَالِهَا ؛
 وَيَسْتَخْلِصُ الْحَقَّ مِنْ أَهْلِ الْأَعْتِقَادِ الْبَاطِلِ ، وَيَسْتَخْرِجُ الْوَفَرَ مِنْ أَهْلِ الْجَلَدِ
 الْمَاطِلِ ؛ فَلَا تَصْرَانِي إِلَّا وَهُوَ يَتَضَرَّعُ تَحْتَ الزَّرْقَاءِ مِنْ بَاسِهِ ، وَلَا يَهُودِيَّ إِلَّا وَهُوَ
 يَشْكُو الصَّفْرَاءِ فِي رَأْسِهِ ، وَلَا سَامِرِيَّ إِلَّا وَالنَّارُ الْحُمْرَاءُ مُطَلَّةٌ عَلَى أَنْفَاسِهِ ، حَتَّى
 تَكُونَ أَوْصَافُ شِدَّةِ مَتَلُوهُ ، وَعَزَائِمُهُ فِي الْجَوَالِي مَجْلُوهُ ؛ وَهَمُّهُ جَارِيَةٌ عَلَى إِبْلَافِهَا
 وَمَأْلُوفِهَا ، مُجَزَّةٌ لِأَقْلَامِ الْحِسَابِ وَالدَّرَاهِمِ عَلَى حُرُوفِهَا ؛ صَحِيحَةٌ الْوِزْنِ غَيْرُ مَنهُوكِ ،
 آخِذَةٌ الدِّينَارِ مِنْ وَازِنِهِ وَهُوَ كَالْمَأْخُوذِ مِنْهُ مَصْكُوكِ ؛ شَدَا تَعَقَّدُ عَلَى آخْتِيَارِهِ
 الْخَنَاصِرِ ، وَكَمَا أَنَّ لِلْإِسْلَامِ مِنْهُ قُوَّةٌ فَلْيَكُنْ لِلْوَظَائِفِ الدِّينِيَّةِ مِنْهُ نَاصِرٌ .

الضرب الثاني

(من يكتب له عن نائب السلطنة بالشام من أرباب
 السيوف - من هو بأعمال دمشق ، ويواضعهم على ثلاث مراتب أيضا)

المرتبة الأولى

(ما يُفْتَحُ بِـ «الْحَمْدُ لِلَّهِ» وَفِيهَا وَظَائِفٌ)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة تَوقِعُ بِنِيَابَةِ بَعْلَبَكْ كُتِبَ بِهَا لِرُكْنِ الدِّينِ «عَمْرُ بْنُ الطَّاحِنِ» وَهِيَ :
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَمَلَ بِمَجَاسِنِ زَيْنِهِ مِنْ اسْتَحَقَّ الصُّعُودَ إِلَى أَعْلَى الْمَنَازِلِ ، وَجَعَلَ نَجْمَ
 سَعْدِهِ بَارْتِقَانَهُ إِلَى سَمَاةِ الْمَنَاصِبِ طَالِعًا غَيْرَ آفِلٍ ، وَصَانَ بِعَقْلِهِ الرَّاجِحَ أَحْصَنَ الْمَعَاقِلِ .

نحمده على إحسانه الواصل ، وغيث جوده الذي هو على الدوام هاطل ؛ حمداً ينطق بمدح معدننه كل لسان قائل ، ويزيد خيره على كل عام قابل ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي ألحق جياد الأواخر بالأوائل ، وجعل أجمل الأمراء يفوق البدور الكوامل ؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جعله لديه أعظم الوسائل ، وتلازم هو وجبريل في علو المنازل ، والتقدم في المحافل ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه سادات العشائر والقبائل ، والمجاهدين في سبيل الله بالبيض البواتر والسمر الذوايل ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فلما كانت بعلبك المحروسة من أعز بلاد الإسلام ، وأبهج مدن الشام - تعين أن نعين لها حاكماً ديناً خبيراً ، أميناً أميراً ؛ شجاعاً مهتاباً ، بطلاً برمجاً وسيفه في صدور الأعداء ورقابهم طعناً صرأباً ؛ وكان الجناب الكريم فلان : - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته - من بيت كان على التقوى أساسه ، وعدت لدفع المضلات أناسه ، وأشتهرت همتهم فلا يرد لهم سهم ولا يطاق بأسه ؛ طالما نفوا عن الدين الحنيفي حبت الكفر بعد ما تمكنت أذناسه ، وشمروا عن ساعد الاجتهاد فمحي بسيوفهم ضلال الشرك وأرجاسه ؛ وهو أعزه الله تعالى ممن تتجى بشجاعته ، خلوق الكائب ، ووقى بعدله وحسن سياسته ، حقوق المناصب ؛ وقام في خدمة الدولة الشريفة أحسن قيام ، وهدبته بمرورها الليالي والأيام ؛ وتأهل لحلول الرتب العلية ، وتعين لأرتقاء المراتب السنية ؛ فاردنا أن نختيره فيما نؤليه ، ونخبه عزمه فيما نؤليه .

فلذلك رسم بالأمر العالی - لزال أمره مستمراً بالإحسان ، مجزلاً لذوى الاستحقاق عوارف النعم الحسان - أن يستقر الجناب الكريم المشار إليه - ضاعف

(١) في الأصل «مهايا» ولم يحن من هذه المادة فعل رباعى بهذا المعنى بل الوارد هابه وآهاته .

الله تعالى نعمته - في نيابة السلطنة الشريفة بعبك المحروسة والبقاعين المعمورين ،
على عادة من تقدمه في ذلك ، ومُستقر قاعدته ، بالمعلوم الذي يشهد به الديوان
المعمور ، إلى آخر وقت .

فليباشر هذه النيابة الشريفة بخاطر منفسح حاضر، وقلب منشرح على الخيرات
مشار، وليتخذ الشرع الشريف إماما ، وليتوخأوامره ونواهيته تقضا وإبراما ،
وليوقف عند حدوده المشروعة ، ولا يتعداها ومن يتعد حدود الله فيده من الإيمان
متزوعه ؛ ولين جانبه للرعية ، وليحملهم من العدل والإنصاف على المحجة الواضحة
الجلية ؛ فإنهم الرعية الضعفاء الصالحون الذين أنعم الله عليهم بتفويض أمورهم إليه ،
وليعرفهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « اللهم من ولي من [أمور] أمي شيئا
فرفق بهم فأرفق به ومن شق عليهم فأشقق عليه » ؛ وليعمر البلاد ، وليجمع أهل
الفساد ؛ وليمهّد البقاع ، وليحي موات الضياع ؛ وليقيم على القلعة المنصورة الحرس ،
ولا يغفل عن حفظها بمعرفته التي أكدّت له من السعادة سببا ، والله تعالى يبلغه من
إحساننا أربا ، ويصحح له من فضلنا طلبا ، ويحرسه بسورتي فاطر وسبا ؛ والاعتماد
في معناه ، على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بكشف البلاد القبلية ، كتب به لغرس الدين خليل الناصري
في الدولة الظاهرية « برقوق » وهي :

الحمد لله الذي جرد من أولياء هذه الدولة الشريفة سيوفاً تحميم مواد الفساد ،
وتبيد أهل الزيف والعناد ، وتعم بيأسها وبعدها البلاد . حمدا مستمرا على الآباد ،

(١) في الأصل : العلاء ، والتصحيح من الرسالة الآتية بعد .

(٢) الزيادة من الرسالة الآتية بعد .

مُرَوِّدًا غَرَسَهَا النَافِعَ وَنِعْمَ الزَّادُ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ رَبُّ
 الْعِبَادِ ، الْقَائِمُ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَالْمُجَازِي لَهَا بِمَا عَمَلَتْ يَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ؛
 وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا خَيْرَ الْخَلَائِقِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي بَأْنَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
 أَقْصَى الْمُرَادِ ، وَقَضَّلَهُ عَلَى الْخَلَائِقِ : الْآلَافِ وَالْمِئِينَ وَالْعَشْرَاتِ وَالْآحَادِ ؛ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ فَتَحُوا الْبِلَادَ ، بِسُيُوفِهِمُ الْحِدَادَ ، وَمَزَقَتْ رِمَاحُهُمْ
 مِنْ مَحَالِفِي دِينِهِمُ الْقُلُوبَ وَالْأَجَادَ ، وَسَلَّمَتْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَى يَوْمِ التَّنَادِ .

وَبَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتِ الْمَمْلَكَةُ الْقَبِيلِيَّةُ جُلَّ الْبِلَادِ الشَّامِيَةِ ، وَبِهَا أَرْزَاقُ الْعَسَاكِرِ
 الْإِسْلَامِيَةِ ؛ وَطَرِيقَ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الْحَرَامِ ، وَزِيَارَةِ نَبِيِّهِ عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ
 وَالسَّلَامِ ؛ وَإِلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ ، الَّتِي هِيَ عَلَى الْخَيْرَاتِ مُؤَسَّسَةٌ ؛ وَإِلَى الْأَبْوَابِ
 الشَّرِيفَةِ السُّلْطَانِيَةِ ، وَمَمَرِّ التَّجَارِ قَاصِدِينَ الدِّيَارِ الْمُصِيرِيَّةِ ؛ وَمَنَازِلِ الْعُرَبَانِ ، وَمَوَاطِنِ
 الْعَشْرَانِ - وَجِبَ أَنْ يُفَوَّضَ حُكْمُهَا إِلَى مَنْ عُرِفَ بِالشَّهَامَةِ وَالشَّجَاعَةِ ، وَالْيَقْظَةِ
 الَّتِي لَا يَغْفُلُ بِهَا عَنْ مَصْلَحَةِ الْمُسْلِمِينَ سَاعَةً ؛ مِنْ أَمْرِ غَرَسَهُ وَمَا يَفُوهَ ، وَأَيْنَعَ
 بِالْمُرُوءَةِ وَالْفُتُوَّةِ ؛ وَتَقَدَّمَ فِي الْكَمَالِ عَلَى زَيْدٍ وَعَمْرٍو ، وَأَضْرَمَ فِي قُلُوبِ الْأَعْدَاءِ نَارًا
 أَحْرَّ مِنَ الْجَمْرِ .

وَكَانَ الْجَنَابُ الْكَرِيمُ - أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - هُوَ الْمَشْهُورُ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ ، وَالْمَنْعُوتِ
 بِالشَّجَاعَةِ وَالْإِقْدَامِ وَحُسْنِ الْأَدْوَاتِ .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ إِحْسَانُهُ يُنَمَّرُ غَرَسًا ، وَجُودُهُ يُدْرَسُ نَفْسًا - أَنْ
 يَسْتَقِرَّ الْجَنَابُ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي كَشْفِ الْبِلَادِ الْقَبِيلِيَّةِ الْمُحْرُوسَةِ عَلَى مَنَوَالٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ
 وَعَدَاتِهِ ، وَحُدُودِهِ فِي ذَلِكَ وَمُسْتَقَرَّ قَاعِدَتِهِ .

(١) لم يرد هذا الجمع في أيدينا من كتب اللغة ولعله ارتكب القياس في اللغة بفعله كزئيف ورغقان وقطعان .

فَلْيُأَسِّرْ ذَلِكَ بِهَيْبَةِ الْعَلِيَّةِ ، وَشَجَاعَتِهِ الْأَحْزَمِيَّةِ ، وَنَفْسِهِ الْأَيَّسَةِ ؛ وَلْيُبَيِّضْ وَجْهَهُ
 فِي هَذِهِ النَّوْبَةِ حَتَّى يَطْرَبَ النَّاسَ بِالنُّوْبَةِ الْخَلِيلِيَّةِ ؛ وَلْيُعِدِلْ فِي الْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ ،
 وَلْيَقْمَعَ رُءُوسَ عَشِيرٍ آتَخَذُوا رَأْسَهُمْ مَوْلَى : فَلْيَأْسَسِ الْمَوْلَى وَلْيَأْسَسِ الْعَشِيرَ ؛ وَلْيُدْفَعْ
 أَدَى الْعَرَبِ ، وَلْيُحَذِّرْهُمْ شَرًّا أَقْتَرَبَ ؛ وَلْيُكْثِرِ الرُّكُوبَ إِلَى الْمَعَامِلَاتِ ، وَلَا يُخْشِ
 مِنْ كَثْرَةِ الْحَرَكَاتِ ، وَلْيَعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ ؛ وَلْيَتَّخِذِ الشَّرْعَ الشَّرِيفَ إِمَامًا ،
 وَلْيَتَوَخَّ أَمْرَهُ وَنَوَاهِيَهُ تَقْضًا وَإِبْرَامًا ؛ وَلْيَقِفْ عِنْدَ حُدُودِهِ الْمَشْرُوعَةِ ، وَلَا يَتَعَدَّهَا ؛
 وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَيُدْهِمِهُ مِنَ الْإِيمَانِ مَشْرُوعَهُ ؛ وَلْيُلِنْ جَانِبَهُ لِلرَّعِيَّةِ ، وَلْيُحْمَلْهُمْ مِنْ
 الْعَدْلِ وَالْإِنصَافِ عَلَى الْمَحْجَةِ الْوَاضِحَةِ الْجَلِيلَةِ ؛ فَإِنَّهُمْ الرِّعِيَّةُ الضُّعْفَاءُ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ
 عَلَيْهِمْ بِتَقْوِيصِ أُمُورِهِمْ إِلَيْهِ ، وَلْيَعْتَمِدْ قَوْلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « اللَّهُمَّ مِنْ
 وَرَى مِنْ أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقْ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ وَمَنْ شَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْفُقْ عَلَيْهِ » ؛ وَالْوَصَايَا
 كَثِيرَةٌ وَتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ نِظَامُهَا وَقِيَامُهَا ، وَأَتَّبَاعُ سُنَّةِ زَيْبِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِيَادُهَا وَزِمَامُهَا ، وَالْإِعْتَادُ فِي مَعْنَاهُ ، عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وَحَذِهِ نَسْخَةُ تَوْقِيعِ بَكَشْفِ الرَّمْلَةِ ، كُتِبَ بِهِ لِأَبِي بَكْرٍ « أَمِيرِ عِلْمِ » ، فِي الدَّوْلَةِ
 الظَّاهِرِيَّةِ « بَرْقُوقِ » وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَلَّدَ أَجْيَادَ الْمُجَاهِدِينَ ، سَيْفَ نَفْسِهِ ، وَأَكَّدَ بَعْزَانِمَ أَهْلِ الْيَقِينِ ،
 حِمَايَةَ حَوْزَةِ الْإِسْلَامِ وَصِيَانَةَ نَفْسِهِ ؛ وَجَعَلَ أَلْسِنَةَ أَسِنَّةِ الْمُرَائِبِيِّينَ فِي فَمِ الثَّغْرِ زَيْنًا إِذَا
 أَرْدَانُ بَغْرَةَ بَدْرِهِ ، وَأَنْزَلَ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ قَوَارِحَ نَقِمِهِ وَقَوَارِعَ قَهْرِهِ .

أَحْمَدُهُ أَنْ حَمَى بِأَوْلِي النَّجْدَةِ وَالْبَأْسِ لِلْسَّامِينَ حِمَى ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى مَا هَمَّعَ مِنْ صَيِّبِ
 نَعْمَائِهِ وَهَمَّى ؛ وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً أُنْتَحَدُّهَا عِنْدَ اللَّهِ

ذُنُورًا ، وأرْجُوها في العُقْبَى أَجْرًا ، وأشهدُ أنَّ عَمْدًا عبْدُهُ ورسولُهُ الذي آيَدَ يَدَهُ
بالسِّيفِ وأمَدَّهُ أَيْدَا ، وعلى آله الذين حَلَى بهم للإسلامِ جِيدًا ، وصَحَّحَهُ الذين جَلَا
ببَوَارِقِ صِفاحِهِمْ ، وخَوَارِقِ رِمَاحِهِمْ ؛ عُثِمَ المِجَال ، وَعُثِمَ القِتَال ؛ فلم يُهْمَلِ الأعداءُ
ولم يُمَهَّلْهُمْ رُوَيْدًا .

وبعدُ ، فإنَّ أَوْلَى مَنْ جُعِلَ في تَحْرِ البَحْرِ هُمَامًا صَارِمًا ، وأشدُّ مَنْ قاطَعَ أعداءَ
الدينِ وصارَمًا ؛ مَنْ تُضْرَبُ بشجاعته الأمثالُ ، ويُورَدُ في صدور الأبطالِ صُمُّ
الأسلِ النَّهَال ؛ وَيُجْحَى جَمَى الثَّغْرِ فلا يدْعُ عدوًّا ولا يَرْهَبُ نَهْبًا ، ويرْقَى رِقَابَ الكُفْرِ
فَيُؤْمِنُونَ وإن كان وراءهم مَلِكٌ يأخذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَضْبًا .

ولما كان الجَنابُ الكَرِيمُ فلانٌ - أدام اللهُ تعالى نِعْمَتَهُ - هو الذي أخلص
في الطَّاعَةِ ، ونصح سُلْطَانَهُ حسب الطَّاقَةِ والأَسْتِطَاعَةِ - رُسم بالأمر الشريفِ
العالي - لا زال سَيْفُ عدله ماضيا ، وكُلُّ بِحُكْمِهِ راضيا - أن يستقرَّ الجَنابُ المشارُ
إليه كاشفًا بالرَّمْلَةِ المعمورة ، على عادة من تقدَّمه في ذلك .

فليباشِرْ ذلك مُعَمَّرًا تلك البلادَ بَعْدَهُ ، مُجْتَهِدًا على إيصالِ الحَقِّ إلى أهلِهِ ؛
وليتخِذِ الشَّرْعَ الشريفَ إمامًا ، ولْيَتَوَخَّ أوامِرَهُ ونَوَاهِيَهُ تَقْضًا وإِرامًا ؛ ولْيَقِفْ عند
حدوده المشروعة ، ولا يتعدَّها : ومن يتعدَّ حُدُودَ اللهِ فيدُهُ من رِ الإِيمانِ متزوعه ؛
ولْيَلِزْ جانبَهُ للرَّعيَّةِ ، وليحملهم من العَدْلِ والإِنصافِ على المَحَبَّةِ الواضحةِ الجَلِيلَةِ ؛
[فإنَّهم الرعيَّةُ الضَّعفاءُ الذين أنعم اللهُ عليهم بتَقْوِيضِ أُمُورِهِمْ إليه] ^(٢) وأيعتمدُ فيهم قولَ
النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «اللَّهُمَّ من وَلِيَّ من أُمُورِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَّقْ بِهِم فَرَفَّقْ بِهِ
ومن شَقَّ عَلَيْهِم فاشقُّ عَلَيْهِم» . والوصايا كثيرةٌ وأهمُّها التَّقْوَى فليلازمُ عليها فإنَّها

(١) وقف عليه بلغة ربيعة .

(٢) الزيادة مأخوذة مما تقدم .

تحفظه ، وبالسيادة والسعادة تلحظه ؛ والله تعالى يكفل توفيقه ، ويسهل إلى نجج المقاصد طريقه ؛ والاعتقاد في معناه ، على الخط الكريم أعلاه .

قلتُ : ومن تأمل وصايا هذه التواقيع الثلاثة المتقدمة الذكر ، علم ما كان عليه كُتاب الزمان ، من آتراء الفقرات من توقيع ، وترصيعها في توقيع آخر ، من غير تغيير لفظ في أكثرها .

المرتبة الثانية

(من توقيع أرباب السيوف من بأعمال دمشق - مايفتح بـ «أما

بعد حمد الله » وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بناية بعلبك لمن دون من تقدم في المرتبة الأولى ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كتب به لمن لقبه «ناصر الدين» : وهي

أما بعد حمد الله الذي لم يحل مملكة إسلامية من قوة ولا ناصر ، ولم يحل أمرها على ذي عزيم قاصر ، ولم يحل وجهها إلا بن نسي به القديم وشهد له المعاصر ، ولم يلق مقالدها إلا لمن وصح برأيه الإبهام وثبتت بفضلها الشهادة وعقدت على ذكره الخناصر . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي شيد معالم الدين وأركانها ، وجدد مكان الحق وإمكانه ؛ وعلى آله وصحبه الذين تابعوا في الخلق عدله وإحسانه ، وشايعوا في النصر نصله وسنانه ؛ ما استناب الودق في سقيا الرياض غدراثة ، وخلع على الغصون خلعاً خطر فيها الزهر بأشجابه وعقد من الثمر تيجانه - فإن شرف الأماكن بساكنيها ، وجسوم الديار بنفوس قاطنيها ؛ والمنازل بكواكبها ، والمناصب

بِنَصِيحِهَا مِنَ الْكِفَاةِ وَنَائِبِهَا ؛ وَإِنَّ مَدِينَةَ بَعْلَبَكَّ عِلْمٌ فِي الْمَدَائِنِ مَرْفُوعُ الْخِطَّةِ ، وَجِسْمٌ
 مِنْ جُسُومِ الدِّيَارِ قَدْ آتَاهُ اللَّهُ بَسْطَهُ ؛ يُذِيئُهُ سَلِيْمَانٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهِيَ بِالْمَلِكِ قَدِيمَةٌ
 الْاِخْتِصَاصِ ، وَمُبْتَنَى الْجَانِّ الْمُنْسُوبَةُ عُقُودُهَا الْعَلِيَّةُ وَالذَّرِّيَّةُ إِلَى كُلِّ بِنَاءٍ وَغَوَاصٍ ؛
 وَشَامُ الشَّامِ الْمُدْجِبِ ، وَرَوْضَةُ نَدَاهُ الْمُعْشِبِ ؛ وَثَنِيَّةُ تَغْرِهِ الْبَاسِمِ ، وَعَرَفُ أَعْرَاقِ
 حَيَاهِ النَّاسِمِ ؛ وَمَأْوَى صَلْحَانِهِ أَحْيَاءٌ بَيْنَ أَوْطَانِهَا ، وَأَمْوَانًا بَيْنَ صَفِيحِ لُبْنَانِهَا ؛
 لَوْ عَمِرَتْ الْبِلَادُ مُحِبًّا لَقِيلَ لَسَحَابِهَا : يَا كَثِيرَ الْمَنَنِ ، وَلَوْ صُوِّرَتْ أَنْاسِي لَقِيلَ
 لِإِنْسَانِهَا : يَا طَيِّبَ النَّجْرِ وَاللَّبَنِ ؛ لَا يُمْنَعُ مَاعُونُهَا ، وَلَا يَنْقَطِعُ عَوْنُهَا عَنِ الْبِلَادِ وَمَا
 أَدْرَاكُ مَاعُونُهَا ؛ وَلَا تَلِيْقُ مِنَ التَّوَابِ إِلَّا بِكُلِّ سِرِّ الْعَزْمِ وَالْهَيْمَةِ ، عَلَى الْآرَاءِ
 فِي الْمَلِمَةِ الْمُدْهِمَةِ ؛ نَاجِحِ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، صَالِحِ لِأَنْ يُثْنِيَ عَلَى نِيَابَتِهِ الْبَعْلَبَكِّيَّةِ صَالِحُو
 الْمَدِينَةِ وَالْحَبْلِ ؛ مُكْمَلِ لِسُلُوكِ الْحَقِّ الْأَنْجِيِّ وَالْعَزْمِ الْأَنْجِدِ ، مُؤَهِّلِ لِارْتِقَاءِ الرَّتَبِ
 الَّتِي تَمَاحَدْنَا وَلَهَا الْأَمْجِدُ .

وكان فلان هو بجملة هذا التفصيل ، وجمال هذا التفضيل ؛ وكف ، هذه
 العقيلة ، وسعد هذه المترلة التي مدت بالسيف والقلم ذراعاه ونظمت من البناء
 إكليله .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت الممالك بمحاسن أيامه إرم ذات العباد ،
 والبلاد ذات الخصب السني لا ذات السنة الجماد - أن يرتب في نيابة بعلبك
 المحروسة : مجددا بهيمته العالية علو صرحها ، وحماية سرحها ؛ ورعاية جبلها وسفوحها ،
 موريا في مصالحها زناد فكره التي لا تمكن أقوال العداة من قدحها ؛ مصرفا أوامره
 كيف شاءت ، منصفًا للأحوال المنوطة برعايته إن دنت أو تباعدت ؛ باسطا لعدل
 قلمه على المحيدين ، وسطوات سيفه على المعتدين ، وأزعا بمهابته من جاور جبال

(١) لعله "التي إذا خلت من ماجد تناولها" الخ .

العَمَل من الضَّالِّين ، (فَعَسَى أَوْلَتْكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) وَلِيَتَّبِعُوا مِنْهَا مَعْقِلًا
يَعْبُدُهُ الْمُنَاصِرُ وَالْمُهَاجِرُ ، وَيَلْحِظُ مِنْهَا تَفَرًّا مَسَاوِيكُهُ الْأَسْلُ وَالْمَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى الْمَحَاجِرِ ،
وَلِيُجْرِ أُمُورَ الدِّيْوَانِ عَلَى سَنَنِ التَّمْيِيرِ وَالتَّثْمِيرِ ، وَلِيَسُدِّرَ الْأَوْقَافَ الْمَبْرُورَةَ بِحَاسِنِ
التَّدْبِيرِ ، وَلِيَشَارِكَ أَهْلَهَا فِي الْأَجْرِ الْأَوَّلِ بِالْأَجْرِ الْأَخِيرِ ، وَالْأَسْوَارِ هِيَ وَقُلُوبُ الرِّجَالِ
مِنْ أَمِّ مَا يُعَمَّرُهُ ، وَوُفُورُ الْحَوَاصِلِ وَالسَّلَاحِ مِمَّا لِلوَلِيِّ وَلِقَاءِ الْعَدُوِّ يَدِيحُهُ ، وَتَقْوَى
اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ مِمَّا لَا يَزَالُ لِسَانُهُ يَسْتَحْلِي الْقَوْلَ فِيهِ فَيُكْرَهُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ
وَأُظْفِقَهُ ، وَيَكْفِيهِ مَا أَمَّهُ مِنَ الْأُمُورِ فَمَا كُنِيَ مِنْ لَمْ يَكْفِيهِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية الولاية بالشام المحروس لمن لقبه «عز الدين» من إنشاء
الشيخ جمال الدين بن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَ لِلْوَلَاةِ فِي هَذِهِ الدَّوْلَةِ عِزًّا يَتَّجَدُّ ، وَعِزًّا مَا يَتَشَدَّدُ ،
وَعِلَالًا يَتَعَدَّى إِذَا حَكَمَ وَزِيدًا لَا يَتَعَدَّدُ ، وَكَفَافِي وُلَاةٍ يَتَلَدَّدُ الْوَاوِصُفُ بِذِكْرِ
أَهْتَامِهِ الَّذِي إِذَا أَهَمَّ لَا يَتَلَدَّدُ ، وَإِذَا أَعْتَبَرَ عِزُّهُ وَحِزْمُهُ فَهَذَا فَضْلٌ يَتَّجَدَّدُ ، وَهَذَا
وَصْفٌ لَا يَتَّحَدَّدُ . وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ الْخَلْقِ مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْعِزِّ
الْمُؤَبَّدِ ، وَالْعِزْمُ الْمُؤَيَّدِ ، مَا كَتَبَ قَلَمُ الْغَيْثِ الْجَانِدِ عَلَى طَرِيسِ الرُّوضِ بِخَوْدٍ - فَإِنَّهُ
لَمَّا كَانَتِ الْوَلَاةُ فِي خِدْمَةِ الْبِلَادِ جَيْشًا يَحْمُونَ سَرْحَهَا ، وَيُعْمَرُونَ صَرْحَهَا ، وَيُحْصِبُونَ
بِالْعَدْلِ قَبْلَ الْعِمَارَةِ سَفْحَهَا ، وَيَحْكُمُونَ فِي رِعَايَاهَا ، وَيَتَمَكَّنُونَ فِي قَضَايَاهَا ، وَيَقْرَعُونَ
تُغُورَهَا وَيَقْرَعُونَ ثَنَائِيهَا - تَعَيَّنَ أَنْ تَقْدَمَ عَلَى هَذَا الْجَيْشِ الْمَذْكُورِ أَمِيرًا يَقَرُّ
أَمْرَهَا ، وَيُنَسَّقُ مِنْ مَيْمَتِهِ وَمَيْسَرَتِهِ يَمْنَهَا وَيُسْرَهَا ، وَيُجَرِّدُ مِنَ الرَّأْيِ سِلَاحَهُ ،
وَيُسْرِ قَلْبَهُ بِالتَّدْبِيرِ وَيَرِي شُجْرَةَ جَنَاحِهِ .

(١) كذا في الاصل بالاممال ولعل صوابه «وفعلا اذا حكم لا يتعدى ورايا لا يتعدد» .

وكان المجلس السامي هو الأمير الدال عليه هذه الإمارة ، المعنى بهذه الشارة
والإشارة ؛ المستحق بشريف نفسه مدارج الارتقاء ، ومباهج الانتقاد والانتقاء ؛
المسبل أذبال مفانحه أى إسبال ، المرفوم بأسمه ورسمه على أرجاء الولايات : « عز
يدوم وإقبال » ؛ المقيم من أمانته ومهاتنه بين حرزین ، الشهم الذى لا يدل وهو من
نعتة ومُنْتَسِيهِ بين عزین ؛ الصمصام الذى نُسِر [به] يد من ارتضاء وانتضاء ،
والماشى على الحق الظاهر حتى يقال : أهذا وإلى الولاية أم فاضى القضاء ؟ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - شرفه الله وعظمه - أن يستقر اعتاداً
على شهامته التى يمثليها تمهد البلاد ، وكفائه التى تُفصِح بالخيرات السنية السنة
الجماد ؛ وصرامته التى تُشد على أيدي الولاية فيردون الحقوق من أيدي الأغنياء ،
ودرايته التى ينتسبون إليها فيُنشدون :

وكما كالمهام إذا أصابت * مرامها فرامها أصاب^(١).

فليأشر هذه الرتبة بكفتها : من العزم العالى ، والقدر العالى ، والمعدلة التى تَمَسُّكُ
منها الأحوال بأوثق العرا ، وتتلو سيارتها المرفقة : (وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى) .
مراعياً لجميع الأحوال ، مُمْتَرّاً لمربع الأموال ؛ وإلياً على ولاية إن شكوا فى صنع الله
فما لهم من الله من وال ، ماشياً من تقوى الله تعالى فى كل أمر على أقوى وأقوم
منوال ؛ والله تعالى يُخِصِبُ البلاد بعام رأيه الصيب ، وَيُطِيبُ الأماكن المنبئة
بمثله : « وكل مكان يُنبت العز طيب » .



وهذه نسخة توقيع بولاية البلقاء والصلت ، من إنشاء ابن نباتة ، وهى :

(١) الرواية : أصابا بالفت الإطلاق ، وحذفت هنا لمرعاة الفاصلة .

أما بعد حمد الله مُضَاعِفِ النِّعَمِ ، ومُرَادِفِ رُبِّ الإِحْسَانِ لمن أخلص
 في الخِدمَةِ ، ومُجَدِّدِ مَنَازِلِ العِزِّ لمن طلعتْ كواكبُ أَهْتَامِهِ في آفاقِ الأُمُورِ المُهِمَّةِ ،
 ومُؤَكِّدِ سِيَاهِ الخَيْرِ المُقْتَسَمِ ، لمن سَدَّدَ في شَرَفِ الأَغْرَاضِ رَأْيَهُ بل سَهْمَهُ .
 والصلاة والسلام على سيدنا محمد النبي الأمي هادي الأمة ، وعلى آله وصحبه حُماةِ
 الدِّينِ من العوارض المُلمِّةِ ، صلاةٌ تكونُ بين أرواحهم الزُّكِيَّةِ مَوَدَّةً وِرْحَمَةً - فإنَّ
 أحقَّ الأولياءِ بمزيدِ الآلاءِ المُتَّصِلِ ، وتجديدِ النِّعمِ المُقْبِلَةِ وتَقْدِيمِ المساعي التي
 لا تَلْبَسُ حُلَّ القِطَارِ إلا مُكْتَمِلَةً - من وَصَّحَتْ في صفاتِ الفَضْلِ آيَاتُهُ ، وتَقَابَلَتْ
 في حَالَتِي التَّذْيِيرِ سَطَاهُ وَأَنَاتُهُ ، ورَوَى غُلَّةَ البَلَدِ الخائفِ نفاضِ على المُعْتَدِينَ
 جَدُولُ سَيْفِهِ وجرَتْ بالدمِ قَنَاتُهُ ، وقام على قَدَمِ الأَجْتِهَادِ ، وقَسَمَ بين جَفْنِهِ وجَفْنِ
 سَيْفِهِ السُّهَادِ .

ولما كان المجلسُ هو المقصودُ بهذه الحكاية ، والمشهودُ له في طَلْقِ هذه
 الغَايَةِ ، والعاليَ بِهِمِهِ على ذَوِي الأَرْتِقَاءِ ، والوَالِيَ الذي إذا رَكِبَ الوَلَاةَ لاشْتِهَارِ
 ذِكْرِ كَانِ من بينهم فَارِسَ البَلْقَاءِ ، والنَّاهِضَ بِتَنْمِيرِ الأُمُورِ عَمَامُ رَأْيِهِ الصَّيِّبِ ،
 والطَّيِّبِ بِسِيَاسَتِهِ مَحَلَّ الوَلَايَةِ : « وكلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ العِزَّ طَيِّبٌ » - تعين أن تَرِيدَ
 مَنَصِبَهُ إذا تَزِيدَتِ المناصبُ ، وأن تَسْتَمِرَّ مَرْتَبَتُهُ إذا مَرَّتْ لَدَهَاها المَرَاتِبُ ،
 وأن يَسْتَمَلَّ في أَسْتِمْرَارِهَا عليه ، وأن يَكُونَ في إِعْرَابِ الدَّوْلَةِ القَاهِرَةَ مُضَافًا
 وَمُضَافًا إِلَيْهِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى أبدأ عماده ، وجعل لولاية أيامه
 الحُسْنَى وزيادته - أن يستمر على ولاية البلقاء على عادته ، وأن تُضَافَ إليه ولايةُ
 الصَّلَاتِ : جمعا له بين الأَخْسَيْنِ حَلَالًا ، وَالذُّرُوتَيْنِ مَنَالًا ، وَالرَّايَتَيْنِ نُهُوضًا بِهِمَا

(١) لم يذكرها الفاموس ولا ياقوت وفي تقويم البلدان هي بلدة وقلة من جند الأردن .

وَأَسْتَفْلِلَا؛ وَعَلَمًا بِوَفَاءِ عَزْمِهِ الَّذِي أَمَرَ أَمْرَهُ، وَرَفَعًا لَقَدْرِهِ الَّذِي حَسُنَ أَنْ يَقُولَ
لِمَنْصِبِ الْبَلْقَاءِ : « لَنَا الْأَبْلُقُ الْفَرْدُ الَّذِي سَارَ ذِكْرُهُ » ، وَتَيْمَنًا بَعْرَةَ الصَّلَاتِ فَإِنَّ
الصَّلَاتَ هُوَ الْجَبِينُ الْوَاضِعُ بِشْرِهِ ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَهُوَ الْكَافِي الَّذِي جَمَعَ مَالَ
الْجِهَاتِ فَأَوْعَى ، وَقَسَمَ فُنُونََ الْمَصَالِحِ جِنْسًا وَنَوْعًا ، وَحَسَمَ أَدْوَاءَهَا بِجُحْسَامِ رِفْقِهِ
كَرَّهَا وَطَوَّعَا .

فَلْيَبِشُرْ بِالْعِزِّ وَالْيَمِينِ جِهَتَيْهِ ، وَلْيَأْخُذْهُمَا بِكِلْتَا يَدَيْهِ ، وَلْيَفِضْ وَجْهَ عَزْمِهِ فِي أَرْضِ
الدَّوْلَةِ حَتَّىٰ يَكُونَ شَبَهَ الْبَلْقَاءِ الْإِلَازِمِ لِإِحْدَى وَلَا يَتَبَهَّ بِمِثْلِهِ مَحْصَنًا بِسِمَاكِي سَيْفِهِ وَقَلَمِهِ فَيَنْعَمَ
بِالْبَلَدَتَانِ ، مُتَمَرًّا بِسَدَادِ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَتَّانَ ؛ مُوَفِيًّا لِلْمَعْقُوقِ ، مُعْتَفِيًّا لِاعْتِرَافِ
النَّعْمَةِ مِنَ الْعَمُوقِ ، رَاقِيًّا بِهَمَّتِهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - إِلَى رُتَبٍ لَوْ رَامَهَا نَجْمُ الْأَفْقِ
لِعَاقَةِ الْعَيْوُقِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ عِزًّا وَجَلًّا فَيَأْتِ خَيْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِتَقْوَى اللَّهِ
مَعْدُوقًا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوضِّحُ لِرَأْيِهِ أَجْمَلَ الطَّرَائِقِ ، وَيُتَّجِحُ عَلَى الْبَلْقَاءِ وَغَيْرِهَا سَعْيَهُ
السَّائِقِ ، وَفِكْرَهُ السَّابِقِ ؛ بِمَنْهَ وَكْرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بولاية نابلس ، من إنشاء ابن نباتة أيضا ، وهي :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ عَلَى مَا هُنَا مِنَ الْمَوَاهِبِ ، وَهِيَ مِنْ عَلِيِّ الْمُرَاتِبِ ، وَأُنْجَزَ مِنْ
وُعُودِ السُّعُودِ بَعْدَ مِطَالِ الْمَطَالِبِ ، وَزَيْنٍ مِنْ سَمَاةِ الْوِظَائِفِ عِنْدَ إِزْهَائِهَا بِزِينَةِ
الْكُوكُوبِ ، وَعَمَّرَ مِنْ صُدُورِ الْوُلَاةِ وَالْوَلَايَةِ بَعْلِي تَنْبِيٍّ عَلَيْهِ الرِّعْيَةُ « وَلَوْ سَكَنُوا
أَثْنَتَ عَلَيْهِ الْحَقَائِبِ » . وَالصَّلَاةُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي جَرَدَ لِنَصْرِ
الْإِيمَانِ حَدَّهَ الْقَاضِبِ ، وَحِزْبِهِ الْغَالِبِ ، وَنَدَبَ لِإِحْيَاءِ الْحَقِّ عَلَيْهِ بَعْدَ مَا هَمَّتْ
بِهِ النَّوَادِبُ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَمَاتِ بِجَمَالِ الْكُتُبِ كَمَا كَانُوا فِي الْحَيَاةِ

بجمال الكنايب؛ صلاة لتعطر بنفحاتها الصبا وتتقطر من خلف سراها الجنائب - فإن عقائل الولايات أولى بخطبة أكفائها، ورغبة السراة من ذوى أصطفاها، ونسبة من يقوم للأمر المعللة بقانونها وشفائها .

ولما كانت بلد نابلس المحروسة من أعلى عقائل البلاد قدرا، وأمرها الجهات أمرا، وأسرى الولايات محلا وذكرا، وأوفى النواحي من زمان بنى أيوب على تكاليف الملك صبورا، وأتزه البقاع التي لو رآها الملك المصيرى لما استغنى غوطة الشام بشبرين من شبرا؛ بلد أعارته الحمامة طوقها وحملت الثناء فوق طوقه، ونجم نبات واديسا الزهر حتى تساوى النجان من تحته ومن فوقه - تعين أن يختار لولايتها من تعين ولاؤه، وتمكن في الرتب علاؤه، وتبين في مصالح الولايات احتفاله واحتفاؤه، وشهر وفاؤه بالخدمة فلا شرف بسعى إلا له منه شينه وراؤه وفاؤه؛ من شهدت السواحل الشامية في مباشرته أنه أجرى منها المال بحرا، وأفاض الوصف ذرا، وشهدت الزكاة - وديوانها المادح - أنه أفلح من زكاهها خبرا وخبرا .

فلذلك رسم بالأمر الشريف أن يرتب فلان علما بأنه الأوحد الذى جمع الأوصاف المتقدمة، وأسمع من المحامد تدجئة لها من كلاً قوله وفعله مقدمة؛ وأطلع فى آفاق الوظائف كنجوم الجوزاء الثلاثة رأيه وسيفه وقلمه، وأطلع على محاسن التدبير فكان فى رعايا بلده ممن تواصوا بالصبر وتواصوا بالرحمة؛ وأنه الكافى الذى إذا ولي ثمر، وإذا صال على المفسدين دمر، وإذا شامت المهتمات بارق عزم، أسبل وإذا سامت قواه ثمر؛ وأنه الأمين إذا تصرف، والمأمون إذا تعرف، والشجاع إذا تحصنت البلاد بنسبه الحصنى: فسواء فى شمول الأمن ما توسط منها وما تطرف.

فليباشر هذه الولاية المباركة بعزم يوضح بشرها، ويشرح أمرها، ويقمى فى خطبة علاه عذرها؛ وحزم يثمر مالها وغلالها، وينقع غلتها ويضع أغلالها؛ وبأس يدع

المُضَيِّد من سَيْفِهِ أو قَيْدِهِ في طَوْقٍ أو حِجْلٍ ، وَيَذُرُ السَّارِقَ وَالْمَارِقَ يُسِيرُ بلا كَفِّ
وَيَسْعَى بلا رِجْلٍ ؛ مُشِيدًا لِنَوَاحِيهَا بِالترغيب والترهيب على أَوْثَقِ المَبَانِي ، مُصَالِحًا
بين أَهْلِ الأَهْوَاءِ حَتَّى لَا يَضُرَّ قَوْلُ القَائِلِ : «رَفِيقَكَ قَيْسِي وَأَنْتَ يَمَانِي» ؛ مُتَفَقِّدًا
من الأَحْوَالِ كُلِّ جَلِيلٍ وَحَقِيرٍ ، نَاهِضًا في تَلَقُّي المِهْمَاتِ عَلَى قَدَمِ التَّنْقِذِ بِالعِزْمِ
الاثِيرِ ، جَاعِلًا من لَدَى مَحَجَّةِ عَمَلِهِ لِمَصْلَاحِ العَشِيرَةِ نِعْمَ العَشِيرِ ، عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ
تَعَالَى في كُلِّ أَمْرٍ وَإِلَيْهَا بِالْحَدِيثِ يُسِيرُ .



وهذه نسخة توقيع بشد الدواوين بغزة ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به
لـ «علاء الدين بن الحصني» المقدم ذكروه في التوقيع قبله ، وهي :
أما بعد حمد الله على كلِّ نِعْمَةٍ جَلَّتْ ، وَنِعْمَةٍ في أَهْلِهَا حَلَّتْ وَحَلَّتْ ، وَرَبَّةٍ
بِانْتِسَابِ كَافِيهَا وَبِاسْمِهِ تَحَصَّنْتَ عَلَى الحَقِيقَةِ وَتَعَلَّتْ ؛ وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا
مُحَمَّدٍ خَيْرٍ من سَأَمْتَ عَلَيْهِ الأَلْسِنَةُ وَصَلَّتْ ، وَسَلَّتْ بِهِ سُيُوفُ النَّصْرِ وَصَلَّتْ ؛ صَلَاةٌ
دَائِمَةٌ مَا أُمْلِيَتْ عَلَى الأَسْمَاعِ فَمَلَّتْ ، وَلَا قَابَلَتْهَا وُجُوهُ المَلَائِكَةِ إِلَّا تَهَلَّلَتْ وَلَا تُحِبُّ
الرِّضْوَانَ إِلَّا أَنَهَلَتْ - فَإِنَّ مِثْرَةَ يُسْتَقَى [من] مِهْمَاتِ الدَّوْلَةِ خَبْرُهَا ، وَيُسْتَدْعَى من جَانِبِي
مِصْرَ وَالشَّامِ سَبْرُهَا ، وَيُحْمَدُ إِلَيْهَا من نَاحِيَّتِي السَّاحِلِ وَالجَبَلِ سُرَاها وَسَيْرُهَا ؛ وَتلك
وِظِيفَةٌ شَدَّ الدَّوَاوِينَ المَعْمُورَةَ بِغَزَّةِ المَحْرُوسَةِ الَّتِي تُتَلَقَّطُ من سَاحِلِ بَحْرِهَا دُرُّ الخَيْرِ
المُقْتَبَلِ ، وَتَقُولُ المِهْمَاتُ الشَّرِيفَةُ لِسِرَاةِ اسْتِنْهَاضِهَا : يَا سَارِيَةَ الجَبَلِ - حَقِيقَةٌ
أَنْ يُتَخَيَّرَ لَهَا من الشَّاكِرِينَ من يُحْمَدُ أَجْتِهَادُهُ وَجِدُّهُ ، وَمن السَّابِقِينَ إلى المَقَاصِدِ من
يَحْسُنُ - كَمَا يُقَالُ - تَقْرِيْبُهُ وَشَدُّهُ ؛ وَمن سُكِرَتْ في الوَلَايَاتِ آلاؤُهُ ، وَمن إِذَا عَلَا
نَظْرُ رَأْيِهِ في المِصَالِحِ قَبِيلُ : دَامَ عِلَاؤُهُ ؛ وَمن إِذَا دَبَّرَ جِهَةً قَالَتْ بِلِسَانِ الحَالِ :
لَقَدْ زَادَ في المِصَالِحِ حُسْنًا ، وَلَقَدْ تَحَصَّنَتْ بِانْتِسَابِ ذِكْرِهِ فَلَا عَدِمَتْ مِنْهُ حِصْنًا .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر لما عُرف من حزمه وعزمه ، ولما جُتد في مقدمات القدر من رفعة وفي إعلاء المهّمات من حزمه ؛ ولما عُهد من هممه في جهات دبرها ، وفي ولايات ثمرها ؛ وفي وظائف شدّها : أمّا على العتاة فشَدّها وأمّا على المستحقين فبَسَرها ؛ ولما أشتَه من ذكره الذي لا بَرَحَ عليّا ، ولما ظهر من درآيته التي جعلت كوكب سَعده وسَعبه دُرّيا ، ولما بهر من تميّزه الذي إذا هزّ عصاه بيده تُساقط على المقاصد رُطباً جنيّاً .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة مباشرة تَبَيُّض لها وجّها وعِرْضاً ، وإذا أُنحى عليه المُنتهى تبرّعاً كافاه حتى يكون قرضاً ؛ مجتهداً في تميير الأموال والغلال ، ضابطاً لأُمور الديوان حتى لا يشكو الخلة ولا الاختلال ؛ قائماً بحقوق الخدمه ، مُستريداً - بَشْر الأفعال والأفعال - لما يرسخ له من أقسام النعمه ، عليّاً على كلِّ حالٍ إذا وُقت الفكرُ قدره وإذا ذكر اللسانُ اسمه .

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب السيوف بأعمال دِمَشق ما يفتح «رُسم» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع بناية قلعة القدس ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نبانة ، كُتب بها لشرف الدين «موسى الرّدادى» وهى :

رُسم لا زالت ولاة أيامه عالية الشرف ، سامية المستشرف آوية من جنات خير الدنيا والآخرة إلى عُرف من فوقها عُرف - أن يستقر المجلس السامى علماً باهتمامه الوفى ، وأعتزاه المتيقظ إذا نام حدّ المشرفى ؛ وأستناداً إلى رأيه الذى

يقول نَجْمُ الطَّلَعِ: «مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي» !! ؛ وإرشادِ سَعِيهِ إِلَى أَنْ
أَتَّخَذَ مِنَ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ دَارًا ، وَمِنْ حَرَمِ الشَّرِيفِ جَارًا ، وَأَتَّقَادِ ذَهْنِهِ وَشَجَاعَتِهِ
اللَّذِينَ آتَسَ بِهِمَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا ؛ وَكَيْفَ لَا ؟ وَقَدْ قَالَتْ هِمَّتُهُ : يَا مُوسَى
أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ، وَأَنْحِرْ بِدَكَ الْبَيْضَاءَ فِي النَّبَاةِ تُكُنْ أَحَقُّ مِنْ أَعْتَرَفَ بِهَا الْإِحْسَانَ
وَأَعْتَرَفَ .

فَلْيَبْشُرْ مَا فَوَّضَ إِلَيْهِ مَبَاشِرَةً يَعْلُو بِهَا شَرَفُ اسْمِهِ وَمُسَمَّاهُ ، وَيَسْتَدُو لِلِاخْتِيَارِ
وَالِاخْتِبَارِ فَضْلُ التَّقَدُّمِ الَّذِي إِذَا بَدَأَ لَهُ كِفَاةٌ ؛ وَلِيُجْرِبَ بِهَذِهِ الرَّتْبَةَ رَأْيًا حَسَنَ الْإِحْكَامِ ،
وَلِيُؤَاطِبَ عَلَى حِفْظِ هَذِهِ الْقَلْعَةِ الَّتِي فُتِحَ بِهَا عَلَيْهِ فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ فُتُوحِ الْإِسْلَامِ ؛
وَلِيُتَمَدَّدَ عَلَيْهَا مِنْ كِفَايَتِهِ سُورًا حَوْلَ سُورِهَا ، وَلِيَتَفَقَّدَ رِجَالَهَا وَعُدَدَهَا تَفَقَّدَ الشُّهْبَ
فِي دَيْحُورِهَا ، وَلِيُرَدَّ عَنْهَا بَعْزِمَهُ الرَّدَادِيُّ عُيُونَ الْأَعَادِي الزُّرْقَ حَتَّى لَا يَرَاعَ فِي أَرْضِ
الْحَرَمِ وَلَا حَمَامَاتُ طُبُورِهَا . وَلِيَشْكُرَ نِعْمَةَ أَوْتَاهُ إِلَى هَذِهِ الْمَنَازِلِ الطَّاهِرَةِ ، وَلِيَقْرَبَ لِيَدِ
أَمَلِهِ طَلَبَ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . وَلِيَقْدَمَ مِنَ الْوَصَايَا تَقْوَى اللَّهِ الَّتِي عَنْ أَصْلِهَا تَتَفَرَّغُ
نِعْمَةُ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، حَتَّى يَجْعَلَ لَهُ فِي الْوَادِي الْمُقَدَّسِ رَبْعًا مَأْنُوسًا ، وَجَمْعًا
مَحْرُوسًا ، وَأَحَادِيثَ حَسَنَةً تَقُولُ لِمُسْتَمِعٍ مِثْلَهَا فِي الْآفَاقِ : (هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى) .
وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِإِعَانَتِهِ ، وَيُلْهِمُهُ شُكْرَ مَا رَزَقَ مِنْ فَضْلِ مَكَانِهِ وَمَكَانَتِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ !



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة صرخند لمن لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يتغير لقلعه النائب ويتغير من النائب ، ويمددها بسحاب بره
وفكره الصائب ، ويندب لخدمتها كل سيف يرضى النادب . ويقم على غيرها النادب -

أن يُرتَّب مجلس الأمير ... لأنه الكافي الذي تُسرُّ الحُصُونُ بأمثاله، وتَبْتَسِمُ شُرَفَاتُ القِلاعِ لإقباله، وتَشْرِحُ منازلُها بتثْقُلِ نجومِ الهداية من أفعاله وأقواله؛ والماءُ بادئُ الخِدمه، والمرشِّحُ لما هو أوفى وأوفرُ من الأمور المُهمَّة .

فليباشِرْ نيابةَ هذه القلعة القديمِ أثرها، والشهيرِ خيرها وخبرها؛ بعزيمةِ سيفِ قاطعه، وحِدَّةِ بأسِ ذائعته، ومهابةِ ذِكْرِ لَشياطينِ النفاقِ عنها رادعه؛ فإنَّها من بناءِ المردَّة: فليردُّ عنها آفةَ جنسِها، وليحطِّ بَرُقاً عزائمِها حولَ نفاسِتها ونفَسِها؛ وليجِرْ أمرها على السُّدد، ولينبِها بلزومه المهدى أوثق ممَّا بناها أولئك بالصَّفاحِ والعمد، وليرضِ الآثارِ السُّلَيْمانيَّةَ بسُلْمانِ بيتِ الملازمة على طولِ الأبد، وليجتهدْ فيما هو بصدده حتى تُدمرَ بتدمرِ جوائِجِ الحسدةِ بالكمد؛ مكرِّراً بذكرى مهابته لعددها، موفِّراً لعددها، مُستوجِباً لاستِجلابِ الإنعامِ عليه باستِجلابِ مددها .



وهذه نسخةُ توقيعِ بِنِابةِ قلعةِ الصَّبِيَّةِ، وهي :

رُسمُ بالأمرِ العالى - لا زال إحسانُه يُعيدُ إلى الحُصُونِ ناصِرها وزينَها، ويُفيدُ أصحابَ الهِمَمِ صَوْتِها، ويحرُّسُها بنِ إذا نَظَرَ فيها وحمَّها كان عَوْنِها وعَيْنِها - أن يَسْتَقِرَّ المجلسُ السامى الأُميرى لما أَلِفَتْه هذه القلعةُ المنصورةُ من تَحْصِينِهِ وتَحْسِينِهِ، وعَرَفتَه من تَرْتِيبِهِ فى عمارتِها وتَرْتِيبِهِ؛ ولأنَّه الأدرى بالمصالحِ العائِدِ نفعُها، والأدربُ بمناجِحِها الحميدِ وَقَعُها؛ الذى باشِرها من قبلُ فأحسَنَ السُّلوكِ، ونَصَحَ هذه الدولةَ القااهرةَ فاشفى على سِيرتِه مُلوكُ الحُصُونِ وحُصُونُ المُلوكِ .

فليعدُّ إلى هذا المَعْقِلِ المَنِيعِ عودَ المِساءِ إلى مِشارِبه، وليسرِّ فى أرجاءِ أبراجِها مَسِيرَ القَمَرِ بين كواكِبِهِ؛ وليتَفَقَّدْ أمورَ رِجالِها المُستخدَمين، وليستَجِبْ قلوبَ

(١) السدِّ [بالتحريك] الاستقامة كالسداد .

حَفَظَتِهَا الْأَقْدَمِينَ ؛ مُتَحَاشِيًا مِنْ رَأْيِ الْفَاصِرِ النَّبِيِّ ، قَائِمًا بِالْمُهَيَّمَاتِ الَّتِي تَرَاخُمُ مِنْهُ
بِشَيْخٍ لَا تَرَاخُمُ بِصَبِيٍّ ؛ مُقِيمًا عَلَى رَفْعِ الْأَدْعِيَةِ لِهَذِهِ الدَّوْلَةِ الْقَاهِرَةِ ، مُسْتَرِيدًا بِالشُّكْرِ
لِنِعْمِ اللَّهِ الْبَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ ، مُجْتَهِدًا مُعْتَمِدًا عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي جَعَلَتْ لَهُ مَكَانًا
مَكِينًا فِي الدُّنْيَا وَطَرِيقًا سَهْلًا إِلَى الْآخِرَةِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِيعُ قَصْدَهُ ، وَيَتَقَبَّلُ جِهَادَهُ
وَجُهْدَهُ ؛ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .

قُلْتُ : هَذَا كَانَ شَأْنَهَا حِينَ كَانَ يُوَلَّى بِهَا مَقْدَمُ حَلْقَةٍ أَوْ جُنْدَى مِنَ الشَّامِ .
لَكِنْ قَدْ تَقَدَّمَ فِي الْكَلَامِ عَلَى تَرْتِيبِ الْمَمَالِكِ الشَّامِيَّةِ فِي الْمَقَالَةِ الثَّلَاثَةِ أَنَّهَا اسْتَقْرَزَتْ
فِي الدَّوْلَةِ النَّاصِرِيَّةِ « قَرَج » فِي سَنَةِ أَرْبَعِ عَشْرَةَ وَثَمَانِ مِائَةَ [وَوَلَايَةٍ ^(١)] .
وَحِينَئِذٍ فَتَكُونُ وَوَلَايَتَهَا مِنَ الْأَبْوَابِ السُّلْطَانِيَّةِ . فَإِنْ عَادَتْ إِلَى مَا كَانَتْ عَلَيْهِ
أَوَّلًا ، عَادَ الْحُكْمُ كَذَلِكَ .



وهذه نسخة توقيع نيابة قلعة حمص ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
وهي :

رسم بالأمر - لا زال يتدب لخدمة قلاعه كل سيف محتر، ومجرب عبرت عليه
العبر، ومؤد لفرائض الخدمة : إمام بقيام عند الصبا وإمام بقعود عند الكبر - أن
يرتب فلان في نيابة قلعة حمص المنصورة إجابة لسؤاله فيما سأل : من التوفر على
مواصلة الصلوات ، ورفع الدعوات ، وجمع توابي الجهاد والخلوات ؛ وتقضى باقى
العمر وأدعا ، متنسكا طائعا ؛ إذا بكى بجواره حتى النهر العاصى رقى عليه فما يقدم
منه بكا .

(١) بياض بالأصل والتصحيح من بقية الكلام وما تقدم .

فليأشُرْ نيايةَ هذه القلعة العليَّ خبرها وخبرها، الملى سماعها ومنظرها ؛ المظلة
على مراكر الرماح المشهوره ، ومهاب الرياح : إما بغيث السماء ممطرة وإما بسهام
الغيث مطوره ، المجاورة لسيف الله «خالد» فهي بأعراب المجاورة منصوره غير
مكسوره ؛ معتبرا لأحوالها ، مستديعا لما تحتاج إليه من عديها وعدد رجالها ،
محصنا باستدعاء السلاح وسلاح الأذعية الجديرين بأمثالها .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة جعبر، قبل أن تنقل إلى حلب، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - أعلى الله تعالى في سماء الملك كواكبها ، ونصر في أقطار
الأرض كُتبه وكتابه ، وصرف بأوامره العالية كل نائب وفرق بها كل نائبه -
أن يُرتب هلمّا بأنه الكافي الذي تُعقد على همته الخناصر، ويُبنى
على تقديم عزائمهم القديم والمعاصر ، وتقوى الجهات وتُنصر باسمه بعد أن كانت
بغير قوة ولا ناصر؛ وأعتادا على كفاءته النافعه، وشهامته الرائجة الرائعة ، ودرأته
التي تُضيء بها القلعة وتُسمو حتى يقول الاستيقان : ما هذه شمس^(١) هذه شمس
طالعها .

فليأشُرْ هذه القلعة القديم أثرها ، الحميد خبرها وخبرها ، المصغر تصغير التحبيب
والتحسين أسمها ومنظرها ؛ المنفرد سمها بذيل الآفاق فتمسك بسجها^(٢) ، المنشدة
لأرتقاب نهضة حال من علم ابن منصورها ؛ راقيا صرحها ، راعيا بالمصالح

(١) كذا في الأصل وصوابه شمسة .

(٢) هذا الوصف يناسب قلعة الصيبي فانها هي المصغرة .

(٣) في الأصل «متسكا» .

سَرَحَهَا ، مُجْتَهِدًا فِيمَا يَقْضِي لِقَدْرِهِ بِالرَّفْعِ ، وَلِرَأْيِ أَمَلِهِ بِمُخْصِبِ النُّجَعِ ، جَاعِلًا هَذِهِ
الْمُتْرَلَةَ أَوَّلَ دَرَجَاتِهِ : وَحَسْبُهُ بِمُتْرَلَةٍ يَكُونُ أَوَّلَ دَرَجَاتِهَا قُبَّةَ قَلْعِهِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُ
عَزْمَهُ وَحَزْمَهُ ، وَيُجَمِّدُ فِي الكُفَّاءَةِ خَبْرَهُ كَمَا أَحْمَدُ فِيهِمْ آسَمَهُ ؛ بِمَنْهَ وَكْرَمِهِ ! .



وهذه نسخة توقيع بناية مغارة زلأيا، من إنشاء ابن نباتة، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يزيد قلاع الإسلام علاء في السَّمة والأسم ، وفي القُوَّة
والحُسم ، وفي أعتناء يجمع لعقيلتها بين الحُسن والقُسم - أن يُرتب مجلس الأمير
لقيامه بواجب انخدمه ، وملازمة فرائضها المهيمه ؛ وعزمته الوافية في النفس ، الزائد
وصفها على الأوس ، العلى نسبها وحسبها : فتارة إلى العلى وتارة إلى الشمس .

فليباشر هذه القلعة التي علت بنفسها محلاً وسكناً ، وقال ساكن مغارها لثنائي
أثنين من حزمه وعزمه : ((لَا نَحْزَنُ إِنْ أَنَّى مَعَنَا)) ؛ وَأَسْتَعْلَى نَيْبَتَهَا فَأَنْسُدُ :
”أنا ابن جلا وطلاع الثنايا“ ، ونادى بقعتها : هذا عزمي وحزمي لا يقال ولا يازلأيا ،
مجتهداً في سداد أمورها ، وتخصيبتها بالمهابة القائمة مقام سورها ؛ مستجلباً ما يحتاج
إليه وما يرتب من عده ، ملازماً لزوم الخمس لأوقات مباشرتها لأبوصف بالزوال
بل بطول المدد .



وهذه نسخة توقيع بولاية القدس ، من إنشاء ابن نباتة ، وهي :

رُسم بالأمر لا زال يشمل بظله وفضله ، ويحمل بإحسانه وعدله ،
ويثقل شمس الولاية من البرج الظاهر إلى مثله - أن يُثقل فلان من كذا إلى ولاية

القدس الشريف : عالماً بكفايته التي تقدّمت ، وشهامته التي تحكّمت ، وإمامته التي سلّمت فيما سلّمت ؛ وهيمته التي وصّحت شمساً فلا تُنفس ، وقالت لقيامه في المصالح :
(آخَلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ) .

فليباشر هذه الولاية مباشرةً ممحو بضياء شمسه ظلماً وظلاماً ، وتقول لِنَارِ الحوادث في المشاهد الجليّة : (يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا) ؛ مجتهداً فيما هو بصّده ، عارفاً بوجوه المصالح حتى يكون السكُنُ أعرفَ بسمس بلّده ؛ ناهضاً بأموال الديوان جليهاً وخفيهاً ، وعبء المهمات حافلها وحفيهاً ، مستريداً بالشكر لمبادئ النعم ، قائلاً في محلّ البلدين المباركين : ماسرتُ من حرّم إلا إلى حرّم .



وهذه نسخة توقيع بولاية غزّة ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال يُنشى في رياض الإحسان غرساً ، ويُحقّق في استحقاق الكفافة حدّساً ، ويُقدّم من لا تزال الولاياتُ تتحدّ له يوماً وتذكر لقومه أمساً - أن يُرتّب لما عُرف من عزمه الذي جرد منه الاختيار والاختبار جميلاً ، وكبّالٍ تُخصّصه الذي آتخذهُ التوفيق فلم يقل : (لَيْتَنِي لَمْ أُتَّخَذْ فُلَانًا خَلِيلًا) ؛ وأعتاده الذي يُضبّح في الحماد ويُمسّى ، وينافس مَرَبَاهُ فهذا يقول : تمرى وهذا يقول : غرسي .

فليباشر هذه الولاية بعزم مقتبل الشبيبه ، وحرّم لا يُقعدُ الرأى المجيلُ بتجريدّه في المصالح وتجرّيبه ؛ ونفع في المهمات وردّيع للفسدين مُحمّد موارده ومصادره ، وذكر له حسنٌ تلتقط من ساحل الشام جواهره ؛ مستريداً لما رتّب له من درجات

الأُمور المُهمَّة ، مُتَرَهَّ الْعَرِضِ عَنْ كُلِّ لَائِمَةٍ مُرَجَّحًا تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي كُلِّ مَأْمَةٍ ؛
وَاللَّهُ تَعَالَى يُجِدُّ فِي الْخِدْمَةِ آثَارَهُ ، وَيُعِزُّ فِي وِلَايَةِ حَرْبِهِ السَّاقَةَ إِذَا هَانَتْ الْحَرْبُ
عَلَى النَّظَارَةِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية لُدَّ ، لمن اسمه «نجم الدين أيوب» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت تُجُومُ أوامِرُهُ سَعِيدَهُ ، وَظِلَالُ عَوَارِفِهِ مَدِيدَهُ ، وَمَنَازِلُ
الوَلَايَاتِ حَامِدَةٌ لِمَنْ يُقَدِّمُهُ وَطَوَالِعُ أَفْقِهَا حَمِيدَةٌ - أَنْ يُرْتَّبَ أَعْتَادًا عَلَى
كِفَايَتِهِ الَّتِي تُسَيِّدُ لَهُ مَجْدًا ، وَتُعَقِّبُ مَسْعَاهُ حَمْدًا ، وَتَكْفِيهِ مِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ وَأَهْلِهَا بَلَدًا
وَقَوْمًا لُدًّا : لِمَا أَحْتَوَى عَلَيْهِ مِنْ مُوجِبَاتِ الْأَصْطِنَاعِ وَدَوَائِعِهِ ، وَقَاتَ بِاسْتِقْلَالِهِ
أَمَدَ مُسَاجِلِهِ وَمُنَاوِيهِ ؛ وَأَشْتَمَلَ عَلَى الْخِلَالِ الَّتِي قَضَتْ بِتَقْدِيمِهِ ، وَالْأَفْعَالِ الَّتِي
أَسْتَدَعَتْ الْمُبَالَغَةَ فِي تَفْخِيمِهِ وَتَكْرِيمِهِ ؛ وَسَلَكَ مِنَ الْمَخَالِصَةِ مَا يُوجِبُ الْأَسْمِيحَاتِ
وَالْأَسْتِجَابِ ، وَيُوصِلُ حَمِيدَ مَسْعَاهُ إِلَى بُلُوغِ الْأَمَالِ وَإِدْرَاكِ الْمَحَابِّ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ : عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِيمَا يُسِرُّهُ وَيُعْلِنُهُ ، مُعْتَمِدًا فِيهَا
غَايَةً مَا يَسْتَطِيعُهُ الْمَكْلُوفُ وَنِهَايَةً مَا يُمْكِنُهُ ؛ وَلْيُسَوِّبْ بَيْنَ الْقَوِيِّ مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الْوَلَايَةِ
وَالضَّعِيفِ ، وَلَا يَجْعَلْ فِي الْحَقِّ فَرْقًا بَيْنَ الْمَشْرُوفِ وَالشَّرِيفِ ؛ وَيُمَدِّدْ عَلَى كَافَتِهِمْ
رِوَاقَ السُّكُونِ وَالْأَمْنَةِ ، وَلْيُجَرِّهِمْ فِي الْمَعْدِلَةِ عَلَى الْعَادَةِ الْجَمِيلَةِ الْحَسَنَةِ ؛ وَلْيَأْخُذْ
فِي الْأُمُورِ الدِّيَوَانِيَّةِ بِالْأَجْتِهَادِ مُرَاعِيًا فِي ذَلِكَ حَالَ الْعِمَارَةِ ، آتِيًا مِنَ الْإِحْسَانِ
إِلَى الرَّعِيَةِ مَا يَكُونُ لِلْعَدْلِ شَارَهُ ؛ وَاقِيًا فِي ذَلِكَ كُلَّهُ بِالْمَطْلُوبِ ، صَارِيًا عَلَى تَكَالِيفِ
الْمُهْمَّاتِ وَلَا يُنْكِرُ الصَّبْرَ لِأَيُّوبِ .



وهذه نسخة توقيع بولاية يتسان ، لمن لقبه « شهاب الدين » من إنشاء ابن
نباته ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت شُهْبُ أوقاته سَعِيدَه ، وَتُحِبُّ هِبَاتِه سَاحِبَةَ الْجُودِ
مَدِيدَه ، وَبِحُورِ نَعْمَانِه الْحَقِيقِيَّةِ كَبُحُورِ الْأَعَارِيضِ الْمَجَازِيَّةِ : كَامِلَةٌ مُنْسَرِحَةٌ مَدِيدَه -
أَنْ يَسْتَقِرَّ آعْتَادًا عَلَى عَزْمِهِ الْمُنِيرِ شِهَابُهُ ، الْكَثِيرِ تَوَقُّدُهُ فِي أَوْقَاتِ الْمَهْمَاتِ
وَأَلْتِهَابُهُ ؛ وَاسْتِنَادًا إِلَى كِفَائَتِهِ الَّتِي يَشْهَدُ بِهَا وَلَاؤُهُ فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِهِ ، وَشَهَامَتِهِ
الَّتِي يُجْزِمُ بِهَا فِي الْأَمْرِ رَأْيُهُ وَتَرْفَعُ فِي الْخِدْمَةِ وَوِلَايَتِهِ وَمَهَابَتُهُ ؛ وَعِلْمًا بِسِيَاسَتِهِ
الَّتِي يَقْمَعُ بِهَا أَهْلَ الْفَسَادِ ، وَتَكَادُ تَفْخَرُ بِتَسَانُ بِقَضَلَمَا كَمَا تَفْخَرُ بِ«مَفَاضِلِهَا»
عَلَى الْبِلَادِ .

فَلْيَقُمْ فِي وَظِيفَتِهِ عَلَى قَدَمِ اجْتِهَادِهِ ، وَكَرَمِ ارْتِيَادِهِ وَأَعْتِيَادِهِ ؛ شَافِيًا لِأَحْوَالِ أَهْلِ
نَاحِيَتِهِ مِنَ الْوَصْبِ ، مُتَمَرِّمًا الْفِلَالَ وَالْأَمْوَالَ بِعَزْمٍ قَدْ أَرْتَفَعَ وَأَنْتَصَبَ ؛ ظَاهِرًا
فِي الْخِدْمَةِ بِجَهْدِهِ ، مُلَيِّنًا لِحَدِيدِ مَنْ عَصَى عَلَيْهِ فِي عَمَلِهِ كَمَا أَوْرَثَهُ دَاوُدُ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يُوفِّقُهُ .



وهذه نسخة توقيع بولاية صيدا ، لمن لقبه « شجاع الدين » بـ « المجلس العالى »
وهي :

رُسم بالأمر العالى - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْأَقْطَارِ ، وَنَجَّمَ بَوْلَانَتَهُ أَيَّامَ الْأَوْطَانِ وَالْأَوْطَارِ ،
وَأَجْرَى بِسُكْرِهِ سُفْنَ الرِّكَائِبِ وَرِكَائِبِ السُّفْنِ إِذَا سَفَّ وَإِذَا طَارَ - أَنْ يَسْتَقِرَّ
فَلَانٌ : رُكُونًا إِلَى عَزْمِهِ وَحَزْمِهِ ، وَسُكُونًا إِلَى أَهْتَامِهِ الَّذِي حَكَمَ فِيهِ الْإِخْتِبَارَ

بِعَلْمِهِ ؛ وَعَلَيْهَا أَنْ لَلْوَلَايَاتِ بِهِ الْاِسْتِنْفَاعَ ، وَلِحُصُونِهَا الْاِمْتِنَاعَ ، وَالْاِرْتِفَاعَ ؛ وَأَنَّهُ إِذَا
وَلِيَ رَعَى وَإِذَا أَقْوَى كَانَ أَعْصَمَ رَاعَ ، وَإِذَا فَكَّرَ فِي الرَّأْيِ وَوَقَبَ فِي الْمُهْمِ كَانَ
نِعْمَ الشُّجَاعَ .

فَلْيَبْشُرْ وِلَايَةَ عَمَلِهِ نَاهِضًا بِأَعْبَانِهِ ، رَافِعًا بِالْعَدْلِ لِأَرْجَائِهِ وَرَجَائِهِ ، حَرِيصًا عَلَى
طَيْبِ الْأَخْبَارِ الْمُنْتَشِرَةِ مِنْ كَأْفُورِ صُبْحِهِ وَمِسْكِ مَسَائِهِ . وَلْيَتَفَقَّدْ أَحْوَالَ بَرِّهِ وَبُخْرَهُ ،
وَلْيَتَقَبَّطْ لِنَدَاكَ الْبَرِّ وَجَهْرَهُ ، وَذَلِكَ الْبَحْرُ وَسِرُّهُ ؛ حَتَّى يُتَحَدَّثَ الْبَحْرُ عَنْ عَزْمِهِ
وَلَا حَرَجَ ، وَيَسِيرَ ذِكْرُهُ كَنَسِيمِ الرَّوِضِ لِأَضَائِعِ الصَّنْعِ وَلَكِنْ ضَائِعُ الْأَرْجِ ؛ وَيَعْتَمِدُ
مِصَالِحَ النَّوَاحِي وَسُكَّانِهَا ، وَالْأَمْوَالَ وَدِيُونِهَا ، وَالْجِهَاتِ وَضَمَانِهَا ، وَنُجُومِ التَّقْسِيطَاتِ
فِي الْبَلَدَةِ وَتَحْرِيرِ مِيزَانِهَا ، وَيَجْمَعُ بَيْنَ اللَّيْنِ وَالشَّدَةِ بِسِيَاسَةٍ لَا يَخْرُجُ بِهَا الرَّأْيُ عَنْ
إِبَانِهَا ، وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى هِيَ الْعِمْدَةُ فَعَلَيْهَا يَتَعَمَدُ ، وَعَلَى رُكْنِهَا يَسْتَنْدُ ؛ حَتَّى تَجْعَلَ
لَهُ عَلَى الْمِصَالِحِ أَيْدًا ، وَحَتَّى تَتَّئِنِي نَحْوَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ عَمْرًا وَزَيْدًا ، وَحَتَّى تَجْعَلَ لَهُ بَأْسًا
فِي الْأَعْدَاءِ يَكِيدُ كَيْدًا ، وَحُسْنَ ذِكْرٍ فِي الْبَلَدِ يَصِيدُ «صَيْدًا» .



وهذه نسخة توقيع بولاية قاقون، من إنشاء ابن ثباته، وهي :
رُسم بالأمر - لا زال يندب لمصالح الولايات سُيُوفًا ، ويقدم ظنًا في الكفأة
يعلم أنه سيُوفى، ويُدنى من ثمرات الإنعام والإرغام لأيدي المُجتَبِينَ قُطُوفًا - أن
يستقر أعتادًا على همته السائده ، ودرأيته السائده ، وأمانته الشاهده ،
وصفات عزمه التي هي في الولايات «معن» وهي «زائده» ؛ مُجتهدًا على أن يُتمر عمل
ولايته فتركو أعماله ، وترد عليه المهمات فتلقاها بالكفاءة أفعاله المعروفة وأقواله ،
وتشهد منه الأحوال معنى بل معاني يثبت بها في الأذهان قبوله وإقباله .

(١) أقوى . نزل بالفقر أعصم - أمنع وأحفظ لرعيه من الاغتيال .



وهذه نسخة توقيع بولاية صرّخند، من إنشائه، من لقبه «جمال الدين» وهي :

رُسم بالأمر أعلاه الله تعالى، وبلغ بأيّامه الرّتب وأهلها آمالا، وزان الولايات بما يُنتج من مُقدّمة فعله وقوله جمالا - أن يُرتب مجلس الأمير لأنه الكافي الذي عُرفت في المهمّات همتّه، وألّفت عزّمتّه، وأدبرت أوصافه عُقارا صرّخديّة ولا عجب أن سرّت بالنّواحي خدمته؛ والنّاهض الذي وفيّ الولاية حقّها، وأدى الأمانة وسلّك طرّقها، وأطلع في سماء الولايات شهب رأيه فخمى وزان أفضّها.

فلباشر هذه الولاية بعزم سنيّ، وحزم سريّ، ومهابة تأخذ للضعيف من القويّ، وديانة تمشي من الكفاءة والأمانة على صراط سويّ، مُتمرا للمال والغلال، راقبا لحليل الذّكر بحسن الخلال، مُحسّنا لذكّر ولايته حتىّ يجمع لها بالوصف والنّعت بين الحسن والجمال، وإياه والجبنّ عن المهمّات فما كلّ جبنّ صرّخديّ محمود العاقبة والمآل .



وهذه نسخة توقيع بولاية سلمية، من إنشائه، كُتب به ل«شهاب الدين المجازي» وهي :

رُسم لا زال يُطلّع شهب الولاية مُشرّقه، ويُنشئ سُحب الإحسان مُغدّقه، ولا برحت أقلام علائمه كالغصون بأحسن ثمرات الدّوح مُثمرة مُورّقه - أن يُرتب علما أنه الناهض الذي إذا وليّ كفى، وإذا طبّ الولاية المعتلة بتقديم المعرفة شغى؛ ورُكونا إلى عزّمه الذي أبى لشهابه أن يتجدد، وكفاءته التي

قَضَتْ لِأَنَّمَهُ بِالْعَوْدِ : فَإِنَّ الْعَوْدَ أَحْمَدُ ، وَأَعْتَادًا عَلَى سِيرَتِهِ الْحَسَنَةِ السَّمْعَةَ ، الْحَقِيقَةَ بِالرَّفْعَةِ ، وَعَلَى سَطَوَاتِهِ بِالْمُفْسِدِينَ الَّتِي حَسَنْتُ أَنْ يُقَالَ فِيهِ : « لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَّافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَهُ »^(١) .

فَلْيَبِشِرْ هَذِهِ الْوَلَايَةَ بِعَزْمِهِ الْمُتَوَالِي ، وَأَجْتِهَادِ رَأْيِهِ الَّذِي يُطْرِبُ بَارِقَهُ الْمُتَعَالِي ؛ جَارِيًا عَلَى عَادَةِ سَدِّهِ ، مُجْتَهِدًا فِيهَا هُوَ بِصَدِّهِ ؛ مُسَدِّدًا - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ ، مَانِعًا لِنَاحِيَّتِهِ الْأَعْرَابِيَّةِ مِنْ تَطْرُقِ الْخَلَلِ وَتَطْرُفِ الْجَلَلِ ؛ مُضَاجِحًا بِالتَّدْبِيرِ عَمَلِ مَا يَشْهَدُ بِعَزَائِمِهِ الْوَفِيِّهِ ، وَهَمِّهِ الْجَلِيلَةِ الْجَلِيلِيَّةِ ، وَإِذَا سَأَلَ عَنْ شِدَّةِ الْوَلَاةِ وَاحِدًا قِيلَ : سَلْ مِيَّةً عَنْ سَامِيَّةٍ .



وهذه نسخة توقيع بشدُّ مُحَصَّلِ قُمامة ، من إنشاء ابن نُباتة ، وهي :

رُسم بالأمر - بسطَ اللهُ تعالى على الأُممِ مَهَابَتَهُ وَظِلَّهُ ، وَبَأْسَهُ وَفَضْلَهُ ، وَوَجْهَهُ إِلَيْهِ أَمَالَ الْخَلْقُ مِنْ كُلِّ قِبَلِهِ ، وَأَعْلَى آرَاءَهُ الَّتِي يُقَالُ لَعَدِلُهَا : « لَقَدْ جُدَّتْ حَتَّى جُرَّتْ فِي كُلِّ مَلَّةٍ » - أَنْ يُرْتَبَ مضافاً لما بيده ، وَأَسْتَنَادًا إِلَى صَحِيحِ خَبَرِهِ فِي الْكِفَاءَةِ وَطُلُوعِ سَنَدِهِ ، وَأَرْتِيادًا لِهَمِّهِ الَّتِي إِنْ رَوَاهَا مُسْلِمٌ عَنْ طَوْعِهِ رَوَاهَا نَصْرَانِيٌّ عَنْ تَجَلُّدِهِ ؛ وَسُكُونًا إِلَى حَرَكَتِهِ الَّتِي تُحْصَلُ مَالًا ، وَتَصِلُ إِلَى مَالٍ ؛ وَتَسْتَخْرِجُ الْوَقْرَ مِنْ مَكْنَنِهِ ، وَتَأْخُذُ الْحَقَّ [مِنْ] قَدَامِ يَدَيْ الْمَائِلِ وَمِنْ خَائِفِ أُذُنِهِ ؛ وَعِلْمًا أَنَّ مَالَهُ مُحْصَلُ قُمامةٍ مِثْلُ عَزْمِهِ الْمُخْتَارِ ، وَرِفْقِهِ الَّذِي يَسْتَنْزِلُ دَرَّ الْقَصْدِ الْمُدْرَارِ ، وَأَجْتِهَادِهِ الَّذِي زَرَعَهُ الْمُسْتَنْزِعُونَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِيْظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ .

فَلْيَبِشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ بِشِدَّةٍ وَلِيْنٍ يَجْعَلُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهَا فِي مَوْضِعِهِ وَمَقَامِهِ ، وَحَقِّ مُنِيرٍ يَجْعَلُ سَبَبَ نُورٍ كُلِّ لِيَالِيهِ وَأَيَامِهِ ؛ وَأَمَانَةٍ مُدِيلَةٍ ، وَكِفَاءَةٍ مُظْلَمَةٍ ؛ وَصِيَابَةِ

(١) صدر بيت للأعطل وقامه «إلى الله منها المشتكى والمقول» وبالخط اسم رجل والبشر اسم جبل .

تُوجِبُ مَزِيدَ الْخَيْرِ إِذَا لَهَ ، وَمَهَابَةَ إِذَا أُدْخِلَتْ مُسْتَخْرَجَ مُسَامَةَ أَصْلَحَتَهُ وَجَعَلَتْ
 أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذَلَّهُ ، لَا يَثْنِي هِمَمَهُ النَّفِيسَةَ ، وَلَا يَلْتَفِتُ - كَمَا يُقَالُ - لِتَبْخِيرِ الْكَنْيَسَةِ ؛
 بَلْ يَسْتَعْمَلُ فِرَاسَةَ تَرْوَعُ مِنْ حَمَلٍ عَنْ آدَاءِ الْحَقِّ بِيَهَانَا ، وَمُنَاقَشَةَ تَكْشِفُ عَنْ
 جِبَالِ التَّجَلُّدِ أَكْثَانَا ، وَرَأْفَةً مَعَ ذَلِكَ بِالظَّاهِرِيِّ الْعَجِزِ : ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ
 وَرُهْبَانَا ، وَمَتَابَعَةً لِلضَّرَائِبِ الْقَدِيمَةِ لَا يُصْرَفُ عَنْهَا ، وَاسْتِخْلَاصَ مَا عَلَى الرَّأْسِ حَتَّى
 يُقَالُ : «لَيْسَ تَحْتَ الزُّرْقَاءِ أَخْضَعُ مِنْهَا» ؛ عَامِلًا بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فَإِنَّ أَهْلَ مَعَامِلَتِهِ
 أَهْلُ ذِمَّتِهِ ، مُجْتَهِدًا فِي اسْتِحْقَاقِ مَا يَتَرَشَّعُ لَهُ مِنْ وِلَايَاتِ الْأُمُورِ الْمُهَمَّةِ .

الصنف الثاني

(مما يكتب لأرباب الوظائف بدمشق - تواقيع أرباب

الوظائف الدينية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن هو بحاضرة دمشق، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتتح به «الحمد لله»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْحِسْبَةِ بِالشَّامِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «نور الدين علي بن أبي الفرج»

بـ«الجناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذي جعل مقام الأولياء علياً، ورفق بهم إلى طور العناية فأشرق نورهم سنيماً، ووقفهم للأمر بالمعروف فلم يزل غيث السدى بهم ولياً، وزند سبيل الرشاد والحكمة ورياً .

نحمده حمداً كثيراً طيباً زكياً، ونشكره شكراً لا يزال غصنه بالزيادة جنيماً؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة نكرها بكرة وعشياً، ونسلك بها صراطاً سويماً؛ ونشهد أن سيدنا محمداً عبده الذي اختاره صفيماً، وقربه نجياً، ورسوله الذي قام به الحق وأصبح به الباطل خفياً؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة ينال بها المؤمن يوم العطش رياً، ويجوز بها في جنة المأوى حلاً وحلياً، وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد، فإن أولى ما يلزم الفكر [فيه] ويتعين، ويتم الشجح بحسن النظر فيه ويتبين - أمر الحسبة الشريفة : فإنها المنصب الذي به صلاح أحوال الرعية، وقوام إقامة الحدود الشرعية؛ تسلك العامة لمستوليه سبل صنائعه ذللاً، وتكسو باقتانها أنواع بضائرها حلاً؛ ويتفجع بمعرفته الأمر والمأمور، وتخطأ المعاش عن غشيان الغش من حرمة بسور؛ وتطمئن القلوب بإصلاح المطاعم وتتهيأ، وتقول الأئمة : شكراً لمن سن هذه السنة الشريفة وسنى، وردع ذوى الغش عن غوايتهم : فمن غشنا ليس منا؛ لا سيما بدمشق فإنها شامة البلاد المحروسة، وموطن البركة الماثورة والبهجة المانوسة؛ بلد شاع ذكرها في المغارب والمشارك، وإن محاسنها لن تقاس بغيرها : والجامع الفارق .

وكان فلان ممن تحلى من عقود المحامد بجواهرها، وأرتدى من حلال المآثر بمفانحها؛ وعرف بالتهضة والعفاف، وأنصف بجميل المعرفة والإنصاف؛ وحسنت سيرته في أحكامه، وجمدت قواعد تعدده ونضارة نظامه .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لا زال يُولى جَمِيلاً ، ويُوَلَّى فى الوظائف السَّيِّئَةِ
جَلِيلاً - أن يستقرَّ المشارُ إليه فى نظرِ الحِسبة الشريفةِ بالشَّام المحروسِ ، على عادة من
تقدَّمه فى ذلك ، والقاعدة المستمرة ، بالمعلوم المستمرِّ للوظيفة المذكورة ، إلى آخر
وقت : وضعاً للشئ فى محلِّه ، وتفويضاً لجميل النظرِ إلى أهله .

فليباشِر ذلك آمراً بالمعروف وناهياً عن المنكر ، سالكاً من حُسْن الطريقة ما يُحمد
به ويُشكر ، ويُسره حين تُسلى سُورُ محاسِنه وتُدكر ؛ متفقدًا أحوالَ العامة ومعايشها
فى كلِّ آن ، ملتفتاً فى أمر ما يكال أو يوزن إلى قوله تعالى : ﴿ وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ
وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴾ . مُشمرّاً عن ساعده فى الإجراء على العوائد المُستَحَبَّة ، مُحترزاً
فيا يأمر به : فإنَّ الله تعالى لا ينجي عليه مثقالَ حَبَّة ، ولينظرُ فى الدقيق والجليل ،
والكثير والقليل ؛ وليستكثِر الأخبار ، وليستعلم الأسعار ، ولا يغفل عن تعاهد
السوقِ آناء الليل وأطراف النهار ؛ وليلاحظ أمر السكَّة السلطانية بإصلاح العيار ،
وضبط أحوال النقود بمقدار ؛ وليقيم من خدَمته رقيقاً على من آتهم فى صنْعته
أو استرَّاب . وليبالغ فى النظر فى أمر المآكل والمشارب فإنَّ أكثرَ الداء من الطعام
والشَّراب ؛ وليزجر بتأديبه من أقرئ ، أو تلبَّى الرُّبكان أو عدا فى الأقوات مُحترِكا ؛
وليعلم أنه قدَّ أمر هذه الوظيفة المباركة : فليختر من يستنيب ، وليبصر كيف
يسلك برعايته من حكم عليه فما يلقظ من قولٍ إلا لَدَيْهِ رَقِيب ؛ والوصايا كثيرةٌ
وأصلها التقوى التى هى أجل ما يقننى المؤمنُ ويكتسب ، وأجددُ بالزيادة :
﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ . والله تعالى يُديم
علاه ، ويتولاه فيما تولاه .



وهذه نسخة توقيع بنظر الجامع الأموي، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة،
كتب به للقاضي «عماد الدين بن الشيرازي» في الدولة الصالحية «صالح بن الناصر
محمد» بـ «باب الحجاب الكريم» وهي :

الحمد لله الذي أذن ليبيوته أن ترفع فرج عمادها، وأعاد أحسنها إلى نظر من صرف
أمورها بما حسن وصرفها عما دهي، وأحيا الآثار الأموية حتى غدت كالهشمية
تدعو أجوادها وتجدد أجيالها، وأنجز وعد أهلها بمن أشارت إلى مباشرته أعلام أعلام
المنابر بالأصابع ونصت المآذن أجيادها .

نحمده على ما هيا من الفوائد، وهنأ من العوائد؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة يقوم بها الخطاب شاهداً ويقوم بها الخطباء في المشاهد، ونشهد
أن محمداً عبده ورسوله الذي أوتى الجوامع من الكلم وجعلت له الأرض من
المساجد؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين عمروا بيوت العبادات بهديته،
وظهروا في مجال الجمع وسجال الجموع تحت رايته؛ صلاة متصلة السير كالسبل،
مسبلة الغمام كالذليل، واضحة كدع الخلق لدلوك الشمس فائمة كفتيت المسك
إلى غسق الليل .

وبعد، فإن أولى الأمور الدينية بتقديم الأهتمام، وتقرير الاعتناء إلى الاعتزاز؛
وتسمير ساعد الرأي وزهرائه على الأتكام - أمر تكون إقامة الصلوات أحد
أركانها، وتدبير المصالح مشيراً إلى علو شأنه، وأرزاق العلماء والصلحاء تستدر من
هطاله وهنائه .

وكان الجامع الأمويّ بدمشق المحروسة لهذه الأركانِ بمنزلة الأُسِّ الرَّاسِخِ تَمَكِينُهُ ،
والفرع الشامخ في وجه السحابِ عِرْبِينُهُ ؛ وَبُذِيَّةَ زَمَانِ بِنَى أَمِيسَةَ الَّذِينَ عَفَا شَرَفُ
مَفَاخِرِهِمْ وَمَا عَفَا شَرَفُهُ وَتَغَرُّهُ ، وَوَكَّرَ الْإِسْلَامَ الَّذِي مَضَى لُبْدُ أَمْتَالِهِ وَمَا بَقِيَ إِلَّا نَسْرُ
السَّمَاءِ وَنَسْرُهُ ؛ ذُو الْمَرَأَى الشَّارِحِ وَالْفَضْلَ الْمَشْرُوحِ ، وَالْحُسْنَ الَّذِي إِنْ تَعَالَى
فِي وَصْفِ الْجَوَامِعِ قَوْمٌ قِيلَ : بَابُ الزِّيَادَةِ مَفْتُوحٌ ؛ تَفَخَّرَ بِهِ دِمَشْقُ وَحَقُّ
لَهَا عَلَى كُلِّ مِضِرٍّ أَنْ تَفَخَّرَ ، وَتَبَعَتْ نَظْرَاتُ حُسْنِهِ الْفَخْرَ مِنْ حَمَلَةٍ فُصُوصِ
التَّرْخِيمِ إِلَى الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ ؛ يَحْمَدُ الْمُجَاوِرُ بِهِ مَغْنَاهُ وَغِنَاهُ ، وَيَسَعُّ أَرْبَابَ الْعِلْمِ
وَالْمَقَاصِدِ نَادِيَهُ وَنَدَاهُ ، وَيُطَالِعُ الْمِسْكَ سَطَوْرَ مِيَاهِهِ الْمُتَجَعَّدَةِ فَأَوَّلُ مَا يَقْرَأُ مِنْ
تَثْبِيهِ عَزْمِهِ بَابُ الْمِيَاهِ ؛ وَقَدْ عَاهَدَ أَنْ يَتَوَلَّى نَظْرَهُ كُلَّ سِنَى الْمَفَاخِرِ ، سَرَى
الْمَاءِ ؛ كَرِيمِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ ، مَا ضَى الْعَزْمُ كَالنَّضْلِ ، حَازِرٍ مِنْ أَقْلَامِهِ أَمَدَ الْعِلْيَاءِ
وَقَصَبِ الْخَصْلِ .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال وجه الفضل بدولته الشريفة واضحاً ،
وَمِيْزَانُ الْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ رَاجِحاً ، وَلَا زَالَ فِي كَيْفٍ مَنْ مَنَ بِهِ عَلَى الدِّينِ وَالدُّنْيَا
وَأَتَاهُمَا صَالِحاً - أَنْ يُفَوِّضَ إِلَى فُلَانٍ نَظْرَ الْجَامِعِ الْأُمُوِيِّ الْمَذْكُورِ : لِمَا عُرِفَ
مِنْ أَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي مَاسَدَ سُدَى ، وَالكَامِلُ الَّذِي إِذَا آنَسَ [سَارِ] نَارَ فِكْرَتِهِ وَجَدَ عَلَى
النَّارِ هُدًى ؛ وَأَنَّهُ بَاشَرَ نَظْرَ هَذَا الْجَامِعِ قَدِيمًا بِجَمَلِهِ ، وَرَصَدَ سَنَاهُ فَكَلَّمَهُ ، وَأَسْتَشْهَدَ
فِي مَحْضَرِ دِيْوَانِهِ عَلَى التَّرَاهَةِ أَقْلَامَهُ الْمُعَدَّلَةَ ، وَتَدْبِيرَهُ الْمُعَدَّلَةَ ؛ وَكَثُرَ أَوْفَاقُهُ وَكَانَتْ
قَدْ أَضْمَحَتْ ، وَشَبَّ عِمَارَتُهُ وَكَانَتْ قَدْ اسْتَقَلَّتْ ، وَمَلَأَ حَوَاصِلَهُ وَكَانَتْ أَقْلَامُ
الْمُكْتَسِبَةِ تُنْشِدُ : «أَسَائِلُهَا أَيْ الْمَوَاطِنِ حَلَّتْ» ؛ وَإِنَّا أَلْفَ هَذَا الْجَامِعِ الْمَعْمُورُ مِنْ
عَوَاطِفِهِ ، وَعَرَفَ مِنْ عَوَارِفِهِ ، وَشَهِدَ مِنْ جُلُوسِهِ لِصَالِحِ وَقْفِهِ أَحْسَنَ اللَّهُ . كَمَا أَنَّهُ
جَالِسُهُ وَوَاقِفُهُ ؛ فَأَثْبَتَ فِي صَدْرِ الْمُخَافِلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ رَزَقَهُ مِنَ الْفَضْلِ جَسِيماً ،

وكتب له من شرف الأكتساب والانتساب حديثاً وقديماً ؛ وألقى إلى يده قلم كفاية وأمانة كان كرمها للأملين حصيلاً وكان قلمها للخائسين خصياً ؛ ثم وفر به المصالح قوياً ، وتم جمع بهيمته المحاولة مالا بجهز به من جند الدعاء صفاً ؛ ثم سر بمنافيه سراة سلف مامنهم إلا جواداً لا يرضى في سبق المكارم بخاتمته ، وكتب يكبر عن قول الواصف : إن ياقوتا في فص خاتمته ؛ ورئيس هو أجل ما أهدت شيراز إلى دمشق من عالي طراز الفضل وعاليمه .

فليأشر ما فوض إليه بعزم لا تغفل مضاربه ، ورأي لا تأفل كواكب ، ومعدين وفاء بالمنصب لا تبرح لحناة الخيانة مهالكه ولحناة الحنان مطالبه ؛ ناظراً في حسن وظيفتها بأجتهاد لا يمل من النظر ، ثمراً لأوقافها بفضن قلبه الذي لا ينكر لأصله الصائب أطيب الثمر ، ملاحظاً لمباني هذا الجامع بسعادته : وإن السعادة لتلحظ الحجر ، صارفاً لذوي الاستحقاق مستحقهم كما عهدوا من إمام براعته المنتظر ؛ مجتهداً على أن يرضى الوظيفة والقوم ، معيناً عدوى أنامله الخمس على عدها من فريضة الليلة واليوم ؛ عالماً أن الله تعالى قد أحيا هذا الديوان فإنه كما علم أصل في بابه ، أمراً بما يقترح لنظام هذا الديوان وكتابته ، متقدماً حال من إذا عمر دواة في وقف كانت سبباً لعمرائه أو سبباً - والعياذ بالله تعالى - لخراجه ، مطالباً من ظن أن حسابه يهمل في دهر هذه المباشرة « فكان حساب الدهر غير حسابه » ؛ متخيراً من الكفاية كل ماثور الفضيله ، ومن الأمانة كل مأمون الرذيلة ، ومن القوام كل من لا يقعد عن الواجب ، ومن الواقدين كل من لا يعاب بطول الفتيلة ، جامعاً تقوى الله تعالى في كل ما يأتي ويذر سائقه إلى الفوز ودليله ؛ والله تعالى يمد بالسداد ، ويصل مفاخره بالسند ويحرس شرف بيته من السناد ، ويعمل كل منصب كريم باسمه وقلبه كما قال الأول : « رفيع العاد طويل التجاد » .



وهذه نسخة توقيع بنظر مدرسة الشيخ أبي عمر، من إنشاء ابن نباتة، كُتِبَ
به للقاضي «تقى الدين» بالحناب العالى، وهى :

الحمد لله الذى عمّر عهد التُّقى بتقيّه ، وأقرّ نظره بمشاهدة أبيض العريض تقيّه ،
وأخصب منازل الأولياء بمن ينوب تميمه وتديره عن الغيث مناب وليّه ، ومن إذا
شهد مقام الزهاد بمعروفه شهد سداد العزم بسريره .

نحمده على جليّ اللطيف وخفيّه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة وفى الحقّ وفيّه ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده أكرم بعبدته ونبيّه ، ورسوله
وصفيّه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة يمزج أرجها كأفور صباح النهار بمسك
عشيه .

وبعد ، فخير النظر ما كان به الثواب مأموّلا ، والعمل مقبولا ، والآخرة للناهيض
فيه خيرا من الأولى ، وتخيّر الأكفء لمناصبه الدينية سببا لخير الدارين . ووصولا .

ولمّا كانت المدرسة الصالحية بجبل الصالحية المعروفة بالشيخ العارف أبي عمر :
رضى الله عنه وأرضاه ، وسقى سبيل الغيث آثاره الطاهرة وثرأه ، مما يتعين فى مصالحتها
حسن النظر ، ويتبين فى القيام بأمرها فضل الآراء والفكر ؛ إذ هى زاوية الخير
النافعه ، ومدرسة الذكر الجامعه ، وعشّ القرآن المترنمة أطياره بحفان القلوب
الناشعه ؛ وصفة الفقراء الذين لا يسألون الناس إلحافا ، والأصفياء من الطمع الذين
لا يتقاضون الدهر إنصافا وإن صافى ؛ ومرتكض سوابق الأعمال والأقوال ، ومقر

القرء والقراءة على ممر الليالي الطوال، ومعدن التلاوة المأثور غناؤها في ذلك الجبل
وما كل المعادن ولا كل الجبال؛ والذينة لله وتحتاج من ينظر بنور الله في وقفها،
ويحفظ مسالك جمعها وصرفها، ويمى حال درهمها بتدبيره الوافي : فرُبما أبقته
الأحوال منه على نصفها .

وكان فلان ممن لحظ أمورها على بعيد فشغف الملحوظ باللاحظ، وحفظها على
نأي فكأتما روت بالإجازة عن الحافظ؛ وأدار عليها من رشفات قلمه نغمة الساقى،
وأنهلها شربة مضي بها ما مضى من تعدد المال: وفي الجرائد باق يطلب الباقي؛
وسأل أهلها بعد ذلك ملازمته للنظر فلزموا، ورفعوا قصصهم في طلبه لهذه الوظيفة
بجزموا؛ وكيف لا؟ وهو نعم الناظر والإنسان، وفي مصالح القول والعمل ذو اليدين
واللسان، وذو العزائم التي تقيدت في حبه الرتب: «ومن وجد الإحسان»؛ والمتقدم
فعله ورأيه في العاجل والآجل، والمأمون الذي يعزى إلى عقيلة نسبة الرشيد
ولا عجب أن يعزى المأمون إلى مراحيل^(١)، كم جرت ألسنة الأوقاف بأوصافه، وكم
روى الجامع الصحيح خبراً عن مسلم عفافه، وكم جدد لبنائه زخرفاً بعد ما كاد نادب
الرسوم يقف على أحقافه؛ كم وقر على الأيتام ميراث وقرها، وكم قال اختيار الملوك
الباقية: «لاشكرتك ماحييت» فقال ماضي الملوك ذوى الأوقاف: «ولتشكرتك
أعظمى في قبرها» - فاقضى الرأى أن يجاب في طلبه المهم سؤال القوم، وأن يتصل
أمس الإقبال باليوم؛ وأن تبلغ هذه الوظيفة أملها فيه بعد مامضت عليها من الدهر
ملاوه، وهذه المدرسة التي لولا تداركها لكانت كما قال الخراعى: «مدارس آيات
خلت من تلاوه» .

(١) يشير إلى المأمون بن هرون الرشيد العباسي وأمه مراحيل .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف - لزال يُراعى مصالح المؤمنين - أن يفوض إليه النظرُ على هذه المدرسة المعمورة، وأوقافها المبرورة؛ إجابة لسؤال من فيها من جماعة الفقراء ورغبتهم فيه، وأرتقايمهم لعزيمه الذى إذا نظر حالها الأول تلا فيه تلا فيه؛ على أن يتيسع في أمرها شرط الواقف برأي غير قاعد، وإن كان لا يزيد فيها على أربعمائة نقرٍ إلا أن يزيد ربع الوقف وهو - إن شاء الله - ببركته وهمته زائد.

فليباشر ما فوض إليه مباشرة من إذا بدأ أعاد، وإذا دُعِيَ لمثل هذا الحال الضعيف طبَّ وعاد؛ ممثرا لمالها - على عادة غُصين قايمة الأخصر - أتمارا، مُستخلصا للبواقي من أربابها التي تنهب العين وتدعى لفتراتها أنكسارا؛ قائلا في حال هذه المدرسة بالعطف، مُساويا في المُواساة بين فقرائها عند الميزان والصرف، نازلا بنور بشره وودّه بينهم منازل القلب والطرف؛ مجهزا بجيش عسرتهم فإنهم جمع للتلاوة والصلوات، مُتعلما لخبرهم فإنهم أجناد صُوف الأستخار وسلاحهم الدعوات؛ وتقوى الله تعالى مُشتق منها اسمهم فلتكن شقيقة نفسه في الخلوات؛ والله تعالى يحفظ عليه حظا نفيسا، وقدرا للنجوم جليسا، ويُنحى به ميت الوظائف حتى يقال: أسليان أنت أم عيسى؟ .



وهذه نسخة توقيع بخطابة الجامع الأموى، من إنشاء ابن تباتة، كُتِب به باستمرار القاضى تاج الدين «الجناب العالى» وهى:

الحمد لله الذى رفع للناس راسا باستقرار تاجها، وجمع لصدور الحارِب شملا بعوائد آبتهاجها، وزين مواقع النعم بالتكرار كما تزان لآلى النظام بازديواجها، وبين مطالع الفرج بعد النعم: وما الدهر إلا ليل عمة ثم صبح أنفراجها .

نمَّحْدُهُ عَلَى مَعَادِ الْأَمَالِ وَمَعَاجِجِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ
 شَهَادَةً تَمَيَّنَى الْبَصَائِرُ إِلَى الْحَقِّ بِسِرَاجِهَا ، وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْقَائِمُ عَلَى
 الْمَنَابِرِ لِمَدَاوَاةِ الْفُؤُومِ وَعِلَاجِهَا ، وَمُدَارَاةِ الْخُصُومِ وَحِجَابِهَا ، الْقَائِلُ لَهُ تَأْدِيبُ رَبِّهِ :
 ﴿ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ آيَةُ بَسْرَى الْفَطْنِ عَلَى مِنْهَاجِهَا ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ
 وَصَحْبِهِ بِجُورِ النَّعْمِ وَالنَّقَمِ عَدْبِهَا وَأَجَاجِهَا ، وَبُدُورِ مَسَاجِدِ التَّقَى وَمَشَاهِدِ الْوَعَى عِنْدَ
 عَجَاجِ لَيْلِهَا وَلَيْلِ عَجَاجِهَا ، صَلَاةِ كَصَلَاتِهِمْ أَمْنَةً مِنْ خِدَاجِهَا ، مَا مَدَّتْ تَفَحَّاتُ
 الرُّوضِ إِلَى مَحَاطَةِ سَيْرِهِمْ يَدَ أَحْتِجَاجِهَا ، وَمَا زَجَّتْ مَعَالِيهِمُ النُّجُومَ حُسْنَ بَكَاسِ
 الثَّرِيَا شَرَفُ أَمْتِرَاجِهَا .

وَبَعْدُ ، فَإِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِاسْتِقْرَارِ مَنَاصِبِ الدِّينِ الْعَرِيقَةَ ، وَاسْتِمْرَارِ عُلُوِّ
 الدَّرَجَاتِ : إِمَّا مِنْ الْمَرَاتِبِ مَجَازًا وَإِمَّا مِنْ الْمَنَابِرِ حَقِيقَةً ، وَاسْتِمْرَارِ الْوُضَائِفِ بَعِيَادَةَ
 فَضْلِهِ وَلَا سِيَّمَا أَعْوَادُ الْخَطَابَةِ ، وَاسْتَبْصَارِهَا بِلَفْظِهِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا سُمِّتَ إِذَا سُمِّتَ الرَّايَةُ
 الْعِبَاسِيَّةُ مِنْ نَطْقِهِ لِعَرَابِهِ - مَنْ دَرَجَ مِنْ عُسِّ فُرُوعِهَا خَافِقًا عَلَيْهِ جَنَاحًا عَلَمِيَّةً ،
 وَصَعِدَ إِلَى عَرَشِهَا مُقْبِلَةً بِنَظَرَاتِ الْخُفُونِ الْمَتَسَامِيَةِ آثَارَ قَدَمِيَّةٍ ، وَأَعْرَقَ نَسْبَهُ
 فِي مَوْطِنِ مَكَانِهَا الْمَكِينِ ، وَبَلَغَ مَقَامَهُ مَقَامَ سَلْفِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الطُّلُوعِ بِأَقْفِهَا الْمُبِينِ ،
 وَقَالَ اسْتِحْقَاقُ مِيرَاثِهِ : ” وَمَاذَا تَدْرِي الْخُطْبَاءُ مِنِّي “ * ” وَقَدْ جَاوَزْتُ “ بِمَقَامِ السَّلْفِ
 ” حَدَّ الْأَرْبَعِينَ “ ، وَمَنْ إِذَا سُمِّعَتْ خَطَابَتُهُ قَالَ الْخَفْلُ : لَا فُضُّ فُوهَ ، وَلَا عُدِمَ الْبَيْتُ
 وَلَا بَنُوهُ ، وَمَنْ إِذَا طَلَعَ دَرَجَ الْمِنْبَرِ قَالَ الْمَسْتَجَلُونَ لَسَنَاهُ : أَهْلُ الْبَدْرِ؟ قِيلَ لَهُمْ :
 أَخُوهُ ، وَمَنْ إِذَا قَامَ فَرِيدًا عَدَّ بِالْفَيْ مِنْ فَرَائِدِ الرِّجَالِ تُنْظَمُ ، وَإِذَا أُقْبِلَ فِي سَوَادِ
 طَبْلَسَانِهِ وَاحِدًا قِيلَ : جَاءَ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ .

(١) الرواية الشعراء وهو تريت لسجيم الرياحي .

ولما كان فلان^(١) هو معنى هذه الإشارة ، وخصوى هذه العبارة ، وصدر هذا التصدير : ومن سواه أحق بصفات الصدارة ؟ ، ومن إذا ضرب المثل بالخطابة النبائية في حلب قال لخطابته بدمشق : «إياك أعني فاسمعي يا جاره» ؛ ومن نشأ في محل نغار طيب المعاقيد ، ومن وضع رجله على المنابر ومدّ عزمه إلى الفراقيد ، ومن شتم في أوائل عمره إلى العلياء وحيداً وخلف دونها من أئداده ألف راقد ؛ ومن إذا صعد لخطابة أنشد الحفدة :

ولما رأيت الناس دون محله • تيقنت أن الدهر للناس ناقد

وكانت خطابة الجامع الأموي المعمور بذكر الله تعالى بدمشق المحروسة هو الذي كل بنان إلى حسنه يسير ، وكل ذي مذهب إذا عاين تصنيف وضعه قال هذا لفته المحاسن هو الجامع الكبير ؛ ميزابه (؟) المسلم لرشده ، المعلم بطرازى نسيه ورشده ، المقدم ليد نصرته سيف خطابة لا يخرج بيد الاستحقاق عن حده ؛ تكاد المنابر تعود للنشأة الأولى طرباً لسجع بيانه ، يُسهب ويقول الناس لئنه لا يختصر ، ويودون لو ليس كل يوم سواد أهته وزيد فيه منهم سواد القلب والبصر ؛ وعارضه من العظماء الكفاة من نوى بدلاً فابي حنو الدولة إلا عطفا ، ونازله وأرد من القضاء ولكن أنزل الله عليه مع القضاء لطفاً .

ولذلك رُسم بالأمر الشريف أن يستقر على عادته في خطابة الجامع المذكور ، وما يتعلق بذلك : من تدريس وتصدير ، وتقرير وتقدير ، وتأثيل وتأثير ؛ ومحكوم بالتفويض إليه ومحكم ، ومرسوم لا يُغير عليه ما رُسم به وما رُسم ؛ وأن يُمنع دليل

(١) الكلام هنا غير مستقيم ولعل الصواب «ولما كان فلان هو معنى الخ وكان الجامع الأموي هو الذي الخ تعين أنه المسلم ليه .

الاعتراض ويُدفع ، وَيُكَفَّ حَتَّى تَتَّصِلَ الْعِنَايَةُ بِهَذَا الْبَيْتِ الَّذِي هُوَ مِنْ بَيِّنَاتِ أَدْنِ
اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ، وَحَتَّى يُعْلَمَ أَنَّ قَوْمًا أَحْسَنُوا صُحْبَةَ الدُّوَلِ فَسَعِدُوا ، وَنَهَبُوا عَهْدَ الْخِدْمَةِ
لِأَعْقَابِهِمْ وَهَجَدُوا ، وَحَتَّى يَقُولَ هَذَا النَّجَلُ الظَّافِرُ بَعْدَ آبَائِهِ وَأَخِيهِ : لَيْتَ أَشْيَاخِي
بِبَدْرِ شَهَدُوا .

فَلْيُعَدَّ حَدِيثَ مَنْصِبِهِ الْقَدِيمِ ، وَلْيُقَمِّمْ إِلَى تَشْدِيدِ الْأَسْمَاعِ مِنْ تَنْبِيهِ لَفِظِهِ بِأَهْمِيٍّ مِنْ
العقدِ النظيم ، وَلْيُقَمِّمْ أَسْرَى الْقُلُوبِ بِرَوَاتِبِ إِشَارَتِهِ : فَإِنَّهُ « الْفَاضِلُ عَبْدُ الرَّحِيمِ » ؛
وَلْيُبْسِكِ الْعَيْونَ بِوَعظِهِ وَإِنْ أَقْرَأَهَا بِمُشَاهَدَتِهِ ، وَلْيَحْرُصْ عَلَى نَحْرِ الدُّوَلَةِ الشَّرِيفَةِ بِهِ
كَمَا نَحَرَ سَيْفُ الدُّوَلَةِ بِأَبْنِ نُبَاتَتِهِ .

ووصايا هذه الرتبة متشعبة وهو على كل حال أدرى بها ، وما استقرت
على قبض سيوفها يده إلا ورجعت الحقوق إلى نصيبها ؛ وكذلك ما هو معدوق
بوظائفه : من مدارس علوم ، ومجالس نظير طالما نظر في كتبها وهو الصحيح نظرة
في النجوم - لا يحتاج فيها إلى مطالعة الوصايا فإنه من كل أبوابها دخل ، ولا يمر بها
على أذنه فم المبلغ فإنها من فيه أحلى ومن تسويغ فيه أحل ؛ وليكن التذكار بتقوى الله
تعالى فيما يأتي ويذكر أس جليل ، ووجه تفاضل وجوه الألفاظ من ذكره على لفظ
جميل ، والفاظ الخطيب المتقى إذا وصلت من القلب إلى القلب وقت برى الغليل ؛
والله تعالى يمدّه بالطافه ، ويحجبه على عوائد إسماعه وإسعافه ، ويروى بصواب
كلمه الأسماع وبصوب الغمام عهد أسلافه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة المسرورية بدمشق ، من إنشاء الشيخ صلاح
الدين الصفدي ، كتب به للشيخ « تقي الدين السبكي » ب « المقر الكريم » وهي :

الحمد لله الذي جعل تقي الدين علياً، وأوجده فرداً في هذا الملال فكان بكل علم ملياً، وأظهر فضله الجليل فكان كالصباح جلياً .

نعمه على نعمه التي تكاثرت فأنجحت الغايم، وتوقرت الألسنة على حمده فتعلمت أنجاعتها الحمايم، وتأثرت بمواقفها الأحوال فأنحلت زهر الخمايل في الكايم . ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة لا شبهة تُعكّر ما صفاً من بلجتها، ولا ريبه تُوعر ما تسهل من محجتها، ولا ظلمة باطل تُكدر ما أنار من محجتها . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي جمعت فيه مكارم الأخلاق، وتفرد بمزايا منها أنه حبيب الخلاق، وشارك الأنبياء في معجزاتهم وزاد عليهم بما أتيح له من تخميس لم يعطهن غيره منهم على الإطلاق . صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تفقهوا في الدين، وحازوا الأجور لما جروا إلى جز الغلاصم من الملحددين، وأنزلوا لما نازلوا أبطال الباطل والمعتلين من المعتدين؛ صلاة يفوح نسيم رباها المتأرجح، ويلوح ويسيم محياها المتضرج؛ ما فرج العلماء مضائق الجدال في الدروس، وقبلت تغور الأفلام وجنات الطروس؛ وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين .

وبعد، فإن المدارس - عمرها الله تعالى بالعلماء - لو أقيمت شروط، ولأهلها هم أنزلها بالنجوم منوط؛ يفوضون بحور البحوث في طلب الآلي، ويقطعون ظلل الظلام بالسهر في حب المعالي؛ سيما المدرسة المسرورية: فإن وافقها - أتابه الله تعالى - شرط في المدرس بها شروطاً قل من يقلها، أو يتحلى بعقودها أو يحلها؛ وكان مفرفها قد تحلى بتاج تجوهر، ومغلقها قد ضم منه فاضلاً تمهدت به قواعد المذهب لما تمهر؛ فأعرض عنها، ونفض يده منها؛ رغبة في الإقبال على شأنه، وأقطاعاً إلى مالك الأمر وديانه؛ تغلا ربها من أنسه، وكادت تكون طلاً بعد درسه .

وكان فلانٌ - أسبغ الله ظله - قد وافق بعض ما فيه شرطُ الواقف ، وشهد
 بنشر علومه البادية والعامية ، وطاف بكعبة فوائده كل طائف ، ينصرف عنه
 باللطائف ؛ أما "التفسير" فإنه فيه آية ، وأما "الحديث" فإنه الرحلة في الرواية
 والدراية ؛ وأما "الأصول" فإنه زار بـ «الرازي» حتى آخضني ، وأما "الفقه" فلو شاء
 أملي في كل مسألة منه مصنفًا ؛ وأما "الخلاف" فقد وقع الاتفاق على أنه شيخ
 المذاهب ، وأما "العربية" فـ «الفارسي» يعترف له فيها بالغرائب ؛ إلى غير ذلك من
 العلوم التي هو لها حامل الرأي ، وله بالتدقيق فيها أتم عناية ، وإذا كان أهل كل علم
 في المبادئ كان هو في الغاية .

فلذلك رسم بالأمر العالي - أعلاه الله تعالى - أن يفوض إليه كذا وكذا : وضعا
 للشئ في محله ، ومنعا لتاريخ ولاية غيره أن يفجأ في غير مستهله ؛ فالآن أمسي
 الواقف مسرورا على الحقيقه ، والآن جرى الخلاف فيها على أحسن طريقه ؛ وهو -
 أسبغ الله تعالى ظله - أجل خطرا من أن يذكر بشئ من الوصايا ، وأعظم قدرا
 من أن تدل المعية على نكيتها الخفايا ؛ لأنه بركة الإسلام ، وعلامة الأعلام ،
 وأوحد المجتهدين والسلام ؛ والله تعالى يمتع المسلمين ببقائه ، ويعلو درجات آرتقائه ؛
 وانخط الكريم أعلاه الله تعالى أعلاه ، حجة في ثبوت العمل بمقتضاه ؛ إن شاء
 الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الناصرية الجوانية ، من إنشاء الصلاح
 الصفدي أيضا ، كتب به للقاضي ناصر الدين «محمد بن يعقوب» كاتب السر يومئذ
 بالشام ، حين عاد إلى تدريسها بعد انفصالي عنه ، بـ «المقر الكريم» وهي :

الحمد لله الذى بدأ النعم وأعادها ، وأفاء المنن وأفادها ، وزان المناصب السنية
بمن يليها وزادها ، وشاد عماد المعالى بأربابها وصانها عماد دهره .

تحمده على نعمه التى بدأت بالمعروف وتممت ، وخصصت بالإحسان وعممت ،
وبرأت من النقائص وسأمت ، وفلت بالألطف الخفية صوارم الحوادث وتلمت .
ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تضى بها الحنادس ، وتركو
بأنوائها منابت الإيمان والمغارس ، وتسمو بأفئتناها إلى عليين النفوس النقايس ،
ويرغم المؤمنون بإعلايتها من الكفار المعاطس ؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذى تم للناس مكارم الأخلاق ، وأنجمل بجمود كفه الفياض صوب الغيث الدقاق ،
وفضح البدر اللباح فى الدجى بنور جبينه البراق ، وتقدم النبیین والمرسلين فى حلبة
الشرف على جواد فضله السباق ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أعلی من نصبوا
للهدى أعلاما ، وأزقى من أصبح العلم لفضيلهم الباهر رقاما ، وأحلى من كان الزمان
بوجودهم وجودهم للعفاة أحلاما ، وأقوى من كان الإيمان بهم إذا استنجد على
الكفر أفراما ؛ صلاة لا ينفد لها أمد ، ولا يفتى لها مدد ، ما شب بارق وتحمده ،
وشفى الغمام طرف زهير من الرمده ؛ وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين .

وبعد ، فإن مدارس العلم الشريف لها الذكر الخالد ، والشرف الطارف والتألد ؛
بها تبتين فوارس الجلال فى مضائق الجدال ، وتتحلى بدور الكلام فى مطالع الكمال ،
وتبدو شموس الجمال فيما لها من فسيح المجال ؛ والمدرسة الناصرية - أتاب الله تعالى
واقفها - هى الواسطة فى عقودها ، والذرة الثمينة بلا كفة لها بين قيم تقودها ؛
قد تدبج فيها البناء ، وتأرج عليها البناء ، وتخرج عنها الحسن فإن له بها مزيد
اعتناء .

وكان المقر الفلاني قد نفض يده من عيانتها ، ورفض عن اختيار بهاء جنانها ؛ ونحى
 طلبته عن مجاورتها ، ورمى أميته من مجاورتها ؛ فساء من بها من أدل العلم فراقه ،
 وأوحشهم وجهه الذي أنجمل البذور رونقه والبحر أندفاقه ، وفقدوا مكارمه التي
 ماسمع « السمعاني » بمنيلها ولا وصلت إلى « الصولي » ولا صمتها أوراها .

فلذلك رسم بالأمر العالی أن يعاد إلى تدريسها : لأن العود أمدح وأحمد ،
 والرجوع إلى الحق أسعف وأسعد .

فليباشر ما فوض إليه مباشرة ألفت من كمال أدواته ، وعرفت من جمال ذاته ؛
 نائراً أعلام علومه المتنوعه ، وفضائله التي تقصر عن الثناء عليها أنفاس الرياض
 المتصوّعه ؛ فلو عاصره « ابن عطية » أمسك عنه في تفسيره ، أو « صاحب
 الكشاف » لغطى رأسه من تفصيله ؛ أو « الرافعي » لأصبحت رايه رأيه في الفقه
 خافضة رأفه ، أو « النووي » رحمه الله لاستعمار منه زهرات روضته البانعه ؛
 أو « الأبيدي » لما امتدت له معه في أصوله خطوه ، أو « ابن الحاجب » لما كان
 له مع ابن الحاجب حظوه ؛ أو « ابن يعيش » لما ذكره في النحو فكان فقيدا ،
 أو « ابن مالك » لأسمى « تشبيهه » تعقيدا ؛ أو « الشبلي » لعلم أنه ما شب له في التصرف
 مثل شبليه ، أو « ابن عربي » لأعرب عن عجمه وما تمسك صوفي بجبله ، إلى
 غير ذلك من إنشاء إنشاء ساد فيه العبدین : « عبد الحميد » و « عبد الرحيم » ، ونظم
 كلمات نظماً إلى رشفه طافت علينا قوافيه بكأس مزاجها من تسنيم ، وعلى الجملة
 ففصيل معارفه يضيق عن فضها فضاء هذا التوقيع الكريم ، وسرد محاسنه لا تتسع
 له حواش ، هذا البرد الرقيم ؛ ولكن أشارت أمثلة القلم منها إلى نبذه ، وعلمنا أن
 القلوب تستأق إلى أوصافه فقلدنا لها من ذلك فلذه .

وأما الوصايا فمثلُه لا يدكرُ بئسٍ منها ، ولا يقال له : دَع هذه الودعة وهذه
الذرةُ صنفاً ؛ لأنَّ الأمر والنهي له في ذلك ، وإذا أُطلع بدور وصيةٍ ضواً أحوال
الدياجي الحوَالِك ؛ وليكن تقوى الله عز وجل ذكرها في كلِّ توقيعٍ طرازه المُسلم ،
ونكسته التي طودها لا يثُل وحدها لا يثلم ، فليكن مُستصحبَ حالها الحالى ،
مُستصحبَ فراقها الذى يهونه البال البالى ؛ والله تعالى لا يخلى ربوع العلم من أنيسه ،
ويجعل سعده في غد زائداً كما زاد في يومه على أمسه ، والخط الكريم أعلاه ، حجة
في ثبوت العمل بمقتضاه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة النورية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
آبن نباتة ، كُتب به لقاضى القضاة «نجم الدين الحنفى» بتزول والده عنها بـ«بالحناب
الكريم» وهى :

الحمد لله الذى أتمى أهلة العلم فأبدرت ، وفروعه فأثمرت ، ونجومه فاستقلت
مطالعها النورية وتورَّت ، ولآلته في بحار اللفظ والفضل فتجوهرت ، وأنهاره التى
أخذت في المد ما أخذت تلك البحار فاسترحبت وأسبحرت .

نحمدُه على نعيمه التى قرَّت وقرت ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة إذا خصلها اليقين وفرت ، وإذا نصلها الإخلاص مضت في أوداج الباطل
وفرت ؛ ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الحاكِم في فصل الأفضية لما شجرت ،
والناظم دُرر الإيمان حتى زهت في أعناق العقائد وزهرت ، صلى الله عليه وعلى
آله وصحبه فنية الحق التى ظهرت وطهرت ، وعصاية الإسلام التى سرت خلفها

(١) مستعار من نصل السيف والرمح والسهم ركب فيه النصال وهو حديد .

سرايا الدين فهاجرت في الله ونصرت، صلاة طيبة تحلوا إذا تكررت، وتحيية باقية
تشرق شمسها إذا الشمس كورت، وتبقى نفعات نشرها إذا الصحف نشرت .

أما بعد، فإن منازل العلم من خير ما أتى الآباء للأعقاب، وأكلي ما دُحِر لُنَجَبَاءِ
الأبناء على مدى الأحقاب، وأعدل ما شهد بلسان حاله المتمثل أن وكر العقاب
لابن العقاب؛ وكانت المدرسة التورية الكبرى بدمشق المحروسة هي الواسطة
والمدارس دُرر، والصبح وأوطان العلم غرر؛ ومترلة الحكم الأئمة، وبيت القضاء
الذي أذن الله لقدره أن يرفع، ومكان ذي اليد الماضي سيف حكمه إذا قرعت
العصا لذي الإصبع؛ وذات العباد التي أذخرها لنجليه، وأعدت فضلها في العباد والبلاد
لفضله؛ وكان ذلك قد نزل لولده فلان عن الحكم على هذا الحكم، ونطق بمزية
الاستحقاق وقلوب بعض الأعداء صم بكم؛ ورغب - أجله الله - فيما يرغب فيه
من الانقطاع ذو السن العالی، والقدر العالی، وانتظم تقليده الشريف فكان أجود
حلية على أحسن جيد حالي؛ ثم التوقيع بتدريس هذه المدرسة التي زكيت في أهل
الفضل شهيدها، ونظيرها الذي خلف في حكمه ولي عهد من أبيه: فله أمين هذه
الخلافة ورشيدها .

ولذلك رسم بالأمر الشريف أن يفوض إلى فلان تدريس المدرسة التورية
ونظيرها؛ لاستحقاقه لها بشفعة منصب الحكم العزيز، ومنشأ الفضل الحرير،
وجيز الزول المكتتب، وقبول هبة والده الذي يعتاد أن يهب الجليل لمن يهب؛
وتشريفه بإنعامها النفيس، وإجلاله بها على مرتبة حكمه وبساط نظير ومجادة
تدريس؛ وعلمًا بأن نجم ذلك النير أولى بهذه المنازل، وشيبل ذلك الأسد أحق

(١) لعله «وكان ذلك الامام الموصوف» أي والده نجم الدين .

(٢) فص أهل اللغة على أن السن بمعنى العمر مؤنثة .

بهذا الغاب المائل ؛ وأنه كوكب هذا المذهب المنير ، وإمام جامعته المعروفين : كبير
وصغير ؛ وصاحب شبيبة العزم المقتبل ، والرأي الموفى على قياس الأمل ؛ وتجنيس
الجود والإجادة ، وتكميل بحري العلم والبر واجتهاد الزيادة ؛ وأنه ممن آناه الله رفعة
في القدر والأسم ، وزاده بسطة في العلم والجسم ؛ وأحكم بديهته علمه فما تستوقف
الاسماع رويته ، وأعلاه وعظمه فما هو النجم الذي تستصغر الأبصار رؤيته .

فليباشر تدريس هذه المدرسة ونظرها بعزمه الباهر وصفا ، التالي بلسان الحمد :
(وإبراهيم الذي وفى) ؛ جارياً على أعراق نسيه المشهور ، فائض اللفظ والفضل فإنه
بحر من البحور ؛ مظهرًا من مباحثه التي تقلد العقول بأبهى مما تقلد النحور ، مهتدياً
من رأيه ومن بركة الواقف - رضى الله عنه - بنور على نور ، والله تعالى يزین بحججه
أفق السيادة ، ويزيد فيما وهبه من الفضل إن كان التمام يقبل زياده .



توقيع بتدريس المدرسة الريحانية الحنفيّة ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
للقاضى «عماد الدين الحنفى» بـ«بالحناب الكريم» وهو :

الحمد لله الذى جعل مدارس العلم بذات عمادها ، وصاحب ثقلها واجتهادها ؛
ومُنشِر عهدها ومُنشئ عهدها ، وواصل مناسبتها التى لو آذناها دونه زيد لكنت
دعوى زيادها ، ومُنصِح فتاويها على منبر قلم أهنر عوده ونقح وأطرب : فناهيك
بثلاثة أعوادها ! .

نحمده على نعيمه التى قضى الحمد بأزديادها ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده
لا شريك له شهادة تُعدها النفس لمعادها ، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله هادى الأمة

إلى سبيل رَشَادِهَا ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ بِحَارِ الْعِلْمِ وَأَطْوَادِهَا ، مَا قَامَتْ
الطُّرُوسُ وَالسُّطُورُ لِعُيُونِ الْأَلْفَاظِ مَقَامِ بِيَاضِهَا وَسَوَادِهَا .

أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ لِمَذَاهِبِ الْعِلْمِ رِجَالًا يَوْصَحُونَ طُرُقَهَا ، وَيَمْدُونَ فِي الْمُبَاحِثِ طَلْقَهَا ،
وَيَعْمَرُونَ مَدَارِسَهَا : فَيَالَهَا مِنْ دَاتِ دُرُوسِ يَكُونُ الْعُمَرَانُ مُعْتَلِقَهَا وَمُعْتَبِقَهَا ! .

وَمَا كَانَتْ الْمَدْرَسَةُ الرَّيْحَانِيَّةُ بِدِمَشْقَ فِي أَيْدِي الْعُلَمَاءِ نُجْبَةً رَيْحَانِيَّةً ، وَشَقِيقَةً
نَفْسِ نُهَيْيَّةً ، مَاهُولَةً الْمَنَازِلِ وَالْمَنَازِلِ بِكُلِّ ذِي فَضْلٍ جَلِيٍّ ، وَعِلْمٍ مَلِيٍّ ، وَوَصِيفٍ
كَرِيمٍ ، وَنَفْسٍ نَفِيسٍ يَتَلَقَّاهُ مِنْهَا رَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ ، وَخَلَّتِ الْآنَ مِنْ إِمَامٍ
كَرَّمَتْ خِلَالَهُ ، وَعَظَّمَتْ خِصَالَهُ ، وَمَضَى وَتَمَضَى وَمَا يَبْقَى إِلَّا اللهُ جَلَّ عَنْ الْحَوَادِثِ
جَلَالُهُ - فَتَعَيَّنَ أَنَّ نَحْتَارَ لِتَدْرِيسِ مَكَانِهَا مِنْ يَفْتَخِرُ بِهِ الْمَكَانُ وَالزَّمَانُ ، وَيَتَشَبَّهُ
بِزِيَادَةِ عِلْمِهِ لِصَاحِبِ مَذْهَبِهَا أَضْعَافٌ مَا شَادَهُ زِيَادُ اللَّتَعَانِ ؛ مِنْ شَيْدِ الشَّرِيعَةِ
الشَّرِيفَةِ مَقَالَهُ وَمَقَامَهُ ، وَعَلَا عِمَادَهُ إِلَى عُقُودِ الشُّهْبِ فَتَهُ مَرَادُهُ وَمَرَامُهُ ، مِنْ
لَوْ عَاصِرِهِ «أَبْنِ الْحُسَيْنِ» لِحَسَنِ أَنْ يَعْتَرَفَ بِقُدْرِهِ الْجَلِيلِ ، وَقَالَ عِنْدَ مَحَاضِرَةِ بَحْثِهِ
كَأَنَّ «أَبُو يَوْسُفَ» : فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ؛ وَأَسْتَرَادَ «شَمْسِ الشَّرِيعَةِ» فَكَيْفَ «السَّرَاجِ»
مِنْ لَمَعَةِ الْبَرِيقِ ، وَقَالَ «أَبْنُ السَّاعَاتِي» : مَا رَأَيْتُ أَرْفَعُ مِنْ هَذَا الْقَدْرِ دَرَجَةً
وَلَا أَبْدَعُ مِنْ هَذَا الذَّهْنِ دَقِيقَةً .

وَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ عَالِيًا بِأَمْرِهِ كُلِّ عِمَادٍ ، زَاهِيًا بِجَمَامِدِ مُلْكِهِ
كُلِّ نَاطِقٍ وَجَمَادٍ ، أَنْ يَفُوضَ لِفَلَانٍ لِأَنَّهُ الْمَعْنَى بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْأَوْصَافِ
الْحُلُوةِ إِذَا تَكَرَّرَتْ ، وَالْمَقْصُودُ بِالْفَاطِمَاتِ إِذَا تَعَنَّنَتْ الْأَفْهَامُ وَتَبَسَّرَتْ ، وَالْمَعْوَدَةُ فَرَاغَتْ
مُبَاحِثِهِ الْمَفْرَقَةَ بـ «إِذَا الْكَوَاكِبُ أَنْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ بَحَّرَتْ» ؛ وَإِمَامُ الْمَذْهَبِ
الْحَنَفِيِّ وَالْحَكْمِ الْأَحْنَفِيِّ ، وَحَصَاةُ الْقَلْبِ الَّتِي تَنْسِفُ بِإِشَارَتِهَا جِبَالَ «النَّسْفِيِّ» ،
وَلِسَانُ النَّظَرِ الَّذِي أَشْرَفَ عَلَى بَعْدِهِ فَاحْتَفَى فِي قُرْبِهِ الْمَشْرِفِيُّ ؛ وَصَاحِبُ الْقُنُونِ وَمَا

وَسَقَتْ، وَأَفْنَانِ الْحُكْمِ وَالْحِكْمِ وَمَا بَسَقَتْ، وَنُعُوتِ الْفَضْلِ وَالْفَضَائِلِ وَمَا عَطَفَتْ
من البيان وَنَسَقَتْ .

فَلْيَتَوَلَّ تَدْرِيسَ هَذِهِ الْمَدْرَسَةِ الْمَعْمُورَةِ مُؤَيَّدَ الْوَلَايَةِ، مُجَدِّدَ الْبَدَايَةِ الْحَنِيفِيَّتِهَا
وَالنَّهَائِيَةِ، سَاجِدًا قَلَمَ الْفَتَاوَى وَالْفُتُوَّةِ كَلِمًا تَلَا كَرْمَهُ وَكَلِمَةً آيَةً بَعْدَ آيَةٍ، مُنْفِقًا مِنْ
أَلْفَاظِهِ حَتَّى يُسْتَفْنَى عَنْ "الْكَنْزِ" وَصَاحِبِهِ، وَيُرَدُّ فَرَعُ الْمَقَالِ عَلَى الْأَصْلِ وَطَالِيهِ؛
وَيُعْرِضُ عَنْ أَعَارِيضِ "الْبَسِيطِ"، وَيُغْرِقُ فِي أَفْكَارِ وَارِدِهِ "المَحِيطِ". وَبِمَدِّ سِمَاطِ
الْعِلْمِ الَّذِي وَفَى بَعْدَ «الْقُدُورِيِّ» وَمَا خَانَ، وَتَفَخَّرَ بِقَاضِيهَا أَعْظَمُ مَدِينَةٍ فَمَا يَضُرُّهَا
فَقْدُ «قَاضِي خَانَ»، وَتُنذِرُ الْمَقْدَمِيَّةُ مِنْ طَلَبِيهِ فَوَائِدَ الْحَلْقَةِ، وَيَنْتَقِلُ الْجَنَابُ
الْكَرِيمُ مِنْ تَقْدِيمَتِهَا إِلَى مَا هُوَ أَوْفَى فِي الْغَرَضِ وَأَوْفَرُ فِي النَّفَقَةِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَزِيدُ رَتَبَ
الْعِلْمِ بِهِ سُرُورًا، وَيَجْعَلُ لَهُ بِاسْتِطْلَاعِهَا كِتَابَ حُكْمٍ وَحِكْمٍ يَلْقَاهُ مَنْشُورًا .



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، كُتِبَ بِهِ لِقَاضِي الْقَضَاةِ «علم الدين
أَبْنُ الْقَفْصِيِّ» قَاضِي قَضَاةِ دِمَشْقَ بـ «المقرَّ الشريف» وَهِيَ مِنْ تَلْفِيْقِ كُتَّابِ
الزَّمَانِ . عَلَى أَنَّهَا بِالْمَدْرَسِ الْأَبْيَقِ مِنْهَا بِالْمَصْدَرِ، وَهِيَ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْلَى عِلْمِ أُمَّةِ الدِّينِ إِلَى أَعْلَى الْغُرْفِ، وَمَيَّزَهُم بِالْعِلْمِ الشَّرِيفِ الَّذِي
يَسْمُو شَرَفُهُ عَلَى كُلِّ شَرَفٍ، وَأَوْضَحَ بِهِمْ مَنَهِجَ الْحَقِّ الْقَوِيمِ فَعَلَّا بِإِرْشَادِهِمْ سَبِيلُ
الْهُدَى وَأُنْكَشَفَ .

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَفَاضَ مِنْ نِعَمِهِ الْمَتَوَاتِرَةِ كُلِّ حِينٍ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى إِحْيَاءِ مَعَاهِدِ
الْمَعَاهِدِ بِمِنْ حَدَا حَدَوِ الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ؛ حَمْدًا يُظْهِرُ الْآيَاتِ مُحَمَّدِيَّةَ الْبِرَاهِينَ،
وَيَبْسُطُ ظِلَّ مَنْ هُوَ عَنِ الْحَقِّ لَا يَمِينُ . وَنَشْهَدُ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ

رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الَّذِي عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ وَيَعْلَمُ عِبَادَةَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الَّذِي أُوتِيَ عِلْمَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ ، وَكَانَ مِنْ دَعَائِهِ لَشَيْبَةَ : « اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ » . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ عَمِلُوا بِمَا عَلَيْهِمْ فَكَانُوا أُمَّةً مُسْلِمِينَ ، وَالْعُمْدَةُ عَلَى أَقْوَامِهِمُ الَّتِي تَقْلُوبُهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ ، عَلَى تَوَالِي الْأَيَّامِ وَالْجُمُعِ وَالْأَشْهُرِ وَالسِّنِينَ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

أَمَّا بَعْدُ ، فَلَمَّا كَانَتْ أَعْلَامُ الْعُلَمَاءِ فِي الْآفَاقِ مَنَشُورَةً ، وَرُبُوعُ الْفَوَائِدِ بِطَرِيقَتِهِمُ الْمُثَلَّى مَعْمُورَةً ، وَصُدُورُ الْمَعَايِدِ الشَّرِيفَةِ مَحْتَاجَةً إِلَى صِلَتِهَا بِكِفَائِهَا الْقَرْدِ مَسْرُورَةً ؛ وَكَانَ فُلَانٌ - أَسْبَغَ اللَّهُ تَعَالَى ظِلَالَهُ ، وَضَاعَفَ جَلَالَهُ - هُوَ الَّذِي مَلَأَتْ مُبَاشَرَتُهُ الْعُيُونَ وَالْأَسْمَاعَ ، وَأَنْعَقَدَتْ عَلَى تَفَرُّدِهِ فِي عَصْرِهِ كَلِمَةُ الْإِجْمَاعِ ، وَأَشْتَهَرَ ذِكْرُهُ الْجَمِيلُ بِأَنْوَاعِ الْمَكْرَمَاتِ وَأَطَاعَهُ مِنْ مُشْكَلِ الْمَذْهَبِ مَا هُوَ عَلَى غَيْرِهِ شَدِيدُ الْإِمْتِنَاعِ ؛ وَأَضْحَتْ فِضَائِلُهُ " الْمَدُونَةَ " وَلَفِظُهُ الْجَلَّابَ ، وَكَتَفَهُ " الْمَوْطَأَ " لِلطَّلَبَةِ يُغْنِيهِمْ عَنْ مَعَاهِدِ « عَبْدِ الْوَهَّابِ » ؛ وَعَزِيْمَتُهُ لَا يُلْحَقُ عُبَارُهَا فِي الْمَعَارِكِ ، وَلَا يَقْنُ خُدَّامُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ وَالْأَدْبِيَّةِ إِلَّا أَمَّ مَالِكٌ وَأَبْنُ مَالِكٍ .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لِأَزَالِ يَجْمَعُ مَنْ بَرَعَ فِي الْعُلُومِ مِنْ أُلُوَانِ الْمَنَاصِبِ الْمُخْتَلِفَةِ ، وَيَرْفَعُ قَدْرَ الْقَوْمِ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ عَلَى التَّقْوَى مُؤْتَلِفَةٌ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي وَظِيفَةِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ بِدِمَشْقِ الْحَرُوسَةِ - عَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِذِكْرِهِ - عَوَضًا عَنْ فُلَانٍ مُجْتَمِعٍ تَزُولُ عَنْهُ بَرَضَاهُ ، حَمَلًا عَلَى مَا بِيَدِهِ مِنَ التَّرْوِيلِ الشَّرْعِيِّ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ دِيْوَانُ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ ، عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَصَرَفَهُ إِلَيْهِ مَهْنَةً مَيْسَرًا أَسْوَأَ أَمْثَالِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيفَةَ عَلَى عَادَةِ مُبَاشَرَاتِهِ الَّتِي حُقِّقَتْ بِالْعُلُومِ ، وَأَفْتَخَرَتْ بِمُحْسِنِ الْمَنْطُوقِ الدَّالِّ عَلَى الْمَعْنَى الْمَفْهُومِ ؛ وَيُدَدُ مَوَائِدَ عِلْمِهِ الْمَحْتَوِيَةَ عَلَى أَنْوَاعِ الْفَضَائِلِ ،

وليُبين ما يَحْتَجُّ على الطَّلَبَةِ بأَوْضِحِ الدَّلَائِلِ ؛ وليؤدَّ الفَوَائِدَ الواصِلَةَ إلى الأذْهَانِ على أَحْسَنِ أُسْلُوبٍ ، وليُقرِّرَ الأَصُولَ الَّتِي أَمْتَدَّتْ فُرُوعُهَا بِقَوَاعِدِ السُّنَنِ المَحْمُودِيَّةِ وفي ثَمَرِهَا الجَنِّيَّ تَقْوِيَةَ القُلُوبِ ؛ وليُكْرِمَ مِنْهُمْ مَنْ يَصِحُّ فَضْلُهُ لَدَيْهِ وَيَبِينُ ، وليُسَيِّطُ هَمَمَهُمْ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ» . وليُوضِّحْ طَرِيقَ إِرْشَادِهِ لِيَسْتَهْلَ سُلُوكُهَا عَلَيْهِمْ ، وليَجْعَلَ وُقُودَ فَوَائِدِهِ فِي كُلِّ وَقْتٍ وَاصِلَةً إِلَيْهِمْ ، وليَتَّبِعْ «إِمَامَ دَارِ المِهْجَرَةِ» فِي مَذْهَبِهِ المَذْهَبِ ، وليَخَلِّدْ مِنْ صِفَاتِهِ الجَمِيلَةِ مَا يَذْهَبُ الزَّمَانُ وَلَا يَذْهَبُ ؛ وليَسْمَحْ لِلْفُقَهَاءِ بِمَوَاصِلَةِ فَضْلِهِ الأَعْمِ ، فَإِنَّهُ أَنْ يُهْدَى بِهِ وَاحِدٌ خَيْرٌ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ .

والوصايا كثيرةٌ ومنه يُطَلَّبُ بَيَانُهَا ، وَبِهِ تَقْوَى أَسْبَابُهَا وَيَعْلَمُ بَيَانُهَا ؛ وَلِئِنْ الذِّكْرُ تَنَفَّعَ المُؤْمِنِينَ ، وَيُظَهَّرُ [بِهَا] سِرُّ خَبَرِهِمْ وَيَسْتَتِينُ ؛ وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى هِيَ العُرْوَةُ الوُثْقَى ، وَالخِصْلَةُ الَّتِي بِهَا يَعْظَمُ كُلُّ وَاحِدٍ وَيَرْتَقِي ؛ فَلْيُواظِبْ عَلَيْهَا ، وَلْيَصْرِفْ وَجْهَ العِنَايَةِ إِلَيْهَا ؛ وَاللهُ تَعَالَى المَسْئُولُ أَنْ يَجْعَلَ عِلْمَ عَلَيْهِ دَائِمًا فِي الآفَاقِ مَنْشُورًا ، وَذَكَرَهُ الطَّيِّبُ عَلَى ألسِنَةِ الخَلَائِقِ كُلِّ أَوَانٍ مَذْكَورًا .

المرتبة الثانية

(من تواقيع أرباب الوظائف الدينية بمحاضرة دمشق -

ما يفتتح به «أما بعد حمد الله» وفيها عدة وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك .

توقيع بقضاء العسكر بدمشق ، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد الإخنائي»

الشافعي ، بـ «بالجناب العالي» وهو :

أما بعد حمد الله تعالى مضاعيف النعمه ، ومُراديف رُتبِ الإحسان لمن أخلصَ في الخدمه ، ومُجددِ منازلِ السَّعدِ لمن أطلعتْ كواكبُ أهتِامِه في آفاقِ الأُمورِ المُهمَّه ؛ والصلاةِ والسلامِ الأتمِّينِ الأكلِّينِ على سيدنا محمد وآله الذي بشرَ بنصيرِ هذه الأُمَّه ، ووعدَ بأن سيكشفُ به غمامَ كُلِّ غُمَّه ، وأنه يتجاوزُ عن أهلِها بشفاعته وكيف لا ؟ وقد أُرسلَ للعالمين رَحْمَه ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاةٌ تُجزلُ لقاتلها نصيبه من الأجرِ وتوفِّرُ قِسْمَه - فإنَّ أحقَّ الأولياءِ مَنْ تَأَكَّدَتْ لَهُ أسبابُ السعاده ، وكافَأناه بالحسنى وزيادَه ، وبلغناه من إقبالنا غايةَ ما ربه ومطالبه ؛ وعُرفتْ منه العلومُ التي لا يُسَكُّ فيها ، والتباهةُ التي لا يَقْدِرُ أحدٌ من أقرانه يوفِّيها ؛ والخبرةُ الوافيةُ الوافره ، والديانةُ الباطنة والظاهرة ؛ وسار بعُلوْمه المثل ، وسلك مسلكِ الأولياءِ في العِلْمِ والعملِ ؛ واعتُبرتْ أحواله التي تُوجِبُ التقديم ، واختُبرتْ فعاله التي ضاعفتْ له مزيدَ التكريم .

وكان فلانٌ - أدام اللهُ تعالى نِعْمته - هو الذي اتقنَ العُلومَ بجنًا وتهذيبًا ، وبرهنَ عن المسائلِ الشرعيةِ بأفهامٍ تزيدُها إلى الطالِبينِ تقريبًا ؛ وأوضحَ عَوِيصَ مُشكلاتِها ، وصحَّحَ من ألسِنِ العربِ لغاتِها .

فلذلك رُسمَ بالأمرِ العالی - لا زالت تَمُتُّه بالعناية مُشْرِقه ، وأنواءُ فضائلِ أوليائه مُغْدقه - أن يستقرَّ فلانٌ في وظيفةِ قضاءِ العساكرِ المنصورةِ الشاميةِ : حَمَلًا على ما بيده من التزولِ الشرعيِّ ، على عادة من تقدَّمه في ذلك وقاعدته ، ومعلومه الذي يشهدُ به الديوانُ المعمورُ إلى آخرِ وقتٍ . فهو الحاكمُ الذي لم يزل للعساكرِ المنصورةِ نِعَمَ الصَّاحبِ ، والمُوردُ على سَمْعِهِم من الأحكامِ الشرعيةِ ما يَقْتَسِدِي به الحاضرُ والغائب ؛ والقائمُ بأعباءِ العساكرِ المنصورةِ ، والحافظُ لنظامِ المُلكِ الشريفِ على أحسنِ صورَه .

فليباشِرْ هذه الوظيفة المباركة وليحلّ في قضاء المساكر المنصورة بطلّعتِه السنيّه ،
وليفصل بينهم في الأسفار كلّ قضيّه ، وليعرفهم طرق القواعد الشرعيّه ؛ وليحتز
في كلّ ما يأتيه ويذرّه ، ويقصده ويحدّره ، ويورده ويصدره .

والوصايا كثيرةٌ ومنه تُستفاد ، وإليه يرجع أمرها ويُعاد ، ولكن لا بُدَّ للقلم
من المرح في ميدان التذكار ، والتنبيه على منهاج التقوى التي هي أجملُ شعار ؛
والله تعالى يمتحه من إحساننا جزيلَ العطاء والإيثار ، ويُسمعه من أنباء كرمنا كلّ
آونةٍ أطيب الأخبار ؛ بمنّه وكرمه ! .



توقيعٌ بنظر جامع يلغا اليحياوى ، كُتب به للا مير جمال الدين «يوسف شاه»
العمرى الظاهرى بـ «الجناب الكريم» وهو :

أما بعد حمد الله الذى أظهر جمال الأنبياء في كلّ مشهدٍ وجامع ، وقدمه بما أولاه
على كلّ ساجدٍ ورايع ، وخصّه من فضله بما قصرت عنه الآمالُ والمطامع ؛
والصلاة والسلام الأتمين الأكلين على سيدنا محمد عبده ورسوله مؤلى الخير الواسع ،
والإحسان المتتابع ، ومن أحيًا جودُ جوده النفوس وسرّ القلوب وأطرب ذكْرُ
عظاته المسامع ؛ وعلى آله وصحبه النجوم الطوالع ، والذين أودعهم العلم الذى آتاه
لإقامة دينه من لا تخيبُ لدهيه الودائع ؛ والتشريف و [الإكرام] ، والتبجيل
والإعظام - فإن أولى من رعينا له حقّ الخدم ، ووقوفه فى الطاعة الشريفة على
أثبت قدم ؛ من قام بما لم يقم به غيره ، وحسنت سيرته وسيره .

وكان فلانُ أدام الله تعالى نعمته ، وحرس من الغير مهجته ؛ ممن جمل المالك
ودبرها ، وضبط أموال الأوقاف وحررها ؛ وأرتفع على الرؤوس ، وحصل أموال

الأوقاف التي فطر تحصيلها أجداد الخوثة وسر من مستحقها النفوس - تعين أن نعرف له مقدار الذي لا يخفى، ونؤقيه بعض حقه فإنه الذي بالإحسان قد أوفى .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زال يقبل على فضل وليه ، ويضاعف له البر المستمطر من غيب جوده ووليه - أن يستقر فلان في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليباشر هذه الأوقاف ، وليسلك فيها طرق العدل والإنصاف ، وليتبع شرط وأقفاها - رحمه الله تعالى - المجمع على صحته من غير خلاف ؛ وليحي ما تسعت وتخرّب في الجامع المشار إليه وأوقافه بعين بصيرته ، وليتم بالمعروف من معرفته ؛ وهو أعزه الله تعالى أولى من باشره ، وعمر دائره ، وأحرى من تحرى مباره ومآثره ؛ وميز أوقافه ، وتدارك بتلافيه تلافه . وهو غني عن شرح الوصايا فإنها من آدابه تُعرف ، ومن بحر آدواته تُعرف ؛ وملاكها تقوى الله تعالى الرؤوف ، فليكن على مستحق هذا الوقف عطف ؛ والله تعالى يجزل له أجرا ، ويجعل له ما يفعله من الخير ذنرا .



توقيع بنظر تربة أرغون شاه ، كتب به « لقبنا السيفي بوطا ، بـ » بالجناب العالی

وهو :

أما بعد حمد الله الذي بلغ الأولياء من مبراته الأمل والإرادة ، وألقى مقاليد الأمور إلى من استحق بحسن مباشرته الزيادة ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأكملين على سيدنا محمد عبده ورسوله صاحب لواء الحمد والنصر ، ومن جاءت آيات تفضيله كفلق الصبغ وجملت محاسنه كل عصر ؛ وعلى آله وصحبه الذين نصره فنصرهم

الله ، وحجبه بأنفسهم عن البأس ولم يحجبه عن الناس لخفيض جناحه لمولاه ؛
والتشريف والتكريم ، والتبجيل والتعظيم .

ولما كان فلانٌ - أدام الله تعالى نعمته - هو المعروف بالأوصاف الجميلة ،
والمنتوت بالنعوت التي أتت في وصفه بكل فضيلة .

فلذلك رُسم بالأمر العالى - لازال إحسانه عمياً ، وفضله لذوى الاستحقاق أبداً
مقيماً - أن يستقر فلانٌ في كذا ، على عادة من تقدمه في ذلك ومستقر قاعدته ،
بالمعلوم الذى يشهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر وقت .

فليباشر ذلك بهمة العلية ، ونفسه الأبية ؛ والوصايا كثيرة وأهمها التقوى ؛
فليلازم عليها فإنها تحفظه ، وبالسيادة تلاحظه ؛ والله تعالى يكفل توفيقه ، ويسهل
إلى نجاح المقاصد طريقه ؛ بحمد وآله !



توقيع بتدريس الجامع الأموى عوداً إليه ، من إنشاء جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضى «نفر الدين المصرى» وهو :

أما بعد حمد الله معيد الحق إلى نصابه ، والغيث إلى مصابه ، واللبيث - وإن
ظاب - إلى مستقر غايه ، وشرف المكان إلى من هو أحق وأولى به ، وبحر العلوم
إلى دوائر محافله في الدروس وإلى قوى أسبابه ؛ والصلاة والسلام على سيدنا محمد
الذى هاجر فرجع بغنيمته وإياه ، وطلع من نيات الوداع طلوع البدر المشرق
في أنشاء صحابه ؛ وعلى آله وصحبه الشائمين سبيل صوبه السالكين سبيل صوابه ،
ما قطف من غصون أفلام العلماء تمرر «البيان والتبيين» متشابهاً وغير متشابه -

فإن شرف الكواكب في سيرها ورُجوعها ، ونموّ نَسْعِهَا ما بين قُتْرَةِ مَنِيهَا
وطُلُوعِهَا ؛ لا سُمِّيَا العلماءُ الذين يُهْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَيُقْتَدَى بِأَنْوَارِهِمْ ، وَمَصَابِيحُ الْحَقِّ
الَّتِي تُقَدِّحُ وَلَا يُقَدِّحُ فِي أَرْزَادَةِ أَفْكَارِهِمْ .

وكان من قُصِدَ بهذا التلويحِ ذِكْرُهُ ، وَعُرِفَ من هذا المعنى المفهومِ نَحْرُهُ ؛ قد
حُمدَ بِمَجَالِسِ التَّصْدِيرِ بِالْجَامِعِ الْأُمَوِيِّ مَا ذَكَرَهُ مِنْ سَلَفِ أَعْيَانِهِ ، وَقَامَ بِوُجُودِ الدَّلِيلِ
عَلَى وُجُودِ مَاضِي بُرْهَانِهِ ، وَجَادَلَ لِسَانُهُ وَقَلَمُ يَدِهِ عَنِ الشَّرِيعَةِ : وَغَيْرُهُ مِنَ الْعِيِّ
لَا مِنْ يَدِهِ وَلَا مِنْ لِسَانِهِ ؛ ثُمَّ هَجَرَ مَكَانَهُ هِجْرَةً عَلَى الْعُدْرَةِ مَحْمُولَةً ، وَهَاجَرَ إِلَى حَرَمِ اللَّهِ
تَعَالَى وَحَرَمِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِجْرَةً مَقْبُولَةً ؛ وَرَأَى بَعْضَ الصَّبِيَّانِ التَّقَدَّمَ إِلَى
رَبِّةِ الشَّيْخِ فَقَالَتْ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَأَنَا مِنْ مَخْطُوبَاتِ الْأَكْبَرِ فَمَا أَنَا مِنْكَ وَلَا أَنْتِ
مِنِّي ؛ ثُمَّ حَضَرَ إِلَى مَحَلَّةِ الْكَرِيمِ مِنْ غَابٍ ، وَرَجَعَ إِلَى مُسْتَقَرِّهِ الْأَمْثَلِ بِهِ : وَمَا كُلُّ
حَمْرَةَ أَسَدُ اللَّهِ فَلَيْسَ كُنْ فِي ذَلِكَ الْغَابِ .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لا زالت صلاتُ مَرَّاسِمِهِ جَمِيلَةً الْعَوَائِدُ ، جَلِيلَةً
الْفَوَائِدُ ؛ وَأَقْلَامُهَا أَغْصَانُهَا مَمْدُودَةٌ بِهَا الرِّزْقُ فَهِيَ عَلَى الْوَصْفَيْنِ مَوَائِدُ - أَنْ يَسْتَمَرَ
عَلَى عَادَتِهِ فِي كَذَا وَكَذَا ، وَإِبْطَالُ مَا كُتِبَ بِهِ لغيره : عَمَلًا بِاخْتِبَارِ الْحَاضِرِ ، وَآخْتِبَارِ
نَظَرِ النَّاطِرِ ؛ وَعِلْمًا بِأَنَّ هَذِهِ الْمَرْتَبَةَ لَمَنْ لَهُ إِتْقَانُ عَقْلِهَا وَنَقْلُهَا ، وَتَلَاوُفٌ فِي مَوْضِعِ
الْوَقْفِ : (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا) .

فقولا للمنوع : مَا كُلُّ عِزٍّ بِدَائِمٍ ، وَلَا كُلُّ ذِي طَلَبٍ بِكَمَالِ الْوُجُوبِ قَائِمٌ ؛ وَمَنْ
أَيْنَ لِهَذِهِ الرَّبِّةِ مِثْلُ هَذَا الْكُفِّ الَّذِي أَشْتَهَرَ نَحْرَهُ ، وَزَهَتْ بِهِ عَلَى الْأَمْصَارِ شَامَهُ
وَمَصْرَهُ ؟ ؛ وَهَذَا الْإِمَامُ ، وَكُلُّ مُضَاهٍ مَأْمُومٍ ، وَهَذَا الْمَقْدَامُ ، تَحْتَ عِلْمِ الْعِلْمِ وَكُلِّ
مُبَاهٍ مَهْزُومٍ ؛ وَهَذَا النَّائِبُ وَكُلُّ نِدٍّ مُشَرَّدٍ ، وَهَذَا الْكَامِلُ وَكُلُّ ضَدٍّ مُبَرَّدٍ .

فليستمر على عادته الجميلة مجللاً لزمانه ومكانه ، مكملًا في وشائع العلم ما ينبغي
« ابن الصباغ » من ألوانه ؛ مالكا لما حرره « الشافعي » ، « جازما بفعل ما نصبه
« الرافعي » ، ساميا عن وفاء الواصف : فسواء في ذكره إسراف بيان أو إسراف عي ؛
شاملا للطلبة المعتادين بعطفه ، مقابلا للمستفتين بلطائفه وأطفه ؛ باحثا عن دُرر
الجدال بفكره إذا بحث قلم بعض المجادلين عن حنفيه بظلفه ، داعيا لهذا الملك
الصالحى فإن دعاء العالم الصالح سور من بين يديه ومن خلفه ؛ والله تعالى يُجريه
على خير العوائد ، ويمده باقبال النعم الزوائد ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بتدريس المدرسة الدماغية بدمشق ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتب به للقاضى
جمال الدين « أبى الطيب ، الحسن بن على » الشافعى ، وهو :

أما بعد حمد الله رافع مُنادى العلم بمُفردِه ، وبيت التقى بقافية سُودده ، ونظم
المفائرجن إذا قيل : « أبو الطيب » أصنى الحفل لمنشده ، ومشهد الفضل بإمامه :
وحسبك من يكون « الحسن بن على » إمام مشهده ؛ والصلاة والسلام على سيدنا
محمد عبده ورسوله سيد الخلق وسنده ، وعلى آله وصحبه السائرين فى العلم والحلم على
جأده ، ما تحب نسيم الرّوض برده وأقرّ لعمس السحاب عن تغر برده - فإنّ للعلم
أبناء ينشئون فى ظلاله ، ويسكنون فى حلاله ، ويفرقون لخلق بين حرام المشتهيه
وحلاله ، ويحملون وجه الزمان : فلا عديم الزمان منهم جمال وجهه ولا وجه جماله ؛
ترتشف شفاه المدارس من كلهم كلّ عذب المساع ، وتشافه منهم كلّ ذى فضل
ما هو عند البلاغ ببلاغ ، وتُشهد ما خُصوا به من الشرف والرأسه فلا عجب أنّ
محلهم منهما محل الدماغ ! .

وكانت المدرسة الشافعية الدماغية بدمشق المحروسة رأساً في مدارج العلم، وهامة في أعضاء منازل ذوى الحكم والحلم؛ لا تسمو هممتها إلا بكل سامي العمامة، هامي الفضل كالغمامة، ساجج اللفظ إلا أنه أبهى وأزهى من طوق الحمامة، كائد للملحد مكريم للطالب ولا كئيد لابن الخطيب ولا كرامه - واسطة بين العادلة والأشرافية تليق بمن يكون عقده كلامه المثنى، ونظامه الأمكن، وبيانه المنشد "أجارة بيتينا" يعنى بيت النسب وبيت المسكن .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لازال يحدّد لوجوه العلم جمالا، ولوجوب الحمد نوالا، ولوجود الفضل كما ما قال قط ولا نوى: لا - أن يفوض إلى فلان - أيد الله مجده، وحرس للسامين أباه وأعلى بالسعادة جده - تدرّس المدرسة الدماغية المذكورة: لأنه جمال العلم المعقودة على خطبته الآمال، المعذوقة بمقدمات فضله وقضله نتائج الأقوال الصالحة والأعمال؛ المحبوبة إلى الله والخلق سميأه وشيمه ولا نكر: فإن الله جميل يحب الجمال؛ ولأنه العالم الذى إذا قال لم يترك مقالاً لقائل، وإذا شرح على قياسه أتى بما لم تستطعه الأوائل؛ وإذا جرى العلماء كاد «إمام الحرمين» يقول: أنا المصلى وأنت السابق، «والغزالي»: من لى أن أنسج على منوال هذا اللفظ الرائق؟؛ «وآبن دقيق العيد»: لبت لى من هذه الدقائق بلغه؟، و«آبن الصبأغ»: هذا الذى صبغه الله من المهدي علما! ومن أحسن من الله صبغه؟؛ ولأنه العالم الذى أحيا ذكر «آبن نقطة» بعد مادارت عليه الدوائر، وأغنى وحده دمشق عن أتى فى النسب «بعساكر»، ولأنه فى البيان ذو الانتقاد والانتقاء، والعربى الذى إن كان لرقاب الفضلاء «آبن مالك» فإن قرينه «أبو البقاء»؛ والكامل حسبا، ومثل جيده المنقود لا يهرج، والواصل نسبا، ومثل فرعه بعد أصله: «وآله أوس آخرون ونحرج» .

فليباشر هذا التدريس بعزائم سيره، ومباحث تستنار منها معارف القول التبرية،
وطرائف لا تُحسب بدمشق على تقداتها المصيرية، ولينصر مذهب الإمام الشافعي
رضي الله عنه فإن قومه الأنصار، وليخفف جناحه للطلبة فطالما خفصت الملائكة
أجنحتها ليصير فلا تجب أن صار!؛ وليقد وأفديه وهو قاعد أضعاف ما أفادهم صاحب
المكان وهو واقف، وتقوى الله عز وجل أولى ما طالع في سره وجهه من "عوارف
المعارف" والله تعالى يمدّه بإسعاده ولطفه، ويحوطه بمعقبات من بين يديه ومن
خلفه؛ ويضيء بارق كليمه الصيب، ويضطرب أسمع الطلبة بالطيب من معاني
«أبي الطيب».



توقيع بتدريس المدرسة الركنية الحنيفة بظاهر دمشق، كُتب به للقاضي
بدر الدين «محمد بن أبي المنصور» الحنفي بـ«المقرّ العالي» وهو:

أما بعد حمد الله الذي أطلع بدر الدين مشرقاً في منازل السعد، وحرس سماء
مجده فلا يطيق من رام جنباتها الاستطراق إليها ولا الصعود؛ وجعل ركنه الشديد
في أيامنا الزاهرة المشيد وظله الممدود؛ والصلوة والسلام الأتمين الأكلين على
سيدنا محمد ذي الخوض المورود، والكرم والجود؛ وعلى آله وصحبه نجوم الهدى
وأعيان الوجود، ما أورد عود، وحمدت عقي الصدور والورود؛ صلاة دائمة
إلى اليوم الموعود - فإن أعلام الهدى لم ترل منشورة بمعالم العلماء، وأقطار الأرض
ما برحت مشرقة بمن تستغفر لهم الحيتان في البحر والملائكة في السماء، وطول
الأرض إلى فضائلهم أشد اضطراباً وأخوج إلى القرب إليهم والانتفاء؛ وكان فلان -
أدام الله تعالى تأييده - من بيت شهدت الأيام مفانحه، وحمد الأمام أوائله وأوانحه،

وأضحت عيون الزمان إلى ماثره ناظره، وعُصونُ الفنون بفرائده ناضره، وأوصافه
الجليلة للأبصار والبصائر باهره، وأصناف الفضائل من إملائه واردة صادرة .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - زاده الله تعالى على العلماء إقبالا، وضاعف إحسانه
إليهم ووالى - أن يستمرَّ المشارُ إليه فيما هو مستمرُّ فيه : من تدريس المدرسة
الرُكنية الحنفيّة، بظاهر دِمَشق المحروسة، حملا على ما بيده من الولاية الشرعية
والتوقيع الشريف: رعايةً لجانبيه وتوقيرا، وإجابةً لقصدِه الجميل وتوقيرا، واستمراراً
بالأحقّ وتقريراً .

فليأشِرْ ذلك مباشرةً ألفت منه، وأشتهر وصفها الزكي عنه؛ وليوصِّح للطلبة سُبُل
الهداية، وليوصلهم من مقاصدِهم الجميلة إلى الغاية؛ وليسلِّك طريقة والده، فإنها
الطريقة المثلى، وليتحلَّ من جواهر فرائده، فإنها أعلى قيمةً وأعلى، ويُمثِّل على
الاسماع فضائله التي لا تُمَلُّ حين تُملى .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الخاتونية البرانية الحنفيّة بدمشق، كُتِب بها
للشيخ صدر الدين «علي بن الآدمي» الحنفيّ بـ«الجناب الكريم» . وكأنّه في الأصل
لمن لقبه . «بدر الدين» لأنَّ البدر هو المناسب لهذا الأفتاح؛ فنقله بعض جهلة
الكُتاب إلى «صدر الدين» كما تراه . وهذه نسخته :

أما بعد حمد الله الذي زان أهل العِلْم الشريف بصدر أخفى نُورهُ الشُّموس ،
وأعلاه - لِمَا حازه من الشَّرَفِ الأعلَى - على الرُّوس ، وجعل كلَّ قلبٍ يَأوى إلى
تَيَانِ بيانه يوم الدُّروس ؛ والصلاة والسلام الأتمين الأتكين على سيدنا محمد الذي
أذهب اللهُ بركاته عن هذه الأمة كلَّ مكر وبُوس ، وخصَّهم في الدنيا بطيب

الحياة وفي الآخرة بسرور النفوس، وعلى آله وصحبه صلاة مُمْتَرَة الغُروس - فإنَّ أولى من تُصَرِّفُ إليه الهمم ، من تَبْدُو دلائل علمه كُنُورًا ناريًا على علمٍ ؛ وتَسِيرُ فضائله في الآفاقِ سِيرَ الشُّمُوسِ والأقمارِ ، وتَبَرُّزُ إذا يُبْدِيها صَدْرُهُ من حُجُبٍ وأستار .

وكان فلانٌ - ضاعف الله تعالى نعمته ، وحرس من الغيِّرِ مُهَجَّتَه - هو الذي أُشِيرَ إلى ما حواه صَدْرُهُ الكريم من الفضائل ، وأشتهر في دُرُوسِهِ بإقامة المُجَجِّجِ وإيضاح الدلائل ؛ وبرَع في العلوم الدِّينِيَّةِ ، وفاق أبناءَ عَصْرِهِ في الصَّنَاعَةِ الأَدَبِيَّةِ ؛ وأنفق كَثْرَتَهُ على الطُّلَّابِ ، فأصبح "عمدة المُحدِّثِينَ" وأُسمِيَ "مُختار الأَصْحَابِ" ، «أبو يعلى» ينزلُ بِيابِهِ ، و «أبنُ عقيل» يرتدُّ على أعقابِهِ ؛ و «أبنُ الحاجب» يرفعُهُ على عَيْنِهِ ، و «الرَّازِي» يذخرُ كَسْبَهُ لوفاء دِينِهِ ؛ و «أبنُ بَطَّة» يَطِيرُ من مواقعِ سِيَاهِمِهِ ، و «مُقَاتِلُ» مجروحٌ بِحَدِّ كَلَامِهِ ؛ و «أبنُ قُدَامَةَ» متأخِّرٌ عن مجاراتِهِ ، و «الأثرُمُ» يَحْرَسُ عند سَمَاعِ عِبَارَاتِهِ .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لازل يجمعُ لمن برَع في العلوم من ألوانِ المناصب المُختلفة ، ويرفع قَدْرَ القَوْمِ الذين قُلُوبُهُم على التَّقْوَى مُؤْتَلِفَه - أن يستمرَّ الجَنَابُ الكريم المُشارُ إليه بالمدرسة الخاتونية البرزانية الحنفيَّة ، حملاً على ما بيده من التزول الشرعي والولاية الشرعيه : لأنه الخَلِصَةُ التي صَفَّتْ من الأقدار ، والعُدَّةُ ليومِ الجِدَالِ إذا وُلِّيَ غيرُهُ الأذبار ؛ والمختارُ الذي جَنَحَتِ المناصبُ السُّنِّيَّةُ إلى آخِيارِهِ دون من سِوَاهِ ، رَغْبَةً فيما آذَنَهُ من الفضائلِ وحَوَاهِ ؛ "بِدَايَتُهُ" "نَهَايَةُ الطُّلَّابِ" ، وعلومه "مُخَفَّةُ الأَصْحَابِ" ؛ إن حَدَّثَ «فأبنُ معين» بِصَحْحَةٍ تَقْلَهُ بِحَيَا ، أو فَسَّرَ «مُجَاهِدٌ» عن مجاراتِهِ يَعيَا ؛ و «الرَّيْحَانِيُّ» يبعُدُ عن الحَوَارِ ، و «البَغَوِيُّ» يبتغي الوقوف على الآثَارِ ؛ و «سَيبُوِيَّة» عند ما يَتَحَوُّ يَقصد "التسهيل" من لفظهِ المُغْرِبِ المُعْرَبِ ، و «أبنُ عَصْفُورٍ» يكاد يَطِيرُ طَرَبًا لما يُبْدِيهِ من "المُرْقِصِ المُطْرِبِ" ؛

و « أبو يوسف » أصبح بصُحْبَتِهِ مَنْصُورًا ، و « محمد بن الحَسَن » أضحى برفعته
مَسْرُورًا ؛ هو في القَدْر « علي » وفي الطريفة « محمود » وفي العلوم « محمد » ،
وفي النطق والحركة « سعيد » وفي النظر « أسعد » ؛ وفي النَّصَارَة « النعمان »
و « طاوس » يتعلَّى جزءًا من كمالِ خِصَالِهِ ، و « الحَسَنُ » يفتدى بحسنِ فعَالِهِ ؛ نَسَا
في العِفَّةِ وَالصِّيَانَةِ ، وكَفَلَهُ التوفيقُ وزَانَتْهُ الأمانَةُ ؛ فهو بَحْرُ العُلُومِ ، ومُسْتَخْلِصُ
دُرِّهَا المَكْنُونِ ومُظْهِرُ سِرِّهَا المَكْتُومِ ؛ لو رآه « الإمام » لقاسَ عِلْمَهُ بِالسَّمْسِ
المُنِيرَةِ ، ولو عاصر الأَصْحَابَ لَعَدَّتْ أَعْيُنُهُم بِهِ قَرِيرَةً .

فليأشُرْ هَاتَيْنِ الوَظِيفَتَيْنِ اللَّتَيْنِ آكْتَسَبْنَا بِهِ بعد نُورِ الشَّمْسِ جَلَالًا ، ولْيُلْقِ عُلُومَهُ
التي يقولُ القائلُ عند سَمَاعِهَا : هكذا هكذا وإلا فلا ؛ ولْيُعَلِّمِ الطَّلَبَةَ إِذَا أَدْهَشْتَهُمْ
كثرةُ عُلُومِهِ أَنَّ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عِلْمٌ ، ولْيَتَكَرَّمْ عَلَيْهِم بِكَثْرَةِ الإِفَادَةِ فَإِنَّ عَلِيًّا هُوَ
الكَرِيمُ ؛ ولْيَفُقْ فِي مَبَاشِرَةِ النَّظَرِ كُلِّ مَثِيلٍ ونَظِيرٍ ، وَلَا يُبَدِّثْكَ مِثْلُ خَيْرٍ ؛ ولْيَجْتَهِدْ عَلِيٌّ
عِمَارَةَ مَعَاهِدِهَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَأَدَاءِ الوِظَائِفِ بِحَسَنِ مَلاحِظَتِهِ : ليزداد عند الخَلِيقَةِ
جَلَالًا ؛ وفيه - بحمدِ اللَّهِ - ما يُغْنِي عن تَأْكِيدِ الوصَايَا ، وَيُعِينُ على السَّدَادِ وَقُضَلِ
القَضَايَا ؛ وكيف لا ؟ وهو الخَيْرُ بِمَا يَأْتِي وَيَذُرُ ، وَالصِّدْرُ الَّذِي لَا يَعْدُو الصَّوَابَ
فِي وِرْدٍ وَلَا صَدْرٍ ؛ واللهُ تَعَالَى يَسُرُّ القُلُوبَ بَعُلُومِ مَرَاتِبِهِ ؛ وَيُقِرُّ العُيُونَ بِبُلُوغِ مَقَاصِدِهِ
وَمَآرِبِهِ ؛ بِمَنَّةٍ وَكَرَمِهِ ! .



توقيع بخطابة جامع جراح ، من إنشاء ابن نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لـ «شرف الدين بن
عمرون» بـ «المجلس العالي» وهو :

أما بعد حمد الله الذي قسم لنا برشرفاً يتجدد ، وعظماً من الفصحاء يتأكد ؛ وعاملاً
مرفوعاً لا يتعدى وعاملاً منصوباً لا يتعدد ؛ والصلاة والسلام على سيد الثقلين

وصاحب القبلتين محمد ، وعلى آله وصحبه القانين القامين الرُكَّع السُّجَّد ؛ ما عَظَّمَ
خَطِيبٌ ومُجَدِّدٌ ، وبدا في حِلْيَةِ سِيَادَةِ وَأُهْبَةِ خَطَابَةٍ وهو على الحالين مُسَوِّدٌ - فَإِنَّ
لَصَهْوَاتِ الْمُنَابِرِ قُرْسَانَا ، وَلِصُدُورِ الْحَارِيبِ أَعْيَانَا ، وَلِعُيُونِ الْمَشَاهِدِ أَنَابِيَّ يُرَاعِي
مِنهَا الْأَسْتَحْقَاقُ لِكُلِّ عَيْنٍ إِنْسَانَا .

ولما كان جامعُ جراح المعمورِ بِذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى تَمَّا أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى ، وَوَسِمَ
بَاهِلِ الرَّهْدِ سِمَةً إِذَا ضَعَعَتِ السَّمَاتُ تَقْوَى ؛ يَجْمَعُ الصُّلَحَاءَ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ ، وَمُسْتَجَمِعُ
الْفُقَرَاءِ : فَنِعْمَ الْجَامِعُ لَهُمْ وَنِعْمَتِ الزَّأْوِيهِ ! ؛ وَمَفْرَعُ الْعُظْمَاءِ عِنْدَ اسْتِدْفَاعِ حَرْبِ
وَكَرْبِ ، وَمَطْلَعُ نُورِ الْهُدَاةِ الَّذِي أَغْرَبَ فَاطَلَعَ نُجُومَهُمْ مِنَ الْغَرْبِ - تَعَيَّنَ أَنْتَ
نَخْتَارُ لَهُ الْخَطْبَاءَ وَالْأَيْمَةَ ، وَتَنْخِيبَ لِمَنْصِبِهِ مِنْ أَفْضَلِ الْأُمَّةِ ؛ وَتَتَنَاسَبُ حُضَارَ مِنْبَرِهِ
بِصَاحِبِ عُلُومِهِمْ وَأَعْلَامِهِمْ وَإِمَامِهِمْ ، الْمَسْرُورِينَ بِهِ يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ أَنَاثٍ بِإِمَامِهِمْ .
فَرُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتْ أَعْوَادُ الْمُنَابِرِ بِذِكْرِهِ أَرْجَاهُ ، وَأَعْلَامُهَا كَالْأَلْسِنَةِ بِجَمْدِهِ
لَهْجِهِ - أَنْ يَفُوضَ لِفُلَانٍ عِلْمًا بِأَسْتَحْقَاقِ شَرَفِهِ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ ، وَصُعودِ
هَذِهِ الذَّرْوَةِ وَالْمَهْضَبَةِ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَوْلَى بِدَرَجَاتِ الرَّتْبِ النَّفَاسِ ، وَالْأَجْدَرُ بِجَنَى فُرُوعِهَا
الْمَوَائِسِ ؛ وَالْإِمَامُ عَلَى الْحَالِيْنَ إِذَا قَامَتْ صُفُوفُ الْمَسَاجِدِ وَإِذَا قَعَدَتْ صُفُوفُ
الْمَدَارِسِ ، وَالْعَرِيُّ الَّذِي إِذَا رَقَى ذِرْوَةَ مِنْبَرٍ أُطْلِقَتْ عَلَيْهِ لَفْظَةُ فَارِسٍ ؛ وَالْوَرَعُ
الَّذِي آتَرَفِي مَنْاصِبِهِ الْبَاقِيَةَ عَلَى الْفَانِيَةِ ، وَمُنَابِرَ الْحَكِيمِ الْمُضِيئَةِ عَلَى مَرَاتِبِ الْحُكْمِ
الْمَاضِيَةِ ؛ وَعَلَى مَجَالِسِ الدَّعَاوَى مَجَالِسِ الدَّعَوَاتِ ، وَعَلَى مَقَامِ الصَّلَاتِ مَقَامِ
الصَّلَوَاتِ ؛ وَعَلَى الْقَضَاءِ الْقَرُضِ ، وَعَلَى الرَّحْبَةِ ^(١) وَلَوْ كَفَفِحِصِ الْقَطَاةِ مِنَ الْأَرْضِ ؛
وَعَلَى عَرَضِ الدُّنْيَا الْقَلِيلِ جَوْهَرَ الْفَضْلِ الْكَثِيرِ ، وَعَلَى "كِتَابِ أَدَبِ الْقَاضِي"
"كِتَابِ الْجَامِعِ الصَّغِيرِ" .

(١) لعله وعلى الرحبة المحل الأرق ولو الخ

فليأشِرْ هذه الوظيفة المباركة : خطيباً تَدْرَأُ مواعِظُهُ الخُطُوبَ ، وَاِعْظَاً من قَلْبٍ
تَقَى تَصِلُ هدايا تَقَاهُ إلى القلوب ؛ فَصِيحاً تكاد المنايرُ تهتُرُ طَرَباً بديانه ، نَجِيحاً تكاد
أجنحةُ أعلامها تَطِيرُ فَرَحاً بمكانه ؛ شاملاً بنفحات فضله النوايسم ، كاملاً ! لو تقدم
زَمَانُهُ لم يُقَلَّ : « فلا الكَرَجُ الدنيا ولا النَّاسُ قَاسِمٌ » ؛ والله تعالى يسدُّ أقواله
وأفعاله ، ويرفَعُ على المنابر والرَّتبِ والمراتب مقامه ومقاله ، ويُمتِّعه بهذه الرتبة التي
أشبهت معنى في الخلافة : « فلم يكن يصلح إلا لها ولم تكن تصلح إلا له » .

المرتبة الثالثة

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بحاضرة دمشق -

ما يفتتح بـ «رسم بالأمر» وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بالتدريس بالجامع الأموي والإفتاء به ، من إنشاء الشيخ جمال الدين
أبن نباتة ، كتب بها للشيخ «نخري الدين المصري» استمراراً ، بـ «المجلس العالي» وهي :
رُسم بالأمر الشريف - لا زال لدولته الفخر على الإطلاق ، والمن على الأعناق ،
والكرم لطالبي الإزفاد والإرفاق ، والتكريم والتقديم لذوي التأهيل والأسسحقات ؛
ولا برحمة النعم النابتة للساجعين بمدحه المطرب قائمة مقام الأطواق - أن يستقر
فلان نفع الله ببقائه ، ورفع عيون الأئمة لدرجات أرتقائه ؛ : لفوائده
التي شملت الوري ، وعلت الدرا ، وحمدت الأفهام عند صباحها السرى ، وقعد بها
مُسبِلُ ذيل الحياء وسار بذكره من لا يسير مُسَمِّراً ؛ ومزلتته التي نصبت للهدى
علمًا ، وأفاظه التي أعربت عن بدائع بهرت فما فتح بمثلها العلماء قسًا ؛ وأسنباطه

الذى يقول للأول : قال وقلتم ، وأقام وزُتم ، واحتياطه الذى يقول للسائلين :
 أهبطوا من آنتساب حلقته مضراً فإن لكم ما سألتهم ، وأنه الفاضل الذى ما آستنار
 بعلمه فتى فتاه ، والنافع الذى ما آستطب بكلماته سقيم ذهن فلما تحركت شفتاه
 شفتاه ؛ كم جلس للأشغال فتى أنفس المارة عن أشغالها ! ، ونصر العلم فى حلقته
 المجنّدة فكان من أمرائها المنصور ولم يكن للأنداد من رجالها ! ؛ كم سلم لبيان بحته
 الحقيقى والمجازى ! ، وكم سطر لمناظرتيه المحمدية مع أهل الزئبق سير ومغازى ! ،
 وكم خلص دينار فهمه المصرى على النقد فهيات أن يروز مثله «الرازى» ! ؛ كم نغرت
 مضراً بانتسابه ! ، ودمشق بسقيا سخابه ! ، وكم قال الرازى : لیت لی هذا الفخر
 فأروى فى الأول بفتى خطيبه وفى الآخر بفتى خطابه .

فأستمر - نفع الله به - على وظيفته المأثوره ، وحلقته التى نصبت على مصاديد
 كلماته المشهوره ، ومائدة عليه المنصوبة وذبول منافعها فى الآفاق مجروره ؛
 وليواظب على جلوسه بالجامع المنشرح المشروح ، ودرسه المتضمن فتح أبواب العلوم
 وغيره كما يقال : على المفتوح ؛ سالكا من نهج الإفادة مسالكه ، مكثرأ بأجنحة فتاويه
 الطيارة ما يسطر لديه من أجنحة الملايكه ؛ متصرفاً على عادة عبادته فى مواطن العلم
 والعمل ، مستنئداً فى جلسته إلى سارية يقول لها وقاره وحلمه : يا سارية الجبل
 الجبل ، داعياً لهذه الدولة الشريفة : فإن دعاء العالم مثله طائر لآفاق القبول من
 أوكار القبل ؛ والله تعالى يمدّه بعونه ولطفه ، ويحوط مجالس علمه بالملائكة المقرئين
 من بين يديه ومن خلفه ؛ بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس مدرسة القصاصين ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به
 لفخر الدين «أحمد بن الفصيح» الحنئى المقرئ بـ«المجلس السامى» وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يقدّم من العلماء أنفرهم ذكراً، وأحمدهم أمراً،
وأفصحهم نسب فضائل وفضائل نسب يقول الاستحقاق : كلاًهما وتمراً - أن
يرتب فلان... : لما شهير من علومه السنيّة، وفوائده السريّة ؛ ووجوه فضائله
الحسنة ، وعيون كلماته المتيقظة إذا كانت بعض العيون مستوسنة ؛ ولأنه غريب
في الوصف والمكان، وصاحب علم لا يكاد يوجد له شقيق وإن كان منسوباً إلى
« النعمان » ؛ وإمام قراءات ثبتت له فيها على « أبي علي » الحجة ، وتوصّحت ببيانه
المحجّه ؛ وتعين محله الأثير ، وروى الطالب من علمه عن « نافع » ومن ذهنه
في الفوائد عن « ابن كثير » ؛ وأنه نخر الحنيفة القائم في السبعة مقام « رازيها » ،
المطلّ بمنسب قلمه على المعاني إطلال بازيا ، « الأكل » الذي له من علوم صدره
خزانه ، « الصدر » الذي كل صدر يشهد له بعلو المكانة .

فليباشر تدريس هذه المدرسة المباركة : حقيقاً بجلوس صدرها ، خليقاً بتجديد
شرفها وذكورها ؛ مظهرًا للحبايا الثكت في زواياها ، جديرًا بأن يكون في خفايا
المسائل ابن جلاها وطلاع شياها ؛ يملأ بيان بحوثه فكر الواعي وسمعه ، ويُسِيرُ
بنان قلم فتياه ما يتجدد له من رفته ، وينسط أدلال الطلبة حتى يأكلوا في القصاعية
معه في القصعة ؛ والله تعالى يسره من مدارس الحنيفة بهذه البدايه ، ويقره بما
يتجدد من وظائفها التالية : (وما تُريهم من آية) بمنه وكرمه ! .



وهذه نسخة توقيع بتدريس المدرسة الطرخانية، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به
للقاضى جمال الدين « يوسف الحنفي » بتزويل من والده ، وهى :

رُسم بالأمر الشريف - لازالت مواطنُ العِلْمِ مُكَمَّلَةً بِذِكْرِهِ ، مُبَجَّلَةً بِأَمْرِهِ ،
 مُؤَهَّلَةً لِكُلِّ يَوْسُفٍ الْجَمَالِ يَذْكُرُ عَزِيزُ شَامِهِ عَزِيزُ مِصْرِهِ - أن يستقرَّ فلانٌ في كذا ،
 بحكم ما قرره مجلسُ الحكم العزير الشافعي ، ونعم المالكُ لمذهب شافع ، وأتباعاً لما
 حرره الجناب الشريف التَّقْوَى ذُو النَّسَبِ الصَّحَابِيّ الذي كُلُّ أميرٍ لأمرِهِ تَابِعٌ ،
 وعملاً بما رآه رأيُهُ الكَرِيمُ الذي إذا كان الجمالُ شافعاً كان هو للجمال شافعاً ؛ وإذا
 أنشأ من أبناء العلماء فروغاً [لا] تَمِيلُ عَلَيْهِمُ الأيَامُ مِيلَهُ ، وإذا وقفت في طريقهم
 الأنداد قال أقتصار نسبه الأنصاري : يَا بِيَّ اللهُ ذَاكَ وَبَنُو قَبِيلَةٍ ؛ وَقَبُولًا لِنَزُولِ^(٢)
 هَذَا الْوَالِدِ الَّذِي أَعْرَقَتْ فِي آفَاقِ الْعِلْمِ مَطَالِعُهُ ، وَإِقْبَالًا عَلَى هَذَا الْوَالِدِ الَّذِي تَجَحَّتْ
 فِي أَسْتِحْقَاقِ التَّقْدِيمِ مَطَامِعُهُ ؛ وَعِلْمًا بِجَابَةِ هَذَا الْفَاضِلِ الَّذِي طَابَ أَصْلًا وَقَرَعًا ،
 وَقَدَّمَ نَفْسَهُ وَوَالِدَهُ وَتَرًّا وَشَفْعًا ؛ وَهَذَا الْبَادِي الشَّيْبَةَ الَّذِي يَأْمُرُ بِفَضَائِلِهِ عَلَى
 الشَّيْبِ وَيَنْهَى ، وَهَذَا الْوَاضِحُ الدَّلَالَةَ عَلَى مَفَاحِرِ قَوْمِهِ : حَبِذَا الدَّعْوَى وَبَيْتُهَا
 مِنْهَا ؛ وَهَذَا النَّجِيبُ الَّذِي قَدَّمَهُ أَبُوهُ مُنْجِبًا ، وَذَكَأُوهُ مَعْجِبًا ؛ وَقَلَمُهُ فِي الْأُورَاقِ
 مُعْشِبًا ، وَأَشْتِغَالُهُ : إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيْسِهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ مِنْ مَحْفُوظَاتِ كُتُبِي
 مَا يَقَارِبُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا ؛ وَإِذَا دَرَسَ كَانَ لَطَبِيئَتِهِ مَلَاذًا ، وَإِذَا عَانَدَهُ مُعَانِدٌ قَالَ
 بِرَفِيعِ هِمَّتِهِ : يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنِّي هَذَا ؛ وَإِذَا قَرَأَ كُتُبَ فَصَاحَتِهِ أَذْهَلَ ذَوِي
 الْأَثْبَابِ ، وَإِذَا فَحَّحَ لِتَفْسِيرِ كِتَابِ اللهِ فَاتِحَةً ، عُوذَ بِفَضْلِ : (أَلَمْ ذَلِكَ الْكِتَابُ)
 وَإِذَا رَوَى الْأَحَادِيثَ أَطْرَبَتْ حَقِيقَتُهُ السَّمَاعَ ، وَإِذَا أَخَذَ فِي دَفَائِقِ النَّقْلِ وَالْعُقْلِ
 عُلِمَ وَعُقِلَ أَنَّ الْفِكْرَةَ صَنَاعٌ .

(١) في القاموس «أهله لذلك رآه له أهلا» .

(٢) هي قبيلة بنت كاهل أم الأوس والخزرج .

فليباشر هذه المدرسة المباركة ببيان عَرَبِيٍّ وإن كان نَسَبُهَا طَرْخَانِيًّا، وَعِلْمُ رَوْضِيٍّ
لَا يَعْرِفُ الْعُلَمَاءُ شَقِيقَهُ وَإِنْ كَانَ مَذْهَبُهُ نَعْمَانِيًّا، وَمَبَاحِثُ تَذَكِّي نَارَ قَرِيْبِيَّتِهِ : فَكَمْ
طَبِخَ لِأَنْدَادِهِ مِنْ أَصْحَابِ «الْقُدُورِيِّ» قَدْرًا، وَلِزُومِ دَرَسِ يُسْرَ أَبَاهُ بِمَذْهَبِهِ : فَإِنَّهُ
الْقَاضِي «أَبُو يُوسُفَ» خَبْرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَخُبْرًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُصَوِّنُ شَيْبَتَهُ الْمُقْبَلَةَ مِنْ
طَوَارِقِ الْحَدَثَانِ، وَيَنْفَعُ بَعْلُومَ بَيْتِهِ الَّتِي مِنْ شَكِّ مِنْهَا فِي الْحَقِّ فَكَأَنَّهُ مِنَ الْحَدَثَانِ.



وهذه نسخة توقيع بتصدير بالجامع الأموي، من إنشاء ابن نُبَاتَةَ، كُتِبَ بِهِ
لـ«شمس الدين بن الخطيب» وهي :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - لَا زَالَتْ نِعْمُهُ ظَاهِرَةً الْفَضْلَ كَالشَّمْسِ ، طَاهِرَةً
الْوُضُوحِ مِنْ دَنَسِ اللَّبْسِ ، وَأَفْرَةَ الثَّمْرِ فَيَوْمَهَا قَاصِرٌ عَنِ الْغَدِ زَائِدٌ عَلَى الْأَمْسِ - أَنْ
يَرْتَبَ فُلَانٌ فِي كَذَا وَيَرْتَبَ لَهُ كَذَا عَلَى الْمَصَالِحِ ، فَكَمْ لِلْمُسْلِمِينَ فِي جَامِعِ عَلَيْهِ مَصَالِحٌ ،
وَفِي مَنَافِعِ قَصْدِهِ مَنَاجِحٌ ؛ وَفِي قَوَائِدِهِ نَصِيبٌ ، وَفِي طُرُقِ هُدَاةِ مَعَالِمِ : وَلَا تُشْكِرُ
«الْمَعَالِمَ» لِابْنِ الْخَطِيبِ ؛ لِيَتَنَاوَلَ هَذَا الرَّائِبَ الْمُسْتَقَرَّ مِنْ أَحْلَى الْجِهَاتِ وَأَجْلَلِهَا ،
وَتَكُونَ شَمُّهُ الْمُبَارَكَةُ خَيْرَ شَمْسٍ تَجْرِي لِمُسْتَقَرِّهَا ؛ عِوَضًا عَمَّا نَزَلَ عَنْهُ مِنْ تَدْرِيسِ
الْحَلْقَةِ الْمَعْدُوقَةِ بِصَاحِبِ حِمِّصٍ وَتَصْدِيرًا بِالْجَامِعِ الْأَمْوِيِّ يَسْطُرُ بِهِ أَنْوَارَهُ
السَّمْسِيَّةِ ، وَيَنْقُلُ أَسْمَهُ إِلَى إِمْرَةِ الْعِلْمِ بِدِمَشْقَ عِوَضًا عَنِ الْحَلْقَةِ الْجَمِصِيَّةِ ؛
فَلْيَعْتَمِدْ مَا رُسِمَ بِهِ ، وَلَا يَتَحَوَّلْ عَمَّا قَضَى الْعَدْلُ وَالْإِحْسَانُ بِمُوجِبِهِ .

الضرب الثاني

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بالشام -
ما يكتب به لمن هو بأعمال دمشق ، وهو على مرتبتين)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «أما بعد حمد الله» وفيها وظائف)

توقع بتدريس المدرسة النورية بدمشق^(١) ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كتب به للقاضي زين الدين «عمر البلقاني» بـ «المجلس العالي» وهو :

أما بعد حمد الله الذي جعل لوجوه العلم زينا وأى زين ، وأقر لأما كنها عينا
بمن يكون التنبية على فضل مكانته فرض عين ، وتشر أحاديثها بمن إذا حدث عن يد
تمكنه في العقل والنقل قيل : صدق «دو الدين» ، وأحيا مذاهبها بمن إذا عقدت
الخصاير على أمثاله العلماء كان أول العقد وثاني الغيث وثالث «العمرين» ،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي أوضح تبين الهدى وسنه ،
وأرهب شبا الحق وسنه ، وعلى آله وصحبه الذين منهم «علي» مفتاح مدينة العلم
و«عمر» سراج أهل الجنة ، ما جرت أقلام العلم والجود في هذه الأيام الصالحة
طلقة العنان مطلقه الأعنة - فإن أولى العلماء بمدارس علم لا خلت ، ومجالس
فهم عزت بأهلها فلا تعزلت ، ومشاهد عقل وتقل لا عقلت ألسنتها بعد مستحقيها
ولا أنتقلت - من أضاءت مشكاتها النورية بمصابيح كليه ، وفتحت كائنها النورية
عن زهرات الهدى بقطرات قلبه ، وتذكرت بأوقاته الأخيرة عهد أهلها من هداة
الاسلام وأوقات ذى سلمه .

(١) صوابه بمص ، كما يؤخذ من التوقيع .

ولما كان فلان هو المقصود بخلصة هذا المعنى، وأتمددود إليه نظر هذا الوصف
الأسنى؛ والعالم الذي تشبث بأسباب محاسنه بلد «الهرميين»، والسابق وإن خلا
وقته الطاهر خلف وقت «إمام الحرمين»؛ كم آجنتي ثمر الفوائد من أصل وفرع؛
وكم بات قلبه من ورق فتاويه وإسكات مناويه بين وصل وقطع؛ كم صدق برق
يديته الأفكار حين شامت؛ وكم تبهت عند ليلى المشكلات «عمر» ثم نامت؛
وكم تهادت نظره كُتب العلم حتى قال «كتاب الأثم»؛ نعم الولد النجيب، وقال
«كتاب الروضة» : نعم أخو الغائب الصائب على رياض القول المصيب؛ وقال
«الشامل» من فضله : هذا لطلبته «نهاية المطلب»، وقال «التنبيه» على محاسنه :
ليت «النابغة» رآه فدرى أى الرجال «المهذب» وكانت المدرسة الشهدية النورية
بمخص المحروسة قد شهدت مع من شهيد بفضله، وسعدت بنسبه؛ ووسمت بعلم
عالمه، وسمت سمو الشهباء : هذه بمقر تدرسيه وهذه بمجلس حكمه؛ ثم زار دمشق
زورة تشوقت [إليه] بعدها تلك المشاهد، وتشوقت إلى العود هاتيك المعاهد؛ وقضى
الوفاء أن يعاد إليها أحسن إعادته، وأن يرجع إلى الأماكن الشهيدية الشاهدة بيرة
فتكون منه عادة ومنها شهادته، وأقتضى الاستحقاق أن يردها بالمعلوم المستقر وزيادة
وأحسن ما ورد البحر في الزيادة .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - أعلاه الله وشرفه، وحلى بسيره الصالحة تمتع
الدهر وشنتفه - أن يستقر فلان في تدريس المدرسة النورية بمخص المحروسة على

(١) يشير الى بيت بشار في مدح عمر بن العلاء أحد عمال المهدي .

إذا أيقظتك حروب العدا • فنبه لها عمراً ثم نم

وبعد

قئ لا ينام على غرة • ولا يشرب الماء إلا بدم

عادته ، وعلى نهج إفاءته وإفادته ؛ بالمعلوم المقرر له بمجلس الحكم العزيز الشافعي
بدمشق المحروسة : رعاية لتلك المعاهد النورية التي تتأرجح بها الآصال والبكر ، وأنوار
القبول القائلة لوفاها الطارق : «عليك سلام الله يا عمر» .

فليعد إلى هذه الوظيفة عود الحلي إلى العاطل ، وليقبل على رتبته المرتبة إقبال
النيت على الماحل ، وليقبل بلسان تقدمه لمعانيده : إن كان أعجبكم عامم فعودوا إلى
محص في قابل ؛ ولينصربقاعها الحمضية بجلاد جداله فإنها من أول جند الإسلام ،
وليقيم الآن في هذه الأوقات الشامية فإنه بركة الوقت والبركة في الشام ؛ مئيراً من
أفلام علومه أزكى الغروس ، مظهرًا من مباحثه النفايس مبهجًا من طلبته النفوس ،
عامراً لمعاهدها بدروسه : وياعجباً لمعاهد تعمم بالدروس ؛ ذاكرًا للوصايا الحسنة
التي لا تقص عليه فهو أخبر بها ، والتي من أولها وأولها تقوى الله تعالى وهي
بأفعاله أمسك من تفاعيل العروض بسببها ؛ والله تعالى يعضده في رحلته ومقامه ،
ويمتد الرتب تارة بمجالس دروسه وتارة بمجالس أحكامه ، ويروي صدق مصر
والشام من موارد علمه : هذه بأوفى من نيلها وهذا بأوفر من عماله .

المرتبة الثانية

(من توابع أرباب الوظائف الدينية بأعمال دمشق -

ما يفتح به «رسم بالأمر» ، وفيها وظائف)

وهذه نسخ توابع من ذلك :

نسخة توقيع بحسبة بعلبك : من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتب بها

لشهاب الدين بن أبي النور ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لازلَّتْ شُهْب أوامره عالية السَّنا والسَّناء، وِفِيَّة لَدَوِي
الاستحقاق بمزيد الاعتناء والاعتناء، جايَّة البرِّ بمن شهد بحُسنِ حِسْبته حتَّى لسانُ
الميزان وفمُ الكَيْلِ وشَفَّةُ الإِناء - أن يستمرَّ فلانٌ لِما ذكر من أوصافه التي
ضاعفت فيه الرِّغْبَه ، وحالفت به شُمُو الرُّبَه ، وشهدت بها حِسْبته يَلُو الشُّهُود :
وحسبكَ من آجتمعت على فضله شهادة الفرض وشهادة الحِسْبَه ؛ ولِما صحَّ من
كفائه وتَجْرِيه ، ووضَّح في هذه الوظيفة من تَدْرِيه التي تَدْرِي به ؛ ولِما تعيَّن
من استمرارِ شهابه في المنزلة التي تكتسب من أضوائه وتكتسب ، وهذه الرتبة التي
تعلو بمعرفته : وكفاه أنه يرزق من حيث يحسب ومن حيث لا يحسب ! ؛ وأنه
فيها ذو الرأى الزائد ، والنفع الوارد ، والشهاب الذي نورُهُ هُداة في وجه المرید وأثرُ
كِي حِسْبته في وجه المارد ؛ وأنه وليها ولاية لا تزال تُذكر وتُشكر ، وعرف بوفائها
وكان أوفى من أمرٍ بمعروف أو نهى عن منكر ؛ وأنه قام حقَّ القيام حتَّى قال
البلد : رعى الله زمانك ، وأجتهد حتَّى قال الاعتبار للميزان : لا تُذكر الزينغ
ولا تُحرك به لسانك .

فليستمرَّ في حِسْبته المباركة استمراراً يُستحلى ذِكْرُه ، ويُستجلى في الأئم شهابه
وفي السَّمة بدره ، وليحتسب في نفع المسلمين حِسْبَةً يحسبُ بها عند الملكة ثناءه
وعند الملكة أجره ؛ سالكا على نهج العزم الجميل ، جاعلاً أول نظره من أقوات
الرعية في الدقيق والحليل ؛ مُستبيناً لما ألتبس من غشِّ المطاعم والمشارب فلم يستين ،
حاكماً - ولا سيمياً في قاعات بعلبك - رأي يُفرق بين الماء واللبن ؛ حائماً على بيع
المالكلي بخبرة من مَلأ بصره ، حريصاً على أن لا يُنشد لسانُ الداخِل فيه « ومن لم
يمت بالسيف مات بغيره » ؛ دافعاً ضرر المُجترى البائع عن المُشترى المسكين ، ذيكاً
فيا يَدُكِي فيدبج بسكين ويذبح مُتناوله بغير سكين ؛ قاضياً بالحق في كلِّ ما يُستري

وبياع ، متكلمًا في أنواع الملابس وغيرها بالبائع والذراع ؛ وأزنا بالعدل في كلِّ موزون
ومكبول ، رادعًا لكلِّ عمالٍ مُداهين في كلِّ مدهون ومعمول ، حاملاً على الحال
المستقيم كلَّ حىٍّ لديه وكلَّ من هو على آله حذباءً محمول ؛ ومن زاد في الإضرار فليمنع
زائده ، ومن زاد في الاشتطاط وتجوير الشراء فليقطع بالنكال زائده ؛ ومن دسَّ
في الأثربة فلا يلبث أن يغلظ التأديب وأن يُريقه ، ومن سقى الضعفاء منها كما يقال :
سقية فليستقه من السوط ما يكاد ينثر جسمه على الحقيقه ؛ ومن عانى صناعةً
ليس له فيها يدٌ فليزيمه بما بسط في إفساده اليدين ، ومن حَكَم في صناعة الطبِّ بما لم
يسع في المسائل فليصرفه منها بخفى حنين ؛ ومن تمرد في معاملته فليرده بالقهر إلى
صالح مرده ، ومن عدا وعتا فليعامله بما يخرج من الترح لا من القرح من جلده ؛
مقدماً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا جزع ، مُستعيناً بالديوان فيما أهم ؛
فإن الله يزع بالسلطان ما لا يزع ؛ مجتهداً فيما يزيد تقدّم سعيه المشكور ، وصنعه
المبرور ، مُنيراً لآفاق منصبه وكيف لا وهو الشهاب بن أبي النور ؟ ؛ وتقوى
الله تعالى هي السبيل الأقوم فليكن لها منهاجا ، وليواظب على طريقة الحق : فكم
شر عنها حاد وكم خير منها جا ! .



توقيع بنظر السبيل بدرج الحجاز ، بالركب الشامي ، من إنشاء ابن نبأته ، كُتب به
للقاضي «قطب الدين السبكي» وهو :

رُسم بالأمر - لا زال يُقر بالوظائف الدينيّة من يُحبها ويُحبه ، ومن يتوارد على
ذِكْره بادي الشكر ورُكبه ، ومن إذا بدت مطالع الخير فهو نيره وإذا دار فللك الثناء
فهو قُطبه - أن يستقر ... : لما ذكر من وصفه الجميل ، وأستحقاقه الذي دلّ عليه

البرهان فى محفله وبرهن فى موكله الدليل ؛ وديانته التى هى لمبانى الأوصاف الرفيعة أساس ، وكفائه التى لها من نفسه نص ومن نفس قومه قياس ؛ ومرباه فى بيت تقي صحت تجارب معدنه على السبك ، و [دلت] مناقبه على استحفاق الرتب التى يقول بشيرها : فقا نبسىم ! ويقول حاسداها : فقا نكب ؛ ولما تقدم من تشوفه لهذه العزمة الناجحه ، وتشوفه من هذه المبرة الشريفة الصالحية بسلك تلك الفجاج الصالحه ؛ ولأن الضعف عاقه عن الماضى فأطلقته الآن هذه القوه ، وجعلت له بأوفى القادرين على الحسنات والإحسان أسوه ، ومكته فى هذه الشقة الطويلة على تحب أذبال المعروف من منزل الكسوة إلى منازل ذات الكسوة .

فليأشر هذه الوظيفة المبرورة بعزم بيير من الوجد ما كنه ، وحرز بيير من المدح المشكور كامنه ، وسمعة على السنة التذكار يمضى وتبقى حتى تكاد تكون للكواكب السبعة تامينه ؛ متصرفاً فى الإرفاد والإرفاق ، بآراء يؤيد الله [بها] الذين هم رفاق وأى رفاق ؛ منفقاً فى سبيل الله على يده أعدل إنفاق ، حامياً عدله من لفظة نفاق ؛ مخلصاً بإنعام الدولة الشريفة فى الفقر الماحل ، حاملاً للقطع على أنهض وأبرك الرواحل ؛ مواصلاً لنقل الأزواد إقامته ومسيره ، وبالماء والشرب الطيبين الطهورين ضعيفه وفقيره ، وبأنواع الأدوية والعقاقير التى نعم متابع الركب [و] عقيره ، وتجر على الحالين كسيره ، وبوفاء جميع المستحقين تالياً عن لسان الدولة الشريفة : (قل هذه سبيلي أذعوا إلى الله على بصيره) داعياً بخلود ملكها فى تلك المشاهد التى هى بقبول مصاعيد الدعوات وتزول مواعد البركات جديره ؛ والله تعالى يتقبل دعاه وسعيه ، ويحسن كلاءته ورعيه ، بمنه وكرمه ! .

(١) يريد مكبه ولكنه اضطره السجع الى موافقة العامة .

الصنف الثالث

(من التواقيع التي تُكتب لأرباب الوظائف بدمشق - ما يكتب لأرباب
الوظائف الديوانية، وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما يكتب لمن يحاضرة دمشق منهم ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ «الحمد لله» وفيها وظائف)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بكتابة الدست بدمشق ، كتب به لئاج الدين « عبد الوهاب »
ابن المتجا التنوخي ، عوضاً عن شمس الدين « محمد بن حميد » بالوفاة ، وهي :

الحمد لله الذي جعل تاج الأولياء أيما حل حلّ المراتب وزانها ، وغدا على التحقيق
كفأها ووزانها ، وألبسها من براعتيه وبراعته عقوداً ترزُر دُررها وجمانها ، ومنح
دستها العليّ من ألفاظها المجيدة بيانها ، وزادها بأصاليته نخاراً يستصحب وقتها
وزمانها ، وأرتقى ذروتها التي طالما زاد بالمعالى أركانها ، فنبواً بمزيد الحميد مكانها .

نحمده على نعمة التي أجزلت إحسانها ، وأجملت آميناتها ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تشهد القلوب إيمانها ، ويدخر القائل إلى يوم المخاف
أمانها ، ويتبوأ بها في الدار الآخرة من يخلص فيها جنانه جنانها ؛ ونشهد أن سيدنا
مجدداً عبده ورسوله الذي أظهر الله تعالى به الشريعة المطهرة وأبانها ، وشرف هذه
الأمة ورفع على جميع الأمم شأنها ، وبعثه رحمة إلى كافة الخلق فأقام بمعجزاته دليل

الهداية وبرهانها ، وأظفاً بنور إرشاده شرر الضلالة ونيرانها ؛ وأنعم بدينه القويم
وصراطه المستقيم معتقدات [طوائف] الشرك وأديانها ؛ صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه الذين ما منهم إلا من نزه نفسه النفيسة وصانها ، وسلك في خدمته وصحبته
الطريقة المثلى فأحسن أسرار أموره وإعلانها ، صلاة دائمة باقية محمد بالأجور
أقربانها ؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من جددنا رفعة تاجه ، وسددنا قوله في مجلس عدل ينشر فيه
بكلمة الحق ما أنطوى من أذراجه ، وحددنا له محل سفارة يلحظ فيه حوائج السائل
فيغنيه عن إلحاحه ولحاجه - من هو في السؤدد عريق ، ولسانه في الفضائل
طليق ، وقلمه حلّ الطروس بما يفوق زهر الرياض وهو لها شقيق ؛ وكان فلان
هو الذي علا تاجه مفريق الرأس ، وجلا وصفه صور المحاسن والنقاسه .

فرسم بالأمر العالى - لا زال يولى جيلا ، ويولى المناصب الجليلة جيلا - أن
يستقر المشار إليه في وظيفة توقيع الدست الشريف بالشام المحروس ، عوضاً عن فلان
بحكم وفاته إلى رحمة الله تعالى ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت .
فأبشّر ذلك مباشرة تُشكر مدى الزمان ، وتُحمد كل وقت وأوان ، ويُملأ بالأجور
لنا صُحفاً بما يُؤديه عنا من خير وإحسان ؛ والوصايا كثيرة وأهمها التقوى ، فليلازم
عليها في السر والنجوى ، والله تعالى يحرسه ويرطاه ، ويتولاه فيمن تولاه ،
والاعتماد



[وهذه نسخة] توقيع بنظر الخاص ، من إنشاء ابن نباتة ، كتب به للقاضي

«بهاء الدين بن ريان» ، وهى :

الحمد لله منلى رتب الأعيان ، ومبني أجباء السيادة على ممر الأحيان ، ومبدي
 "بهاء" المناصب ، بمن فضله الواضح والصبح سبان ، ومُنشى ثمرات المناقب ،
 في منابت أهلها حيث الفرع باسق والأصل "ريان" .

نحمده على أن يسر البيت المعلى بحسنه ، وأيقظ جفن الآمال من وسنه ؛ ونشهد
 أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تجمع لنا من خيري الدنيا والآخرة كرم
 المطلقين ، وشرف المنصبين ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله المشرق فضله
 على أهل المشرقين والمغربين ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين أصبح الثناء عليهم
 وقفا ، وأشتال الذكر عليهم عطفًا ، صلاة تضيء آفاق القبول بسمعة صبح لا تقط
 ولا تطفى ؛ وسلم .

أما بعد ، فإن للمناصب الدينية نسبة بيوت أهل الديانة ، ونخاص الرتب تعلقًا
 بالخاص من ذوى الكفاءة والأمانة ؛ والمنازل بكواكبها المتألقة ، والحدائق بمغاريبها
 المتأقمة ، ونفوس الديار بسكان معاهدها المتشوفة المتشوقه .

ولما كان الخاص الشريف والوقف المنصوري لوجه المناصب الشامية بمزلة
 حسن الشامتين ، ولرائد الخصب من جهتي الدنيا والآخرة بحمل نفع الغامتين ؛ هذا
 على صنح البر الممدود مقصور ، وهذا لسحاب الخير سفاح لأنهر جهة لـ «المنصور» ؛
 يعلو هذا بالنظر في دقائقه إلى أعلى الدرج ، ويتلو هذا بلسان ميزانه المتفق على
 المارستان : (ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
 حرج) - لا يلبق الجمع بين رتبتيهما إلا لمن يجمع بسعفه فضل الدارين ، ومن يجيد
 بنان قلمه الحلبي حلب ضرعيهما الدارين ؛ ومن نشأ في بيت سعادة أذن الله لقدره
 أن يرفع ، وأقلام بيته أن تنفع ، ولحاسن ذويه أن تشفع بجمالها إلى قلوب الأولياء
 فشفع ؛ ومن يسر برواية فضله وبرؤيته السمع والعين ، ومن يفترض شرفه وشرف

إخاياه حُبَّ «الحسن» و«الحسين» ؛ ومن تَبَهَّجُ جوانحُ المحاربِ بتعبده ، وتلهَّجُ
 أنسنهُ مصابيحُ المساجدِ بالثناءِ على تَرُدِّده وتَوُدِّده ، وتَسْتَبِقُ جِياذُ عِزِّمه : فيدينا
 الكُتَيْتُ في الشَّهْبَاءِ تَابِعُ أَدِيهِ إِذَا بَانَ أَذْمَمَ رَسِيلُ تَرْهَدِهِ ؛ ومن تقولُ مناصِبُ
 حَلَبَ : لَلَّهِ دَرُّ بَهَايِهِ الْمُقْتَبَلِ ! ؛ ومن يَنْشُدُ ثَبَاتُ وَقَارِهِ مَعَ لَطَافَةِ خُلُقِهِ : «يَا حَبْدَا جَبَلُ
 الرَّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ» ! ؛ ومن تَنْفَحُ أَخْبَارُهُ مَنَافِخَ الْأَزْهَارِ ، ومن يَشْهَدُ بِقَضَائِهِ جَيْشُ
 الْمِحْرَابِ فِي اللَّيْلِ وَبِمِشْرَتِهِ جَيْشُ الْحَرْبِ فِي النَّهَارِ ؛ ومن تَأْسَى بِلَدَّةٍ فَارَقَهَا فِرَاقَ الْعَيْنِ
 لِلْوَسَنِ ، ومن يَرَوِي صَامِتُ دِمَشْقٍ وَغَيْرِهَا مِنْ تَدْبِيرِهِ عَنِ «عَامِرٍ» وَعَنِ «حَسَنِ» .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال من ألقابه الشريفة صالح المؤمنين ، وعماد
 الداعين لدولته الفاهرة والمؤمنين - أن يفوض للجناب العالی فإنه المعنى بهذه
 الأوصاف المتقدمة ، والمقصود بإفاضة حللها المعلمة ؛ والموصوف الذي يحلو وصفه
 إذا كُرِّرَ ، وَيَسْتَعِيدُ الْأَوْصَافَ وَالْأَسْمَاعَ إِذَا حُرِّرَ ، وَالْأَحَقُّ بِرَبِّيَّةِ عِزِّ فِي النَّظَارِ
 مَضَى وَأَبْقَى ثَنَاءَهُ ، وَمَكَانِ نَظَرٍ إِنْ لَمْ يُقَلِّ الدِّعَاءُ الْيَوْمَ : أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ ! قَالَ :
 أَدَامَ اللَّهُ بِهَاءَهُ ؛ وَاللَّائِقُ بِتَقْرِيرِ مَنْصِبٍ تَقْصُرُ دُونَهُ الْمَطَامِعُ ، وَتَصْدِيرِ دِيْوَانٍ إِنْ
 انْقَطَعَتْ رِوَايَتُهُ عَنِ «حَمْزَةَ» فَقَدْ آتَصَلَتْ رِوَايَتُهُ عَنِ «نَافِعٍ» .

فليباشر هذين المنصبين المنجيين ، مجتهداً في مصالح الخاص الشريف ، والوقف
 الذي لا تحتاج همته فيه إلى توقيف ؛ حتى يكون خيراً لخاص عاماً ، وأمر الوقف
 تاماً ؛ ورعيهما بالبركات خير محفوف ، والمنصوري من جهة المعاوضة قد أضحى وهو
 بالعُضْدَيْنِ موصوف .

والوصايا متعددة وهو أدرى وأدرب بها ، وتقوى الله تعالى أولى وصية تمسك
 المرء بسببها ، وشكر النعمة أدل على نيته همم الرجال وعلى فضل مهادتها ؛ والله تعالى
 يسدّد قلمه ، ويثبت في مطالع العزّ قده ؛ بمنه وكرمه ! .



توقيع بنظر الخزانة العالسة، من إنشاء ابن نباتة، كُتب به للقاضي «تقي الدين
ابن أبي الطيب» بـ«الجناب العالی» وهو :

الحمد لله الذي له خزائن السموات والأرض، وبِحِكْمَتِهِ يَهَبُ مِنْهَا مَا يَشَاءُ لِمَنْ يَشَاءُ
رَضِيَ الْمُعَانِدُ أَمْ لَمْ يَرْضَ، وَبِمَتِّهِ فَضَّلَتْ مَرَاتِبُ أَهْلِ الثَّقَلِ عَلَى الرَّتَبِ كَمَا فَضَّلَ عَلَى
النَّافِلَةِ الْقَرَضَ، وَبِعِنَايَتِهِ بُنِيَتْ بِيُوتُ أَهْلِ السِّيَادَةِ عَلَى الطُّولِ وَبِقِي صَالِحِ عَمَلِهِمْ
إِلَى الْعَرَضِ، وَبِهَدَايَتِهِ سَمَا إِلَى أَعْلَى الْخَزَائِنِ مِنْ تَقْرِضِهَا أَوْصَافَ قَلْبِهِ وَقَلَمَ أَبِيهِ
أَحْسَنَ الْقَرَضِ .

نحمده على ما منح من خزائن فضله، ونشكره والشكر ضامن المزيدي لأهله؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة يدبرها الإنسان لنيته وقوله وفعله،
ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي جمع بفضله وفرق ببذله، وأعطى ما لم تتطو
ضمائر الأيكاس في صدور الخزائن على مثله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
السالكين سنن فضيلته وفضله، التابعين في الكرم والبأس قياس بيانه ونص نصه؛
ما أطلعت خزانة الوشمي آثار نقيط الغيث كالدرهم، وخلعت على الدنيا خلع الروض
مقلنسة بمستدير الظلال مزرورة بمعقود الكائم؛ وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن الرتب ذخائر قوم في خزائن الاختيار، وأخير أهل تزكو نقود شميمهم
على محك الاعتناء والاعتبار، وفروع خليف تظهر مظاهر نصولها الزكية سابعة الظل
رائقة الزهر فائقة الثمار؛ إذا احتيج منهم إلى ذخيرة نفعت، وإلى أخير وقت أربى
على عزائم الأول وما صنعت، وإلى فروع شجرة سرت محامدها الضائعة: لا مما
ضاعت بل مما تَصَوَّغَتْ .

ولما كانت رتبة نظير الخزانة العالية بدمشق المحروسة أحقّ بمن هذا وصفه ،
وهذا نعته في مقدمة الذكر الجميل وهذا إليه عطفه ؛ إذ هي مرتبة العلياء ومكانها ،
وزهرة سماء الملكة وميزانها ؛ ومنشأ غيوث صلاحها الهامره ، ومنبت رياض
خالعها الزاهره ؛ وأفق السعادة ومطلع نجمها المنير ، وجنة أولياء الدولة وليباسهم فيها
حرير ؛ ومعنى شرف الأكتساء والاكتساب ، وماوى الفاضل - والحمد لله - الذى
يحفظها التحصيل بحساب ويعطيها الجود بغير حساب .

وكان الجنب ... (١) ... ممن تضم أعطافه أنوار السعادة ، وتحتف أطرافه و ... (١)
السياده ، وتثقل جلسته : إما من تنفيذ الديوان لمرتبة وإما من تدريس العلم
لسجاده ؛ ذو الفضل والفضائل حسن التجنيس والتطبيق ، والكتابة : من حساب
وإنشاء زاكية التشر على التعليق ؛ ونفحات البر من نفحات العيش أجود ، والشبيبة
فيها النهى فكانه كما قال البحرى : نسب أسود ؛ والهيم التى حاولت منال الشهب
المتنعة ولات حين مناص ، والكلمة التى لو عاين « البصرى » فرائد تحورها لقال :
كل هذه ذرة الغواص ، والعزائم التى رامت المناصب فما قبلت من خزائنها سوى
الرقيق وما رصيت من ديوانها سوى الخصاص ؛ كم نبهت منه المقاصد « عمر »
ثم نامت ! ، وكم أجلسه كواكب اليمن فى صدر محفل ثم قامت ! ؛ كم حوى من
الحمد سديا ! ، وملا الرباع خيرا وفيا ! ، وقبض الله للفقراء والأيتام حنانا من لدنه
وزكاة وكان تقيا .

(١) بياض بالأصل فى الموضعين .

(٢) أخذه من بيت بشار :

إذا أيقظتك حروب العدا * فبسه لها عمرا ثم

يريد عمر بن العلاء أحد عمال المهدي وكان على طبرستان .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا بَرَحَ صَالِحِ الدهرِ كَالزَّهْرِ ، مَالِكَ نُفُوسِ
الأولياءِ والأعداءِ : هَاتِيكَ بِالْإِنْعَامِ وَهَاتِيكَ بِالْقَهْرِ - أَنْ يَفُوضَ إِلَيْهِ نَظْرُ الخِزَانَةِ
العالية مُضَافًا إِلَى مَا بِيَدِهِ مِنْ نَظَرِ الخَاصِّ الشَّرِيفِ : لِأَنَّ مِثْلَهُ لَا يُصْرَفُ عَنْ وَظِيفَةِ
بَسَنَاهُ تَعْتَرَفَ ، وَمِنْ نَدَاهُ تَعْتَرِفَ ، وَأَنَّ اجْتِمَاعَ العَدْلِ والمَعْرِفَةِ قَاضٍ بِأَنَّ «عُمَرَ»
لَا يَنْصَرِفُ ؛ وَأَنَّ الخَاصَّ لِخَاصِّ الأولياءِ أَمْسُ مَكَانِهِ ، وَأَنَّ الخِزَانَةَ أَنْسَبُ بِنِ
عُرْفِ بالصِّيَانَةِ ؛ وَأَنَّ خَزَائِنَ الأَرْضِ وَهِيَ مِصْرُ لَوْ نَطَقَ نَظِيرُهَا لِقَالَ : لَيْسَ لِي مِثْلُ
هَذِهِ الخِزَانَةِ ؛ وَأَنَّ عَيْنَ الأَعْيَانِ أَوْلَى بالنَّظَرِ ، وَأَنَّ الأنظَارَ لَا بِلِ الصَّحَابَةِ أَحَقُّ
بِ«عُمَرَ» ؛ لِمَا عَلِمَ مِنْ سِيرَتِهِ النَّقِيَّةِ ، وَسِرْرِيَةِ التَّقِيهِ ، وَصِفَاتِهِ الَّتِي يَمْتَدُّ فِيهَا نَفْسُ
القَوْلِ حَتَّى يَنْقَطِعَ فِي الأَوْصَافِ بَعْدُ بَقِيَّةً وَبَقِيَّةً .

فليباشر ما فوض إليه من أعلى المراتب المنجبات، والوظائف المعجبات المعشبات،
والجهات التي مالها كنيته الطيبي : والطيبون للطيبات ؛ مستجداً من نظر هذه
الخزانة ثوب سعده الحديد، مغملاً في مصارف الذهب والفضة بصر آرائه الحديد؛
منها لها عزمه العمري ونعم من ينبهه ، مشبهاً في الكفاءة أباه المرحوم وما ظلم من
أشبهه ؛ مقررًا من أحوالها أحسن مقرر ، محرراً من أمورها أولى ما أعتد والخزانه
أولى بالمحرر؛ حافظًا لما لها بقلم التحصيل حتى ينفذ قلم الإطلاق، صائناً لو فرها حتى
ينفقه الكرم خشية الإمساك بعد ما أمسكه الصون خشية الإنفاق ؛ مستدعياً من
أصنافها كل ما توع وتصف ، وتوشع وتقف ، مثبتاً كل ما خلع من ديوانها العزيز
وتخلف ؛ مؤلفاً للكساوى^(١) في رحلة كل صيف وشتوه ، مواصلاً للأعمال من دمشق
على كل حال من جهة الكسوه ؛ منبهاً لإنعامها بقلم الإطلاق التأم ، متلقفاً بعصا قلمه
في يده البيضاء ما تأفك عصا الأفلام ، حريصاً على أن يكون أبها في الكرم كما يقال :

(١) لم يرد هذا الجمع فينا بأيدينا من كتب اللغة . والظاهر أنه جاري العامة في استعمالهم .

«سَهْلُ الْمَجَابِ مُؤَدَّبُ الْخُدَامِ» ؛ غاملاً بِتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بِهَا يُبْدَأُ الذِّكْرُ الْجَمِيلُ
وَيُخْتَمُ ، وَيُلْبَسُ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ رِدَاءُ الْخَيْرِ الْمُعْلَمِ ، غَنِيًّا عَنْ تَبْيِينِ بَقَايَا الْوَصَايَا
الَّتِي هُوَ فِيهَا بَحْرٌ ، وَأَبْنُ بَحْرِ بِحَابِ «الْبَيَانِ وَالتَّبْيِينِ» أَعْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَمُدُّهُ بِفَضْلِهِ ،
وَيَحْفَظُهُ عَلَيْهِ الْفَضْلُ الَّذِي هُوَ مِنْ أَهْلِهِ ؛ وَيَمَلَأُ أَمَالَهُ بِغَمَامِ الْخَيْرِ الصَّيِّبِ . وَيُدِيمُ
سَعَادَةَ بَيْتِهِ الَّذِي لَا يَرْفَعُ الشُّكْرَ لَطِيئِهِ إِلَّا الْكَلِمُ الطَّيِّبُ .

المرتبة الثانية

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق - مايفتتح «أما بعد حمد الله»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

[نسخة] توقيع بنظر الأشرى ونظر الأسوار، كُتِبَ بِهَا لِدَوَادَارِ الْأَمِيرِ «سُودُونَ
الطرنطاي» كَافِلِ الشَّامِ ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ فِي الْأَصْلِ دِيْوَانِيَّةً أَوْ دِينِيَّةً ، وَهِيَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي خَصَّ أَوْلِيَاءَهُ بِفَضْلِهِ الْوَافِرِ ، وَعَمَّمَهُمْ بِحُسْنِ نَظَرِهِ فَأَشْرَقَ
صُبْحُ صَبَاحِهِمْ السَّافِرِ ، وَأَتَتْضَى مِنْ عَزَائِمِهِمْ لِنُصْرَةِ الدِّينِ سَيْفًا يَسُرُّ الْمُؤْمِنَ وَيَغِيظُ
الْكَافِرَ ، وَأَجْتَبَى مِنَ الْكُفَّاءِ مَنْ يَسِيدُ مَعَاقِلَ الْإِسْلَامِ بِفَضْلِهِ الْمُنْتَظَرِ ؛ وَالصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ الْأَتَمِّينِ الْأَكْبَلِينَ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي أَضَاءَ بَرَسَاتِهِ الْوُجُودَ ، وَخَصَّصَهُ اللَّهُ
تَعَالَى بِالصِّفَاتِ الْفَائِقَةِ وَالْمَأَثَرِ الْحَسَنَةِ وَالْجُودِ ؛ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ حَرَسُوا الْمِلَّةَ
الْحَقِيقِيَّةَ مِنْ جِهَادِهِمْ بِأَمْنِ سُورٍ ، وَأَوْهَنُوا جَانِبَ الْكُفْرِ وَأَنْقَذُوا الْأَسِيرَ وَجَبَرُوا
الْمَكْسُورَ ؛ صَلَاةً دَائِمَةً مَدَى الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ ، مُعَلِّمَةً لِلْأَوْلِيَاءِ عِلْمَ النَّصْرِ الْمُنْشُورِ -
فَإِنَّ أَوْلَى مَنْ صَدَقْنَا بِهِ الْمَنَاصِبَ السَّيِّئَةَ ، وَفَوَّضْنَا إِلَيْهِ جَلِيلَ الْوُضَائِفِ الدِّينِيَّةِ ؛

وَنُطْنَا بِهِ فَكَ رَقَبَةِ الْمُسْلِمِ مِنْ أَمِيرِهِ ، وَخَلَّصَهُ مِنْ عَدُوِّهِ الَّذِي لَا يَرِي لِمُسْكِنَتِهِ
وَلَا يَرِي لِكَمِيرِهِ ؛ وَأَجْرَيْنَا قَلَمَهُ بِبَدْلِ الْفِدَاءِ ، وَجَعَلْنَا مِدَادَهُ دِرْيَاقًا لِمَرِيضِ الْأَمِيرِ
الَّذِي يَعْدِلُ أَلْفَ دَاءٍ ، وَأَقْمَنَاهُ لِلْعَائِي مِنْ شَرِّكَ الشَّرِّكَ مُنْقِذًا ، وَلِلدَّافِعِ فِي بَيْدَاءِ الْعِدَا
بِحُسْنِ إِعَانَتِهِ مُنْجِدًا ، وَلِلْأَسْوَارِ الْمُتَمَنِّعَةِ بِجَمِيلِ نَظَرِهِ مُتَفَقِّدًا - مِنْ أَصْحَى فَضْلُهُ
ظَاهِرًا ، وَجَلَالُهُ بَاهِرًا ، وَخِلَالُهُ مَوْصُوفَةٌ بِالْمَحَاسِنِ أَوْلَا وَأَحْرًا .

وكان فلان هو الذي بهرت مآثره الأبصار وملأت الأسماع ، وأنعمت على
تفرده في عصره بالمفاجرة كلمة الإجماع ، وسارت الرُجبان بذكره الذي طاب وجوده
الذي شاع ؛ وصفت سيرته ، فأصْحَى جميل الإعلان ، وحُمدت سفارته ، فكانت
عاقبة كلِّ صعبٍ بركتها أنْ لَانَ .

فلذلك رُسم بالأمر العالی - لازل يُولِي جمیلا ، و یُوَلِّی فی الوظائف جلیلا -
أن يستقرَّ المشارُ إليه في وظيفتي نظير الأسرى والأسوار بدمشق المحروسة ، على
أجمل عادة ، وأكل قاعدة ، بالمعلوم الشاهد به ديوان الوقف المبرور إلى آخر
وقت : وضعًا للشيء في محله ، وتفويضًا لجميل النظر إلى أهله .

فليباشِرْ ذلك مباشرة تسرُّ النفوس ، وتزیدُ بها الغلال وتزكو بها الغروس ؛ وليجْرِ
أحوال الوقف المبرور على مقتضى شرط الواقف والشرع الشريف ، وليتصرف
في تحصيل المال وإنفاقه أحسن تصريف ؛ وليجتهد على تخليص المأسور ، وإغاثة
من ضرب بينه وبينه بسور ؛ ويسارع إلى تشييد الأسوار المتنعة ، وإتقان تحصينها ؛
ليتضاعف لمن حوته من الأمن والدعة ؛ والوصايا كثيرة وملاكمها تقوى الله تعالى
وسلوك صراط الحق المستقيم : فليواظب عليها ، وليصرف وجه عناية إليها ؛ والله
تعالى يديم علاه ، ويتولاه فيما تولاه ؛ بمنه وكرمه .



تَوْفِيعُ بِصَحَابَةِ دِيوانِ الْأَسْرَى ، من إنشاءِ آبنِ نُباتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي شَرَفِ
الدِّينِ «سالم بن القَلَّاسِي» ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي جَدَّدَ بِطَالِعِ الشَّرْفِ قَوَاعِدَ بَيْتِ السِّيَادَةِ ، وَمَشَاهِدَ حَوَكِ
السَّعَادَةِ ، وَمَصَاعِدَ ذُرَا الْأَقْلَامِ الَّتِي قَسَمْتُ مَجَانِي قَصَبِهَا لِلإِفَاءَةِ وَالإِفَادَةِ ، وَمَعَاهِدَ
الْقَوْمِ الَّذِينَ سَلَكَوا مَسَالِكَ سَلَفِهِمُ الْحُسْنَى : وَلَوْ كَانَ التَّمَامُ يَقْبَلُ هُنَا مَرِيدًا قِيلَ :
وَزِيَادَهُ . وَالصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ عَلَيَّ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ الَّذِي شَدَّ اللَّهُ بِرِسالَتِهِ أَرْزاقَ الْحَقِّ وَشَادَهُ ،
وعلى آلِهِ وَصَحْبِهِ ذَوِي الْأَقْدَارِ الْمُستَرَادَةِ الْمُستَجَادَةِ ، مَا اتَّصَلَ بِمُحَدِّثِ الْفَضْلِ سَنَدُهُ
وَأَمِنَ بَيْتُ التَّقْوَى سِنَادَهُ - فَإِنَّ الْبُيُوتَ الْمُنتَظِمَةَ نَخَارُهَا ، الْمَأْمُونَةَ مِنْ عَرَضِ الْأَيَّامِ
زِحَافُهَا وَأَنْكِسَارُهَا ؛ أَوْلَى بَأَنٍ تَنْتَخِبُ لَهُمُ الْمَنَاصِبُ كَمَا تُنْتَخَبُ لِلْبُيُوتِ الْمَعَانِي ،
وَتُسْتَقْرَى الْوُظَائِفُ الْعَلِيَّةُ كَمَا تُسْتَقْرَى الْمَوَاضِعُ كَلِمَاتُ الْمَبَانِي ؛ وَتُخْتَارُ لِنَجْلِ الْأَصْحَابِ (؟)
بَيْنَهُمْ كُلِّ جِهَةٍ مَأْمُونَةُ الصَّحَابَةِ ، مَوْقُورَةُ السَّحَابَةِ ، مَجْرُورَةُ ذَيْلِ الْخَيْرَاتِ السَّحَابَةِ ؛
مَصُونَةُ عَنْ غَيْرِ الْأَكْفَاءِ كَمَا يُصَانُ لِلْجِهَاتِ مُجِيبًا ، لِإِنِّي بِالْأَفْضَلِ لِأَنَّ الْأَوْقَافَ
الْأَسْرَى بِالْفَاضِلِ نَسْبًا .

فَلذَلِكَ رُسمُ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَرْتَبَّ فِي كَذَا : عَلِمًا بِأَنَّهُ الرَّئِيسُ الَّذِي إِذَا وُلِيَ
وُظِيفَةً كَفَّاهَا ، وَإِذَا وَعَدَهَا بِصَلَاحِ التَّنْذِيرِ وَفَاهَا وَقَاهَا ، وَإِذَا وَصَلَ نَسَبَهَا بِنَسَبِهِ
كَانَ مِنْ إِخْوَانِ صَفَائِهَا لَا مِنْ إِخْوَانِ صَفَاهَا ؛ وَالخَبِيرُ الَّذِي آسْتَوْضَحَ بِمُنِّ الرَّأْيِ
مَذَاهِبَهُ وَمَسَالِكَهُ ، وَالْعَالِمُ الَّذِي إِذَا مَشَى الْأُمُورَ بِسَطِّ جَنَاحِ الرَّفْقِ وَإِذَا مَشَى بِسَطِّ
لَهُ أَجْنَحَتِهَا الْمَلَائِكَةُ ؛ وَالْجَلِيلُ الَّذِي إِذَا نَظَرَ ذَهْنُهُ فِي الْمَشْكَلاتِ دَقَّقَ ، وَالْكَاتِبُ
الَّذِي تَعَيَّنَتْ أَقْلَامُ عَلَيْهِ وَكَفَاءَتُهُ إِلَّا أَنْ كَلَّمَهَا فِي الْفَضْلِ مُحَقِّقٌ ؛ هَذَا وَحَطَّ عِذارَهُ
مَا كَتَبَ فِي الْخَلْدِ حَوَاشِيَهُ ، وَلَيْلُ صِبَاهُ مَا اكْتَمَلَ ! فَكَيْفَ إِذَا أَطْلَعَتْ كَوَاكِبُ

المشيب دياجييه؛ وكيف لا؟ وأبوه - أعلى الله تعالى جده - صاحبُ المجد الأصيل،
والفضل الأصيل، ووكيل السلطنة الذي إذا تأملت محاسنه قالت: حسبنا الله
ونعم الوكيل .

فليأشر هذه الوظيفة برأي يسهل - بمشيئة الله - عسيرها، ويفك - بعون الله -
أسيرها؛ واجتهاد سني يحسن قلمه في الأمور مسرى، وأعتقاد سري لا يرى ديوان
أسرى منه أسرى؛ مشيها أباه في عدله ومن أشبه أباه فما ظلم، وتوقد رأيه لدى
طود حليم وعلم «فيا لك من نار على علم!»؛ حتى يأمن ديوان مباشرته من ظلم الظالم،
ويشعل ذكاه حتى يقال: عجباً للشعل نارا وهو سالم!؛ ويشمر مال الجهة بتدييره،
ويشترك لفظ إطلاق الديوان في ماله وأسيره، وتنتقل الأسرى من ركوب الأدهام
إلى ركوب الشهب والحمر من دراهمه ودنائيره؛ ويحمد على الإطلاق، وينفق خشية
الإسك إذا أمسك [غيره] خشية الإنفاق؛ ويمشي بتقوى الله - عز وجل - في الطريق
الأحجب، ويُنسب إلى ديوانه وقومه فيقال: صاحب طاماً أنتسب من سلفه
لصاحب؛ والله تعالى يُججج لكواكب رأيه مسيرا، ويَجبر به من ضعيف الحال كسيرا،
ويكافي سادات بيته الذين (يُطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا) .

المرتبة الثالثة

(من تواقع أرباب الوظائف الديوانية بحاضرة دمشق -

ما يُفتح به «رسم بالأمر الشريف»)

وهذه نسخ تواقع من ذلك :

نسخة توقيع من إنشاء ابن نبأته ، كُتب به للقاضي

«علاء الدين بن شرف الدين بن الشهاب محمود» عند موت أبيه وهو صغير، وهي :

(١) يياض في الأصل ولعله « توقيع بكتابة السر » .

رُسم بالأمر الشريف - لا زال يَجْبُرُ بِرَهُ مُصَابَ الأبناءِ بأبائهم ، وَيَسُرُّهم بما
يَجَدُّدُ في كواكب الشرف من علائهم ، وَيُعَيِّقُ قُلُوبَهُم من إِسَارِ الحزنِ حتَّى يَنشُؤوا
من الصغر على أنساب عفتهم وولائهم - أن يستقر اعتماداً على نجاته الشاهده ،
وخيال همته السائده ، واستناداً إلى أصالته التي لا يُبدى فرعها إلا زكى الثمر ،
ولا يهتدى بحرّها إلا أنفس الدرر ، ولا يخلف أفتها إلا كبيراً تستصغر الأبصار
رؤيته : والدنّب للطرف لا للكوكب في الصغر ؛ وعلماً أنه من أسرة شهابية لا يهتدى
في الإنشاء إلا بنورهم ، ولا يُسَدُّ بالعجائب إلا عن بحورهم ؛ ولا يُنبئ أفلام
البلاغة إلا عشبهم ، ولا تُعشِب روضات الصحائف إلا شجوبهم ، ولا تُثبت أفلاك
الكتابة إلا كُتُبهم ؛ صغيرهم في صدور الإنشاء كبير ، ومُلقن آيات فضيلهم يروى
أعداد الفوائد عن « ابن كثير » ، وعليهم بعد « أبي بكر » تقول المحامد لسلفه
وخلفه : منّا أميرٌ ومنكم أمير ؛ وأنه اليوم لا سيف إلا « ذو الفقار » من أذهانهم ،
ولا قتي إلا « علي » من ولدانهم ؛ وأن فرخ البطل ساجح ، وسعد القوم للانداد ذابح ؛
وخواتم صُحف الجمع الظاهر أشبه بالفوائح ، والبلاغة في الدنيا كنوز والأفلام
في أيديهم مفاتيح ؛ وأت الكلام حليته وسمته ^(١) ، وأنه إذا خدم دولةً بعد مُخلّفه قيل
للذاهب : لقد أوحشنا وجهه وللقادم : لقد آنسنا خدمته .

فليأخذ في هذه الوظيفة بقوة كتابه ، وليتناول باليمن واليمين قلم جده كما تناول
رأية مجده عرابه ؛ وليتقلّد بقلاند هذه النعم عقيب ما نزع التمام ، وليجهد في إمرار
كلمه الخلو الذي أول سماه فطر ثم صوب الغمام ؛ مجوداً خطه ولفظه حتّى تتناسب
عقده ، ناشئاً على كتم السرّ حتّى كأنّ الفؤاد قبره والجنب لحدّه ؛ مهتدياً بالعلم الشهابي
في برّ أخيه الأكبر فإنّه من بوارق المزن ، مُبتدياً مع أخيه الآخر السرور إذ يترعرع

(١) في الأصل هكذا " وأن الكلا محلهم " .

عنهما لباسهما من الحزن ، والله تعالى يزيد في فضله ، ويؤتم عليه النعمة كما أتمها على
أبيه من قبله ، ويفقهه في السيادة حتى يُحسِنَ في الفخار ردة الفرع إلى أصله .



توقيع بنظر مطابخ السكر ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به للقاضي « شرف الدين
ابن عمرون » وهو :

رُسم ... لا زالت سمة المناصب في دولته الشريفة مشرفة ، وأقلام الكفاة
مُصرفة ، وألفاظ الشكر ثابتة عند ذوى الاستحقاق ومصنفة ، والنماء المنصفة
لأمثالهم حلوة المذاقين من فوج ومن صفة - أن يستقر ... لما عُرف من
شيمه المستجاده ، وهممه المستراده ، وكفاءته اللائق بها حُسن النظر الثابت بفضائها
رقم الشهاده ، وأصاليته التي نهض أولها بمهمات الدول فلوراه معاوية - رضى الله
عنه - لقال : يا عمرون أنت عمرو وزياده ، وليا ألف من مباشرته المنيصة خيرا
وخبرا ، وأنظاره السامية إلى معالى الأمور نظرا ، ووظائفه التي لا يكاد يبلغ العشر
منهاذو والهيم العلية ، وجهاته التي عُرف بها سلفه وحلفه فلا غرو أن ليس عمامة
مفاحره بيضاء وسكريه .

فليباشر هذه الوظيفة الحلوة معنى ومدافا ، الحليسة عقدا ونطاقا ، المحسوبة على
مطالع الشرف وفقا وآفاقا ، جاعلا شكر النعمة من أوفى وأوفر مزاياه ، وصَلَفَ الهمة
من أولى وأول وصاياه ، حافظا للطبايح وإن كان عادة آباؤه بدؤها ، مدنحرا للجيفان
وإن كانت سمة قراهم إزالتها ونقلها ، حريصا على أن لا يجعل لأيدي الأقلام الخائنة
مطمحا ، وعلى أن ينشد كل يوم للتبذير لا للتبذير .

* [لنا] الحففات الغريبات في الضحى *

مُحَرَّرًا لِحَسَابِ دِرْهَمِهَا وَمَجْمُوعًا ، وَمَصْرُوفًا وَمَحْصُولًا ؛ مُحْتَرِّزًا عَلَى مُبَاشَرَتِهِ
 مِنَ الْخَلَلِ فِي هَذَيْنِ الْمَكَانَيْنِ ، حَذِيرًا مِنْ كِفَّتِهَا وَقَبَائِنِهَا فَإِنَّهَا تَتَكَلَّمُ فِي الْحَمْدِ أَوْ فِي الذَّمِّ
 بِلِسَانَيْنِ ؛ بَلْ تُعَلِّنُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحَمْدِهِ الْمُقَرَّرَ ، وَتُكْرِّرُ الْأَحَادِيثَ الْحَلُوءَةَ عَنْهُ فَمَنْ
 عِنْدَهَا نَجَحَ حَدِيثُ الْحُلُوبِ الْمَكْرُوبِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَدِّدُ مَسَاعِيَهُ بِالنُّجُوحِ الْوَفِيِّ ، وَيُلْهِمُ هِمَّتَهُ
 أَنْ تُنْشِدَ : « مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالتَّقْصَانَ مِنْ شَرَفِي ! » .



تَوْقِيعُ بِنَظَرِ دَارِ الطَّرَازِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَتْ سِيْرُهُ بِمَرْقُومِ الْحَامِدِ مُطَرَّرَهُ ، وَدَوْلَتُهُ بِمَحَاسِنِ التَّائِيدِ وَالتَّائِيدِ
 مُعَزَّرَهُ ، وَنِعْمُهُ وَنِقْمُهُ : هَذِهِ عَلَى الْأَعْدَاءِ مُجْهِزَةٌ وَهَذِهِ إِلَى الْأَوْلِيَاءِ مُجْهِزَةٌ - أَنْ يَرْتَبَ
 فَلَانٌ : لِكِتَابَتِهِ الَّتِي رَقَمَتِ الطُّرُوسَ ، وَطَرَزَتْ بِالظُّلْمَاءِ أُرْدِيَةَ الشُّمُوسِ ، وَأَثْمَرَتْ
 أَقْلَامُهُ بِمَحَاسِنِ التَّضْيِيرِ فَكَانَتْ فِي جِهَاتِ الدُّوَلِ نِعْمَ الْغُرُوسِ ؛ وَحِسَابِهِ الَّذِي نَاقَشَ
 وَنَقَشَ ، وَرَقَمَ الْأُورَاقَ وَرَقَشَ ؛ وَأَعْتَرَاهُ الَّذِي عَلَّمَ رَشْدًا ، وَسَلَكَ طَرِيقًا فِي الْخِدْمَةِ
 جَدِّدًا ، وَقَوِيَ آسَمُهُ وَتَكَاثَرَتْ أَوْصَافُهُ فَمَا كَانَ مِنْ أُنْدَادِهِ أَضْعَفَ نَاصِرًا وَأَقْلَّ عَدَدًا ؛
 وَأَنَّهُ الْكَافِي الَّذِي إِذَا قَدَّمَ نَهَضَ ، وَإِذَا سَدَّدَ سَهْمَ قَلَمِهِ أَصَابَ الْغَرَضَ ؛ وَالسَّامِي
 إِلَى سَمَاءِ رُبِّيهِ بِالْقَلْبِ وَالطَّرْفِ ، وَالْمُتَزَهُ لِقَلَمِهِ الْحُرِّ مِنْ أَنْ يَسْتَعْبِدَ عَلَى حَرْفٍ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوَضِيفَةَ بِكَفَاءَةٍ عَلَيْهَا الْمُعْوَلِ ، وَأَقْلَامِ إِذَا تَمَشَّتْ فِي دَارِ الطَّرَازِ عَلَى
 الْوَرَقِ قِيلَ : « شُمُّ الْأَنْوَفِ مِنَ الطَّرَازِ الْأَوَّلِ » ؛ مُسْتَدْعِيًا لِأَصْنَافِهَا وَمَالِهَا ، عَادِلًا
 فِي قِسْمَةِ رَجَائِهَا وَرِجَالِهَا ؛ مُعْمِلًا رَاحَتَهُ بِالْقَلَمِ فَإِنَّ كِتَابَتَهَا مُتَّبِعَةٌ ، مُهْتَدِيًا فِي طُرُقِ
 حَسَابِهَا فَإِنَّهَا طَرُقٌ مُتَشَعِّبَةٌ ؛ مَاشِيًا عَلَى نَهْجِ الْإِحْتِرَازِ ، سَاعِيًا إِلَى الرُّتَبِ بِإِرْهَافِ
 عَزْمِ كَالسَّيْفِ الْجُرَّازِ ، سَعِيدَ السَّعْيِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى - حَتَّى يَقُولَ سَنَاءُ الْمَلِكِ

المُسْتَبْصِرُ لَهُ : هَذَا الْقَاضِي السَّعِيدُ وَهَذِهِ دَارُ الطَّرَازِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُوقِّفُهُ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ ، وَيُؤَيِّدُ مَسَاعِيَ قَلَمِهِ الَّذِي تَنْسِجُ أَقْلَامُ الكُفَّاءِ عَلَى مَنْوَالِهِ .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الرَّبَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ صَاحِحِ الدِّينِ الصَّفَدِيِّ ، بِاسْمِ الْقَاضِي نَجْمِ الدِّينِ «أَحْمَدُ بْنُ نَجْمِ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الطَّيِّبِ» ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لِأَزَالِ نَجْمِ أَوْلِيَانِهِ يَتَّقِدُ نُورًا ، وَخَاطِرُ أَوْلِيَانِهِ يَتَّحِدُ بِالْأَمَالِ سُورُوا - أَنْ يَرْتَبِ الْمَجْلِسَ السَّامِيَ الْقَضَائِي - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى صُلُوءَهُ - فِي نَظَرِ الرَّبَاعِ الدِّيَوَانِيَّةِ ، وَمَبَاشِرَةِ الْإِيْتَامِ - حَرَمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى - عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الَّذِي يَشْهَدُ بِهِ الدِّيَوَانَ الْمَعْمُورَ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : لِأَنَّهُ التَّجْمُّ الَّذِي بَزَّغَ فِي أَفُقِ الرَّأْسِ ، وَجَمَلٌ مَا آتَرَهُ قَبِيلُهُ وَأَنَاسَهُ ؛ وَالْأَصِيلُ الَّذِي شَادَ الْفَضْلُ تَجَدَّهُ ، وَأَحْكَمُ الْفَخْرُ عَقَدَهُ ؛ وَالرَّيْسُ الَّذِي يَصْدُقُ التَّفَرُّسُ فِي شِمَائِلِهِ ، وَيَحْكُمُ الظَّنَّ الصَّابِ فِي أَثْنَاءِ مَخَابِلِهِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ مَبَاشِرَةً هِيَ مَعْرُوفَةٌ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ ، مَاؤُوفَةٌ مِنْ كِبَرِهِمْ وَصَغِيرِهِمْ : فَإِنَّهُمْ لَا لَوْفَ فِيهِمْ وَلَا لَيْتَ ؛ مُعْتَمِدًا عَلَى سُلُوكِ طَرِيقَةِ أَخِيهِ وَأَبِيهِ ، مُجْتَهِدًا عَلَى اتِّبَاعِ اعْتَادِهِمَا فِي تَوَخُّهِ الصَّوَابَ أَوْ تَأْيِيهِ ؛ حَتَّى يُقَالَ : هَذَا صِنُ ذَلِكَ الْفُضْنِ النَّاضِرِ ، وَهَذَا سِبْطُ ذَلِكَ اللَّيْتِ الْخَادِرِ ؛ وَتُصْبِحُ الرَّبَاعُ بِحُسْنِ نَظَرِهِ آهَلَةً بِالْأَهْلَةِ ، كَامِلَةً بِالْمَحَاسِنِ الَّتِي تُنْمِي الْأَقْسَارَ مِنْهَا مُسْتَهَلَةً ؛ وَتَعُودُ الْإِيْتَامُ بِمَشَارَفَتِهِ كَانْتَهُمْ لَمْ يَفْقِدُوا بَرًّا وَالِدَهُمْ ، وَلَمْ يَحْتَاجُوا مَعَ تَدْيِيرِهِ إِلَى مُسَاعِدِهِمْ . وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَأَهْمُهَا تَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فَإِنَّهَا الْحِصْنُ الْأَوْقَى ، وَالْمَعْقِلُ الْمَتَّبِعُ الْمَرْقَى ؛ فَلْيَتَّخِذْهَا لَعَيْنَيْهِ نُصْبًا ، وَلْيَشْغَلْ

(١) كَذَا بِالْأَصْلِ ، وَلَعَلَّ : آيَاتُهُ .

بها صَمِيرَه حَتَّى يَكُونَ بِهَا صَبَاً ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمَيِّ غُصْنَه النَّاصِرَ ، وَيُقَرِّبُكَ إِلَهَ الْقَلْبِ
وَالنَّاطِرِ ! وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَعْلَاهُ ، مُجْتَمِعٌ فِي ثُبُوتِ الْعَمَلِ بِمَا أَقْتَضَاهُ ؛
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ ! .



تَوْفِيقٌ بِاسْتِيفَاءِ الْمَقَابِلَةِ وَاسْتِيفَاءِ الْجَيْشِ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالَةِ الْمَنَاقِبِ فِي دَوَائِمِهِ الشَّرِيفَةِ شَمْسِيَّةِ الْأَنْوَارِ ، قُرَشِيَّةِ الْفَخَّارِ ،
مُشْتَقَّةِ الْحَامِدِ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالْآثَارِ ، مُحْصَلَةً بِأَقْلَامِ الْيَمِينِ مَا يَسُدُّهُ الْكَرَمُ مِنْ أَقْسَامِ
الْيَسَارِ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... حَسَبَ الْأَسْتِحْقَاقِ الْمُقْتَضَى ، وَالْأَخْتِيَارِ الْمُرْتَضَى ؛ وَعَيْنِ
الرَّأْيِ الَّذِي مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الرَّأْيِ حَاجِبٌ ، وَتَقَدَّمَ السُّنَّةِ الْقَدِيمَةِ فَإِنَّ التَّقْدِيمَ لِفُرَيْشِ
وَإِجِبْ ؛ وَلِأَنَّ الصِّفَاتِ الشَّمْسِيَّةِ أَوْلَى بِشَرَفِ آفَاقِهَا ، وَمَنَازِلِ إِشْرَافِهَا وَإِشْرَاقِهَا ،
وَمَطَالَعِ سَعْدِهَا الْمُتَرَهِّةِ عَنِ اللَّبَسِ ، وَجَلَالِ قَلَمِهَا الْعُطَارِدِيِّ فِي يَدِ الشَّمْسِ ؛
وَلِأَنَّ الْمَشَارَّ إِلَيْهِ أَحَقُّ بِمَصَاعِدِ الْمُتَرَقِّينَ ، وَلِأَنَّهُ تَرَبَّى فِي بَيْتِ التُّقَى فَكَانَ اللَّهُ مَعَهُ
إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ .

فَلْيَبَاشِرْهَا تَيْنِ الْوُضُفِيَّتَيْنِ عَلَى الْعَادَةِ الْمَعْرُوفَةِ بِعَزْمِهِ السَّيِّدِ ، وَمَدَاتِ قَلَمِهِ الَّتِي
بَحَرَهَا فِي السَّيِّعِ بَسِيطٌ وَظَلَّهَا فِي النَّفْعِ مَدِيدٌ ؛ وَلِيَتَمَثَّلَ بِدِيَوَانِ مُقَابَلَةٍ فَرِيدًا لَا يَرْهَبُ
مُمَاتَلَهُ ، وَلِيَجْبُرَ أَحْوَالَهَا بِضَبْطِهِ حَتَّى يَجْمَعَ بَيْنَ الْجَبْرِ وَالْمُقَابَلَةِ ؛ وَلِيُمِدَّ الْجِيُوشَ الْمَنْصُورَةَ
مِنْ أَوْرَاقِهِ بِأَعْلَامِهِ ، وَمِنْ قَبْصَاتِ السَّبْقِ بِرِمَاجِ تُعْرَفُ بِأَقْلَامِهِ ؛ وَلِيَسْتَرْفِعَ مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ مَا يَحْوِي بِإِضَاحِهِ وَتَكْوِيلِهِ مِنْ مُقَدِّمَاتِ ظُلْمٍ وَإِظْلَامٍ ، وَلِيَجْمَعَ بَيْنَ ضَرْبِي
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فِي شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُمِدُّ قُرَشِيَّتَهُ بِأَنْصَارٍ مِنَ الْعَزْمِ ، وَتَابِعِينَ
بِإِحْسَانٍ مِنْ نَوَافِدِ نَوَافِلِ الْحَزْمِ .



تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْأَسْوَاقِ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ، وَهُوَ :
 رُسم بِالْأمر - لا زالتْ أسواقُ نِعمه قائمه ، وأجلابُ كرمه دائمه ، ولا برحيتِ
 المناصبِ مُكلمةٌ بكفاةِ أيامه الذين يُحققون ظنونها السامية ويرعون أحوالها
 السائمة - أن يرتب فلانُ : علمًا بكتابته التي وسميت الدفاتر أحسن سيمه ،
 وأسبقت إلى صنع الخير المسومه ، وكفائه التي لا تزال تنمو لديه وتتسمى ، ويراعته
 التي إذا سُئل عنها السوقُ قال : هي عصاى أتوكأ عليها وأهش بها على غنمى ؛ ودرائته
 التي تُعين الملكة على المير ، ويتهمدُ تيمنها أن الخيلَ فى نواصيها الخير ؛ وتُحقق فيه
 الظنَّ والأمل ، وتحوطُ السوقَ عن الخائن حتى يقول : لاناقة لى فى هذا ولا جمل ؛
 وأنه الكافى الذى إن قال أو فعل كان مُسددا ، وإن ضبط ديوانَ الشدِّ السعيد كان
 على الزائغين من الكتبة حرقاً مُسددا .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة ممنكّن الأسباب ، مالك الحزم والرفق حتى تكثر
 لديه الجلاب ، معيناً بيئت المال على الإنفاق ، قائماً بحق ذوى الاستحقاق ،
 عالماً أنه [متولى] أكثر جهات الخير المطلق فليكن بها مشكوراً على الإطلاق ، مجتهداً
 فى رضا المطالبين حتى يدعوا سنن المرسلين فى هذه [الصفة] يأكلون الطعام ويمشون
 فى الأسواق ؛ مواظباً على الديوان الذى هو بصحابه معدوق ، سالكاً سبيل الصيانة
 والكفاة فكلاهما نعم السبيل المطروق ، مُحترِزاً من ذى خيانه إن غفل عنه طفق
 مسعاً بالسوق ؛ والله تعالى يوفق عزائمه التى هى أشهر من علم ، وهيمته التى قامت
 « أبا الطيب » : « والخيلُ تشهدُ والقرطاسُ والقلم » .



نسخة توقيع بشهادة الخزانة العالية ، من إنشاء ابن نباتة ، كُتِبَ به لجمال الدين «عبد الله بن العماد الشيرازي» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت سِمَةُ المناصب في دولته بأسماء الكُفَاةِ مُجَمَّله ،
وخلعُ المفاجرِ على بُيُوتِ السيادةِ مُكَمَّله ، ونحزائِنُ المُلكِ بين تَقْيِضَيْنِ من جِنْسِ واحدٍ :
فبينما هي بأفلام الكُفَاةِ مُحْفَظَةٌ إذا هي بأفلام الكُفَاةِ مُبَدَّلَةٌ - أن يستقرَّ المجلس
السامي : علما بحاسنه التي وَضَعَ جَمَاهُا ، وَتَفَسَّحَ في العلياءِ جَمَاهُا ، وَتَجَمَّعَ
في مَنَائِبِ الفَضْلِ أَصْلُهَا ، وَشَرُفَ بِكِوَاكِبِ اليَمَنِ اتَّصَالُهَا ؛ وَمَعَالِيهِ التي تَهَلَّلَ بِهَا
وَجْهُ الأَصَالِ ، وَكُلَّ بَيْتِ الرَّأْسِةِ وَالْحَلَالِ ، وَمَسَاعِيهِ التي آسَتُوفِي بِهَا أَجْنَاسَ
الفَضْلِ وَتَوَرِيثَهُ فَمَا أَخَذَهَا عَنِ كَلَالٍ وَلَا وَرِثَهَا عَنِ كَلَالَةٍ ؛ وَسِيرَتِهِ التي تَطْوِي
نَحَارَ الأَقْرَانِ حِينَ تُنَشَّرُ ، وَهِمَّتِهِ التي أَنْشَدَتِ السَّعَادَةَ فَرَعَهَا الكَرِيمَ : « مَبَادِيكَ
في العلياءِ غَايَةُ مَعَشَرٍ » ؛ وَمَكَانَتِهِ مِنْ بَيْتِ السِّيَادَةِ الرَّفِيعِ عِمَادُهُ ، البَدِيعِ سَنَدُهُ المُنْبِيعِ
سِنَادُهُ ، المَدِيدِ مِنْ تَلْقَاءِ المَجْرَةِ طُنْبُهُ النَّابِتَةِ مِنْ حَيْرِ النُّجُومِ أَوْتَادُهُ ؛ وَأَنَّهُ نَجَلُ السَّرَاةِ
الَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ الفَضْلِ فِي كُلِّ وَادٍ ، وَأَسْتَشْهَدُوا عَلَى مَنْاقِبِهِمْ كُلَّ عَدُوٍّ وَكُلَّ وَادٍ ؛
وَحَمَلُوا مِنْ صِنَاعَاتِهِمْ رَايَاتِ عَبَّاسِيَّةٍ سَارَتْ بِهَا رِمَاحُ أَقْلَامِهِمْ تَحْتَ أُبْدِيعِ سَوَادٍ ،
وَمَلَّشُوا قَدِيمَ الأوطانِ بِشَرَفِ الأَخِيرِ : فسواءُ على شيرازِ مُحَاسِنُ « ابن العميد »
وَمُحَاسِنُ « ابن العماد » ؛ وَتَبَيَّنَتْ مَنْاقِبُهُمْ بِهَذَا النُّجْلِ السَّعِيدِ طُرُقَ المَرَاتِبِ كَيْفَ
تُسَلِّكُ ، وَإِحْرَازِ المَنَاصِبِ كَيْفَ يَكُونُ لَهَا يَدُ أَرْبَابِ البُيُوتِ أَمْلَكُ ، وَدَرَجَاتِ
الوظائفِ كَيْفَ تُسَرُّ الوَالِدُ بِالوَالِدِ حَتَّى يَقُولَ : لا أَبَالِي هِيَ اليَسُومَ لِي أَمْ لَكَ ؟ ؛
كَمْ آسْتَنْهَضَ وَالِدُهُ بَلِيلَ فَكَنِي ، وَجَمِيلَ قَصِيدِ قَوْفِي ؛ وَأَوْقَاتِ عَلَّتْ حَتَّى أَصَحَّتْ

إلى علاه تَنَسَّب ، ومناصبَ رُزِقَ - بتقواه فيها - من حيثُ يَحْتَسِب ومن حيثُ لا يَحْتَسِب ؛ وجاء هذا الولدُ ذخيَرَةً والديه فحَسُنَتْ للخزانةِ الذَّخِيرَةُ ، وعُضِدَتِ الأَوَّلَةُ من السيادةِ بالأخيرةِ .

فليأشُرْ هذه الوظيفةَ مباشرةً هي أعلى منها وأشرفُ سيره ؛ مُجْتَهِدًا فيما يُدَيِّصُ وجهَ علمه ونَسَبِهِ ، عارفاً قَدْرَ هذه الرتبةِ من أوائلِ رُتَبِهِ ، متيقِّظًا الأفكارَ والطَّرْفَ ، متأرجحَ المعرفةِ إذا ذَكَرُوا العَرَفَ ، زائجا تَبَرُّ شهادتهِ على التعلُّيقِ فلا يُتَّقَدُ عليه في مُتَحَصِّلٍ ولا صَرَفٍ ؛ حَتَّى تَقُولَ الخزانةُ : نِعْمَ العَزْمُ الشاهد ! وَحَتَّى يشهدَ بوفاءِ فَضْلِهِ المَضْمُونُ ، وَحَتَّى يُعَلِّمَ بأمانتهِ أن عبدَ الله هو «المأمون» ؛ وَتَقْوَى اللهُ تَعَالَى في الوصاياِ أَوَّلَ وأولى ما تَمَسَّكَ به ، وأستقامَ على شَرَفِ مَذْهَبِهِ ، واللهُ تَعَالَى يُسِرُّ الإسلامَ بِتَنْبِيهِ قَدْرِهِ وَيُقِرُّ الأوصافَ بِمَهْدِيهِ !



تَوْقِيعُ بِشَهَادَةِ الأَسْوَارِ ، وهو :

رُسِمَ بالأمر - لا زال يَمُدُّ على الإسلامِ من عنايةِ سُورَا ، وَيُجَدِّدُ للأولياءِ رَأْيًا مَيَسُورًا ، وَيُسْعِدُهُمْ بِكُلِّ تَوْقِيعٍ يَكُونُ بالحسابِ يومَ القيامةِ كِتَابًا يُلْقَاهُ مَنْشُورًا - أن يَرْتَبَ المجلسُ : علمًا بعزِّمِهِ الساهد، وحرِّمِهِ الشاهد ؛ وكفائتِهِ وأمانتِهِ التي ما كان وَصْفُهُما حَدِيثًا يُفْتَرَى ، ونظَرًا لحاله وحالِ الأَسْوَارِ : فَيَالهَا شَهَادَةٌ كان أصلُها نَظْرًا .

فليأشُرْ هذه الرتبةَ المباركةَ كما عهدَ منه مباشرةً حَسَنَةَ الأثارِ ، مُشْرِقةً الأنوارِ ، جاعلةً تلكَ العماثِ حَلِيَّةً لِدِمَشقِ : فبينما هي سُورٌ إذا هي سِوَارٌ ؛ ضابطًا لمتَحَصِّلِها ومَصْرُوفِها ، محرِّرًا لوقفِها مُحْتَرِّزًا من وُقُوفِها ، جاريًا على جميلِ عادتهِ ، زائجا بِكُرمِ الله

تعالى على التوفيق تبرُّشهادته ؛ حتى تشهد هذه الوظيفة بهيمته المتمكنة الأسباب ،
ويضرب بين المدينة وبين من كادها بسورٍ باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب ؛
والله تعالى يسدده في كل أمر ، ويحفظ هيمته وبركته «ليوم كريمةٍ وسدادٍ نغر» .



توقيعٌ بمشارفة خزان السلاح ، لمن لقبه «جمال الدين إبراهيم» وهو :

رسم بالأمر العالى - أعلى الله تعالى أعلام حمده ، وجعل أحكام المقادير من
جنده ، ولا زالت أفلاك الشهب من خزان سلاح سعده - أن يرتب ... : حملاً
على حكم التزول الشرعى ، والطلوع إلى رتب الاستحقاق المرعى ؛ وعلمها بكفايته
التي بلغته آمالاً ، وجعلت للوظائف بذكره جمالاً ، وتمرت بقامه للجهات مالا ،
وأوصلته على رغم الأنداد لِمَا لا ؛ وأعتاداً على أماته التي أعدها ملاذاً ، وأكتفى
بها سلاح عزمه نفاذاً ؛ وصيانته التي طالما اعترض [لها] عرض الدنيا فقالت :
يا إبراهيم أعرض عن هذا ؛ واستناداً إلى نشأته في بيت علت في المناصب أعلامه ،
وصدقت في المراتب حلومه وأعلامه ، وتناست الآن تصرفاته السعيدة : فإما في تدبير
الجيوش وإما في تميم السلاح أعلامه .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة بعزم بآدى النجا والنجاح ، وقلم على حالتى وظيفته
وهيمته ماضى عزم السلاح ؛ مقرراً لعمليها ومعمولها ، ضابطاً لواصلها ومجملها ؛ حتى
يذهب لسان سيفها بشكره ، وتطلع أهله قسيها بميامن ذكره ، وتكون كعوب رماحها
كلها كعب مبارك بمباشرته وبشيره ؛ والله تعالى يسد قلمه في وظيفته تسديد
سهامها ، ويوقر له من أنصبا المرشدين وسهامها .

(١) هو مصدر نجا نجا بالمد وقد يقصر ،



قلت : وهذا توقيعٌ بوظيفةٍ بكتابة ديوانيةٍ لسامريٍّ ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال قلم أوامره الفضيّ يظهرُ ثمّره ، مُسمِعاً حديثَ الإنعام
الشامل حتى سَمَره - أن يرتب فلانٌ في كذا : علماً بكفايته التي يُعَدُّرُ بها في قومه على
سُلوكِ التبه ، وحذقِ حسابِه الذي هو اللذ من السلوى المُجْتَبِه ومُجْتَبِه ؛ وقَرِيحَتِه التي
إذا اختارها اختيار قومٍ موسى فاز من العمل بمطلوبه ، وإذا قيل : يا سامريُّ
ما قدّمك على القرآن في الحساب ؟ قال : بصرتُ بما لم يبصروا به ؛ وأمانته التي
حاطت حياة الصعداء السمرء ، ورفعت رأيتَه على الأنداد قائلةً : ما حاط البيضاء
والصفراء كصاحب الحمراء ! ؛ وأعتاداً على كتابته التي شهدت بها من حُساباتِه
الأسفار المبيّنة ، وإقراء لصناعاته التي سحرت الفكر حتى قيل : هذا من شعب
القرابين والكهنة .

فليباشر هذا الاستيفاء لأوفى منه مُترقياً ، ولكلمات الاختيار مُتلقياً ؛ ناهضاً
بالخدمه ، مجدداً باعترامه الإسرائيليّ ذكر النعمه ، عارفاً قدر الإنعام الذي رعى وتَمَلَّ
كلّ ذمّه ؛ سالِكاً من الاجتهاد في خدمة حسابِه كلّ طريقه ، غائظاً للفساد من أهل
مِلَّتِه : فيعبُدون العجل مجازاً وحقيقه ؛ مجتهداً في استنزال المن لا المنع ، معوّذاً آلاف
الحواصل بعشر كلماتٍ راتيةٍ منه في السمع ، مُعلّقاً على جميعها هيكلًا من أمانته فهو
أدرى في الهيكل بشرط الجمع ؛ صائِباً لنفسه من عدوان الخيانة حتى لا يعدو
في سبب ولا في أحد ، مُنَزَّهاً عن أكل المال مع الخونة حتى يقال : نعم السامريُّ
الذي لا يأكل مع أحد .

الضرب الثاني

(من الوظائف الديوانية بالشام - ماهو خارج عن حاضرة دمشق .

وغالب ما يكتب فيها من التواقيع مفتوح بـ «رسم»)

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بنظر غزوة، وهي :

رسم بالأمر - لازال النصر المكرر، يخلو بذكره، والسعد المقرر، يخلو وجوه الآمال
بدهره، ولا برح سراج الخدم مضيأ عند ليالى نبيه الحالك وأمره - أن يستقر
فلان ... : لما عرف في المناصب من هوضه الذي راق وراج، وفي المهمات
من رأيه الذي يمشى أحوال الجهات المستقيمة بسراج ؛ ولما شهرله في الأنظار
المتعددة من علو الهمم ، وفي الوظائف المترددة من العزمات التي يقول السداد :
نبه [لها] عمراً ثم تم ؛ ولما وُصف من أمانته وديارته وهما المراد [نان] من مثله ،
وراسة خلقه وخلقه المشيدين عن حُسن الثناء وسهله ، وآثاره الحميدة المتقلات
وكيف لا ؟ وهو المنتسب إلى سلف يحمده لسان الإسلام أثر عقله ونقله .

فليأشر هذه الوظيفة المباركة على العادة مباشرة يحمده أثرها ، ويُسند عن صحيح
عزمه خبرها وخبرها، ويورق بفضون الأقلام ورق حسابها ويروق تمرها ؛ مجتهداً
فهو من نسل المجتهدين في عوائد التحصين والتحصيل ، والتأثير والتأثيل ، ملياً بها
يجبر كسر هذه البلاد بالصحة ويأسو جرحها بعد التعديل ، حريصاً على أن يُجي -
بمشيئة الله تعالى وتدييره - عملها الذي لم يبق الموت من ذمائه غير القليل ؛ سالكاً

(١) أنظر حاشية ٢ ص ٣٨٨ من هذا الجزء .

من النَّزَاهَةِ وَالصَّيَانَةِ طَرِيقَتَهُ الْمُثَلِّى، وَمِنَ الْكِفَاةِ وَالْأَمَانَةِ عَادَتَهُ الَّتِي تَرْفَعُ دَرَجَتَهُ -
 إِنْ شَاءَ اللَّهُ - إِلَى مَا هُوَ أَعْلَى وَأَعْلَى؛ مُسْتَرْفِعًا لِلْحِسَابِ وَلِقَدْرِهِ فِي الْخِدْمَةِ، شَاكِرًا :
 فَإِنَّ الشُّكْرَ صَمِيمٌ لِأَزْدِيَادِ النِّعْمَةِ بَعْدَ النِّعْمَةِ، سِرَاجًا وَهَاجَ الذِّكْرِ عَلَى الْمَنَارِ وَلَا ظُلْمَ
 مَعَ وُجُودِهِ وَلَا ظُلْمَهُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّي قَدْرَهُ ، وَلَا يُظْفِي ذِكْرَهُ .



تَوْقِيعٌ بِصَحَابَةِ دِيْوَانِ الْحَرَمَيْنِ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، لِمَنْ لَقَّبَهُ « شَمْسِ
 الدِّينِ » وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ أَوْامِرُهُ نَافِذَةٌ فِي الْآفَاقِ ، عَاطِفَةً عَطْفِ النَّسَقِ عَلَى ذَوِي
 الْإِسْتِحْقَاقِ ، مُطْلِعَةً شَمْسَ التَّقَى وَالْعِلْمِ فِي مَنَازِلِ الْإِشْرَاقِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... :
 عَلِمًا بِاسْتِحْقَاقِهِ لِمَا هُوَ أَكْثَرُ وَأَكْبَرُ ، وَأَوْفَى وَأَوْفَرُ ، وَإِطْلَاعًا لَشَمْسِهِ وَإِنْ أَعْتَرَضَهَا
 غَمٌّ غَمٌّ فِي مَطَالَعِ شَرْفِهَا الْأَنْوَارِ ؛ وَإِعْلَامًا بِأَنَّهُ غَمٌّ يَزُورُ وَيَزُولُ ، وَنَقْصٌ لَا يُقِيمُ
 إِلَّا كَمَا يَذْهَبُ عَارِضٌ مِنْ أَقْوَالٍ ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عُرِفَ مِنْ وِفَاءِ صَحَابَتِهِ ، وَأَلْفٍ مِنْ
 سَنَاءِ دِرَآئَتِهِ وَدَرَايَتِهِ ، وَوُصْفٍ مِنْ أَيَّامِ دِيُونَتِهِ ^(١) بَعْدَ أَيَّامِ حُكْمِهِ بَعْدَ أَيَّامِ خَطَايَتِهِ ؛
 وَأَسْتِنَادًا إِلَى تَسَاتِيهِ فِي بَيْتِ الْعِلْمِ الْمُسْتَفَادِ ، وَالْحُكْمِ الْمُسْتَجَادِ ، وَالْفَضْلِ الْمُسْتَرَادِ ،
 وَتَرْبِيَةِ الْوَالِدِ الَّذِي كَانَ الْإِخْتِيَارَ يَحْلِفُ بِالْفَخْرِ أَنَّهُ مَا يَرَى أَظْهَرَ مِنْ ذَاتِ الْعِمَادِ .

فَلْيَبَاشِرْ صَحَابَةَ دِيْوَانِ هَدْيَيْنِ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ بِأَمَلٍ مَبْسُوطٍ ، وَحَالٍ بَيْنَمَا هُوَ
 مَنحُوسٌ حَظٌّ إِذَا هُوَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - مَغْبُوطٌ ؛ وَأَجْتِهَادٍ مَضْمُونٍ لِحَدْوَاهِ فَضْلُ
 الزِّيَادَةِ ، وَسَيْرٍ لَا يَزَالُ بِشَمْسِهِ حَتَّى تَجْرِيَ لِمُسْتَقَرِّهَا مِنْ مَنَازِلِ السَّعَادَةِ ، وَمُبَاشَرَةٍ
 لِأَوْقَافِهَا تُعَانُ وَتُعَادُ أَجْمَلُ إِعَانَةٍ وَأَكْلُ إِعَادَةٍ ، وَصَحَابَةٍ يَتَنَوَّعُ فِي نَفْعِهَا وَيَتَعَيَّنُ حَتَّى
 تَكُونَ [مِنْهُ] عَادَةٌ وَمِنْهَا شَهَادَةٌ .

أَيَّامُ كَانَ بِدِيْوَانِهِ . وَهُوَ لَفْظٌ سَخِيفٌ لَيْسَ بِعَرَبِيٍّ .



تَوَقَّعُ بِنظَرِ الشُّعْرَا وَبَانِيَّاسٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، لِمَنْ لَقِبَهُ «صَدْرَ الدِّينِ» وَأَسْمَهُ
«أَحْمَدَ» بِالْعَوْدِ ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صُدُورُ الكُفَاةِ مُنْشِرِحَةً فِي أَيَّامِهِ ، مُنْشِرِحَةَ الآمَالِ
فِي إِنْعَامِهِ ، وَلَا بَرِحَ عَوْدُهُ أَحْمَدَ إِلَى الْمَنَاصِبِ فِي ظِلَالِ سُيُوفِهِ وَأَقْلَامِهِ .

وَمِنْهُ : فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الشَّاكِرَةَ لَهُ أَوَّلًا وَآخِرًا ، وَلْيَجْتَهِدْ فِيمَا يَزِيدُهُ مِنَ
الْإِعْتِنَاءِ وَالْإِعْتِنَاءِ بَاطِنًا وَظَاهِرًا ، وَلْيَسْتَرِدْ بِشُكْرِهِ مِنَ النِّعْمَةِ فَمَا أَخْلَفَ وَعَدُّ الْمَزِيدِ
شَاكِرًا ، وَلْيَحْرِضْ عَلَى أَنْ يُرَى أَبَدًا فِي الْمَرَاتِبِ صَدْرًا وَلَا يُرَى عَنْ وَرُودِ الْإِحْسَانِ
صَادِرًا .



تَوَقَّعُ بِنظَرِ خَمَصٍ ، مِنْ إِنْشَاءِ ابْنِ نُبَاتَةَ ، كُتِبَ بِهِ لِابْنِ الْبَدْرِ نَاطِرٌ خَمَصٌ
بِالتَّرْوَلِ مِنْ أَبِيهِ عِنْدَ مَا أَسَنَّ ، وَهُوَ :

رُسم بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ حَسَنُ النَّظَرِ مِنْ مَوَاهِبِهِ ، وَبَيْنَ الظَّفَرِ مِنْ مَرَاكِبِهِ ، وَسَقَى
الْبِلَادَ صَوْبَ الْعَدْلِ مِنْ سَمَائِبِهِ ، وَلَا بَرِحَ سَنَا الْبَدْرِ مِنْ خَدَمِهِ فَإِذَا أَحْسَسَ بِالسَّرَارِ
الَّتِي الْخَدَمَةُ إِلَى أَزْهَرِ كَوَاكِبِهِ - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ ... : لِمَا عَلِمَ مِنْ رَأْيِهِ الْأَسَدَ ،
وَعَزَمَهُ الْأَشَدَّ ، وَمَرَّبِيَّ وَالِدَهُ حَتَّى يَبِينَ عِظْمُ الْهَنَاءِ بِالسَّبِيلِ عِنْدَ مَا وَهَنَ عِظْمُ الْأَسَدِ ؛
وَرُكُونًا إِلَى نَجَابَتِهِ الَّتِي سَمَّتْ أَصْلًا وَفَرْعًا ، وَقَدُمَتْ غَنَاءً وَنَفْعًا ، وَتَبَسَّمَتْ كَلَامًا
أَصْلِيهَا الْمُسْتَأْنَفَةَ حَيْثُ كَادَ الزَّمَانُ يَنْعَى مِنْهُ يَنْعَا ؛ وَأَسْتَنَادًا إِلَى أَنَّ الصَّنَاعَةَ شَابَهُ ،
وَنَسِيَاتِ التَّمَكِّيِّينَ هَابَهُ ؛ وَإِلَى أَنَّ أَغْصَانَ الْعِزَائِمِ نَصْرَهُ ، وَإِلَى أَنَّ مَعَ الْقُدْرَةِ قُدْرَهُ ،
وَإِلَى أَنَّ كَوَكَبَ الْعِزِّ فِي الْمَنْزِلَةِ قَدْ خَلَّفَ بَدْرَهُ ؛ وَاعْتَادًا عَلَى سِيَهَامِ تَنْفِيذِهِ الصَّابِيهِ ،

وأحكام هيمه الواجبه ، وأقلام يده التي تُحسِن إخراج الأمل فيه وكيف لا ؟ وهي الحاسبة الكاتبة .

فليأشُر هذا النَّظْرَ المَقْوُوسَ إليه سامياً نَظْرُهُ ، زائِجاً في الخِدمَةِ خُبْرَهُ وخَبْرَهُ ، شاكِراً هذا الإِنْعَامَ الذي برَّأباه وأَسْعَدَ جَدَّهُ ومَزِيدُ الإِنْعَامِ مضمونُ المَزِيدِ^(١) لمن شَكَرَهُ ، عَلِماً أنَّ هذه المملِكةَ المَحْصِيَّةَ من أقدم ذخائر الأيام ، وأكْرَمَ ما أفاءَ اللهُ من غَنِيمَتِهَا وظَلَّهَا على جُنْدِ الإسلامِ ، وأنها من مراكز الرِّمَاحِ كما شُهِرَ فليُمَدِّهَا من تَدْيِيرِهِ برِماحِ الأَقْلَامِ ؛ وليُواظِبْ بِحُسْنِ نَظْرِهِ على تَقْرِيرِ أحوالِهَا ، وتَقْرِيبِ آمالِهَا ، وتأثيرِ المصالحِ في أَعْمالِهَا ، ولا يَحْمِصْ أمرِهَا في التَضْيِيقِ فكفَى ما مَحَصَّتْهَا الأيامُ على تَعاقُبِ أحوالِهَا ؛ بل يَجْتَهِدُ في إِزاحَةِ أَعذارِهَا بِسَدادِ الرَّأْيِ الرَّابِعِ ، وإشاعةِ الذِّكْرِ الحَسَنِ مع كُلِّ غَادٍ ورائِحِ ، ورفِيعِ الأَيْدِي بالأذْعيَةِ الصالِحَةِ في تلكِ المَشاهِدِ لِلْمَلِكِ «الظاهر» في هذا الوقتِ والمَلِكِ «الصالح» ؛ حتَّى يَنْشَهدَ سَيْفُ اللهِ «خالد» بِمِضَاءِ سَيْفِ حَزْمِهِ وَعِزْمِهِ ، وحتَّى يَتَوَقَّرَ من غَرَضِ الخَيْرِ والْحَمْدِ نَصِيبُ سَهْمِهِ ، وتَقْوَى اللهُ تعالى أَوْلُ الوصايا وأَحْرَها فإتَمَكُنْ أبداً في هِمَّةِ فَهْمِهِ .



تَوْقِيعُ بِنَظْرِ الرَّحْبَةِ ، من إِنْشاءِ ابنِ نُباتَةَ لمن لَقِبَهُ «تاج الدين» وهو :

رُسمُ بالأمرِ - لا زالَ مَلِيَّ السَّحابِ ، بِسُقْيَا الآمالِ الوارِدِ ، مَمْلُوءَ الرِّحابِ ، بِكُفَاةِ الأَعْمالِ السَّائِدِ ، تَحْدُومِ المَسالِكِ والأَيامِ بأَقْلَامِ الدِواوِينِ الحاسِبَةِ وأَقْلَامِ الدِواوِينِ الحامِدَةِ - أنِ يَسْتَقَرَّ : لِكُفَاةِ تِى وافقَ خُبْرُها الخَبْرَ ، ونُشِرَ ذِكْرُها نُشِرَ الخَبْرَ ؛ وَصِناعَةُ حِسابِهِ تِى لو عاشَ «أَبُو القاسِمِ المَعْتَرى» لم يَكُنْ لِه فيها قَسِيباً ،

(١) لعل هذه الكلمة زائدة من قلم النسخ .

ولو عاصرها «أبن الجراح» بقدميه وإقدامه لا تقلب عنها جريح الفكر هزيمًا ،
بل لو نأواه الشديده الماعز لُدُجَ بغير سكين ، والتاج الطويل لرجع عن هذا التاج
الطائل رجوع المسكين .

فليباشر ما فوض من هذه الوظيفة إليه ، ونبه الاختبار فيها نظره الجميل وناظره به ،
جاريًا على عوائد هممه الوثيقه ، ماشيًا على أنجح طريق من آرائه وأوضح طريقه ،
نازلاً منزلة العين من هذه الجهة التي لو صورت بشرًا لكان ناظرها على الحقيقه ،
مفرجًا لمضايقتها حتى تكون كما يقال رحبه ، مقتحمًا من حزون أحوالها العقبة
وما أدراك ما العقبة؟ ؛ فك من رقاب السفار المعوقين رقبه ؛ وأطعم أرباب
الاستحقاقات في يوم ذي مسغه ، وساعف بتيسير المعلوم كل كاتب ذي متربه ؛
حريصًا على أن يغني الديوان بوفره ، وتغني حداة التجار بشكره ، وعلى أن يقوم
رجال الاستخدام في المهمات بنصره ؛ وعلى أن تساق بفضي قلبه الأموال أحسن
سوق ، وعلى أن يكون لأهل الرحبة من إحسانه «مالك» ومن جدوى تديره
«طوق» ؛ والله تعالى يوضح في المصالح منهاجه ، ويعلي على رؤوس الأوصاف تاجه .



توقيع بنظر جعبر قبل أن تنقل إلى عمل حلب ، من إنشاء ابن نباته ، كتب به
«لهبة الله بن النفيس» ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زالت المناصب في دولته الشريفة تستقبل هبة الله بشكرها ،
وتناجح الذكر النفيس بمقدمات نشرها وبشرها - أن يرتب ... : لكفاءته
التي أشتهرت ، وأمانته التي طهرت فظهرت ، ومباشرة التي ضاهت نجوم السماء
إذا زهرت ، ونجوم الأرض إذا أزهرت ؛ وأنه الذي جرب عزمه فزكا على

التَّجْرِبِ ، وَرَقَى فِي مَطَالِعِ التَّدْرِيجِ وَالتَّدْرِيبِ ، وَنَصَّ حَدِيثُ اجْتِهَادِهِ الْمُقْتَرَبِ فَكَانَ سَابِقًا عَلَى النَّصِّ وَالتَّقْرِيبِ ؛ وَأَنَّ هَذِهِ الْبُقْعَةُ الْمُبَارَكَةُ مِنْ أَطَابِ النَّارِ يُخْخَبَرُهَا ، وَقَصَّ سَيْرَهَا ، وَحَمَدَ صَاحِبِهَا الْعَقِيلِيَّ مِنْ قَدِيمِ أَثَرِهَا ، وَعَرَفَ بِرَكَّتِهَا لِمَا آسْتَسْقَى بِهَا مِنَ السَّمَاءِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الْحَيَوَانَ مَطَرَهَا .

فَلْيَبَاشِرْ هَذَا النَّغْرَ الْمَحْرُوسَ بِكِفَاءَةِ بِاسْمِهِ ، وَعَزْمَةِ كَالْحُسَامِ لِأَذْوَاءِ الْأُمُورِ حَاسِمِهِ ؛ وَرَأْيِي لِلتَّجَاحِ حَسَنِ الْأَسْتِصْحَابِ ، وَتَمَثُّرِ كَمَا مَلَأَ الرَّحْبَةَ فَلْيَمَلَأْ بِمِضَاعَفَتِهِ الرَّحَابَ ؛ مُوقِرًا الْعَدَدَ لِلْحَوَاصِلِ وَحَوَاصِلِ الْعِدَادِ ، فَاتِحًا لِأَفْوَاهِ الْفُقُولِ بِذِكْرِ الْجَمِيلِ فِي التَّهَانِمِ وَالنَّجَادِ ، مَا شِئًا فِيمَا يَأْتِي وَيَذَرُ عَلَى سَدَادِ الطَّرُقِ وَطُرُقِ السَّدَادِ .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ الْبِقَاعِ ، مِنْ إِنْشَاءِ آبِنِ نُبَاتَةٍ ، وَهُوَ :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَ مِثِّي لِلْكَفَاءَةِ رِزْقًا ، وَهِيَئُ لِنَجْدِيدِ الْمَنَاصِبِ مُسْتَحَقًّا ،
وَلَا يَرَحِ الْبِقَاعِ بِأَيَّامِهِ الْكَرِيمَةِ تَسْعَدُ كَمَا تَسْعَدُ الرِّجَالُ وَلَا تَشْقَى - أَنْ يَرْتَبَ ...
حَسَبَ مَا تَضَمَّتْهُ مَكْتَابَةُ الْحَنَابِ الْفِلَانِي : مِنْهَا عَلَى قَدْرِ هَذَا النَّاطِرِ الْمُهْدَبِ وَصْفُهُ ،
الْمُرْتَبَ عَلَى نَحْوِ الثَّنَاءِ نَعْتُهُ وَعَظْفُهُ ؛ الْمَشْهُورِ بِمَبَاشَرَتِهِ أَنْتَفَاعِ الْوِظَائِفِ وَأَرْتِفَاعُهَا ،
الشَّاهِدِ بِكِفَاءَتِهِ وَأَمَانَتِهِ مَسَالِكِ الْأَعْمَالِ وَبِقَاعُهَا ؛ وَأَعْتَادًا عَلَى مَبَاشَرَتِهِ الزَّكِيهِ ،
وَكِتَابَتِهِ الَّتِي لَا يُدَاهِنُهَا الْمَدَاهِنُونَ وَهِيَ نِعْمَ الْبَعْلَبَكِيَّةُ ^(١) .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ الْمَتَيْمَنَةَ بِمَطَالِعِ رَشْدِهِ ، وَمَطَالِبِ سَدِّهِ ، عَلِيمًا أَنَّ الْبِقَاعَ
كَالرِّجَالِ تَسْعَدُ وَتَشْقَى : فَلْيَكُنْ سَعْدًا عَلَى قَلْبِهِ وَيَدِهِ ؛ مُجْتَهِدًا فِيمَا يُبَيِّضُ وَجْهَهُ

(١) نسبة الى بعلبك عند من يجعله اسما واحدا ويمنعه من الصرف فأما من يضيف الأول الى الثاني ويجري الأول بوجوه الاعراب فالنسبة عنده بعل .

شَاكِرِهِ ، حَرِيصًا عَلَى آزْدِيَادِ الصِّفَاتِ الَّتِي كَانَتْ فِي عَقْدِ حِسَابِ الْعَمَلِ مَحَلًّا بَنَانَهُ
بِفِعْلِهِ الْآنَ مَحَلًّا نَاطِرِهِ ؛ مُتَمَرًّا لِأَمْوَالِ النُّوَاحِي وَغِلَالِهَا ، وَاضِعًا عَنْ أَرْبَابِ
الْاِسْتِحْقَاقَاتِ مَا عَلَيْهَا مِنْ سُوءِ التَّدْيِيرِ : مِنْ إِصْرِهَا وَأَغْلَالِهَا ؛ مَحْتَاطًا لِنَفْسِهِ
فِي الْحَوَاطَاتِ حَتَّى لَا يُذَكَّرَ إِلَّا بِخَيْرٍ ، وَلَا يُعْرَفَ قَلَمُهُ إِلَّا بِمَيْرٍ ؛ نَاشِرًا حَبَّ حُبِّهِ حَتَّى
تَهْوِي إِلَيْهِ أَلْفَاظُ الثَّنَاءِ هَوِيَّ الطَّيْرِ ، جَاعِلًا تَقْوَى اللَّهِ مَقْصَدَهُ : فَإِنَّهَا السَّبِيلُ إِلَى فَوْزِ
الدَّارَيْنِ لَا غَيْرَ .

الصنف الرابع

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقع مشايخ الخوارج ،

وهي على ضربين)

الضرب الأول

(ما هو بحاضرة دمشق ، وهو على ثلاث مراتب)

المرتبة الأولى

(ما يفتح بـ « الحمد لله »)

وهو توقيع شيخ الشيوخ بدمشق : وهي مشيخة الخاتقاه الصلاحية المعروفة
بالشميصاتية . وقد تقدم أنها يكتب بها أيضا من الأبواب السلطانية . ثم هي تُفرد
نارة عن كتابة السر بالشام ، ونارة تُضأف إليها .

توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ، كُتِبَ بِهِ
للشيخ « علاء الدين علي » مفردة عن كتابة السر ، وهو :

الحمد لله الذى جعل شرف أوليائه عليا، وفضله الجليل جليا، واتصال علامتهم
كاتصال كوكب الشرف بإيلاء الخيرات مليا، وحاضر أفيهم كغائبه إذا سطرت
دعواته واستطرت هباته كان على كلال الحالين وليا .

نحمده على توالى النعم الأنيقه ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
شهادة تستمر بأصلها فروع الحقيقة ، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله أجدر الخلق
بكرم الخليفة ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين سلكوا بهداه أحسن طريق
وسلكوا فى أحسن طريقه ، صلاة دائمة لا تزال بها عقائد الإخلاص موقفة وألسنة
الذكر طليقة ، وتحيية إذا بدت فى حضرة الأذكار كانت للأعين من النور نهاره
وكانت للأُنجم من القدر شقيقه .

أما بعد ، فإن أولى المراتب الدينية بتقديم العنايه ، وتفخيم الرعايه ، وتكريم التولية
ولا سيما إذا كانت منتسبة إلى أهل الولاية - مرتبة مشيخة الشيوخ التى يجمع عباد الله
الصالحين نطاقها ، ويضمهم رواقها ، وتطعمهم مطالع كواكب الهدى آفاقها المذيرة
وأوفائها .

ولما خلت الآن هذه الرتبة بالشام المحروس من شيخ تدور هذه الطائفة على
قطبه ، وتجتمع على مائدة قربانه وقربه ، وتمشى على قدميه وتناجى صلاح أحوالها
عن قلبه - تعين أن نختار لها من كملت بالله أدائه ، وصفت فى مشاهد الحق
ذاته ، وزكت فى علمي الإبانه والأمانة شهادته المفصحة ومشاهداته ، وأجمع الناس
على فوائد تسليكه واسلاك قلبه حيث بدت فى وجوه الحسن حسنائه ، ووجوه
الشام شامائه ؛ لما شهر من معرفته وعرفانه ، ولما دعى له ببقاء نوح لما فاض

في العلم من طوفانه ؛ ولما قام في الأذهان من طبقة قدره الموصوف ، ولما سار من رسالة أخباره فإذا قالت الآثار : « هذا السرى » قال الإيثار : « وفضله معروف » .

فليأثر هذه المشيخة المباركة بصدر السالكين رحيب ، ويرى السائلين مجيب ، وفضل يقول الرائد والمريد بدار إقامته : فقاً تبتك من ذكرى منزل وحبيب ؛ وبشر وبشرى يملآن عين المجتلي ويد المجتدي ، وعطيف ولطيف إذا قال الذّاكر لمن مضى :

راح ماليكي ! قال المعاني : وجاء سيدي ؛ وليراج أمور الخوانق الشامية ما غاب منها وما حضر ، وما سمع منها وما نظر ، ولهدب قلوب ساكنيها حتى يعود كإخوان الصفاء من المودة قوم كانوا إخوان الصفا من الحجر ؛ قائماً بحقوق الرتبة قيام مثله من أئمة العلم والعمل ، داعياً لهذه الدولة العادلة فإنه أقصى دواعي الأمل ، معرباً - لأن العربية من علومه - عن الإيضاح غنياً عن تفصيل الجمل ؛ وهو المسلك فما يحتاج لتسليك درر الوصايا ، المخبوء لمثل هذه الزوايا المبرورة : فنعم الزوايا المحبوبة بنعم الحبايا ؛ والله تعالى يعيد على الأمة بركاته ، ويمتعمهم باستسقاء الغوث : إما بسطها عند ربه ! وإما بسطها عند دعواته .



وهذه نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالشام أيضاً ، مضافة إلى كتابة السرى ، كُتبت بها للقاضي ناصر الدين « محمد بن أبي الطيب » كاتب السرى بالشام « بالمقر الشريف » وهي :

الحمد لله الذي شرح صدور أوليائه بمعرفة الحق وأتباعه ، وجعلهم خواصه الذين غدوا من أتباع الحبيب وأشياعه ، ورفق ذكركم على رؤوس الأشهاد وآواهم إلى مقام الأئس في محل القرب بالتسليك المحمدي الذي أوصل إليه مزیده بانقطاعه ، وخصهم

ببركات من حصّهم على الأعمال الصالحة بقصده الجميل وعأيه الغزير وأنصاعه ،
ومنّهم بمن أوضح لهم الطريق المستقيم بإبدائه الحقّ وإبذار إبداعه ، وغدّاهم بالحكمة
فنشّوا بالمعرفة وصار لهم العقل السليم بالتحفظ من الأهوية الرديّة فسلمت لهم الطيبة
على قانون الصّحة بحسن تركيبه وأوضاعه ، وأفاض عليهم من بحر علمه ما نالوا به الرشد
فصاروا أولياء بملزمة أوراده ومتابعة أوزاعه .

نحمده على ما ألهنا من وضع الشيء في محله ، وإيصال الحقّ إلى أهله ، وإجابة
سؤال الفقراء وإعانتهم بمن أغناهم عن السؤال بفضائله وفضله ؛ حمداً بعيد كشاف
الكرب على مرّيديه وطلبته ، ويرفع مقام من قام بشعار الدين بتعظيم قدره وعلوّ
درجته ؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الذي من تقرب منه ذراعاً ،
تقرب منه باعاً ، ومن أناه يمشي أناه هرولة وإذا تقرب إليه عبده بالنوافل
أحبه ، (وعنده مفايح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من
ورقة إلا يعلمها ولا حبه) . ونشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله الذي أضاءت
الأكوان من نور هديه فأهتدت به أصحاب المعارف المسلمون لموجدهم الأمر
والإرادة ، ومن هو روح الوجود الذي أحيا كل موجود وسلك طريق سنته
الموصلة إلى عالم الغيب والشهادة ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين صفت
قلوبهم من الأكدار وإلى التقوى سبقوا ، وصدقوا في المحبة فاستحقوا ثناء مولاهم :
(من المؤمنين رجال صدقوا) ؛ فمنهم من ثمت من فيه رائحة كيد مشوية من
خشية الله ، ومنهم من حدث بما شاهده ببصره وبصيرته على البعد وراه ؛ ومنهم
من أحيا ليله وأستحييت منه ملائكة السماء ، ومنهم من آخذ أخا إذ هو باب
مدينة العلم وركن العلماء ؛ صلاة دائمة تطيب أوقات المحبين ، وتطرب بسامعها
قلوب المتقين أهل اليقين ؛ وسلم تسلياً .

أما بعد، فإن أولى من قدمناه، إلى أهل الصلاح، ورفعناه، إلى محلّ القرب وروح الأرواح؛ وحكّناه، على أهل الخير، ومكّناه في حرب الله الذي غلب لما آجتهدوا على إخراج حزب الشيطان من قلوبهم وزحفوا على قراره بجيش التقوى وسمّتهم الزهد وحسن السير؛ وولّيناه أجلّ المناصب الذي تجتمع فيه قلوب الأولياء على الطاعة، وأحلّناه أرفع المراتب الذي خطبه منهم خيار الجمع بلخوة عروس الجمال في الخلوة بعقد ميثاق سُنّة المحبة وشهادة قلوب الجماعة - من جملة صورة ومعنى، وأفتخر به أجاد ومثني؛ وباشره على أحسن الوجوه، وبلغ كلاً من مُريديه وطلّبه من فضائله وفضله ما يؤمّله ويرجوه؛ ومدّ موائد علومه المحتوية على أنواع الفضائل المغدّية للقلوب، وجلس في حلل الرضا فكسا القوم الذين لا يشقى بهم الجليس ملايس التقوى المطهرة من العيوب؛ وظهر في مخفيهم للهداية كالبدر وهم حوله هاله، وكان دليلهم إلى الحقّ فعدّوا بتسليكه من مشايخ الرساله؛ وجاهد في بيان معاني القرآن العظيم حتى قيل لما فسره: هذا «مجاهد»، وأستدلّ على تنزيهه من تكلم به - سبحانه - عن التشبيه والتعليل «وفي كلّ شيء له آية تدلّ على أنّه واحد»؛ ونقل الحديث المحمديّ الذي هو «موطأ» لتفهم «الغريب» منه وميز «صحيحه» لكلّ «مسلم» فأطرب بسامعه الوفود، وأفاد العباد «تنبه الغافلين» فقاموا في الخدمة فأصبحوا تعرفهم بسيماهم: (سيماهم في وجوههم من أثر السجود)؛ وخفّض جناحه الذي عبر به الشعري العبور والنسر الطائر، وسار إحسانه إلى طوائف الفقراء فصار مثلاً فحبّذا «المثل السائر».

وكان فلان - أعاد الله تعالى من بركاته وأسبغ ظلاله - هو الذي أقامه الله تعالى لهذه الطائفة المباركة مرّة بعد مرّة، ودكرت صفاته الجميلة فكان مثله للعيون قوّه؛

وَأَتَصَفَّ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ الَّتِي مَلَأَتْ الْأَفْوَاهَ وَالْمَسَامِعَ كَمَا مَلَأَتْ مِرْءَانَةَ الْمُقَلِّ، وَحَصَلَ
 الْبَشَرُ بِمَعْرُوفِهِ الَّذِي تُتَبَعُهُ السَّرِيُّ أَبُو يَزِيدَ بَغْرِيُّ عَلَى عَادَةِ الْقَوْمِ الْكِرَامِ؛
 وَنَبَعَتْ عُنَاصِرُ فِضَائِلِهِ فَكَانَتْ شَرَابَ الَّذِينَ صَفَّتْ قُلُوبُهُمْ مِنْ كَدِّهَا، وَأَمْطَرَتْ
 سَحَابُ عُلُومِهِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّازَةَ مِنْ سَمَاءِ الْحَقِيقَةِ فَسَالَتْ أَوْدِيَةً بِقَدْرِهَا؛ وَظَهَرَتْ لَمَعَةُ
 أَنْوَارِ شَمْسٍ مَعَارِفِهِ عِنْدَ التَّجَلِّيِّ عَلَى الْمُرِيدِ، وَسَاقَ نُفُوسَ الْقَائِمِينَ لِمَا عَزَّ مَطْلَبُهُمْ
 بِأَصْلِهِ الَّذِي شَرَحَ طَلَّاسِمَ قَلْبِ الْغَائِيِّ بِذِكْرِ الْبَاقِي فَغَرِقُوا فِي بَحَارِ الْمَحَبَّةِ (وَجَاءَتْ كُلُّ
 نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَتَمِيْدٌ) .

فَلِذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ الْعَالِي - لَا زَالَ يَرْفَعُ أَهْلَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَى أَعْلَى مَقَامٍ،
 وَيُنِيئِي لَهُمْ فِي جَنَّاتِ الْقُرْبِ قُصُورَ الرِّضَا: (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا) وَمَزِيدُهُمُ الْإِكْرَامَ -
 أَنْ تُفَوِّضَ إِلَيْهِ مَشِيخَةَ الشُّيُوخِ بِالشَّامِ الْمَحْرُوسِ: وَوَيْفِيَّتُهُ الَّتِي نَخَرَجَتْ عَنْهُ،
 الْمَرْسُومُ الْآنَ إِعَادَتُهَا عَلَيْهِ، عَوْضًا عَنْ كَانَتْ بِيَدِهِ، بِمَعْلُومِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ الشَّاهِدِ
 بِهِمَا دِيْوَانَ الْوَقْفِ الْمَبْرُورِ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى أَجْمَلِ الْعَوَائِدِ، وَأَكْلِ الْقَوَاعِدِ؛
 تَقْوِيضًا يُنْظِمَتْ بِالْقَبُولِ عُقُودُهُ، وَدَامَتْ فِي دَارِ السَّعَادَةِ سَعُودُهُ، وَفِي دَرَجِ الْمَعَالِي
 صُعُودُهُ .

فَلْيَتَّقِ ذَلِكَ بِالْقَبُولِ، وَلْيَبْلَغِ الْفُقَرَاءَ مِنْ إِقْبَالِهِ الْجَمِّ الَّذِي أَبْلَمَ عَدُوَّهُ الْمُنَى وَالسُّوْلُ؛
 وَلْيَعَامِلِ الْمُرِيدِينَ بِالشَّفَقَةِ الْمَعْرُوفَةِ مِنْ رَحْمَةِ دِينِهِ وَإِفْضَالِهِ، وَلْيَشْمَلْ كَلًّا مِنْهُمْ
 بِعِنَايَتِهِ وَلُطْفِهِ فَإِنَّ الْخَلْقَ عِيَالُ اللَّهِ وَأَحَبُّهُمْ إِلَيْهِ أَشْفَقُهُمْ عَلَى عِيَالِهِ؛ وَلْيَأْمُرْهُمْ بِمُلَازِمَةِ
 إِقَامَةِ الصَّلَاةِ طَرَفِي النَّهَارِ وَزُلْفَا مِنَ اللَّيْلِ، وَإِذَا مَالُوا - وَالْعِيَادُ بِاللَّهِ تَعَالَى - يَوْمًا
 إِلَى مُنَافَسَةِ بَيْنِهِمْ فَيُقْبَلُ: أَتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا وَلَا تَمِيلُوا كُلَّ
 الْمَيْلِ؛ وَلْيُنْفَسِحْ لَهُمْ حَرَمَ الْخَيْرِ الَّذِي وَقَفُوا فِيهِ مُجَاهَ قَصْرِ تَعْبُدِهِ الَّذِي عَلَا بِالْجَوْهَرِ

الفرد وقوة الإخلاص ، ولئذ يخلوهم منه جنة إقبال فوائده التي فيها من أبتكار معانيه حور مقصورات في خيام أدائه لم يطعمهن إنس قبلهم ولا جان وأنجز قصره العالی وجوهه العالی كل بناء وغواص ، وليجعلهم له على جبل أعيناه ومرورة مروءته إخوان الصفا ، وليقيمهم في ركن مقام المناجاة اذا زمزم مطرب حيم تلقاء أهل الوفا ، وليقدم السائقين بمعرفة حقهم ونجدتهم بالورع الذي يغلبون به الشيطان فإن حرب الله هم الغالبون ، وليسداو قلوبهم المرضى بشراب المحبة وتركيب أدوية الأمتلاء من الدنيا ليغتدوا وقت السحر [بحديث] (هل من نائب) ولا يسقيهم كاسات تضعف عنها قوتهم حتى ينقوا من بردة الهوى المضرة وينتسلاوا بحار مجارى دموع الخشوع ويلبسوا جديد ملايس الثنى ويغدوا من الحباب . ومنه تعرف الوصايا ، وعنه تنقل المزايا ، وكرم الأخلاق والسجايا ، وليأمر السالكين بمداومة الأعمال التي قامت بحسن العقائد واستقلت ، وليحض المریدین أوائل التسليك على ذلك فإن أحب الأعمال إلى الله تعالى أدومها وإن قلت ؛ وليعرفهم المحبة بذكر الله لئلا يقوموا على قدم الهيام ، وليبين لهم المعنى إذا لم يعرفوا المعنى ليقطعوا الهواجر في طلب الصيام ؛ وليفرق بين الواردات بملازمة الأوراد لئلا يقعوا من الاشتباه في حبه ، وليأمرهم بادخار العمل الصالح لتكون التقوى لقلوبهم قوتا والزهد ميرة ؛ وليتجمع أهل البدع ، ويرفع من أتضع ؛ وليتفقد أحوال أوقافهم بجميع الخواص والرابط والزوايا بالجمل من النظر ، ويرد في الأجور بما يؤثر فيها نظره الذي مازال لهم منه أوفر نصيب فخبذا العين والأثر ؛ والوصايا وإن كثرت فهو مفيد لها وعنده منبعا ، وتقوى الله الذي هو شيوخها ومريدها في بيته المبارك حلاوة ذوقها وجمعها ؛ والله تعالى يكلؤه في الليل والنهار بآياته البينات ، ويرفعه بها ويرقيه إلى أعلى الدرجات .

المرتبة الثانية

(من تواقع مشايخ الأمانة بحاضرة دمشق - ما يفتح بـ «أما بعد

حمد الله» وفيها وظائف)

نسخة توقيع بمشيخة إقراء القرآن ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ،
كُتِبَ به للشيخ شهاب الدين «أحمد بن النقيب» بـ «المجلس العالى» وهى :

أما بعد حمد الله رافع شهب الهدى أعلما ، وجاعل رتب أفضلها أعلى ما ، ومجل
أحدها من مدارس الآيات منازل بدر إذا عما الحاق من هذا أسما أثبت من سمو هذا قرأ
تماما ، ومسكنه من مواطن الذكر جنات قوم بارتقائهم وبقاء ذكركم خالدين فيها
حسنت مستقرا ومقاما ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد أرفع من أخذ القرآن إماما ،
وأفجع من عقد استحقاق النبوة على حمده خنصرا وجلا الحق بهداه إبهاما ، وعلى آله
وصحبه أمتع من ليس بسر الآيات درعا وأقسم من بركتها سهما - فإن وظيفة
يكون القرآن الكريم ، ربيع فصلها وفصلها ، ورثة يكون الذكر الحكيم ، مداوى قلوب
جفليها ، ومشخة يكون مرید الآيات البيئات وإرد زوايا أهلها - لأحق أن تتغير لها
الأكفاء من ذوى الفضل الأثير ، والأدلاء على أشرف نتائج الهداية من ذوى الحليم
الساكن والعزم المثير .

ولما كانت مشيخة إقراء القرآن بالترتبة المعروفة بأمر الصالح بدمشق المحروسة :
هى كما يقال : أم العلم وأبوه ، وأخوه وحموه ، وصاحبته وأهل الكتاب والسنة بنوه ،
وخلت الآن من شيخ [كان] يجهى حماها ، وتقسيم الخلوات والآيات من بركته وتلاوته
بـ «الشمس وصحها والقمر إذا تلاها» وكان فلان هو الذخيرة المحبوبة لهذا الأمر ،
وذو السيرة المحبوبة بهذا الشرف العمر ، وصاحب القراءة والبيان الذى لا يعوز زمان

طَلَبْتَهُ [أبو] عُمَرُ وَلَا أَبُو عَمْرٍو؛ وَالْجَامِعُ لِعِلْمِ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى جَمَعَ سَلَامَةً فِي فَنِّهِ، وَصِحَّةٍ فِي شَرَفِ ذِهْنِهِ، وَجَوَازِ أَمْرٍ يَشْهَدُ أَنَّ الْبَحْرَ يَخْرُجُ [لدى] الْمَشْكَلاتِ مِنْ صَدْرِهِ وَيَدْخُلُ عِنْدَ عَقْدِ الْحُبِّ فِي رُؤْيِهِ؛ وَالْقَارِيُّ الَّذِي إِذَا قَالَ مُبَيَّنًّا قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، وَالتَّالِي الَّذِي إِذَا قَصَرَ أَوْ مَدَّ، مَدَّ إِلَى سَمَوَاتِ الْعُلَى بِأَسْبَابِ، وَالْمُسِيرُ إِلَى عِلْمِهِ الْمَرْسُومِ بِمُصَحَّفِهِ فَلَا عَدَمَ إِشَارَتِهِ وَمَرْسُومِهِ أَوْلُو الْأَلْبَابِ؛ وَالْمُجَلِّي وَإِنْ سَمَّاهُ الْعُرْفُ تَالِيًا، وَالْمُنْتَقِبَ عَنِ غَوَامِضِ التَّفْسِيرِ: وَ «أَبْنُ النَّقِيبِ» أَوْلَى بِسِنْدِ التَّفْسِيرِ عَالِيًا؛ وَالْإِمَامَ السُّنِّيَّ وَإِنْ سَمَّاهُ الشَّرْعُ الْإِمَامَ الْحَاكِمَ دَهْرًا وَأَقَامَ لَهُ فِي أَفْقِ كُلِّ فَضْلٍ دَاعِيًا؛ وَالسَّامِي الَّذِي يَسْتَلُكُ بِفَخْرِهِ عَلَى «الْعِرَاقِيِّ» أَوْضَحَ مَحَجَّهُ، وَالْعَرَبِيُّ الَّذِي مَا «لِلْفَارِسِيِّ» دَخُولٌ فِي بَابِ تَبَيُّنِهِ وَإِنْ جَاءَ بِحُجَّتِهِ، وَذُو الرِّوَايَاتِ الْمُرَوِّيةِ سَحَابِيَّةً، وَخَلْفَ الْعُلَمَاءِ الْأَبْيَضُ فَمَا «خَلْفَ الْأَحْمَرِ» مِمَّا يُقَارِبُهُ، وَلَا «تَعَلَّبَ» مِمَّا تَضَيِّجُ لَدَيْهِ تَعَالِيَهُ، وَلَا «أَبْنُ خَرُوفٍ» مِمَّا يُدَانِيهِ وَهُوَ «الَلَيْثُ» وَمِنَ الْأَقْلَامِ مَحَالِيَهُ، وَبَقِيَّةُ السَّادَةِ الْقُرَّاءِ الْمُنْشَدُ قَوْلَ الْحَمَّاسِيِّ .

وَأَيُّ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ هُمْ هُمْ • إِذَا مَاتَ مِنْهُمْ سَيِّدٌ قَامَ صَاحِبُهُ!
بُدُورُ سَمَاءٍ، كَلِمًا غَابَ كَوَكَبٌ، • بَدَا كَوَكَبٌ، تَأْوَى إِلَيْهِ كَوَاكِبُهُ!

تَعَيَّنَ أَنْ يُخَطَّبَ لِهَذِهِ الْمَشِيخَةِ خُطْبَةَ الْفَقِيِّ لِأَقْبَتَالِ مَجْدِهِ وَالشَّيْخِ لِتَوْقِيرِهِ، وَيُطْلَبُ لِهَذِهِ الرَّتْبَةِ طَلِبًا يَقْضِي الْأَمْلُ فِيهِ بَعْنَانُ تَيْسِيرِهِ .

فُرِّسَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ أَنْ يَسْتَقَرَّ... : وَضَعًا لِلْأَشْيَاءِ فِي مَحَلِّهَا، وَرَفَعًا لِأَقْدَارِ الْأَفْاضِلِ إِلَى أَعْلَى رُتَبِ الْفَضْلِ وَأَجَلِّهَا؛ وَعِلْمًا بِمَقْدَارِ هَذَا الْعَالَمِ السَّابِقِ فِي أَفْقِ الْهُدَى شَهَابًا، الْمُدَقِّقَ عَلَى رِيَاضِ الْعِلْمِ سَحَابًا، النَّاقِلَ إِلَى مَجَالِسِ الْأَشْتِغَالِ خُطًّا يَقُولُ لَهَا الْمُؤْمِنُ بِالْإِكْرَامِ وَالْكَافِرُ بِالْإِرْغَامِ: (يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا) .

فليباشره - هذه الوظيفة مباشرة مثله من ذوى الأناة والإفادة ، وكفاة المناصب الذين على سعيهم الحسنى وعلى الدولة تصل الزيادة ؛ وليسلك فى الأشغال عادة نطقه الأحسن ، وليعامل طلبته فى المباحث بغير ما ألفوا من الخلق الأخصن ، وليلعلم أنه قد جمع بين ربه وتربة الأمم كى تفر عينها ولا تحزن ؛ فليسرها بنبله ، وليبرها بفضله ؛ وليوفر السعى إليها كل وقت فى المسير ، وليفسر أحلام أميها فيه فى مفردات علومه التفسير ؛ وليحسن لتلاميذه الجمع ، وليحجم حمى رواياتهم من الخطأ ولا تعجب أن يعجب حمى السبع ؛ ناليا كلام ربه كما أنزل وحسبه ، داعيا بذسب قراءته إلى ابن كعب فبذا نسبه المبارك وكعبه ؛ فاصبا بمنظر تخصيه أشخاص أمثاله الأول بعد ما ضمهم صفيح اللهد وتربه ، حتى يميس «الكسائى» فى برد مسرته الفاسر ، ويفتح عيون «حمزة» على زهرات روض عرق المباحر ، ويترنم ورشان «وريش» فى الأوراق على بحره الزانر ؛ ويظهر بفضله ذكر «الشاطبي» فيكون «القاضى الفاضل» رحمه الله قد أظهره فى الزمن الأول و«الناضى الفاضل» أجله الله قد أظهره فى الزمن الآخر ، وتقوى الله تعالى كما علم ختام الوصايا البيض فليتناول مسكها الذى هو بسدا المسك سائر ؛ والله تعالى ينفع بعلم صدره الذى ما ضاق عن السؤال فله ، ويمتع بعلم قدره الذى إن لم يكن هو لفضل الثناء فى له .

المرتبة الثالثة

(من تواقع مشايخ الأماكن بماضرة دمشق - ما يفتح به «رسم بالأمر»)

توقيع بمشيخة الجوالقية ، من إنشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة ؛ وهو :

رسم بالأمر - لا زال حسن اعتقاده يستترل النصر فينصر ، ويستبصر مطالع الفوز فيبصر ، ويستجلب الأدعية الصالحة من كل زايد إذا حام فى أفق العبادة

حَلَّقَ وَمَا قَصَّرَ - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : حَمَلًا عَلَى الْوَصِيَّةِ التَّامَّةِ الْحَكْمِ وَالْأَسَاسِ ، وَعِلْمًا
بَأَنَّهُ مِمَّنْ حَلَّ فِي مَشِيخَتِهِ لِبَاسُ بَلَّاسٍ ، وَنَزَعَ فِي الزَّهْدِ عَمَّا عُدَّ زِينَةً فِي النَّاسِ ؛^(١)
وَسَرَّحَ شَعْرَهُ حَقِيقَةَ التَّسْرِيحِ فَأَطْلَقَهُ ، وَحَارَقَ سَوَادِهِ وَبَيَاضَهُ فَأَعْتَقَهُ ؛ وَلَا زَمَ
طَرِيقَ مَشَايخِهِ فَمَا ، وَشَكَرَ الْحَالَ بِجَعَلٍ فِي مَنِيَّتِ كُلِّ شَعْرَةٍ لِسَانًا لِلشُّكْرِ وَقَا ؛ وَسَرَّ
طَائِفَةً وَرَدُّوا عَلَى آثَارِهِ مَنَاهِلَ الْوَفَا ، وَصَفَّتْ قُلُوبُهُمْ وَوَجُوهُهُمْ فَدَارَتْ عَلَيْهِمْ
كُتُوسُ إِخْوَانِ الصَّفَا ؛ حَتَّى مَشَوْا إِلَى مَطَالِبِ الْخَيْرِ مَثَى الرَّخَاخِ ، وَفَانَحَرُوا أَفْوَامًا
دَسُّوا عِمْرَةَ رُتْبَتِهِمْ فَلَوْلَا أَدْبُهُمْ لَأَنْسَدُوهُمْ : «عُقُولُ مُرْدٍ وَلِحَى أَشْيَاخٍ» .

فَلَيَقُمْ فِي مَشِيخَتِهِ قِيَامًا يُحْيِي الْقَوْمَ بِأَنْفَاسِهِ ، وَيُبْهِجُهُمْ بِكَرَامَةِ الْكَشْفِ مِنْ قَلْبِهِ
وَتَكْرِيمِ الْكَشْفِ مِنْ رَأْسِهِ ؛ سَالِكًا بِهِمْ فِي طَرَائِقِ الْخَيْرِ مُسْتَبْشِرِينَ ، أَمْرًا بِتَقْصِيرِ
الْمَلَابِسِ وَرَعًا حَتَّى يَدْخُلَ بِهِمْ إِلَى النَّسْكِ مُحَلِّقِينَ وَمُقْصِرِينَ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَنْفَعُ بِهِ ،
وَيُبْقِي حَالَهُ بِمُدْهَبٍ مَذْهَبِهِ .

الضرب الثاني

(من تواقيع مَشِيخَةِ الْأَمَاكِنِ - مَا هُوَ بِأَعْمَالِ دِمَشْقَ ، وَفِيهِ مَرْتَبَةٌ

وَاحِدَةٌ ، وَهِيَ الْإِفْتِتَاحُ بِ«رَسْمِ»)

وَهَذِهِ نَسْخُ تَوَاقِيعِ مِنْ ذَلِكَ :

نَسْخَةٌ تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الْحَرَمِ الْخَلِيلِيِّ ، مِنْ إِنْشَاءِ الشَّيْخِ جَمَالِ الدِّينِ بْنِ نُبَاتَةَ ،
كُتِبَ بِهِ لِلشَّيْخِ «شَمْسِ الدِّينِ بْنِ الْبِرْهَانَ» الْجَعْبَرِيِّ بِ«الْمَجْلِسِ» وَهِيَ :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ الشَّرِيفِ - أَعْلَاهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَبَسَطَ عَدْلَهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ الْوَاوِصُفُ
وَلَوْ تَعَالَى ، وَسَرَّى لِأَوْلِيَاءِ بَنِي الْأَوْلِيَاءِ بِرَّهَ الَّذِي تَسَنَّ بِسُنَّةِ الْغَيْثِ ثُمَّ تَوَالَى - أَنْ

(١) الْبَلَّاسُ كَسَابِ الْمِشْحِ فَارِسِيٌّ مَعْرَبٌ .

يستقر... .. - أدام الله تعالى ببركته الأئمة، وباقتداء سلفه الأئمة، وأعاد من
 بركات بيته الذي قام البرهان بفضلته وقال بوضوح شمس الإجماع - في مشيخة حرم
 سيدنا الخليل صلوات الله عليه وسلامه، على عادته القديمة المقدمه، ومستقر قاعدته
 المعلومة المعلمه؛ بعد إبطال ما كتب به لغيره فإن هذا الولي أولى، ولأن الحق معه
 وباع الحق أطول على المعنيين إطالة وطولاً؛ وضماً للشئ في محله الفانر، وحمل
 على ما بيده من تواقع شريفة توارث بركتها ملوك البسيطة في الأول والآخر، وعلماً
 أنه بقية العلم المشيد، والزهد العتيد؛ وخليفة السلف الصالح وما منهم إلا من هو
 «أمين» العزم «رشيد»، وأنه الشيخ وكل من عرفه في بقائه ولقائه مُريد؛ والقائم
 بالمقام الخليلي - صلوات الله تعالى على ساكنه - مقاماً مجتبي، والمنسب إلى خدمة
 الحرم الإبراهيمي تخدوما صلى الله عليه ونسباً؛ والقديم الهجرة فلا تركه الأوطان
 ولا تهجره، والمقيم بالبلد الخليلي على إقامة الخير: فما ضره أن العدو يشكوه إذا كان
 «الخليل» يشكوه؛ وقد سبقت له مباشرات في هذا الحرم الشريف فكان عزمها
 تماماً، وشكرها لزاماً، وكانت على الصادقين والواردين كذلك النار النبوية برداً وسلاماً.
 فليعد إلى مباشرة وظائفه المذكورة في التواقع الشريفة التي بيده، وليكن يومه
 في الفضل زائداً على أمسه مقصراً عن غده؛ بثناء يتلقى أضياف أبي الأضياف،
 باليف أحوال الداخلين إليه شتاءً وصيفاً وإن لم تكن رحلة لإيلاف، جارياً في بركة
 التدبير والتثمير على عادته وعادة سلفه فينعم الخلف ونعم الأسلاف؛ مواظباً على عادة
 تقواه ورفع الأدعية لهذه الدولة الشريفه، جاعلاً ذلك منه أول وآخر كل
 وظيفه؛ والله تعالى ينفع ببركات سلفه وبه، ويكافئ عن الأضياف بسط راحته
 بالخيرات وفضل تعبته .



تَوْقِيعٌ بِمَشِيخَةِ الزَّوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ وَنَظَرُهَا ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بِرَهَانَ الدِّينِ»
أَبْنِ الْمَوْصِلِيِّ بِ«بِالْحَنَابِ الْعَالِي» وَهُوَ :

رُسِمَ ... - لِأَزَالِ يُجْرَى الْأَوْلِيَاءَ فِي مَقَاصِدِهِمْ عَلَى أَجْمَلِ عَادَةٍ ، وَيُخْتَارُ مِنْهُمْ لِمَوَاطِنِ
الْخَيْرِ مَنْ يَرَعَاهَا بِنَظَرٍ يُنَمِّرُهَا السَّعَادَةَ - أَنْ يُجْمَلَ فَلَانٌ فِي وَظِيفَتِي النَّظَرِ وَالْمَشِيخَةِ
بِالزَّوِيَةِ الْأَمِينِيَّةِ بِالْقُدْسِ الشَّرِيفِ ، عَلَى حَكْمِ التَّزْوِيلِ وَالتَّقْرِيرِ الشَّرْعِيِّينَ الْمُسْتَمِرِّ
حُكْمُهُمَا إِلَى آخِرِ وَقْتٍ ، وَأَسْتَمِرَّاهُ فِي الْوِظِيفَتَيْنِ الْمَذْكُورَتَيْنِ بِمَقْتَضَاهُمَا ، وَمَنْعِ
الْمَنَازَعِ بِغَيْرِ حَكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ .

فَلْيَبَاشِرْ ذَلِكَ بِمَا يُقْتَدَى بِهِ مِنْ تَسْلِيكِهِ وَتَأْدِيبِهِ ، وَتَسْرِعْ رَغْبَتَهُ فِي هَذَا الْمَقَامِ
وَمِنْ عَنَايَةِ تَهْدِيهِ ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَلَكِنْ لَا تُقَالُ لِئِنَّهُ إِذْ هُوَ مُعَلِّمُهُ ، وَتَقْوَى اللَّهِ
سَبْحَانَهُ أَهْمُهَا وَأَعْظَمُهَا ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى الْمَسْئُولُ أَنْ يَرشِدَنَا إِلَيْهَا ، وَأَنْ يَجْعَلَ فِي كُلِّ
الْأُمُورِ أَعْتَادَنَا عَلَيْهَا ؛ بِمَنَّةِ وَكَرَمِهِ ! .

الصنف الخامس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - تواقيع العربان)

والذي وقفت عليه من ذلك مرسوم مكتتب برُيع تقدمته بنى مهدي به بالمجلس
السامي بغير ياء ، كتب به له «موسى بن حناس» مفتتحاً به «أماً بعد» وهو :

أماً بعد حمد الله تعالى الذي جمع على الطاعة الشريفة كل قبيله ، وبسط على ذوى
الإخلاص ... (١) ... الظليله ؛ والشهادة بأنه الذى لا إله إلا هو وحده لا شريك له

(١) بياض فى الأصل ولعله «ظلال نعمة الظليلة» .

شهادة أمخدها للتوحيد دليلاً ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله الذي
 آخذه الله تعالى حبيبه وخليته ، وآناه الدرجة الرفيعة والوسيلة ، وعلى آله وصحبه
 صلاة مباركة أصيله - فإن الأولى لتركية القوم تُرعى ، وذو الإخلاص ينجح له
 كل مسعى ، والجدير بالنعيم من يُجيب بالطاعة حين يُدعى ؛ من سلك في الخدمة
 الشريفة مسلك الأسلاف ، وتجنب ما يُفرض إلى الشقاق والخلاف ؛ فعند ذلك
 رقعنا مراتبه ، وضاعفت مواهبه ، وأزنا بالإقبال الشريف كواكبه ، وأجلنا مكاسبه ؛
 وبسطنا في رُبع تقدمه بنى مهدي كلامه ، ونفذنا أمره على طائفته : قوله وإبرامه ؛ من
 أضحى مشكوراً من كل جانب ، مجتهداً في المصالح وبلوغ المآرب ؛ من عُرف بالأمانة
 فسلكها ، وأشهر بالصيانة فملكها ؛ وحاز أوصافاً حسنة ، وسيرةً نطقت بها
 الأئسنه ؛ وكان فلان هو الذي أضحى على عُربانه مقدماً ، ومن أكابرهم معظماً .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لزالته مراسمهُ الشريفةُ عاليةً نافذةً ، وأوامره
 بصلة الأرزاق عائده - أن يستقر... على عادته وقاعدته : حملاً على ما بيده من
 التوقيع الكريم .

فليباشر هذه الإمرة مع شركائه مباشرةً حسنة ، وليسير فيها سيراً تشكره عليه
 الأئسنه ؛ وليظهر السداد ، وليبدل الطاعة والاجتهاد ؛ وليسلك المسالك الحسنة ،
 والله تعالى يجعله من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه ؛ والوصايا كثيرةٌ
 وملاكمها تقوى الله تعالى ، والله تعالى يجعل إحساننا إليه يتوالى .

قلت : وقد تقدم أنه يكتب بإمرة بنى مهدي من الأبواب السلطانية أيضاً .
 على أن هذا التوقيع من التواقيع الملققة ، ليس فيه مطابقة للتواقيع ، وليس برائق
 اللفظ ، ولا مؤنق المعنى .

(١) هذا الكلام كما به عليه المؤلف بعد غير منسجم بل غير مستقيم .

الصنف السادس

(مما يكتب لأرباب الوظائف بالشام - توقيع زعماء

أهل الذمة : من اليهود والنصارى)

وهذه نسخة توقيع لبطرك النصارى مفتتحاً بـ «أما بعد» كُتب به لبطرك

« ميخائيل » وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعلنا نَسْمَلُ كُلَّ طائفةٍ بمزيد الإحسان ، ونُفِيضُ من دولتنا الشريفة على كُلِّ بَلَدٍ أطمئناناً لكلِّ مِلَّةٍ وأماناً ، ونُقَرُّ عليهم من آخثاره وتُرَاعِيهِم بمزايا الفضل والأمتنان ، والشهادة بأنه الله الذي لا إله إلا هو الواحد الذي ليس في وحدانيته قولان ، والقرود المنزهة عن الجواهر والأقنوم والوالد والولد والحلول والحدثان ، [شهادة] أظهر أقرارها اللسان ، وعمَلت بها الجوارح والأركان ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد عبده ورسوله المبعوث إلى كافة المَلَلِ والإنس والجان ، الذي بشر به عيسى وآمن به موسى وأنزل عموم رسالته في التوراة والإنجيل والزبور والفرقان ، فصَحَّ النقل بنبوته وآدم في الماء والطين وأوضح ذلك البرهان ، وعلى آله وصحبه الذين سادوا بإخلاص الوحدانية ، وشادوا أركان الملة المحمديَّة ، وأعزوا الإيمان وأدلوا الطغيان ، صلاةً يَنْفَعُ طيبها ، ويُفْصِحُ خَطيبها ، ويُفْرِحُ بها الرحمن - فإنَّ أولى من أقمناه بطريكتنا على طائفة النصارى المَلِكِيَّة ، على ما يقتضيه دين النصرانية والمِلَّة العيسويَّة ، حاكماً لهم في أمورهم ، مُفْصِحاً عما كَنَّ في صدورهم - من هو أهل هذه البطريركية ، وعارف بالمِلَّة المسيحيَّة ، أخذهُ لها أهل طائفته ، لما يعلمون من خبرته ومعرفته ، وكفائته ودُرْبَتِهِ ، ونُدب إلى ولاية يستحقها على أبناء جنسه ، ورغب في سلوكه لها مع إطابة نفسه ، مع ماله من معرفة سرت

أخبارها ، وظهرت بين النصارى آثارها ؛ وكان فلان - أدام الله تعالى بهجته - هو من النصارى الملكة بالمعرفة مذكور ، وسيره بينهم مشكور ، القائم فيهم بالسيرة الحسنة ، والسالك في مذاهبهم سيرا تشكره عليها الأئسته .

فلذلك رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم لكل طائفة شاملا ، ويره الجسيم لسائر الملك بالفضل متواصلا - أن يستقر بطركا على النصارى الملكة بالشام وأعماله ، على عادة من تقدمه في ذلك ، وتقوية يده على أهل ملته ، من تقادم السنين بحكم رضاهم ، ومنع من يعارضه في ذلك : حملا على ما بيده من التوقيع الكريم المستمر حكمه إلى آخروقت .

فليأثر هذه البطركية مباشرة بمجودة العواقب ، مشكورة لما تحلت به من جميل المناقب ؛ وليحكم بينهم بمقتضى مذهبه ، وليسرفهم سيرا جميلا ليحصل لهم غاية فضده ومأربه ؛ ولينظر في أحوالهم بالرحمة ، وليعمل في تعلقاتهم بصدق القصد والهمم ؛ وليسلك الطرق الواضحة الجلية ، وليتخلق بالأخلاق المرضية ، وليفصل بينهم بحكم مذهبه في موارثهم وأنكحتهم ، وليعتمد الزهد في أموالهم ومتعتهم ؛ حتى يكون كل كبير منهم وصغير ممثلا لأمره ، واقفا عندما يقدم به إليه في سره وجهره ؛ مستصين لإقامة حرمة ، وتنفيذ أمره وكاتبته ؛ وليحسن النظر فيمن عنده من الرهبان ، ويرفق بذوى الحاجات والضعفاء : من النساء والصبيان ، والأساقفة والمطارنة والقسيسين زيادة للإحسان ؛ إحسانا جاريا في المساء والصباح ، والغدو والرواح .

فليمتثلوا أمره بالطاعة والإذعان ، وليجيبوا نهيته من غير خلاف ولا توان ؛ ولا يمتكن النصارى في الكنائس من دق ناقوس ، ورفع أصواتهم بالصجيج ولا سيما عند أوقات الأذان لإقامة الناموس ؛ وليتقدم إلى جميع النصارى بأن كلا منهم يلزم

زِيَهُ، وما جاءت به الشروط العَمَرِيَّةُ - عمر بن الخطاب رضِيَ اللهُ عنه - لتكونَ أحوالهم في جميع البلاد مَرَعِيَّةً ؛ وليخشَ عالم الخَفِيَّاتِ ، وليستعمل الأناةَ والصَّبْرَ في جميع الحالات ؛ والوصايا كثيرةٌ وهو بها تارِفٌ ، والله تعالى يُلْهِمُهُ الرُّشْدَ والمعارِفَ .

قُلْتُ : وهذا التوقيع فيه ألفاظٌ ومعانٍ غيرُ مستَحْسِنَةٍ ، وألفاظٌ ومعانٍ مُنكَرَةٌ ، أخشئها قوله : مُفصَّحًا عما كُنَّ في صُدُورِهِمْ . فإنه لا يعلم ما تُخْفِي الصدورُ وتُكْتُمُهُ إلا اللهُ تعالى .

واعلم أنه ربما أفتتح توقيعُ البطريرك عندهم بـ «رُسم بالأمر» .



توقيع لبَطْرِكِ النصارى بالشام أيضا ، كُتِبَ به للبَطْرِكِ «داود الخُصْرِي» بـ «البَطْرِكِ المحتشم» وهو :

رُسم بالأمر - لازل يَعْزُ بالأنبياءِ إلى حَرَمِهِ من يَأْوِي إليه ، وَيَقْصِدُ عَدْلَهُ من أهلِ المِلَلِ ويعتمدُ عليه - أن يستقرَّ فلانٌ - وفقه اللهُ تعالى - بطريرك المَلِكِيَّةِ ، بالملكة الشريفة الشامية المحروسة ، حَسَبَ ما آخِثاره أهلُ مِلَّتِهِ المقيمون بالشام المحروس ورَغِبُوا فيه ، وَكَتَبُوا خُطُوطَهُمْ به ، وسألُوا تقريره في ذلك دون غيره ؛ إذ هو كبير أهلِ مِلَّتِهِ ، والحَاكِمُ عليهم ما أمتد في مدته ؛ وإليه مَرَجِعُهُمْ في التَّحْرِيمِ والتَّحْلِيلِ ، وفي الحكم بينهم بما أنزل اللهُ تعالى في التَّوْرَةِ ولم يُنسخ في الإنجيل ؛ وشِرعته مبنية على المسامحة والاحتمال ، والصَّبْرُ على الأذى وَعَدَمُ الأكَتْرَاتِ [به] والاحتفال .

نَحْنُ نَفْسُكَ في الأولِ بهذه الآداب ، وأعلمُ بأنَّ لك في المدخل إلى شريعتك طريقًا إلى الباب ؛ فتخلِّق من الأخلاق بكلِّ جميل ، ولا تَسْتَكْثِرُ من متاع الدنيا

فإنه قليل ؛ وقدّم المصالحة بين المتحاكمين إليك قبل الفصل البتّ فإنّ الصلح كما قيل : سيّد الأحكام ، وهو قاعدة دينك المسيحيّ ولم تخالف فيه المحمديّة الغراء دين الإسلام ، ونظف صدور إخوانك من الغلّ ولا تقنع بما ينظفه ماء المعمودية من الأجسام ؛ وإليك الأمر في البيع ، وأنت رأس جماعتك والكلّ لك تبع ؛ فإنّك أن تتخذها لك تجارة مربحة ، أو تفتطع بها مال نصرانيّ تقربه فإنّه ما يكون قد قرب به إلى المدبج وإنما ذبحه ؛ وكذلك الديارا - والقلاى ، [يتعين عليه أن يتفقّد فيها كل أمر في] الأيام والليالي ؛ وليجتهد في إجراء أمورها على ما فيه رفع الشبهات ، وليعلم أنّهم إنما أعتروا فيها للتعبّد فلا يدعها تتخذ متزهات ؛ فهم إنما أحدثوا هذه الرهبانية للنقل في هذه الدنيا والتعطف عن الفروج ، وحبسوا فيها أنفسهم حتى إنّ أكثرهم إذا دخل إليها ما يعود يبقّى له خروج ؛ فليحدّزهم من عملها مضيدة لئلا ، أو حلوة له وليكن بالنساء حراما ويكون إنما تزه عن الحلال ؛ وإياه ثم إياه أن يؤوى إليه من الغرباء القادمين عليه من يريب ، أو يكتّم عن الإنهاء إلينا مشكّل أمرٍ ورد عليه من بعيد أو قريب ؛ ثم الحدّر الحدّر من إخفاء كتاب يرد [إليه] من أحد من الملوك ، ثم الحدّر الحدّر من الكتابة إليهم أو المشى على مثل هذا السلوك ؛ وليتجنّب البحر وإياه من أفتحامه فإنّه يفرّق ، أو تلقى ما يلقيه إليه جناح غراب منه فإنّه بالبين يتنعق ؛ والتقوى مأمور بها أهل كلّ ملة ، وكلّ موافق ومخالف في القبلة ؛ فليكن عمله بها وفي الكفاية ما يُغني عن التصريح ، وفيها رضا الله تعالى وبها أمر المسيح .



توقيع براسة اليهود بالشام ، مفتحا بـ رسم من إنشاء الشيخ جمال الدين ابن نباتة ، وهو :

رُسم بالأمر - لا زال جُوده في كلِّ مِلَّة ، وعمامُ كرمه على انطلق كأنه ظُلْمُهُ ،
 وذِمَامُ نِعْمه يُبَلِّغُ الْمُسْلِمَ وَالذَّمِّيَّ مِنَ الْاِسْتِحْقَاقِ مَحَلَّهُ ، أن يستقرَّ الحكيمُ ... (١) ...

ومنه : - وأن يعاملهم على ما ألقوه من الأحكام ، ويُصِفَ صَاحِبَ حَقِّهِمْ
 مِنْ مُتَطَلِّبِهِمْ : حَتَّى لَا يَعْدُو أَحَدٌ فِي سَبْتِ وَلَا فِي سَائِرِ الْأَيَّامِ ؛ وَيُهْدَبَ وَخَشِيٌّ
 جَاهِلُهُمْ بِإِنْسَانِهِ ، وَيَعَالِجَ سَقَمَ كَاهِلِهِمْ حَتَّى تَطْلُعَ الصَّفْرَاءُ مِنْ رَأْسِهِ .

فليُقيمَ مقامًا في هذه الطائفة القديمة ، وليعبّر من أسفارٍ عبرانية عن عوائد قضاياهم
 النظيمه ؛ مُفَرِّحًا بِمَعْرِفَتِهِ كُلَّ حَزَّانٍ ، جَامِعًا كُلَّ شَعْبٍ عَلَى عَدْلِ عِنْدِهِ وَإِحْسَانٍ ؛
 شَاكِرًا لظُلْمِ النِّعْمِ ، عَارِفًا بِالْعَوَارِفِ الَّتِي تَرَعَى بِمِيزَانِهَا كُلَّ ذِمَّةٍ .

النيابة الثانية

(من النيابات التي يكتب عن نوابها بالولايات - نيابة حلب)

وهي على نحو من تَمَطُّ دِمَشْقَ فَيَا يَكْتُبُ عَنْ نَائِبِهَا . فَيَكْتُبُ عَنْ نَائِبِهَا أَيْضًا
 بِالتَّوَاقِيعِ لِأَرْبَابِ الْوُضَائِفِ بِمَاضِرَةِ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا : مِنْ أَرْبَابِ السُّيُوفِ ، وَأَرْبَابِ
 الْأَقْلَامِ الدِّيْبَةِ ، وَأَرْبَابِ الْأَقْلَامِ الدِّيْوَانِيَّةِ ، وَمَشَايخِ الْأَمَّاكِينِ وَغَيْرِهِمْ ، مُرْتَبَةً عَلَى
 الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ : مِنْ الْاِفْتِتَاحِ بِ«الْحَمْدُ لِلَّهِ» ، وَالْاِفْتِتَاحِ بِ«أَمَّا بَعْدُ حَمْدُ اللَّهِ» ،
 وَالْاِفْتِتَاحِ بِ«رُسْمٌ بِالْأَمْرِ» .

وهذه نسخُ تَوَاقِيعَ مِمَّا كَتَبَ بِهِ لِأَرْبَابِ السُّيُوفِ بِمَاضِرَةِ حَلَبَ وَأَعْمَالِهَا ،
 يُسْتَضَاءُ بِهَا فِي ذَلِكَ :

(١) بياض بالأسول .

تَوْفِيعٌ بِنِقَابَةِ الْأَشْرَافِ، كُتِبَ بِهِ لِلشَّرِيفِ عِزِّ الدِّينِ «أحمد بن أحمد الحسيني»
بـ «المقر العالی» وهو :

أما بعد حمد الله الذي خلد السيادة في بيوت الشريف أحمد تخليد ، وقلد تقاليد
السعادة ، لأهل الإفادة ، أسعد تقليد ، وجدد الوفاة ، لحرم العبادة ، بعز العصابة
المحمدية أكد تجديد ، والصلاة والسلام على سيد الخلق الذي عقد العهدين لأئمة ،
بالتقليد : من كتاب الله وعترته ، وسر النفوس المؤمنة هداه بكل أنى من أسرته ، وأقر
العيون المراقبة بكل سرى من أهل بيته تبرق أنوار النبوة من أسرته ، وعلى آله حبل
النجاة لتمسك ، وسبل الهداة للتنسك ، وصحبه نجوم الهدى ، ورجوم العدا ، وأئمة
الخير لمن بهم اقتدى ، صلاة وسلاما ، يتعاقبان دواما ، ويتلازمان على الألسنة مدى
المدى لزاما ، ما حلا بعين وطف ، وما علا علوى ذرا شرف - فإن أهم ما أعتنى
به ولاة أمور الإسلام ، وأعم ما أفتنى منه رعاة أجور الحكام - رعاية مصالح أهل
البيت ، وآتهاز الفرصة في موالاتهم حتى لا يقال لقواتها : ليت ، وتعظيم ما عظم الله
تعالى من حقوقهم ، وتكريم ما كرم رسوله من ربه وأجتناب عقوبهم ، وتقديم
أحقهم بالتقديم لاحق سبأهم إلى غايات الغلوات وسبوقهم ، والتعبد بالتعب
والاجتهاد في نفعهم ، ونصب النفوس للنصب لتجر ذبول الفخر بولاتهم ،
وإعلانهم على الرؤوس ورفعهم ، اختيارا لرأى من زاد في العناية بالعترة الطاهرة
وأزبى ، وأتمارا بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾
خصوصا بنقابة الأشراف ، والنظر فيما لهم من الأوقاف ، فهي شاملة جمعهم ، وجامعة
شمليهم ، وواصله نفعهم ، ونافعة كلهم ، وبفضل مباشرها تسبغ عليهم النعمة ،
وتستدر بركة إجماعهم عليه سبحانه الرحمة ، وبكفالاته تجميع المنة لمراتبهم وأحسابهم ،
وبإيائته تدفع الظنة عن مناقبهم وأنسابهم ، وهو القائم عن ولاة الأمور من خدمهم

بفروض الكفايه ، والدائم الدأب لمرآة أدهم لتحسن لهم الرعايه ، فوجب الاحتفال
 باختيار من يحلّي هذا المنصب الشريف ، وتعين الأبهال في امتياز من يسبغ عليه
 هذا الظلّ الوريث ، ممن قدم في هذه السيادة بيته ، وأرتفع بخفض العيش لقرانته
 بعقابه وديانته صيته ؛ وتزّه عن كلّ ما يسيئ وتبرا ، وأكتسى حلال الفخار العلية
 ومن أعراض الدنيا الدنية تعزى .

وكان فلان بن فلان - أسبغ الله تعالى ظلالهم ، وضاعف بمعالى الشرف
 جلالهم - ممن حاز في هذه الخلال المنازع ، وجاز نهاية هذه الخصال بلا منازع ،
 وورد من حياض المناقب الجميلة أعذب المشارع ؛ ودرى المراقي إلى التجد ودرّب ،
 وبلغت نفوس محبيه من مخايل سعوته الأرب ، وقوت عيون أقاربه بما حصل له
 من القرب ؛ ونسأ في حجر السعادة ، وأرتضع لبان الإفاده ، ولحق بالسابقين الأولين
 من أهل بيته في الزهاده ، وتبدّل بالإخلاص فظهرت على وجهه أنوار العباده ؛
 وأنقطع على العمل ، وبلغ من العلوم الأمل : فقوم تشبث بالبحرّة وهو شامة
 في شامه المنسوب :

ورث السيادة كبرا عن كبر ! * كالريح أنبوب على أنبوب .

أصل نفاير سما ، وفرع نجار سما ، وعيث فضيل همى ؛ أثبت في أعلى المعالي قدما ،
 وناسب قدره سعيه كرها ؛ وجلت صفات محاسنه اللائقه ، وحلت الأفواه مدائح
 سبحاياه الرائقه ، وتمت الألسن وما ملت ما ملئ عنه بالخير كل ناطقه .

فلذلك رسم بالأمر الشريف - لزال أوامره ببر آل موالاته ماضيه ، ونواهيه
 بتهر أهل معاداته فاضيه - أن يستقر ... استقرارا يقر عين العلاء ، ويسر نفوس
 أهل الولا ؛ ويضع الأشياء في محلها ، ويسند الأمور إلى أهلها ؛ ويستجلب الأدعيه ،

ويحمل بالولاء الجميل ألويته ؛ ويشرح خواطر الأشراف ويطيب نفوسهم ، ويرفع
بعد سجود الشكر بالدعاء رؤوسهم .

فليأشر هذه الوظيفة مباشرة يقفوها آثار بيته الطاهر ، بعزم كريم : لكل مُصلح
بالخير غامر ، ولكل مُفسد بالضير قاهر ؛ وحزم حليم : لكل حق ناصر ، ولكل
كسر جابر ؛ وليصل بالبر رحمة ، ولين للضعيف كلمة ؛ وليقم بأعباء هذه الوظيفة
قيام عمه الشريف وأبيه ، وليصم عن أموال الأوقاف صياماً يقربه الله تعالى به
ويحتويه ؛ ليحمد ، هذا المنصب الجليل ، في بيته الأصيل ، عوده على أحمد ؛
وليضع قرابته بتمير أموالهم ، وليشفع النهضة بالمعرفة في تثير غلالهم ؛ : لتدر بركته
أخلاف أرزاقهم ، وتغر خواطرهم بمضاعفة أرزاقهم وإطلاقهم ؛ ويخصب
في جنابه مرعاهم ، ويقرّب في بابه مسعاهم ؛ وتنطق بشكره أنستهم الشريفه ، وتطبق
على صحنه ظلال بيوتهم الوريثه ؛ وليعتبر ويختار أشغالهم ويمنع شبانهم من الاحتراف
بحرف الأدياء ، وليأمر الآباء بتعهد تربية الأبناء ؛ وليأمرهم من العمل بما يناسب
معاليمهم ، وليجبرهم بتديره السيد جبراً يميزهم بحسن السمّت من أوليائهم : وكلنا
من مواليم .

والوصايا كثيرة ، وعين علومه بتعدادها بصيره ؛ وتقوى الله تعالى لا يهمل النص
عليها ، والإشارة بحسن البيان وحسن البنان إليها ؛ فلنكن ركن أسقناده ، ورأس
مال أعماده ؛ والله تعالى يديمه في صعود درج السعود مدة حياته ، ويجمع له خيري
الدنيا والآخرة برفع درجاته .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الجيوش بحلب ، كتبت به لـ «ناصر الدين بن ايتك»
بـ «السامي» بغيرياء ، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال أمره الشريف يُعَصِّد الجيوش بأعْضِدِ ناصر،
وَيُرِشِدُ أولياء الخِدمة إلى ارتقاء رَبِّ المعالي فكلُّ إنسانٍ عن إدراك محلِّها قاصر -
أن يستقرَّ فلانٌ - أدام الله توفيقه ، وجعل اليمين والسعد قرينته ورقيقه - ... استقرَّ أرا
يُظهر مالم يخف من نهضته وكفايته ، ويُدبِّر معلن سرِّ يقظته ودرايته ؛ لأنه الفارس
الذي أعزَّ كلَّ راجلٍ بشجاعته ، وأتمَّ الفارس الذي خبَّر الرقايع بحسن دُرِّيته ودراية
صناعتِهِ ؛ والبارف الذي أتصف بالخبرة وحسن الصِّفهِ ، وعُرف في أموره بالعدل
والمعرفة ؛ والهام الذي علَّتْ همته فوق كلِّ همٍّ ، وكشف بجزيل مروءته من
الكربات كلَّ عُمة ؛ وسار في الجيوش سيرة والده ، فشهد كلُّ بما حواه من طارف
الفضل وتألده .

فليباشر ذلك : سائرًا في الجنود أحسن سيره ، مُراقبًا الله تعالى فيما يُبديه من القول
والفعل والعلائية والسريه ؛ مُلازمًا ما يلزمه من حقوق هذه الوظيفة ، قائمًا بما يجب
من أداء الخِدمة الشريفة ؛ ولينفذ ما يؤمر به من الأوامر ، عالمًا بما يتعين من
حقوق المأمور والأمر ؛ [وليجتهد] في جمع العساكر وإعلامهم بالمهمات ، وليتفقّد
أحوال الجنود في سائر الأوقات ؛ وليُسفِّر النِّقاب عن الوجوه بالحلية يوم العرض ،
وليُسبِّل حجاب السُّرِّ على من أدركه العجز عن أداء الفرض ؛ والوصايا كثيرةٌ لانتحاج
إلى التعداد ، وتقوى الله تعالى هي العمدة في كلِّ الأمور وعليها الاعتماد .



توقيع بالمهمندارية بحلب ، كُتب به لـ «غرس الدين الطناحي» بـ «الجناب
العالي» وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عزائمهُ تُسبِّب للمهمات من غُرست برياض
وليه أدواح الهمم فزكا غرسا ، وتقرر لها من شاب فوده في إفادة الوفود فأجاب

قَصْدًا وَأَطَابَ نَفْسًا، وَلَا بَرِيحَتْ عَنَابَتَهُ تَشْمَلُ مِنْ أَوْلِيَاءِ خِدْمَتِهَا كُلِّ شَيْءٍ إِذَا سَلَّ
عَضْبًا أَزَالَ نَفْسًا وَأَسَالَ نَفْسًا، وَتَعَيَّنَ مِنْ أَعْيَانِهِمْ كُلِّ جَمِيلٍ يَوَدُّ الْمُنَافِسُ
لَوْ شَاهَدَهُ وَلَا يَجْحَسُ يَدُ الرُّقِيِّ مِنْهُ نَفْسًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ لِأَنَّهُ ذُو الْهَيْمَمِ الَّتِي
لَا تُلْحَقُ جِيَادُهَا، وَلَا تُسْبِقُ جَوْدَةَ جِيَادُهَا^(١)؛ لَا مُنْتَهَى لِصِغَارِ هَيْمَمِهِ فَأَنَّى تُدْرِكُ
جِبَارُهَا، وَلَا تُدْرِكُ سَوَابِقَهُ فَأَنَّى تُقْتَنِي أَنَارُهَا؛ لَهُ قَدَمٌ إِقْدَامٍ فِي التَّرِيِّ لَا يَزَالُ رَاسِخًا،^(٢)
وَهَامَةٌ هَيْمَةٌ لَمْ يَزَلْ شَرَفُهَا عَلَى التَّرِيَا بِأَذْحَا؛ وَلِأَنَّهُ الْفَارِسُ الَّذِي تُفْرَسَتْ فِي مَخَالِيهِ
الشَّجَاعَةُ، وَتَبْضَعُ الشَّهَامَةَ فِي الْحُرُوبِ فَكَانَتْ أَرْبَعُ بِضَاعَةٍ؛ كَمْ أَزْرَتْ سُمُرَ مِرْمَاحِهِ
بِهَيْفِ الْقُدُودِ، وَأَتَجَلَّتْ بِيضُ صِفَاحِهِ كُلِّ حَوْدٍ أَمْلُودٍ؛ وَكَمْ جُرِدَتْ مِنْ مُطْرِبَاتِ
قِسِيهِ الْأَوْتَارُ فَنَرَا قَصَبِ الرُّءُوسِ، وَشَرِبَتْ الرَّمَاحُ نَحْمَ الدَّمَاءِ فَعَرَبِدَتْ عَلَى النَّفُوسِ:
لَهُ هَيْمٌ تَعَلُّو السَّحَابَ رِفْعَةً، وَكَمْ جَادَ مِنْهَا بِالنَّفَائِسِ وَالنَّفْسِ!
وَتُجْنِي نِمَارُ الْفَضْلِ مِنْ دَوْجِ غَرَسِهِ! • وَلَا غَرَوَ أَنْ تُجْنِي النَّارُ مِنَ الْغَرَسِ!
فَلْيَبِشِرْ هَذِهِ الْوُظَيْفَةَ مَبَاشَرَةً تَحْمَدُهُ فِيهَا الْوَرَادُ، وَتَشْكُرُهُ بِالْقَصْدِ أَلْسِنَةُ الْقَصَادِ،
وَتَذْكُرُهُ الْبَرِيدِيَّةُ بِالْخَيْرِ فِي كُلِّ وَادٍ؛ وَلْيُهَيِّئْ لَهُمْ [مِنَ الْقُرَى مَا يَهَيِّئُهُ^(٣)] الْمَضْيِفُ،
وَلْيَحْصُلْ لَهُمُ النَّالِدُ مِنْهُ وَالطَّرِيفُ، وَلْيَتَلَقَّهِمْ بِوَجْهِ الْإِقْبَالِ، وَلْيَبْدَأْهُمْ بِالْخَيْرِ لِيَحْسُنَ
لَهُ الْمَالُ، وَلْيَجْعَلِ التَّنْوِيَّ إِمَامَهُ فِي كُلِّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ، وَلْيَتَّصِفْ بِالْإِنْصَافِ فَهُوَ
أَحْمَدُ الْأَوْصَافِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.



تَوْقِيعٌ بِتَقْدِيمَةِ الْبَرِيدِيَّةِ بِحَلَبَ، كُتِبَ بِهِ لِعِمَادِ الدِّينِ «إِسْمَاعِيلُ» بِ«الْمَجْلِسِ
الْعَالِي» وَهُوَ:

(١) كَذَا فِي الْأَسْلِ مَشِيرًا إِلَيْهِ بِعَلَامَةِ التَّوَقُّفِ وَلَا تَوَقُّفَ لِأَنَّ الْأَوَّلَ جَمْعٌ جَيِّدٌ تَقْبِضُ الرَّدَى. وَالثَّانِيَةُ
جَمْعُ جَوَادٍ لِلْفَرَسِ الرَّائِعِ السَّابِقِ.

(٢) ذِكْرُ الْقَدَمِ وَهِيَ أَنْفَى مَجَارَاةٍ لِلْعَامَةِ. (٣) زِيَادَةُ تَطْلُبُهَا صِحَّةُ الْمَعْنَى.

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عِنَايَتُهُ الكريمةُ تَقْدُمُ إلى الرُّتَبِ العَلِيَّةِ مَنْ بَخَى
 أُسَّ إقْدَامِهِ من المُرُوَّةِ على أشرفِ عِمَادٍ ، وتُعَيَّنُ للمِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ من أَمْتَطَى من
 جِيَادِ العَزْمِ أَسْبِقِ جَوَادٍ ، وتَنْدُبُ لها من أوليَاءِ خَدَمِهِ كُلَّ نَدْبٍ لم يزلُ سَاعِدُ سَعْدِهِ
 مَبِينًا على السَّدَادِ ، وتُصْعِدُ إلى أُنْفِهَا من ذَوِي الشَّهَامَةِ من فَاقَتْ بِمِيزَانِهِ الصَّعَادَ -
 أن يَسْتَقَرَّ ... : لِأَنَّهُ ذُو الهِمَمِ التي سَامَى بها الفِرَاقِدُ ، والكُفُّ الذي تَنَسَّطَ
 إلى القيامِ بالعِزَامِ إذا قَعَدَ عنها من ذَوِي الهِمَمِ أَلْفُ رَاقِدٍ ، والمَقْدَمُ الذي قَدَّمَهُ
 الإِقْدَامُ على قَضَاءِ الأُمُورِ المُعْضَلَاتِ ، وَحَلَّى أَجْيَادَ ذَوِي المَارَبِ إذ حَلَّ لهم منها
 بِمِيزَانِ عَزْمِهِ المُشْكَلَاتِ ، مَاعَلَا جَوَادَ بَرِيدٍ إِلَّا وَسَابِقَ الطَّرْفِ بل الطَّرْفِ إلى المِرَادِ ،
 وَلَا نُدْبٍ إلى مُهِمِّ للحِكمِ فِيهِ نِيْلًا لِأَمَلٍ إِلَّا قَدَحَ مِنْ رَأْيِهِ فِي قَضَائِهِ أَوْرَى زِنَادٍ ؛
 وَالْفَارَسُ الذي تَمَايَلَتْ بِكَفِّهِ العَوَامِلُ مُجَبِّبًا فَانجَلَّتِ الأَغْصَانُ ، وَحَلَّتْ إذ حَلَّتْ
 بِقُلُوبِ الأَعْدَاءِ وَإِنْ كَانَتْ مِنَ المُرَانِ ؛ وَالشَّهْمُ الذي سَبَقَ السَّهْمَ إلى الغَرَضِ ،
 وَالشُّجَاعُ الذي مَا أَعْرَضَ عن مُحَارَبَةِ الأَقْرَانِ : فَصَنَّى جَوْهَرَ شِجَاعَتِهِ مِنَ العَرَضِ ؛
 وَالْبِقِطُ الذي لم يَكُنْ يَنَظُرُهُ إنْسَانٌ ، وَلَا أَنْطَبَقَ على أَسْيَافِهِ المُسَهَّدَةِ بِمِيزَانِهِ أَجْفَانُ .
 فليُبَاشِرْ هَذِهِ التَّقْدِيمَةَ مُبَاشِرَةً يَشْهَدُ الحَاسِدُ لَهَا فِيهَا بِالتَّقْدِيمِ ، وَيُقَرُّ الحَاحِدُ أَنَّهُ أَهْدَى
 لِمَا أُسْدَى إِلَيْهِ إلى صِرَاطِ عَزْمٍ مُسْتَقِيمٍ ؛ وَلِيَطَّرَ إلى قَضَاءِ المِهْمَاتِ الشَّرِيفَةِ بِأَجْنِحَةِ
 السَّدَادِ ، وَيَمْتَطِ مِنْ جَوَادِ الجَوَادِ أَسْبِقَ جَوَادٍ ؛ وَلِيُسَوِّبِ البَرِيدِيَّةَ فِي الأَشْغَالِ ، وَلِيُقْبِلَ
 عَلَيْهِمْ فِيما يرومونه من حُسْنِ السَّفَارَةِ بِوَجْهِ الإِقْبَالِ ؛ وَلِيَسَلِّكَ سَنَنَ الصِّدْقِ وَالتَّقْوَى
 وَلِيَجْعَلَهُمَا لَهُ أَحْسَنَ سُنَّةٍ ، وَلِيَلْبَسَ سَوَابِغَ الإِنصَافِ فَإِنَّهَا مِنْ سَهَامِ الخَلَلِ جُنَّةً .



نسخة توقيع بنيابة عيتاب، كُتِبَ به لناصر الدين «محمد بن شعبان» بـ «المجلس
 العالي» عوضاً عن كان بها، وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زال إحسانه العميم، يرفع لناصر الدين قدرا، وأمتنائه
الجسيم، ينفذ له في حفظ الممالك المنصورة أمرا، ويؤلى أمر الرعية من حسنت
سيرته سرا وجهرا - أن يستقر... .. : لأنه شهم سهم عرفانه مصيب، وفارس
ربع خبره وخبره خصيب؛ له مناقب جليله؛ وسيرة محمودة جميلة؛ تنقل في المراتب
تنقل البدر في سعوده، وأرتقى ذروة السيادة أرتقاء الكوكب في منازل صعوده؛
مباشرة مباشرة إلا ونشرت له بها أعلام شكره، ولا علا منزلة إلا تليت بها سور حمده
وذكره؛ لم يزل متبعا للحق في أحكامه، سائكا سبيل الصواب في نقضه وإبرامه؛
فتح له إقبالنا الكريم بابه، فلذلك قدم على غيره في هذه النيابة .

فليباشرها مقتفيا آثار العفاف، مرتديا أودية العدل والإنصاف؛ مقيما منار
الشرع الشريف، منصفًا من القوى الضعيف؛ والله تعالى يوفقه للصواب فيما
تولاه، والخط الكريم شاهد أعلاه .

قلت : وعلى نيابة عينتاب هذه يقاس ما في منها من نيابات العشرات، فيجري
الحكم في تواقعها كذلك . أما الطبلخانات فقد تقدم أن الأصل أنه لا يؤلى فيها
إلا من الأبواب السلطانية .



وهذه نسخة مرسوم بإمارة الركب الحلبي المتوجه إلى المجاز الشريف، كتب به
لشهاب الدين « أحمد بن الطنبغا » بـ « بالجناب الكريم » . والبياض فيه وصل
واحد، وهي :

رُسم بالأمر العالی - لا زال يمنح وقد الله تعالى بمن لم يزل شهاب هيمه في أفق
الصيانة منيرا، ويُسند أمرهم إلى كل ندب لا يزال على الحق ظاهرا وعلى ذوى الباطل

ظهيراً - أن يستقر فلان من أعيان الموالى الأُمراء الطبلخانات بحلب المحروسة -
 أعز الله تعالى نصرته - أميراً على ركب الحاج الحلبى في هذا العام المقبل ، على أجمال
 العوائد ، وأكمل القواعد ، حسب ما رسم به . استقراراً يحمده الوفاء عند صباح هيمه
 السرى ، ويبلغ بهم قرى الغفران بأمر القرى ، وينال به طيب العيش بطيبة وطابه ،
 ويدرك بيجاد فضله آراه ، ويمنح به زيارة سيد البشر عليه أفضل الصلاة والسلام ،
 ويفوق به ستم إصابته من البشر إلى مرامي المرام ، ويشهد به بين قبره ومنبره روضة
 من رياض الجنة ، ويلبس به سوايق القبول لتكون له من مهام الذنوب أوقى جنه ،
 ويردى [به] برود التقى حين يترغ محرمات الإحرام ، ويقبل به على ذكر الله تعالى
 في الوهاد واليقاع والآكام ، ويستقبل به حرم بيت الله الحرام ، ويشب له
 الهنا حين دخوله المسجد من باب بنى شيبه ، ويتعاطى به أسباب التوبة ، لينال
 من العفو من الله الكريم سيبه ، ولا يقتصر به عن التناول إلى الدعاء إلى الله تعالى
 لعمه الرحمة بفضله وطوله ، ويدخل به حرماً آمناً يخطف الناس من حوله ،
 ويفتح به إلى المقام باباً من الأمن إلى يوم القيامة مقيم ، ويذكر بوقوفه بعرفات
 وقوفه ﴿ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ إِلَّا مَنْ أتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ .

فليباشر هذه الإمرة المباركة مباشرة يتقسط منها لهجر المنام ، وليصرف وجهه
 سهامه إليها في المسير والمقام ، ولينفق على الحاج من كنوز معدلته ، وليجعل القيام
 بمصالحهم من أكبر همته ، وليسع بالصفاء في حراستهم من أهل الفساد ، وليعتمد
 صونهم من ذوى العناد ، وليعاملهم بالإزفاد والإزفاق ، وليقطع من بينهم شقة
 الشقاق ، وليجعل تقوى الله إمامه في القول والعمل .



وهذه نسخ توابع لأرباب الوظائف الدينية بحلب :

توقيع بقضاء القضاة، كتب به لقاضي القضاة جمال الدين «إبراهيم بن أبي جرادة»
قاضي قضاة حلب المحروسة الشهير؛ «ابن العديم» من إنشاء ... (١) ... الحنفي بـ «المقتر
الكريم» وهو .

الحمد لله الذي رفع مراتب المناصب العلية وكساها من ملابس أهلها حلال الجمال،
وجمع شملها فأقترنت بالرفاهية أقران النيرين: شمس الضحى وبيت الكمال، ورفع عنها
يد المتناول والمتناول فأصبح رقم طرازها الموثى منسجاً على أحسن منوال، وقطع
الأطاع عن إدراك شأوها فلا يصل إليها إلا كل خفي من الرجال .

نحمده على نعمه التي أعترف من أعترف من بحرها الوافر بالخير الكامل والفضل
المديد، وأقترف من أقتطف ثمار جودها جميل النوال المفيد، وجزيل الإحسان
العديد؛ حمداً يوافي نعمه ويكفي مزيده، ويعم بالإنعام الشامل نائله ومزيده؛
ونشكره على مننه التي يقصر لسان الإطنا ب عن حصرها وتعدادها، وتعجز نبات
الفكر عن إدراك وصفها وتردادها، شكراً ينال به العبد رضا المعبود، ويبلغ به من
مقاصد الكرم والجلود غاية المقصود؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له
ولا ضد، ولا والد له ولا ولد ولا ند؛ شهادة تبيض وجه قائلها عند العرض،
وينطق بها لسان التوحيد يوم تبدل الأرض غير الأرض؛ ونشهد أن سيدنا محمداً
عبده ورسوله الذي أظهر الله به الحق وأعلنه، وبهر بحقائق معجزاته العقول فاعترف

(١) بياض في الأصل .

كُلِّ بِصِحَّةٍ مَا عَرَّفَهُ وَبَيَّنَّهُ ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ نَصَرَ اللَّهُ بِهِمُ
 الْإِسْلَامَ وَأَبَدَ أَحْكَامَهُ ، وَأَحْكَمَ بِهِمْ مَبَانِيَ الْإِيمَانِ الْمُتَيَّرَةِ وَأَيْدِ إِحْكَامِهِ ؛ صَلَاةً تَتَعَطَّرُ
 بِنَفَحَاتِ عَرَفِهَا أَرْجَاءُ الْمَدَارِسِ ، وَيُنَادِي لِسَانُ فَضْلِهَا لِزَائِدِ فَرَائِدِ الْمَعَالِي عَلَى طُولِ
 الْمَدَا^(١) رِسْ ؛ وَسَلَّمٌ وَمَجْدٌ وَكَرَمٌ ، وَشَرَفٌ وَبِجَلٌّ وَعَظْمٌ .

وبعدُ : فَإِنَّ أَوْلَى مِنْ لِحَظْنِهِ عَيْنُ الْعِنَايَةِ وَالْقَبُولِ ، وَأَجْدَرُ مِنْ بَلِّغٍ مِنْ مَقَاصِدِ
 الْمَنَاصِبِ الْعَلِيَّةِ غَايَةَ الْقَصْدِ وَالسُّؤْلِ ؛ وَأَعَزُّ مِنْ رَقِيٍّ دُرَا الْمَعَالِي وَأَرْثَقِيٍّ ، وَأَجَلُّ مِنْ
 وَصِفٍ بِالْأَوْصَافِ الْجَمِيلَةِ وَنُعَيْتَ بِالذِّيَانَةِ وَالتَّقْوَى - مَنْ سَارَتْ سِيرَةُ فَضْلِهِ فِي الْآفَاقِ ،
 وَدَلَّ عَلَى صَفَاءِ السَّرِيرَةِ مِنْهُ حُسْنُ الْأَخْلَاقِ ؛ وَأَشْتَهَرَ بِالْعُلُومِ الْجَزِيلَةِ ، وَالْمَنَاقِبِ
 الْجَلِيلَةِ ، وَعُرِفَ فِي الْإِنصَافِ بِالْأَوْصَافِ الْمَحْمُودَةِ وَالْحِصَالِ الْجَمِيلَةِ ؛ وَأُظْهِرَ مِنْ
 الْعُلُومِ الشَّرِيفَةِ ، مَا حَيَّرَ الْعُقُولَ ، وَحَقَّقَ مِنَ الْمَسَائِلِ اللَّطِيفَةِ ، مَا جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ الْمُنْقُولِ
 وَالْمَعْقُولِ ؛ وَدَقَّقَ الْمُبَاحِثَ حَتَّى اعْتَرَفَ بِفَضْلِهِ الْخَاصِّ وَالْعَامِ ، وَفَرَّقَ بَيْنَ الْحَقِيقَةِ
 وَالْمَجَازِ فَلَا يَحْتَاجُ إِلَى اسْتِعَارَةٍ إِذَا تَنَسَّبَ الْأَخْصَامَ ؛ وَحَكَّمَ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَاحْكَامُهُ
 مَرْضِيَّةٌ ، وَقَضَايَاهُ فِي الْجَمَلَةِ قَدْ أَتَتْ فِيهِ مُقَدِّمَةٌ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ ؛ وَتَابَرَ عَلَى الْإِقْصَاءِ
 الدُّرُوسِ فِي وَقْتِهَا وَأَوَانِهَا ، وَقَرَّرَ كُلَّ مَسْأَلَةٍ فِي مَحَلِّهَا وَمَكَانِهَا ؛ وَأَفَادَ طُلَّابَ الْعِلْمِ
 الشَّرِيفِ مِنْ فَوَائِدِهِ الْجَمَّةِ ، وَكَشَفَ لَهُمْ عَنْ غَوَامِضِ الْمُبَاحِثِ بِخَلَاةٍ عَنِ الْقُلُوبِ
 كُلِّ عُمَّةٍ ؛ وَجَالَ فِي مِيَادِينِ الدُّرُوسِ لِحَيْرِ الْأَبْطَالِ ، وَحَازَ قَصَبَ السَّبْقِ فِي حَلْبَةِ
 اللَّقَاءِ قَرْدًا مُتَأَسِّفًا كُلَّ بَطَّالٍ ؛ وَنَظَرَ فِي أُمُورِ الْأَوْقَافِ بِمَا أَرَاهُ اللَّهُ فَاتَّقَنَ بِحُسْنِ
 النَّظَرِ وَجَهَ ضَبْطِهَا ، وَأَجْرَى أُمُورَ الْوَاقِفِينَ عَلَى الْقَوَاعِدِ الْمَرْضِيَّةِ فَوَافِقِ الْمَشْرُوطِ
 فِي شَرْطِهَا ؛ وَجَمَعَ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمَلِهَا فَاجْتَمَلَ وَفَصَّلَ ، وَحَفِظَ أُمُومَهَا فَخَصَّلَ

(١) مراده ارس من رسايرسو .

وأصل ؛ فهو الحاكم المشهور بالعدل والمعريف ، والناظر الذي حمت الأمور
تصرفه ، والإمام الذي أتم الأنام بأقواله وأفعاله ، والعالم الذي يحمّد الطالب إليه
شدّ رحاله ؛ والمدرّس الذي أفاد بفقّهِه المفيد النافع ، وترقّع في البداية والنهاية
فهو المختار في المنافع ؛ وسلك منهاج الهداية ، فنال من العلوم الغاية ؛ فبدائع
ألفاظه لعقائد الدين منظومه ، وكثر عرفانه عزير المطالب ومحاسنه المشتملة على
الكمال معلومه .

ولما كان فلانٌ - أعزّ الله تعالى أحكامه ، وقرن بالتوفيق والسداد نقضه
وإبرامه ؛ هو المشار إليه بالأوصاف والتعوت ، والمعول عليه إذا نطق بالفضائل
والحاضرون سُكوت ؛ والمشكور أثر بيته المشهور ، والمنشور علم علمه من السنة
والشهور ؛ ياله من بيت لم يزل معموراً بالتقوى والصلاح ، محمياً بأسلحة أهله ؛ فمن
أحكامهم السيوف ومن أعلامهم الرماح ؛ فهو العديم المثل وبيته العديم ، وحرّم
فضيل يحجّ إليه الراحل والمقيم ؛ فاستحق أن تقابل مقاصده بالإقبال ، ويُقابل
بما يؤمّله مُقابلة مثله ولا كسائر الأمثال .

فذلك رسم بالأمر الشريف - لازالت مراسمه المطاعة تُقرّ الحق في يد مُستحقّه ،
وتردّ الأمر إلى وليّه ومالك رقه ؛ وتُسوق هدى الإحسان إلى محله ، وتضع
الاستحقاق في يد مُستحقّه والحق وضع الشيء في محله - أن يستقر بحكم
ظهور الحق بيده المبارك ، وخفاء الباطل الذي ليس له في الحق مُشاركه ؛ استقرّ
مباركاً مميّوناً ، بالخير والسعد مقرونين ؛ لأنه الأحقّ بأمر وظائفه ، والطائف حول
حرّمها المنوع طائفه ؛ وأولى من عقلت عليه عقيلته ، وردت إليه فريده ؛ وبأثر
بنفسه الكريمة ما عهد إليه سلفه ، وأنفرد به فلا يناله - إن شاء الله - إلا خلفه ؛

طالباً ألفت منه الأوقاف من الشفقة والخير، وحفظ جهايتها المحمية عن تطاول
يد الغير، ونعم بحسن نظره من المدارس كل دارس، وفازت منه الدروس بالعالم
العارف والبطل الممارس .

فليأثر ذلك على ما تقدم له من حُسن المباشرة ، وليجتهد - على عوانده -
في تحصيل ريعه مثاراً على الأجور أشد مثابره ؛ وليصرف أموال الأوقاف في مصارفها ،
بعد العارة والتثمير المبدئين في شرط واقفها ؛ وليسو - على مقتضى معدته - بين
القوي والضعيف ، والشاب الصغير والشيخ النجيف ، على قدر تفاوتهم في العلم
الشريف ؛ وليطابق لسانه في إلقاء الدروس على عادته ، وليمهّد لشتغلين طريق
الفهم لينالوا القصد من إفادته ؛ وهو بحمد الله تعالى أولى من أدى الأمور على الوجه
المستقيم ، ووفى المناصب حقها فإن الوفاء جديرٌ بـ«إبراهيم»^(١) .

والوصايا كثيرة وإليه مرجوعها ، ومن بحار علمه ودينه المتين ينبوعها ؛ والله تعالى
يؤيد به المناصب ، ويرفع بعلو رتبته المراتب .



نسخة توقيع بخطابة جامع ، كُتبت به لقاضي القضاة «كمال الدين عمر» ابن
قاضي القضاة جمال الدين إبراهيم بن أبي جرادة الحنفي ، الشهير بابن العديم «المقرر
الشريف» وهي :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالت عنايته تُرقى في منازل المجيد من تتأهل بفضله
بهجة وكالا ، وتدل جياها لفرسان الفضائل فتجيد لهم في ميدان البلاغة مجالاً ،

(١) يشير الى قوله تعالى : (إبراهيم الذي وفى) .

وُسِّلَ رَأْيَهَا [إلى من صدق بارق سعده ، ووجب من العلم^(١)] ملكا لا ينبغي لأحد من بعده - أن يستقر ... لأنه الإمام الذي [لو] تقدّم عصره لكان أحد أئمة الاجتهاد، والعارف الذي بلغ بولايته مُريدُ الفضل غاية المراد، والعالم الذي وجدت أخبار علومه نسبة يطابقها في الخارج صالح العمل ، وأتبع سنن الكتاب والسنة فلم يتخلل طريقته المثل الخال ، والمحقق الذي وجد إلى كونه الحقيقة أكل بجاز ، والمفوّه الذي بلغ من البلاغة في كلام البشر حدّ الإعجاز ؛ إن خطب سنّف بدرر مواعظه الأسماع ، وشرف بفرر فرائده الانبجاع ؛ وأهترت أعواد المنابر طرباً لكلمه الطيب ، وروى أوام القلوب سخ فضله الصيب ؛ وإن قرأ في محرابه أقر بفضله الجمع الجامع ، وأستقل « ابن كثير » حين وجد « الكسائي » عارياً مما لديه وفضله الجمل أكل « نافع » :

خَطِيبٌ إِذَا الصَّادِي تَصَدَّى الْفَضْلِهِ : * لِيَرَوَى ، فَأَنْوَأُ الْعُلُومَ تُغِيثُهُ !

وَإِنْ يَرَوِ الْجَلَّاسِ أَخْبَارَ أَحْمَدٍ ، * نَحْيِرُ جَلِيسٍ لَا يَمْلُ حَدِيثُهُ !

وهو الكامل الذي أدرك درجات الكمال في البداية فأمين في النهاية وهو قاض من النقص ، وسارت عيس الطلاب إلى حضرته الكريمة وأخذة ولكن بالنص ؛ والصاحب الذي استصحب يسار العفاة باليمين ، وأزال ظن قاصده في يره الشامل باليقين ؛ كم أطلق بأفلامه المفيدة مكرمة بصللة الأرزاق ، ونسخ بحقق فضله رفاع الأول بالعطاء على الإطلاق ؛ ولو نظر المملكان : هاروت وماروت ماملکه من

(١) الزيادة يقتضيا المقام .

(٢) الأوام بالضم العطف .

كاتبته السَّاحِرَةَ لَأَقْرَأَ أَنَّهُ السَّحْرُ الحلال ، ولو قَابَلَهُ «أَبْنُ هَلَالٍ» لَأَتَّخَسَفَ بَدْرُ فَضْلِهِ
عند الكمال :

فَفِي كَفِّهِ الأَقْلَامُ تَهْزَأُ بالقَنَا ، * وَتَحْشَى سَطَاها الأَسَدُ فِي غَابِ غَابِهَا !
يُرْوَعُ سُيُوفُ الهِنْدِ وَرَى يُرَاعِهِ ، * وَقَدْ طَارَ مِنْ خَوْفِ حَدِيدِ ذُبَابِهَا !

فليباشر هذه الخطابة مباشرة ترشفت منها كئوس كلمة الأسماع ، وليكشف لها
عن وجوه فضائله القناع ؛ ولينشر عليهم من درر بلاغته ما تلتقطه أفواه المسامع ،
وليُنشُر من طيِّ لسانه علم علمه الذي لا يقاس عليه غيره أبي الله والقارِقُ الجامع ؛
وليُطِرِب بمواصل أجماعه القاطعة بفضائله المسكَّه ، وليُظهِر ما جمعه من محاسنه التي
هي الجمع الذي لا نظير له ؛ وليُنْفِق على الجمع يوم الجمعة مما آناه الله تعالى من كنوز
الفضائل ، وليُتَلَفِّهم من بلاغته التي أنعمت ذِكْر «قُس» و«سحبان وأئل» ؛ وأنت
- أسبغ الله تعالى ظلالك - معيدن الفضائل فأتى تُهدى إليك الوصايا؟ ، والمُنْصِفُ
بصفات الكمال فكيف تُعرض عليك المزايا؟ ؛ ولكن الوصية بتقوى الله تعالى من
شعائر الإسلام ، والله تعالى يُدِيمك عُرَّةً في جبهة الأيام .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور ، كُتِبَ به للقاضي علاء الدين
«علي الصرخدي» الشافعي ، نائب الحكم العزيز بحلب بـ«المقر العالی» وهي :

رُسم بالأمر - لا زالت صدقاته تمنح دروس العلم الشريف بعلى العلوم ، وتندب
لها من ذوى الاجتهاد من سائر بهيمه البرق وسائر النجوم ، وتقرر للطلبة من

(١) في الأصل «دوى» بنشيد الباء وهو تحريف .

أولى العناية من حَقِّق الفضائل وأطلع على سرِّها المكتوم، وتُدِيرُ عليهم من مشرب فوائده ما يُحَالُ أَنَّهُ الرَّحِيقُ المَخْتُوم - أن يَسْتَقِرَّ فلانٌ آسْتَقْرَارًا تَقَرُّ به أَعْيُنُ الطُّلَّابِ، وتَمَحُّ من صَوْبِ فَضْلِهِ عَيْنُ الصَّوَابِ؛ ويُشِيدُ به دَارِسُ الدَّرُوسِ، وَيَطْلَعُ به في سماءِ الفضائلِ أَنُورُ شَمْسِ التَّمُوسِ؛ وتُنشِرُ به أَعْلَامُ العُلُومِ من طَيِّ الأَلْسِنَةِ، وَيُدْهِبُ من كُلِّ الطَّلَبَةِ في تحصيلِ العِلْمِ الشَّرِيفِ وَسَنَهُ؛ لِأَنَّهُ الحَبْرُ الذِي شَهِدَتْ بِفَضْلِهِ الأَسْفَارُ، وَرَحَلَتْ إِلى فوائده الجَمَّةِ السَّفَّارِ؛ وَالبَحْرُ الذِي جَرَتْ سَفُنُ الأَذْهَانِ به فلم تُدْرِكْ غَايَةَ قَرَارِهِ، وَعَجَزَتْ الأَمْثَالُ عن خَوْضِ تِيَّارِهِ؛ وَالعَالِمُ الذِي أَقْرَبَ بَعْدَهُ الأَعْلَامُ، وَشَهِدَتْ بِأَحْكَامِ أَحْكَامِهِ الأَحْكَامُ؛ مَا بَرَزَ في مَوْطِنِ بَحْثِ إِلا وَبَرَزَ على الأَقْرَانِ، وَلا جَارَاهُ مُجْتَمِعٌ إِلا وَكَانَا كَفَرَسَى رِهَانِ، وَلا نَطَقَ بِمَنْطِقِ إِلا وَانْتَجَتْ مُقَدِّمَاتُ هِمَمِهِ العَلِيَّةِ وَأَجْتَهَادُهُ عَلَى فَضْلِهِ أَكْمَلَ بُرْهَانَ، وَلا أَجْرَى جِيَادِ عُلُومِهِ إِلى غَايَةِ إِلا مُطْلَقَةَ العِنَانِ، وَلا رَأَاهُ من أَخْبَرَ عن فَضْلِهِ إِلا تَمَثَّلَ له: لَيْسَ الحَبْرُ كَالعِيَانِ؛ إِنْ تَصَدَّرَ لِلْفَوَائِدِ أَلْتَقَطْتَ الأَسْمَاعُ دُرَّ عَالِمِهِ النَفِيسِ، وَإِنْ دَرَسَ تَخَالُ الطَّلَبَةُ أَنَّهُ «أَبْنُ إِدْرِيسِ»؛ فَهُوَ طَوْدٌ فَضِيلٌ لَإِسْمَائِي عُلُومًا وَرِفْعَةً، وَلا يَنْبَوِي مُنَاوَاتِهِ مُنَاوِيٌّ وَلَوْ كَانَ «أَبْنُ رِفْعَةَ»:

إِمَامٌ غَدَاً لِّلسَّالِكِينَ مُسَلِّكًا، * عَالِمٌ، وَكَمِ أَوْلَى الفَضَائِلِ مَنْ وَلِي!

عَلَا فَاسَالِ البَحْرَ من فَيْضِ عَالِمِهِ! * وَذَلِكَ سَبِيلُ جَاءِ بِالفَضْلِ من عَلِي!

فَلْيَبَاشِرْ هَذَا التَّدْرِيسَ المَبَارَكَ مَبَاشِرَةً يُشْبِهُ بِهَا فَوَائِدَهُ، وَيَنْشُرْ بِهَا فَرَائِدَهُ؛ وَيُطَرِّبِ الطُّلَّابَ بِطَرِيفِ العِلْمِ وَتَالِدِهِ، وَيَجْمَعُ لَهُمِ من صِلَةِ الفَضْلِ وَعَائِدِهِ؛ وَلا يَلْزِمُ المَبَاشِرَةَ مَلَازِمَةً لَّا يَنْفَكُ عَنْهَا أَيَّامَ الدَّرُوسِ، وَيُؤَيِّرُ القُلُوبَ بِمَصَابِيحِ الكِتَابِ وَالسَّنَةِ وَيُسِّرُ النَفُوسَ.

وأنت - أمتع الله بفوائدهك - من نُورِكَ الوصايا تُفتبس، ولم آتس الطالبُ نارَ
فضلاً فاتى منها بأنورِ قيس؛ والله تعالى يُبقيك للعلوم كثرًا لا تنفى مواهبه، ويُدِيمك
للطلاب بحرًا لا تنقضي عجائبه .



وهذه نسخة توقيع بتدريس بالجامع المذكور الحنفى، كُتِبَ به للشيخ شمس الدين
«محمد القرمى» الحنفى، بـ«الجناب العالى»، وهى :

رُسم بالأمر - لا زالت عنايته الكريمة تُطبعُ شمس الدين للهداية فى أفق المدارس،
وتُسَيِّدُ بالعلماء الأعلام من رُبعها كلِّ دارس؛ وتمنحُ الفقهاء بمن إذا تصدَّى
للإفادة جادت نفسه بالدرر النفايس، وتندب لها من أولي البلاغة من إذا أُلِّفَ
فصلاً وُجدت غصون أفلامه فى روضات الطروس أحسن موائس - أن يستقرَّ
فلانٌ : استقراراً يُجمل به الدروس بالفوائد، وتمنحُ الطلبة منها بالصلة والعائد؛ ويمدُّ
لهم من مواد العلوم أشرف موائد، ويوردُهم من مناهلها أعذب موارد؛ لأنه شمس
العلوم ومضباحها، وقر ليل المشكلات وصباحها؛ وساعدُ الفتاوى الطائرة بفضائله
فى الآفاق وجناحها، وروح كُشوس العلوم وراحها؛ وطليعة الحقائق وعنوانها،
وعين الدقائق وإنسانها؛ والإمام الذى آتمَّ به الطلاب فاستحقَّ الإمامه، والعالمُ
الذى اجتهد على فضل العلوم فاستوجب أن يُنعت بالعلامة؛ والفاضل الذى
ضبطت أقاله : للأطلاع على سيرها المكتوم، فأختصَّ فعلُ علمه المتعدى باللزوم
لإتصافه بالعموم؛ كم أنقطت من دروسه الجواهر، وتمثل لأبكار فوائده : كم تركَ
الأول للآخر؛ قابله الأسفار عن وجوه فوائدها بالإسفار، وأظهرت لذكاء ذكائه
ما صنته أحشاؤها من الإصمار؛ فهو المختار لهذا التدريس : إذ درر فوائده منظومه،
والمجتبى للإفادة بسلوكة طرق الهداية إلى دقائقها المكتومه؛ وكم استنارت الطلبة

من سَمِّ فَضْلِهِ حَتَّى كَادَ أَنْ يَكُونَ ثَالِثَ الْقَمَرَيْنِ، وَجَمَعَ فِي صَدْرِهِ بَحْرَى الْمَنْقُولِ
وَالْمَعْقُولِ حَتَّى قِيلَ : هَذَا «تَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ» :

هُوَ الْبَحْرُ، إِلَّا أَنْ فِيهِ تَجَائِبًا، * وَوَأَفْرَ فَضِيلٍ لَيْسَ يُوجَدُ فِي الْبَحْرِ!
بَلَاغَتُهُ السَّحْرُ الْحَلَالُ، وَإِنَّمَا * بَدِيعُ مَعَانِيهَا يَجِلُّ عَنِ السَّحْرِ!

فَلْيَا شِرْهُ هَذَا التَّدْرِيسَ نَائِرًا دُرَّرَ قَرَائِدُهُ، نَائِسِرًا غَرَّرَ فَوَائِدُهُ؛ جَائِدًا بِيَادِ فَضَائِلِهِ
السَّابِقَةَ إِلَى الْغَايَاتِ، عَائِدًا بِصَلَاتِ حَقَائِقِهِ لَتَكَلُّ لَطَّلَبَةِ بِهِ الْمَسْرَاتِ؛ وَبِلِزَامِ أَيَّامِ
الدَّرُوسِ مَا أَسْدَى إِلَيْهِ مِنْ هَذِهِ الْوُظُفِيَّةِ، وَلِيَرْتَقِيَ مِنْ دَرَجِ التَّقْوَى لُغْرَفِ الْمَعَارِفِ
الشَّرِيفَةِ .



وهذه نسخة توقيع بإمامية وتصدير بجامع منكلي بغا الشمسي بحلب، كُتِبَ بِهِ
للشيخ شمس الدين «محمد الإمام»، بـ«الجناب العالي»، وهى :

رُسِمَ بِالْأَمْرِ - لَا زَالَتْ صَدَقَاتُهُ الْعَمِيمَةُ تُطَالِعُ شَمْسَ الدِّينِ فِي أَفْقِ الْمَعَالِي، وَتَرَفَعُ
مِنْ أَوْلِيَانِهِ خِدْمَةً مِنْ جِيدِهِ بِالْفَضِيلِ حَالِي؛ وَتَمْنَعُ رِهَاً مَنْ أَعْرَبَتْ عَنْ لَحْنِهِ الطَّيِّبِ
وَتَسْتَفْتُ مِنْ فِيهِ بِاللَّيْلِ، وَتَسْفَحُ غَيْثَ جُودِهَا عَلَى مَنْ أَجْمَعَ عَلَى طَيْبِ مُسَامَرَتِهِ
وَرَفَعَ أَدْعِيَتِهِ الْأَسْمَاعُ وَاللِّيَالِي - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانُ - أَدَامَ اللَّهُ تَعَالَى ضِيَاءَ شَمْسِهِ، وَبَنَى لَهُ
رَبِيعَ السَّعْدِ مِنْ جُودِهِ عَلَى أَسِّهِ - ... لَأَنَّهُ الْإِمَامُ الَّذِي شَهِدْتُ بِحُسْنِ قِرَاءَتِهِ
الْمُخَارِبِ، وَالْآتِي مِنْ فَضِيلِ فَضَائِلِهِ بِالْأَغَارِيبِ؛ وَالْفَاضِلُ الَّذِي سَلَكَ طُرُقَ الْفَضَائِلِ
أَحْسَنَ سُلُوكِ، وَشَهِدَ بِسَبْقِ جِيَادِ جُودِهِ فِي حَلْبَةِ الْأَخْتِبَارِ كُلِّ حَتَّى الْمُلُوكِ؛ وَالْكَامِلُ
الَّذِي كَلَّمَتْ أَوْصَافُهُ الْمَحْمُودَةَ فَا مِنْ النِّقَائِصِ، وَأَخْتَصَّ بِجَمِيلِ الشِّيمِ وَحُسْنِ الْخِصَائِصِ؛
مَا أُمَّ إِلَّا وَشَهِدَ بِفَضْلِهِ كُلِّ مَأْمُومٍ، وَأَقْرَبُوا أَنْ أَسْمَاعَهُمْ أَرْتَشَفَتْ رَحِيقَ فَضَائِلِهِ مِنْ

كأسيها المختوم ؛ وما سامر الخواص إلا وشهد العوام بحسن صفاته ، ولا حدث إلا
وكانت الملوك من رواته .

فليأشر هذه الوظائف المباركة مباشرة تقرأ بها النواظر ، وتجتمع الألسنة على أنه
أكرم إنسان وخير ناظر ؛ ولتصدّر لإلقاء الفوائد ، وليكسب الأسماع من علمه
بالطريف والتألد ؛ ولتتناول معلومه أوان الوجود والاستحقاق ، هنيئاً ميسراً من غير
تقييد على الإطلاق ؛ ولتبق الله فيما أسدى إليه من ذلك ، وليسلك من سنن التقوى
- بقدّم الصدق - أحسن المسالك .



وهذه نسخ تواريخ لأرباب الأقلام الديوانية بحلب وما معها :

توقيع بكتابة الدست بحلب ، كتب به لـ «بهاء الدين بن الفرور» ونظر بيد
المال بحلب ، بـ «بالجناب العالى» ، وهو :

رسم بالأمر - لا زال ينظم عقود الإحسان فى أجياد أوليائه ، ويجزل لهم بوافر
نظيره وأنى عطائه ، ويجرى بهاء الدين على أحسن نظام فيجزله عدة وفائه - أن
يستقر استقراراً يبلغ به وجوه الآمال ، ويكسو الدواوين ملايس البهاء
والكمال ، ويزيدها رفعة بما يفضله من ذلك الجمال ؛ لأنه الفاضل الذى إذا
قصد المعانى أصاب ، وإذا سئل عن كل معنى لطيف أجاد وأجاب ؛ والفصيح
الذى إذا تكلم أجزل وأجز ، وأسكت كل ذى لسن بفصاحته وأنجز ؛ والبلغ الذى
أبدع فى مكاتباته بمنثوره ومنظومه ، والليب الذى أطلع من أزهار كلبه المسموعة
فى رياض الطروس ما ينجل الروض إذا آفخرت بمشمومه ؛ والكاتب الذى قطعت
بمعرفة الأقلام ، والحاسب الذى عقدت على خبرته خناصر الأنام ؛ والأديب الذى

جمع بين قلم الإنشاء الشريف (؟)، وحاز مافي ذلك من تآلید وطريف؛ فله دَرُه من كاتب زين الطروس بحسن كتابته، وجمل الألفاظ والمعاني بجمل درايته وفصاحته. فليباشر ما عُدق به من ذلك مباشرة مقرونة بالسداد، مشكورة المساعي والاعتماد؛ مظهرًا براعة يرآعه، باسطًا يد إبداعه الجميل وإبداعه؛ موقوفًا حواشي القصص بتوقعاته، موشيًا برود الطروس برصيعاته وتوشيعاته؛ ناظرًا على اعتماد مصالح بيت المال المعمور، وتحصيل حواصليه على الوجه المشهور والطريق المشكور؛ عاملاً بتقوى الله عز وجل في ضبط مصالح ديوان الجيوش المنصورة، سالكًا من حسن الاعتماد طرقًا على السداد والتوفيق مقصوره؛ والوصايا كثيرة وتقوى الله تعالى عمادها، فليجعلها عمده فيما يتم به للنفس المطمئنة مرادها؛ وليتناول معلومه المستقر لذلك أوان وجوبه، والله تعالى يبلغه غاية قصده ومطلوبه.



توقيع بصحابة ديوان الأموال بحلب، من إنشاء ابن الشهاب محمود، كتب به للقاضي شمس الدين «محمد بن محمد»، أحد كتّاب الدست بحلب، بـ«المجلس العالی»، وهو:

رسم بالأمر - لازل صدقائه العميمة تُسر نفوسا، وتطلع في حالات الوظائف
السنية عوض الشمس شمسًا، وتسقي غرس نعمائها الهبات الهنية فترهي أغصانًا
يانعة وغروسا - أن يستقر... : لأنه الأوحُد الكامل، والرئيس الفاضل؛ ولأنه
حاز قصب السبق في المباشرات، والمناصب الجليلة والمراتب السنيات؛ طالما
بذل جهده في خدمة الدول، وسلك بجمل مباشرته طريق السلف وسبيل الأول؛
فأدرك بحسن سيرته ويمن طريقته نهاية السؤل وغاية الأمل، وأتى الأمور على

قَدِيرٌ وَلَا يُقَالُ : عَلَى عَجَلٍ ؛ وَلِأَنَّهُ الْأَمِينُ فِي صَنْعَةِ الْإِنْشَاءِ ، وَالتَّاسِعُ فِي فَنِّهِ فُنُونُ
 الْأَدْبَاءِ ؛ إِنَّ رَقْمَ الطُّرُوسِ طَرُّزٌ ، وَإِنَّ بَارِزَ الْأَقْرَانِ فِي مَوَاطِنِ الْأَفْخَارِ بَرِّزٌ ؛ وَإِنْ
 بَسَطَ الْجَرَائِدَ ، تَغَارُ مِنْ حُسْنِهَا الْخَرَائِدُ ؛ طَالَمَا نَطَقَ بِالْحِكْمِ ، وَاشْتَهَرَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ
 مِثْلَ اشْتِهَارِ النَّارِ عَلَى عِلْمٍ ؛ نَظَمَ الْحَاسِنَ فِي ثَرَّةِ الْبَدِيعِ ، وَجَمَعَ بَيْنَ الْأَضْدَادِ فِيمَا يُبْدِيهِ
 مِنَ الْإِنْشَاءِ وَيُحْيِيهِ مِنَ التَّنْصِيعِ ؛ قَدُمْتَ هِجْرَتُهُ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ ، وَأَقْتَنَطَفَ مِنْ
 زَهْرِ الصَّدَقَاتِ الشَّرِيفَةِ أَحْسَنَ مَنْصِبٍ وَأَجْمَلَ وظيفه ؛ وَتَحَلَّى جِيدَهُ بِالْقَلَانِدِ ،
 وَحَصَّلَ بِسَعْيِهِ مَجْمُوعَ الْفَرَائِدِ ، فَعَادَتْ عَلَيْهِ الصَّدَقَاتُ الشَّرِيفَةُ بِأَجْمَلِ الْعَوَائِدِ ؛ قَدْ
 اسْتَحَقَّ التَّقْدِيمَ ، وَاسْتَوْجَبَ مِنَ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةِ نِهَايَةَ التَّكْرِيمِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوِظِيْفَةَ مَبَاشِرَةً حَسَنَةً الْآثَارِ ، جَمِيلَةً الْإِبْرَادِ وَالْإِصْدَارِ ؛ نَاطِقًا بِقَلَمِهِ
 الْحِسَابَ عَلَى أَنْوَاعِهِ ، مُحْكِمًا لَهُ عَلَى سِدَادِ أَوْضَاعِهِ ؛ وَلِيُطْلِعَ شَمْسَهُ فِي سَمَاءِ هَذِهِ الْوِظِيْفَةِ ،
 وَلِيَجْنِي مِنْ رَوْضِهَا الْأَرِيضَ كُلَّ بَانِعَةٍ لَطِيفَةٍ ؛ وَلِيَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ بَوَادِرُ خَيْرٍ سَرَتْ إِلَيْهِ ،
 وَسَوَابِغُ نَعِيمٍ خُلِعَتْ عَلَيْهِ ؛ وَأَنَّ الصَّدَقَاتِ الْعَمِيمَةَ لَا بُدَّ أَنْ تُؤَلِّيَهُ بَعْدَ ذَلِكَ رِثًا ،
 وَتَرَادَفَ عَلَيْهِ تَتْرَى ؛ وَتُعَلِّيَ لَهُ بَيْنَ رِفَاقِهِ الْمَرْفِقِينَ قَدْرًا ؛ وَمِثْلَهُ لَا يُنْبَهُ عَلَى وَصِيَّةٍ ،
 لَا دَانِيَةٍ وَلَا قَصِيَّةٍ ؛ لَكِنِ التَّقْوَى لَا بُدَّ مِنْهَا ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُغْفَلَ عَنْهَا ؛ فَلْيَجْعَلْهَا
 أَعْتِمَادَهُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَةَ الْمَقْرَّرِ لَهُ عَلَى الْوِظِيْفَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي غُرَرِ
 الشُّهُورِ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَضَاعِفُ لَهُ بِمِضَاعِفَةِ الصَّدَقَاتِ عَلَيْهِ أَوْقَاتَ الشُّرُورِ ، وَيَقْبِهِ
 بِلُطْفِهِ كُلَّ مَحْذُورٍ .



توقيع بنظر بهسنی، من عمل حلب، كتب به لفتح الدين «صدقة بن زين الدين،

عبد الرحيم المصري»، بـ «المجلس السامي»، وهو :

رُسم بالأمر - لازلث صدقائه العميمة تفتح لأولياء خدمته أبواب الخيرات ،
ولا برحت تُهدى إليهم أنواع المسرات - أن يستقر... .. في وظيفة النظر بمدينة
بهسنى المحروسة عوضاً عن بها ، بالمعلوم الذى يشهد به الديوان المعمور إلى آخر
وقت ، على العادة فى ذلك والقاعدة ، استقراراً يسر خاطره ، ويُقر ناظره ؛ لأنه
الماهر فى صناعته ، والرائج فى مناجر بضاعته .

فليباشر هذه الوظيفة مباشرة حسنه ، لتصبح الأئسنة بسكرها معلنه ؛ وليصرف
قلمه فيما يعود نفعه عليه ، وليجتهد فيما يستجلب الأئنية إليه ؛ وليقبض معلومه أو أن
وجوبه هنياً ، وليتناوله بيد استحقاقه مرئياً ؛ والوصايا كثيرة وهو - بحمد الله تعالى -
غير محتاج إليها ، لأنه الفاعل لها والدال عليها ؛ وتقوى الله تعالى عمادها ، وبه
قوامها وسنادها ؛ فليتمسك بسببها فى الحركات والسكنات ، والله تعالى يهتد له
أسباب المسرات .



توقيع بكتابة الإنشاء ونظر الجيش بدبركى ، كتب به للقاضى شهاب الدين « أحمد
أبن أبى الطيب العمري العثماني » ، ب« الجنب الكريم » ، وهو :

رُسم بالأمر - لازل يجهل النغور بمن تزهو برحيق كالمه الطيب [المناصب] ، ويكمل
محاسنها بمن لم تزل الصحف تقود من جواد فضله أجهل جنائب ، وحبها بشهاب
يهدى إلى المقاصد بتجم رأيه الناقب ؛ وسرها بكل تدب لم تزل كتبه ترد من الدثار
الكاتب - أن يستقر... .. فى وظيفتى كتابة الإنشاء الشريف والجيش المنصور
بدوركى المحروسة ، عوضاً عن فلان ، بالمعلوم الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر

(١) لغة فى دبركى كاسلف قريبا وتقدم فى ج ٤ ص ١٣٢ من هذا المطوع .

وقيت . لأنه من بيت رُفِعَ علمُ قدره على السحاب ، وانتصبت راية آرائهم بالتميز
 في مواكب العزة عن المواكب ، وأضيف إلى مجدهم شرف الكمال فأنجز بالإضافة
 ذيل مجدهم على الكواكب ، وجزم أولو الفضل بنسبتهم إلى المعالي فجازوا قصبها
 استحقاقاً وما زاحموا عليها بالمناكب ؛ وأسس أصله على عماد شرف «الفاروق»
 و«ذى النورين» فتفرع على أكمل تناسل بتناسب .

النيابة الثالثة

(مما يكتب من التواقيع بالولايات عن تواب السلطنة بها - نيابة طرابلس)
 وهي على ما تقدم في دمشق : من تقسيمها إلى تواقيع أرباب السيوف ، وتواقيع
 وظائف أرباب الأقاليم الدينية ، وتواقيع أرباب الوظائف الديوانية ، وأرباب
 الوظائف بمشيخة الأماكن وغيرهم ، وتقسيم ذلك إلى ما يفتح بـ «الحمد لله» ، وما يفتح
 بـ «أما بعد حمد الله» ، وما يفتح بـ «رسم بالأمر» .

وهذه نسخ تواقيع من ذلك :

نسخة توقيع بشد الدواوين بطرابلس ، كتب به لصالح الدين «صالح الحافظي» ،
 بـ «الجناب الكريم» ، وهي :

الحمد لله الذي أيد هذه الدولة وسندّها بأنواع الصّلاح ، وعمّر العالم بعُدلِ سلطانها
 وجعل أيامه مقرونةً بالنجاح ، وأقام لتدبير المملكة [كل] كُفء ، كافٍ مشهور باليمن
 والفلاح .

نحمده على نعيمه الغامرة في المساء والصباح ، ونشكره على آلائه في كلِّ غدوٍّ ورواح ،
 ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة ضوئية كالمصباح ،

وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله أشرف من أصطفاه وأرسله بالدين الحنيفي فبشر
 وأنذر وحلل وحرم ... (١) ... وأباح ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة دائمة
 مستمرة ما حيّل الداعي إلى الفلاح .

وبعد ، فإن أولى الأولياء بمضاعفة الإحسان ، وأن يعلى له في المكان والإمكان -
 من عرف بأجل المباشرات في الفتوحات ، وأشهر فيها بالكفاية والصيانة وجميل
 التدبير وحسن الصفات .

ولما كان فلان هو المنفرد بهذه الصفات الحسنه ، وأنفقت على نعوته الجميلة
 الألسنه ، والوحيد بهذه السجايا ، الفريد بشرف المزايا ، عقدت الخناصر عليه ،
 وأقتضت الآراء أن يسند تدبير الملكة إليه : فإنها لم تجد لها كفاً غيره ، ولا من
 يجمع شمل شتات أقوالها ولم يقرط مثقال ذره .

فلذلك رُسم بالأمر - لازل ينذب لتدبير الممالك كل كُفء كاف ، ويورد أولياءه
 من موارد إحسانه مورداً عذباً صاف - أن يفوض إلى الحساب الكريم - أدام الله
 علوقه ، وأيده بالمعونة في أمره - شدّ الدواوين المعمورة بالملكة الطرابلسية ،
 بالمعلوم المستقر ، الشاهد به الديوان المعمور إلى آخر وقت ، على عادة من تقدمه .



وهذه نسخة توقيع بالاستمرار في شدّ الدواوين :

الحمد لله الذي قرن الشدة بالفرج وجبر بعد الانكسار ، وأمنتحن عباده بأنواع
 من المحن ليعلم الصادقين في الأضطبار ، وأطلع في أفق الملا سعد السعود ساطعاً

(١) يابض بالأصل ولعله : وحظر وأباح ، الخ .

بالنور بعد ما غار ، وجمع لمن أنقطع به جبل الرجاء من الخلق فتوكل عليه بين نيل
المطلوب وتمحيص الأوزار .

نحمده وفي محامده تطيب الآثار ، ونشكره على ما أسبل من النعم الغزار ؛ ونشهد
أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إله كشف الغم بعد ما غم القلوب وغطى على
الأبصار ، وفرج الهم ، وقد كان آذلم ، وأظلمت منه النواحي والأقطار ؛ ونشهد
أن محمدا عبده ورسوله المصطفى المختار ، سيد ولد آدم في الدنيا وسيدهم في دار
القرار ، صلى الله عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبايته الأخيار ، ما أظلم ليل وأضاء نهار .

وبعد ، فإن الله تعالى لطف بهذه الدولة المعظمة في المقام والسير ، فما مضى
لأحد معها يوم سرور إلا والذي من بعده خير ؛ ونصب خيام عدلها على الخلق
وشرع أطناها ، ورغب العباد في فضلها العميم وفتح لهم بابها ؛ وجعلها كاشفة
للكرهات الموجبة للحرز والضيق ، راشفة من خزائن ملكه ومعادن نصره كأس
رحيق ؛ تصل بقوته وتقطع ، وتفرق بارادته وتجمع ؛ ثم جعل المال نظام ملكها
القويم ، وقوام سلكها النظيم ؛ به تمضي أوامره ونواهيها ، وتجرى على السداد بما
يحبه ويرضيه ؛ فتعين إعداده من يقيم بعزمه عمده ، ويقعد من أخذ منه بغير استحقاق
من أقعد الدين زنده ؛ وقدّر الله تعالى في هذا الوقت ما قضاه ، ونفذ حكمه فيمن
خرج عن طاعته وأمضاه ؛ فلم تبقى مملكة إلا ومساها وأهلها الإضرار ، ولا بقعة
إلا ولحق أهلها بأس أولئك الفجار ؛ فادرك الأطف الإلهي ممالك الإسلام ، وحل
الركاب الشريف بأرض الشام ، فكان برّدا وسلام ، ونجا المخلص وهلك الناكث
الناكل بقدم سلطان الإسلام ؛ خلد الله ملكه [ليقذف] بالحق على الباطل ، وأيد
الله دولته الشريفة بعونه المتواصل .

وكان فلان له مباشراتٌ عديده ، وتأثيراتٌ حميده ؛ وآخر ما كان في وظيفة شدّ الدواوين بطرابلس : فباشرها مباشرةً جميلة الأثر، مشكورة السير عند من ورد وصدر ، ودبر مهماتٍ يعجز عن حصرها أولو العقول والفكر ؛ وحصل للديوان المعمور أموالاً كالطوفان ولكن بلا غرق ، وأستعجب منها كيف حصرتها الأفلام أو وسعها الورق ! ؟ ؛ والذي كان بوظيفة الشدّ الآن زاهدٌ عنها ، ليس له رغبةٌ فيها ولا في شيء منها .

فتعين إعادة الجناح الفلاني إليها . ورسم بالأمر - لا زالت أيام دولته الشريفة تُصلح الشأن ، وتعيد الخير إلى ما كان - أن يستقر

فليعد إليها عود الحسام إلى غمده ، والماء إلى منهل وزده ؛ وليباشرها بمباشرة المعروفة ، وعزائم المألوفه ، وهممه الموصوفه ، مسترفعا المتحصل ومصروفه ؛ وليتحقق أن الله تعالى سيبصل رزقه فلا يوجس في نفسه خيفه ، وليجعل تقوى الله تعالى دأبه في كل قضية ثقيلة كانت أو خفيفة ، والله تعالى يمده بالطافه المطيفه ؛ بمنه وكرمه .



وهذه نسخة توقيع بنقابة العساكر بطرابلس :

الحمد لله الأول بلا آخر، الغني في ملكه عن الناصر، المتزه في سلطانه عن المؤازر، المتوحد بعدم الأشباه والنظائر، المبيد لكل مظاهر العناد مجاهر، العليم بما تكنه الأفكار وتجنه الضائير، الرقيب على كل ما تردد من الأحوال بين سوادى القلب والنظر .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة خالصة يرغم بها كل جاحد وكافر ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث والشرك مدتهم الديار ، والرشد

قد خيم عليه الضلال فما له من قوة ولا ناصر، فأقام به الدين الحنيفي النير الزاهر،
ورفع ذكره في سائر الأقطار والأمصارع على رؤوس المنابر، صلى الله عليه وعلى آله أهل
المكارم والمآثر، ما حمد السرى عند الصباح سائراً، وحمد شرر الشرب بكل مناضل
ومناظر، وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد ، فإن أولى من سبقت إليه وفود النعم ، ومنح من الخيرات أجزال التميم ،
وعقدت الأمور بزمائمها ، وأعتد على هيبته التي هي في المضاء كأسننه وصواريمه ؛
ورعبت عهود ولأيه التي لا تُشكر ، ووصفت مساعيه التي استحق أن يُحمد بها
ويشكر - من إذا عول عليه في المهمات كفاها ، وإذا استطببت العضلات به
شفاها ؛ وسارت أنباء مهابته غوراً ونجدا ، وأنصف بحسن التدبير الذي عليه من
الإقبال أكل إجددا .

ولما كان فلان هو الذي تناقلت تباشير أخباره الرنجان ، وأمنى على شهامته السيف
والسنان ؛ وشرفت بحاسنه الأفلام ، وأرتفع ذكره بالشجاعة على رؤوس الأعلام .

فلذلك رسم ... - لا زال للدين الحنيفي ناصر ، وللأعداء فامعاً قاهراً ، ولحق
مؤيداً باطناً وظاهراً - أن يستقر الجنب العالى المشار إليه أمير نقباء العساكر المنصورة
الطرابلسية ، عوضاً ممن كان بها ، على عادته وقاعدته : لأنه الخبر الذي عقدت على
خبرته الخناصر ، وورث الشهامة كبراً عن كبر ؛ وأضحى بتدبيره واضح الغرر ، شاهداً
له به العين والبصر ؛ إن جال بين صفوف العساكر كان أسداً ، وإن رتب جيوشها
أحصاها حلية وعددا .

فليباشر هذه الوظيفة محرراً أحوال العساكر المنصورة ، مقررراً لهم في منازلهم على
أكل عادة وأجمل صورته ؛ بمناصحة صمخ بمسكها ، ومخالصة قام مقام واسطة جوهر

سَلِكِهَا ، وَمُلَازِمَةَ خِدْمَةِ تَأَزَّرَتْ بِهَا أَعْطَافُهُ ، وَصَفَاءِ طَوِيلَةٍ شَرُفَتْ بِهَا أَوْصَافُهُ ؛
وَعَجَبَةَ عَدَلٍ جَمَعَ فِيهَا بَيْنَ قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ ، وَإِخْلَاصٍ يَحْسُنُ بِالْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ مُلْتَحِفًا
بِظَلِّهِ : لِكَيْ يُنَمَّ اللَّهُ النَّعْمَ عَلَيْهِ كَمَا أُمَّتَهَا عَلَى أَبِيهِ مِنْ قَبْلِهِ ؛ وَلِيقْصِدَ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى
فِي هَذَا الْأَمْرِ ، لَا رِضًا زَيْدٌ وَلَا عَمْرُو ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِيمَا تَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتَادُ
فِي ذَلِكَ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ ، حِجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى .



وهذه نسخة توقيع بنقابة الأشراف بطرابلس بـ «المجلس السامى» بالياء ، وكُتِبَ
فيه «القضائى» على خلاف الأصل ، وهى :

رُسم بالأمر - لا زال يرفعُ لذوى الأصاله الشريفه قَدْرًا ، وَيُنْقَلُهُمْ إِلَى الرَّبِّ
السَّيِّدَةِ وَيُعَلِّمُهُمْ ذِكْرًا ، وَيَشْمَلُهُمْ مِنْ إِحْسَانِهِ بِمَا يَسْرُهُمْ قَلْبًا وَيُشْرَحُ صَدْرًا ؛
وَيُلَقِّنُهُمْ مِنَ الْمَأْرَبِ أَوْفَاقًا ، وَمِنْ مَلَابِسِ الْقَبُولِ أَجْمَلَهَا وَأَسْنَاهَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ فُلَانٌ
- أَدَامَ اللَّهُ نِعْمَتَهُ - فِي نِقَابَةِ السَّادَةِ الْأَشْرَافِ بِالْمَمْلُكَةِ الطَّرَابُلُوسِيَّةِ ، عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنْ
عَادَتِهِ فِي ذَلِكَ : آسْتَقْرَارًا جَارِيًا فِيهِ عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَأَعْتَادًا عَلَى مَا عُهُدَ مِنْ
سَلَفِهِ الشَّرِيفِ الدَّاتِ ؛ وَرِعَايَةً لَهُ فِي تَجْدِيدِ الْمَسَارِ ، وَتَرْجِيحًا لِمَا أَشْتَمَلَ عَلَيْهِ مِنْ
حُسْنِ الْكِفَايَةِ فِي كُلِّ إِيرَادٍ وَإِصْدَارٍ ؛ وَرِفْعَةً لِيَدِهِ الْبَاسِطَةَ عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِ ، وَتَقْوِيَةً
يَجِدُّ أَثَرَهَا فِي مَعْنَاهُ وَحِسِّهِ ؛ رَشْمًا يَسْتَوْجِبُ بِهِ النَّعْمَ الْجَزِيلَةَ ، وَوَلَايَةً تُؤَلِّمُهُ
مِنَ الْكَرَمِ سُؤْلَهُ ، وَعِنَايَةً تُصَبِّحُ بِهَا رُبُوعَ أُنْسِهِ مَأْهُولَهُ ؛ لِأَنَّهُ أَوْلَى أَنْ يُقَرَّرَ فِي هَذِهِ
الْوِظِيْفَةِ وَيُزَادَ ، وَأَحَقُّ أَنْ يُرْعَى لِمَا سَبَقَ لَهُ مِنَ السَّدَادِ ، وَأَجْدَرُ أَنْ لَا يُضَاعَ
حَقُّهُ حَيْثُ لَهُ إِلَى رُكْنِ الشَّرَفِ الْمُتَيْفِ آسْتِنَادٌ .

فليباشر هذه الوظيفة المباركة مبسوطاً أمله في المزيد ، منوطاً رجأؤه في نعمنا
باستئناف وتجديد ، محوطاً ما بيده من كرمنا العديد ؛ وهو غنى أن نُنْتِنَى لَهُ الْوَصَايَا

وُنِعِيد، مَلِيٌّ بِحَسَنِ السَّجَايَا الَّتِي جُبِيَتْ عَلَى التَّحْقِيقِ وَالتَّوْفِيقِ وَالتَّسْهِيدِ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يُطَوِّقُ بِمَنْ جُودِنَا مِنْهُ الْجِدَّ، وَيُعِدُّ لَهُ سَحَابَ رِفْدِنَا الَّتِي تُجْرِيهِ عَلَى مَا أَلْفَ مِنْ فَضْلِهَا الْعَدِيدِ؛ وَالْعَلَامَةُ الشَّرِيفَةُ - أَطْلَاهَا اللَّهُ تَعَالَى - أَغْلَاهُ، حُجَّةٌ بِمَقْتَضَاهُ.



وهذه نسخة توقيع بشد الشواني بطرابلس، كُتِبَ بِهِ لِعَلَاءِ الدِّينِ «أيد غمش» وهي:
رُسِمَ ... - لَازَلْتُ أَيَّامَهُ، قَائِمَةً بِالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَعْلَامُهُ، حَامِيَةً
عَلَى انْتِقَاطِ مَهَجِ الْعِدَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا يَقْرُبُ لَهُمُ الْأَجَلَ - أَنْ يَسْتَقِرَّ فَلَانُ فِي شَدِّ
الشَّوَانِي الْمَعْمُورَةِ الْمَنْصُورَةِ عَلَى الْعَادَةِ فِي ذَلِكَ، بِهَيْمَتِهِ الْعَالِيَةِ، وَعَزَمَتِهِ الَّتِي هِيَ بِلُغِ
الْمَقَاصِدِ مَلِيَّةٌ؛ وَشَهَامَتِهِ الَّتِي تُرْهِبُ الْعِدَا، وَشَجَاعَتِهِ الَّتِي تُلِيْسُهُمْ أُرْدِيَةَ الرَّدَى؛
وَبَسَالَتِهِ الَّتِي تُبْسِلُهُمْ فِي الْبَحْرِ فَتَنْصِرُهُمْ كَالْأَسْمَاكِ لَا يُسَامُ لَهُمْ صَدَى.
فَلْيَجْتَهِدْ فِي ذَلِكَ جِدَّ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيَعْمِدْ فِيهِ السَّدَادَ وَالسَّدَادَ؛ وَلْيُوقِظْ أَجْفَانَ
سَيُوفِهِ مِنَ الْعَمَضِ، وَلْيُرْهِبْ الْعِدَا بِشِدَّةِ وَطْأَتِهِ الَّتِي لَهَا الثَّبَاتُ فِي الْأَرْضِ؛
وَلْيَلْزِمْ مُوَاطَبَةَ الشَّوَانِي لَيْلًا وَنَهَارًا، وَلْيَكُنْ هُوَ وَمَنْ حَوْلَهُ لِمَنْ بِهَا أَنْصَارًا؛ وَاللَّهُ تَعَالَى
يُجْزِلُ لَهُ مَبَارَا، وَيَرْفَعُ لَهُ مِقْدَارَا، بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ.



وهذه نسخة توقيع بشد دار الضرب، كُتِبَ بِهِ لـ«علاء الدين الدوادار»، وهي:
رُسِمَ ... - لَازَالَ إِحْسَانُهُ يُجُودُ عَمَامَا، وَفَضْلُهُ الشَّامِلُ عَلَى الْأَوْلِيَاءِ الْمُتَّقِينَ إِمَامَا،
وَسَحَابُ بَرِّكَرَمِهِ هَامِيَةٌ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، هَامِلَةٌ عَلَى أَصْفِيَائِهِ، فَتَرَاهُمْ يَخْرُونَ لِلْأَذْقَانِ مُجَدًّا
وَيَنْتَصِبُونَ قِيَامَا - أَنْ يَسْتَقِرَّ الْمَشَارُ إِلَيْهِ فِي شَدِّ دَارِ الضَّرْبِ: إِعَانَةٌ لَهُ عَلَى الْخِدْمَةِ
الشَّرِيفَةِ، وَإِرْفَادًا لَهُ بِمَعْلُومِهَا إِذْ هِيَ لَيْسَتْ لَهُ بِوُضُوفِهِ؛ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ قَدْرًا،

وأحق بكل منزلة عليّة وأخرى ؛ ولكن هذه الجهة هي قانون المعاملة ، وسكّتها بشعار الملك مُتَّصِلَةٌ وبين الحقّ والباطل فاصله ؛ ومنها الثغوش التي هي رُستاق الأرزاق ، وصدر كل إطلاق وقندق ؛ حكيم ما أرسل في حاجة إلا وأذن لها بالنجاح ، ولا آستؤمن عليه أمرؤ باذن الإمام إلا وحق له [الانصاف] بالصلاح والفلاح ؛ هذا وهو في الأصل مذموم ، وطالبه محروم : لأنه مقسوم ، والأجل محتوم ؛ ولكن تطهيره من الدنس واجب ، والحسبة في عبارته حتى يغدو وبودق صفاته من الغش ناضب .

فليعتد المشار إليه في شدّ هذه الجهة حُسن التقوى ويُلاحظ بعزمه أموراً لتكون على السداد ، ويعتمد على السيد الناظر فإنه نعم العباد ، ويُفوض إليه كشف الرُباب وحكّ العيار فهو به أدرى وأخرى وأذرب بأدحاض غش الفساد ، ولتتناول معلومه المقرّر له عند الوجوب والاستحقاق ، هنيئاً ميسراً خالصاً من التنازع والشقاق ، ومثله فلا يدل على [صواب] : إذ تقوى الله تعالى كلمة الفصل وفصل الخطاب ، والله تعالى يجعلها لنا وله زاداً وحرزاً ، ودُنْراً يوم المعاد وركراً^(١) .



وهذه نسخة توقيع شدّ البحر بمينا طرأ بلّس ، وهي :

رُسم بالأمر - لا زال سيفه قاطعاً من الأعداء تحراً ، وأمره نافذاً براً وبحراً ، وفعله صالحاً دنياً وأخرى - أن يستقرّ الجناب المشار إليه في شدّ مينا البحر بطرأ بلّس .

فليباشر هذه الوظيفة شارحاً لها صدراً ، فاتحاً لها بحسن مباشرته الجميلة بصراً وفكرًا ؛ باعنا لها في الآفاق بمباشرته ذكراً جميلاً ، باحثاً عما يتعلق بمتحصّل المينا

(١) يريد ركوة واحدة الركاز المال المدفون . وذكر مراعاة للسجع .

المعمورة بكرة وأصيلا؛ مسويا بين الناس فيما رزق الله وفتح، وبعث من فضله
ومنح؛ بحيث لا يقدم عزيزا ولا يؤخر ذليلا، ولا يرعى في ذلك صديقا
ولا خيلا .

وليقدم خوف الله تعالى على خوف خلقه، وليسوي بين الضعيف والقوي فيما
بسط الله من رزقه؛ وأكد ما نوصيه به تقوى الله تعالى فيما هو بصدده، فليجعلها
في أموره الباطنة والظاهرة من عده؛ والله تعالى يقدمه في مباشرته لاقتناء محاسن
المعروف وزبده، ويرزقه من الأجر على ما يعمله من الخير مع تجار هذا البحر بما هو
أكثر من زبده .



توقيع كريم بناية اللاذقية، من إنشاء القاضي تاج الدين بن البارنباري، كتب به
ل«شمس الدين» ابن القاضي، ب«الجناب العالی»، وهو :

الحمد لله الذي زاد «شمس» الأولياء إشراقا، ومنحه في هذه الدولة الشريفة إرفادا
وإرفاقا، وصان الثغور المحروسة بعزائمه التي سرت قلوبا وأقرت أحداقا، وجددت
لأوليائها من مواهبها عطاء وفاقا .

نحمده على حكمه وفعليه، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تمنح
قائلها مزيد فضله؛ ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذي أيده الله بملائكته
المقرئين، وشدد أزره من أصحابه بالآباء والبنين؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أئمة الدين، صلاة تمنح قائلها غرَف الحنان (والعاقبة للمتقين) وسلم تسليما كثيرا .
وبعد، فإن من شيم هذه الدولة إذا بدأت تعود، وإذا نظرت تجود، وإذا
قدمت وليا لحفظته بأعين السعود .

وكان الجنابُ العالی - أدام اللهُ نِعْمَتَهُ - عَيْنَ الْفِلَادَةِ ، وَبَيْتَ السِّيَادَةِ ، وَمَعْدِنَ السَّعَادَةِ ؛ وَأَهْلًا أَنْ يُدَبَّرَ الْأُمُورَ ، وَيُسَدَّ الثُّغُورَ ؛ وَنِيَابَةَ اللَّاذِقِيَّةِ بِجَاوِرَةِ الْبُحُورِ ، وَجَزِيرَةَ الْعُدُوِّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهَا نَهَارٌ فَهِيَ فِي أَمْرِهَا لَهُ قَاعِدَةٌ فِي الثُّجُورِ ؛ وَقَدْ رَأَيْنَاهُ أَهْلًا أَنْ يَصُونَ نَحْرَهَا ، وَيَتَقَلَّدَ أَمْرَهَا ؛ وَيَحْفَظَ بَرَّهَا ، وَيُدْفَعَ شَرَّهَا .

فَلذَلِكَ رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَعْلَى اللهُ تَعَالَى شَرْفَهُ - أَنْ تُفَوَّضَ إِلَيْهِ نِيَابَةُ اللَّاذِقِيَّةِ الْمَحْرُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدَّمَه .

فَلْيَسِرْ إِلَيْهَا سَيْرَ السَّمْسِ فِي أَبْرَاجِ شَرْفِهَا ، وَلْيُقْبَلْ عَلَيْهَا إِقْبَالَ الدَّرَّةِ عَلَى التَّرَائِبِ بَعْدَ مُفَارَقَةِ صَدَفِهَا ؛ وَأَوَّلُ مَا نَأْمُرُهُ [بِهِ] : إِزْهَابُ الْعُدُوِّ بِالْعُدَّةِ وَالْعَدِيدِ ، وَإِظْهَارُ الْمَهَابَةِ فِي الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَتَفَقُّدُ الْأَيْزَالِكِ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ اتِّكَالٍ عَلَى سِوَاهُ كَمَا يَفْعَلُ الْبَطْلُ الصَّنِيدِ ، وَلِيَنْطَلِعَ عَنْهُ مَلَابِسَ الْوَشْيِ وَيَلْبَسَ الْحَدِيدَ ، وَلِيَهْجُرَ الْمَضَاجِعَ وَيَتَّخِذَ ظَهْرَ جَوَادِهِ مَسْتَقَرَّهُ الْعَتِيدَ ، حَتَّى يَنْشُرَ لَهُ صِيْتٌ بَيْنَ أَهْلِ التَّنْلِيثِ كَمَا أَنْشُرَ صِيْتَهُ بَيْنَ أَهْلِ التَّوْحِيدِ .

وَأَبْسُطْ بِسَاطِ الْعَدْلِ لِيَطَّاهَ الْمَوَالِي وَالْعَبِيدَ ، وَأَحْكَمْ بِالْحَقِّ فَالْحَقُّ مُفِيدٌ وَالبَاطِلُ مُبِيدٌ ، وَمَتَى تَسَامَعَ التُّجَّارُ بِعَدْلِكَ جَاءُوا بِالْأَصْنَافِ وَالْمَتَجَرِّ الْجَدِيدِ ، وَأَرْكُنْ إِلَى حُكْمِ الشَّرْعِ الشَّرِيفِ فَإِنَّهُ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ ، وَأَتَّقِ اللهُ تَعَالَى تَعَالَى فَمَا تَرُومُ وَتُرِيدُ ، وَتَمَسَّكْ بِالسَّيْرِ الْحَسَنَةِ يَزِدْكَ اللهُ رِقْعَةً وَأَنْتَ أَحَقُّ بِالْمَزِيدِ ، وَعَقِبَهَا نَسْتَنْجِزُ لَكَ تَشْرِيفًا شَرِيفًا مَقْرُونًا بِتَقْلِيدِ أَعْظَمَ مِنْ هَذَا التَّقْلِيدِ ؛ وَالخَطُّ الْكَرِيمُ أَعْلَاهُ حِجَّةٌ بِهِ ، إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى .



تَوْقِيعٌ بِنِيَابَةِ قَلْعَةِ حَصْنِ الْأَكْرَادِ ، كُتِبَ بِهِ لِشَهَابِ الدِّينِ «أَحْمَدُ النَّاصِرِيُّ» ،

وهو :

الحمد لله الذي أطلع في سماء الدين شهابا، وفتح لمن خافه وأتقاه إلى الخيرات
أبوابا، وحباه من إفضاله وأبسه من حليل إنعامه ونعمائه أنوابا .

نحمده على نعمه التي أبزل لنا بيزيد حميدها أنعمًا ونوابا، ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة تتخذها من النار حجابا، ونعتد بها في الآخرة مغازا حدائق
وأعنابا، وكواعب أثرابا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي شرفه على الأنبياء
منصبا ونصبا، وسبى بطبعته وطلبعته قلوبا وأحزابا، وقربه إلى أن كان قاب قوسين
وأسمعه من لذيذ كلامه خطابا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : أكرمهم به وبهم
آلا وأصحابا !، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من أنتدب، لحفظ المعامل الإسلامية وأتخب، وأحرى من
لحظته عين عنايتنا فكان إليها من العين أقرب، وأحق من اعتمد على بسائته
وإياليته بما سبر من الأنام والأيام وجرّب - من عرف بشجاعة أين منها عمرو بن
معدى، وأمانة كفت حين كفت كف التعدي، وعفة جعلها في أحواله كلها نصب
العين، وسياسة ما زال يصلح بها بين ذوى المشاققة ذات البين، وكان فلان هو
الموصول المقدم، الموصوف بهذه الصفات التي سر السائل بها فتبسم .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال يطالع في آفاق الحصون المصونة شهابا، ويرفع
الأولياء بإحسانه الذي يؤكد لهم في جوده أسبابا - أن يستقر ^(١) نائبا بقلعة
حصن الأكراد المحروس وأعمالها، على عادة من تقدمه ومستقر قاعدته .

فليأشر ما أولناه وأوليناه : مباشرة تسفير عن حسن فطنته وذكائه، وتضيء
الآفاق بنور شهابها وسنائها، وتظهر معروفها المعروف بعدم غيبته وخفائه، معتمدا

(١) باض بأصله ومراده الجتاب العالى . أو المجلس العالى .

على الله تعالى في إبدائه وإنهائه ، شارحاً لكل قلب لأنه إحسانه بعد غلظته
 وجفائه ، مانحاً من بحر جوده وعدله بالدر لا بجفائه ، مكرماً لمن بهذا المعقل : من
 أمرائه وأجناده وأغنيائه وفقرائه ، مقيماً لمنار الشريعة الشريف الذي لا تستقيم
 الأمور إلا بتابعته وإبدائه ؛ ويُظهِر من شجاعته وبسالته ما لا فائدة في خفائه ،
 ويُشهر سيفه ، في وجه من أظهر حيفه ، وعدم خوفه ، من سطوة ربه وكرمائه .
 وأعظم ما نوصيه به التقوى ، فإنه بملازمتها يقوى ، على دفع الشر وفعل الخير
 وإسدائه ، والوصايا كثيرة وهو المحزب بالعمل بها لمن يرغب في استيلائه ، والله
 تعالى يحرق بشهاب عدله كل مُتَمَرِّد



وأعلم أنه ربما كتب توقيع نائب حصن الأكراد مفتتحاً بـ «أما بعد حمد الله» .
 وهذه نسخة توقيع نبياية حصن الأكراد ، كتب به باسم «شهاب الدين الجاكي»
 بـ «الجناب العالی» ، وهي :

أما بعد حمد الله الذي جعل شهاب الدين يتنقل في مطالع سعده ، وجدد
 أنوار النعماء لمن قدمت هجرته وظهر خيره فأنجز له الإقبال صادق وعده ؛ وأشهد أن
 لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تبلغ قائلها إنالة قصده ، وأشهد أن محمداً عبده
 ورسوله الذي أيدته الله بنصر من عنده ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين كانوا
 من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة يبلغ المؤمن بها غاية رشده ؛ وسلم تسليماً كثيراً . فإن
 أولى من شمله إحسان هذه الدولة الشريفة وتوأمه مراده ، وأجزل عليه النعم فكان
 أحق بها لحسن طويته فأجراه الله على أحسن عاده ، وبلغه غاية القصد ومعين
 السعادة . من سلك مسالك الأمانة الثقات ، وأشتهرت عنه العفة وحسن الصفات ،
 فتعين تقديمه وتقريبه إلى أجل ولايات الفتوحات .

ولما كان فلان - أدام الله عزه، وأنجح قصده - هو المنعوت بصفات السداد، المشهور بالتهذيب والشجاعة في هذه البلاد؛ الذي حوى المكارم والإفضال، ووافق خبره خبره في سائر الأحوال .

فلذلك رسم بالأمر - لا زال شهاب فضله ساطعا، وتور إحسانه لأمعا - أن يستقر المجلس العالی الشهابي المشار إليه في ولاية الأعمال الحصيدية والمناصف عوضا عن بها، على عادته وقاعدته : لأننا وجدناه متمس أعيان الأمانيل، وألفيناه قليل النظير والمضاهي والمائل؛ وعليه عقدت الخناصر، وأتفقت الآراء الناقبة في الباطن والظاهر؛ ولما جمع من كرم الشيم وجميل الخلال، وحاز من النباهة الرفيعة الذرا المديدة القلال .

فليتوجه إلى محل ولايته، وليظهر ما أتمته من العدل والإنصاف في ضمائه بحسن سياسته؛ ولينصف المظلوم ممن جار عليه وأعتدى، ويتبع في ذلك ما يوضح له من طريق منار الهدى؛ وليبسط المعدلة ويمد باعه، وليبد الظلم ويقصم ذراعاه؛ وليصرف همته في عمارة البلاد، وتأمين العباد، وسؤلوك سبل الرشاد؛ وليجتهد في سد الخلال، وإصلاح ما قسد بغيره من الأحوال؛ وليجعل تقوى الله محجته، وأتباع العدل محجته، وسؤلوك الحق عذته؛ فقد جاءت التقوى في التنزيل مؤكده، ووردت في كثير من السور مررده؛ والله تعالى يعينه على ما ولّاه، ويحرسه ويتولاه، بعد الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية قلعة المرقب والولاية بها، كتب به لصالح الدين

«خليل»، ب«الجناب العالی»، وهي :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة مقرونة بالتأييد والنجاح، ووفق أوليائها إلى سلوك سبيل السعادة وشيّد بها بالصلاح، وخولّم في أيامها المراتب العلية ليتمهلوا بأدعيتهم وبدوامها في المساء والصباح .

نحمده على نعيمه التى لا يبرح مخلّصها في أزياد وأرتياح، ونشكّره على آلائه شكراً نستحقّ به المزيد كما أوضح في القرآن أكمل إيضاح؛ ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة معلنة بالفلاح، وأنّ عهداً عبده ورسوله الذى أنزل عليه في محمّد كتابه العزيز: ﴿الله نور السموات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباح﴾ صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الغر الكرام الأشباح، ما ترنم طائر على غصن وحين جعل الداعي إلى الفلاح؛ وسلم تسليماً كثيراً .

وبعد، فإن أولى من عُدقت به نيابة أجلّ المعاقيل والتغور وفوضت إليه، وعوّل في حفظها ومباشرتها الحسنه الجميلة عليه - من عُددت على حزمه الخناصر، وورث الشجاعة والشهامة كبراً عن كابر، وهو الذى تمّ قرعاً وزكاً [أصلاً]، وفاق في المكارم على نظرائه قولاً وفِعلاً؛ فاضحى وافر الثناء واضح الغرر، شاهداً له به العين والبصر .
ولما كان فلان هو المتنوع بهذه الصفات، والموصوف في مواقف الحروب بما لديه من الثبات والوثبات؛ المشكورة خدمته، شاماً ومضراً، المشهورة بين الهمم همته، براً وبحراً .

فلذلك رسم ... - لازالت مراسيمه الشريفة مبنوثة بالعدل والإحسان، ومعدّته تستدعى بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن نفوض إليه نيابة قلعة المرقب المحروس، والولاية بالأعمال الشرقية، وما هو منسوب إليها، على العادة في ذلك ومستقر القاعدة: إذ هو أحق بها وأهلها، وأكمل [من] يجمع شتات شملها .

فليباشر ما نُدب إليه من هذه الجهات مباشرة تفصراً الأفكار عن توهمها ،
والأبصار عن توهمها ، والحواطر عن تخيل مبتها ، و [الأذهان] عن تمثيل صورتها
ومعناها ؛ وليكن لمصالحها متممها ، ولأحوال رجالها متصفها ، ولأقدار جهاتها مربحها ،
ولحواطر إبداء أحوالها على السداد مربحها ؛ ولوظائفها مقيمها ، ولنظر في الكبير والصغير
من مصالحها مديماً ؛ ولحرماتها مضاعفاً ، وعلى كل ما يتعين الاحتفال به من مهماتها
واقفاً ؛ ويُعدّ للعدو المخدول عند تحركه العزم الشديد ، ويهجر لبس الوشي ويتألف
لبس الحديد ، ويتخذ ظهر جواده مستقره العتيد ؛ ويشمر للجهاد ذليلاً ، ومعاذ الله
أن يميل عنه ميلاً ؛ ويتسط العذل للرعيه ، ويعاملهم المعاملة المرضية ، ويحسن
إلى الأمراء البحريه ، ويلاحظ مصالحهم في كل قضية ؛ ويتفقد الرجال ، وأرباب
الأدراك والشواني ويحذرهم من الإهمال ، ويأمرهم باليقظة والاحتراز في الليل
والنهار وسائر الأحوال ؛ وليعمل ما يحتاج إليه من آلات الجهاد وليكن على حذر
مما يتجدد كل يوم ، وليوقع الرهبة في قلوب الأعداء بخياله في اليقظة وخياله في النوم ؛
ويتفقد الموانى في سائر الأوقات في الليل والنهار ، وليحذر أمراء الأيالك من الغفلة
فإن الغافل لا يزال على شفا جرف هار .

وليتق الله في أفعاله وأعماله . والوصايا كثيرة وهو أدرب بها وأدرى ، وأبواب
الخيرات واسعة وهو إليها أسرع وأجرى ؛ وليشكر الله تعالى على ما وآلاه ، والاعتقاد
على الخط الكريم أعلاه .



وهذه نسخة توقيع بناية حصن عكار ، كتبت به لـ «ناصر الدين الكردي» ،

بـ «الجناب العالي» ، وهي :

الحمد لله الذي نصر هذا الدين الحنيفي بسيد البشر، وخص هذه الدولة الشريفة بالتأييد والظفر، ووفى الأولياء بجودها الذي لم يزل من ذمة الوفاء ينتظر .

نحمده على منته الذي طالما بدا في جبهات الأولياء بشره وظهره، ونشكره على جوده الذي أغنى عن التحجيل والغرر، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تُحصى قائلها يوم الفرع الأكبر، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي أقام الله بسيفه الإيمان فأشتهر، وكف به يد الطغيان وزجر، صلى الله عليه وعلى آله ما اتصلت عين بنظر وأذن سمع، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد، فإن أولى من رُعيته له خديم عديده، وعُرِفَتْ له في أجل الثغور مباشرات سعيده، وأشتهرت شمائمته وكفايته في الآفاق، وظهرت أمانته ظهور الشمس في الإشراق، وتقدم بذلك على نظرائه وفاق .

ولما كان الجنبُ العالی هو المنعوت بهذه الصفات الجميلة، والمحتوى على هذه المزايا الجليلة، الذي شاعت شجاعته مع طهارة يد، ولا عجب فإن هذا الشبل من ذاك الأسد؛ وسارت الرُجان في الممالك بنهضتهما في المباشرات، وسد الخلل في المهمات المعضلات .

فلذلك رُسم ... - لازلنا أيامه ماثوثة بالعوارف والإحسان، ومعدته تستدعي بدوام دولته الشريفة لسان كل إنسان - أن نفوض إليه نيابة قلعة حصن عكار المحروس، على عادة من تقدمه وقاعدته، بالمرتب الشاهد به الديوان المعمور .

فليقدم خيرة الله تعالى ويتوجه إليها، ويصرف وجه الإقبال عليها، وينظر في عمارتها ومصالحها، ويستدرك ما استهدم من بيوت حواصليها، ليصبح وجه هذا الثغر

(١) لعل الصواب «فإن أولى الأولياء بالمنصب من رعيته» الخ ليستقيم الكلام .

يُحْلُوهُ بِهِ بِاسْمَا، وَيُنْشَرُّ لَهُ مِنْ حُسْنِ تَدْيِيرِهِ وَجَمِيلِ تَأْيِيرِهِ عَالِمًا؛ وَيُحْسِنُ إِلَى الْأَمْرَاءِ
الْبَحْرِيَّةِ، وَيُتْرَهُمْ مَنَازِلَهُمْ عَلَى الْعَادَاتِ الْمَرْضِيَّةِ؛ وَلْيَعْدِلْ فِي الرَّعِيَّةِ، وَيُنْصِفِ
الْمَظْلُومَ مِنَ الظَّالِمِ فِي كُلِّ قَضِيَّةٍ؛ وَيُلْزِمِ أَرْبَابَ الْوِظَائِفِ مِنَ الْمُقَدِّمِينَ وَالرَّجَالَ
بِالْخِدْمَةِ بِالنُّوبَةِ عَلَى الْعَادَةِ، وَيُوصِلُ إِلَيْهِمْ مَعْلُومَهُمْ مِنْ جِهَاتِهِمُ الْمَعْتَادَةِ؛ وَيَتَّبِعِ
الْحَقَّ الْمُخَصَّ فِي كُلِّ أَمْرٍ، لَا يَقْتَدِي بِرَأْيِ زَيْدٍ وَلَا عَمْرٍو؛ وَلْيَعْلَمْ أَنَّهُ مُطَالِبٌ بِالْعَدْلِ
فِي وَظِيفَتِهِ، فَإِنَّ كُلَّ رَاجِعٍ مَسْئُولٌ عَنْ رِعْيَتِهِ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ وَمُعْظَمُهَا تَقْوَى اللَّهِ
فِي سَائِرِ الْأُمُورِ: فَلْيَتَمَسَّكْ بِهَا يَقْوَى، فَإِنَّهَا السَّبَبُ الْأَقْوَى، وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ فِي السَّرِّ
وَالنَّجْوَى؛ بَعْدَ الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



وهذه نسخة توقيع بديابة بلاطُنُس بـ«بالجناب العالی»، وهي :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَسْبَغَ نِعَمَهُ عَلَيَّ أَوْلِيَانِي، وَأَجَزَلَ كَرَمَهُ عَلَيَّ أَصْفِيَانِي؛ وَنَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً تُنْحِي قَائِلَهَا مِنْ وَبِيلِ الْعَذَابِ، وَتُجَدِّدُ لَهُ
أَسْبَابَ السَّعَادَةِ فِي الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْحِسَابِ؛ وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمَبْعُوثُ
بِالنُّورِ الْمُبِينِ، الْمَخْصُوصُ بِالدِّينِ الْمُبِينِ؛ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَأَهْلِهِ
وَأَصْفِيَانِي وَأَتْرَابِهِ .

وَبَعْدُ، فَإِنَّ الْقِلَاعَ الْمَنْصُورَةَ مِمَّا يَتَعَيَّنُ الْإِحْتِفَالُ بِأَمْرِهَا، وَالْأَهْتَامُ بِحِفْظِ
رِجَالِهَا فِي سِرِّهَا وَجَهْرِهَا؛ وَمَنْ أَجَلَّ قِلَاعِ السَّاحِلِ الْمَحْرُوسِ، وَأَجْمَلَ مَسَاكِنِ الْبَحْرِ
الْمَأْنُوسِ، قَلْعَةُ بِلَاطُنُس .

فَلذَلِكَ رُسْمٌ ... - لَازَلْتُ صَدَقَاتُهُ تَشْمَلُ كُلَّ أَوْحَادٍ، وَتَجْبُرُ كُلَّ وَلِيٍّ أُنْجِدُ - أَنْ
يَسْتَقَرُّ إِذْ هُوَ الْخَبِيرُ، الَّذِي لَيْسَ لِمَعْرِفَتِهِ نَظِيرٌ، وَالضَّابِطُ الَّذِي يُحَاقِقُ عَلَى

الخليل والحقير، والفقير والقطمير، والشجاع الذى هو فى يوم النضال على أخذ العدو
لقدير، والضرغام الذى أعطاه الله القوة والمعرفة التامة فهو بهما جدير .
فليسر إلى الثغر المحروس، ويعتمد فى أموره ما هو فيه من الخبرة مفروس .



وهذه نسخة توقيع بتقدمة العسكر بجبله ، كُتب به لـ «صلاح الدين الحافظى» ،
بـ «الجناب العالى» ، وهى :

الحمد لله الذى جعل هذه الدولة الشريفة تتقل كل ولي إلى درجات سعده ،
وتؤكد أسباب الارتقاء لمن حُدث ما أثره وحسنت سيرته فى اليوم والذى من بعده ،
وتجدد أنوار النماء لمن ظهر خيره وخبرته فأنجز له الإقبال صادق وعده .

نحمده على نعمه التى أجزلت لمستحقها مواهب رفته ، ونشكره على مننه التى
خصت كل كاف بتأثيل مجده ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة
يبلغ بها قائلها غاية قصده ، ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله الذى أيدته الله تعالى
بنصر من عنده ، وآمنه على وحي الرسالة فنصح الأمة غاية جهده ، صلى الله عليه
وعلى آله وصحبه الذين كانوا من أنصاره وجنده ، صلاة دائمة باقية يبلغ بها المؤمن
غاية رشده ، وسلم تسليما كثيرا .

وبعد ، فإن الجناب العالى لما تقدمت له مباشرات ، فى أجل الولايات وأحسن
النيابات ، وهو يسير فى كل منها أجمل سير ، ويحسن إلى رعيته فلا غرو أن يذكره
بكل خير ، كم قام بمهمات من غير عسف أهل البلاد ، وكم أعان الديوان المعمور
من غير ضرر للعباد ، وكم ميز أموالا فكانت أيام مباشراته أعياد ، وكم له من خدم
سار بها الركاب وبلغ بها المراد ، وكم أثنى عليه لسان القلم حتى نفذ المسداد ،

وَكَمْ وُصِفَتْ هِمَمُهُ وَحُسْنُ تَأْتِيهِ فِي كُلِّ تَوْقِيعٍ وَتَقْلِيدٍ عَلَى أَنَّ الْكَاتِبَ مَا زَاغَ عَنِ الْحَقِّ وَلَا مَالَ عَنِ الصَّدَقِ فِيهَا وَلَا حَادَ .

فاقتضى محمود رأينا الذي ما برح بعون الله يُصِيبُ، وَجَمِيلُ فِكْرِنَا الَّذِي مَا دَعَوْنَاهُ لِأَمْرِ إِلَّا وَبِالِإِصَابَةِ بِحَمْدِ اللَّهِ يُجِيبُ، أَنْ نُعَيِّنَ لَهُ وَظِيفَةً تُرِيحُهُ فِيهَا مِنَ التَّعَبِ، وَنُوفِرَهُ مِنْ تَبَعَاتِ الطَّلَبِ ؛ وَكَانَ مَنْ فِي تَقْدِيمَةِ الْعَسْكَرِ بِجَبَلَةٍ يَعْتَرِيهِ أَلَمٌ يَعُوقُهُ عَنِ الرُّكُوبِ فِي الْخِدْمَةِ الشَّرِيفَةِ وَالنُّزُولِ، سِيَّيَا فِي هَذَا الْوَقْتِ الَّذِي فِيهِ يَتَحَرَّكُ الْعَدُوُّ الْمَخْذُولُ .

فلذلك رسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تُيسر أسباب النجاح، وعوارفه تُطوى لها أرض البعد عن أوليائها كما تُطوى لذي الصلاح - أن يستقر الجنب في تقدمة العسكر المنصور بجبلته ، على عادة من تقدمه وقاعدته .

فليأشهرها مباشرة تليق بسجاعته ، وتُعهد من حُسن سياسته ؛ وليُكرم الشرع الشريف ، وليردع من يبيد عن الحق أو يخيّف ؛ وليُجمع الأمراء المقدمين والحلقة المنصورة على الركوب في الخدمة الشريفة ، وليشكر نعمة الله تعالى المُطِيفِ ؛ وليتيقظ لردع العدو المخذول ، وليعلم أننا أسترعيناه أمر ذلك وكل راجع مسؤل ؛ وليتحقق أن العدو المخذول طالب للهالكين منهم بالنار ، وهم قاصدون جبلة فلتكن عنده يقظة وأستبصار ؛ وليرتب الأيزاك وليُعمّر الموانى بالرجال ، ويتفقدهم في الليل أكثر من النهار ؛ وليهجر النوم في طلب الظفر والمنى فمن سهر لذلك ما خاب ، ولا يأمن مكيدتهم ويغتر بهم فيقول : قد ضرب بينهم وبينها بسور له باب ؛ وباقي الوصايا فهو بها أعلم ، ولم يبرح متلفعا بثوبها المعلم ؛ وملاكها تقوى الله تعالى فمن لم يعمل بها يأثم ، ومن تركها يتدم ، ومن لزمها فهو في الدارين مُقدّم ؛ والله تعالى يتولاه ، والاعتقاد على الخطّ الكريم أعلاه ؛ إن شاء الله تعالى .

وأعلم أنه ربما أفتح توقيع مقدم العسكر بجبله بـ «أما بعد حمد الله» .
توقيع بتقدمة العسكر بجبله ، مما كتب به لحسام الدين العلائي بـ «الجناب
العالى» وهو :

أما بعد حمد الله على نعمه التي تُجزل لكل ولي من مواد فضيلها إنعاماً ، وتمنح
من عوارفها أفساما ، وتبلغ من النجح لذوى الاستحقاق آمالاً وتجعل في نخور
الباغين حساماً ، والشهادة له بالوحدانية التي لم تزل للأولياء المتقين لزاماً ، وترفع لهم
في الجنات مقاماً ، والصلاة على سيدنا محمد الذي محّا الله بنبوته عن الأمة المحمدية
آثاماً ، وشرّفه على سائر خلقه وجعله للأئبياء ختاماً ؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الذين ظافروه وبأبعوه دهوراً وأعواماً ، صلاة دائمة تزيد مردّها عزّاً وإكراماً -
فإن الأهتمام بكل جهة هو على قدرها ، والعناية بقطرها .

ولما كانت مدينة جبله المحروسة مخصوصة بمقام بر^(١) السند، الزاهد الذي
ترك الدنيا والأهل والولد، والولي المبرز في عبادة الخالق ، والمتوكل الذي لم يدخر
قوت ساعة لساعة اعتماداً على الرأزق - تعين النظر في أمرها وحفظها من العدو
المخدول ، وإن كان بهذا السيد السند قد تبين حفظها ؛ وكان فلان ممن باشرها
فأحسن فيها المباشرة، وكلاً حفظها بيقظته وعينه الساهرة - اقتضى رأينا أن نعيده
إليها ، ونُسبغ ظله عليها .

فلذلك رُسم بالأمر - لزال حسامه قاطعاً من الأعداء تحراً ، وفعله صالحاً دنياً
وأخرى - أن يعاد المشار إليه إلى مقدمة العسكر المنصور بجبله المحروسة ، عوضاً
عمن بها ، وعلى عادته وقاعدته .

(١) بياض بالأصول ولعله بركات السيد السند .

فَلْيَعُدَّ إِلَيْهَا عَوْدَ الْحُسَامِ إِلَى غَمْدِهِ، وَالْمَاءِ إِلَى مَنْهَلٍ وَرِدِهِ ؛ وَلْيُقَدِّمْ خَيْرَةَ اللَّهِ فِي الْمَسِيرِ إِلَيْهَا، وَلْيَبْسُطِ الْعَدْلَ لِيَأْمَنَ أَهْلُهَا بِقُدُومِهِ عَلَيْهَا ؛ وَلْيُكْرِمْ مَنْ بِهَا مِنَ الْعَسْكَرِ الْمَنْصُورِ، وَيُحْسِنَ إِلَى الرَّعِيَّةِ بِهَا لِيُصْبِحَ خَيْرَ مَشْكُورٍ ؛ وَلْيُنْصِفِ الْمَظْلُومَ مِمَّنْ ظَلَمَهُ، وَيَنْشُرْ لِلشَّرْعِ الشَّرِيفِ عَالِمَهُ ؛ وَلْيُخَلِّصِ الْحَقَّ مِنَ الْقَوِيِّ وَالضَّعِيفِ، وَالِدِّينَ وَالشَّرِيفِ ؛ وَلْيَلْزِمَ مِنْ بَهَذَا التَّنَغَّرِ بِعَمَلِ الْبِرِّ الْمَعْتَادِ، وَالْتِقِظْ لِأَمْرِ الْعَدُوِّ الْمَخْذُولِ وَمُضَاعَفَةِ الْأَجْتِهَادِ، وَلْيَلْزِمِ تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَمْتَحِنُهُ مِنْ فَضْلِهِ مَا يَرْجُو مِنَ الْأَمَالِ .



وهذه نسخ تواقيع لأرباب الوظائف الدينية بطرأبلس .

توقيع بنظر الحسبة بطرأبلس، كتب به للقاضي «ناصر الدين بن شبيصة» وهو :
الحمد لله مبشِّر الصابرين، وموصل الأرزاق على يد أصفِيائِهِ من العالمين، ومعيد كلِّ وليٍّ إلى مَنْصِبِهِ ولو بعد حين .

نحمده على فَضْلِهِ الْمُبِينِ، وَنَشْكُرُهُ عَلَى أَنْتِ جَعَلْنَا مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ؛ وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ شَهَادَةً نَدَّخَرُهَا لِيَوْمِ الدِّينِ، وَنَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الصَّادِقُ الْوَعْدِ الْأَمِينُ، الَّذِي أَرْسَلَهُ بِوَأْضَحِ الْمُحْجَجِ وَمُحْكَمِ الْبَرَاهِينِ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابًا عَرَبِيًّا مُبِينًا، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الْغُرِّ الْمُحَجَّبِينَ، صَلَاةً مُسْتَمِرَّةً عَلَى مَمَرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ وَالسِّنِّينِ ؛ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا .

وبعد، فإنَّ أَوْلَى مَنْ غَزَرْنَا مَوَادَّ رِفْدِهِ، وَأَجْرَلْنَا لَهُ حُظُوظَ سَعْدِهِ، وَبَلَّغْنَا مِنْ إِقْبَالِنَا غَايَةَ قَصْدِهِ، وَحَمِدْنَا تَصَرُّفَهُ مِنْ قَبْلِ عِنْدِ مَارَسَمِ لِمَا جُدِّدَ [من] بَعْدِهِ؛ وَأَعَدَّنَاهُ إِلَى رُتْبَةِ أَلْفَتْ مِنْهُ حُسْنِ السِّيَاسَةِ وَالتَّنْذِيرِ، وَعُرِفَ فِيهَا بِالْكَفَايَةِ وَالصِّيَانَةِ

ويُمنّ التأمير - من له ولسلفه في المباشرات الجليلة يدٌ طولى ، فكان بوظيفته
أحق وأولى .

ولما كان المجلسُ العالى هو المُتصِف بصفات الكمال ، المشكور في سائر الأحوال ؛
فلذلك رُسم بالأمر - أنفذه الله في الآفاق ، وأجراه بصلة الأرزاق - أن يعاد فلانٌ
- أدام الله نعمته - إلى نظير الحسبة الشريفة بالملكة الطرابلسية على عادته وقاعدته ،
مضافاً إلى ما بيده من بيت المال المعمور : لأنه الفاضل الذى لا يُجارى ، والعالم
بأحوال الرعية فلا يُناظر في ذلك ولا يُمارى ؛ والفيلسوف الذى يظهر زيف كل
مريب ، والتحرير الذى يجزته يسير كل حبيب وليب .

فلينظر في الدقيق والحليل ، والكثير والقليل ؛ وما يُحصَر بالمقادير وما لا يُحصَر ،
وما يؤمر فيه بمعروف أو يُنهى عن منكر ، وما يُشترى ويُباع ، وما يُقرب بتحريره إلى
الجنة ويُبعد عن النار ولو لم يكن قد بقي بينه وبينها إلا قدر باع أو ذراع ؛ وكل
ما يعمل من المعاش في نهار أو ليل ، وما لا يُعرف قدره إلا إذا نطق لسان الميزان
أو تكلم فم الكيل ؛ ويعمل لديه معدلاً لكل عمل ، وعياراً إذا عرِضت عليه المعايير
يعرف من جار ومن عدل ، وليتفق أكثر هذه الأسباب ، ويُحذر من الغش : فإن الداء
أكثره من الطعام والشراب ؛ وليتعرف الأسعار ، ويستعلم الأخبار من كل سوق
من غير إعلام لأهله ولا إشعار ؛ وليقيم عليهم من الأمانة من ينوب عنه في النظر ،
ويطمئن به إن غاب أو حضر ؛ ودار القود والضرب التى منها تبت ، وقد يكون
فيها من الزيف ما لا يظهر إلا بعد طول الألبت ؛ فليصد لمهجمها بصدرة الذى لا يخرج ،
وليعرض منها على المحك [من رأيه] ما لا يجوز عليه بهرج ، وما يعلق من الذهب
المكسور ويروص من الفضة ويخرج ؛ وليقيم الضمان على العطارين والطريقة

في بيع غرائب العقاقير إلا ممن لا يُستراب فيه وهو معروف ، وبخطّ طيّب ماهير
لمريض مُعيّن في دواء موصوف ، والطَّرِيقَةُ وَأَهْلُ النَّجَامَةِ وَسَائِرُ الطَّوَائِفِ الْمُنْسُوبَةِ
إِلَى سَاسَانٍ ، وَمَنْ يَأْخُذُ أَمْوَالَ الرِّجَالِ بِالْحِيلَةِ وَيَأْكُلُهُمْ بِاللِّسَانِ ، وَكُلُّ إِنْسَانٍ سُوءٍ
مِنْ هَذَا الْقَبِيلِ هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ شَيْطَانٌ لَا إِنْسَانَ ؛ فَاْمَنْعَهُمْ كُلَّ الْمَنْعِ ، وَأَصْدَعَهُمْ مِثْلَ
الرُّجَاجِ حَتَّى لَا يَنْجِبِرَ لَهُمْ صَدْعٌ ، وَصَبَّ عَلَيْهِمُ النَّكَالُ وَإِلَّا فَتَأْجِدِي فِي تَأْذِيهِمْ
ذَاتُ التَّأْدِيبِ وَالصَّفْعِ ؛ وَمَنْ وَجَدْتَهُ قَدْ غَشَّ مُسِيماً ، أَوْ أَكَلَ بِبَاطِلِ دِرْهَمًا ؛
أَوْ أَخْبَرَ مُشْتَرِيًا بِزَائِدٍ ، أَوْ خَرَجَ عَنْ مَعْهُودِ الْعَوَانِدِ ؛ اشْهَرَهُ بِالْبَلَدِ ، وَأَرَكَبْتَ تِلْكَ
الْآلَةَ قَفَاهُ حَتَّى يَضْعُفَ مِنْهُ الْجَسَدُ ؛ وَغَيْرَ هَؤُلَاءِ [مِنْ فَهْمَاءِ الْمَكَاتِبِ ، وَعِلْمَاتِ
النِّسَاءِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْأَنْوَاعِ ^(١)] مِمَّنْ يُخَافُ مِنْ ذَنْبِهِ الْعَائِثُ فِي سِرْبِ الْغِلْبَاءِ وَالْجَاذِرِ ،
وَمَنْ يُقَدِّمُ عَلَى ذَلِكَ أَوْ مِثْلِهِ وَمَا يُجَاذِرُ ؛ أَرْشَقَهُمْ بِسِهَامِكَ ، وَزَلَّزِلْ أَقْدَامَهُمْ
بِأَقْدَامِكَ ؛ وَلَا تَدْعُ مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ أَحْتَرَتْ أَمَانَتَهُ ، وَأَخْتَبَرْتَ صِيَانَتَهُ ؛ وَالتَّوَابُ
لَا تَرْضَى مِنْهُمْ إِلَّا مَنْ يُحْسِنُ تَفَاذًا ، وَيُحْتَسِبُ لَكَ أَجْرَ اسْتِنَابَتِهِ إِذَا قِيلَ لَكَ : مَنْ
اسْتَنْبَتَ ؟ فَقُلْتَ : هَذَا ؛ وَتَقْوَى اللَّهِ هِيَ نِعْمُ الْمَسَالِكِ ، وَمَا لَكَ فِي كُلِّ مَا ذَكَرْنَاهُ
بَلْ أَكْثَرَهُ إِلَّا إِذَا عَمِلْتَ فِيهِ بِمَذْهَبِ مَالِكٍ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَدِّدُكَ وَيُرْشِدُكَ وَيُوقِّقُكَ
إِلَى أَحْسَنِ الْمَسَالِكِ .



تَوْقِيعٌ بِالْخَطَابَةِ وَالْإِمَامَةِ بِالْجَامِعِ الْمَنْصُورِيِّ بِطَرَابُلُسٍ ، كُتِبَ بِهِ لِلخَطِيبِ
« جمال الدين إبراهيم » ، بـ « المجلس السامى » بغير ياء ، وهو :

رُسم بالأمر الشريف - لا زالَ عودُ منابرِ الإسلامِ بِمَاءِ إِحْسَانِهِ رَطِيبًا ، وَبُرْدُ
شِعَائِرِ الدِّينِ الْحَنِيفِيِّ فِي أَيَّامِهِ الزَّاهِرَةِ قَشِيبًا ، وَمَوَاهِبُهُ وَمَنَاقِبُهُ تُقِيمُ تَمَادِحَهُ فِي كُلِّ

(١) الزيادة من « التعريف صفحة ١٢٦ » وهي لازمة لاستقامة الكلام .

وَإِدِّ شَاعِرًا وَلِحَامِدِهِ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيْبًا - أَنْ يُرْتَبَ الْمَجْلِسُ السَّامِي، الْإِمَامُ، الْعَامِلُ :
 - رَحِمَ اللَّهُ تَعَالَى السَّلْفَ، وَزَادَ تَجَدُّدَ الْخَلْفِ - خَطِيْبًا وَإِمَامًا بِالْمَسْجِدِ الْجَامِعِ الْمَعْمُورِ
 الْمَنْصُورِي بِطَرَابُلُسِ الْمَحْرُوسَةِ، عِيُوضًا عَنْ فُلَانٍ، وَعَلَى عَادَتِهِ وَقَاعِدَتِهِ، وَبِمَعْلُومِهِ
 الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانِ الْمَعْمُورِ الْمَسْتَقَرَّ بِاسْمِهِ، إِلَى آخِرِ وَقْتٍ : رِعَايَةِ لِأَهْلِيَّتِهِ الْوَاصِحَةِ
 الدَّلَائِلِ، وَفَضِيلَتِهِ النَّاطِقَةِ الشُّوَاهِدِ الصَّادِقَةِ الْمُخَالِيلِ، وَأَوْصَافِهِ الْجَمِيلَةِ الَّتِي بِهَا تُعْرَفُ
 مِنْ أَبِيهِ الشَّائِلِ ؛ وَلِأَنَّهُ الصَّدْرُ ابْنُ الصَّدْرِ النَّجِيبِ، وَالخَطِيبُ الْإِمَامُ ابْنُ الْإِمَامِ
 الْخَطِيبِ ؛ وَالْوَلَدُ النَّجِيبُ الَّذِي حَدَا حَدُوَ وَالِدِهِ فِي الصَّلَاحِ مَا خَابَ وَلَا يَجِيبُ،
 وَالنَّجْلُ النَّبِيُّ الْمُهَدَّبُ الَّذِي أَشْبَهَ أَبَاهُ فِي الدِّيْرِ وَالْوَرَعِ : وَمَنْ أَشْبَهَ أَبَاهُ فَمَا ظَلَمَ
 فِي النَّبَاهَةِ وَالتَّهْذِيبِ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْخَطَابَةَ وَالْإِمَامَةَ الَّتِي هُوَ ابْنُ جَلَالِهَا، وَطَلَّاعُ ثَنَائِهَا ؛ زَائِنًا حِلَالِهَا،
 زَائِدًا عَلَاهَا ؛ وَلِيَرِقْ ذِرْوَةَ هَذَا الْمَنْصِبِ الَّذِي هُوَ أَعْلَى الْمَنَاصِبِ الدِّيْنِيَّةِ، وَلِيَتَلَقَّ
 نِعَمَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ بِالشُّكْرِ الَّذِي يُوجِبُ الْمَزِيدَ وَيُكْسِبُ الْمَزِيَّةَ ؛ وَلِيُقِمَّ مَقَامَ وَالِدِهِ
 فِي هَذِهِ الرَّثْبَةِ السَّيِّئَةِ، بِإِخْلَاصِ الْعَمَلِ وَصِدْقِ النَّيِّ ؛ مُجَلِّيًا فِي مِضْمَارِ الْبَيَانِ الَّذِي
 سَأَمَتْ إِلَيْهِ أَعْتَهُ، وَأُلْقِيَتْ إِلَيْهِ أَرْمَتْهُ ؛ مُجَلِّيًا بِقَلَائِدِ الْمَوَاعِظِ وَقِرَائِدِ الْأَمْثَالِ أَعْوَادَ
 الْمُنْبَرِ الَّذِي لَوْ أَمَكَّنَهُ لَسَعَى إِلَيْهِ، مُشْتَفًا الْأَسْمَاعَ بِجَوَاهِرِ الْأَوَامِرِ وَزَوَاهِرِ الزُّوَاهِرِ
 الَّتِي يَصْدَعُ بِهَا عَلَيْهِ .

وَلْيَسِرْ كَسِيرَةَ وَالِدِهِ فِي الطَّرِيقَةِ الْمُثَلِّ وَسُلُوكِ الْمَنْهَجِ الْأَسَدِ، وَلِيَجْتَهِدْ فِي إِحْيَاءِ
 رِسُومِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَأَقْتِفَاءِ آثَارِهِ فِي الْعِلْمِ وَالزُّهَادَةِ حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا السَّبِيلُ
 مِنْ ذَلِكَ الْأَسَدِ ؛ جَارِيًا عَلَى أَفْضَلِ الْعَوَائِدِ فِي دِيَابَتِهِ، سَارِيًا بِأَجْمَلِ الْقَوَاعِدِ مِنْ
 صِيَابَتِهِ ؛ وَيُؤَوِّصِلُ إِلَيْهِ مَعْلُومَهُ الشَّاهِدُ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ الْمَسْتَقَرُّ إِلَى آخِرِ وَقْتٍ، عَلَى
 عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ : لِاسْتِقْبَالِ مُبَاشَرَتِهِ أَحْيَانًا الْوُجُوبِ وَأَزْمَانًا الْاسْتِحْقَاقِ،

رِزْقًا دَارًا ، سَارًا ، هِنِيًا ، مَرَضِيًّا ، من غير تَتَبِيعِص ، ولا تَتَقِيص ، والاعتماد على
العلامة الكريمة أعلاه ، وثبوتها إن شاء الله تعالى .



وهذه نسخة توقيع بخطايه ، كُتِبَ به للشيخ «صدر الدين الخابوري» ، بـ «المجلس
السامى» بالياء ، وهى :

رُسم ... - لا زالت أيامه الشريفة تَضَعُ الأشياءَ في محلها ، وتَفَوِّضُ المناصبَ
الْمُنِيفَةَ إلى أهلها ، وتُسَرِّفُ صُدُورَ المحافلِ بصُدُورِ العلماءِ في حُرْنِهَا وَسَهْلِهَا - أن تُفَوِّضَ
إلى فلان الخطابة بالجامع الناصرى المعروف "بجامع التوبة" بطرابلس المحروسية
وَجُوبًا وَتَعِينًا ، أَقْتَضَى في تَقَدُّمِ الفاضل على المفضول تَيْقِنًا وَتَبَيَّنًا ؛ لِأَنَّهُ الخَبْرُ الَّذِي
لا يُجَارَى في فضائله ، والبَحْرُ الَّذِي يَجُودُ فيجيدُ بفواضله ، والصَّدْرُ الَّذِي مُلِئَتْ
بفوائده وفرائده بزمانه محافلِ صُدُورِهِ وَصُدُورِ محافله ؛ كَمَ نَطَقَتْ ألسُنُ الأقسامِ
بأفواهِ المحابرِ بفضله في الأقاليم والآفاق ، وَكَمَ من عبارة بَفَصَاحَةٍ وَبِلاغَةٍ حَقَّقَتْ أَنَّهُ
بها فَاتَ الفُصحاءَ والبُلغَاءَ وفاق ؛ لقد أصبح شَمَلُ هذا الجامع بهذا الفاضل الذى
طال أرتقاؤه له جامعًا ، وأُمِّسَى وقد ظَفِرَتْ يَمَنَاهُ من التَّيْنِ به والبركة بما لم يكن
بشئٍ منه في مثل هذه الأيام طامعًا ، فلذلك بادرَ منبره المُنِيفُ وحلَّ له حَقُّوته
مُسَارِعًا ؛ وَوَطَّأَ - لَأَمْتِطَانِهِ إِيَّاهُ - صَهْوَتَهُ ، وَغَفَرَ لِلدَّهْرِ بهذه الحَسَنَةِ الجميلةِ فيما
سَلَفَ منه هَفْوَتَهُ ؛ وَعَلِمَ أَنَّهُ الخَطِيبُ الَّذِي اسْتَقَرَّ يُطَالَعُ المنابرَ من خُطْبَتِهِ بما يُفَجِّرُ
من العيون منابحَ المدايع ، وَيُسَوِّقُ إلى الآخرة : من ألقاظِ يُسَنَّفُ بها المسامع ؛
وَأَنَّ قَسًا لا يُقَاسُ به في خُطْبَتِهِ وَعِظَاتِهِ ، وَأَنَّ سَجَبَانَ يَوَدُّ من نَحْلِهِ أَنْ يَسْحَبَ ذَبْلَهُ
على ماثره الماثورة عنه لِيُعْفَى آثارَ فَلَنتِ كَلِمَاتِهِ وَلَفَّتَاتِ لَقْظَاتِهِ .

فلباشر هذه الوظيفة المباركة بالله تعالى مُدَّكراً، ولياً أمر عباده ونهائم عنه على
أسماعهم مُكرراً؛ ويعلم أنه في المحراب مناخ لربه، وأقف بين يدي من يحول بين
المرء وقلبه؛ فليعتصم بالله عز وجل في قوله وفعله، ويتيقن أن الكلمة إذا خرجت
من قلب لا تقع إلا في مثله.

وفي إحاطة طاميه المشهور، وفضله المشهود المشكور؛ ما يُغني عن وصية بها
يتذكر، وتذكرة في صحيفة فكره تُرقم وتُسَطَّر؛ وليوصل إليه معلومه على هذه
الوظيفة الشاهد به الديوان المعمور. وليوفر خاطره من التبديل في تحصيل معلومه
الجاري له وطلبه، وليعامل بما يليق من الإجلال والإعظام بوظيفته الشريفة
والمحلّ العالی الرفيع من منصبه؛ والعلامة الكريمة أعلاه، حجة بمقتضاه؛
إن شاء الله تعالى.



وهذه نسخ تواقع لأرباب الوظائف الديوانية بطرابلس :

نسخة توقيع بشهادة الجيوش بطرابلس، كُتِبَ به للقاضي بدر الدين «محمد
أبن الفرفور»، ووالده يومئذ ناظر الجيوش بها، «بالمجلس العالی»، وهي :
أما بعد حمد الله الذي زين سماء المعالی ببدرها، وأثبت في رياض السعادة يانع
زهرها، ورفق المناصب السنية إلى شرف محلها ومحل شرفها؛ ونشهد أن لا إله إلا الله
وحده لا شريك له شهادة خالصة في قولها وفعلها، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله
بالملة الحنيفة قائماً بفرضها ونفلها، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر مبلغاً لرسالات
ربه كلها؛ صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة لا ينحصر عددها، ولا ينقضي أمدها،
وسلم تسليماً كثيراً - فإن أولى من خطبته المناصب من هو أحق بها وأهلها^(١) فيها

(١) بياض بالأصل ولعله : وله فيها، الخ .

نِسْبَةٌ لَا يُنْكَرُ فَضْلُهَا ، وَمُبَاشَرَاتٌ فِي الْمَمَالِكِ الْإِسْلَامِيَّةِ مَشْهُورَاتٌ بِالْكَفَايَةِ وَالْعَفَّةِ فِي بَرِّهَا وَبَحْرِهَا .

وَمَا كَانَ فُلَانٌ - حَرَسَ اللَّهُ جَنَابَهُ وَأَسْبَغَ ظِلَّ وَالِدِهِ - هُوَ الْمَعْنَى بِهَذِهِ الْإِشَارَةِ ، وَتَمَسَّ هَذِهِ الْهَالَةَ وَبَدَّرَ هَذِهِ الدَّارَةَ .

فَلذَلِكَ رَسْمٌ - زَادَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَظَمَةً وَشَرَفًا ، وَمَنَحَهُ فِي الْخِنَانِ قُصُورًا وَعُزْرًا - أَنْ يَسْتَقَرَّ ... : اِقْرَارًا لِعَيْنِ وَالِدِهِ ، وَجَمْعًا لَهُ بَيْنَ طَرِيفِ السَّعْدِ وَتَالِدِهِ ؛ لِأَنَّهُ النَّبْعَةُ الَّتِي نَشَأَتْ فِي رِيَاشِ السِّيَادَةِ ، وَالزُّهْرَةُ الَّتِي بَرَزَتْ فِي كَلِمِ السَّعَادَةِ ؛ فَلَا يَزَالُ فَرْعُهُ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِسَعَادَةِ هَذِهِ الدَّوْلَةِ الشَّرِيفَةِ يَتِمَّى إِلَى أَنْ يَتَأَصَّلَ ، وَزَهْرَتُهُ تُرْهِى إِلَى أَنْ تَبْلُغَ الْإِنْمَارَ وَتَتَوَصَّلَ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً تَظْهَرُ فِيهَا كِفَايَتُهُ عِنْدَ الْاِسْتِقْدَادِ ، وَتَجَمُّدُ فِيهَا عُقْبَى الْاِخْتِيَارِ وَالْاِخْتِبَارِ وَالرَّشَادِ ؛ وَلْيَسْلُكْ فِي أَمَانَتِهِ سُنَنَ أَبِيهِ - أَسْبَغَ اللَّهُ ظِلَّهُ - الَّتِي أَحْكَمَهَا فِي كُلِّ مَا أَبْدَى وَأَعَادَ ، وَيَتَّبِعْ طُرُقَهُ الْهَادِيَّةَ إِلَى سَبِيلِ السَّعَادَةِ وَالْإِرْشَادِ ؛ وَيُؤَيِّدْ مَا آكْتَسَبَهُ مِنَ الْوَالِدِ عَنْ سَلْفِهِ مِنْ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَهُوَ أَحَقُّ بِهَذَا السَّنَدِ ، وَلَا يُخْرِجُ عَنْ رَأْيِ أَبِيهِ - أَيَّدَهُ اللَّهُ - حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ : هَذَا الشَّبَلُ مِنْ ذَاكَ الْأَسَدِ ؛ وَيُسَمِّرْ فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي تُبْلَغُ بِهَا الْأَمَالُ ، وَتَصْلُحُ الْأَحْوَالُ ؛ وَلْيَتَلَقَّ هَذِهِ الْمُبَاشَرَةَ بِعَزْمِهِ الشَّدِيدِ ، بِنَفْسِهِ لَا بِالتَّقْلِيدِ ، فَإِنَّهُ شَاهِدٌ وَمَسْئُولٌ ، بِقَوْلِهِ يَوْفِقُ فِي الْاِسْتِحْقَاقِ وَفِي التَّقْوَدِ وَالْكَيْوَلِ ؛ وَتَقْوَى اللَّهُ هِيَ السَّبَبُ الْأَقْوَى ، فَلْيَتَمَسَّكْ بِجَبَلِهَا يَقْوَى ؛ وَالْوَصَايَا كَثِيرَةٌ فِي ذَلِكَ وَوَالِدُهُ بِهَا أَعْلَمُ ، وَاللَّهُ تَعَالَى يُسَلِّكُهُ سَبِيلَ الْهُدَى فَإِنَّهُ أَنْجَحُ الطَّرِيقِ وَأَسْلَمُ ؛ وَاللَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى عَوْنَهُ ، وَيُدِيمُ صَوْنَهُ ؛ وَالْاِعْتَادَ



توقيع بكتابة الدرّج بطرابُلُس ، كُتِبَ به بـ «المجلس السامى» بالياء ، وهو :

رُسم بالأمر الشّريف - لا زالت مراسمه العالِيّة تُطَلِّع في أفلاك المعالي بَدْرًا مُنِيرًا
 هاديًا إلى الفضائل مأمونًا من السّرار ، ومكارمه الوافيّة ترفع من أعلام المعاني صَدْرًا
 كبيرًا رَشِيدًا في البيان أَمِينًا على الأسرار ، ومرامجه الكافية تُقرُّ عيون الأعيان
 والأخبار - أن يُرتب فلانٌ - ضاعف الله تعالى أنوار فضائله التي يأتّم بها المُستضيءُ
 والمُتهدى ، ويعشُو إلى قراها المُستعين والمُقتدى - في كتابة الدرّج السعيد بطرابُلُس
 المحروسة بما قرّره من المعلوم الوارد في الاستتار الشّريف على ما يتعين بقلم الاستيفاء
 جهته ، ويبيّن تفصيله وجمته ؛ نظرًا إلى استحقيقه الظاهر ، وفضله الباهر ؛
 وبلاغته التي أفصحت عن بيان البليغ القادر ، وفصاحته التي بلغت الكمال بعون
 الملك القادر ؛ وإطرابه ، في إطنابه ؛ وإعجازه ، في إيحازه ؛ فله في الدلائل قُدرة
 «المتصور» وفي الفضائل قُوّة «الناصر» ؛ طالما أزهى بقلمه «المهتدى» للصواب ،
 «السّفّاح» كالسّحاب ، رَوْضُ العُلوم والآداب ؛ وأظهر ببيانه «المتنصر»
 في الخطاب ، «المقتدر» على الأقنصاب ؛ طرّق الفنون ، وأصنح العيون ، مُحكّمة
 الأسباب ، وسبّل الحكّم مُفتحة الأبواب ؛ فهو بالسنا والسنا بذر «المستشيد» ،
 وبالحداء والحداء «مُعزٌّ» «المستنجد» ؛ وبقرط الحيا والحيا سحابُ المُستنظر
 و«المُستظهر» ، وبغرب الذّكا والذّكاء برق «المُستبصر» و«المُستنصر» .

فليباشِر هذه الوظيفة المباركة «مُعتمداً» بحبل التقوى ، «مُستعصماً» من المراقبة
 بالسبب الأقوم الأقوى ، مُجددًا رسوم هذه الصناعة التي ربّعها قد دَرَسَ ومحلّها
 قد أقوى ؛ فإن «المتقى لله» «الراضى» به هو «الرّاشد» «الفائز» بالسّعادة ،

و«المُتَوَكِّل» عليه «المُطِيع» له هو «الوَائِقُ» ببلوغ القصد الحائز للإرادة ؛ ولِيَطْرُقَ
حُلَّ البِيانِ بوشى بِنَانِهِ الذي أصبح دِيْبَاجُ الطَّرْسِ به «مُعْتَرًا» ، وليَقُومَ مَعَانِي البَدِيعِ
بِعَامِلِ قَلَمِهِ الخَطِّى - الذي أَمَسَى الفَضْلُ به كَالسَّمْهَرِيِّ قَائِمًا مُهْتَرًا ؛ «مُسْتَكْفِيًا»
بِمَا يَصْرَعُهُ وَيُرْصَعُهُ نَظْمًا وَنَثْرًا مِنَ البِدَائِعِ ، «مُسْتَعْلِيًا» لِمَا يَرْفَعُهُ وَيَفْرَعُهُ مِنْ غُرَرِ
الفِقْرِ ، وَدُرَرِ الفِكْرِ ، بِمَخَاطِرِهِ الوَقَادِ النِّقَادِ المُنْقَادِ الطَّائِعِ ؛ «مُقْتَفِيًا» فِيمَا يَنْشِئُهُ آثَارَ
مَا يَصْدُرُ عَنِ «الحَاكِمِ» وَ«الْأَمْرِ» ، «مَكْتَفِيًا» فِيمَا يُبْدِيهِ بِمَقْدَارِ مَا تَبَرَّزَ بِهِ المَرَايِمُ
وَالْأَوَامِرُ ، «حَافِظًا» لِلسَّرِّ «العَزِيزِ» كَاتِبًا كَاتِمًا فَلَا يُعْضِدُهُ فِيهِ «عَاضِدٌ» وَلَا
يُظْفِرُ بِهِ «ظَافِرٌ» ؛ «مَعْتَمِدًا» عَلَى الكِتْمَانِ فِي جَمِيعِ مَا يُورِدُهُ وَيُصْدِرُهُ ، مُقْتَصِدًا
بِالتَّوْفِيقِ فِي سَائِرِ مَا يُخْفِيهِ وَيُظْهِرُهُ .

وَالْوَصَايَا مِنْ آدَابِهِ تُسْتَفَادُ ، وَالنِّصَائِحُ فَلَهَا مِنْهُ المَبْدَأُ وَإِلَيْهِ المَعَادُ ؛ فَلْيَتَسَمَّ ذِرْوَةَ
أَعْلَاهَا ، وَلْيَتَسَمَّ نَفْحَةَ رِيَّاهَا



تَوْقِيعُ بَشَادَةِ دَارِ الضَّرْبِ بِطَرَابُئُسٍ ، وَهُوَ :

رُسْمٌ بِالْأَمْرِ - لِأَزَالِ رَأْيِهِ الشَّرِيفِ يَقْرَبُ مِنَ الْأُمُورِ صَوَابًا ، وَلَا يَبْرَحُ أَفْقَ سَمَاءِ
مَمْلَكَتِهِ الشَّرِيفَةِ يُطَّلِعُ بِفَلَاحِهِ بِدَرًا مُنِيرًا وَشَهَابًا - أَنْ يُرْتَبَ فَلَانٌ ... : لِأَنَّهُ العَدْلُ
الَّذِي أَشْتَهَرَتْ عَدَالَتُهُ ، وَالْأَمِينُ الَّذِي بَهَرَتْ فَظْهَرَتْ أَمَانَتُهُ ؛ وَالرَّئِيسُ الَّذِي مَا بَرَحَ
صَدَرَ المَحَافِلِ ، وَالْفَاضِلُ الَّذِي فَاقَ بِفَضْلِهِ عَلَى الْأَقْرَانِ وَالْأَمَائِلِ ، وَشَهِدَتْ بِتَرَاهُنِهِ
المَشْهُورَةِ الْأَوَانِحُ وَالْأَوَائِلُ .

فَلْيَا شَرُّ هَذِهِ الوَظِيفَةِ مَبَاشِرَةً مُطَابِقَةً لِعَدَالَتِهِ المَشْهُورَةِ ، مُعْرِبَةً عَنْ أَصَالَتِهِ المَخْبُورَةِ ،
مَوْصَحَةً عَنْ دِيَانَتِهِ الَّتِي عَدَّتْ فِي العَالَمِينَ مَعْرُوفَةً غَيْرَ مَنكُورَةٍ ؛ لِيُصْبِحَ هَذَا المَنْصَبُ

مُشْرِقًا بِنُورِهِ ، سَنَى الْأَرْجَاءِ بِسَاطِعِ ضِيَاءِ شَهَابِهِ وَنُورِ بُدُورِهِ ؛ وَهُوَ - أَعَزَّهُ اللَّهُ -
غَنَى عَنْ وَصِيَّةٍ مِنْهُ تُسْتَفَادُ ، أَوْ تَتَّبَعُ عَلَى أَمْرٍ مِنْهُ يُبْدَأُ وَإِلَيْهِ يُعَادُ ؛ وَلِيَتَنَاوَلَ مَعْلُومَهُ
الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ هِنِيئًا مُيسَّرًا ، وَلَا يَقِفُ أَمَلُهُ عِنْدَهُ : فَإِنَّا لَنَرَجُو فَوْقَ
ذَلِكَ مَظْهَرًا .



تَوْقِيعٌ بِنَظَرِ اللَّادِقِيَّةِ ، كُتِبَ بِهِ لِلْقَاضِي «بُرْهَانَ الدِّينِ» الْأَذْرَعِي ، وَهُوَ :
رُسِمَ بِالْأَمْرِ - أَنْفَذَهُ اللَّهُ فِي الْآفَاقِ ، وَطَوَّقَ بِمَنَّةٍ وَقَوَاضِلِ رِيَّةِ الْأَعْنَاقِ - أَنْ
يَسْتَقِرَّ الْمَجْلِسُ السَّامِيُّ - حَرَسَ اللَّهُ مَهْجَتَهُ ، وَأَهْلَكَ حَسَدَتَهُ - فِي نَظَرِ اللَّادِقِيَّةِ
الْمَحْزُوسَةِ ، عَلَى عَادَةٍ مِنْ تَقَدُّمِهِ وَقَاعِدَتِهِ ، بِالْمَعْلُومِ الشَّاهِدِ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ إِلَى
آخِرِ وَقْتٍ : عِلْمًا بِأَمَانَتِهِ الْمَشْهُورَةِ ، وَكِتَابَتِهِ الَّتِي هِيَ بَيْنَ أَهْلِ الصَّنَاعَةِ مَشْكُورَةٍ ،
وَخَبْرَتِهِ الَّتِي هِيَ فِي الْمُبَاشَرَاتِ مَعْرُوفَةٌ غَيْرَ مَنكُورَةٍ ، وَكِفَايَتِهِ الْمَأْلُوفَةَ الْمُؤْفُورَةَ ؛ فَإِنَّهُ
بَاشَرَ الْحِسْبَةَ الشَّرِيفَةَ وَنَهَى وَأَمَرَ ، وَأَتَّبَعَ فِي أَحْكَامِهِ مَا أَمَرَ بِهِ «أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمرُ» ؛
وَضَبَطَ أَمْوَالَ بَيْتِ الْمَالِ بِحُسْنِ نَظَرِهِ وَمِيزٍ وَتَمَرٍّ .

فَلْيَبَاشِرْ هَذِهِ الْوُضُفِيَّةَ الْمُبَارَكَةَ مُبَاشَرَةً عَلَى أَجْمَلِ الْعَادَاتِ ، وَيَسْتَرْفِعْ مَا لَهَا مِنْ
الْحُسْبَانَاتِ ، وَيُوصِّلْ إِلَى أَرْبَابِ الْأَسْتَحْقَاقِ مَا لَهُمْ مِنَ الْحُقُوقَاتِ ، عَلَى مَا يَشْهَدُ بِهِ
الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ فِي سَائِرِ الْأَوْقَاتِ ؛ فَإِنَّ هَذِهِ الْوُضُفِيَّةَ مِنْ أَجْلِ الْمُبَاشَرَاتِ ، وَلِيَتَنَاوَلَ
مَعْلُومَهُ الشَّاهِدَ بِهِ الدِّيْوَانُ الْمَعْمُورُ هِنِيئًا مُيسَّرًا عَلَى جَارِيِ الْعَادَةِ لِمَنْ تَقَدَّمَ فِي الْفُرُوعِ
وَسَائِرِ الْجِهَاتِ ، وَلِيَعْتَمِدَ عَلَى تَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى فِي سَائِرِ الْحَرَكَاتِ وَالسَّكَّاتِ ؛ وَاللَّهُ
تَعَالَى يَتَوَلَّاهُ ، وَالْإِعْتِمَادُ عَلَى الْخَطِّ الْكَرِيمِ أَعْلَاهُ .



توقيع أيضا في المعنى .

لا زالت صدقاته الشريفة تُقيمُ لاتباع الحقِّ برهاناً، وتُسدي إلى كلِّ أحدٍ خيراً وإحساناً - أن يرتب فلانٌ ناظراً بالأذقية المحروسة وما هو مضافٌ إليها، على عادة من تقدّمه وقاعدته ومعلومه الشاهد به الديوان المعمور : لأنه طالما باشر نظرتي المال فوفر الأموال ، وأصلح ما فسد من الأحوال ، وسدّد بحسن تديره الأقوال والأفعال ؛ وأظهر من الأمانة ما يميّز به في مباشراته ، وفاق به على قرّانه وأهل زمانه وأوقاته ؛ ثم باشر الحسبة فسلك فيها مسلك السرِّ والجهر وصدق الخبر ، وسلك مسلك أمير المؤمنين عمر .

فليباشر هذا النظر بقلبٍ مُشرح ، وأملٍ مُنفتح ؛ وليظهر فيه ما جرب به من الأمانة ، وتجنّب الخيانة ؛ وليجتهد في تحصيل أموال الديوان المعمور ، ويتسبط قلبه في إصلاح الأمور؛ وليوصل إلى أرباب المرتبات ما هو لهم مستحق ، فإنهم به أولى وأحق ؛ وليوصل إليه معلومه أوآن وجوبه واستحقاقه



توقيع بمشارفة حصن الأكراد ، كتب به للقاضي « بدر الدين » بـ « المجلس العالي » ، وهو :

رسم بالأمر الشريف - لا زالت مراسمها العالية تولى الأنام رتاً، وتجدد بإسباغ الإنعام بشراً، وتضوع في كلِّ نادٍ من أندية الثناء والدعاء تشراً؛ وتطليح في كلِّ أفق من آفاق السيادة من صدور الأعيان وأعيان الصدور بداراً - أن يرتب فلانٌ في مشارفة حصن الأكراد المحروس : لما هو عليه من العفة والصلف ، والزاهدة

التي عُرف بها وأتصف بها ، والرأية التي أنتقلت إلى الخلف عن السلف ، والعدالة التي لا يتكلف لسلك نهجها : ومن العجب خلو البدر عن الكلف ! ، ثم حفظت بمباشرة الأموال ، وصلحت بملاحظته الأحوال ، وتقدت انحصاراً على سيرته وحسن سيره ، وأشتهر بحيل تدبير أوجب تقديمه على غيره .

فليأشر هذه الوظيفة التي هي من أجل الوظائف ، وليشكر ما أولي من المعروف وأسدى إليه من العوارف ؛ وليبدل جهده في صلاح الأحوال ، وتبخر الأموال ، وتقرر القواء على السداد ، وإجراء العوائد على وفق المراد ؛ فانه ممن دلت خبرته على بحيل آثاره ، ولاحت الغبطة في اختياره الذي أغنى عن تقديم اختياره ؛ كيف لا ؟ وهو ممن نسا في حُدُور فنون الحكمة ، وأشتهر في مواطن النضال مع وفور الانتقال بحسن الإصا به ؛ فهو إن شاء الإنشاء بلغ منه المرام ، وإن بسط الجرائد للتصرف قيل : هذا الكتاب النظام ؛ كم له من يد بيضاء في التبييض والنسويد ، وهمية علياء بلغ بها من السيادة ما كان يريد .

فليقدم خيرة الله تعالى في هذا الأمر ويحملها إمامه ، وليتمسك بها مقتدياً بمن قدمها أمامه ، وليكن عند حُسن الظن به ليلبغ من سعادة الدارين مرامه .

والوصايا التي يعم نفعها ، ويتعين على تناسب الأعمال جمعها ؛ به تسلك سبلها ، وعنه تؤخذ تفاصيلها وجمالها ؛ فليسلك منها الأقوم الأرشد ، وليتمسك بالأقوي الأحمد ؛ بحزم وافر ، وعزم غير قاصر ؛ وليتناول معلومه الشاهد به الديوان المعمور أحيان الوجوب والاستحقاق رزقاً دازاً ، هنيئاً ميسراً سآزاً ؛ من غير تقشير ولا تكدير ، ولا تنغيص ولا تأخير .



تَوَقَّعُ بِمَشِيخَةِ الْمَقَامِ الْأَذْهَمِيِّ ، كُتِبَ بِهِ بِاسْمِ الشَّيْخِ «عَبْدَ اللَّهِ السُّطُوْحِيِّ»
بِ«الْمَجْلِسِ الْعَالِيِّ» ، وَهُوَ :

أَمَا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ الَّذِي سَقَى مَحَلَّنَا بِإِيَّائِهِ ، وَأَثَبَتْ عُشْبَنَا بِسَحَابِهِ ، وَأَقْرَأَنَا كِتَابَ
وَجْهِهِ وَأَغْنَانَا عَنْ وَجْهِ دَوَابِهِ ، وَجَعَلَ لِكُلِّ مَقَامٍ مَقَالًا مِنْ صِدْقِ أَوْلِيَائِهِ ، وَمَنْحَهُمْ
بِمَا آخْتَارَ لَهُمْ مِنْ سِرَائِرِ مَوَاهِبِهِ وَعَطَائِهِ ، وَجَمَعَ قُلُوبَ الْفُقَرَاءِ عَلَى الْعِبَادَةِ وَالِدَعَاءِ
بِوَسْطَةِ مَنْ أَحْبَبَهُ وَأَخْصَاءِ مُجْبَاهِهِ ، وَالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَجْمِ الشَّرِيِّ ،
وَلَيْثِ الشَّرِيِّ ، وَسَيِّدِ مَنْ وَطِئَ التُّرَى ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الَّذِينَ مِنْهُمْ مَنْ لَوْ أَقْسَمَ لِأَبْرَ
قَسَمَهُ رَبُّ السَّمَاءِ ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا - فَلَمَّا كَانِ الْأَعْيُنَاءُ بِالْأُمُورِ الدِّيْنِيَّةِ مِنْ
الْوَاجِبَاتِ ، وَالْمَحَافِظَةِ عَلَيْهَا [مِمَّا] تُبَادِرُ إِلَيْهِ مِنَ النَّفُوسِ الرَّغْبَاتِ ، وَبُيُوتِ اللَّهِ تَعَالَى
فَهِيَ قِيَامُ الدِّينِ الْمَتِينِ ، وَلَا يَمْضُ بِعَارْتِمَا إِلَّا الَّذِينَ اتَّقَوْا وَآمَنُوا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ،
فَطُوبَى لَهُمْ وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ .

وَمِنْ الْبُيُوتِ الْعَامِرَةِ ، وَالسَّرَاةِ الطَّاهِرَةِ ، وَالْمَقَامَاتِ الَّتِي إِذَا حَلَّ بِسَاحَتِهَا
أَنَّهُ الْعَيْنُ بَصَرْتَهُ مُجُومًا زَاهِرَةً - مَقَامٌ مِنْ ذِكْرِ كَرَامَتِهِ أَشَامَ فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ
وَأَيْمَنَ وَأَنْجَدَ وَأَنْتَمَ ، السَّيِّدِ الْجَلِيلِ وَلِيِّ اللَّهِ «إِبْرَاهِيمَ بْنِ أَدْهَمَ» ، سَيِّدِ الْأَوْلِيَاءِ ،
وَسُلْطَانِ الْإِتْقِيَاءِ ، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ مَا سَارَ عَلَى الطَّرِيقِ سَائِرًا ، وَمَا أَمْتَطَى ظَهَرَ قُلُوبِ
مُسَافِرٍ ، مَقَامٌ بِالزُّهْدِ مَوْصُوفٍ ، وَبِالْبَرَكَاتِ مَعْرُوفٍ ، وَلَهُ الْإِطْلَاقَاتُ الْمَشْهُورَةُ ،
وَالْمَنَاهِلُ الْمَأْتُورَةُ ، فِي وَرْدِهَا الْمُبْرُورَةُ ، قَدْ اسْتَوْلَتْ عَلَيْهِ يَدُ التَّبْذِيرِ ، وَعَادَ بَعْدَ طَوْلِ
سِمَاطِهِ فِي تَقْصِيرِ ، وَأَخْتَلَفَ فِيهِ النَّيَاتُ فَكَانَ فِي كَيْسِ الْفَقِيرِ ، فَكَشَفَ اللَّهُ
هَذِهِ النَّقْمَةَ ، وَأَدَامَ سَوَائِغَ النِّعْمَةِ ، وَأَسْبَلَ عَلَى هَذَا الْمَقَامِ ظِلَالَ الْحُرْمَةِ ،

(١) لعل الصواب «فكان في كيس الغنى بعد أن كان في كيس» الخ .

وأرسل الله على عباده المتقين باعثاً من عنده ، وأيقظهم لعابه بأن كلاً واقفٌ عند أمره وحده ؛ وأنطق لسان من لا رادَ لأمره ، فكشف غمّة هذا المقام وعزل من يخاف عليه من سوء تدبيره وشره .

فلذلك رُسم - أن تفوّض مشيخة المقام الجليل الأدهمى بشفر جبلة المحروس - على ساكنه الرحمة والرضوان - إلى فلان - نفع الله ببركاته ، وأعاد على المسلمين من صالح دعواته - عوضاً عما كان بها يحكم انفصاله حسب ما وردت المراسيم الشريفة - شرفها الله تعالى وعظمتها - عند اتصال العلوم الشريفة - زادها الله تعظيماً - بأمر المقام المشار إليه وأعتاد المتصرفين فيه : إذ وضعت الآن الأشياء في محلها ، وأسندت الأمور إلى أهلها ، وقُلدت هذه المثوبة إلى من يُظهر سرائر فضائلها ؛ ولحظت الآراء حجب هذا المقام والأثر ، ولا شك أن السعادة تحفظ الحجر ؛ كم له من آيات مشهوره ، وكرامات بلسان الحمد مدكوره ، ومساج في الخيرات مبروره ؛ وقد عمّ الزوايا بأجناس المكارم ، وبسط للزائرين من إكرامه سماطاً يقول الزائر : هذا ولا حاتم :

زورُ دياراً زارها جودُ كفه ، ومن دُونها للزائرين مراحلُ ،
وتزجّع عنها والجفونُ قريرةً : كما راجعت ماوى الحُقوف المساحلُ !

فليتلق - أعاد الله من برّكته - هذه الولاية ، وليجعل للقيام المشار إليه من خاطره الكريم أوفر عناية ؛ ويستخلف عنه إذا توجه إلى ^(١) بيحصن الأكراد فإنها مستمرة بيده وولايتها باقية عليه ؛ وأمرها في إبدائه وإعادته عليه ؛ والله تعالى يتولاه ، فيما ولّاه ؛ والاعتقاد

(١) بياض بالأصل ومراده الى مشيخة يحصن الأكراد .

قلتُ : وقد أتميتُ على جُملةٍ من مواقعِ أربابِ الوظائفِ : بدمشقَ وحلبَ
وطرابلسَ وأعمالَ كُلِّ منها ، يَسْتغني بها الماهرُ عما سواها ، وَيَقْبِسُ عليها ما عداها ،
إذ لا سبيلَ إلى استيفاءِ جميعها ، والإتيانِ على جُملتها .

وفيما ذُكر من هذه الممالكِ الثلاثِ تنبيهٌ على ما يكتبُ بحماسةٍ وصدقِ اللتين هما
في رُتبةِ طرابلسَ ، وتلويحٌ إلى ما عداها ، مما هو دونها كغزاةٍ إذا كانت نيايةً ،
والكرك التي هي دون ذلك .

والله تعالى هو الهادي إلى التوفيق ، والمرشدُ للسداد ، بمنه وكرمه .

تم الجزء الثاني عشر . يتلوه إن شاء الله تعالى الجزء الثالث عشر

واژه المقالة السادسة

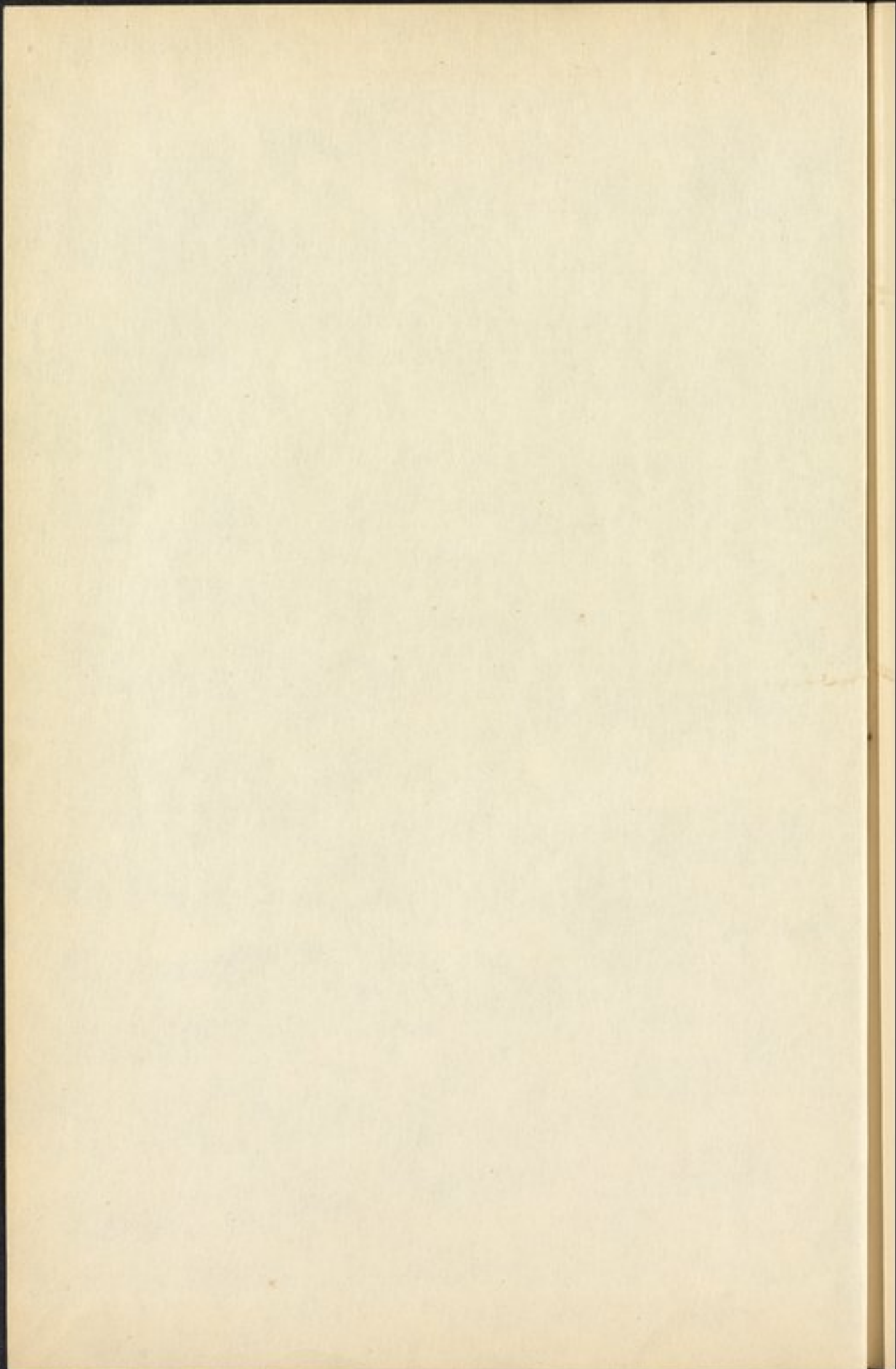
(فيما يكتب في المسامحات ، والاطلاقات السلطانية ، والطرخانيات

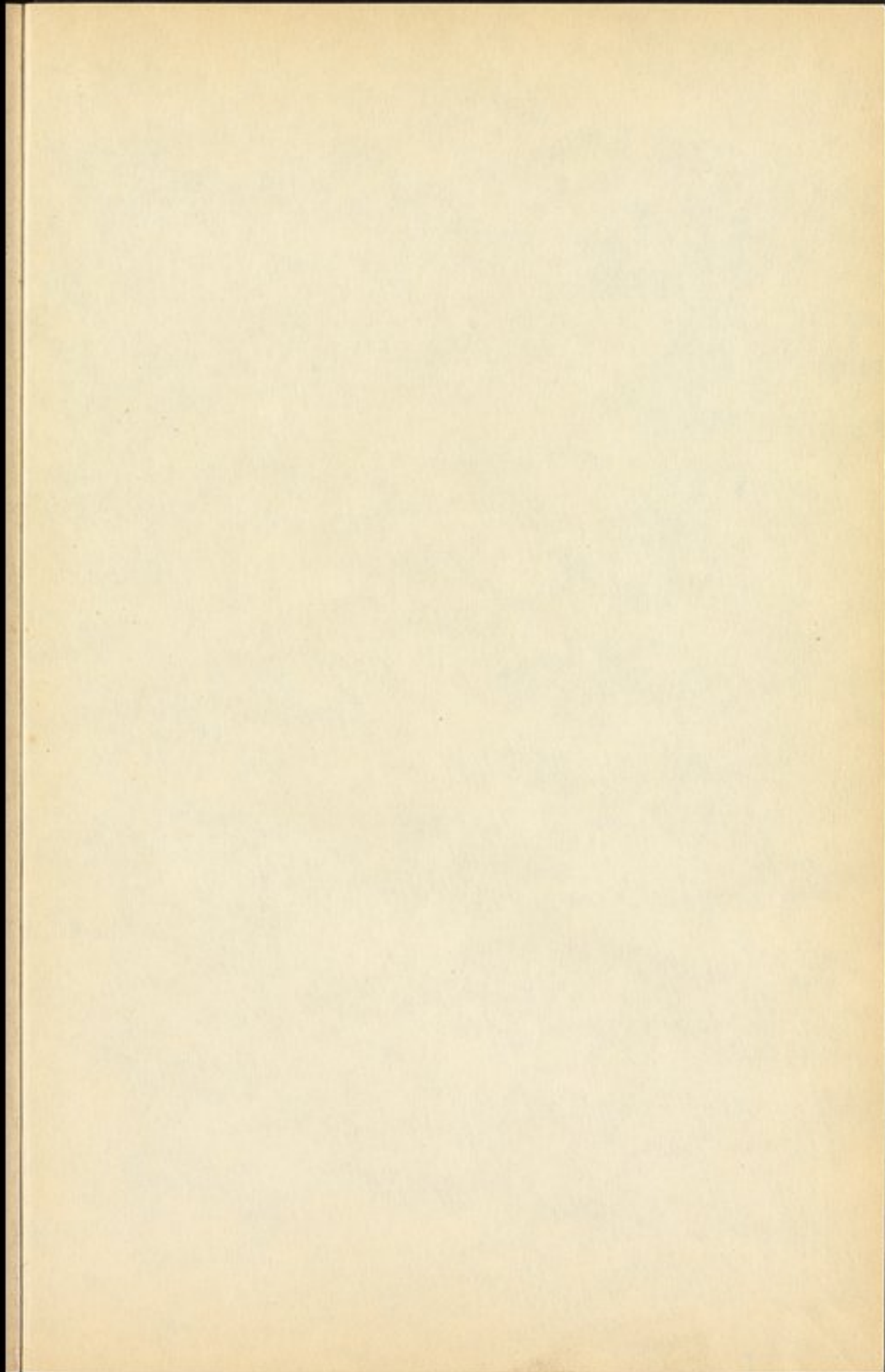
وتحويل السنين والتذاكر ، وفيها أربعة أبواب)

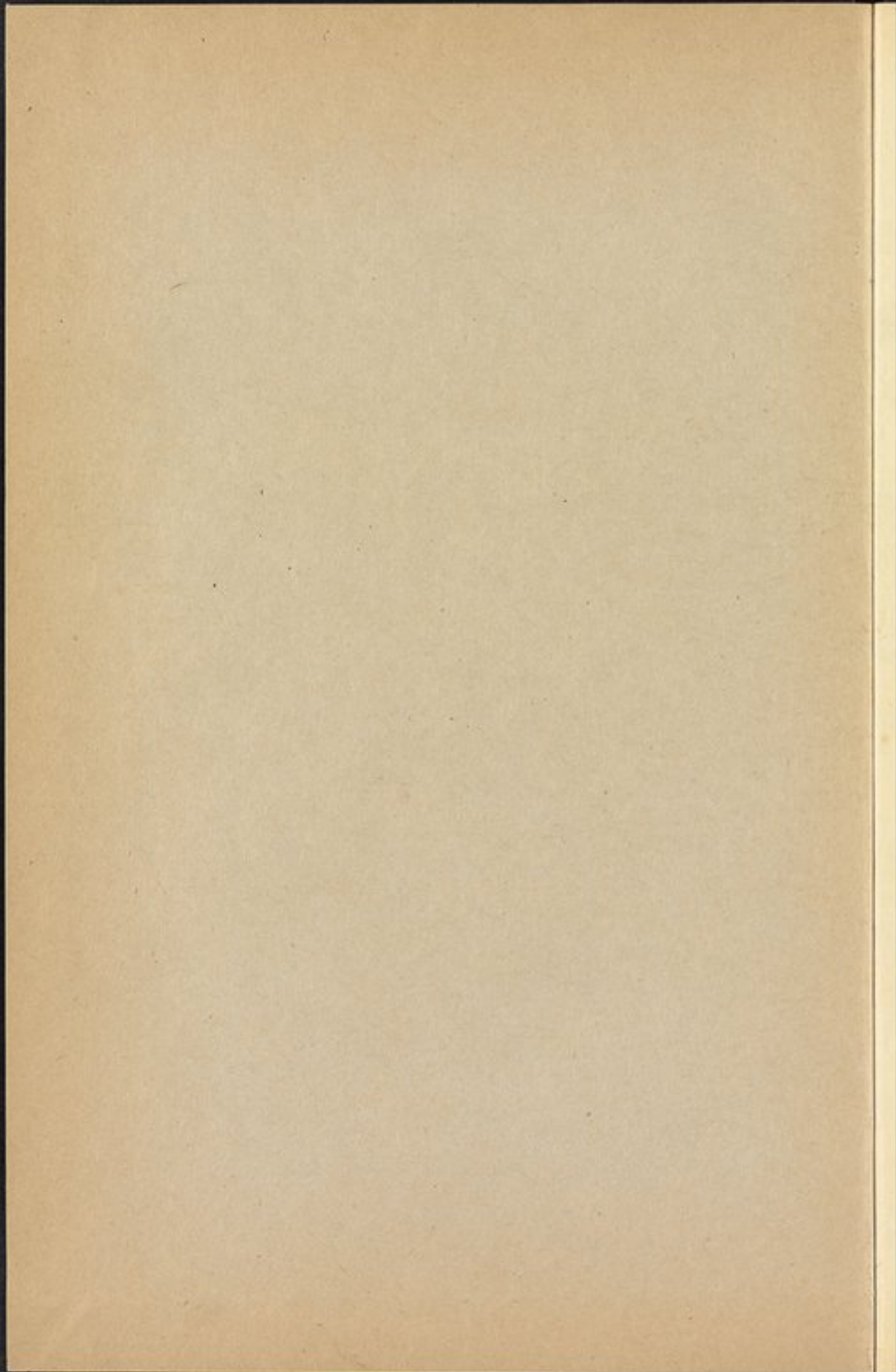
والحمد لله رب العالمين . وصلاته على سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين

وآله وصحبه والتابعين ، وسلامه

وحسبنا الله ونعم الوكيل







893.7K125

W
12
Cop. 2

893.7K125

W

v. 12

Kalkashandī

cop. 2

Kitāb subh al-a'shā.

APR 29 '47

BINDER

JUN 17 1947

